غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني

للإمام شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني

المتوفى سنة ٨٩٣ هـ

تحقيق

د. هادي بن علي آل رديني الذروي

المجلد الخامس

من سورة المؤمنون إلى آخر سورة فاطر

ح دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٣٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
رديني، هادي بن علي
غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني للإمام شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني (المتوفى سنة ٨٩٣هـ) من سورة المؤمنون إلى آخر سورة فاطر./ هادي بن علي الرديني - ط١- الرياض ١٤٣٨هـ
ص ؛ ٠٠×٠٠ سم
ردمك: ٧ -٤٤٧- ٥٠٦- ٦٠٣- ٩٧٨
١ - القرآن - تفسير أ - العنوان
ديوي ٢٢٧.٣ ١٤٣٨/٦٢٠٠

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٦٢٠٠
ردمك: ٧ -٤٤٧- ٥٠٦- ٦٠٣- ٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

دار الحضارة للنشر والتوزيع
ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥
هاتف: ٢٤١٦١٣٩ - ٢٤٢٢٥٢٨ فاكس: ٢٧٠٢٧١٩
فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨ تحويلة ١٠٣
الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير
سورة المؤمنون

«سورة المؤمنون»

مكية وهي مائة وتسع عشر آية[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾ [١-٧].

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (قد) تثبت[2] المتوقع كما (أن) لما تنفيه[3]، وكان المؤمنون يتوقعون نوع بشارة منه تعالى فصدّر السورة بها دلّ على ثبوت متوقّعهم على أبلغ وجه، بأن أدخل (قد) على المضارع [البارز في][4] صورة الماضي الدال

(١) في العدد الكوفي والحمصي مائة وثمان عشرة، وفي الباقي مائة وتسع عشرة. انظر: الكشاف (٤/٢١٦)، وإتحاف فضلاء البشر (٣١٧)، والمحرر الوجيز في عدّ آي الكتاب العزيز (١١٦).

(٢) في «ح»: ثبت.

(٣) انظر: الكشاف (٤/٢١٦)، وأنوار التنزيل (٤٥١). في هامش الأصل و «ص»: وإن لما تنفي ما كان وقوعه متوقعاً.

(٤) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

على التحقيق، فكأنه قيل: قد تحقق أن المؤمنين من أهل الفلاح والفوز بالأماني، ويجوز أن يكون [جواب](1) قسم محذوف فيزداد تأكيداً على تأكيد(2).

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ الخشوع: فعل القلب ويسري أثره في الجوارح(3)، [ولذلك](4) لما رأى رسول الله ـ ﷺ(5) ـ مصلياً يعبث بلحيته فقال: «لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه»(6)، ومن الخشوع في الصلاة(7) أن [لا يحدّث](8) نفسه بأمر لا يتعلق بالصلاة(9)، ويتوقى كفّ الثوب والإلتفات، وقلب

(١) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.
(٢) من معاني (قد) إذا دخلت على الماضي: ١- التوقع نحو: «قد قامت الصلاة». ٢- تقريب الماضي نحو: «قد قام زيد». ٣- التحقيق كقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٩]. انظر: شرح المفصل (١٤٨/٨)، والجنى الداني (٢٥٦ـ٢٥٩)، والدر المصون (٣١٥/٨)، ومغني اللّبيب (١٧١/١ـ١٧٥)، وحاشية الشهاب (٣١٨/٦).
(٣) انظر: المفردات (٢٨٣)، والكشاف (٢١٧/٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٠٣/١٢).
(٤) ما بين معكوفتين مطموسة في الأصل.
(٥) في الأصل: صلعم.
(٦) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٦٦/٢) ح٣٣٠٩، وابن أبي شيبة في المصنف (٨٦/٢) ح٦٧٨٧، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١٩٤/١) موقوفاً على حذيفة بن اليمان، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٣٤٤/٢) الأصل ٢٤٥، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٨٥/٢)، وأورده الزيلعي في تخريج أحاديث الكشّاف (٣٩٩/٢) ح٨٢٨، وابن حجر في الكافي الشاف (١١٥) ح٣٦، وقال: «فيه سليمان بن عمرو، وهو أبو داود النخعي، أحد من أُتّهم بوضع الحديث»، وقال الألباني عن الحديث إنه موضوع كما في إرواء الغليل (٩٢/٢) ح٣٧٣. وانظر: سبل السلام (١٤٧/١)، والبيان والتعريف (١٥٩/٢)، وشرح الزرقاني على موطأ مالك (٤٧٩/١)، وشرح سنن ابن ماجة (٩٥).
(٧) في الأصل: الصلوة.
(٨) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.
(٩) في الأصل «ح»: بالصلوة.

الحصا، والسدل، والاختصار، وتشبيك الأصابع، ويُلَبِّد النظر بموضع السجود[1]. ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ كلّ ما لا يعنيك من قول وفعل[2]: لغو، من لغا الرجل: أتى بالباطل، ومنه لغو اليمين[3]، وألغى ابن عباس[4] طلاق المكره، أي: أبطله[5]. ولما وصفهم بالخشوع في الصلاة[6] أتبعه الوصف بالإعراض عن اللّغو جمعاً لهم بين فعل ما ينبغي وترك ما لا يعني اللّذين عليهما مدار الكمال، فهو من تتمة الصلاة[7]؛ فلذلك فصل به بينهما وبين الزكاة[8].

(١) انظر: الكشاف (٢١٧/٤)، والبحر المحيط (٣٩٥/٦). والسَّدْل: أن يطرح المصلي الرداء على كتفيه، ولا يردّ طرفه على الآخر. انظر: الإنصاف (٤٦٩/١)، والشرح الممتع على زاد المستنقع (١٨٨/٢). والاختصار: أن يضع المصلي يديه على خاصرته، ونُهي عنه؛ لأنه فعل اليهود في صلاتهم. انظر: فتح الباري (٤٩٥/٦)، والشرح الممتع على زاد المستنقع (٣٢٢/٣، ٣٢٣). ويلبد: التلبد: إلزام النظر موضع السجود من الأرض. انظر: لسان العرب (٣٩٨٤/٧)، مادة «لبد».

(٢) في «ح» أو فعل.

(٣) انظر: المفردات (٧٤٢)، والكشاف (٢١٨/٤)، وأنوار التنزيل (٤٥١)، والبحر المحيط (٣٩٥/٦). ولغو اليمين: أن يحلف على شيء وهو يرى أنه كذلك، وليس كما يرى في الواقع، وعند بعضهم: هو ما لا يعقد الرجل قلبه عليه نحو: لا والله، وبلى والله.
انظر: الزاهر في غريب ألفاظ الإمام الشافعي (١٣٦)، والتعريفات (٢٠٢).

(٤) ابن عباس: أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي، صحابي جليل، ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث، إمام في التفسير والحديث والفقه والشعر، لقب بحبر الأمة وترجمان القرآن؛ لكثرة علمه، توفي بالطائف سنة ٦٨هـ.
انظر: تاريخ بغداد (١٧٣/١)، سير أعلام النبلاء (٣٣١/٣).

(٥) قال ابن عباس: «ليس على المكره والمضطهد طلاق».
انظر: الحاوي الكبير (٢٢٩/١٠)، والمغني (٣٥٠/١٠)، ومعجم فقه السلف (٢٨/٦).

(٦) في الأصل «ح»: الصلوة.

(٧) في الأصل «ح»: الصلوة.

(٨) في الأصل «ح»: الزكوة.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾ أي: التزكية فإنه اسم مشترك بين العين[1]، والمعنى القائم بالفعل[2]، وعبر عن المزكي بالفاعل تحاشياً عن التكرار مع أن كلّ فعل يعبر عن مصدره بلفظ الفعل ضرورة صدق العام على الخاص. ومن فسّره بالذين يفعلون [ما يفعلون][3]؛ ليزكيهم الله، أو ليزكوا أنفسهم[4] بالصلاة[5] ينادي على بطلان تخريجه[6][7]. وكذا نظيره[8] في سورة المعارج[9]. ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ ﴾ أي: حافظون فروجهم في الحالات كلّها إلاّ في حال تزوّجهم أو تسرّيهم، والأحسن تعلق الجارّ بحافظون، من حفظت المال على اليتيم، أي: حافظون فروجهم على الأزواج لا يتعداهنّ، ثمّ قيل غير حافظين إلاّ على الأزواج تأكيد على تأكيد[10].

---

(١) في «ح» المعنى.

(٢) الاسم المشترك: هو اللّفظ الدال على معنيين مختلفين أو معانٍ كثيرة على السواء.
انظر: نهاية السول (٢/١١٤)، والتعريفات (٢٢٩).

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٤) في هامش الأصل: قائله الراغب. انظر: المفردات (٣٨١).

(٥) في الأصل: بالصلوة.

(٦) في هامش الأصل قائله الراغب: إذا لو كان المعنى ذلك لشمل كلّ فعل فيه طاعة.

(٧) انظر: الكشف على الكشاف (٣٥١/ أ ـ ب)، حاشية الشهاب على البيضاوي (٦/٣٢٠).

(٨) في الأصل: نظرة.

(٩) الآيـة (٢٤، ٢٥). انظر الأصل (٣٣٠/ أ).

(١٠) انظر: الكشاف (٤/٢١٩)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/٩٥٠)، وأنوار التنزيل (٤٥١)، والدر المصون (٨/٣١٧).

﴿ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ فيه إشارة إلى أنه مباح لا ثواب فيه ولا حرج، وهذا إذا لم يقصد به عدم الوقوع في الزنى[1][2]؛ لما روى البخاري[3] أنهم قالوا: «يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له أجر؟، قال: نعم أرأيتم لو وضعه في الحرام أكان له[4] وزر»[5]. ونكاح المتعة باطلٌ إجماعاً[6]، فلا وجه لعدّ المنكوحة متعة من الأزواج.

﴿ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ ﴾ المستثنى. ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾ [الكاملون في العدوان][7].

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [٨-١١].

---

(١) في «ق»: الزنـــا.
(٢) في هامش الأصل: النفي الذي من لوازم الممنوع يعلم من السياق.
(٣) البخاري: محمد بن إسماعيل بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، ولد في بخارى، ونشأ يتيماً، ارتحل في طلب العلم إلى خراسان، والعراق، ومصر، والشام، وسمع من نحو ألف شيخ، ألف مؤلفات عدّة منها: الجامع الصحيح، والتاريخ الكبير، والأدب المفرد، مات ــ رحمه الله ــ في خرتنك بسمرقند، عام ٢٥٦هـ، وكان مولده عام ١٩٤هـ.
انظر: تاريخ بغداد (٢/٤ــ٣٦)، وفيات الأعيان (١/٤٥٥).
(٤) في «ق»: عليه.
(٥) الحديث أخرجه مسلم من حديث طويل. صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزكاة، باب كلّ نوع من المعروف صدقة (٧/٩١، ٩٢). وقال ابن حجر: «... وجاء ما هو أصرح في هذا المراد من وضع اللقمة، وهو ما أخرجه مسلم عن أبي ذر»، ثمّ أورد الحديث.
انظر: فتح الباري (١/١٣٧). وما أورده المصنف لم يخرجه البخاري في صحيحه، وإنما أخرجه في الأدب المفرد، باب أن كلّ معروف صدقة (٣٦).
(٦) نكاح المتعة: أن ينتفع الرجل من المرأة المباح له نكاحها بأن يعطيها شيئاً لمدة معلومة.
انظر: الزاهر (٤١٩)، والتعريفات (٣٦٦).
(٧) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ لا يخونون فيما يؤتمنون فيه من [حقوق الله][1]، وحقوق [العباد، ويرعون العهود][2] والمواثيق لا يغدرون. لم يجمعه؛ لأنه اسم للحاصل بالمصدر بخلاف الأمانة، فإن [المراد منه الشيء المؤتمن فيه[3]، وقرأ ابن كثير][4][5] بالإفراد، والجمع أولى؛ لتناوله الإفراد صريحاً[6].

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ أي: [المفروضة والمشروعة. «يحافظون يؤدونها في أوقاتها مرعيّاً][7] فيه الأركان والأبعاض والهيئات مواظبون على ذلك على الاستمرار. [وقرأ حمزة[8]، والكسائي[9] بالإفراد على إرادة الجنس وعليه][10]

---

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٢) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٣) انظر: الكشاف (٤/٢٢٠)، والبحر المحيط (٦/٣٩٧).

(٤) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٥) ابن كثير: عبد الله بن كثير الدّاري، مولى عمرو بن علقمة الكناني، أبو معبد، إمام أهل مكة في القراءة في زمانه، وثقة ابن معين، كان فصيحاً بليغاً مفوّهاً، توفي سنة ١٢٠هـ بمكة.
انظر: وفيات الأعيان (٣/٤١)، وغاية النهاية (١/٤٤٣).

(٦) انظر: الكشف (٢/١٢٥)، والتيسير (١٥٨)، والنشر (٢/٣٢٨).

(٧) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٨) حمزة: أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيّات الكوفي، أحد القراء السبعة، كان حجة ثقة، ثبتاً بصيراً بالفرائض، عارفاً بالعربية، عديم النظير، ولد سنة ٨٠هـ، ومات سنة ١٥٦هـ.
انظر: معرفة القراء الكبار (١/١١١)، وغاية النهاية (٢/٢٦١).

(٩) الكسائي: أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي، أحد القراء السبعة، انتهت إليه رئاسة الإقراء في الكوفة، تعلّم النحو على كبَر في السنّ، له تصانيف منها: معاني القرآن، والنوادر الكبيرة، وغيرهما، ولد سنة ١٢٠هـ، ومات سنة ١٨٩هـ بالري.
انظر: سير أعلام النبلاء (٩/١٣١)، وغاية النهاية (١/٥٣١).

(١٠) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

الرسم، والجمع أظهر(١)؛ لظهور تناول الأفراد مفروضة كانت أولاً، ولا تكرار [ولأن الأوّل في بيان خشوعهم والثاني](٢) في مسارعتهم إليها، وقدم بيان الخشوع؛ لأنه الأصل في العبادات.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴾ الموصوفون بالصفات المذكورة أحِقّاء باسم الوِراثة، وبأن لا يُسمّى غيرهم وُرّاثاً؛ لحقارة ما وَرِثوه، وإنما سمّي جزاء [أعمالهم ميراثاً دلالة على كمال الاعتداد بها، وأن الثواب](٣) في مقابلتها أمرٌ لازم كالميراث، فإنه مِلكٌ قهري لا يقبل الردّ. وقيل: لأنهم [ورِثوا منازل الكفار في الجنة لو كانوا مسلمين، لما](٤) في(٥) الحديث: «ما من أحدٌ إلاّ وكتب له مقعد في الجنة ومقعد في النار»(٦).

﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ ﴾ [أبهم أوّلاً، ثمّ فسرّ؛ إظهاراً للفخامة](٧)، والفردوس: البستان الواسع الجامع لأصناف الثمار(٨). رويَ أن الله تعالى

---

(١) والجمع قراءة الباقين. انظر: التيسير (١٥٨)، والموضح في وجوه القراءات السبع وعللها (٨٩١/٢)، والنشر (٣٢٨/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (٣١٧).

(٢) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٣) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٤) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٥) انظر: المحرر الوجيز (٢٢٣/١١).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن، باب «فأمّا من أعطى واتقى» (٣٢٤/٣، ٣٢٥) ح٤٩٤٥، ٤٩٤٦، ٤٩٤٧.

(٧) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٨) انظر: الكشاف (٢٢١/٤)، ونظم الدرر (١١٠/١٣).

[بنى جنة الفردوس][1] لبنة من ذهبٍ، [ولبنة من فضة، وجعل][2] خلالها المسك الإذفر وغرس فيها من جيّد الفاكهة والريا [حين][3]. روى مسلم][4][5] والبخاري أن رسول الله [قال: «إذا][6] سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة [منه تنفجر الأنهار»][7][8]. ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ لا موتٌ ولا انتقال، ـ اللّهم اجعلنا من أهل الفردوس ـ.

---

(١) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٢) ما بين المعكوفتين مطموسة في «ق».

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٨). والكشاف (٤/٢٢١)، وقد ورد هذا الأثر عن بناء الجنة مطولاً في أحاديث. كما في مسند الحميدي (٢/٤٨٦)ح١١٥٠، ومسند الإمام أحمد (٥٩٩)ح٨٠٣٠، (٧٠٢)ح٩٧٤٢. والإذفر: طيب الريح.

انظر: النهاية في غريب الحديث (٣٢٧)، مادة «ذفر».

(٤) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٥) مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، أحد الأئمة الأعلام، صاحب الصحيح المشهور باسمه، أصحّ كتب الحديث بعد صحيح البخاري. رحل مسلم إلى الحجاز، والعراق، والشام، ومصر، وسمع من جمعٍ من المحدثين، مات سنة ٢٦١هـ بنيسابور.

انظر: تاريخ بغداد (١٣/١٠٠ـ١٠٤)، وسير أعلام النبلاء (١٢/٥٥٧ـ٥٨٠).

(٦) ما بين المعكوفتين مطموسة في «ق».

(٧) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٨) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد (١٣/٢٨) صحيح مسلم بشرح النووي، ولم يخرّج مسلم الحديث بهذا اللّفظ، وقد ورد جزء من الحديث عن أبي سعيد

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [١٢-١٦].

ولما بين أنّ الفائزين لديه [هم المتصفون][1] بتلك الأوصاف المرضية المتحلّون بهاتيك الأخلاق الزكية أشار إلى أدلّة وحدانيته واستحقاقه [ذلك][2] من عباده بقوله ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ آدم[3]، من «سُلالة» خُلاصة «فُعالة» بمعنى مفعول، وبناء «فُعالة» تنبيء عن [القِلّة كالقلامة][4]، والقمامة[5]. ﴿ مِّن طِينٍ ﴾ من بيانية، والأُولى ابتدائية، ويجوز أن تكون إبتدائية أيضاً[6]، على ما

الخدري، وفيه: «...، وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض»، وهو مما اتفق فيه البخاري ومسلم، وما ذكره المصنف أخرجه البخاري تتمة للحديث في صحيحه، كتاب التوحيد، باب «وكان عرشه على الماء» (٣٨٨/٤)، ح٧٤٢٣.

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة في الأصل.

(٢) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٣) قاله سلمان الفارسي، ومجاهد، وقتادة، وأبو صالح عن ابن عباس، واختاره الطبري، وابن كثير. انظر: جامع البيان (٨/١٨)، وزاد المسير (٤٦٢/٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٠٩/١٢)، وتفسير القرآن العظيم (٤٦٠/٥).

(٤) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٢١/٤)، وزاد المسير (٤٦٢/٥)، والدر المصون (٣٢٠/٨).

(٦) انظر: أنوار التنزيل (٤٥٢)، والدر المصون (٣٢١/٨).

روي عن الحسن(١): «أنه خلق من ماءٍ بين ظهراني الطين»(٢). أو تبعيضية؛ لأن المسلول خلاصة الطين، وإنما نكّرَ الطين؛ لكونه طيناً مجهول الأجزاء من وجه جميع الأرض، وهي القبضة التي قبضها ملك الموت(٣). ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً ﴾ أي: نسله نطفة، فحذف المضاف(٤). ﴿ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ المستقر من الأرض، استعير لمحل النطفة، ووصف بالمكانة مبالغة في وصف الرّحم بالحصانة(٥).

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ قلبنا النطفة البيضاء دماً جامداً علِقَ بعض أجزائه بعضاً(٦).

---

(١) الحسن البصري: الحسن بن أبي الحسن، عالم زمانه، قال قتادة: ما جلست إلى أحد ثمّ جلست إلى الحسن إلاّ عرفت فضل الحسن عليه، كان من عبّاد زمانه، رأى عثمان بن عفّان، وطلحة وغيرهما من الصحابة، مات سنة ١١٠هـ.

انظر: التاريخ الكبير (٢/٢٨٩)، وحلية الأولياء (٢/١٣١).

(٢) انظر: الكشاف (٤/٢٢١).

(٣) ورد في هذا المعنى حديث أبي موسى الأشعري قال: «قال رسول الله ـ ﷺ ـ إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر، والأبيض، والأسود وبين ذلك، والسهل، والحزن، والخبيث، والطيب». أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في القدر (٤/٢٢١) ح٤٦٩٣، والترمذي في جامعه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة (٦٦٥ح٢٩٥٥). وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/٤٦٠)، فتح الباري (٦/٣٦٤).

(٤) انظر: أنوار التنزيل (٤٥٢)، والدر المصون (٨/٣٢٢).

(٥) انظر: الكشاف (٤/٢٢١)، والبحر المحيط (٦/٣٩٨).

(٦) انظر: زاد المسير (٥/٤٠٦).

﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ قطعة لحم مقدار ما يمضغ(1). ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ صلبة، ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ ساتراً لها كالكسوة. وقرأ ابن عامر(2)، وأبو بكر(3) «العظم» مفرداً في الموضعين على إرادة الجنس؛ لعدم اللّبس، والجمع أظهر(4).

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ مبايناً للخلق الأوّل، بأن كان جماداً، فصار حيواناً، وناطقاً بعد أن كان أبكم، وسميعاً بعد أن كان أصم، وبصيراً بعد أن كان أكمه، وأودع فيه من القوى الظاهرة [والباطنة](5)، وأنواع الإدراكات التي لا

---

(1) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (٢٩٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/٤٤٧)، وزاد المسير (٥/٤٠٦).

(2) ابن عامر: عبد الله بن عامر بن زيد اليحصبي، إمام أهل الشام في القراءة، ولي قضاء دمشق، وكان إمام الجامع بها، وكان لا يرى بدعة إلاّ غيّرها، توفي سنة ١١٨هـ بدمشق.

انظر: ميزان الاعتدال (٢/٤٤٩)، وغاية النهاية (١/٤٢٣).

(3) أبو بكر: شعبة بن عيّاش بن سالم الأسدي الكوفي، ولد سنة ٩٥هـ، أخذ العِلم عن المنقري، وعطاء بن السائب وغيرهما، وروى عنه الكسائي، ويحي العليمي. كان إماماً كثير العلم، والعمل، ثقة، وهو أحد رواة قراءة عاصم، مات سنة ١٩٣هـ. وقيل غير ذلك.

انظر: معرفة القراء الكبار (١/١٣٤)، وغاية النهاية (١/٣٢٥).

(4) وهو قراءة الباقين. انظر: الكشف (٢/١٢٦)، والتيسير (١٥٨)، والنشر (٢/٣٢٨).

(5) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

يقدر على درك شيء منها إلاّ علمه الشامل(١). واحتجّ أبو حنيفة(٢) ـ رحمه الله ـ [بالآية](٣) على أنّ من غصب بيضةً، فأفرخت عنده، يضمن البيضة، ولا يرد الفرخ؛ لأنه خلقٌ آخر(٤).

فإن قلت: لـمَ ذكر العطف بـ«ثمّ» أوّلاً وآخراً دون المتوسطات مع تساوي المدّة كما نطق به الحديث: «فيكون أربعين يوماً نطفة، ثمّ أربعين علقة، ثمّ أربعين مضغة، ثمّ ينفخ فيه الروح»(٥)؟. قلتُ: «ثم» في الموضعين للتراخي رتبةً، فإنّ انقلاب النطفة دماً جامداً أبعد حالاً من انقلاب العلقة مضغة وانقلابها عظماً(٦)، وأمّا نفخ الرّوح فظاهر، ويجوز أن يكون تفنناً في الكلام، فإن ابتداء كلّ انقلاب يتعقب ما تقدمه، وإن كان انتهاؤه متراخياً فاستعمال الحرفين بالنظر إلى الحالتين.

---

(١) انظر: الكشاف (٤/٢٢١)، والجامع لأحكام القرآن (١٨/١١).

(٢) أبو حنيفة: النعمان بن ثابت، مولى تيم الله بن ثعلبة الكوفي، فقيه العراق، أحد الأئمة الأربعة في الفقه، روى عن جماعة من التابعين، يقول الشافعي: من أراد الفقه فهو عيال على أبي حنيفة، توفي سنة ١٥٠هـ. انظر: تهذيب التهذيب (١٠/٤٤٩)، والتاج المكلل (١٣٠).

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٤) انظر: الكشاف (٤/٢٢١)، وبدائع الصنائع (٧/١٤٨)، وأنوار التنزيل (٤٥٢)، وروح المعاني (١٨/١٠). وردّ هذا القول القزويني بقوله: «فيه نظر على أصل مخالفيه؛ لأن مباينته للأوّل لا تخرجه عن ملكه». الكشف على الكشّاف (٣٥٢/أ).

(٥) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٢/٤٢٤) ح٣٢٠٨، وكتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات: ١٧١] (٤/٣٩٥، ٣٩٦) ح٧٤٥٤.

(٦) في هامش الأصل «ص»: ويحتمل أن يكون الأوّل للتراخي زماناً؛ لأن النطفة إذا وقعت في الرّحم تتفرق في البدن. وإليه يشير في الحديث قوله: «يجمع أحدكم في بطن أمّه أربعين يوماً».

﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ تعالى[1] شأنه وكثر خيره على الخالقين، حيث أُوْجِدَ من طين متدرجاً في الأطوار إنساناً في أحسن تقويم. وعن ابن عباس أنّ عبد الله بن سعد ابن أبي سرح[2] كان يكتب الوحي، فلما أملى عليه رسول الله هذه الآيات، وكان بليغاً وسمع ما بهر عقله، فلم يتمالك أن قال: فتبارك الله أحسن الخالقين. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: اكتب هكذا نزل، فارتاب من ذلك، وقال: أُنزِلَ إليّ مثل ما أنزل إليه، فارتدّ مُدّة، ثمّ عاد إلى الإسلام أحسن عودة[3][4].

﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ لا محالة، [الفرق بين][5] الميّت والمائت: أنّ الأوّل يدلّ على الثبوت، والثاني يدل على الحدوث، تقول زيد مايت الآن أو غداً،

---

(١) في «ق» تعلى.

(٢) عبد الله بن سعد بن أبي السرح العامري، أخو عثمان بن عفّان من الرضاع، أسلم يوم الفتح وهاجر، وكان يكتب الوحي ثمّ ارتدّ، وعاد وأسلم، وحسن إسلامه، وهو الذي فتح قبرص، وشارك في فتح مصر، اعتزل الفتنة بين علي ومعاوية، مات سنة ٥٩هـ. قال الذهبي: «والأصح وفاته في خلافة علي ـ رضي الله عنه ـ».
انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٥/٢٩)، وسير أعلام النبلاء (٣/٣٣).

(٣) في «ق» عود.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الحدود، باب الحكم فيمن ارتدّ (٤/١٢٦) ح٤٣٥٨ بنحوه، وابن حجر في الكافي الشاف (١١٥) ح٣٨، والزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/٤٤٤).
انظر: أسباب النزول للواحدي (٢٥٤)، والمحرر الوجيز (١١/٢٢٥)، والجامع لأحكام القرآن (٧/٤٠)، والفتح السماوي (٢/٦١٢) ح٥٠١.

(٥) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

ولا تقول: ميت[1]. ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ للجزاء، ولا دلالة للكلام على عدم حياةٍ[2] أخرى في القبر، وإنما لم يتعرض لها؛ لخفاء شأنها، فلا يحسن ذكرها في معرض الاستدلال على كمال الاقتدار.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [١٧ـ٢٢].

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ﴾ سبع سموات؛ سميّت طرائق؛ لأنه [طورق بعضها فوق بعضٍ، وكلّ شيئين][3] جعلت أحدهما فوق الآخر فقد طارقت بينهما، وأصله: من الطُّرْقَة وهي الطبقة، [أو لأنها طُرق الملائكة أو الكواكب في سيرها][4][5]. ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾ عن خلق السموات، بل

(١) انظر: الكشاف (٥/٢٢٢)، وعمدة الحفاظ (٤/١٤٢)، والدر والمصون (٨/٣٢٥)، والكليات للكفوي (٨٥٨). وهناك رأيٌ آخر، وهو أنّ الميت إشارة إلى ما يعتري الإنسان من تحلل ونقص حيث يموت في الدنيا شيئاً فشيئاً. انظر: المفردات (٨٧٢)، مادة «موت».

(٢) في الأصل: حيواة.

(٣) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٤) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٥) انظر: الكشاف (٤/٢٢٢)، والمحرر الوجيز (١١/٢٢٧)، وأنوار التنزيل (٤٥٢).

كما أوجدنا نحفظها عن [تطرق الخلل][1]، كقوله: [﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ ﴾[2]، أو][3] عن المخلوقات تحتها، فإنه جعلها معدن الأرزاق؛ بإنزال الر[حمة، يؤيّده: ﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ ﴾ بمقدار[4] معلوم اقتضته][5] الحكمة. ﴿ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ في أعماقها منه تجري العيون، [كقوله: ﴿ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[6]، وتخصيصه بالأنهار الخمسة][7] لا وجه له[8][9].

﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾ لأنه أهون في العرف[10] [من الإنزال، وإنما نكّر الإذهاب؛ للدلالة على كثرة طُرُقه][11]، وتعدد أسبابه، ومبالغة في الإبعاد

(١) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٢) بعض الآية (٢٥٥) من سورة البقرة.

(٣) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٤) في «ق» بقدر.

(٥) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٦) بعض الآية (٢١) من سورة الزمر.

(٧) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٨) في هامش الأصل: نقله الكشاف.

(٩) في هامش الأصل: «الجيحون، والسيحون، والدّجلة، والنيل، والفرات».

ومن قال بالعموم ابن عطية. انظر: المحرر الوجيز (١١/٢٢٧).

(١٠) العرف: هو ما استقرّ في النفوس من جهة شهادات العقول، وتلقته الطباع السليمة بالقبول.

انظر: التعريفات (١٥٤)، والكليّات (٦١٧).

(١١) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

به[1]، وهذا أبلغ في الوعيد [من قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ]﴾[2] مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾[3]، قيل أبلغ منه من ثمانية عشر وجهاً تعرف بالتأمل[4].

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ﴾ بالمـــاء [﴿جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا﴾][5] في الجنـات ﴿فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ تتفكّهـون بـها، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ تغـذّياً كـالتمر والزبيب، فإنهما من الأقوات، [وتحصّلون منها أرزاقكم، وأسباب][6] معائشكم. يُقال: فلان يأكلُ من حِرْفَتِه، أي: منها وجه معاشه[7]. ويجوز أن يعود الضمير إلى النخيل والأعناب؛ [لاشتمال ثمرهما][8] على هـذه الـمعاني كلها، فإن قلت قد جاء في الزخرف ﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[9]، وهنا جمع الفاكهة، وأتـى [بالواو العاطفة][10]، ما الحكمة في ذلك؟.

---

(١) انظر: الكشاف (٤/٢٢٣)، وأنوار التنـزيل (٤٥٢).

(٢) ما بين المعكوفتين مطموسة من الأصل.

(٣) بعض الآية (٣٠) من سورة الملك.

(٤) في هامش الأصل «ص»: «ذكرها صاحب التقريب ونقلها صاحب الكشف، ومن أراد الوقـوف عليها مفصّلة فعليه مراجعة أحد الكتابين». انظر: الكشف على الكشاف (٣٥٢/أ)، وروح المعاني (١٨/١٩، ٢٠)، والتحرير والتنوير (١٨/٢٩ـ٣٢).

(٥) ما بين المعكوفتين غير واضحة في الأصل.

(٦) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٧) انظر: الكشاف (٤/٢٢٣)، وأنوار التنـزيل (٤٥٢).

(٨) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٩) الآية (٧٣) من سورة الزخرف.

(١٠) ما بين المعكوفتين مطموسة من الأصل.

قلت: تلك في وصف الجنّة، والنوع الواحد من ثمره يوجد فيه طعم سائر الأنواع، كما بيّن في قوله [﴿ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا]⁽¹⁾مِن قَبْلُ ﴾⁽²⁾، فأشار بالإفراد إلى أنّ نوعاً منه فيه غنية عن سائر الأنواع، وأمّا عدم العاطف فلأنّ ما يؤكل هناك [بعض الثمر]⁽³⁾؛ لدوامه وعدم انقطاعه، ويؤكل تفكهاً، فلا يوجد معنى آخر يُعطف عليه⁽⁴⁾. ﴿ وَشَجَرَةً ﴾ عطف على جنّات، هي شجرة الزيتون أفردها [بالذكر؛ لشرفها]⁽⁵⁾⁽⁶⁾، قيل: هي أوّل شجرةٍ نبتت بعد الطوفان، وهي الشجرة المباركة⁽⁷⁾. ﴿ تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ ﴾ جبل نُودِيَ منه مو[سى بفلسطين، أو]⁽⁸⁾ بين مصر وأيلة⁽⁹⁾.

---

(١) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٢) بعض الآية (٢٥) من سورة البقرة.

(٣) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٤) في هامش الأصل «ص»: «وأيضاً الجنة بلفظ المفرد، وهنا بلفظ الجمع، فروعيَ التناسب، وكذا زيادة الواو هنا وحذفه هناك».

(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٦) انظر: معاني القرآن للزجاج (١٠/٤)، والكشاف (٢٢٣/٤)، والمحرر الوجيز (٢٢٧/١١)، والجامع لأحكام القرآن (١١٤/١٢).

(٧) الوسيط (٢٨٧/٣)، والبحر المحيط (٤٠١/٦).

(٨) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٩) قاله ابن زيد. انظر: جامع البيان (١٤/١٨)، والكشاف (٢٢٣/٤)، وزاد المسير (٤٦٧/٥). وأيـْلَة هي: مدينة على ساحل البحر الأحمر، قال أبو المنذر: سميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم

والطور لغةً: الجبل الشاهق[1]، أضيف إلى سيناء، اسم بقعة، أو هو مركب كبعلبك[2]، وحضرموت[3]، وهو بطور[4] سينين[5]، وسيناء لفظ أعجمي، والمنع من الصرف للعلمية والعجمة، أو عربي ومنع المفتوحة على قراءة الكوفيين[6]، وابن عامر؛ لألف التأنيث والمكسورة للعلمية والتأنيث المعنوي، وليست ألفه للتأنيث؛ لعدم النظير، وأمّا عِلْباء[7] فألفه للإلحاق[8]. ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾

ـ السَّلام ـ، قَدِمَ صاحبها على النبي ـ ﷺ ـ وهو في تبوك، فصالحه على الجزية، وقد روى أنها هي القرية التي كانت حاضرة البحر. انظر: معجم ما استعجم (١/٢١٦)، معجم البلدان (١/٢٩٢).

(١) انظر: المفردات (٥٢٨)، والقاموس المحيط (٥٥٤)، مادة «طور».

(٢) بعلبك: مدينة بالشام كثيرة الفواكه والأشجار، فتحت في عهد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ سنة ١٤هـ، وكان ذلك الفتح صلحاً، نُسبَ إليها طائفة من أهل العلم.
انظر: معجم البلدان (١/٤٥٣)، والروض المعطار (١٠٩).

(٣) حَضْرَمَوت: ناحية باليمن شرق عدن بقرب البحر، حولها رمال كثيرة، تعرف بالأحقاف، أسلم أهلها حينما راسلهم رسول الله ـ ﷺ ـ، وهي اليوم جزء من جمهورية اليمن.
انظر: معجم ما استعجم (٢/٤٥٥)، ومعجم البلدان (٢/٢٦٩).

(٤) في «ق» الطور.

(٥) طور سينين: اسم موضع، ويُقال له: طور سيناء، وهو الجبل الذي كلم الله تعالى موسى ـ السَّلام ـ ونودي فيه، ويقال أنه سمي بطور بن إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ.
انظر: معجم ما استعجم (٣/٨٩٧)، ومعجم البلدان (٣/٣٠٠)، (٤/٤٨).

(٦) الكوفيون هم عاصم، وحمزة، والكسائي.
انظر: التلخيص في القراءات الثمان (١٣٠)، والوافي في شرح الشاطبية (١٩).

(٧) عِلْباء: بكسر العين وإسكان اللاّم عصبٌ عنق البعير، وهي ملحقة بحرباء على وزن فعلاء.
انظر: تهذيب اللُّغة (٢/٤٠٦)، مادة «علب»، والدر المصون (٨/٣٢٦).
والإلحاق: زيادة حرف أو حرفين على الحروف الأصلية للكلمة من اسم أو فعل، وتكون الزيادة من حروف (سألتمونيها). انظر: معجم القواعد العربية (٢٢٩).

(٨) انظر: الكشف (٢/١٢٦)، والتيسير (١٥٩)، والكشّاف (٤/٢٢٣)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/٩٥٢)، والدر المصون (٨/٣٢٦، ٣٢٧)، والنشر (٢/٣٢٨).

أي: الشجرة ملتبسة بالدّهن، الجار والمجرور في محلّ الحال، وجعل الباء صِلةً يُفسِد المعنى[1]. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو[2] بضمّ التاء من [الإنبات][3]، إمّا لأن أنبت لازم كالمجرد، وعليه قول زهير[4]:

رأيت ذوي الحاجات عند بيوتهم
قطيناً بها حتى إذا أنبت البقل[5]

---

(١) انظر: الكشاف (٤/٢٢٤)، وأنوار التنزيل (٤٥٣).

(٢) أبو عمرو: زبان ابن العلاء بن العريان، اختلف في اسمه على أقوال: كان عالماً بالقرآن، والعربية، وأيام العرب، والشعر، قال عنه الأصمعي: لم أر بعد أبي عمرو أعلم منه، مات سنة ١٥٤هـ، وقيل ١٥٥هـ. انظر: وفيات الأعيان (٣/٤٦٦)، وغاية النهاية (١/٢٨٨).

(٣) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٤) زهير بن أبي سلمى المزني المضري، شاعر جاهلي حكيم، لم يدرك الإسلام، كان ينظم القصيدة في شهر، ويهذبها في سنة، فكانت قصائده تسمّى الحوليّات، أشهر قصائده معلّقته التي مطلعها: أمن أُمّ أوفى دمنةٌ لم تكلم. مات سنة ١٣ ق. هـ.

انظر: الأغاني (١٠/٢٨٨)، الشعر والشعراء (٦٩)، وخزانة الأدب (١/٣٧٥)، (٢/٣٣٢).

(٥) البيت من بحر الطويل. انظر: ديوانه (١١١)، وجمهرة اللُّغة لابن دريد (٢٥٧)، والكشّاف (٤/٢٢٤)، ومغني اللّبيب (١/١٠٢)، والدر المصون (٧/١٩٩). وقد أنكر الأصمعي هذا البيت، واتهم القصيدة التي منها البيت. انظر: المحرر الوجيز (١١/٢٢٨).

أو تعدى [الهمزة](1)، والمفعول محذوف، أي: زيتونها، وعن ثعلب(2): أن الباء زائدة(3) كقوله: ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ ﴾(4)، وعليه قوله: شربن بماء البحر ثمّ ترفعت(5). وقراءة الفتح أقلّ تكلفاً(6). ﴿ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴾ عطفٌ على الدّهن،

(1) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(2) ثعلب: أحمد بن يحي بن زيد الشيباني مولاهم، أبو العباس، إمام الكوفة في النحو واللّغة، اشتهر برواية الشعر والحفظ وصدق اللّهجة. مات ببغداد سنة ٢٩١هـ، وكان مولده سنة ٢٠٠هـ، من مؤلفاته: الفصيح، ومعاني القرآن، ومعاني الشعر، وإعراب القرآن.
انظر: تاريخ بغداد (٢٠٤/٥)، وإنباه الرواه (١٣٨/١).

(3) القول بالزيادة يحتاج إلى إيضاح؛ لأن ألفاظ القرآن الكريم جميعها تدلّ على معانٍ بليغة بديعة، والقول بالزيادة مما اختلف فيه العلماء من مثبتٍ ونافٍ، والقول بالإثبات أقوى.
قال الزركشي: «والأكثرون ينكرون إطلاق هذه العبارة ــ يعني الزيادة ــ في كتاب الله، ويسمونه التأكيد، ومنهم من يسميه الصلة...، منهم من يسميه المقحم...، والأولى اجتناب مثل هذه العبارة في كتاب الله، فإن مراد النحويين بالزائد من جهة الإعراب لا من جهة المعنى».
البرهان في علوم القرآن (٧٠/٣ ــ ٧٢). قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولا يذكر فيه القرآن لفظاً زائداً إلاّ لمعنى، وإن كان في ضمن ذلك التوكيد، فزيادة اللّفظ لزيادة المعنى، وقوّة اللّفظ لقوّة المعنى».
مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥٣٧/١٦). وينظر للتوسع في المسألة: معاني القرآن للزجاج (٤٨٢/١)، والبحر المحيط للزركشي (٤٥٩/١)، والأشباه والنظائر للسيوطي (٢٠٤/١ــ٢٠٧)، ومشكلات القرآن للكشميري (١٣٠)، وإعجاز القرآن للرافعي (٢٣١).

(4) بعض الآية (١٩٥) من سورة البقرة.
وانظر المسألة في: الجنى الداني (٥١)، ومغني اللّبيب (١٠٥/١)، والدر المصون (٣٢٨/٨).

(5) في هامش الأصل: متى سودٌ لــجج سود لهنّ نائج، والصواب: متى لجج خضرُ لهنّ نئيج. وهو من بحر الطويل، وقائله أبو ذويب الهذلي.
انظر: ديوان الهذليين (٥٠/١)، والخصائص (٨٧/٢)، ومغني اللّبيب (١٠٥/١).

(6) وهي قراءة الباقين: الكشف (١٢٧/٢)، والتيسير (١٥٩)، والنشر (٣٢٨/٢).

عَطَفَ أحد وصفي الشيء على الآخر، كأنه قيل: تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهناً وإداماً، وأصل الصبغ الغمس، ومنه في الحديث: «يؤتى بالكافر المترف فيصبغ في النار صبغة، فيقال له: هل رأيت من نعم[1] قط، فيقول: لا»[2]، ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ﴾ ما يعتبرون[3] به ويستدلون على كمال علم الصانع وقدرته.

﴿ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا ﴾ استئناف؛ لبيان العبرة، «من» ابتدائية، أي: كائناً من العلف الذي في بطونها أو تبعيضية؛ لأن اللّبن جزءٌ من العلف متكوّن منه. وقرأ نافع[4]، وابن عامر، وأبو بكر بفتح النون، وهما لغتان، والفتح أخفّ وأشهر[5]، وقد جمعها لبيد[6] في بيت:

سقى قومي بني نجدٍ[7] وأسقى   نميراً والقبائل من هلال[8]

---

(١) في النسخ كلّها نعم، وفي الحديث: نعيم.

(٢) أخرجه مسلم عن أنس بن مالك في صحيحه بشرح النووي (١٧/١٤٩)، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً.

(٣) في «ق» تعتبرون.

(٤) نافع: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم اللّيثي مولاهم المدني، أحد القراء السبعة، ثقة صالح، أخذ القراءة عن جماعة من تابعي أهل المدينة، وروى عنه طائفة منهم ورش، وقالون. مات سنة ١٦٩هـ. انظر: لسان الميزان (٧/٤٠٨)، وسير أعلام النبلاء (٧/٣١٦).

(٥) وقرأ الباقون بضمّ النون. انظر: الكشف (٢/٣٩)، والتيسير (١٣٨)، والنشر (٢/٣٠٤).

(٦) لبيد بن ربيعة بن مالك العامري، شاعر وفارس في الجاهلية، أدرك الإسلام، وأسلم على عهد النبي ـ ﷺ ـ ، وهو من المؤلفة قلوبهم، ترك الشعر بعد إسلامه، وسكن الكوفة، عاش طويلاً، وهو أحد أصحاب المعلقات، مات سنة ٤١هـ.

انظر: خزانة الأدب (١/٣٣٧)، ومطالع البدور (١/٥٢).

(٧) في النسخ كلّها «نجد»، وفي بعض المصادر «بكر، أو مجد».

(٨) البيت من البحر الوافر.

انظر: ديوان لبيد (٩٣)، وتهذيب اللّغة (٩/٢٢٨)، مادة «سقى»، والكشف (٢/٣٩)، والنوادر (٥٤٠)، ورصف المباني (٥٠)، والدر المصون (١/٣٨٣).

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ ﴾ مِـن الـرّكوب، والحمـل، والأصـواف، والأوبـار.

﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ مِن أعيانها، أو تجعلونها سبباً لمعاشكم بـالبيع والإجـارة. ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ فإن الإبـل والبقـر يـحمل عليهما، وقيـل المراد بالأنعام الإبل؛ لأنها كانت غالب مال العرب، وهي سفائن الـبرّ، ولـذلك قرنهـا بالفلك. قال ذو الرِّمّة[1] يمدح ناقته الـمسمّاة بصيدحة: سفينةُ [بـرٍّ تحت خدِّي][2] زِمَامُها[3]. وقال آخر يمدح ناقته: دعائم الزور نعمت زورق البلد[4].

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [٢٣–٢٦].

---

(١) ذو الرِّمّة: غيلان بن عقبة بن بهيس العدوي، أبو الحارث، شاعر، فحل، قال أبو عمرو بن العلاء: «فتح الشعر بإمرىء القيس، وختم بذي الرِّمّة»، أقام بالبادية، وعشق مـيَّة المنقرية، واشتهر بهـا، له ديوان كبير، توفي بأصبهان سنة ١١٧هـ.

انظر: وفيات الأعيان (٤٠٤/١)، وسير أعلام النبلاء (٢٦٧/٥)، وخزانة الأدب (٥١/١).

(٢) ما بين المعكوفتين مطموسة من الأصل.

(٣) تمام البيت: طروقاً وجلب الرّحل مشدودة به سفينة بـرّ تحت خدي زمامها.

وهو من البحر الطويل.

انظر: ديوانه (١٠٠٤)، والكشاف (٢٢٥/٤)، وأنوار التنزيل (٤٥٣).

(٤) تمام البيت: أو حُرّة عَيْطَلٍ ثَبْجَاء مجفرة دعائم الزور نعمت زورق البلد. قائلـه: ذو الرّمّـة، وهو من بحر البسيط. انظر: ديوانه (١٧٤/١)، (١١٩/٤)، وخزانـة الأدب (٤٢٠/٩)، والـدر المصون (٥٠٠/٨)، واللّباب في علوم الكتاب (٥٦٦/١٤).

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ بعد ما شيّد أركان التوحيد بآيات الآفاق والأنفس، شرح أحوال الأمم المكذّبة، وابتدأ بنوح؛ [فإنه أوّل رسول عذّب قومه.

﴿ فَقَالَ يَٰقَوْمِ]⁽¹⁾ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ ﴾ وحده ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ استئناف لبيان عِلّة الاختصاص ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ بأسه وسطوته، [الاستفهام للحث والطلب]⁽²⁾ مثل ﴿ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾⁽³⁾. ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ أي: أشرافهم [لعوامّهم⁽⁴⁾. ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾]⁽⁵⁾، فلذلك يدّعي الرسالة. ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ إرسال الرسول، ﴿ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً ﴾؛ لاعتقادهم أن البشرية تنافي [الرسالة. ﴿ مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾]⁽⁶⁾، قالوه إمّا عناداً، وإمّا لتطاول الفترة وبُعْدِ العهد⁽⁷⁾. ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾ جنون [ما يدري ما يقول⁽⁸⁾. ﴿ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ إلى أن

---

(١) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٢) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٣) بعض الآية (٨٠) من سورة الأنبياء.

(٤) انظر: أنوار التنزيل (٤٥٣).

(٥) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٦) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٧) انظر: أنوار التنزيل (٤٥٣).

(٨) انظر: الكشاف (٤/٢٢٦)، وأنوار التنزيل (٤٥٣).

يموت][1]، أو يرجع عن دعواه. ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ أهلكهم بسبب تكذيبهم [إياي، فإنّ في إهلاكهم نصرته[2]. والباء بدلية][3]، والمعنى: أبدلني مِن غمّ تكذيبهم سلوة النصر[4]، أو «ما» موصولة، والباء للآلة، أي: بالذي [كذبون[5] فيه، وهو العذاب الموعود بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ][6]عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[7]، أي: انجز ذلك الوعد.

قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [٢٧-٣٠].

---

(١) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٢) وعلى هذا المعنى فالباء في «بما» سببية.

انظر: الكشاف (٩٣/٢٣).

(٣) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٤) انظر: الكشاف (٢٢٦/٤)، والتفسير الكبير للرازي (٩٣/٢٣).

(٥) هكذا في النسخ كلّها، والمناسب كذبوني.

(٦) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٧) الآية (١٣٥) من سورة الشعراء.

﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾، بحفظنا وكلاءتنا[1]، ﴿ وَوَحۡيِنَا ﴾ وأمرنا بذلك، وقدم الحفظ][2] على الوحي وإن تأخر وجوداً؛ لكونه الأصل الذي لا يتمّ شيء بدونه. [﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾ بإهلاك القوم. ﴿ وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ بالماء، قيل لنوح][3]: إذا فار التنور اركب السفينة. واختلف في موضعه، قيل: بمسجد الكوفة [عن يمين الداخل من باب كندة[4]، وقيل: بعين][5] ورده

---

(١) انظر: الكشاف (٤/٢٢٦)، وأنوار التنزيل (٤٥٣)، واللُّباب في علوم الكتاب (١٠/٤٨١).

والصواب في معنى «بأعيننا» أن نثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه من غير تحريف، ولا تأويل، ولا تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل. يقول ابن خزيمة ــ رحمه الله ــ: «فواجبٌ على كلّ مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما ثبّت الباري الخالق لنفسه من العين، وغير مؤمن: من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد ثبّته الله في محكم تنزيله». التوحيد وإثبات صفات الربّ عزّ وجلّ (١/٩٦ــ٩٧).

وانظر: جامع البيان (١٢/٣٣)، وتفسير القرآن العظيم (٤/٢٥٢)، والمفسرون بين الإثبات والتأويل (١/٤٤٨ــ٤٥٢).

(٢) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٣) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٤) قاله الشعبي. انظر: الكشاف (٤/٢٢٧)، وأنوار التنزيل (٤٥٣).

(٥) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

بالشام[1]، وقيل: بالهند[2]. وعن ابن عباس: التنور: وجه الأرض[3]، وعن علي ـ ﷺ ـ: فار [التنور: طلع الفجر][4][5]، ولعل ذاك؛ لأن هلاكهم كان بعد طلوع الفجر. [﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا﴾ أدخل فيها يُقال][6]: سلك فيه وسلك غيره. قال عبد مناف الهندي[7]: حتى إذا سلكوهم في قُتائِده[8].

---

(١) قاله مقاتل. انظر: التفسير الكبير (١٧/٢٢٥). وعين الورده: مدينة كبيرة بمقربة نصيبين، بها عيونٌ كثيرة ومروج خضر، فتحها عمير بن سعد الأنصاري، ويخرج منها رأس نهر الخابور، وبها حدثت المعركة بين جيش سليمان بن صرد، وجيش عبيد الله بن زياد.

انظر: معجم البلدان (٤/١٨٠)، والروض المعطار (٢٦٤، ٢٦٥).

(٢) رواه عكرمة عن ابن عباس. انظر: جامع البيان (١٢/٤٠).
وانظر: الكشاف (٤/٢٢٧)، واللُّباب في علوم الكتاب (١٠/٤٨٥).

(٣) انظر: جامع البيان (١٢/٣٨)، والكشاف (٤/٢٢٧).

(٤) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٥) انظر: جامع البيان (١٢/٣٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٢٥٤). والقول المختار في التنور هو الذي يخبز فيه، وهو قول جمهور السلف، وعليه عامة المفسرين. انظر: الكشاف (٤/٢٢٧)، والمحرر الوجيز (١١/٢٣٠)، والمعرّب (٢١٤)، والتفسير الكبير (١٧/٢٢٦).

(٦) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٧) في النسخ كلّها: الهندي، والصواب الهذلي. وهو عبد مناف بن ربع الجربي الهذلي، شاعر جاهلي. انظر: خزانة الأدب (٣/١٧٤)، والأعلام (٤/١٦٦).

(٨) في هامش الأصل: شلاً كما تطرد الجمالة الشردا. وهو تمام البيت. وهو من بحر البسيط.

انظر: ديوان الهذليين (٢/٤٢)، والصاحبي (١٩٣)، والإنصاف (٢/٤٦١)، والكشاف (٤/٢٢٧)، والدر المصون (٧/١٤٨).

[﴿ مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ﴾ من كلّ صنفي الذكر](1) والأُنثى ﴿ اثْنَيْنِ ﴾ ذكراً وأُنثى، مفعول اسلك. وقرأ حفص(2) «من كلٍّ» بالتنوين، أي: من كلّ جنس، [أو من كلّ ذكر وأنثى(3). وزوجين مفعول](4)، واثنين صفة للتأكيد، كأمس الدابر. ﴿ وَأَهْلَكَ ﴾ وأهل بيتك؛ إذ لم ينج غيرهم؛ [لقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ](5) المغرقين(6)، ﴿ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي [الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾](7) في استدفاع العذاب عنهم إذا

---

(١) ما بين المعكوفتين مطموسة من الأصل.

(٢) حفص: حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي مولاهم، أخذ القراءة عن عاصم. قال عنه الذهبي: «أمّا في القراءة فثقة ضابط لها بخلاف حاله في الحديث». مات سنة ١٨٠هـ، وكان مولده سنة ٩٠هـ.

انظر: غاية النهاية (١/٢٥٤)، ومعرفة القراء الكبار (١/١٤٠).

(٣) وقرأ الباقون «من كلِ» بغير تنوين.

انظر: الموضح في وجوه القراءات وعللها (٢/٦٤٥)، وإتحاف فضلاء البشر (٣١٨).

(٤) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٥) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٦) قاله الضحاك، وقال ابن جريج: «إن امرأته كانت من المغرقين».

انظر: جامع البيان (١٢/٤٢)، والمحرر الوجيز (١١/٢٣٠)، وأنوار التنزيل (٢٩٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٢٥٥).

(٧) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

أدركتك رقّة الجنسيّة[1]. أو لا تدعني لإهلاكهم مرّةً[2]أُخرى بقولك: ﴿ اَنصُرْنِي ﴾[3]، و﴿ لَا [نَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ][4] ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾[5]. ﴿ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ لا محالة سبق بذلك القول[6].

﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، فإن النجاة من العدو كلّ نعمةٍ دونه، وفيه إشارة إلى عِلّة النهي عن الخطاب في حقهم؛ لأنّ مَن هـلاكُه نعمة يُحمَد عليها، كيف يليق السعي في خـلاصه. ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا ﴾ فيه مزيد خير الدارَين. قرأ أبو بكر (مَنْـزِلاً) بفتح الميم، من النـزول، مصدر أو اسم مكان، وقراءة القوم أوفق بقوله: ﴿أَنزِلْنِى﴾[7].

﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ ثناءٌ أُخِذَ من لفظ الدعاء، وأمره أن يشفـع به؛ توسلاً به إلى الإجابة، وأفرد به؛ لأنه سيّد القوم، لما أُمر به فهم مأمورون به، ولأن كبريـاء

(١) في الأصل: الجنّة.

(٢) مــرّة: مطموسة في «ح».

(٣) بعض الآية (٢٦) من سورة المؤمنون.

(٤) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٥) بعض الآية (٢٦) من سورة نوح.

(٦) انظر: جامع البيان (١٨/١٧).

(٧) وقرأ الباقون «مــُنْزَلاً» بضمّ الميم وفتح الزاي.
انظر: التيـسير (١٥٩)، والموضـح (٢/٨٩٤، ٨٩٥)، والـدر المـصون (٨/٣٣٠)، والنـشر (٢/٣٢٨).

الألوهية أجلّ من مخاطبة أيّ مَن كان، بل لا يصلح لذلك إلاّ نبيٌّ مرسل، أو ملك مقرب"[1][2]. ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ في شأن نوحٍ وقومه، ﴿ لَآيَٰتٍ ﴾ كثيرة لمن تأمل وتدبر. ﴿ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ قوم نوحٍ ببلاء عظيم، وعقابٍ شديد، أو مختبرين مِن عبادنا؛ لننظر مَن يتذكر لقوله: ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[3].

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ [٣١-٣٤].

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ هم عاد قوم هود[4]؛ [لقوله][5]: ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾[6]، ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ إليهم، وإنما جُعِل القوم موضع الإرسال تأكيداً لإلزام الحجة؛ لأنه منهم ليس أجنبياً، حتى يأنفوا عن اتباعه، ونشأ فيهم وبين أظهرهم، يعرفون ديانته وأمانته.

---

(١) انظر: الكشاف (٤/٢٢٨)، والتفسير الكبير (٢٣/٩٥)، واللُّباب في علوم الكتاب (١٤/٢٠٠).

(٢) في هامش الأصل «ص»: هذا في آلاء الجاه، وأمّا في الرّغب والرّهب فإنه يعمم، كقوله: ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [النور:٣١]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ﴾ [البقرة:٢١].

(٣) الآية (١٥) من سورة القمر.

(٤) قاله ابن عباس. انظر: الكشاف (٤/٢٢٨)، والمحرر الوجيز (١١/٢٣١)، وزاد المسير (٥/٤٧١)، وأنوار التنزيل (٤٥٤).

(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٦) بعض الآية (٦٩) من سورة الأعراف.

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ أن مفسرة لأرسلنا، قرأه الكسائي بكسر الراء[1]. ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ سخط الله.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب، وإنما عطف مقالتهم على مقالة الرسول هنا[2]، ولم يعطف في الأعراف[3] وهود[4]؛ لأن الكلام هناك في حكاية المقالة بين المرسل والمرسل إليه، ألا ترى إلى قولهم: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾[5]، وقولهم: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾[6]. واستدعاءُ[7] ذلك الاستئناف[8] بيِّنٌ، كأنه قيل: ما قالوا في

---

(١) وقرأ الباقون برفع الراء في (غيره)، في القرآن كلّه. انظر: التيسير (١١٠)، والموضح (٥٣٤/٢)، والدر المصون (٣٣١/٨)، والنشر (٢٧٠/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (٣١٨).

(٢) في «ق» هناك.

(٣) يعني قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦].

(٤) يعني قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٥٣].

(٥) بعض الآية (٦٦) من سورة الأعراف.

(٦) بعض الآية (٢٧) من سورة هود.

(٧) في «ح»: واستدعى.

(٨) في الأصل: الاستيناف.

جوابه؟. قيل: كيت وكيت[1]. وأمّا هنا فلم يخاطبوه، بل قال بعضهم لبعضٍ كلاماً، فأُشير إلى الجمع بين قوله الحق وقولهم الباطل، فلا مساغ للاستئناف[2]. ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بكثرة الأموال والأولاد[3]. ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ لا مزيّة له. ﴿يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ بيان لوجه[4] المماثلة، والعائد إلى الموصول الثاني منصوب محذوف، وتقدير المجرور وحذفه مع الجار ضعيف[5]. ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ حيث تضعون أنفسكم لمن لا يستحق، وإذ[6] جزاءٌ للشرط، وجوابٌ لمن قال من قومه نتبعه[7].

---

(١) كيت وكيت: بفتح التاء وكسرها، أي: كذا وكذا، ولا تستعمل إلاّ مكررة، وهي كناية عن القصّة أو الأُحدوثة.

انظر: القاموس المحيط (٢٠٤)، وفتح الباري (٨٠/٩)، والمعجم الوسيط (٨٠٦/٢).

(٢) انظر: الكشاف (٢٢٩/٤)، والبحر المحيط (٤٠٣/٦)، والدر المصون (٣٣٢/٨).

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٤٥٤).

(٤) في «ق» لوجوه.

(٥) يرى الفراء تقدير «منه» ثمّ حذفها. انظر: معاني القرآن للفراء (٢٣٤/٢).

وتبع المصنف رأي البصريين وضعّف رأي الفراء. انظر: مشكل إعراب القرآن (٥٠٠/٢)، والبحر المحيط (٤٠٤/٦)، والدر المصون (٣٣٢/٨)، واللُّباب في علوم الكتاب (٢٠٤/١٤).

(٦) في النسخ كلّها: إذ، والصواب إذاً.

(٧) انظر: الكشاف (٢٢٩/٤)، وأنوار التنزيل (٤٥٤). وهذا رأي الكوفيين.

قال تعالى: ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [٣٥-٣٩].

﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴾ من الأجداث أو من العدم[١]. حسن تكرار «أنكم»؛ لطول الفصل، و(مخرجون) خبر عن الأوّل والظرف لغو يتعلّق به. أو «إنكم مخرجون» مبتدأ والظرف خبره، والجملة خبر عن «إنكم»، على معنى: يعدكم أنكم إخراجكم كائن إذا متم. و «أنكم مخرجون» مرفوع بفعل هو الجزاء للشرط، والشرطية خبر «أنكم»، كأنه قيل: أيعدكم أنكم إذا متم وقع [إخراجكم][٢].

ويرى البصريون أنها جواب للقسم؛ بناءً على قاعدة إنه إذا اجتمع شرط وقسم، فالجواب للمتقدم منهما؛ لشدة الاهتمام بالمتقدم. ولعل الصواب من القول: أنه يراعى الشرط تقدّم أو تأخر؛ لأن سقوط الشرط يُخِلّ بمعنى الجملة التي هو منها بخلاف القسم، فإنه مسوقٌ للتوكيد.

انظر: البحر المحيط (٦/٤٠٤)، وشرح المفصّل لابن يعيش (٩/٣)، وشرح المقدّمة الكافية (٣/١٠٠٤)، والدر المصون (٨/٣٣٣)، واللُّباب في علوم الكتاب (١٤/٢٠٥).

(١) انظر: أنوار التنزيل (٤٥٤). قول المصنّف: «أو من العدم» يحتمل أنه من قول منكري البعث.

(٢) هناك رأي يرى أن (إذن) ظرفية للاستقبال. انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/١١)، ومشكل إعراب القرآن (٢/٥٠١)، والكشاف (٤/٢٣٠)، والتبيان (٢/٩٥٣، ٩٥٤)، والدر المصون (٨/٣٣٣، ٣٣٤). وقول المصنف: «والظرف لغو» يسمى الظرف الناقص، أو الظرف غير المتمكن وسمي لغواً؛ لكونه لم ينتقل إليه شيء من متعلقه، فكأنه أُلغي.
انظر: المقتضب (٣/١٨٢)، ومعجم القواعد العربية (٢٥).

﴿هَيَهَاتَ]⁽¹⁾﴿هَيَهَاتَ﴾ من الأصوات المبنيّة؛ لكونها بمعنى الماضي⁽²⁾. ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ اللاّم زائدة. «وما توعدون» فاعله، أي: [بعد ذلك الموعود، أي]⁽³⁾: بعُد، ولذلك أكدّوه، أو «هيهات» معناه البعد كما نقل عن الزجاج⁽⁴⁾⁽⁵⁾، والجار والمجرور خبره، وفي وجه [بنائه على هذا تكلّف]⁽⁶⁾، أو اللاّم لبيان المستبعد، كأنه لـمّا صوّت به قيل: لأي شيء هذا الاستبعاد؟. قيل: لما توعدون، وفاعل [هيهات على هذا ضمير البعد]⁽⁷⁾، كأنه قيل: وقع البعد لما

---

(١) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٢) هيهات: اسم فعل في قول الجمهور، ويرى المصنّف، وسيبويه، والمبرد، أنها من الأصوات، يقول المبرد: «فأمّا هيهات فتأويلها في البعد، وهي ظرف غير متمكن؛ لإبهامها ولأنها بمترلة الأصوات». انظر: الكتاب (٣/٢٩٢، ٣٠٢)، والمقتضب (٣/١٨٢، ١٨٣)، وتهذيب اللُّغة (٦/٤٨٥)، مادة «هيه». وللاستزادة راجع: الخصائص (٣/٤١)، وشرح المفصّل (٤/٣٥)، والمقدّمة الكافية (٣/٧٤٦)، والتبيان (٢/٩٥٤)، والمساعد (٢/٦٥٠)، والنهر المادّ (٦/٤٠٣).

(٣) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٤) الزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، عالم بالنحو، واللُّغة، والتفسير، تعلّم على يد المبرد، له مناقشات علميّة مع ثعلب وغيره، من مؤلفاته: معاني القرآن وإعرابه، والاشتقاق، وإعراب القرآن، مات سنة ٣١١هـ، وكان مولده سنة ٢٤١هـ.

انظر: تاريخ بغداد (٦/٨٩)، وفيّات الأعيان (١/٤٩).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤/١٣).

(٦) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٧) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

توعدون[1]. نظيره ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾[2] بنصب[3] «بين»، أي: وقع التقطع[4]. وعن [ابن جني[5]: أن الفاعل][6] مبهم[7]، وفيه ذهول عن اللاّم؛ لأنه يمنع أن يكون (ما توعدون) مفسراً.

﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ الضمير المعهود ذهني عُدِلَ][8] عنه؛ حذراً من التكرار، أي: ما الحياة إلاّ حياتنا[9] الدنيا، ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ يموت [بعضنا،

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤/١٣)، والمفردات (٨٤٨)، والكشّاف (٤/٢٣١)، والدر المصون (٨/٣٣٥ ــ ٣٤١).

(٢) بعض الآية (٩٤) من سورة الأنعام.

(٣) في «ح» بنصبه.

(٤) النصب في «بينكم» قراءة نافع، والكسائي، وحفص عن عاصم.

انظر: الكشف (١/٤٤٠، ٤٤١)، والتيسير (١٠٥)، والموضح (١/٤٨٧).

(٥) ابن جني: عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح، إمام في النحو والأدب، ولد بالموصل، وتوفي ببغداد سنة ٣٩٢هـ، وكان أبوه مملوكاً روميّاً. من مؤلفاته: المحتسب، والخصائص، والمبهج، وسر صناعة الإعراب. انظر: تاريخ بغداد (١١/٣١١ ــ ٣١٢)، و وفيات الأعيان (٣/٢٤٦)، وسير أعلام النبلاء (١٧/١٧).

(٦) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٧) انظر: المحتسب (٢/٩٢، ٩٣).

(٨) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٩) في الأصل: حيوتنا.

ويولد بعض، أو نحيا][1] ونموت، لا حالة يُعْقل سواهما، قدّم الموت؛ لأنه مظنة الرّيب[2]. ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [كما يزعم محمد[3]، ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ اخترعه قصداً][4] إرادةً أن يفوتكم[5]. ﴿ وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ يوماً. ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ بسبب تكذيبهم أو بدله[6].

قال تعالى: ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ۝٤٠ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝٤١ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ۝٤٢ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ۝٤٣ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٤٠-٤٤].

﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ ﴾ «ما» يؤكد معنى القِلّة أو موصوفة[7]. ﴿ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴾ حيث لا ينفع الندم. ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ [بِالْحَقِّ ﴾ صاح بهم

---

(١) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٢) انظر: الكشاف (٢٣١/٤)، والبحر المحيط (٤٠٥/٦)، والدر المصون (٣٤٢/٨).

(٣) صلى الله عليه وسلم.

(٤) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٥) في «ح»، «ص»: يفوتكم.

(٦) انظر: أنوار التنزيل (٤٥٥).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٣/٤)، وإعراب القرآن للنحاس (١١٤/٣)، والكشاف (٢٣١/٤)، وأنوار التنزيل (٤٥٥)، والدر المصون (٣٤٣/٨).

جبرائيل][1]، فهلكوا مكانهم[2]. ولا دلالة للصيحة على أن القوم قوم صالح؛ لجواز أن يكون مع الريح صيحةُ [جبرائيل[3]؛ تغليظاً للعذاب كإمطار الحجارة][4] على قوم لوط بعد أن جعل عاليها سافلها يؤيدة قوله: ﴿وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾[5]، أي: هود ومَن آمن. [﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ شبّه][6] الغثاء وهو حميل السيل شبههم به في البلى[7]، وتفرّق الأوصال، والخروج عن عدم الانتفاع[8]. ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: بعد ذلك][9] العذاب النازل بهم هلاكاً لهم دعاء عليهم للإهانة والاستحقاق، كأنه ما نزل بهم نزر؛ نظراً إلى ما أعدّ [لهم من عذاب الآخرة][10]. وهو من المصادر التي يجب حذف ناصبها، يقال: بَعُدَ بُعْداً، وبَعَداً، كرشُد رُشْداً ورَشَداً[11]. ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ [قُرُونًا آخَرِينَ﴾

(١) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٢) انظر: زاد المسير (٥/٤٧٣)، والتفسير الكبير (٢٣/٩٩).

(٣) في «ق» جبريل.

(٤) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٥) بعض الآية (٥٨) من سورة هود.

(٦) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٧) في «ق» البلاء.

(٨) انظر: الكشّاف (٤/٢٣١)، وأنوار التنزيل (٤٥٥).

(٩) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(١٠) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(١١) انظر: الكتاب (١/٣١١)، والكشاف (٤/٢٣٢)، والبحر المحيط (٦/٤٠٦)، والدر المصون (٨/٣٤٤).

أي][1]: قروناً وأمماً في أزمنة شتّى. ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴾ على كثرة القرون. ﴿ وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ عن الوقت المقدّر. ﴿ ثُمَّ [أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا][2] تَتْرَا ﴾ واحداً بعد واحد من المواترة، وهي المتابعة بين الأشياء مع فترة، وبدونها مداركة[3]. والتاء بدل عن الواو كتجاه وتراث[4]، ونونه ابن كثير، وأبو عمرو على أنّ الألف للإلحاق[5]. ﴿ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ﴾ أضاف الرسول إليهم؛ لوجود الملابسة.

﴿ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ هلاكاً لهم.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا

---

(١) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٢) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٣) قاله الجوهري: الصحاح (٢/٨٤٣)، مادة «وتر». وانظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٢٩٧)، وتهذيب اللُّغة (١٤/٣١٠-٣١٥)، والمفردات (١٦٣)، والدر المصون (٨/٣٤٦).

(٤) انظر: الممتع في التصريف (٣٨٤)، والمفردات (١٦٣)، وأنوار التنزيل (٤٥٥)، والدر المصون (٨/٣٤٥، ٣٤٦). وتجاه: أصلها (وجاه) قلبت الواو تاء، تقول قعد فلان تجاه فلان أي: تلقاءه.
وتراث: هو المال الموروث، أصله وراث، قلبت الواو تاء.
انظر: الصحاح للجوهري (١/٢٩٥) مادة «ورث»، والمعجم الوسيط (٢/١٠١٥) مادة «وجه».

(٥) وقرأ الباقون بغير تنوين. انظر: التيسير (١٥٩)، والموضح (٢/٨٩٥)، والنشر (٢/٣٢٨).
والإلحاق بنحو:جعفر وعلقى. انظر: التبيان في إعراب القرآن (٢/٩٥٥)، والدر المصون (٨/٣٤٥).

وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [٤٥-٤٩].

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ بحجة واضحة، قيل هي العصا، أفردها؛ لكونها أشرف المعجزات، باعتبار اشتمالها على معجزات شتّى، أو هو الآيات، والعطف باعتبار الصفات[1]. ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ ﴾ أشراف قومه، خصّهم بالذكر؛ لأن الرعايا والسوقة أتباع، ولذلك قال رسول الله لهرقل[2]: [«فإن توليت][3] فعليك إثمُ الأريسين»[4][5]، فاستكبروا عن الإيمان. ﴿ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴾ ذوي شرف وعزّ، مِن: عَلِيَ بالكسر يعلى علاءً، فهو عَلِيّ، أي: شريف. أو مِن علوت الرجل: غلبته، وعلى الوجهين جارٍ مجرى عِلّة الاستكبار، أو من علا[6] في الأرض:

(١) انظر: الكشّاف (٤/٢٣٣)، وأنوار التنزيل (٤٥٥).

(٢) هرقل: ملك الروم الذي كتب إليه النبي ـ ﷺ ـ يدعوه إلى الإسلام، دام حكمه لبلاد الروم ثلاثين سنة. انظر: تاريخ الأمم والملوك (٢/٢٦)، وتهذيب الأسماء واللّغات (٢/٢٧٥).

(٣) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٤) في هامش الأصل: قاله في كتابه إلى هرقل، «والأريسيّون»: الأكّارون والرعايا.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ ﴾ (٣/٢٠٨) ح٤٥٥٣ من حديث طويل. ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي ـ ﷺ ـ (١٢/١٠٣ـ١٠٩). صحيح مسلم بشرح النووي.

(٦) في الأصل: علاء.

تكبر، وكانوا قوماً دأبهم التكبر[1][2]. ﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا ﴾ يطلق على الواحد والتثنية والجمع، [وكذلك][3] المثل، وإنما أفرده كراهته توالي التثنيتين[4]. ﴿ وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾ زعم أن خدمتهم له عبادة؛ لادعائه[5] الألوهية، وأراد بها الانقياد والخضوع[6]. ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ ﴾ بالغرق. ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ أي: بني إسرائيل؛ لأن التوراة[7] نزلت بعد غرق فرعون وقومه[8].

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [٥٠-٥٦].

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري (٦/٢٤٣٤، ٢٤٣٥)، مادة «علا»، والمفردات (٥٨٢)، وعمدة الحفاظ (٣/١٤٣، ١٤٤).

(٢) في هامش الأصل: في العلو.

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٤) أي: أن المِثْل يُطلَق على الواحد والاثنين والجمع؛ لأنه في حكم المصدر. انظر: المفردات (١٢٤، ١٢٥)، والكشّاف (٤/٢٣٣)، والتبيان للعكبري (٢/٩٥٦)، والدر المصون (٨/٣٤٦).

(٥) في «ح»: ولادعائه.

(٦) انظر: الكشّاف (٤/٢٣٣).

(٧) في الأصل «ق»: التورية.

(٨) انظر: الكشّاف (٤/٢٣٣).

﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾ دالة على كمال القدرة والعلم، وإفراد الآية؛ لأنه أريد ما تعلق بهما من أمر الولاد[1]، أو حذفت الثانية؛ لدلالة الأولى عليها[2]. ﴿ وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ﴾ إلى أرض مرتفعة، وهي بيت المقدس[3]؛ لأنها أرفع أجزاء الأرض، وأقربها إلى السماء بثمانية عشر ميلاً[4]. وقيل: رملة

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٤/٤)، والتفسير الكبير (١٠٢/٢٣). والوِلاد: بكسر الواو مصدر، تقول: ولدَت تَلِد وِلاداً وولادةً. انظر: القاموس المحيط (٤١٧) مادة «وَلد».

(٢) في جميع النسخ كما أورد المصنف، ولعل الصواب: «أو حذفت الأولى لدلالة الثانية عليها».
انظر: أنوار التنزيل (٤٥٦)، والبحر المحيط (٤٠٨/٦)، ويجوز تقدير المعنى على كلام المصنف: «جعلنا ابن مريم آية وأمه» فلفظ «آية» متعلق بابن مريم، ولفظ «أمه» معطوف على ابن مريم، وفيه بُعد.

(٣) قاله ابن عباس، وكعب، وقتادة، والضحاك.
انظر: جامع البيان (٢٦/١٨ـ٢٧)، ومعالم التنزيل (٣١٠/٣)، وتفسير القرآن العظيم (٤٧٠/٥).
وبيت المقدس: مدينة بفلسطين، فتحت عام ١٧هـ، صلحاً على يد عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ، ثم احتلها الصليبيون سنة ٤٩٢هـ، واستمر احتلالهم لها حتى أنقذها صلاح الدين الأيوبي ـ رحمه الله ـ تعالى عام ٥٨٣هـ، ويقع بها المسجد الأقصى، وقبة الصخرة.
انظر: معجم البلدان (١٦٦/٥ـ ١٧٢).

(٤) قاله كعب الأحبار. انظر: جامع البيان (٧٢/١٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٦٢/٤)، والكشاف (٢٣٤/٤). وهذا التحديد بهذه المسافة لا يُدرى كيف تم قياسه، والله أعلم بصحته.
والميل: مقياس للطول، وهو نوعان: بري وبحري، فالبري يساوي ١٦٠٩م، والبحري يساوي ١٨٥٢م. انظر: المعجم الوسيط (٨٩٤/٢) مادة «ميل».

فلسطين[1]، وقيل: دمشق[2]، وقيل: مصر[3]، والوجه هو الأول[4]. ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ مستقر من الأرض يسكنها الناس لكثرة الثمار. ﴿وَمَعِينٍ﴾ ماء جار من معن

(١) قاله أبو هريرة. انظر: جامع البيان (٢٦/١٨)، وتفسير القرآن العظيم (٤٧٠/٥). وتعقبه الطبري بقوله:«إن الرملة لا ماء بها معين».

والرملة: مدينة بفلسطين، كانت رباطاً للمسلمين بعد فتحها، حررها صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى عام ٥٨٣هـ، وهي اليوم مدينة محتلة من اليهود. انظر: معجم البلدان (٦٩/٣ــ٧٠).

(٢) قاله سعيد بن المسيب.

انظر: جامع البيان (٢٦/١٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٦٢/٤)، وتفسير القرآن العظيم (٤٧٠/٥).

ودمشق: هي المدينة المعروفة، عاصمة سوريا، فتحها خالد بن الوليد رضي الله عنه عنوة، ثم اتخذها بنو أمية عاصمة لدولتهم، وبقيت كذلك حتى سقطت دولتهم. انظر: معجم البلدان (٤٦٣/٢).

(٣) انظر: جامع البيان (٢٦/١٨) ونسبه لسعيد بن المسيب، ومعاني القرآن للنحاس (٤٦٢/٤) ونسبه لوهب بن منبه.

(٤) يقول ابن كثير بعد أن اختار هذا الرأي: «فهذا والله أعلم هو الأظهر». تفسير القرآن العظيم (٤٧٠/٥)، واختار الطبري رأياً آخر فقال: «وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك أنها مكان مرتفع ذو استواء وماء ظاهر». جامع البيان (٢٧/١٨)، وتابعه النحاس في معاني القرآن (٤٦٣/٤).

الماء [إذا سال بعيداً؛ لقوته][1]، ومنه أمعنت في السير، أو اسم مفعول من عانه أدركه بعينه[2]، وجَعْلُه فعيلاً من الماعون لا يناسب المقام[3].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ المعنى: أنّ كلّ رسول خوطب في زمانه، وإيراده على هذا الوجه؛ ليعتقد السامع أن أمراً نودي به جميع الرسل حقيق بأن يؤخذ به[4][5]، ويجوز أن يكون هذا حكاية ما قيل لعيسى وأمه عند الإيواء، أي: أعلمناهما أن الرسل كلهم مخاطبون بذلك، [وفيه إبطال للرهبانية التي ابتدعها النصارى][6] وبعض جهلة المتصوفة في زماننا. والطيبات: ما تستلذه النفس من المآكل والفواكه[7]، وقيل: لما حلّ[8] من الرزق، وهو ثلاثة أقسام: حلال وصاف وقوام، فالحلال: الذي لا يعصى الله فيه، [والصافي الذي لا ينسى

(١) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٢) انظر: الصحاح (٦/٢٢٠٥)، مادة «معن»، والمفردات (٧٧١)، والكشاف (٤/٢٣٤)، والتفسير الكبير (٢٣/١٠٣)، والبحر المحيط (٦/٣٩٤).

(٣) قال الفراء: «وأن تجعله فعيلاً من الماعون ويكون أصله المعن»، وردّه الزجاج وقال: «وهذا بعيد؛ لأن المعن في اللُّغة: الشيء القليل». انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٢٣٧)، ومعاني القرآن للزجاج (٤/١٥)، والكشاف (٤/٢٣٤)، والتفسير الكبير (٢٣/١٠٣). ولعل سبب الخلاف هو في معنى كلمة (معن) حيث تطلق على القليل والكثير. انظر: القاموس المحيط (١٥٩٣)، مادة «معن».

(٤) انظر: الكشاف (٤/٢٣٤)، والتفسير الكبير (٢٣/١٠٤). وعبارة المصنّف بها نقص، وتمامها كما عند الرازي: «أن كلّ رسول فهو في زمانه نودي بهذا المعنى».

(٥) في هامش الأصل «ص»، و«ق»: «الأشعري وإن جوّز خطاب المعدوم بناء على قِدَم التكليف إلاّ أنه لا يقول بالتنجيز، بل يعلق معنوياً».

(٦) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٧) انظر: الكشّاف (٤/٢٣٤)، والتفسير الكبير (٢٣/١٠٤).

(٨) في «ق»: ما حلّ.

الله فيه، والقوام: ما يمسك النفس، ويحفظ العقل[1]، وعنه ـ ﷺ ـ: كل ما شئت والبس ما شئت][2] ما أخطأتك [السرف والمخيلة»[3]. ﴿وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ فإنه المقصود من ذلك. ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فأجازيكم على حسبه][4]. ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ [وأن هذه[5] متعلق][6] بـ(فاتقون). وقرأ الكوفيون (إن) بالكسر على الاستئناف، [أو عطفاً على (إني)، وابن عامر][7] (أنْ) بالفتح مخففة، والكسر هو

(١) انظر: الكشاف (٢٣٤/٤)، وأنوار التنزيل (٤٥٦).

(٢) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الأدب واللّباس (٤٠٥/٨)، والنسائي في سننه، كتاب الزكاة، باب الاختيال في الصدقة (٣٥٤ح٢٥٦٠)، وابن ماجة في سننه، كتاب اللّباس، باب البس ما شئت ما أخطأك سرف أو مخيلة (١١٩٢/٢) ح٣٦٠٥. والحاكم في المستدرك، كتاب الأطعمة، باب أنّ الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده (١٣٥/٤)، وقال هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وذكره البخاري في صحيحه معلّقاً في كتاب اللّباس (٥٣/٤) بلفظ: «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير إسراف ولا مخيلة». ووصله الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق (٥٤/٥).

(٤) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٥) في «ح»، «ص»: ولأن هذه.

(٦) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٧) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

المختار[1]؛ [لعدم الحذف والتقدير[2]. ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ دينكم وملتكم. ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ في الأصول والعقائد، نصب على الحال على الوجوه][3] الثلاثة[4][5]. ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [في مخالفة أمري][6]، وقد بيّنت لكم أن الدين واحد. ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ بعد تلك الوصية خالفوا وتوزعوا الدين وتقسموه.

[﴿زُبُرًا﴾ قطعاً جمع زبرة][7]، أو جمع زبور، [وهو الكتاب أي][8]: كلٌّ أخذ بكتابه وكفر بالآخر، فهو حالٌ من (أمْرِهِم)، أو من الواو، أو مفعول [ثانٍ

---

(١) والكسر اختيار أبي عبيد، وابن جرير الطبري. قال الطبري: «والكسر في ذلك عندي على الابتداء هو الصواب؛ لأن الخبر من الله عن قيله لعيسى ـ عليه السلام ـ (أيها الرسل) مبتدأ، فقوله: (وإن هذه) مردود عليه عطفاً عليه، فكان معنى الكلام: وقلنا لعيسى يا أيها الرسل كلوا من الطّيبات، وقلنا وإن هذه أُمتكم أُمة واحدة. انظر: جامع البيان (٢٩/١٨)، والمنتهى للخزاعي (٤٩١)، والإيضاح للأندرابي (١٨٠/ب)، والكامل للهذلي (١٢٣/أ).

(٢) وقرأ الباقون بفتح الهمزة وتشديد النون.

انظر: علل القراءات للأزهري (٢/٢٣٦)، والتيسير (١٥٩)، والدر المصون (٨/٣٤٩)، والنشر (٢/٣٢٨).

(٣) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٤) في الأصل: الثلثة.

(٥) انظر: التبيان في إعراب القرآن (٢/٩٢٦)، وأنوار التنزيل (٤٥٦)، والدر المصون (٨/١٩٥).

(٦) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٧) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٨) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

لتقطّعوا؛ لتضمنيه معنى الجعل(١). ﴿كُلُّ حِزْبِۭ]﴾(٢)﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ معجبون بدينهم معتقدون أنهم على الحق"(٣). ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [إلى أن يموتوا أو يقتلوا، مثّل حالهم في استغراقهم في الجهالة](٤) بمن غمره الماء وعلاه، كأنه قال: دعهم في هذا الجهل الذي [لا جهل فوقه، دلالة على اليأس وعدم نجع(٥) القول فيهم](٦)(٧)، وأدمج فيه للتسلية ببيان الغاية، وهو قتلهم أو موتهم. ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ﴾ أي: نجعله [مدداً شيئاً بعد شيء، تقرير مع الإنكار](٨). ﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ بيان (ما). ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ إكراماً وإيثاراً فيما لهم فيه خير، ويجوز أن [يراد جزاء الخيرات كما للمؤمنين في الآخرة]، والعائد

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (١٦/٤)، ومعالم التنزيل (٣١١/٣)، والكشّاف (٢٣٥/٤)، والتبيان في إعراب القرآن (٩٥٧/٢)، وأنوار التزيل (٤٥٦).

(٢) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٣) انظر: معالم التزيل (٣١١/٣)، وأنوار التنزيل (٤٥٦).

(٤) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٥) نجع فيه القول: عَمِلَ فيه ودخل وأثّر. لسان العرب (٣٤٨/٨)، مادة «نجع»، دار صادر.

(٦) انظر: التفسير الكبير (١٠٥/٢٣).

(٧) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٨) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

محذوف، أي: نسارع به لهم. ﴿ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ لا شعور لهم لينظروا هل هم [مستوجبون للإكرام، أم ذلك استدراج](1)(2).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [٥٧-٦١].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ خائفون غاية الخوف، هم أضداد السابقين، [﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ المُنَزَّلة](3)، والمنصوبة في الآفاق والأنفس.

﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ يُصدِّقون. ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ [شركاً جليّاً ولا خفيّاً فإن](4) "كلاً منهما يحبط العمل"(5). ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ ﴾ يُعطون من الصدقات، والبر ما أعطوا، [وقدّروا عليه، قليلاً كان](6) أو كثيراً. ﴿ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ خائفة هل يُقبل منهم أم لا، استقلالاً لها وإعظاماً لجناب

---

(1) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(2) انظر: الكشّاف (٤/٢٣٦)، وأنوار التنزيل (٣٥٦)، والبحر المحيط (٦/٤١٠). في هامش الأصل: «الشعور إيماء إلى أنهم أضل من الأنعام». وصواب العبارة: «ونفي الشعور...الخ.

(3) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(4) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(5) انظر: التفسير الكبير (٢٣/١٠٧)، وأنوار التنزيل (٤٥٦).

(6) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

القدس [تعالى. ﴿ أَنَّهُمْ إِلَىٰ]⁽¹⁾ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ وهو قد أحاط بها في ضمائرهم. ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ الباقية سرمداً، فيه تعريض لمن [تقدم ذكرهم]⁽²⁾، بأن أهميتهم في المسارعة في الفاني أو يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية قبل ثواب الآخرة بتلك [الأعمال]⁽³⁾؛ لقوله: ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا ﴾⁽⁴⁾. هذا وإن كان أحسن طباقاً⁽⁵⁾ للآية المتقدمة، فإنه أثبت لهؤلاء ما نفى عن أولئك إلاّ أنه قاصر؛ لأن ثواب الدُّنيا بالعرض لقوله: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾⁽⁶⁾ ⁽⁷⁾. ﴿ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ أي: لتلك

---

(١) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٢) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٣) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٤) بعض الآية (١٤٨) من سورة آل عمران.

(٥) الطبّاق هو: الجمع بين معنيين متقابلين في الكلام، وقد يكون مقصود المصنف هو المقابلة، وهي نوع من الطباق حيث يؤتى بمعنيين أو أكثر ثمّ يؤتى بما يقابلها على الترتيب.

انظر: التبيان في علم المعاني والبديع والبيان (٣٤١ـ٣٤٦)، والبلاغة الواضحة (٢٨١ـ٢٨٥).

(٦) بعض الآية (٩٧) من سورة النحل.

(٧) انظر: الكشّاف (٤/٢٣٧)، والبحر المحيط (٦/٤١١)، وأنوار التنـزيل (٤٥٦).

الخيرات سابقون الناس، أو فاعلون السبق أو سابقونها، أي: ينالونها قبل الآخرة[١]. واللاّم لتقوية الاسم؛ لتقدم مفعوله[٢].

قال تعالى: ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [٦٢-٦٦].

﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ اعتراض؛ للترغيب؛ لأنه أمر سهل لا حرج فيه، ومن تقاعد هو المقصر، أو المعنى إن التكليف على قدر الموسع، فمن بذل جهده ولم يبلغ تلك الرتبة فلا عليه[٣]. ﴿ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ﴾ هو اللّوح، أو كتاب الحفظة لا يضيع فيه مثقال ذرة[٤]، فمن لم تسمُ همته إلى الأول لا تنبغي أن تقعد به عن الثاني.

---

(١) قاله الزمخشري. الكشاف (٤/٢٣٧)، وقال أبو حيان تعليقاً على قول الزمخشري: «وهذان القولان عندي واحد». البحر المحيط (٦/٤١١)، واختار الطبري قولاً آخر فقال:«وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله ابن عباس من أنه سبقت لهم من الله السعادة قبل مسارعتهم في الخيرات، ولما سبق لهم من ذلك سارعوا فيها». جامع البيان (١٨/٣٤).
وانظر: أنوار التنزيل (٤٥٧)، والدر المصون (٨/٣٥٤ ــ ٣٥٥).

(٢) انظر: الدر المصون (٨/٣٥٣).

(٣) انظر: الكشاف (٤:٢٣٨)، والبحر المحيط (٦/٤١١).

(٤) انظر: أنوار التنزيل (٤٥٧).

﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ بنقص ثواب أو زيادة عقاب، الضمير للفريقين[1]. ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ ﴾ غطاء وسترة[2][3]، إضراب عن الإضراب الأول ترقياً في وصفهم بالغفلة، فإن عدم الشعور قد يكون لعدم التوجه، وأما المستور بالغطاء فلا يمكن الوصول إليه ولو توجه وبذل الوسع. ﴿ مِّنْ هَٰذَا ﴾ أي: مما وصف[4] به المؤمنون. ﴿ وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ ﴾ الذي وصف به المؤمنون أو منحطة[5] عما وصفوا به من الشرك[6]. ﴿ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴾ معتادون بها، منهمكون فيها لايرعوون. ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ ﴾ «حتى» هذه هي التي يبتدأ الكلام بعدها، والعذاب: قتل المترفين يوم بدر[7]، وقيل: القحط لما دعا عليهم رسول الله

(١) انظر: التفسير الكبير (٢٣/١٠٩).

(٢) في الأصل: «وسره».

(٣) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (٢٩٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/٤٧١).

(٤) في «ح»: يوصف.

(٥) في «ح»: منحطئة.

(٦) قاله البيضاوي. أنوار التنزيل (٤٥٧).

(٧) انظر: معالم التنزيل (٣/٣١٢)، والكشاف (٤/٢٣٨)، وأنوار التنزيل (٤٥٧)، وكان يوم بدر السنة الثانية.

وبدر: اسم لموضع ماء مشهور بين مكة والمدينة، وقعت به المعركة الشهيرة المسماة بـ«يوم الفرقان»، وهي اليوم مدين معروفة جنوب المدينة. انظر: معجم البلدان (١/٣٥٧ — ٣٥٨).

فقال: «اللهم أشدد وطأتك على مضر[1][2]، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف» فقحطوا حتى أكلوا الجيف[3]. ويرده قوله: ﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾ يصرخون بالاستغاثة.

﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ لا تمنعون القحط، فارتفع عنهم بدعائه[4] ـ ﷺ ـ لما جاءه أبو سفيان[5] وقال: «يا محمد إنك تأمر بصلة الأرحام وقد ترى ما أصاب قومك، فدعا، فقال الله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ

---

(١) في الأصل «مضمر» وهو خطأ.

(٢) مضر: قبيلة عدنانية، وتنسب إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ويقال لهم: مضر الحمراء، وولد لمضر: إلياس وقيس وعيلان.

انظر: جمهرة أنساب العرب (١٠)، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (٣٧٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستسقاء، باب دعاء النبي ـ ﷺ ـ «واجعلها عليهم سنين كسني يوسف (١/٣١٧) ح١٠٠٦. ومسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة (٥/١٧٦ـ١٧٧). انظر: معالم التنزيل (٣/٣١٢)، والكشاف (٤/٢٣٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/١٣٥)، وأنوار التنزيل (٤٥٧)، والبحر المحيط (٦/٤١٢).

والجيف: جمع «جِيفة» بكسر الجيم، وهي جثة الميت، والجمع: «جِيف، وأجياف».

انظر: الصحاح (٤/١٣٤٠) مادة «جوف»، والقاموس المحيط (١٠٣١)، مادة «جوف».

(٤) في الأصل «ق» بدعاية.

(٥) أبو سفيان: صخر بن حرب بن أمية، زعيم من قريش، قاد المشركين في معركة الخندق، أسلم عام الفتح، وشهد حنين واليرموك، توفي بالمدينة عام ٣١هـ، وله ٩٠ سنة.

انظر: سير أعلام النبلاء (٢/١٠٥)، وتهذيب التهذيب (٤/٤١١).

عَآئِدُونَ ﴾»[1][2] ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ هي القرآن الدال بإعجازه على أنه كلامه تعالى. ﴿ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴾ ترجعون القهقرى[3] كالخائف من الشيء إشارة إلى غاية إعراضهم.

قوله تعالى: ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [٦٧-٧١].

﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ ﴾ بالبيت الحرام زعماً منهم أنهم ولاة البيت لا يؤاخذون بشيء، شهرته أغنت عن سبق الذكر، أو بالتكذيب، أو بالآيات[4]،

---

(١) الآية (١٥) من سورة الدخان.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون (٢٩٠/٣) بنحوه. والنسائي في تفسيره (٩٨/٢ ــ ٩٩) ح٣٧٢. والطبراني في المعجم الكبير (٣٧٠/١١) ح١٢٠٣٨. وابن حبان في صحيحه، ح١٧٥٣. والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير (٢٩٤/٢)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٣/٧).

(٣) القهقرى: الرجوع إلى الخلف، وفلانٌ يمشي القهقرى: يرجع إلى الوراء.
انظر: القاموس المحيط (٦٠٠)، مادة «قهر»، والمعجم الوسيط (٧٦٤/٢).

(٤) انظر: معاني القرآن للنحاس (٤٧٤/٤)، والكشّاف (٢٣٩/٤)، والمحرر الوجيز (٢٤٢/١١)، وزاد المسير (٤٨٢/٥)، والبحر المحيط (٤١٢/٦).

وتذكير الضمير؛ لأنها في معنى الكتاب والقرآن، والجار متعلق بقوله: ﴿ سَٰمِرًا ﴾ والضمير للقرآن[1].

والسّمر حديث الليل، أصله ضوء القمر، فإنهم كانوا يجتمعون حول البيت ويأخذون في مثالب القرآن وسبّ الرسول، تارةً يقولون: شاعر، وتارة سحر، وتارة يقولون: القرآن أساطير الأوّلين[2]، إنما يعلمه بشر[3]. والسامر: اسم الجمع، يقال: هم سمّار وسامر[4][5].

(١) انظر: التبيان في إعراب القرآن (٩٥٨/٢)، والدر المصون (٣٥٧/٨، ٣٥٨).

(٢) في الأصل: الأوّلون.

(٣) حكى الله قولهم أنه شاعر بقوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾ [الطور:٣٠]، وعن قولهم ساحر يقول الله عزّو جلّ: ﴿ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [ص: ٤]، وعن قولهم عن القرآن أساطير الأوّلين قال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان:٥]، وقال تعالى عن قولهم: إنما يعلمه بشر: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾ [النحل:١٠٣].

(٤) انظر: معاني القرآن للنحاس (٤٧٥/٤)، الكشّاف (٢٣٩/٤)، والبحر المحيط (٤١٣/٦)، والقاموس المحيط (٥٢٥)، مادة «سمر».

واسم الجمع: هو ما ليس له واحدٌ من لفظه، وليس على وزن خاصٍ بالجموع، فهو مفرد اللّفظ مجموع المعنى. انظر: معجم القواعد العربية (٣٦).

(٥) هامش الأصل «ص»: لفظ السامر مشترك بين المفرد والجمع.

﴿تَهْجُرُونَ﴾ من الـهُجْر بضم الهاء، وهو الفحش من القول، أو من الهَجْر بالفتح، وهو الهذيان والتخليط في الكلام[١]. وقرأ نافع بضم التاء من أهجر إذا أتى بالهُجْر، أي: الفحش أو الهذيان، فلا تأييد في قراءة نافع لأحد المعنيين[٢]، ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ أي: القرآن ليعلموا أنه كلام الله المعجز[٣]، بل تدبّروه مدّة طويلة. ﴿أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ بل أجاءهم الكتاب والرسول ولم يأت[٤] آباءهم الأوّلين. وليس ذلك موضع إنكار؛ إذ قد تواتر عندهم[٥] مجيء الرسل، وإنزال الكتب [إلى سائر الأمم][٦]، أو جاءهم من الأمن من عذاب الله مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ، كإسماعيل وأعقابه[٧]. روي عنه ﷺ أنه قال: «لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مسلمَين، ولا قسّاً ولا الحرث ابن كعب، ولا

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤/١٨).

(٢) وقرأ الباقون بفتح التاء وضمّ الجيم (تَهْجُرون). انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/٤٧٧)، والكشف (٢/١٢٩)، والتيسير (١٥٩)، والكشّاف (٤/٢٣٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/١٣٧)، والبحر المحيط (٦/٤١٣)، والدر المصون (٨/٣٥٩).

(٣) انظر: الكشاف (٤/٢٣٩)، وأنوار التنزيل (٤٥٧).

(٤) في «ص»: ياءت.

(٥) في «ح»: عند.

(٦) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٧) انظر: الكشاف (٤/٢٣٩)، وأنوار التنزيل (٤٥٧).

أسد بن خزيمة، ولا تميم بن مرّ، فإنهم كانوا مسلمين، وما شككتم في شيء فلا تشكوا في إسلام تبع فإنه كان مسلماً على شرطة سليمان ابن داود»[1].

---

(١) ورد الحديث بهذا اللفظ في الكشاف (٤/٢٣٩)، والبحر المحيط (٦/٤١٣)، وروح المعاني (١٨/٥١). وهو في الأصل جملة أحاديث مفرقة:

الأول: عن ابن عباس قال: «لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانوا مسلمين». وقال السهيلي في الروض الأنف: «وفي الحديث المروي لا تسبوا مضر وربيعة فإنهما كانا مؤمنين»، وأورده المناوي بلفظ: «لا تسبوا مضر الأعلى». ورواه ابن سعد بسنده، قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا مضر؛ فإنه كان قد أسلم». انظر: فضائل الصحابة (٢/٨٣٣) ح١٥٢٤، والطبقات الكبرى (١/٤٨)، والروض الأنف (١/١٠)، وفتح الباري (٦/٥٢٩)، وفيض القدير (٦/٤٠٠).

الثاني: «والذي بعثني بالحق لقد آمن قس بالبعث». أخرجه البيهقي في الزهد الكبير (٢/٢٦٦)، وانظر: البيان والتعريف (٢/٥٦). وفي رواية أُخرى: «يرحم الله قس بن ساعدة، إني لأرجو أن يبعث يوم القيامة أُمة وحدة». أخرجه ابن بشكوال في غوامض الأسماء المبهمة (٢/٦٧٤).

وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٣/٣١).

الثالث: «لا تسبوا تبعاً؛ فإنه قد أسلم».

انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/٢٤٤)، ومجمع الزوائد (٨/٧٦)، وفتح الباري (٨/٥٧١).

الرابع: أخرج ابن سعد بسنده: «لا تسبوا مضر؛ فإنه كان قد أسلم». الطبقات الكبرى (١/٥٨). وعند الحاكم في المستدرك من حديث عائشة قالت:«كان تبع رجلاً صالحاً، ألا ترى أنّ الله عزّ وجلّ ذمّ قومه، ولم يذمه». وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي (٢/٤٥٠).

﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ ﴾ دينه وأمانته وصدق لهجته وشرف نسبه حيث اقتعد غارب[1] المجد، وحلّ في سِطَةَ [هاشم][2][3]. ﴿ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ لفقد شيء من تلك الكمالات[4]. ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ﴾ فلا يبالي بكلامه، كلاّ قد كانوا يعلمون أنه أرجح الناس عقلاً، وأثبتهم رأياً، ومن وقف على خطبة أبي طالب[5] عند نكاح خديجة علم ما كان فيه من صفات الكمال من أوّل نشأته[6].

---

(١) الغارب: أعلى الموج وأعلى الظهر. قاله اللّيث بن المظفر.

انظر: تهذيب اللُّغة (١١٧/٨)، مادة «غرب».

(٢) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٣) انظر: الكشاف (٢٤٠/٤)، والبحر المحيط (٤١٤/٦).

(٤) في «ق»: الكلمات.

(٥) أبو طالب: عبد مناف بن عبد المطّلب بن هاشم القرشي، عمّ النبي ﷺ، دافع عن النبي ﷺ من أذى قريش، وقد حرص ﷺ على إسلامه، ولكنه أبى ذلك، ومات كافراً في العام الذي ماتت فيه خديجة رضي الله عنها. انظر: تاريخ الأمم والملوك (١٧٣/٢)، والبداية والنهاية (١٢٠/٣).

(٦) انظر: الكشاف (٢٤٠/٤)، والبحر المحيط (٤١٤/٦). وخطبة أبي طالب هي: «أحمد الله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضئضيء معد، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته، وسواس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوجاً، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، ثمّ إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلاّ رجح به، فإن كان في المال قلّ؛ فإن المال ظل زائل، وأمر حائل، ومحمد من قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي كذا، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل». انظر: الكشاف (٦٥٣/١، ٦٥٤)، وحاشية زادة على البيضاوي (١٧٤/٦، ١٧٥)، وروح المعاني (٥١/١٨).

﴿ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ بالتوحيد الذي لم يألفوه، وقد اندرج على الشرك آباؤهم.

﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ قيّد بالأكثر؛ لأن قليلاً منهم ما كان يكره الإيمان، ولكنه يمنعه الاستكبار، وخوف لائمة الناس[1] كأبي طالب، كان يمدحه ويمدح دينه، ومات على الكفر؛ خوفاً من لوم الناس أن يقولوا في كِبَرِ سنه تبع يتيمه، وأنما أعاد المظهر؛ لئلا يتوهم عود الضمير إليه[2]. ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ لفسد النظام؛ لأن الأهواء مختلفة، والدواعي متباينة[3]، أو لو اتبع الحق أهواءهم انقلب باطلاً، ولا بقاء للعالم مع الباطل. ﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ ﴾ بالكتاب][4] الذي فيه شرفهم، أو تذكيرهم وعظتهم، أو الذكر الذي كانوا يتمنونه يقولون: ﴿ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[5][6]. ﴿ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ جهلاً منهم وعناداً.

---

(١) الناس: ساقطة من «ح».

(٢) انظر: الكشاف (٤/٢٤٠)، وأنوار التنزيل (٤٥٧)، وحاشية الشهاب على البيضاوي (٦/٣٤٠).

(٣) انظر: التفسير الكبير (٢٣/١١٢).

(٤) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٥) الآيتان (١٦٨، ١٦٩) من سورة الصافات.

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/١٩)، والكشاف (٤/٢٤١)، وأنوار التنزيل (٤٥٨).

قال تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [٧٢-٧٧].

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾ قسيمٌ لقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ وما بينهما اعتراض[١] برهاناً على أنه منزهٌ عن الجنون، بل ما جاء به الحق الأبلج. ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ فالأجر الذي وعدك ربك خير من الفاني الذي بيدهم، وقد رضيت بذلك، فلا وجه لنفرتهم. وقرأ ابن عامر بقصرهما، وحمزة، والكسائي بمدهما، والباقون بقصر الأوّل، ومدّ الثاني، وهما لغتان[٢].

وقيل: الخرج: الجعل، والخراج: الضريبة، وقيل: الأوّل مصدر، والثاني اسم، والأوجه القصر لأنه أخف، والمعنى عليه أظهر، وزيادة المباني لزيادة المعاني، إنما هو عند اتحاد المعنى وعدم المعارض[٣]. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾؛ لدوام

---

(١) انظر: أنوار التنزيل (٤٥٨).

(٢) انظر: علل القراءات (١/٣٥٥)، والكشف (٢/٧٧–٧٨، ١٣٠)، والموضح (٢/٨٩٨).

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/١٥٩)، والمفردات (٢٧٨)، مادة «خرج»، والكشاف (١/١٠٨، ١٠٩)، (٤/٢٤١)، وزاد المسير (٥/٤٨٥)، والقاموس المحيط (٢٣٧)، مادة «خر»، والبرهان في علوم القرآن (٣/٣٤)، والقواعد للمقري (٢/٤٦٥).

رزقه، وسعته، وعدم شوبه بِمِنّةٍ، تقرير لكون خراجه خيراً. ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ لا عوج فيه.

﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴾ عادلون عنه، لأن اتباع الحق، وسلوك طريقه إنما هو من خوف العقاب، ومن لا يؤمن بالآخرة آمنٌ من ذلك. ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ ﴾ هو الجوع والقحط[1]. ﴿ لَّلَجُّواْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ ﴾ لتمادوا فيه. ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ يتحيرون عن الهدى[2]. ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ ﴾ بالقحط والجوع. ﴿ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ ﴾ [ما انتقلوا من كونهم الأوّل إلى آخر، استفعال الكون أو افتعال من السكون[3]. ﴿ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾][4] بل استمروا على عتوهم الذي كانوا عليه. ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ وهو القتل يوم بدر[5]، أو عذاب جهنم[6]. ﴿ إِذَا هُمْ فِيهِ

---

(١) انظر: أنوار التنزيل (٤٥٨).

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٤٥٨).

(٣) انظر: تهذيب اللُّغة (١٠/٣٧٤، ٣٧٥)، والكشاف (٤/٢٤٣)، وأنوار التنزيل (٤٥٨)، والبحر المحيط (٦/٤١٦)، والدر المصون (٣/٤٣٢).

(٤) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٥) قال ابن عباس.

(٦) انظر: النكت والعيون (٤/٦٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/١٤٣)، ونسبه لعكرمة.

مُبْلِسُونَ ﴾ آيسون مِن أبلس: إذا أيس[1]. هذا وتفسير العذاب الشديد بالجوع[2]، وقول أبي سفيان: «قتلت بعضهم بالسيف يوم بدر، وبعضهم بالجوع، لـمّا منع ثمامة[3] الميرة[4] عن أهل مكة كلّه سهو؛ لأن القحط وقع ورسول الله بمكة[5]، ووقع[6] بعده بالمدينة[7]، وكذا إسلام ثمامة رواه البخاري[8][9].

---

(١) انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٣/٢٩٥)، وأنوار التنزيل (٤٥٨).

(٢) انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/٤٨٠)، وزاد المسير (٥/٤٨٦)، ونسبه لمقاتل.

(٣) ثمامة: ثمامة بن آثال بن النعمان، من بني حنيفة، أبو أُمامة، صحابي، كان سيّد أهل اليمامة، ثبت على إسلامه حينما ارتدّ أهل اليمامة مع مسيلمة الكذاب، مات سنة ١٢هـ.

انظر: الاستيعاب (١٠٦)، والإصابة (١/٤١١).

(٤) الميرة : بكسر الميم الطعام يمتاره الإنسان، ويطلق لفظ الميرة على جلب الطعام، والمـيّار: جالب الطعام. الصحاح (٢/٨٢١) / مادة «مير»، والقاموس المحيط (٦١٥)، مادة «مير».

(٥) سبق الحديث عنه .

(٦) في الأصل: ووقعة.

(٧) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/٦٣٨، ٦٣٩)، وأسباب النزول للواحدي (٣٦٣).

(٨) انظر: كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن آثال (٣/١٦٨) ح٤٣٧٢.

وانظر أطرافه (١/١٦٥) ح٤٦٢، (١/١٦٨) ح٤٦٩، (٢/١٨٢) ح٢٤٢٢، ٢٤٢٣.

(٩) في هامش الأصل، «ص»: «يرد على الكشاف وقد ذكر أن السورة مكية بالإجماع بلا استثناء، وكذا قاله كلّ مفسر وقارئ، وجعله من الإخبار بما سيقع لا يمكن ولا يدل عليه السياق، وأيضاً قصة ثمامة ليس فيها ذكر أبي سفيان، بل كتب إلى رسول الله يطلبه إلاّ يمنع الميرة عن أهل مكة، كذا ذكره البخاري».

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [٧٨-٨٣].

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ ﴾ «خصّ السمع والأبصار والأفئدة بالذكر؛ لأنه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنياوية ما لا يتعلق بغيرها»[1]. وقدم السمع والأبصار؛ لأنها آلات الإدراك، وبهما يدرك المعجزات. ﴿ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴾ «بصرفها إلى ما خلقت له»[2]. ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ «بثّكم فيها بالتناسل»[3]. ﴿ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ «تُجْمَعون بعد ذلك التفرق للجزاء. ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ ﴾ «مختص به لا يقدر عليه أحدٌ سواه»[4]. ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ «تستعملون عقولكم في النظر والتدبر فيما خُلِقتم له قبل فوات الوقت. ﴿ بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴾ «أعرض عن

---

(١) انظر: الكشاف (٤/٢٤٤).

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٤٥٨).

(٣) انظر: الكشاف (٤/٢٤٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/١٤٤).

(٤) انظر: أنوار التنزيل (٤٥٨).

خطابهم ناعياً عليهم جهلهم وجهل أسلافهم[1] الذين اقتدوا بهم. ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ﴾ «أي: أنه منكر محال. ﴿لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ﴾ «قبل وجودنا ومجيء محمد[2] يريدون أن ما يقوله[3] قول قيل قبله بدهر وقد ظهر لمن تقدمنا بطلانه.

﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أكاذيبهم المختلفة، جمع أُسطورة كالأُعجوبة والأُضحوكة، وهذا البناء لما يتلهى به، وقيل: جمع أسطار، جمع سَطَر كأفراس وفرس، والسطر صف من الكتابة، والأوّل أحسن وأوفق[4].

---

(١) في «ح»: أسالفهم.

(٢) صلى الله عليه وسلم.

(٣) في «ق»: يقولوه.

(٤) مراد المصنف أن أساطير جمع أسطار، وأسطار جمع سطر. أي: أن أساطير جمع الجمع، وهذا خلاف رأي سيبويه وبعض النحاة. انظر: جامع البيان (٧/١٧٠ ـ ١٧١)، وتهذيب اللغة (١٢/٣٢٦ ـ ٣٢٧) مادة «سطر»، والصحاح (٢/٦٨٤) مادة «سطر»، ومعجم مقاييس اللغة (٣/٧٢ ـ ٧٣) مادة «سطر»، والمفردات (٤٠٩)، والكشاف (٤/٢٤٥)، وزاد المسير (٣/١٩ ـ ٢٠)، والقاموس المحيط (٥٢١ ـ ٥٢٢) مادة «سطر»، والدر المصون (٤/٥٧٩ ـ ٥٨٠)، وهمع الهوامع (٢/١٨٣).

قال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [٨٤-٨٩].

﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ ﴾ «من المخلوقات، و«من» لتغليب العقلاء. ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ «ذلك إهانة لهم حيث لا يعلمون هذا الواضح الجلي فهم عن علم التوحيد ودقائقه بمعزل، أو إن كنتم من أهل العلم حيث إن زعمتم(١) أنّ ما يقوله من أساطير الأولين»(٢). ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ «بلا ريث(٣)؛ لأنه لا يتوقف على فكر. ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ «بعد هذا الإقرار، فإن توجه النظر الذي هو أيسر الأشياء كافٍ في حل عقدتهم. ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ «قرآءة(٤) أبو عمرو والذي بعده باللاّم وجر الهاء، وهو طبق السؤال معنى؛ إذ معنى من رب الدار؟ لمن الدار؟

(١) في «ح»: علمتم.

(٢) انظر: الكشاف (٤/٢٤٦)، وأنوار التنزيل (٤٥٩).

(٣) في «ق» ريب. والريث: الإبطاء، ومريث العين: بطيء النظر.

انظر: القاموس المحيط (٢١٨) مادة «ريث».

(٤) في «ق»: قرأ.

وعليه رسم الإمام[1][2]، والبصري[3]. ﴿ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ «عقاب من هذا صنعه. ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ ﴾ «يغيث ويحرس من يشاء[4].

﴿ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ «ولا يغاث منه أحد، وتعديته بـ«على»؛ لتضمّن[5] معنى النصرة[6]. ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ «أعاده زيادة في التوبيخ. ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ «تخدعون عن الرُّشد مع ظهوره، ساق الآيات الثلاث[7] على أسلوب بديع، ذكر الأرض أوّلاً؛ لأنها أقرب إليهم،

---

(١) في «ص»: اللاّم.

(٢) في هامش الأصل، «ص»: الإمام مصحف عثمان الذي دمه عليه، فاللاّم فيه وفي مصحف بصري محذوف.

(٣) عبارة المصنف بها حذف، وتمام العبارة: أن أبا عمرو قرأ الموضع الثاني والثالث للفظ «لله» بإثبات ألف الوصل قبل اللام فيهما، ورفع الهاء «اللهُ»، وعليه رسم المصحف البصري، وقرأ الباقون «لله» بغير ألف، وجر الهاء، وعليه رسم مصاحف الحجاز والشام والعراق. انظر: علل القراءات ٤٣٩/٢)، والموضح (٨٩٩/٢)، والدر المصون (٤٦٢/٨)، والنشر (٣٢٩/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (٣٢٠)، ولطائف البيان في رسم القرآن (١٠٦/١-١٠٧). قال الناظم:

في المؤمنين آخري لله زد للبصر والإمام همزا اعتمد.

(٤) انظر: أنوار التنزيل (٤٥٩).

(٥) في «ح»، «ق»، «ص»: لتضمين.

(٦) انظر: أنوار التنزيل (٤٥٩).

(٧) في الأصل، «ح»، «ق»: الثلث.

ومنها نشـأتهم، ثمّ ترقّى إلى السموات والعرش العظيم التي الأرض بالنسبة إليها كـلاً شيء، ثمّ إلى مـن بـيده ملكـوت كـلّ شيء، فـأتى بـأعم العـام(١)، وكلمـة الإحـاطة ولفظ الملكوت الـدال على سعة الملك وغاية الاختصاص(٢). وذكر اليد تصوير لـعظمته وإن الكائنات تحت قدرتـه كلـعبة في يـد قـادر، يقـلبها كيـف يشاء(٣)، وراعى في الفواصل(٤) أيضاً ذلك، حيث ذكـر بعـد ذكـر الأرض التـذكر الذي هو أيسر النظر، ثمّ الاتقـاء الـدال عـلى الوعيـد، ثـمّ التعجيـب مـن خـدع عقولهم، ويخيل(٥) الباطل حقّاً والحق باطلاً بعد الإقرار والاعتراف بتلك المقدّمات القواطع، وكما أنها تقرير للسابق مـن إبطـال شـبهة [منكـري البعـث كـذلك](٦)؛ تـمهيداً للاحق من إزاحة أوهام أهل الشرك ورافضي التوحيد.

---

(١) أعم العام ويسمّى العام المطلق، وهو ما ليس فوقه أعمّ منه.

انظر: شرح مختصر الروضة (٢/٣٦١)، والمختصر في أصول الفقه (١٠٥).

(٢) قاله القزويني. الكشف على الكشاف (٣٥٤/ب).

(٣) ما ذكره المصنف لا يجوز قوله في صفة اليد، بل الصواب أن نثبت لله ما أثبته لنفسه من صفة اليد من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه.

انظر: التوحيد لابن خزيمة (١/١٧٦)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/١٢٩ـــ١٣٣).

(٤) الفواصل: جمع فاصلة، وهي آخر كلمة في الآية.

انظر: الإتقان (٣/٢٩٠)، وبشير اليسر شرح ناظمة الزهر في علم الفواصل (٣١).

(٥) في «ق»: تخييل.

(٦) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

قال تعالى: ﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [٩٠-٩٦].

﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ بالبرهان الدّال على البعث والتوحيد. ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ في إنكارهما. ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ ﴾ قطُّ[1]؛ لتقدمه عن المماثلة والمجانسة[2]. ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾ يشاركه في الألوهية. ﴿ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ ﴾ جوابٌ لمن حاجّة من المشركين، وجزاء الشرط محذوف دلّ عليه قوله: ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾ أي لو كان معه آلهة لذهب كلّ إله خلق[3].

(١) قطّ: ظرف زمان لاستغراق الماضي، وتختص بالنفي، تقول: ما رأيت قطّ، ويقابلها في المعنى (عَوْضُ) لنفي الفعل في المستقبل، ومعناها: الأبد. انظر: الصحاح (١١٥٣/٣)، مادة «قط»، والمساعد على تسهيل الفوائد (٥١٧/١)، والقاموس المحيط (٨٨٢)، مادة «قط».

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٤٥٩).

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء (٢٤١/٢)، والكشّاف (٢٤٦/٤، ٢٤٧)، والمحرر الوجيز (٢٥٠/١١)، والبحر المحيط (٤١٩/٦).

﴿ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ كما ترون من ملوك الدنيا[1]، قد تقدم الكلام عليه وافياً في قوله: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[2]

﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[3] من اتخاذ الولد والشريك[4].

﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ برهان آخر دالّ على بطلان الشرك؛ لأن من يدّعون له الألوهية جماد ليس من شأنه[5] الإدراك[6]. ﴿ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

وقرأ ابن كثير، وابن عمرو، وابن عامر، وحفص (عالِمِ) بالجرّ، فالجرّ على الوصف، وهو المختار؛ لسلامته عن الحذف[7]. ﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴾ بقولك «وإمّا نرينك بعض الذي نعدهم».

---

(١) انظر: الكشاف (٤/٢٤٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/١٤٦).

(٢) بعض الآية (٢٢) من سورة الأنبياء، وانظر: غاية الأماني (٢/٨١٠ـ٨١٤) تحقيق: العباس الحازمي

(٣) انظر: الأصل (١٩٣/ب)، وفيه شرح طويل.

(٤) انظر: التفسير الكبير (٢٣/١١٧).

(٥) في «ص»: شأن.

(٦) في هامش الأصل، «ص»: أنّى يستوفي مقام الإلهية المستلزمة لكل كمال بالذات.

(٧) وقرأ الباقون برفع (عالـمُ).

انظر: علل القراءات (٢/٤٤٠)، والتيسير (١٦٠)، والموضح (٢/٩٠٠)، والنشر (٢/٣٢٩)، وإتحاف فضلاء البشر (٣٢٠).

﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ داخلاً في زمرة المعذّبين كسائر أدعيته هضماً لنفسه وإظهاراً للتواضع والعبودية مع علمه بأنه قد غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر[1]. وكرر لفظ الربّ إشارة إلى أن التضرع والجؤار عنده بمكان[2].

﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴾ كانوا يقولون: ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾[3].

فقيل: إن الله قادرٌ على أن يُنجِز ذلك الوعد، ولكن[4] لكلّ أمرٍ وقت مقدّر اقتضته الحكمة، ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾[5]، ولأن في أصلابهم من سبق في العلم أنه سيؤمن[6].

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ أي: ادفع السيئة بالحسنة التي هي أحسن من غيرها من الحسنات، فإنها متفاوتة، واللائق بك إيثار أكمل الأخلاق،

(١) انظر: الكشّاف (٤/٢٤٧)، والتفسير الكبير (٢٣/١١٧).

(٢) انظر: التفسير الكبير (٢٣/١١٨).

(٣) بعض الآية (٣٨) من سورة الأنبياء.

(٤) في «ق»: ولا كن.

(٥) بعض الآية (٣٣) من سورة الأنفال.

(٦) ورد في الحديث عنه ﷺ عقب رحلته إلى الطائف أنه قال: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً». في قصة رحلته إلى الطائف.

أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين. (٢/٤٢٨، ٤٢٩) ح٣٢٣١.

وهي الصفح، والإحسان بعده، وبذل الوسع فيه[1]، ومَن عوّد نفسه بهذا هان عليه الصفح عن السيئات واتباعها الحسنات. ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ أي: يصفونك به خلاف ما أنت عليه، فيه وعيد شديدٌ لهم[2].

قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [٩٧-١٠٠].

﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ وساوسها وإغرائها على المعاصي، والهمز: النخس، ومنه مهماز الرائض، تشبيه للمعقول بالمحسوس بجامع الخبث، والجمع إمّا لتنوع الوساوس، أو لتعدّد المضاف إليه[3]. ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ أي: يحوموا حولي فضلاً عن الوسوسة[4]. ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ ﴾ غاية لقوله: ﴿ ادْفَعْ ﴾[5] دالة علة كون الآية غير منسوخة، وأن

(١) انظر: الكشّاف (٤/٢٤٨).

(٢) انظر: البحر المحيط (٦/٤٢٠).

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٢٤٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/١٤٨)، وأنوار التنزيل (٤٦٠)، والدر المصون (٨/٤٦٤).

ومهماز الرائض: مفعال من الهمز، يجمع على مهامز ومهاميز، وهو حديدة تكون في مؤخر خفّ الرائض يهمز بها الدابة لتسرع.

(٤) أنوار التنزيل (٣٦٠).

(٥) بعض الآية (٩٦).

المــداراة نرغــب فيهــا، مــالم يــودّ إلى ثَلْــمِ ديــن أو إزراء بــمروءة[1][2]، أو لـ ﴿ يَصِفُونَ ﴾[3]، على معنى: أنّ ظنهم فيك وسوء المقالة مستمر إلى حين الموت، وعلى الوجهين [ما بينهما اعتراض][4]، يؤكد شأن الإغضاء والصفح، مستعيناً بالله عن الشيطان أن يستزله عن الحلم[5]، أو لقوله: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[6][7]. وقوله: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ ﴾[8] إلى هنا كالاعتراض يؤكد كذبهم، ويحقق استحقاقهم البراءة منهم. ﴿ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾ أي: إذا عاين الموت أدركته الحسرة على ما فرط فيه من الإيمان[9]، وعنه[10] ـ ﷺ ـ: «إذا عاين المؤمن الملائكة[11] يقولون: نرجعك إلى الدنيا، يقول: إلى دار الهموم والأحزان، بل

---

(١) في الأصل: مرؤة.

(٢) انظر: الكشاف (٤/٢٤٨)، وأنوار التنـزيل (٤٦٠).

(٣) بعض الآية (٩٦).

(٤) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٥) في «ح»، «ص»: الحكم.

(٦) بعض الآية (٩٠).

(٧) انظر: الكشّاف (٤/٢٤٩)، وأنوار التنـزيل (٤٦٠)، والدر المصون (٨/٣٦٥).

(٨) بعض الآية (٩١).

(٩) انظر: الكشاف (٤/٢٤٩).

(١٠) في «ص»: وبه.

(١١) في الأصل «المليكة».

قدوماً إلى الله تعالى، وأما الكافر فيقول: رب ارجعون»[1]. وخطاب الله بلفظ الجمع على قصد التعظيم كقوله: «ألا فارحموني يا إله محمد»[2]، ويجوز أن يكون الخطاب للملائكة، و«رب» جر على إضمار حرف القسم[3]. ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ أي: في الإيمان الذي تركته، أو في المال الذي خلفته[4].

﴿كَلَّآۚ﴾ ردع له عن تلك المقالة واستبعاد[5]. ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ﴾ لا محالة لاستيلاء الندم عليه كما تشاهد الواقع في بلية يتكلم بما هو موقن بعدم قبوله، والكلمة: طائفة من الكلام[6]. ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ﴾ أمامهم حاجز عن

---

(١) أخرجه الطبري بسنده عن عائشة مرسلاً. جامع البيان (٥٢/١٨)، وانظر: الكشاف (٢٤٩/٤)، والمحرر الوجيز (٢٥٣/١١)، وأنوار التنزيل (٤٦٠)، والبحر المحيط (٤٢١/٦)، وتخريج الأحاديث والآثار في الكشاف (٤٠٧/٢)، والفتح السماوي (٨٥٧/٢) ح٧٣٥، وفي إسناده: سنيد بن داود المصيصي، وهو ضعيف. انظر: تقريب التقريب (٣٣٥/١).

(٢) في هامش الأصل تمامه: «فإن لم أكن له أهل فأنت له أهل» قائل البيت غير معروف، وهو من بحر الطويل. انظر: الكشاف ((٢٤٩/٤)، والبحر المحيط (٤٢١/٦)، ومشاهد الإنصاف (٩٩).

(٣) وتقدير القسم: أن يقولوا عند معاينة الموت بحق الرب أرجعون، وهناك وجه آخر وهو: أن ذلك يدل على تكرير الفعل كأنه قال: ارجعون، ارجعون، أو: أرجعني، أرجعني.
انظر: إعراب القرآن للنحاس ١٢١/٣ـ١٢٢)، ومشكل إعراب القرآن (٥٠٥/٢)، والمحرر الوجيز (٢٥٣/١١)، والتبيان في إعراب القرآن (٩٦٠/٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٤٩/١٢)، والبحر المحيط (٤٢١/٦)، والدر المصون (٣٦٦/٨ـ٣٦٧).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٤٩/١٢)، وأنوار التنزيل (٤٦٠).

(٥) انظر: أنوار التنزيل (٤٦٠).

(٦) انظر: الكشاف (٢٥٠)، وأنوار التنزيل (٤٦٠).

الرجوع، البرزخ: ما بين كلِّ شيئين[1]. ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ إقناط كلي إذ بعد البعث لا رجعة[2].

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ [١٠١-١٠٤].

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ نفخة البعث[3]. ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ﴾ لا نفع لها وإنما النافع هي الأعمال الصالحة[4]. روى أحمد بن حنبل[5] عن

(١) وهو ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، وكل من مات فقد دخل البرزخ.

انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٢٤٢)، والصحاح (١/٤١٩)، مادة «برزخ»، والغريبين في القرآن والحديث (١/١٦٩)، والمحرر الوجيز (١١/٢٥٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/١٥٠).

(٢) انظر: الكشاف (٤/١٢١)، والتفسير الكبير (٢٣/١٢١).

(٣) قاله ابن عباس من رواية سعيد بن جبير.

انظر: جامع البيان (١٨/٥٤)، الوسيط (٣/٢٩٨)، ومعالم التنزيل (٣/٣١٧).

(٤) انظر: أنوار التنزيل (٤٦٠)، والبحر المحيط (٦/٤٢١).

(٥) أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني، أحد الأئمة الأربعة، ولد سنة ١٦٤هـ، طلب العلم وهو صغير وبرز فيه، وصار إمام أهل السنة، وامتحن بخلق القرآن، وثبت على القول الحق، وأثنى عليه العلماء، وكان من أعلم الناس بمذاهب الصحابة والتابعين، مات سنة ٢٤١هـ.

انظر: طبقات الحنابلة (١/٤)، وسير أعلام النبلاء (١١/١٧٧).

المسور(١) أن رسول الله قال: «إن الأنساب تنقطع يوم القيامة(٢) إلا نسبي وسببي وصهري»(٣). أو لفرط الحيرة لا يتذكر أحد نسبه. ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي: لا يسأل بعضهم أحوال بعض؛ لشدة الأمر كيف و «يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه»(٤)، وهذا [في](٥) أوّل الأمر؛ لقوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ

(١) المسور بن مخرمة بن نوفل بن أُهيب القرشي، الزهري، أبو عبد الرحمن، ولد بعد الهجرة بعامين، صحابي جليل، كان مع ابن الزبير لـمّا تولّى الخلافة، وكان يشير على ابن الزبير فيأخذ برأيه، مات عام ٦٤هـ مقتولاً.
انظر: تهذيب الأسماء واللُّغات (٢/٩٤)، وسير أعلام النبلاء (٣/٣٩٠-٣٩٤).

(٢) في الأصل: «القيمة».

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣١/٢٠٨) ح١٨٩٠٧، قال المحقق: حسن بشواهده، وسعيد بن منصور في سننه (١/١٧٣)، والبزّار في البحر الزخّار (١/٣٩٧) ح٢٧٤، وقال: هذا الحديث قد رواه غير واحد عن زيد بن أسلم عن عمرو مرسلاً، وأبو بكر الخلال في السنة (٢/٤٣٣)، والطبراني في الأوسط (٤/٢٥٧)، والحاكم في كتاب معرفة الصحابة، باب كلّ نسب وسبب ينقطع (٣/١٤٢)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: منقطع. وأخرجه أيضاً في كتاب معرفة الصحابة، باب كان النبي ﷺ يمر بباب فاطمة (٣/١٥٨)، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في الأحاديث الصحيحة (٤/٦٥٠) ح١٩٩٥. انظر: تفسير القرآن للسمعاني (٣/٤٩١)، ومعالم التنزيل (٣/٣١٧)، وتفسير القرآن العظيم (٥/٤٨٩، ٤٩٠)، ومجمع الزوائد (١٠/١٧)، وتلخيص الحبير (٣/١٤٣).

(٤) أشار المصنف إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾ [عبس:٣٤-٣٥].

(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[1]، وفي الحديث: «يشفع المؤمن في سبعين من أقاربه وخِلاّنه»[2]. ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ موزونات أعماله الصالحة[3]. ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الفائزون بكلّ بغية[4]. ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ ومن لم يكن له عمل يوزن، لقوله: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾[5] عبّر عنه بالخفّة في مقابلة الثقل الذي هو ضدّه فيحسن الطباق. ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ حيث أوردوها مورد هلاك الأبد وفوّتوا حظوظها. ﴿ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ بدل من الصلة لا محل له من الإعراب، أو خبر آخر لأولئك[6].

---

(١) الآية (٢٥) من سورة الطور.

(٢) لم أجد هذا الحديث بهذا اللّفظ فيما لديَّ من المراجع. وقد أخرج أحمد في المسند (٤١٩/٢٨) ح١٧١٨٢، في فضائل الشهيد، وفيه: «ويشفّع في سبعين إنساناً من أقاربه»، قال المحقق: رجاله ثقات غير إسماعيل بن عياش. وفي حديث آخر: «وإن الرجل من أُمتي ليشفع للفئام من الناس فيدخلون الجنة، وأن الرجل ليشفع للقبيلة، وإن الرجل ليشفع للعصبة، وإن الرجل ليشفع للثلاثة، وللرجلين، وللرجل». المسند (٢٣٦/١٧) ح١١١٤٨، قال المحقق: صحيح لغيره.

(٣) انظر: الكشّاف (٢٥١/٤).

(٤) انظر: أنوار التنزيل (٤٦٠).

(٥) بعض الآية (١٠٥) من سورة الكهف.

(٦) انظر: الكشاف (٢٥١/٤)، وأنوار التنزيل (٤٦٠)، والدر المصون (٣٦٨/٨، ٣٦٩).

﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [تصيبها على][1] الدوام، اللَّفح والنفخ حرّ النار ووهجها، والأوّل أشدّ[2].

﴿ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ عابسون تتقلص شفاههم [وتبدو أسنانهم. روى][3] الترمذي[4]: «تتقلص شفة الكافر العليا حتى تبلغ وسط رأسه، والسفلى حتى تبلغ سرّته»[5].

(١) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٢٣)، والغريبين (٥/١٦٩٥)، وأنوار التتريل (٤٦١)، والدر المصون (٨/٣٦٩).

(٣) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٤) الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، إمام، حافظ، ارتحل وسمع الحديث بالعراق، وخراسان، ومكة، والمدينة، صنّف كتباً عِدّة منها: الجامع، وهو المشهور بالسنن، والعلل وغيرهما. مات سنة ٢٧٩هـ، بترمذ، وكان مولدة ٢١٠هـ.
انظر: وفيات الأعيان (٤/٢٧٨)، وسير أعلام النبلاء (١٣/٢٧٠).

(٥) جامع الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المؤمنين (٧١٩) ح٣١٧٦، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب صحيح». وأخرجه أحمد في المسند (١٨/٣٥٠) ح١١٨٣٦، قال المحقق: إسناده ضعيف، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير (٢/٢٤٦)، وقال: هذا حديث صحيح من إسناد المصريين، و لم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/١٨٢)، وأورده ابن حجر في الكافي الشاف (١١٦) ح٤٤، وفي سند الحديث دراج بن سمعان القرشي السهمي مولاهم، قال عنه ابن معين: ثقة. وقال النسائي: ليس بالقوي، وعدّه ابن شاهين في الثقات. انظر: الكامل في ضعفاء الرجال (٣/٩٧٩)، وتهذيب التهذيب (٣/٢٠٨، ٢٠٩)، وقد ضعّف الألباني إسناده في تخريج أحاديث المشكاة (٣/١٥٨٢).

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [١٠٥-١١١].

﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ تذكيرٌ لهم بما لأجله استحقوا هذا العذاب، وجمع بين عذاب النار وعذاب الندامة. ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾ [حتى][1] بلغت بنا هذا الحال. قرأ حمزة، والكسائي: (شقاوتنا) بفتح الشين والمدّ، وهما لغتان، كالسعادة والكتابة والقصر أخف، وهي لغة الحجاز[2]. ﴿ وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴾ عن طريق الرشاد. ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا ﴾ من النار. ﴿ فَإِنْ عُدْنَا ﴾ إلى ما كنّا فيه. ﴿ فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾ لأنفسنا. ﴿ قَالَ

(١) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٢) وهي قراءة الباقين.

انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٢٤٢)، وعلل القراءات (٢/٤٤١)، والتيسير (١٦٠)، والنشر (٢/٣٢٩)، والدر المصون (٨/٣٧٠).

﴿ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا ﴾. انزجروا كما تُزجر الكلاب، يُقال: خسأت[1] الكلب: زجرته، فخسأ انزجر لازم و [متعد][2][3].

﴿ وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ في رفع العذاب مطلقاً. وعن ابن عباس رضي الله عنه: لهم ستّ دعوات إذا دخلوا النار ينادون ألف سنة: ﴿ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا ﴾[4]، فيُجابون: ﴿ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي ﴾[5]، فيُنادون ألفاً ﴿ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ ﴾[6]، فيُجابون: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ ﴾[7]، فيُنادون ألفاً: ﴿ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ ﴾، فيُجابون: ﴿ قَالَ إِنَّكُم

---

(١) في الأصل: خساءت.

(٢) متعد: مطموسة في الأصل.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/٢٤)، والصحاح (٢/٦٦٨)، مادة «خسأ»، والمفردات (٢٨٢)، مادة «خسأ»، والكشاف (٤/٢٥٢)، والمحرر الوجيز (١١/٢٥٥)، وعمدة الحفاظ (١/٥٧٩)، مادة «خسأ».

وقول المصنف: لازم ومتعدٍّ، أي الفعل: خسأ، يقال: خسأت الكلب، وخسأ هو بنفسه.

انظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/١٢٣)، والبحر المحيط (٦/٤٢٣).

(٤) بعض الآية (١٢) من سورة السجدة.

(٥) بعض الآية (١٣) من سورة السجدة.

(٦) بعض الآية (١١) من سورة غافر، في هامش الأصل: موضع الاستشهاد: ﴿ بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴾ [غافر: ١١].

(٧) بعض الآية (١٢) من سورة غافر.

مَّٰكِثُونَ ﴾[1]، فينادون ألفاً: ﴿ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ ﴾[2]، فيجابون: ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾[3]، فينادون ألفاً: ﴿ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا ﴾، فيُجابون: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ... ﴾[4]، فيُنادون ألفاً: ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾[5]، فيُجابون: ﴿ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا ﴾[6]، فلا كلام لهم بعدُ إلاّ الزفير، والشهيق، وعواء الكلاب»[7]. وعن ابن عمر[8]: «ينادون ربنا غلبت علينا شقوتنا، ربنا أخرجنا منها» بقدر مدّة الدنيا مرتين، ثمّ يجيبهم بقوله: ﴿ ٱخْسَـُٔواْ

(١) الآية (٧٧) من سورة الزخرف.

(٢) في هامش الأصل: ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

(٣) الآية (٤٤) من سورة إبراهيم.

(٤) الآية (٣٧) من سورة فاطر.

(٥) بعض الآية (٩٩) من سورة المؤمنون.

(٦) بعض الآية (١٠٨) من سورة المؤمنون.

(٧) انظر: الكشّاف (٢٥٢/٤)، والمحرر الوجيز (٢٥٥/١١)، وقال: «واختصرت هذا الحديث لعدم صحته، لكن معناه صحيح»، وأنوار التنزيل (٤٦١).

(٨) ابن عمر: عبد الله بن عمر بن الخطّاب العدوي القرشي، أسلم وهو صغير، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، صحابي جليل، شهد فتح مكة، وغزا إفريقيا مرتين، وكفّ بصره في آخر حياته، روى كثيراً من الأحاديث عن النبي ﷺ، مات سنة ٨٤هـ، وكان مولده سنة ٣ من البعثة.

انظر: تهذيب الأسماء واللُّغات (٢٧٨/١)، وأسد الغابة (٢٢٧/٣)، وسير أعلام النبلاء (٢٠٣/٣).

فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾[1]. ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى ﴾ هم المؤمنون كافة، أو الصحابة، أو أصحاب الصُّفة[2]. ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا ﴾ هزؤاً. قرأ[3] نافع، وحمزة، والكسائي بضمّ السين، وهما[4] مصدر سخر: استهزأ، وياء النسبة للمبالغة.

وعن يونس[5] والفراء[6]: أنّ الضمّ من العبودية، والكسر من الاستهزاء، وهو المختار؛ لكونه نصّاً في المراد، وأخفّ[7][8]. ﴿ حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن حاتم (٢٥٠٩/٨)، وجامع البيان (٦٠/١٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٩٢/٥).

(٢) انظر: جامع البيان (٦٠/١٨)، والكشّاف (٢٥٢/٤)، وأنوار التنزيل (٤٦١).
وأصحاب الصُّفة: هم فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منزل، كانوا يأوون إلى موضع مظلل من المسجد النبوي. انظر: الغريبين (١٠٨٥/٤)، ولسان العرب (١٩٥/٩)، مادة «صف».

(٣) في «ق»: وقرأ.

(٤) أي القراءة بضمّ السين وكسرها.

(٥) يونس: يونس بن حبيب الضبي بالولاء، أبو عبد الرحمن، عالم، أديب، نحوي، أخذ عنه سيبويه، والكسائي، والفراء وغيرهم، وأكثر سيبويه من النقل عنه في كتابه، مات سنة ١٨٢هـ، من كتبه: معاني القرآن، والنوادر، والأمثال.
انظر: وفيات الأعيان (٢٤٤/٨)، وسير أعلام النبلاء (١٩١/٨).

(٦) الفراء: يحي بن زياد بن عبد الله الديلمي، أبو زكريا، إمام الكوفة في النحو. قال ثعلب: لولا الفراء ما كانت اللغة، عهد إليه المأمون بتربية ابنيه، كان مع علمه بالنحو فقيهاً، عالم بأيام العرب والطب، مات سنة ٢٠٧هـ، وكان مولده سنة ١٤٤هـ، من كتبه: معاني القرآن، والمذكر والمؤنث، واللغات، والحدود، ومشكل اللغة.
انظر: وفيات الأعيان (١٧٦/٦)، وتهذيب اللغة (٢١٢/١١).

(٧) انظر: معاني القرآن للفراء (٢٤٣/٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٤/٤)، والسبعة لابن مجاهد (٤٤٨)، وإعراب القرآن للنحاس (١٢٤/٣)، والكشف (١٣١/٢)، والتيسير (١٦٠)، والكشاف (٢٥٢/٤)، والموضح (٩٠١/٢، ٩٠٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٥٤/١٢)، والدر المصون (٣٧٠/٨، ٣٧١).

(٨) في هامش الأصل، «ص»: إذ لا معنى للعبودية إلاّ تساهماً.

﴿تَضْحَكُونَ﴾ أي: استمرّ بكم التشاغل باستهزائكم إلى أن جرّكم إلى ترك ذكري في أوليائي[1]، فلم تخافوني، وفيه دلالة على كمال اختصاص المسخور منهم[2]. ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ على أذاكم، وفي هذا الإكرام زيادة خسأ لأولئك الأضداد.

﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ ثاني مفعولي «جزيتهم».

وقرأ حمزة، والكسائي[3] بالكسر على الاستئناف، والمفعول، أي: الجزاء أو الجنة[4].

قال تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [١١٢-١١٨].

---

(١) ما بين المعكوفتين مطموسة في «ح».

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٢٥٢)، وأنوار التنزيل (٤٦١).

(٣) في «ح»، «ص» زيادة نافع.

(٤) وقرأ الباقون بفتح همزة «أنهم»، وروى خارجة عن نافع بكسر الهمزة.

انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٢٤)، والسبعة لابن مجاهد (٤٤٨، ٤٤٩)، وعلل القراءات (٢/٤٤٢، ٤٤٣)، والموضح (٢/٩٠٢)، والنشر (٢/٣٢٩، ٣٣٠).

﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ أي: قال الله تعالى، أو الملك الموكّل بعذابهم[1]. وقرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي (قل) على صيغة الأمر[2].

﴿ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ استقصروا مدّة لبثهم؛ لأن أيام السرور قصار، أو لأن الـمُمْتَحَن يستطيل أيام المحنة، ويستقصر أيام الدّعة، أو لأن المنقَضِي في حكم ما لم يكن[3]. ﴿ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴾ الملائكة الذين كانوا يعدّون أعمار العباد[4]، أو فاسأل[5] مَن يقدر على العدّ، فإنّا في شُغُل شاغل من ذلك[6]، إلاّ أنا على التخمين نظنه يوماً أو بعض يوم. ﴿ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٢٥٢).

(٢) وقرأ الباقون بالألف (قال).

انظر: علل القراءات (٢/٤٤٣)، والتيسير (١٦٠)، والموضح (٢/٩٠٢، ٩٠٣).

(٣) قاله الزمخشري. الكشّاف (٤/٢٥٢).

(٤) قاله مجاهد. انظر: جامع البيان (١٨/٦٣)، ومعاني النحاس (٤/٤٨٩)، وزاد المسير (٥/٤٩٥).

(٥) في «ق»: فسئل.

(٦) قاله قتادة. انظر: جامع البيان (١٨/٦٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/٤٩٠)، واختار الطبري القول بالعموم فقال:«وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال كما قال الله عزّ وجلّ ﴿ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴾ وهم الذين يعدون عدد الشهور والسنين وغير ذلك، وجائز أن يكونوا الملائكة، وجائز أن يكونوا بني آدم وغيرهم، ولا حجة بأي ذلك من أيّ ثبتت صحتها، فغير جائز توجيه معنى ذلك إلى بعض العادين دون بعض». جامع البيان (١٨/٦٣).

﴿تَعْلَمُونَ﴾ تصديقٌ لهم على تقالّ المدّة، وتوبيخٌ على غفلتهم التي كانوا فيها[1]. وقرأ حمزة، والكسائي «قل» على صيغة الأمر، والمأمور مَن في النار، والإفراد لإرادة الجنس، ووافقهما ابن كثير في الأوّل، وعليه رسم الكوفي، والمدّ أوفق؛ لقوله: ﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ﴾[2][3].

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ تقريرٌ فيه توبيخٌ على ظنهم الفاسد، و «عبثاً» حال، أي: عابثين، أو مفعول له أي: للعبث[4][5]. ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ عطف على «إنما خلقناكم»، ويجوز عطفه على عبثاً إن جُعِل مفعولاً له، أي: للعبث[6] ولترككم غير مرجوعين[7]. وقرأ حمزة، والكسائي بفتح التاء من

---

(١) انظر: أنوار التنزيل (٤٦١).

(٢) الآية (١١٢).

(٣) والمدّ قراءة الباقين.

انظر: جامع البيان (٢/٦٢، ٦٣)، وعلل القراءات (٢/٤٤٣)، والكشف (٢/١٣٢)، والتيسير (١٦٠)، والموضح (٢/٩٠٣)، والنشر (٢/٣٣٠).

(٤) في «ح»: للبعث.

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٢٥٣)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/٩٦٢)، وأنوار التنزيل (٤٦١)، والدر المصون (٨/٣٧٤). والعبث يطلق على اللّعب والخلْط، يُقال: عبث: إذا خلط عمله بلعب.

انظر: الصحاح (١/٢٨٦)، مادة «عبث»، والمفردات (٥٤٣)، مادة «عبث».

(٦) في «ح»: للبعث.

(٧) انظر: الكشّاف (٤/٢٥٣)، والدر المصون (٨/٣٧٥).

الرجوع[1]. ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾ الثابت الـمُلك الذي لا يزول ملكه من العبث، وكيف يليق به[2].

﴿ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ وصفه بالكرم؛ لأنه مظهر الأحكام، ومعدن البركات، أو لأنه عرش أكرم الأكرمين، [وصِف][3] بوصفه مجازاً حكمياً، كما يُقال: بيت كريم، إذا كان ساكنوه كِراماً[4].

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ﴾ شريكاً له في الألوهية. ﴿ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾ صفة ثانية للتوكيد لا أنّ في الآلهة ما يجوز قيام البرهان عليه، أو اعتراض بين الشرط والجزاء[5].

﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ﴾ فيُجازيه على قدر استحقاقه. ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ إنّ الشأن لا يفلح الكافرون، ومفهومه: أن المؤمنين مفلحون كما

---

(١) وقرأ الباقون بضمّ التاء.

انظر: السبعة (٤٤٩، ٤٥٠)، والموضح (٢/٩٠٣، ٩٠٤)، والنشر (٢/٢٠٨).

(٢) انظر: الكشاف (٤/٢٥٣).

(٣) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٢٥٣)، والتفسير الكبير (٢٣/١٢٨).

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٢٥٤)، والبحر المحيط (٦/٤٢٤، ٤٢٥)، والدر المصون (٨/٣٧٥، ٣٧٦).

نطق به صدر السورة، فانتظمت الفاتحة مع الخاتمة[1]. ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ الأمر له [والمراد][2] أمته، ليتوسلوا بهذا الدُّعاء إلى ذلك الفلاح[3].

وعن عمر بن الخطّاب قال: سمعنا دويّاً كدوي النحل، فمكثنا ساعة، فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة ورفع يديه، وقال: «اللّهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا، ثمّ قال: لقد أُنزلت عليَّ عشر آيات من أقامهنّ دخل الجنة، ثمّ قرأ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾»[4]. تمّت السورة ولله الحمد[5].

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٢٥٤)، وأنوار التنزيل (٤٦٢)، والبحر المحيط (٦/٤٢٥).

(٢) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٣) هذه مسألة أُصولية. انظرها بتوسع في: العدّة في أُصول الفقه (١/٣١٨)، والمختصر في أصول الفقه (١١٤)، وإرشاد الفحول (١١٤).

(٤) أخرجه عبد الرزّاق في المصنّف (٣/٣٨٣) ح٦٠٣٨، وعبد بن حميد في المنتخب (١/٥٢) ح١٥، والترمذي في سننه، كتاب التفسير، وباب ومن سورة المؤمنون (٧١٨) ح٣١٧٣، والبزّار في البحر الزّخّار (١/٤٢٧) ح٣٠١، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب الصلاة (١/٤٥٠)، وقال: «قال أبو عبد الرحمن:هذا حديث منكر تفرد به يونس بن سليم، ولا أعرفه». والعقيلي في الضعفاء (٤/٤٦٠) في ترجمة يونس بن سليم الصنعاني. وابن أبي حاتم في العلل (٢/٨١). والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، باب تفسير سورة المؤمنون (٢/٣٩٢). وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي». والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (١/٤٨٣)، والضياء في الأحاديث المختارة (١/٣٤٢)، وذكره ابن حجر في الكافي الشاف (١١٦) ح٤٦، وقال أحمد شاكر في تخريج أحاديث المسند (١/٢٥٥) ح ٢٢٣: إن إسناده صحيح». وفي سند الحديث يونس ابن سليم الصنعاني، وقد اختلف في توثيقه.
انظر: التاريخ الكبير (٥/٤١٣)، وتهذيب الكمال (٣٢/٥٠٩)، وتهذيب التهذيب (١١/٤٤٠).

(٥) في «ق»: والحمد لله.

تفسير
سورة النور

«سورة النور»

[مدنيّة وهي ثنتان أو أربعٍ وسبعون آية](1)(2)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ ﴾ [١-٣].

﴿ سُورَةٌ ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: هذه سورة ﴿ أَنزَلْنَٰهَا ﴾ صفته(3)، أو مبتدأ موصوف، والخبر محذوف، أي: فيما أوحينا إليك «سورة أنزلناها»(4).

---

(١) ما بين المعكوفتين مطموسة من «ص».

(٢) هذا العدد ورد في جميع النسخ، والصواب: أن عدد آي السورة ثنتان أو أربع وستون آية. انظر: جامع البيان (١٨/٦٥)، والكشّاف (٤/٢٥٦)، وإتحاف فضلاء البشر (٣٢٢)، والمحرر الوجيز في عدّ آي الكتاب العزيز (١١٧).

(٣) في «ق»: صفة.

(٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/١٢٧)، ومشكل إعراب القرآن (٢/٥٠٧)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/٩٦٣)، والبحر المحيط (٦/٤٢٧)، والدر المصون (٨/٣٧٧، ٣٧٨).

﴿وَفَرَضْنَٰهَا﴾ ألزمناكم ما[1] فيها من الأحكام. أصل الفرض: القطع والتقدير[2].

وشدّد ابن كثير، وأبو عمرو إمّا للمبالغة والتوكيد، أو لأن فيها فرائض شتّى[3]، ففيه براعة الاستهلال كما في: ﴿أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾[4]، أو بمعنى: فصّلنا[5]. وقيل: لكثرة المفروض عليهم[6]، وفيه أنه جارٍ[7] في سائر الفرائض. ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات لا تتوقف على فكر وتأمل. ﴿لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتتقون المحارم.

---

(١) في «ق»: بما.

(٢) انظر: المفردات (٦٣٠)، مادة «فرض»، والكشّاف (٤/٢٥٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/١٥٨).

(٣) وقرأ الباقون بالتخفيف. انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٢٤٤)، والسبعة (٤٥٢)، وعلل القراءات (٢/٤٥٥)، والتبصرة (٦٠٨)، والتيسير (١٦١)، والكشّاف (٤/٢٥٦).

(٤) بعض الآية (١) من سورة المائدة.

(٥) قاله أبو عمرو. إعراب القرآن للنحاس (٣/١٢٧).

(٦) انظر: الكشّاف (٤/٢٥٦).

(٧) في «ح»: صار.

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي ﴾ مرفوعان على الابتداء، والخبر محذوف عند الخليل[1]، وسيبويه[2]، أي: فيما يتلى عليكم، أي: جلدهما، ويجوز أن يكون: ﴿ فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ ودخول الفاء لتضمن الموصول معنى الشرط[3]، قدّم الزانية على الزاني عكس آية «السرقة»[4]؛ لأن بواعث الزنى[5] تبدو أوّلاً منها، ولأنها المحل[6]، فلو امتنعت لم يمكن[7] وقوعه. والجلد هو الضرب على

(١) الخليل: الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي الأزدي، أبو عبد الرحمن، إمام في اللُّغة، والعروض، وضع علم العروض، وهو شيخ سيبويه، عاش فقيراً، صابراً، مغموراً في الناس لا يُعرف، مات سنة ١٧٠هـ، وكان مولده سنة ١٠٠هـ، من مؤلفاته: كتاب «العين» ومات ولم يتمه، ومعاني الحروف، وتفسير حروف اللُّغة وغيرها.
انظر: وفيات الأعيان (٢/٢٤٤)، وسير أعلام النبلاء (٧/٤٢٩).

(٢) سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي مولاهم، أبو بشر، إمام النحاة، قَدِمَ البصرة، ولزم الخليل، رحل إلى بغداد، ناظر الكسائي، وأجازه الخليفة الرشيد بعشرة آلاف درهم، ألّف كتابه الشهير في النحو «الكتاب»، مات سنة ١٨٠هـ، وكان مولده سنة ١٤٨هـ.
انظر: تاريخ بغداد (١٢/١٩٥)، ووفيات الأعيان (٣/٤٦٣).

(٣) الرأي الثاني رأي الأخفش، والمبرد، وغيرهما. وانظر المسألة بتوسع في: الكتاب (١/١٤٣)، ومعاني القرآن للأخفش (١/١٠٣)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/٢٧، ٢٨)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/١٢٧، ١٢٨)، ومشكل إعراب القرآن (٢/٥٠٨)، والكشّاف (٤/٢٥٦)، وشرح المفصل (١/١٠٠)، والبحر المحيط (٦/٤٢٧)، والدر المصون (٨/٣٧٩، ٣٨٠)، واللُّباب في علوم الكتاب (٧/٣١٨ ــ ٣٢٢).

(٤) الآية (٣٨) من سورة المائدة.

(٥) في «ق»: الزنا.

(٦) في «ح»: المحلى.

(٧) في «ح»، «ق»: يكن.

الجلد[1]. وفيه إشارة إلى التخفيف، وهذا حكم العَزَب الحرّ، والعبد يُجلد نصفه، وأمّا المحصن فالرجم؛ لقوله: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما»، وكان قرآناً نُسِخَ لفظه[2]، وزاد الشافعي على الجلد تغريب[3] عام على الحرّ؛ لما روى مسلم والبخاري مرفوعاً: «البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام»[4]، ولم [يقل][5] به أبو حنيفة؛ لأن خبر الواحد لا يُزاد به على الكتاب[6]، وشرط أبو حنيفة الإسلام في

(١) انظر: المفردات (١٩٩)، مادة «جلد»، والكشّاف (٤/٢٥٦)، وأنوار التنزيل (٤٦٢).

(٢) أخرج البخاري في كتاب الحدود، باب: رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت (٤/٢٥٧) ح٦٨٣٠، من حديث طويل عن عمر بن الخطاب، وفيه: «فكان مما أنزل الله آيَة الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، فرجم رسول ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله». وأخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الحدود، باب حدّ الزنا (١١/١٩١)، وأبو داود في سننه، كتاب الحدود، باب في الرجم (٤/١٤٣) ح٤٤١٨، والترمذي في سننه، كتاب الحدود، باب ما جاء في تحقيق الرجم (٣٤٦) ح١٤٣١، ١٤٣٢، وابن ماجة في سننه، كتب الحدود، باب في الرجم (٢/٨٥٣، ٨٥٤) ح٢٥٥٣، والحاكم في المستدرك، كتاب الحدود (٤/٤٥٩) ح٨٠٧١، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) في الأصل: تعريب.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب الاعتراف بالزنا (٤/٢٥٦) ح٦٨٢٧، ٦٨٢٨، وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الحدود، باب حدّ الزنا (١١/١٨٨).

(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٦) خبر الواحد أي: خبر الآحاد، وهو خلاف المتواتر، وهو ما لم تجتمع فيه شروط التواتر من الجمع الكثير، وأن يستحيل تواطؤهم على الكذب، واستمرار ذلك من أوّل السند إلى آخره. انظر: الوسيط في علوم الحديث (١٨٩ـ١٩٨).

الإحصان[1]؛ لقوله ﷺ: «من أشرك[2] بالله فليس بمحصن»[3]. وللشافعي ما في البخاري ومسلم أن رسول الله رجم يهوديين[4]، قيل: إن المحصن في ذلك الحديث من يقتصّ له من المسلم[5]. ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ هي شدّة الرّحمة، وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة، وهما لغتان[6]. ﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾ في نصره ورفع شأنه.

---

(١) انظر هذه المسألة وما قبلها في: الأمّ (٦/١٣٥ــ١٥٤)، والحاوي (١٣/١٨٤ــ٢١١)، والعدّة في أصول الفقه (٣/٧٨٠ــ٧٨٩)، وبدائع الصنائع (٨/٣٨، ٣٩)، والمغني (١٢/٣٠٨ــ٣١٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/١٥٩)، وشرح مختصر الروضة (٢/٢٧٥ــ٢٧٩).

(٢) في «ح»: أشرف.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنّف (٥/٥٣٦) ح٢٨٧٥٤، والدار قطني في سننه (٣/١٤٧) ح١٩٨، وقال: الصواب أنه موقوف. والبيهقي في السنن الكبرى (٨/٢١٦)، وابن حجر في الدراية في تخريج أحاديث الهداية (٢/٩٩) ح٦٥٩، الكافي الشاف (٤٩) ح١١٦. وانظر: الكشّاف (٤/٢٦٠)، وأنوار التنزيل (٤٦٢)، والفتح السماوي (٢/٨٦٢) ح٧٤١، ونيل الأوطار (٧/٢٥٩).

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦] (٢/٥٣٧) ح٣٦٣٥، وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الحدود، باب حدّ الزنا (١١/٢٠٨، ٢٠٩).

(٥) انظر: أنوار التنزيل (٤٦٢).

(٦) أي: القراءة بفتح الهمزة، وإسكانها، والإسكان قراءة الباقين. انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٢٢٥)، والسبعة (٤٥٢)، وعلل القراءات (٢/٤٤٥)، وتهذيب اللّغة (١٥/٢٣٨)، والكشف (٢/١٣٣)، والموضح (٢/٩٠٦، ٩٠٧)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/٩٦٤)، والنشر (٢/٣٣٠).

﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ فإن الإيمان بهما يقتضي ذلك. وإيثار «إن» وإيمانهم مقطوع به؛ لأن الجنسية وميل الطبع على المسامحة والمساهلة.

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فإن الحكمة في شرع الحدّ الزجر عن المعاودة، والنفوس الأبيّة تنزجر بالتشهير أكثر من الضرب والعذاب، لا سيما بين قومه وأهل حرفته، ولذلك قُيّد بالمؤمنين[1]، والطائفة الجماعة التي يمكن أن تكون حافّة حول الشيء من الطواف[2]. وعن ابن عباس: من الأربعة إلى الأربعين، ولا ينافي هذا ما روي عنه من واحد فصاعداً[3]، لأن الغرض هو التشهير، ولا يحصل إلاّ بالجمّ، وذلك بحسب اللُّغة، وهو الطواف والدوران[4].

(١) وكذلك يراد بحضور الطائفة من المؤمنين: الدعاء لهما بالتوبة والرحمة، أو ليعلم بقاؤهما على الشهادة أو إعلان الحدّ. انظر: الكشّاف (٤/٢٦٥)، والتفسير الكبير (٢٣/١٤٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/١٦٧)، وتفسير القرآن العظيم (٦/٧).

(٢) انظر: تهذيب اللُّغة (١٤/٣٥)، مادة «طوف»، والمفردات (٥٣١، ٥٣٢)، وأنوار التنزيل (٤٦٢)، وعمدة الحفّاظ (٢/٤٩٠، ٤٩١)، مادة «طوف».

(٣) انظر: معاني النحاس (٤/٤٩٦)، والكشّاف (٤/٢٦٤)، وزاد المسير (٦/٨)، وتفسير ابن كثير (٦/٦).

(٤) يقول الطبري ــ رحمه الله ــ:«وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: أقل ما ينبغي حضور ذلك من عدد المسلمين: الواحد فصاعداً، وذلك أن الله عمّم بقوله:

﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾ عن عائشة[1] رضي الله عنها أنّ حكمها باقٍ، وأن من تزوج بالزانية، فهو زانٍ على الدوام[2]، وبه قال الإمام أحمد[3]. وعن سعيد بن المسيب[4] أن الأمر كان على ذلك

﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ ﴾، والطائفة قد تقع عند العرب على الواحد فصاعداً...، غير أني ــ وإن كان الأمر على ما وصفت ــ استحب أن لا يُقْصَر بعدد من يحضر ذلك الموضع عن أربعة أنفس، عدد من تقبل شهادته على الزنا؛ لأن ذلك إذا كان كذلك، فلا خلاف بين الجميع أنه قد أدّى المقيم الحدّ ما عليه في ذلك». جامع البيان (١٨/٧٠) بتصرف. واختار الزجاج أن الطائفة اثنان فقال: «وأقلّ الجماعة إثنان، وأقلّ ما يجب في الطائفة عندي اثنان، والذي ينبغي أن يُتحرى في شهادة عذاب الزاني أن يكونوا جماعة؛ لأن الأغلب على الطائفة الجماعة». معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٢٩).

(١) عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها، أُمّ المؤمنين، تزوج بها النبي ﷺ بمكة قبل الهجرة، وهي بنت ستّ سنين، ودخل بها وهي بنت تسع سنين، ولم يتزوج بكراً غيرها، كانت عالمة، روت كثيراً من الأحاديث، توفيت سنة ٥٨هـ، وقيل ٥٧هـ، ودفنت بالبقيع.
انظر: الطبقات الكبرى (٨/٥٨)، وحلية الأولياء (٢/٤٣).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٢٦٦)، والتفسير الكبير (٢٣/١٥٠)، والبحر المحيط (٦/٢٣٠).

(٣) انظر: المغني (٩/٥٢٦)، وتفسير القرآن العظيم (٦/٨).

(٤) سعيد بن المسيّب بن حزن بن أبي وهب القرشي المخزومي، الإمام، سيّد التابعين في زمانه، قال عنه قتادة: «ما رأيت أعلم من سعيد المسيب»، ويقول علي بن المديني: «لا أعلم في التابعين أحداً أوسع علماً من ابن المسيّب ، هو عندي أجلّ التابعين»، مات سنة ٩٤هـ.
انظر: التاريخ الكبير (٣/٥١٠)، وسير أعلام النبلاء (٤/٢١٧).

فنُسِخ بقوله: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ﴾[1][2]، وقيل: نزلت الآية في أصحاب الصُّفّة كانوا فقراء، وكان بالمدينة بغايا موسرات، فأرادوا نكاحهنّ، فاستأذنوا رسول الله ﷺ فنزلت[3]، والأصح أنها تنفير عن نكاح البغايا وتزهيد، وإشارة إلى أن[4] أهل الإيمان والصلاح يليق بهم الرغبة إلاّ في العفائف، فإن الأخلاق تسري، والمصاحبة تؤثّر.

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه[5].

---

(١) بعض الآية (٣٢) من سورة النور.

(٢) انظر: تفسير القرآن للصنعاني (٢/٥١)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/٤٩٩)، وتفسير القرآن للسمعاني (٣/٥٠١)، والمحرر الوجيز (١١/٢٦٩)، وتفسير القرآن العظيم (٦/١١)، وردّ ابن القيّم هذا القول بقوله: «ولا يخفى أن دعوى نسخ الله بقوله ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ﴾ من أضعف ما يُقال» زاد المعاد (٥/١١٤). وكذلك فالنسخ هنا لا دليل عليه، ولا ينسخ الخاص بالعام.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٢٩)، والنكت والعيون (٤/٧٣)، والوسيط (٣/٣٠٤)، والكشّاف (٤/٢٦٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/١٦٨).

(٤) «أن» ساقطة من «ح».

(٥) تمام البيت: فكلّ قرين بالمقارن مقتدي. وقائله: عدي بن زيد، وهو من بحر الطويل. انظر: بهجة المجالس (٢/٥٠٧)، ومحاضرات الأدباء (٢/٣)، وحماسة البحتري (٣٣٦).

وتقديم[1] الزاني عكس ما في صدر السورة؛ لأن النكاح صفة الرجال، وهم الأصل في ذلك[2]. ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ كراهة تحريم أو تنزيه على القولين[3].

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [٤-٥].

---

(١) في «ح»: وتقدم.

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٢٦٧).

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٤٦٣). والقولان هما:

١ ـ القول بأن الآية محكمة، وبه قال الإمام أحمد.

٢ ـ القول بأنها منسوخة، وبه قال الجمهور.

انظر: أحكام القرآن للجصاص (٥/١٠٧)، والمغني (٩/٥٢٦)، ومحاسن التأويل (١٢/٤٤٤٣ ـ ٤٤٤٧)، وأضواء البيان (٦/٧١ ـ ٨٤). وقال ابن القيم: «وأمّا نكاح الزانية، فقد صرح الله سبحانه وتعالى بتحريمه في سورة النور، وأخبر أن من نكحها فهو زانٍ أو مشرك، فإنه إمّا أن يلتزم حكمه سبحانه ويعتقد وجوبه عليه أوْ لا، فإن لم يلتزمه و لم يعتقده فهو مشرك، وإن التزمه واعتقد وجوبه وخالفه فهو زانٍ، ثمّ صرّح بتحريمه فقال: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾». زاد المعاد (٥/١١٤).

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ﴾ يقذفون العفائف من النساء بالزنى[1]، دلّ عليه ذِكْرُ الإحصان، وتقييد الشهود بالأربعة[2]. وقرأ الكسائي بكسر الصاد[3].

﴿ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾ يشهدون بزنا[4] المقذوفة، بأنهم رأوا ذكر الزاني في فرجها كالميل[5] في المكحلة[6]. ﴿ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ ﴾ إذا كان[7] المقذوف محصناً.

(١) في «ح»: الزنا.

(٢) انظر: الكشّاف (٢٦٨/٤)، وأنوار التنزيل (٤٦٣).

(٣) وقرأ الباقون بفتح الصاد، والمعنى على فتح الصاد أنه أحصنها غيرها، أمّا بالتزويج، أو الإسلام، أو الولي بتزويجها، وعلى كسر الصاد أحصنتْ نفسها بالعفّة، أو بالتزويج.
انظر: علل القراءات (١٤٣/١، ١٤٤)، والكشف (٣٨٤/١)، والموضح (٤١١/١)، والنشر (٢٤٩/٢).

(٤) في الأصل، «ح»، «ص»: بزنى.

(٥) في «ح»: كالمثل.

(٦) أخرج أبو داود بسنده من حديث جابر بن عبد الله وفيه: «فجاءوا بأربعة شهداء أنهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة، فأمر رسول الله ﷺ برجمهما». كتاب الحدود، باب في رجم اليهوديين (١٥٤/٤، ١٥٥) ح٤٤٥٢. والميل: ويُسمّى المكحل والمِكحال ما يُجعل به الكحل في العين.
انظر: الصحاح (١٨٢٣/٥)، مادة «ميل»، والمعجم الوسيط (٨٩٤/٢)، مادة «ميل».
والمكحلة: بضمّ الميم والحاء الوعاء الذي فيه الكحل، وجمعه مكاحل.
انظر: الصحاح (١٨٠٩/٥)، مادة «كحل»، والمعجم الوسيط (٧٧٨/٢)، مادة «كحل».

(٧) في «ح»: كانت.

والإحصان بالبلوغ، والحرية، والعقل، والإسلام، والعفّة من الزنا(١)، ولا فرق بين الذكر والأُنثى، وتخصيص المحصنات؛ لنزول الآيات فيهنّ، أو لأنّ قذف النساء أغلب(٢). ولا يشترط اجتماع الشهود، وكذا لا تقبل شهادة الزوج عند الشافعي خلافاً لأبي حنيفة [فيهما](٣)(٤). وأشدّ الضرب التعزير، ثمّ حدّ الزنا(٥)، ثمّ شرب الخمر، [ثمّ القذف](٦)؛ لتفاوت أسبابها(٧). فإن قلت: قوله

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٢٦٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/١٧٣)، والمغني (١٢/٣٨٥).

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٤٦٣).

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٤) انظر: المهذّب في فقه الإمام الشافعي (٢/٣٣٣)، والكشّاف (٤/٢٦٨)، والمغني (١٢/٣٦٦)، وأنوار التنزيل (٤٦٣).

(٥) في «ق»: الزنا.

(٦) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٧) هذا الترتيب مشهور عند الأحناف، وقُدِّم ضرب التعزير مع أنه أقلّ في العدد؛ لأن الضربات تجمع على عضو واحد ولا يُفرّق، وقال بعضهم: لأنه أشدّ إيلاماً، وقيل غير ذلك. انظر: الكشّاف (٤/٢٦٨)، وبدائع الصنائع (٧/٦٤)، والهداية (٢/١١٧)، وحاشية ابن عابدين (٤/٧١)، واللُّباب في شرح الكتاب (٣/١٩٩).

الحدود تدرأ[1] بالشبهات[2] يقتضي أن لا يُحدّ القاذف؛ لكون خبره يحتمل الصدق؟.

قلت: تلك الشبهة مضمحلة؛ حفظاً لأعراض المسلمين التي هي كدمائهم، ولذلك أكّده بقوله: ﴿وَلَا نَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً﴾ أي: أيَّ شهادة كانت، زيادة في عقوبته حيث لم يستر على المؤمن عورته المأمور بسترها. قال ﷺ: «من ستر على مسلم[3] ستر الله[4] عليه يوم القيامة»[5][6]. ولا يتوقف ردّ الشهادة على استيفاء الحدّ عند الشافعي؛ لأن العطف بالواو لا يقتضي الترتيب، ولأنه قبل

(١) في «ح»، «ص»: تدراء.

(٢) أخرج الترمذي بسنده عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مخرج فخلّوا سبيله». كتاب الحدود، باب ما جاء في درء الحدود (٣٤٥) ح١٤٢٤. وانظر: الدراية في تخريج أحاديث الهداية (٢/٩٤، ١٠١)، وسنن الدار قطني (٣/١٢٠)، كتاب الحدود والديّات، والمستدرك، كتاب الحدود، باب إن وجدتم مخرجاً لمسلم فخلوا سبيله (٤/٣٨٤)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقال: قال النسائي: يزيد بن زياد شاميّ متروك. ونصب الراية (٣/٣٠٩). والصواب أنه موقوف على عائشة رضي الله عنها.

(٣) في «ح»: مؤمن.

(٤) في هامش الأصل: «وقال هلاّ سترته، وفي رواية: لو سترته بذلك كان خيراً لك».

(٥) في «ق»: القيمة.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يسلمه (٣/١٩٠) ح٢٤٤٢. ومسلم، كتاب البرّ، باب تحريم الظلم (١٦/١٣٥). انظر: صحيح مسلم بشرح النووي.

الحدّ أسوأ حالاً؛ لكون الحدود كفارات. ﴿أَبَدًا﴾ مدّة حياتهم عند أبي حنيفة، أو ما داموا قاذفين عند الشافعي رحمه الله[1].

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون ﴿هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ الكاملون فيه. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ][2] بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ راجع إلى الأخيرة عند أبي حنيفة؛ لأنها منقطعة عن الأوّلين، فيتعلق الاستثناء بها لا محالة، والأبد: مدّة حياة القاذف، وعند الشافعي الاستثناء من الضمير المجرور.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ اعتراض يجري مجرى التعليل غير منقطع عن الأوّل، ولذلك توسط بين المستثنى والمستثنى منه. ويجوز أن يكون الاستثناء عنده أيضاً راجعاً إلى الأخيرة؛ لأن الحكم يزول بزوال علّته، وأن يرجع إلى الجمل الثلاث[3]، كما هو الأصل عنده من أن الاستثناء بعد الجمل المتعاطفة عائد إلى الكلّ، كقولك: وقفت على أولادي وأولاد أولادي الأغنياء منهم[4].

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٢٦٨)، والهداية (٣/١٢٢)، وأنوار التنزيل (٤٦٣)، والمغني (١٤/١٨٨ـ١٩١)، وبدائع الصنائع (٧/٦٤، ٦٥).

(٢) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٣) في الأصل، «ح»، «ص»: الثلث.

(٤) هذه المسألة تحتاج إلى إيضاح، وفيها آراء مختلفة أشهرها:

فإن قلت: كيف يستقيم رجوع الاستثناء إلى الجمل الثلاث مع أن الجلد لا يسقط بالتوبة إتفاقاً. قلت: الجلد أو ما[1] يقوم مقامه من الاستحلال من تمام التوبة، أو لأنّ ذلك الأصل ظاهر ترك بالإجماع على وجوب الجلد، أو خُصَّ منه؛ لأنه حقّ العباد، ويؤيد ما ذهب إليه ما رواه البخاري أنّ عمر حدّ أبا

١ــ إذا ورد الاستثناء بعد جمل عطف بعضها على بعض فهو يعود لكلّ ما سبق، إلاّ أن يقوم دليل على إرادة البعض سواء اختلف العامل أم لا، وعلى هذا الرأي ابن مالك وغيره.

٢ــ إذا اتحدّ العامل فالاستثناء من كلّ ما سبق، وإن اختلف فللأخيرة خاصّة، وعليه المهاباذي.

٣ــ إن عطفت الجمل بالواو عاد للكلّ أو بالفاء عاد للأخيرة فقط، وعليه ابن الحاجب، وهناك آراء أُخرى. انظر: الكشّاف (٤/٢٦٩)، والبيان في إعراب القرآن (٢/١٩١)، والإحكام في أُصول الأحكام (١/٤٠٨)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/٩٦٤)، وشرح الكافية (١/٢٤٤)، والدر المصون (٨/٣٨٢).

(١) في «ق»: وما.

بكرة[(١)(٢)]، وشبل بن معبد[(٣)]، ونافعاً[(٤)] حين شهدوا على مغيرة بن شعبة[(٥)] بالزنى[(٦)]، ولم يوجد الرابع[(٧)]، ثمّ قال: «ومن تاب منكم قبلت توبته»[(٨)]. وإليه ذهب عمر بن

(١) في «ح»: أبا بكر.

(٢) أبو بكرة: نُفيع بن الحارث بن كِلدة الثقفي، قيل له أبو بكرة؛ لأنه تدلى ببكرة في حصار الطائف، وفرَّ إلى النبي ﷺ فأسلم على يده، وكان عبداً فأعتقه، اعتزل الفتن، وكان من فضلاء الصحابة، مات سنة ٥١هـ. انظر: الطبقات الكبرى (١٥/٧)، وسير أعلام النبلاء (٣/٥ـ١٠).

(٣) شبل بن معبد بن عبيد البجلي، تابعي مخضرم، لم يصح له سماع من رسول الله ﷺ، أمّه سميّة مولاة الحارث بن كلدة والدة أبي بكرة، ونافع.
انظر: تهذيب الأسماء واللُّغات (٢٤٢/١)، والإصابة (١٥٩/٢).

(٤) نافع بن الحارث بن كلدة الثقفي، أبو عبد الله، كان ممن نزل إلى رسول الله ﷺ من الطائف، سكن البصرة، وهو أوّل من اقتنى الخيل بالبصرة.
انظر: الطبقات الكبرى (٥٠٧/٥)، وتهذيب الأسماء واللُّغات (١٢٢/٢).

(٥) مغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي، صحابي مشهور، أسلم قبل الحديبية وشهدها، وشهد بيعة الرضوان، شهد اليمامة وفتوح الشام والعراق، يضرب المثل بدهائه، وجودة رأيه، ولي إمرة البصرة ثم الكوفة، توفي سنة ٥٠هـ. انظر: تهذيب الأسماء واللغات (١٠٩/٢)، وسير أعلام النبلاء (٢١/٣).

(٦) في «ق»: بالزنا.

(٧) بل كان موجوداً ولكنه اضطرب في الشهادة، وهو زياد بن أبيه.

(٨) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب شهادة القاذف والسارق والزاني (٢٥٠/٢).

عبد العزيز[1]، وطاووس[2]، والزهري[3]، والشعبي[4]، وشريح[5]، وسعيد بن جبير[6][7]. ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ أعمالهم. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما فرط منهم. ﴿رَّحِيمٌ﴾ بقبول التوبة.

---

(١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، أبو حفص، الخليفة الراشد الخامس، تولى الخلافة، واشتهر بالعدل والزهد، كان قد بالغ في صباه في التنعم، وتزوج فاطمة بنت عبد الملك، مات مسموماً سنة ١٠١هـ.
انظر: حلية الأولياء (٢٥٣/٥)، وفوات الوفيات (١٣٣/٣)، وشذرات الذهب (١١٩/١).

(٢) طاووس بن كيسان الفارسي، أبو عبد الرحمن، عالم اليمن، فقيه، إمام، من سادات التابعين، مات سنة ١٠٦هـ.
انظر: التاريخ الكبير (٣٦٥/٤)، وحلية الأولياء (٢٣/٤)، وسير أعلام النبلاء (٣٨/٥).

(٣) الزهري: محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهري، أبو بكر، حافظ زمانه، عالم جامع، أول من دون العلم، مات سنة ١٢٣هـ وقيل سنة ١٢٤هـ.
انظر: صفة الصفوة ١٣٦/٢)، وسير أعلام النبلاء (٣٢٦/٥).

(٤) الشعبي: عامر بن شراحيل الهمداني الشعبي، سمع من كبراء الصحابة، فقيه، محدث، حافظ، إمام في العلم، مات سنة ١٠٤هـ، وقيل سنة ١٠٥هـ.
انظر: حلية الأولياء (٣١٠/٤)، وسير أعلام النبلاء (٢٩٤/٤).

(٥) شريح بن الحارث بن قيس الكندي، قاضي الكوفة، فقيه، قاضٍ، حدّث عن عمر، وعلي، وحدّث عنه طائفة من التابعين، مات سنة ٧٨هـ، وقيل سنة ٨٠هـ. انظر: التاريخ الكبير (٢٢٨/٤)، وسير أعلام النبلاء (١٠٠/٤).

(٦) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، أبو محمد، ويقال أبو عبد الله، حافظ، مقرئ، مفسر، أحد أعلام التابعين، قال عنه الإمام أحمد: «قتل الحجاج سعيد بن جبير، وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه»، وكان مقتله سنة ٩٥هـ.
انظر: وفيات الأعيان (٣٧١/٢)، وسير أعلام النبلاء (٣٢١/٤).

(٧) اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين:

الأول: قول الجمهور بقبول شهادة القاذف إذا تاب، واستدلوا بالآتي:

١ــ بهذه الآية الكريمة، ويرون أن الاستثناء الوارد بعد جمل متعاطفات يرفع جميع ما تقدم.

٢ــ أن الكافر إذا تاب من كفره قبلت توبته، فكيف بالقاذف، والقذف ليس أعظم من الكفر.

٣ــ قول عمر ــ ﷺ ــ عندما جلد قَــذَفَــة المغيرة: «من تاب قبلت توبته».

<u>الثاني</u>: وذهب أبو حنيفة إلى عدم قبول شهادة الــقاذف، ويروى هذا القول عن الحسن، وسعيد ابن المسيب وغيرهما واستدلوا بالآتي:

١- في الآية ذَكَرَ الله ﴿وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا﴾ أي: مدّة الحياة.

٢ــ أن الاستثناء في الآية يرجع إلى الجملة الأخيرة فقط، فالاستثناء عندهم يرجــع إلى الجملــة الأخيرة فقط، وهو رأي نحوي كما سبق.

٣ــ حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّة عن النبي ﷺ أنه قال: «المسلمون عدول بعضهم على بعض إلاّ محدوداً في قذف».

والذي يظهر أن قول الجمهور هو الصواب؛ لما يأتي:

١ــ أن الاستثناء في الآية يرجع إلى كــلّ ما تقدم، وهو رأي كثير من العلــماء، ومنهم بعــض الأحناف كالزمخشري.

٢ــ أن التــأبيد الوارد في الآيــة يراد بــه: ما دامــوا مصرّين عــلى القــذف، فإن تابــوا ارتفــع التــأبيد.

٣ــ أمّا عن استدلالهم بالحديث فلو صحّ لحمل على عدم قبول شهادة المحــدود في قــذف إذا لم يتب.

انظر: معــاني القرآن للفراء (٢/٢٤٥، ٢٤٦)، وجــامع البيان (١٨/٨٠، ٨١)، ومعاني القرآن للزجاج (٣/٣١)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/١١٥ــ١٣٣)، ومعــالم التنزيــل (٣/٣٢٣)، والمهــذب (٢/٣٣٣)، والجــامع لأحكــام القرآن (١٢/١٧٩ــ١٨٢)، والمــغني (١١/١٨٤، ١٤/١٨٨)، وفتح الباري (٥/٢٥٥ــ١٥٨).

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [٦-١٠].

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ ﴾ روى البخاري عن ابن عباس أن هلال بن أُمية[١] قذف امرأته بشريك بن سَحْماء[٢]. فقال رسول الله ﷺ: البينة أو حدٌّ في ظهرك. فقال هلال[٣]: والذي بعثك بالحقّ إني لصادق، ولينـزلَنّ[٤]

(١) هلال بن أُميّة بن عامر بن قيس الواقفي الأوسي، الأنصاري، شهد بدراً وأُحداً، أسلم قديماً، وهو أحد الثلاثة المُخلّفين عن غزوة تبوك، ثمّ تاب الله عليهم، وكان يُكسِّر أصنام بني واقف، وكانت معه رايتهم يوم الفتح، وهو الذي قذف امرأته بشريك بن سَحْماء.

انظر: تهذيب الأسماء واللُّغات (٢/١٣٩)، والإصابة (٢/١٤٧).

(٢) شريك بن سحماء: هو شريك بن عبدة بن متعب بن الجدّ بن عجلان، ابن عمّ عاصم بن عديّ حليف الأنصار، وسحماء أُمّه، صحابي يُقال: إنه شهد أُحداً مع أبيه.

انظر: تهذيب الأسماء واللُّغات (١/٢٤٤)، والاستيعاب (٢/٧٠٥).

(٣) في «ح»: هلاك.

(٤) في «ح»: وليترل.

الله فيّ ما يبريء ظهري عن الحدّ. [فنزلت][1]، فأرسل رسول الله إلى هلال وامرأته فأتيا فتلاعنا، فقال رسول الله ﷺ: الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب[2]. فلما بلغت المرأة إلى الخامسة، فقالوا لها: إنها الموجبة [فنكصت][3] حتى ظننا أنها ترجع، ثمّ قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم، فمضت في الخامسة. فقال رسول الله ﷺ: أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين[4]، سابغ الإليتين[5][6]، خدلج الساقين[7] فهو لشريك بن سحماء. فجاءت به على النعت[8]، فقال رسول الله ﷺ:

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٢) في هذا الموضع سقط من نص الحديث في النسخ كلّها، وتمامه: «ثمّ قامت فشهدت».

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٤) في «ق»: العين.

(٥) في «ص»: الإليتين.

(٦) سابغ الإليتين: عظيم الإليتين، ويفسره الحديث الآخر.

(٧) خدلج الساقين: أي ممتليء الساقين والذراعين.

انظر: الصحاح (٣٠٩/١)، مادة «خدلج».

وفي هامش الأصل: خدلج بفتح الخاء وتشديد اللاّم غليظ الساقين.

(٨) أي: النعت المكروه كما في الحديث الآخر.

لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن[1]. وروى مسلم، والبخاري عن سهل بن سعد[2][3] أن[4] عويمراً[5] جاء إلى رسول الله، وذكر أنه رأى رجلاً مع امرأته، فوجده قد نزلت عليه فدعا بها[6] فتلاعنا. فقال عويمر: كذبت عليها إن أمسكتها ففارقها، فكانت سنة المتلاعنين[7]، فقال رسول الله ﷺ: أبصروها فإن

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ (٣/٢٦٤) ح٤٧٤٧.

(٢) في «ق»: سعيد.

(٣) سهل بن سعد بن مالك الساعدي الأنصاري، صحابي، أبو العباس، آخر من مات بالمدينة من الصحابة سنة ٩١هـ، وقيل ٨٨هـ، وكان مولده قبل الهجرة بخمس سنين.

انظر: أسد الغابة (٢/ ٤٧٢)، وتهذيب التهذيب (٤/٢٥٢).

(٤) «أن»: ساقطة من الأصل.

(٥) عويمر: عويمر بن الحارث بن زيد بن جابر العجلاني، ويقال: عويمر بن أبي أبيض، وأبيض لقب لأحد أجداده، وكان قد رمى زوجته بالزنا سنة تسعٍ من الهجرة، مات سنة ١١هـ.

انظر: الاستيعاب (٢/٥١٩) برقم ١٨٥٣، والإصابة (٣/٤٥).

(٦) في «ح»: لهما.

(٧) قول المصنف: «فكانت سنة المتلاعنين» من قول ابن شهاب، وهو مدرج في الحديث.

جاءت به أسحم[1]، أدعج[2] العينين، عظيم الإليتين، فلا أراه إلاّ قد صدق، وإن جاءت به أحيمر[3] كأنه وَحَرَة[4]، فلا أراه إلاّ كاذباً، فجاءت به على النعت المكروه[5]. ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيما رماها به من

انظر: صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب التلاعن في المسجد (٣/٤١٤) ح (٥٣٠٩)، وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب اللعان (١٠/١٢٢ ــ ١٢٣).

(١) أسحم: الأسحم: الأسود. انظر: الصحاح (٥/١٩٤٧) مادة «سحم».

(٢) أدعج العينين: الدعج: شدة سواد العين مع سعتها. انظر: الصحاح (١/٣١٤) مادة «دعج».

(٣) في «ح»: أحمر.

(٤) في «ح»: حزّه، وفي هامش الأصل: الوَحَرَة بثلاث فتحات: دويبة صغيرة تلتزق بالأرض.

(٥) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ﴾ (٣/٢٦٣) (ح ٤٧٤٥)، وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب اللعان (١٠/١١٩) بلفظ مختصر.

هذا الحديث والذي قبله أشكلا على أهل العلم في كيفية الجمع بينهما، وذلك على قولين:

القول الأوّل: ذهب أكثر العلماء إلى أن الحديثين حادثتان مختلفتان اتفق وقوعهما في زمن واحد فنزلت آيات اللّعان بعدهما، وهي مثال عندهم لتعدد أسباب النزول، والنازل واحد. يقول ابن حجر: «ولا مانع أن تتعدد القصص ويتحد النزول».

الزنى[1]. قرأ حمزة، والكسائي، وحفص أربع بالرفع على أنه خبر شهادة[2]، والنصب على المصدر[3]. ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فيما رماها به. هذا لعان الرجل، وحكمه سقوط الحدّ عنه، وحصول الفرقة بينهما على

القول الثاني: ويرى آخرون أن الحديثين قصّة واحدة وقعت لعويمر العجلاني، وجاء ذكر هلال ابن أُميّة خطأ، وهو وهم من أحد الرواة، ويستدلون بوصف الولد في الحديثين وأنه متفق. وكذلك القرابة بين عويمر العجلاني، وشريك، وامرأة عويمر، فكلّهم بنو عمٍّ، ومن قبيلة واحدة، والرجل الذي رميت به المرأة هو شريك بن سحماء في الحديثين. والذي يظهر ـ والله أعلم ـ أن القول الثاني هو الصواب. يقول القرطبي: «قال الكلبي: والأظهر أن الذي وجد مع امرأته شريكاً عويمر العجلاني؛ لكثرة ما روي أن النبي ﷺ لاعن بين العجلاني وامرأته، واتفقوا على أن هذا الزاني هو شريك بن عبدة، وأُمّة السحماء، وكان عويمر وخولة بنت قيس، وشريك بني عمّ عاصم». انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٢/١٨٤)، وفتح الباري (٨/٤٥٠، ٤٥١)، ومباحث في علوم القرآن (٨٩).

(١) في «ق»: الزنا.

(٢) في «ح»: شهاداه.

(٣) وقرأ بالنصب الباقون. انظر: السبعة (٤٥٢)، والكشف (٢/١٣٤)، والتيسير (١٦١)، والبيان في غريب إعراب القرآن (٢/١٩٢).

سبيل الأبد[1]؛ لقوله ﷺ: «المتلاعنان لا يجتمعان أبداً»[2]. وعند أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ لا بدّ من تفريق القاضي، على أنه طلاق[3]. ﴿ وَيَدْرَؤُا عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ فيما رماها به من الزّنا. ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ قرأ نافع «أن» مخففة في الموضعين، وكسر الضاد، وفتح

(١) انظر: أنوار التنزيل (٤٦٣)، والمغني (١١/١٤٤). والأبد: عبارة عن الزّمن الممتد الذي لا يتجزأ كما يتجزأ الزّمان، وتأبد الشيء: بقي أبداً، أي: مدّة متطاولة.

انظر: المفردات (٥٩)، مادة «أبد».

(٢) أخرجه الدار قطني في سننه، كتاب المهر (٣/٢٧٦، ٢٧٧)، والديلمي في الفردوس (٤/٢٠٢)، والطبراني في الكبير (٩/٣٣٤) ح٩٦٦١، وله شاهد من حديث سهل بن سعد، وفيه: «فمضت السنة بعد في المتلاعنين يفرق بينهما، ثمّ لا يجتمعان أبداً». أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطلاق، باب في اللّعان (٢/٢٨٢) ح٢٢٥٠، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/٤٠٩، ٤١٠)، وأبو نعيم الأصفهاني في مسند أبي حنيفة (١/١٥٥). وانظر: الهداية (٢/٢٤)، والتفسير الكبير (٢٣/١٧٠)، والمغني (١١/١٤٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/١٩٤)، وزاد المعاد (٥/٣٩١)، ونصب الرّاية (٣/٢٥٠)، والفتح السماوي (٢/٨٦٧)، ونيل الأوطار (٧/٦٦).

(٣) انظر: أحكام القرآن للجصّاص (٥/١٥٠)، والكشّاف (٤/٢٧٠)، والهداية (٢/٢٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/١٩٣)، وأنوار التنزيل (٤٦٣).

الباء، ورفع الله"[1]. ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ حذف الجواب، أي: لعاجلكم بالعقوبة أو لفضحكم[2].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [١١-١٤].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ هذه ثمانية عشرة آية[3] نزلت في عائشة رضي الله عنها حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا. روى البخاري عن عروة بن

(١) وقرأ الباقون بتشديد «أن» فيهما مع نصب الاسم بعدهما.

انظر: السبعة (٤٥٣)، والتبصرة (٦٠٩)، والتيسير (١٦١)، وإتحاف فضلاء البشر (٣٢٢).

(٢) في «ح»: ولفضحكم.

(٣) عبارة المصنف المذكورة وردت بها اللفظ في جميع النسخ، ولا يستقيم المعنى بها، ولعل الصواب: «هذه الآية إلى ثمانِ عشرة آية نزلت في عائشة». والآيات من ثمان عشرة إلى ستٍّ وعشرين لها علاقة وثيقة بقصة الإفك. انظر: الكشّاف (٤/٢٧٣)، وفتح الباري (٨/٤٧٧).

الزبير[1] أنّ عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا سافر غازياً أقرع بين نسائه، من خرجت قرعته سافرت معه. فغزا غزوة فخرج سهمها، فسافر بها، فلما قفل[2] ودنا[3] من المدينة، أذّن ليلةً بالرحيل، فخرجتْ وجاوزتْ الجيش؛ لحاجة الإنسان، فلما قضتْ شأنها وعادت، انقطع عقد لها، فانحبست لالتماسه، فاحتمل الرّهط[4] الذي كان[5] يُرَحِّلون هودجها[6]، فرَحلوه على البعير، وهم يحسبون أنها فيه، واستمر الجيش، فلمّا عادت إلى مكان الجيش وليس به داعٍ ولا مجيب، أقامت بمنزلها الذي كانت به، ظّانة أنهم يستفقدونها، وكان صفوان ابن المعطل

---

(١) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي، أبو عبد الله، أحد الفقهاء السبعة، عالم المدينة، قال ابن سعدٍ عنه: كان ثقة، ثبتاً، كثير الحديث، اعتزل الفتنة، تزوج بمصر وأقام بها سبع سنين، ثمّ عاد إلى المدينة، ومات بها عام ٩٣هـ. وكان مولده عام ٢٢هـ.
انظر: الطبقات الكبرى (١٧٨/٥)، وسير أعلام النبلاء (٤٢١/٤).

(٢) في «ح»: فعل.

(٣) في الأصل، «ح»، «ص»، «ق»: دنى، والصواب: دنا؛ لأن أصل الألف في هذا الفعل الواو، تقول: دنا يدنو.

(٤) الرهط: رهط الرجل: قومه وقبيلته، والرهط في النصّ: طائفة من الرجال دون العشرة، وقد يطلق على الرجال من ثلاثة إلى عشرة.
انظر: الصحاح (١١٢٨/٣)، مادة «رهط»، فتح الباري (٤٥٩/٨).

(٥) في «ق»: كانوا.

(٦) هودجها: الهودج: مركب من مراكب النساء يوضع على الإبل.
الصحاح (٣٥٠/١)، مادة «هدج».

السُّلَمي(1) من وراء الجيش متخلفاً، فرأى سواد إنسان(2)، فلمّا دنا(3) منه عرفها، وكان قد رآها قبل الحجاب، عظم عليه ذلك وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون حرمُ رسول ﷺ، فنزل من(4) راحلته وأناخها، ثمّ ولّى ظهره حتى ركبته أُمّ المؤمنين. فجاء بها وهم قد نزلوا في منزل، فرأوْها معه، وكان في الجيش رأس(5) المنافقين(6) عبد الله بن أبي بن سلول(7)، فخاض في حديث الإفك وأذاعه، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فصعد المنبر وقال: يا أيها الناس ما بال ناس يخوضون في عرض أهلي،

---

(1) صفوان بن المعطل السُّلَمي الذكواني، أبو عمرو، صحابي، شهد الخندق، والمشاهد كلّها، حضر فتح دمشق، قال عنه ﷺ: «ويذكرون رجلاً ما علمت منه إلاّ خيراً»، استشهد بأرمينية سنة ١٩هـ، وكان أحد أُمراء الجيش.
انظر: أُسد الغابة (٣/٣٠)، وسير أعلام النبلاء (٢/٥٤٥).

(2) سواد إنسان: السواد خلاف البياض، يطلق على الشخص إيّ شخص كان، فكأنها قالت إنه لما رآها لم يظهر له أهو رجل أو امرأة. فتح الباري (٨/٤٦٢).

(3) في النسخ كلّها: دنى، والصواب: دنا.

(4) في «ق»: عن.

(5) في «ح»: رئيس.

(6) في «ق»: المنفقين.

(7) عبد الله بن أُبي بن سلول: عبد الله بن أُبي بن مالك الخزرجي، أبو الحباب، أشتهر بابن سلول، وهو رأس النفاق في الإسلام، كان سيّد الخزرج قبل الإسلام، أظهر الإسلام بعد معركة بدر نفاقاً، انسحب يوم أُحد ومعه ثلاثمائة رجل، وعاد بهم إلى المدينة، تولّى إشاعة حديث الإفك، ولـمّا مات صلّى عليه رسول الله ﷺ، فعاتبه الله عزّ وجلّ بقوله: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ [التوبة: ٨٤].
انظر: جمهرة أنساب العرب (٣٥٤)، وتهذيب الأسماء واللُّغات (١/٢٦٠).

والله ما علمت على أهلي إلاّ خيراً، ويذكرون رجلاً ما علمت منه إلاّ خيراً. فوقع اللَّغط وهمّت الأنصار بالقتال، واستمر الأمر على ذلك حتّى نزلت الآيات(1).

﴿ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ هو ابن سلول، وحسّان(2)، ومسطح(3) وآخرون، والعصبة الرِّجال من العشرة إلى الأربعين(4). ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ﴾ أي: الإفك. ﴿ بَلْ هُوَ

(1) أورد المصنّف حادثة الإفك مختصرة، وقد أخرجها البخاري بأطول من هذا في كتاب التفسير، باب ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا ﴾ [النور:16] (3/265 ـ 267) ح4750. ومسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب التوبة، باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف (17/102ـ113).

(2) حسّان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد، الصحابي، شاعر النبي ﷺ، أحد المعمرين عاش مائة وعشرين سنة في الجاهلية والإسلام، كان شديد الهجاء، وكان ينافح عن النبي ﷺ وعن الإسلام، مات سنة 54هـ.

انظر: تهذيب التهذيب (2/247)، وأسد الغابة (2/5)، وسير أعلام النبلاء (2/512).

(3) مسطح بن أُثاثة بن عباد القرشي، أبو عبّاد، صحابي، شهد بدراً وأُحداً والمشاهد كلّها، خاض في حديث الإفك، فجلده النبي ﷺ، وامتنع أبو بكر الصديق من الإنفاق عليه، فأنزل الله ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ... ﴾ [النور: 22]، مات سنة 34هـ.

انظر: تهذيب الأسماء واللُّغات (2/89)، وأُسد الغابة (4/354).

(4) انظر: الكشّاف (4/273)، وأنوار التنزيل (464).

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لاكتسابكم به الثواب [العظيم](1)، ولكونه سبباً لنزول الآيات مشتملةً على الحكم، ومحاسن الأخلاق، لطفاً بالسامعين والتالين إلى يوم القيامة. الخطاب لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصّة رسول الله ﷺ، وأبو بكر(2)، وعائشة، وصفوان(3). ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ جزاء له بقدر ما خاض فيه وأفاض. ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ معظمه ﴿مِنْهُمْ﴾ من أولئك الخائضين ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ مكافأةً(4) على جنايته(5) العظيمة(6).

(1) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(2) في «ح»: وأبي بكر.

(3) انظر: الكشّاف (٤/٢٧٣)، وأنوار التنزيل (٤٦٤).

(4) في «ق»: مكافات.

(5) في «ق»: حيوته.

(6) اختلف أهل العلم في المراد بالذي تولّى كبره، وأغلب الأقوال وأقواها أنه عبد الله بن أبي بن سلول. واختاره الطبري وقال: «وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: الذي تولّى كبره من عصبة الإفك كان عبد الله بن أُبي، وذلك أنه لا خلاف بين أهل العلم بالسيَر أن الذي بدأ بذكر الإفك، وكان يجمع أهله ويُحدّثهم: عبد الله بن أُبي بن سلول، وفعله ذلك على ما وصفت كان توليه كِبْر ذلك الأمر». جامع البيان (١٨/٨٩). وانظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٣/٣١١)، ومعالم التنزيل (٣/٣٣١)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٠٠)، وتفسير القرآن العظيم (٦/٢٥)، وفتح الباري (٨/٤٥١).

﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا ﴾ بـــــــإخوانهم وأخواتهم، جعل المؤمنين كنفسٍ واحدة كقوله: ﴿ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾[1]. رُوِيَ أنّ أبا أيوب الأنصاري[2] قال لزوجته: يا أُمّ أيوب ألا ترين ما يُقال، فقالت: لو كنت أنت بدل صفوان أكنت تظنّ بحرم رسول الله سوءاً؟. قال: لا، قالت: ولو كنتُ أنا بدل عائشة ما خنت[3] رسول الله، فعائشة خير مني، وصفوان خير منك[4]. وإنما التفت إلى الغيبة؛ ليوبخ بالإعراض، وليصرح بالإيمان الذي يوجب

---

(١) بعض الآية (١١) من سورة الحجرات.

(٢) أبو أيوب الأنصاري: خالد بن زيد بن كليب الخزرجي البخاري، نزل في بيته النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة، شهد المشاهد كلّها، مات عام ٥٢هـ، ودفن بأصل حصن القسطنطينية.
انظر: التاريخ الكبير (١٣٦/٣)، وأُسد الغابة (٩٤/٢)، وسير أعلام النبلاء (٤٠٢/٢).

(٣) في الأصل: حنت.

(٤) انظر: جامع البيان (٩٦/١٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢٥٤٦/٨) ح١٤٢٢١، والكشّاف (٢٧٣/٤)، والمحرر الوجيز (٢٨١/١١)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠٢/١٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٦/٦).

الاشتراك فيه الاتحاد والمحاماة[1]. ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ صريح جازمين بذلك، حملاً على الصلاح كما يقول المستيقن[2].

﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ كما هو الحكم في مثله. ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي في شرعه. ﴿هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ ولذلك أوجب عليهم [الحدّ][3]. ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره، والأوليان للتحضيض[4]، والمعنى: ولولا أني قضيت أن أتفضل عليكم في الدنيا بضروب النِّعَم وفي الآخرة بالعفو والمغفرة[5].

---

(١) في «ق»: المحامات.

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٢٧٤)، وأنوار التنزيل (٤٦٤).

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٣٦)، والكشّاف (٤/٢٧٥)، وأنوار التنزيل (٤٦٤)، ورصف المباني (٥٩٧)، والدر المصون (٨/٣٩٠).

(٥) قاله الزمخشري. الكشّاف (٤/٢٧٥).

﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لعاجلتكم على ما خضتم[1] فيه من الإفك بعذاب يستحقر دونه الحدّ واللّوم[2].

قال تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [١٥-٢٠].

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ «إذ» ظرفٌ لمسّكم أو أفضتم[3]، وتلقّي القول وتلقّفه: أخذه من الغير[4]، منه قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾[5].

(١) في «ح»: خاضتم.

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٢٧٥).

(٣) في «ح»: وأفضتم.

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٢٧٥)، وأنوار التنزيل (٤٦٤)، والدر المصون (٨/٣٩١).

(٥) بعض الآية (٣٧) من سورة البقرة.

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم﴾ من غير أن يستند إلى ما في القلب. ﴿مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ بل مختصّ بأفواهكم يجري على ألسنتكم ليس إلاّ. ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ [سهلاً](١). ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ لرميكم حبيبة حبيبه بما هي عنه بريئة، وقصدكم بذلك القدح في عرضه، وخفض رفيع جنابه. رتبّ مسّ العذاب على آثام ثلاثة(٢): تلقّي الإفك بالألسنة والتحدث به من غير تحقّق، واستحقار ذلك، وعَدِّه هيناً(٣)، لا تقولن: لذنب إنه حقير فلعله نخلة عند الله [وهو عندكم](٤) نقير(٥). ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ أي: لولا قلتم وقت سماعكم، والمعنى: كان الواجب عليكم أوّل ما سمعتموه(٦) أن تعرضوا(٧) عنه، وتقولوا ما ينبغي أن نتكلم به، ولا يصح كقوله: ﴿مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٢) في الأصل، «ح»: ثلثة.

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٢٧٦)، والتفسير الكبير (٢٣/١٧٩)، وأنوار التنزيل (٤٦٤).

(٤) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٥) الكشّاف (٤/٢٧٦) بلفظ: «وفي كلام بعضهم». والنقير: ما كان في ظهر النواة، ويُضرب به المثل في الشيء الطفيف. انظر: الغريبين (٦/١٨٧٧)، والمفردات (٨٢١)، مادة «نقر».

(٦) في «ح»: سمعوه.

(٧) في «ح»: ترضوا.

بِحَقٍّ ﴾[1] ﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ تعجباً من شناعته، أو تنزيهاً من أن يكون حرم حبيبه موسوماً بشين، فضلاً عمّا ذكروه؛ لإنه هادمٌ لعرضه، منفرٌ عن اتباعه، بخلاف الكفر، فإنه ليس مما ينفّر، ولا يعود شناعته عليه[2]. ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ ما دمتم[3]. ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ فإن الإيمان يستدعي الاتصاف بما يُلائمه من الصفات الجميلة، والآداب الحسنة، وفيه [توبيخٌ][4] وتقريعٌ على ما وقع منهم. ﴿ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ﴾ الدّالة على الحِكَم والآداب ومحاسن الأخلاق. ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ كامل العلم بالأشياء ﴿ حَكِيمٌ ﴾ في كلّ ما تعلقت به إرادته.

---

(١) بعض الآية (١١٦) من سورة المائدة.

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٢٧٦، ٢٧٧)، والتفسير الكبير (٢٣/١٨٠)، وأنوار التنزيل (٤٦٥).
روي أن أمّ أيوب قالت لزوجها أبي أيوب الأنصاري: «ألم تسمع ما يقول الناس في عائشة؟. فقال: سبحانك هذا بهتان عظيم. فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ... الآية ﴾. أسباب النزول للواحدي (٣٧٣).

(٣) أي: ما دمتم أحياء مكلّفين. انظر: الكشّاف (٤/٢٧٧). والوعظ: تذكيرٌ للإنسان بما يلين قلبه، وقال الراغب: «الوعظ: زجرٌ مقترنٌ بتخويف». المفردات (٨٧٦)، مادة «وعظ»، وقال الجرجاني: «الوعظ: التذكير بالخير فيما يرق له القلب». التعريفات (٢٧٤).

(٤) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ أي: يشيعوها[1] عن قصدٍ ومحبة، ﴿فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالحدّ[2] ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ بعذاب النّار إن لم يتوبوا[3]. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فإن المحبة فعل القلب. ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ كرره مع حذف الجواب؛ لكونه معلوماً[4]، وفي إيثار (الرؤوف الرحيم) ما يدلّ على أن هذا الذنب لا يُتوسّل إلى رفعه إلاّ بمحض رأفته، وأنه أعظم من أن يرتفع[5] بالتوبة؛ إذ شتّان بين ما يتلقونه بأفواههم وما يحبونه بقلوبهم.

قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن

---

(١) في «ح»: تشيعوها.

(٢) انظر: معالم التنزيل (٣/٣٣٣)، والتفسير الكبير (٢٣/١٨٣).

(٣) انظر: جامع البيان (١٨/١٠٠)، ومعالم التنزيل (٣/٣٣٣).

(٤) انظر: جامع البيان (١٨/١٠٠)، والمحرر الوجيز (١١/٢٨٤)، وأنوار التنزيل (٤٦٥).

(٥) في «ح»: يرفع.

﴿يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [٢١-٢٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ﴾ آثاره وما يدعوكم إليه من المعاصي(١). قرأ بضمّ الطاء ابن عامر، والكسائي، وحفص وقنبل(٢)(٣)، وهي لغة الحجاز، والباقون بسكون الطاء، وهي لغة تميم(٤)، والضمّ أفصح وأشهر(٥).

﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ﴾ عِلّةٌ للنهي عن اتباعه، والفحشاء: ما فرط قبحه، والمنكر: ما أنكره الشرع من عطف العام

---

(١) انظر: جامع البيان (٢/٧٧)، (١٨/١٠١).

(٢) في «ح»: القنبل.

(٣) قنبل: محمد بن عبد الرحمن بن خالد المخزومي، مولاهم المكي، شيخ القراء بالحجاز، رحل القراء إليه من الأمصار للرواية عنه، كان على شرطة مكة، وكان لا يليها إلاّ رجلٌ من أهل الفضل، مات سنة ٢٩١هـ، وعمره ٩٦ سنة. انظر: معرفة القراء الكبار (١/١٢٩)، وغاية النهاية (٢/١٦٥).

(٤) تميم: تميم بن مر بن إدّ بن طابخة، تنسب إليه أكبر قبائل العرب ومنازلهم بنجد ما بين البصرة واليمامة. انظر: جمهرة أنساب العرب (٢٠٧، ٢٠٨)، ونهاية الأرب (١٧٧).

(٥) واختلف عن البزي، فروى عنه أبو ربيعة: الإسكان، وروى عنه ابن الحباب: الضمّ.
انظر: السبعة (١٧٤)، وعلل القراءات (١/٦٩)، وتهذيب اللّغة (٧/٤٩٥)، مادة «خطا»، والنشر (٢/٢١٦)، وإتحاف فضلاء البشر (٣٢٣).

على الخاص[1]. ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بتوفيق التوبة وشرع الحدّ[2]. ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ آخر الدّهر، أي: ما طهر من دنس الفاحشة التي ارتكبتموها لعِظَمِها[3]. ويجوز أن يكون الخطاب عاماً لهم ولغيرهم، إشارة إلى أنّ مَن لم[4] يَخُض فيها وطَهُر من دنسها إنما كان بتوفيق الله[5]. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ بتوفيق التوبة، أو بالعصمة. ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بالضمائر.

---

(١) انظر: معالم التنزيل (٣/٣٣٣)، والكشّاف (٤/٢٧٨، ٢٧٩)، وأنوار التنزيل (٤٦٥). وتطلق الفاحشة على ما تزايد فُحْشُه واشتدّ نُكْرُه من الأقوال والأفعال، والفواحش عند العرب كلّ ما فحش. وأمّا المنكر فهو ما تَحْكُم العقول الصحيحة بقبحه ويُنكِره الشرع من الأفعال. انظر: المفردات (٦٢٦، ٨٢٣)، وعمدة الحفّاظ (٣/٢٤٦)، (٤/٢٥٢، ٢٥٣).

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٤٦٥).

(٣) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (٣٠٢)، والكشّاف (٤/٢٧٩).

(٤) لم: ساقطة من «ص».

(٥) انظر: زاد المسير (٦/٢٣).

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ ﴾ في الدّين، [كان][1] من [أهل الإفك مسطح][2] ابن أُثاثة، وكان ابن خالة أبي بكر[3]. فلما نزلت الآيات في براءة عائشة حلف أبو بكر ألاّ[4] يُنْفِق على مسطح، وكان يُنفِقُ عليه، فنزلت[5]. والائتلاء افتعال من الألية، وهي الحلف، أو من الألو، وهو التقصير، والمعنى: لا تحلفوا على عدم الإحسان، أو لا تقصّروا في أن تُحسِنوا[6].

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٢) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٣) الصواب أن مسطحاً كان ابن بنت خالة أبي بكر. انظر:صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب التوبة، باب في حدث الإفك وقبول توبة القاذف (١٧/١٠٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٠٧).

(٤) في «ح»، «ص»: أن لا.

(٥) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث الإفك (٣/١٢٣) ح٤١٤١، وكتاب التفسير، باب: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ..... الآية ﴾ (٣/٢٦٤) ح ٤٧٥٠، ٤٧٥٧. وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف (١٧/١١٣).

(٦) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٢٤٨)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٣٦)، والصحاح (٦/٢٢٧٠، ٢٢٧١)، باب الواو والياء، فصل الألف، والمفردات (٨٣، ٨٤)، والكشّاف (٢٧٩)، والقاموس المحيط (١٦٢٧)، باب الواو والياء، فصل الألف.

﴿وَٱلسَّعَةِ﴾ في المـــال. ﴿أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ صفات لموصوف واحد، وهو مسطح، فإنه كان جامعاً لها. ويجوز أن يراد هو ومن يتصف به كائناً من كان. ﴿وَلۡيَعۡفُواْ﴾ وليتجاوزا عما فرط منهم.

﴿وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ﴾ وليعرضوا عنه ولا يذكروه فإنه يورث الوحشة بين المؤمنين. ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾ كما غفرتم سيئة أخيكم المؤمن، ولما تلاها رسول الله ـ ﷺ ـ على الصديق فقال: «بلى أحب أن يغفر الله لي». وأعاد النفقة على مسطح[1].

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ ذنوب عباده. ﴿رَّحِيمٌ﴾ يجزل الثواب فتخلقوا بأخلاقه.

---

(١) هذا الأثر سبق تخريجه مع سبب النزول فهو تتمة له. وقد استنبط العلماء من قصة مسطح مع أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنهما ـ: أن من حلف على يمين ورأى غيرها خيراً منها فإنه يأتي الذي هو خير، ويكفر عن يمينه. ورد في الحديث: «إني والله ـ إن شاء الله ـ لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وتحللتها». صحيح البخاري، كتاب كفارات الأيمان، باب الكفارة قبل الحنث وبعده (٤/٢٣٤) ح(٦٧٢١).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٢٣ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ٢٥ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [٢٣-٢٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ العفائف. ﴿ٱلۡغَٰفِلَٰتِ﴾ عن الفاحشة، أو سليمات الصدور النقيات(١) كقوله: «أكثر أهل الجنة بُلْـهٌ»(٢)(٣)(٤). ﴿ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ بما

(١) انظر: الكشاف (٤/٢٨٠).

(٢) في «ح»: بل.

(٣) في هامش الأصل: الحديث رواه ابن الأثير في النهاية. انظر: النهاية في غريب الحديث (٩٠).

(٤) أخرجه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (١/١٩١) ح(٣١) عن جابر، وقال:«هذا حديث باطل بهذا الإسناد» وفي (٣/٣١٣) ح(٧٧٣) عن أنس، وقال:«وهذا حديث بهذا الإسناد منكر».

والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (١/٣٦٢) ح(١٤٦٣). والقضاعي في مسنده الشهاب (٢/١١٠) ح(٩٨٩، ٩٩٠). والبيهقي في شعب الإيمان (٢/١٢٥) ح(١٣٦٦) عن جابر، وقال: «وهذا الحديث بهذا الإسناد منكر». وابن الجوزي في العلل المتناهية

يجب الإيمان به، قدّم عليه الغافلات؛ لاقتضاء المقام ذلك. ﴿لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بين المؤمنين. ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ عند الله. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لا يقادر قدره. ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ «يوم» ظرف لـ«عظيم»، أو لمعنى الاستقرار في «لهم»[1]. وقرأ حمزة، والكسائي بياء، وهو أولى؛ للفصل[2]. ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ جزاءهم اللائق بهم الثابت. ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت لذاته. ﴿ٱلْمُبِينُ﴾ الظاهر الواضح، دلت عليه ذرات الوجود، ومن هذا شأنه ينتقم من الظالم للمظلوم[3]. ولقد بالغ في إيعاد قذفة عائشة بما لم يوعد به أهل الشرك، وعبدة الأوثان حيث أجمل وفصل وجمع بين أنواع

(٩٣٤/٢) ح(١٥٥٨، ١٥٥٩)، وقال: «وهذان الحديثان لا يصحان». وانظر: مجمع الزوائد (٧٩/٨)، والديباج (١٩١/٦) ح(٢٨٤٧)، والمصنوع (٥٧/١) ح(٣٤).

وبُلْـهٌ: جمع أبله، وهو من طبع على الخير وغفل عن الشر، أو من غلبت عليه سلامة الصدر. وقيل: غير ذلك. انظر: تهذيب اللُّغة (٣١١/٦ــ٣١٢)، مادة «بله»، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٨١/١٧) والبحر المحيط (٤٤٠/٦).

(١) انظر: التبيان في إعراب القرآن (٩٦٨/٢)، والبحر المحيط (٤٤٠/٦)، والدر المصون (٣٩٥/٨).

(٢) وقرأ الباقون بالتاء. انظر: السبعة (٤٥٤)، والكشف (١٣٥/٢)، والتيسير (١٦١).

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٤٦٦).

العذاب لعن الدارين، والعذاب الذي لا يحاط به في الآخرة، والتفضيح الذي كل عذاب دونه في مشهد يوم عظيم»[1]. وعن ابن عباس أنه كان يفسر القرآن بالبصرة[2] فسئل عن هذه الآيات، فقال: «كل من أذنب ذنباً ثم تاب منه قبلت توبته إلا قذفة عائشة»[3]، ولعله أراد التغليظ كقوله في قاتل المسلم عمداً أن يخلد

(١) انظر: الكشاف (٤/٢٨٠-٢٨١). واختار الإمام الطبري القول بالعموم في معنى الآية، وقال «وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: نزلت هذه الآية في شأن عائشة، والحكم بها عام في كل من كان بالصفة التي وصفه الله بها فيها؛ وإنما قلنا ذلك أولى لأن الله عمّ بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ كل محصنة غافلة مؤمنة رماها رامٍ بالفاحشة من غير أن يخص بذلك بعضاً دون بعض، فكل رامٍ محصنة بالصفة التي ذكر الله جل ثناؤه في هذه الآية فملعون في الدنيا والآخرة، وله عذاب عظيم إلا أن يتوب من ذنبه ذلك قبل وفاته». جامع البيان (١٨/١٠٥). وانظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/١٣٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٢١٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٣٣).

(٢) البصرة: مدينة بالعراق، بُنيت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سنة ١٤هـ، واستقر بها بعض الصحابة والتابعين، ونسب إليها جمع كبير من أهل العلم، ولا تزال عامرة إلى يومنا هذا.
انظر: معجم البلدان (١/٤٣٠ - ٤٤٠)، والروض المعطار (١٠٥).

(٣) انظر: جامع البيان (١٨/١٠٤)، والكشاف (٤/٢٨١)، وتفسير القرآن العظيم (٦/٣٢ - ٣٣).

في النـــــار[1][2]. ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ ﴾ أي: الكلـمات الخبيـثات مثـل القـذف، وسـائر أقـوال الفحش مختصة بالرِّجـال الخبيـثين، وكذلـك الرجـال الخبيـثون مختـصون بهـا، وكذلـك الطيـبات والطيبون[3]. هذا كلام جارٍ مجرى المثل كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[4]، فيتناول عـائشة[5] والقالـة فيها تناولاً أوّليـاً، والخبيثـات مـن النساء

(١) وحجته في ذلك قوله تعـالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾ الآية (٩٣) من سورة النساء. فالتوبة من قاتل العمد لاتقبل؛ حرصاً على بقاء وعيـدها، والجمهور على خلافه، ويرون أن قول ابن عباس من باب التغليظ، وصححوا توبة القاتل كغيره.
انظر: الجواب الكـافي (١٧١)، والعواصم مـن القواصم (٢١/٩) وما بعـدها، وفـتح الباري (٤٩٥/٨ ــ ٤٩٦).

(٢) في هامش الأصل: لأن قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ لا استثناء فيها.

(٣) انظر: جامع البيان (١٠٦/١٨ ــ ١٠٩)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجـاج (٣٧/٤)، ومعـاني القرآن للنحاس (٥١٤/٤ ــ ٥١٥)، والوسيط (٣١٤/٣)، ومعالم التنزيل (٣٣٥/٣)، والكشاف (٢٨٣/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٣١١/١٢).

(٤) بعض الآية (٨١) من سورة الإسراء.

(٥) في «ق»، «ح»: العائشة.

للخبيثين من الرجال، وكذلك الطيبات منهن للطيبين منهم، وعائشة زوجة سيّد الطيبين، فأولى أن تكون[1] طيّبة[2].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: أهل البيت، وعائشة، ورسول الله، وصفونا. ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ أي: أهل الإفك من قالة السوء[3]. ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ من الله لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة، قيل برأ اللهّ أربعة بأربعة برأ[4] يوسف

(١) في «ح»: يكون.

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٢٨٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٣٥). واختار الطبري القول الأوّل وقال: وأولى هذه الأقوال في تأويل الآية قول من قال: عني بالخبيثات: الخبيثات من القول، وذلك قبيحه وسيئه للخبيثين من الرجال والنساء، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول هم بها أولى؛ لأنهم أهلها. والطيبات من القول وذلك حسنه وجميله للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من القول؛ لأنهم أهلها وأحقّ بها، وإنما قلنا هذا القول أولى بتأويل الآية؛ لأن الآيات قبل ذلك إنما جاءت بتوبيخ الله للقائلين في عائشة الإفك، والرامين المحصنات الغافلات المؤمنات». جامع البيان (١٨/١٠٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٣٨).

(٤) في «ح»، «ص»: براء.

بشاهد من أهلها[1]، وموسى من قول بني إسرائيل أنه آدر[2] بأن فرّ الحجر بثوبه، حتى رأوه عرياناً ما به بأس[3]، ومريم بإنطاق[4] ولدها[5]، وعائشة بإنزال هذه الآيات[6]. قلت: هناك خامس وهو جريج الرّاهب، حيث جاءت بَغِيّة من بغايا بني إسرائيل بولد. فقالوا لها: ممن هذا. قالت: مِن جريج فأتوه وهدموا صومعته، وأرادوا قتله، فسألهم[7] عن سببه، فأخبروه، فتوضأ وصلّى لله ركعتين، ثمّ قال للطفل: يا بابوس: مَن أبوك. قال: أبي الرّاعي، فقالوا له: نبني صومعتك بالذهب. قال: لا أعيدوها كما كانت[8].

---

(١) قال تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾. بعض الآية (٢٦) من سورة يوسف.

(٢) آدر: الأُدرة: انتفاخ الخصية، ورجل آدر، أي: منتفخ الخصية.
انظر: الصحاح (٢/٥٥٧)، مادة «أدر».

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب (٢٨)، (٢/٤٧٧) ح(٣٤٠٤)، وسيذكره المصنّف آخر سورة الأحزاب بأوسع من هذا.

(٤) في «ح»: بإنطاقه.

(٥) حكى الله قول عيسى الطَّيْكِلاً في سورة مريم (٢٩ـــ٣٣).

(٦) انظر: الكشّاف (٤/٢٨١)، وأنوار التنـزيل (٤٦٦).

(٧) في «ح»: فسئلهم.

(٨) حديث جريج الرّاهب أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العمل في الصلاة، باب إذا دعت الأُمّ ولدها في الصلاة (١/٣٧٢)، وبابوس هو الرضيع أو الصغير.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨﴾ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴾ [٢٧-٢٩].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ ﴾ كان منشأ حديث الأفك وجود الخلوة في موضع التهمة. أردف الحديث بما يلائمه، والاستئناس إمّا من الأنس ضدّ الوحشة، [فإن طارق الباب أكثر ما يكون مستأنساً][1]. فالمعنى حتّى يؤذن لكم وضع الاستئناس موضعه؛ لأنه يردف الإذن، أو استفعال من آنس إذا أبصر، والمعنى: لا تدخلوا حتّى تستيقنوا هل يُراد دخولكم أم لا[2]. ومنه بيت النابغة[3].

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٢) انظر: معاني القرآن للنحاس (٥١٦/٤، ٥١٧)، والكشّاف (٢٨٤/٤)، وأنوار التنزيل (٤٦٦)، والدر المصون (٣٩٦/٨).

(٣) النابغة: زياد بن معاوية بن ضباب الذّبياني، أبو أُمامة، شاعر جاهلي من أهل الحجاز، كانت تضرب له قبّة بسوق عكاظ، فتقصده الشعراء وتعرض عليه أشعارها ومنهم حسّان، والخنساء، والأعشى، عاش عمراً طويلاً، مدح النعمان بن المنذر، مات النابغة سنة ١٨هـ قبل الهجرة. انظر: الأغاني (٣/١١)، وخزانة الأدب (٢٨٧/١)، (٩٦/٤).

على مستأنسٍ وحد[1]. ويجوز أن يكون من الأنس كأنه يتعرّف هل ثمة إنسانٌ أم لا.

﴿وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ في ذلك الاستئذان بأن يقول ثلاث[2] مرات السلام عليكم، فإن أَذِنَ وإلاّ رجع؛ لما روى أبو داود[3] أن رجلاً استأذن على رسول الله، فقال لخادمه: اخرج إلى هذا وعلّمه الاستئذان، فقل له: قل السلام عليكم أأدخل[4]. وروى البخاري أنّ أبا موسى الأشعري[5] استأذن على عمر في

(١) في هامش الأصل: أوله: كأن رحلي وقد زال النهار ربنا بذي الجليل اسم موضع، وَحِد بكسر الحاء بمعنى واحد. وهو من بحر البسيط.
انظر: ديوان النابغة (١٧)، وغريب القرآن لابن قتيبة (٣٠٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٥١٧/٤)، وتهذيب اللغة (٨٧/١٣)، مادة «أنس»، والخصائص (٢٦٥/٣)، والكشّاف (٢٨٤/٤).

(٢) في الأصل، «ص»: ثلث.

(٣) أبو داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني، إمام أهل الحديث في زمانه، رحل في طلب الحديث، وجمع وكتب عن أهل العراق، والشام، ومصر، وخراسان، نزل البصرة بطلب من الخليفة العباسي الواثق، وحدّث بها، حتّى مات سنة ٢٧٥هـ، وكان مولده سنة ٢٠٢هـ، اشتهر بكتابه السنن، وله كتاب المراسيل، والزهد، والبعث.
انظر: تاريخ بغداد (٥٥/٩)، وفيات الأعيان (٢١٤/١).

(٤) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب كيف الاستئذان (٣٤٦/٤) ح(٥١٧٧)، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في التسليم قبل الاستئذان (٦١٤) ح(٢٧١٩). وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤٨١/٢).

(٥) أبو موسى الأشعري: عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري، أبو موسى، صحابي جليل، فقيه، مقرئ، صاحب الصوت الحسن بقراءة القرآن، جاهد مع النبي ﷺ، واستعمله على زبيد وعدن مع معاذ بن جبل رضي الله عنهما. ولي إمرة الكوفة على عهد عمر رضي الله عنه،

خلافته ثلاثا فلم يُؤذَن له، فانصرف، فقال عمر: ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس؟. فقالوا: انصرف يا أمير المؤمنين، فاستدعاه، فلمّا حضر سأله عن الانصراف، فقال: كذا أمر رسول الله. فقال عمر: أقم على ذلك بيّنة وإلاّ أوجعتك ضرباً، فجاء أبو موسى إلى جمع من الأنصار واستشهدهم، فقالوا: لا يشهد لك إلاّ أصغرنا، فقام معه أبو سعيد الخدري(1)، فصدّق مقالة أبي موسى(2). وهذا عامٌّ في المحارم والأجانب؛ لما روي أنّ رجلاً قال: يا رسول الله إنّ أُمّي [ليس](3) لها خادم أأستأذن كلّما دخلت. قال: أتُحِبُّ أن تراها عُرْيانة. قال: لا. قال: فاستأذن(4).

قال الذهبي عنه: «كان أبو موسى صوّاماً، قوّاماً، ربانياً، زاهداً، عابداً، ممن جمع العلم والعمل والجهاد وسلامة الصدر، لم تغيره الإمارة ولا اغتر بالدنيا» مات سنة ٤٢هـ. انظر: التاريخ الكبير (٥/٢٢ـ٢٣)، وسير أعلام النبلاء (٢/٣٨٠ـ٤٠٢).

(١) أبو سعيد الخدري: سعد بن مالك بن سنان الخدري، أبو سعيد، إمام، مجاهد، وأحد الفقهاء المجتهدين، ردّه النبي ﷺ يوم أُحد لصغر سنه، ثمّ شهد الخندق، وبيعة الرضوان، روى ألفاً ومائة وسبعين حديثاً، مات سنة ٧٤هـ.
انظر: أُسد الغابة (٢/٢٨٩)، وتهذيب التهذيب (٣/٤٧٩)، وشذرات الذهب (١/٨١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً (٤/١٣٩) ح٦٢٤٥.

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٥٥) ح١٠٦٣، وأخرجه مالك في الموطأ، كتاب الاستئذان، باب الاستئذان (٢/٩٦٣) ح١٧٢٩، وأبو داود في المراسيل، كتاب الأدب، باب ما جاء في

﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ الاستئذان والتسليم خيرٌ لكم من الدخول بغتة وتحية الجاهلية، فإنهم كانوا يدخلون بلا إذن، ويقولون: حُيّيتم صباحاً وحُيّيتم مساءً، كما يفعله[1] الجهلة اليوم، فربما أصاب الرجل مع امرأته في اللِّحاف[2] ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: قيل لكم ذلك وأنزل عليكم ذلك لكي تتعظوا[3] وتعملوا[4] به.

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ يأذن لكم ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ لأن المنع عن الدخول ليس منحصراً ضرره في وقوع البصر على ما لا يحل، بل إمّا له، أو لأن لا[5] يطّلع على أُمور لا يريد صاحب البيت إطّلاع أحدٍ عليها، أو لأنه

الاستئذان (٢٣٥) ح١، وابن أبي شيبة في المصنّف (٤/٣٩٨)، والطبري في جامع البيان (١٨/١١١، ١١٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/٩٧) ح١٣٣٣٦، والحديث بطرقه مرسل، قال ابن البرّ: «وهو مرسل صحيح مجتمعٌ على صحة معناه». التمهيد (١٦/٢٢٩). وانظر: الجامع لأحكام القرآن (١٢/٢١٩)، ومجمع البيان (٨/١٤٤)، وفتح الباري (١١/٢٥).

(١) في «ح»: فعله.

(٢) قاله الزمخشري. الكشّاف (٤/٢٨٥، ٢٨٦).

(٣) في «ق»: أو.

(٤) في «ح»: تعلموا.

(٥) الأولى: لئلا.

يشبه الغضب والتغلّب[1]. ﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾ ولا تُلِحُّوا؛ فإنه يُؤذي صاحب البيت، ويجلب الوحشة والخجل[2].

﴿ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ﴾ أطهر من الدخول بغير إذن، والوقوف على الباب؛ لأنه مخلّ بالمروءة[3]. ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ وعدٌ ووعيد[4]. ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ﴾ من الخانات[5]، والرُّبُط الموقوفة[6]، والخرب التي يدخلها الإنسان لحاجته[7]. ﴿ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ﴾ تمتع ومنفعة. ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٢٨٧)، وأنوار التنـزيل (٤٦٦).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٢٨٧).

(٣) في «ح»، «ص»: بالمروة.

(٤) في «ح»: وعيد ووعد.

(٥) الخانات جمع خان وهو: الفندق، ويُطلَق على الحانوت أو صاحبه.

انظر: القاموس المحيط (١٥٤٢)، مادة «خون»، والمعجم الوسيط (١/٢٦٣)، مادة «خان».

(٦) الرُّبط: جمع رباط، وهو واحد الرباطات المبنيّة.

انظر: الصحاح (٣/١١٢٧)، مادة «ربط».

(٧) انظر: الكشّاف (٤/٢٨٨).

تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ تحذير لمن أذن له في الدخول أن يدخل لغرض غير صالح.

قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [٣٠-٣١].

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ عن أن يقع عليها بصر من لم يجز نظره، وإنما زاد «من» في الأوّل وأطلق الثاني؛ لأن وجوه الحِلّ في الأوّل أكثر، والأمر بالحفظ[1] عن الإفضاء إلاّ على الأزواج، أو من في

(١) في «ح» زيادة: عن الأبد أمر بالحفظ.

حكمها من الإماء؛ لأنه لا يوجد بدون الإبداء، أو لأن الإبداء إنما حرم؛ لكونه وسيلة إلى ذلك الإفضاء[1]. وعليه ينطبق ما روي عن أبي زيد[2]، وأبي العالية[3]: «أنّ كلّ ما في القرآن من حفظ الفروج أريد به الزنا[4]، إلاّ هذا، فإنه أُريد به التستُّر»[5].

وفي جعل الغضّ عن بعض المبصر غضّ بعض البصر كناية لطيفة.

﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ لبعده عن الرّيبة [ووساوس الشيطان. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فعليهم الاتقاء في كلّ حركة وسكون][6]، ولما كان في خائنة الأعين

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٢٣/٢٠٢)، والبحر المحيط (٦/٤٤٧)، والدر المصون (٨/٣٩٧).

(٢) أبو زيد: سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري، إمام في اللغة والأدب، كان يرى رأي أهل القدر، كان سيبويه يروي عنه بلفظ «سمعت الثقة»، من مصنفاته: «النوادر»، و«الهمز»، و«المطر»، و«لغات القرآن» وغيرها، مات سنة ٢١٥هـ بالبصرة.
انظر: وفيات الأعيان (٣/٣٧٨)، وتاريخ بغداد (٩/٧٧).

(٣) أبو العالية: رفيع بن مهران الرياحي مولاهم، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ، ثقة، تابعي، روى له أصحاب الكتب الستة، واعتزل الفتنة بين علي ومعاوية، مات سنة ٩٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٤/٢٠٧ ــ ٢١٤)، وتهذيب التهذيب (٣/٢٨٤).

(٤) في «ق»: الزنا.

(٥) انظر: الكشاف (٤/٢٨٨)، والمحرر الوجيز (١١/٢٠٤)، والبحر المحيط (٦/٤٤٧).

(٦) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

من الخفاء[1]، فصل الآية بالخبير الدالّ على العلم ببواطن الأَشياء. والصنع الذي فيه مزيد اعتمال وفيه إشارة إلى أن النظرة[2] الأولى من غير تعمد لا يؤاخذ بها، كما روى أبو داود عنه ﷺ أنه قال لعلي رضي الله: «الأولى لك والثانية عليك»[3].

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ خصهن بالذكر وإن كان الحكم معلوماً؛ لأن ما يحرم من الرجال يحرم منهن بالطريق الأُولى ليرتب[4] عليه ما بعده من الأحكام المختصة بهن. ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ كالحُلِيّ والثياب فضلاً عن مواضعها. ﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ عند مزاولة الأشياء كالثياب والخاتم. وقيل: المراد بالزينة مواضعها على حذف

---

(١) في الأصل: الخفأ.

(٢) في «ح»: نظرة.

(٣) أخرجه البزار في البحر الزخار (٣/١٢١). والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/١٥) مختصراً.

وأخرجه هناد في الزهد (٢/٦٥٠) عن سعيد بن جبير مقطوعاً بلفظ المصنف. وفي سنن أبي داود: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة؛ فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة»، كتاب النكاح، باب ما يؤمر به من غض البصر (٢/٢٥٢) ح٢١٤٩. والترمذي في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في نظر الفجاءة (٦٢٧) ح ٢٧٧٧، وقال: «هذا حديث حسن غريب». وأحمد في المسند (٢/٤٦٤) ح١٣٦٩، قال المحقق: «حسن لغيره». والحاكم في المستدرك (٣/١٢٣).

(٤) في «ح»: لترتب.

المضاف، وما ظهر منها الوجه والكفان عند عامة العلماء، ومنع ذلك الشافعي إلا عند الضرورة[1]. والأصح أن هذا في الصلاة لا في النظر[2] كما سنذكره مفصلاً، وما ظهر منها في الصلاة هو الوجه والكفان. ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ ستراً[3] للأعناق. عن عروة بن الزبير[4] عن عائشة رضي الله عنها قالت: «رحم الله نساء المهاجرات الأول لما نزل ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها»[5]. ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ مواضعها. ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٢٨)، وأنوار التنزيل (٤٦٧).

(٢) انظر: روضة الطالبين (٧/٢١)، وبدائع الصنائع (٥/١٢٢)، وأنوار التنزيل (٤٦٧)، ومجموع الفتاوى (٢٢/١١٠)، والإنصاف (١/٤٥٢)، وأضواء البيان (٦/١٩٣)، وما بعدها.

(٣) في الأصل: سرّاً.

(٤) في «ح»: زبير.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ ٣/٢٧٠) ح٤٧٥٨ معلّقاً. ووصله الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق (٤/٢٦٩) ح٤٧٥٨، وأخرجه عبد الرزّاق في المصنّف (١/٣١٥) ح١٢٠٨، وأبو داود في سننه، كتاب اللّباس، باب قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ (٤/٦٠) ح٤١٠٢، والطبراني في الأوسط (٢/١٣١) ح ٦٧٨.

وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٨/٢٥٧٥)، والكشّاف (٤/٢٩١)، الجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٣٠)، والكافي الشاف (١١٧) ح٦١.

أزواجهن فإنهم المقصودون بكلّ زينة[1]. ﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾؛ لعدم خوف الفتنة؛ لأن الطباع تنفر عن مقاربة الأقارب، ولذلك يستحب أن لا يتزوج بقرابةٍ قريبٌ[2]، وما يحلّ نظر هؤلاء عليه ما يبدو في العادة عند الخدمة كالساعدين والساقين وما فوق السرة وتحت الركبة[3]، وإنما لم يذكر الأعمام والأخوال اكتفاء بالإخوان لأنهم في معناهم[4]، أو لأن الأفضل التستر منهم؛ لئلا يصفوهم لأبنائهم فيورث الفتنة[5].

ومروطهن جمع مرط، والمرط: وهو الإزار، ويطلق على الكساء.

انظر: الغريبين (١٧٤٤/٦)، وفتح الباري (٤٩٠/٨).

(١) انظر: المحرر الوجيز (٢٩٧/١١)، والجامع لأحكام القرآن (٢٣١/١٢).

(٢) في «ح»: قرينة.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٣٢/١٢، ٢٣٣)، وأنوار التنزيل (٤٦٧).

(٤) انظر: التفسير الكبير (٢٠٧/٢٣)، ونسبه للحسن البصري. والجامع لأحكام القرآن (٢٣٣/١٢).

(٥) قاله الشعبي. انظر: الكشّاف (٢٩٣/٤)، والتفسير الكبير (٢٠٧/٢٣).

﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ أي: المؤمنات دلت عليه الإضافة، وعن أبي حنيفة الإطلاق؛ لأن المنع للفتنة، ولا فتنة في نظر المرأة إلى المرأة، واللّفظ لا يساعده؛ إذ لا فائدة في الإضافة حينئذٍ[1].

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ يشمل الإماء والعبيد، وبه قال مالك والشافعي؛ لما روى أبو داود أن رسول الله وهب لفاطمة[2] عبداً، وكان عليها ثوب إذا قنّعَتْ به رأسها لم يبلغ رجلها، وإذا غطّتْ رجلها لم يبلغ رأسها. فقال: ليس عليك بأس، إنما هو أبوك وغلامك[3]. وعند أبي حنيفة هو كالأجنبي[4].

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١٧٥/٥)، والكشّاف (٢٩١/٤)، وزاد المسير (٣٢/٦)، والتفسير الكبير (٢٠٧/٢٣)، والجامع لأحكام القرآن (٢٣٣/١٢)، وبدائع الصنائع (١٢٤/٥)، والنظر وأحكامه في الفقه الإسلامي (٤٣٧).

(٢) فاطمة بنت محمد ﷺ، أمّ الحسن والحسين، وهي أصغر بنات النبي ﷺ، وانقطع نسله ﷺ إلاّ منها، توفيت بعد النبي ﷺ بستة أشهر، ومناقبها كثيرة.
انظر: حلية الأولياء (٣٩/٢)، وسير أعلام النبلاء (١٨١/٢).

(٣) سنن أبي داود، كتاب اللّباس، باب في العبد ينظر إلى شعر مولاته (٦١/٤) ح ٤١٠٦. وانظر: الكامل لابن عدي (٣٠٥/٣) ح ٧٦٨، والسنن الكبرى للبيهقي (٩٥/٧) ح١٣٣٢٣، والمستخرج من الأحاديث المختارة للمقدسي (٩١/٥)، وقال الضياء: «لا أعلم بإسناده بأساً» خلاصة البدر المنير (١٨٠/٢)، والفتح السماوي (٨٧٠/٢) ح ٧٥٠.

(٤) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١٧٥/٥، ١٧٦)، وزاد المسير (٣٣/٦)، والجامع لأحكام القرآن (٢٣٣/١٢، ٢٣٤)، أحكام النظر (١٨٥).

﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ كالشيوخ الصمّ، ومن لا حاجة له في النكاح، كالمعتوه، والبُلْه، الذين لا يعرفون شيئاً من أُمور النساء[1]. والإربة الحاجة، أو العقل، أو الدّهاء، من أَرُبَ الرجل بالضمّ، إذا صار ذا خِبرة[2]. ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ لم يطّلعوا عليها ولم يعرفوا ما العورة؛ لعدم التمييز، من ظهر على كذا: اطّلع، لا من ظهر على كذا: قوي عليه، بمعنى أنهم لم يقدروا على الوطء[3]؛ لعدم توقف الحرمة على ذلك، بل إذا صار مميّزاً حرم اتفاقاً، والطفل يقع على الذكر والأُنثى مفرداً كان أو جمعاً[4].

(١) انظر: جامع البيان (١٨/١٢٢، ١٢٣)، ونسبه لمجاهد، والكشّاف (٤/٢٩٣)، وزاد المسير (٦/٣٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٣٥). وقال القرطبي: «وهذا الاختلاف كلّه متقارب المعنى». وتفسير القرآن العظيم (٦/٥١).

(٢) انظر: الصحاح (١/٨٧)، مادة «أرب»، وزاد المسير (٦/٣٤)، والتفسير الكبير (٣/٢٠٨، ٢٠٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٣٤).

(٣) في الأصل: الوطيء.

(٤) انظر: الصحاح (٥/١٧٥١)، مادة «طفل». والكشّاف (٤/١٧٧، ٢٩٣)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/٩٣٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٣٦)، والبحر المحيط (٦/٣٤٦).

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ كانت النساء ذوات خلاخل(1)، فلمّا نُهينَ عن(2) إظهار الحليّ نُهينَ عن(3) إظهار صوته أيضاً؛ لأن الغرض دفع الفتنة، وصوت الحليّ يثير الميل إليهنّ(4). ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إذ لا يخلو أحدٌ من نوع تقصير؛ لأن الاستقامة متعسرة أو متعذرة(5). أو عمّا كنتم تفعلونه في الجاهلية، فإن الإسلام وإن جبّه [فالاستمرار](6) على الندم لازم إلى أن يلقى العبد(7) ربه.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون في الدارين.

قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا

---

(1) خلاخل: جمع خلخال، وهو حلية كالسوار تلبسها النساء في أرجلهنّ، يقال: خلخل المرأة: ألبسها خلخالاً.

انظر: الصحاح (٤/١٦٨٩)، مادة «خلخل»، المعجم الوسيط (١/٢٤٨، ٢٤٩)، مادة «خلخل».

(2) في «ح»: على.

(3) في «ح»: على.

(4) انظر: الكشاف (٤/٢٩٣)، وأنوار التنزيل (٤٦٨).

(5) في «ح»: ومتعذرة.

(6) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(7) في «ح»: عبداً.

حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [٣٢-٣٤].

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ خطابٌ [للأولياء](١)، والأمر للوجوب عند الطلب وظهور الحاجة، وإلاّ فالنكاح مستحب؛ إبقاءً للنوع، وفي الحديث: «تناكحوا [تكثروا](٢)، فإني أُباهي بكم(٣) الأُمم يوم القيامة»(٤)(٥). ولأنه سنته ﷺ

(١) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٢) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٣) في «ح»: منكم.

(٤) في «ح»، «ص»، «ق»: القيمة.

(٥) أخرجه عبد الرزّاق في المصنّف (١٧٣/٦)، وذكره الشافعي في الأمّ (١٤٤/٥) بلفظ: «بلغنا»، وفيه زيادة: «حتّى السقط». انظر: المغني عن حمل الأسفار (٢٢/٢)، وقال العراقي: «إسناده ضعيف». وخلاصة البدر المنير (١٦٩/٢)، وتلخيص الحبير (١١٥/٣)، وفتح الباري (١١١/٩)، وكشف الخفاء (٣١٨/١).

وقد رغب فيه قال: «النكاح سنتي، فمن رغب عن سنتي، فليس مني»[1].
والأيامي جمع أيم على القلب، أصله: أيائم؛ لأن «فعيلاً» يجمع على «فعائل».
والأيّم من لا زوج له ذكراً كان أو أُنثى، بكراً كان أو ثيّباً، مِن أمّ الرّجل إذا فرطت شهوته[2]، وفي الحديث: «نعوذ بالله من الأيمة والعيمة»[3][4].

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب النكاح، باب ما جاء في فضل النكاح (٥٩٢/٢) ح ١٨٤٦، والشافعي في الأمّ (١٤٤/٥) بلاغاً. وانظر: المغني عن حمل الأسفار (٢٢/٢)، وخلاصة البدر المنير (١٦٩/٢)، وتلخيص الحبير (١١٦/٣)، وقال ابن حجر: «وفي إسناده عيسى بن ميمون، وهو ضعيف». كشف الخفاء (٤٢٩/٢) ح ٢٨٣٣.

(٢) أورد المصنّف هنا رأي أبي عمرو، وابن السّكيت، والزمخشري، وأبي حيّان. وهناك رأيٌ لسيبويه حيث يرى أن الأيامى جمع شاذ على وزن «فعالى»، وهو غير مقلوب، نحو: يتيم ويتامى، فتقول: أيم وأيامى. انظر: الكتاب (٦٥٠/٣)، وتهذيب اللُّغة (٦٢١/١٥، ٦٢٢) مادة «آم»، والصحاح (١٨٦٨/٥) مادة «أيم»، والكشّاف (٢٩٤/٤)، وإصلاح المنطق (٣٤١)، والجامع لأحكام القرآن (٢٣٩/١٢)، والبحر المحيط (٤٥١/٦)، والدر المصون (٤٠٠/٨).

(٣) هذا الحديث ذكره العسكري، والأزهري، والجوهري، والزمخشري. انظر: تصحيفات المحدّثين (٣٧٣/١)، وتهذيب اللُّغة (٦٢١/١٥) مادة «آم»، والصحاح (١٨٦٨/٥)، والفائق في غريب الحديث (٤٢/٣)، والكافي الشاف (١١٨) ح ٦٨، وقال ابن حجر: «ولم أجده»، وذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشّاف (٤٣٥/٢) وسكت عنه.

(٤) في هامش الأصل: العيمة: شهوة اللّبن. انظر: الفائق (٤٢/٣).

﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ﴾ ذكر الصلاح للترغيب في تحصين من همته التحصين، وليس بشرط كقوله: ﴿فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ﴾[1]. وفي الآية دليل على أنّ المرأة لا تلي النكاح والعبد بغير إذن مولاه.

﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾ أي: لا يكن فقر الخاطب والمخطوبة مانعاً من الإنكاح، فإنّ في فضله تعالى ما يغني، والمال غادٍ ورائح[2]. وليس الوعد به على اللّزوم لا محالة، وأنّ كلّ من تزوج يحصل له الغنى، بل مشروط بمشيئته تعالى؛ لقوله: ﴿يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾ إن شاء. وعن عمر رضي الله عنه: «ابتغوا الغنى في النكاح»[3].

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ فضله بيده الخير كلّه. ﴿عَلِيمٞ﴾ بمن يصلح له الغنى.

﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[4] ﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي: ليجتهد في العفّة، وقمع الشهوة من لا يجد أسباب النكاح.

---

(١) بعض الآية (٣٣) من سورة النور.

(٢) قال حاتم الطائي:

أماويّ إنّ المال غادٍ ورائح ... ويبقى من المال الأحاديث والذكر.

ديوان حاتم الطائي (٥٠).

(٣) انظر: علل الحديث (١/٤٠٨)، والكشّاف (٤/٣٠٠)، وروح المعاني (١٨/ ١٤٩).

(٤) بعض الآية (٢٧) من سورة الشورى.

روى مسلم والبخاري عن عبد الله بن عمر أن رسول الله قال: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوّج، فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وِجاء»[1].

﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ تَقْدِمَةُ وعْدٍ لهم بالفضل[2] والسّعة إن صبروا واستعفّوا. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[3]. أمر أوّلاً بغضّ البصر؛ إبعاداً عن موقع الفتنة، ثمّ بالنكاح الذي هو سبب التناسل وتحصين الدِّين إن أمكن، ثمّ بالصبر وانتظار فضل الله الواسع[4].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب من استطاع منك الباءة فليتزوج (٣٥٤/٣) ح ٥٠٦٥، ٥٠٦٦، وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة (١٧٢/٩).

والباءة هي الجماع، والمعنى: من استطاع منكم الجماع فليتزوج، وقد تطلق على الوطء، أو النكاح، أو مؤنة النكاح.

والوِجاء: بكسر الواو، هو رضّ الخصيتين، والمراد أن الصوم يقطع أو يُضعف الشهوة.

انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٧٣/٩)، وفتح الباري (١٠٨/٩ــ١١١).

(٢) في «ح»: من فضله.

(٣) بعض الآيتين (٢، ٣) من سورة الطلاق.

(٤) انظر: الكشّاف (٣٠١/٤).

﴿ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ ﴾ من العبيد والإماء. ﴿ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ ﴾ ترغيب فيه في كتابة من يُرى فيه آثار الخير والصلاح، وليس بشرط. وقيل: المراد بالخير القدرة على أداء بدل الكتابة[١]، ويُسمّى هذا العقد كتابة؛ لأنه يكون منجماً مؤجلاً وجوباً كما قاله الشافعي، أو غالباً كما قاله أبو حنيفة، والمؤجل يُكتب غالباً[٢]. ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ ﴾ مال الصدقة وبيت المال، لقوله تعالى: ﴿ وَفِي ٱلرِّقَابِ ﴾[٣]، وهم المكاتبون، وعند الشافعي يجب حطّ شيء من بدل الكتابة، ولا يمنعه قِرانُ أمر

---

(١) قال الشافعي: «وأظهر معاني الخير في العبد الاكتساب مع الأمانة».

وقال الطبري: «وأولى هذه الأقوال قول من قال: معناه: فكاتبوهم إن علمتم فيهم قوّة على الاحتراف والاكتساب، ووفاء بما أوجب على لنفسه وألزمها، وصدق لهجة». انظر: الأمّ (٣١/٨)، وجامع البيان (١٢٩/١٨)، وأحكام القرآن للجصّاص (١٨٠/٥)، ومعالم التنزيل (٣٤٣/٣).

(٢) انظر: الحاوي الكبير (١٤٦/١٨ـ١٥٠)، والكشّاف (٣٠١/٤، ٣٠٢)، والتفسير الكبير (٢١٦/٢٣)، والجامع لأحكام القرآن (٢٤٦/١٢، ٢٤٧).

(٣) بعض الآية (٦٠) من سورة التوبة.

الندب؛ لأن القران في الذكر ليس قراناً في الحكم[1]، وإليه ذهب عمر ابن الخطّاب، وإنما حُمِل أمر الكتابة على الندب؛ لأن عقود المعاوضة على الاختيار. ولفظ «آتوهم» يُساعد أبا حنيفة؛ لأن وضع الدين لا يُسمّى إيتاءً[2].

فإن قلتَ: من أين للشافعي وجوب التنجيم وعدم جواز الحلول؟. قلتُ: مِن أنّ المكاتب في الحال لا يملك شيئاً ولا يقدر على البدل إلاّ بالسعي والتكسُّب، فلو كان حالاً أو غير منجّم لعسر عليه، وللشارع اعتناءٌ بفكّ الرقاب، ولذلك من اعتق شقصاً[3] سرى إلى المجموع، وعليه حِصّةُ شريكه إن كان قادراً، وإلاّ سعى العبد في خلاصه، بخلاف ما لو باع جزءاً[4] منه أو وهب[5].

---

(١) في هامش الأصل، «ص»: «بقي هنا شيء، وهو أن القران في الذكر وإن لم يستلزم اتّحاد الحُكم لا بدّ من دليل على اقتران الحكم، والظاهر أخذه من مال الله حيث لم يدلّ (آتوهم) من مالكم، أو بدل الكتابة».

(٢) انظر: أحكام القرآن للجصّاص (١٨١/٥)، والحاوي الكبير (١٨٦/١٨ـــ ١٩١)، والكشّاف (٣٠٢/٤، ٣٠٣)، والجامع لأحكام القرآن (٢٥١/١٢ـــ ٢٥٣)، وأنوار التنزيل (٤٦٨).

(٣) الشّقص: بكر الشين النصيب قليلاً كان أو كان كثيراً. والمراد هنا: العبد المشترك بين اثنين أو أكثر، فيعتق أحدهم نصيبه. شرح النووي على صحيح مسلم (١٣٧/١٠)، وفتح الباري (١٥٢/٥).

(٤) في «ص»: جزاء.

(٥) في صحيح مسلم بشرح النووي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «من أعتق شِقْصاً له في عبد، فخلاصه في ماله إن كان له مال، فإن لم يكن، استسعى العبد غير مشقوق عليه». كتاب العتق (١٣٧/١٠)، وانظر: صحيح البخاري، كتاب العتق، باب إذا أعتق عبداً بين اثنين أو أمة

والآية نزلت في حويطب بن عبد العزّى[1]، كان له مملوك سأله الكتابة[2].

﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ كانوا في الجاهلية يشترون الإماء يُساعين على مواليهنّ، وكان لعبد الله بن سلول ستّ جوار: معاذة، ومسيكة، وأُميمة، وعمرة، وأروى، وقتيلة، يكرههنّ على الزنى[3][4]. والفتيات جمع فتاة،

بين الشركاء (٢/٢١٤، ٢١٥) الأحاديث من ٢٥٢١—٢٥٢٧، فتح الباري (٥/١٥٢—١٦٠).
وانظر المسائل السابقة بتوسع في: الحاوي الكبير (١٨/١٨١، وما بعدها)، وبدائع الصنائع (٤/١٣٣—١٥٩)، وروضة الطالبين (١٢/٢٣٦، وما بعدها)، واللُّباب في شرح الكتاب (٣/١٢٧—١٣٥).

(١) حويطب بن عبد العزّى بن أبي قيس بن عبد وُدّ العامري، صحابي، معمّر، أسلم يوم فتح مكّة، وشهد حنيناً والطائف، مات بالمدينة سنة ٥٤هـ، وله ١٢٠هـ.
انظر: الطبقات الكبرى (٥/٥٥٤)، وجمهرة أنساب العرب (١٦٧—١٦٩)، وسير أعلام النبلاء (٢/٥٤٠).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي (٣٧٥)، ومعالم التنزيل (٣/٣٤٢)، والكشّاف (٤/٣٠٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٤٤).

(٣) انظر: أسباب النزول للواحدي (٣٧٦، ٣٧٧) ونسبه لمقاتل، والكشّاف (٤/٣٠٣)، والتفسير الكبير (٢٣/٢٢٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٥٤)، وأنوار التنزيل (٤٦٨). وأصل هذه الرواية ما رواه جابر أن جارية لعبد الله بن أُبي بن سلول يُقال لها: مسيكة، وأُخرى يُقال لها: أُميمة، فكان يكرههما على الزنا، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ إلى قوله ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب التفسير (١٨/١٦٣).

(٤) في «ق»: الزنا.

وهي الأَمة. روى البخاري أنّ رسول الله قال: «لا يقل أحدكم عبدي وأمتي، كلكم عباد الله وإماؤه، وليقل فتاي وفتاتي»[1]. ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ ليس للكلام مفهوم، إمّا لأن الإكراه إنما يتصور عند إرادة التحصّن[2]، أو لأنه معارض بالإجماع[3]، وإيثار «إن» على «إذا»؛ لأن إرادة التحصّن من الإماء كالنادر، وفيه نعي على من أكرهها بأن أمته خيرٌ منه، وليته إذ لم يُرِد التحصّن اكتفى ولم يرض ضدّه[4]. ﴿لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ عِلّة للمنهي لا للنهي ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ للمكرهات، أو له إن تاب[5].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق، وقوله: عبدي وأمتي (٢٢١/٢) ح ٢٥٥٢، ومسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى والسيد (٥/١٥، ٦)، واللّفظ في النصّ لفظ مسلم.

(٢) يقول الإمام الرازي: «لا نزاع أنّ ظاهر الآية يقتضي جواز الإكراه على الزنا عند عدم إرادة التحصّن، ولكنه فسد ذلك؛ لامتناعه في نفسه؛ لأنه متى لم يجد إرادة التحصّن في حقها لم تكن كارهة للزنا، وحال كونها غير كارهة للزنا يمتنع إكراهها على الزنا فامتنع ذلك؛ لامتناعه في نفسه وذاته». التفسير الكبير (٢٢١/٢٣). وانظر: معالم التنزيل (٣٤٤/٣).

(٣) لعل الإجماع هنا على عدم جواز الإكراه على الزنا سواء أردن التحصّن أم لا. وقد يراد بقوله ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ أنه خارج مخرج الغالب فلا مفهوم له كما ذكر المصنّف.
انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٩/٦).

(٤) انظر: الكشّاف (٣٠٤/٤)، والمحرر الوجيز (٣٠٢/١١، ٣٠٣)، والبحر المحيط (٤٥٢/٦)، والمطول (١٥٤)، وشروح التلخيص (٥٥/٢، وما بعدها).

(٥) انظر: المحرر الوجيز (٣٠٣/١١)، وأنوار التنزيل (٤٦٨).

فإن قلت: المكره لا يؤاخذ بالإثـم، فما معنى المغفرة للمكرهـات؟. قلـت: معنى المغفرة في حقّهنّ إسقاط العقوبة والإثم بعذر الإكـراه، وفيـه إشـارةٌ إلى انّ المكرهة إذا كانت مع قيام العـذر بصدد العقاب، فما ظنّك بالـمُكْرِه. والقـول بأن المراد بالإكراه ما لم يبلغ حدّ الإكراه الشرعي شيء لا يدلّ عليـه الكـلام، وكـذا القول بأن الإكراه لا ينافي المواخذة بالذات، اسـتدلالاً بوجـوب القـصاص عـلى المكره؛ لأنـه حقّ العباد، ولذلك سقط عنه حدّ الزنى[1]، والذي يُعَوّل عليه أن حقّ الله يسقط بالإكراه، والخطأ، والنسيان[2]؛ لقوله صلى الله عليـه [وسـلم][3]: «رفـع عن أُمتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهـوا عليه»[4]. دون حقوق العبـاد. ﴿ وَلَقَدْ

(١) في «ق»: الزنا.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٠/١٨٣)، وأنوار التنزيل (٤٦٨)، وجـامع العلـوم والحِكـم (٢/٣٧١)، وتفسير سورة النور (٣٧٢ـ٣٧٥)، والإكراه في الشريعة الإسلامية (١٢٤، ١٣١، ١٤٤).

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الـطلاق، باب طلاق المكره والناسي (١/٦٥٩) ح ٢٠٤٣، ٢٠٤٥. والحاكم في المستدرك، كتاب الطلاق، باب ثلاث جِـدّهنّ جِـدّ (٢/١٩٨)، وقـال: صحيح على شرط الشيخيـن، و لم يـخرجاه، ووافـقه الذهبي. وانظر: جامع العلوم والحِكَـم (٢/٣٦١)، وفتح الباري (٥/١٦٠، ١٦١)، وكشف الخفاء (١/٥٢٢).

﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ موضّحات في الدلالة على الأحكام، وقرأ حمزة، والكسائي، وابن عامر، وحفص بكسر الياء، أي: يبين الأحكام والحدود[1].

﴿وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ﴾ وهي قصّة أمّ المؤمنين، فإنها في الغرابة تشبه غرائب قصص الأوّلين، كقصة يوسف ومريم. ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ يريد ما وعظ به في تلك الآيات من قوله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾[2]، وقوله: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾[3]، وقوله: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا﴾[4][5].

وقيل: الآيات: القرآن، والصفات المذكورة صفاته[6].

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ

---

(١) وقرأ الباقون بفتحها. انظر: علل القراءات (١/١٤٢، ١٤٣)، والتيسير (١٦٢)، والموضح (١/٤١٠)، والنشر (٢/٢٤٨، ٢٤٩).

(٢) بعض الآية (٢) من سورة النور.

(٣) بعض الآية (١٢) من سورة النور.

(٤) بعض الآية (١٧) من سورة النور.

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٣٠٥).

(٦) انظر: أنوار التنزيل (٤٦٩).

وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ
وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ
وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ
عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾
لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ
حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [٣٥-٣٨].

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: منوّرهما(١) وهو الهادي لأهل السماوات والأرض(٢)، بنوره يهتدي ذو العماية ويرشد ذو الغواية، كقولك: زيد كرم وعمرو عدل، أي: ذو كرم وعدل، دلّ عليه قوله: ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾ بالإضافة

(١) قاله الضحاك. معالم التنزيل (٣/٣٤٥).

(٢) قاله ابن عباس. جامع البيان (١٨/١٣٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٤/٢٥٣٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/٥٣٥)، ومعالم التنزيل (٣/٣٤٥)، وزاد المسير (٦/٤٠) وزاد نسبته لأنس بن مالك، وأنوار التنزيل (٤٦٩)، والدر المنثور (٦/١٩٧).

إليـه. ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ المـشكاة[1]: الكـوة في الجـدار غـير النافـذة[2].

و ﴿ٱلْمِصْبَاحُ﴾ سراج[3] ضخم ثاقب[4].

﴿فِى زُجَاجَةٍ﴾ قنديلـة مـن الزجـاج. ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ تـشبه كوكباً أزهر اللّون، منسوب إلى الدرّ لصفائه وتلألُؤه كزهرة، وسهيل، والمريخ[5].

﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ أي: ابتداء ثقوبـه من الشجرة المباركة، يريـد رُوِيَت ذُبالَته بزيتها، ومعنى كونها «مباركة» أنها تنبت في الأرض المباركـة، وهـي

---

(١) في الأصل: المشكوة.

(٢) قالــه كعب الأحبار. انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٢٥٢)، وجامع البيان (١٨/١٣٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٨/٢٥٩٥)، وزاد المسير (٦/٤٠).

(٣) في «ح»: السراج.

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤/٤٣)، ومعالم التنــزيل (٣/٣٤٥)، والكشّاف (٣/٣٠٦).

(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤/٤٤)، والكشّاف (٤/٣٠٦)، وأنوار التتريل (٤٦٩). وزهــرة: كوكــب يظهر بعد غــروب الشمس في ليالي الصحو، وهي الكوكــب الثــاني في المجموعــة الشمسية بالنسبة لقربه من الشمس. انظر: الجغرافيا الفلكية (٢٥١).
سهيل: يطلق عليه سهيل اليمــن، كوكب أحمر يطلــع من برج السنبلة، ويبتدي بعض الفلكيين الحساب من بداية طلوعه. انظر: اليانع (٤٤).
المريخ: أحد كوكب المجموعة الشمسية، بارد السطح، ويتوقع العلماء وجود نوع حياة عليه، وله تابعان: فوبوس، ديموس. انظر: الجغرافيا الفلكية (٢٥٦).

الأرض المقدّسة، التي بارك الله فيها للعالمين[1]، وقيل: بارك فيها سبعين نبياً[2]. ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ فإن الشام بين المشرق والمغرب، وقيل: لا في مشرق الشمس على الدوام ولا في مغربها، بل يتعاقبان عليها. وقيل: ليست مما تطلع عليها الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط، بل تصيبها بالغداة والعشي، فهي شرقية غربية[3]. ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ لفرط صفائه. ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ متضاعف من وجوه قد تناصر فيه المشكاة[4]، والزجاجة، والزيت، والمصباح، ولم تبق مما يزيد النور ويمدّه بالإضاءة بقيّة؛

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٣٠٦).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٣٠٦)، وتمامه: «منهم إبراهيم عليه السلام».

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٣٠٧). واختار الطبري القول أنها: ليست شرقيّة تطلع عليها الشمس بالعشيّ دون الغداة، ولكن الشمس تشرق عليها وتغرب، فهي شرقية غربية. وعِلّة اختياره: لأن الله إنما وصف الزيت الذي يوقد على هذا المصباح بالصفاء والجودة، فإذا كان شجره شرقياً غربياً كان زيته أجود، وأصفى، وأضوء.

انظر: جامع البيان (١٨/١٤٣)، وبنحوه اختار الزجاج، والرازي، وابن كثير.

انظر: معاني القرآن (٤/٤٥)، والتفسير الكبير (٢٣/٢٣٧)، وتفسير القرآن العظيم (٦/٦٤).

(٤) في الأصل: المشكوة.

وذلك أن المصباح إذا كان في مكان ضيّق غير نافذ كالـمشكاة(١) كان أجمع لنـوره، والقنـديل أعـون شيء عـلى الإضـاءة، وكـذلك الزيـت(٢) الــموصوف. شبّه(٣) التوحيد، وشرائع الإسلام مما دلّ عليه السمع والعقل بـالنور في الإضـاءة. ثمّ بالـغ في المشبّه به بـما لا مزيد عليه، دلالة على المبالغـة في المـشبه، فكـما أنّ هـذا غاية في المحسوس ما وراءه شيء، فكذلك ذاك أيضاً غاية في الـمعقول ليس أجلى منه معقـول، وإليه أشار عليٌّ كرم الله وجهه(٤): الله نـور الـسموات والأرض نـشر فيها الحقّ وبثّه، فأضاءت بنوره قلوب أهلها(٥). وقيل: الشجرة المباركة رسول الله، ومعنى كونـها لا شرقية ولا غربية عدم اختصاص دينه بقوم دون قـوم أو مكـان غير(٦) آخر، والمشكاة(٧): صدره، والزجاجة: قلبه، والمصباح: معرفته، وكما أنّ نـور

(١) في الأصل: المشكوة.

(٢) إلى هنا قاله الزمخشري. الكشّاف (٣٠٧/٤).

(٣) في «ح»: مثل.

(٤) قول المصنّف: كرّم الله وجهه فيه نظر. حيث اختصّ علي ﷺ بأمر لا دليل عليه، وكذلك فهذا لفظ مما اتخذته المبتدعة وروّجت له. انظر: معجم المناهي اللّفظية (٢١٢، ٢١٣، ٢٧١).

(٥) الكشّاف (٣٠٧/٣).

(٦) في «ق»: دون.

(٧) في الأصل: المشكوة.

الزيت لا دخان له، فكذلك عرفانه، والحقّ الذي في قلبه لا يشوبه باطل[1]. وقيل: الشجرة المباركة إبراهيم لا شرقية ولا غربية: «ما كان يهوديّاً ولا نصرانيّاً»[2]. والمصباح المتوقد من تلك الشجرة رسول الله[3]، وقيل: فيه تأويلات أُخر، وهي تخيلات[4] فأعرض عنها. ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يوفق من يشاء لإصابة الحقّ [بالنظر][5] والتدبر[6]، ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾ بإبراز المعقولات في صور المحسوسات توضيحاً وتبيناً.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ سيّان عنده المحسوس والمعقول، وإنما يصور المعقولات في صور المحسوسات ليسهل فهمها على الناس. قرأ أبو عمرو،

(١) قاله ابن عمر، وكعب الأحبار. انظر: معالم التنـزيل (٣/٣٤٦، ٣٤٧)، وزاد المسير (٦/٤٤) ولم ينسبه، والتفسير (٢٣/٢٣٢، ٢٣٥ بنحوه).

(٢) بعض الآية (٦٧) من سورة آل عمران.

(٣) قاله محمد بن كعب القرظي. انظر: معالم التنزيل (٣/٣٤٧)، والتفسير الكبير (٢٣/٢٣٥، ٢٣٧).

(٤) في «ق»: تخييلات.

(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٦) انظر: الكشّاف (٤/٣٠٧).

والكسائي دِري بكسر الدال والهمز والمدّ على «فعيل» من درأ الكوكب درؤاً إذا طلع بغتة مع توقد وانتشار ضوء.

قرأ حمزة، وأبو بكر بضمّ الدال والهمز والمدّ على وزن «فعول» كسبوح، والباقون بضمّ الدال والياء المشددة منسوباً إلى الدر لصفائه وبياضه، وزنه «فُعْلِيّ»، والكسر مع الهمز أفصح، وقرأ[1] نافع، وابن عامر، وحفص «يوقد» بياء التذكير. وحمزة، والكسائي، وأبو بكر بتاء الخطاب والتأنيث، وابن كثير، وأبو عمرو «توقّد» ماضي «تَفَعّل».

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٢٥٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٤٤)، والسبعة (٤٥٥، ٤٥٦)، وتهذيب اللُّغة (١٤/١٥٦ـ١٥٨)، مادة «دري»، وعلل القراءات (٢/٤٥٣ـ٤٥٥)، والكشف (٢/١٣٧ــ ١٣٨)، والتيسير (١٦٢)، والموضح (٢/٩١٤، ٩١٥)، والدر المصون (٨/٤٠٥ــ ٤٠٧)، والنشر (٢/٣٢٢).

أخرج مسلم في صحيحه بشرح النووي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدُّرِّيّ الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب؛ لتفاضل ما بينهم». كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها (١٧/١٦٩).

﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ متعلّق بـما قبله[1]، أي: كمشكاة[2] في بعض بيوت الله، وهـي المساجد، كأنه قيل: مثل نوره كما ترى في الـمساجد نور المشكاة[3] التي منـة نعتهـا كيت وكيت، أو بما بعده وهو «يسبح»، أي: يسبح له رجال[4] في بيوت، والتكرير للمبالغة والتوكيد، كقولـك: زيد في الدار جالس فيها. أو بمحذوف نحو سبحوا أو بتوقد تقييداً للمثل به بما يزيده مبالغـةً؛ لأن قناديل المساجد أعظم، ومصابحها أضوأ لا سيّما [إذا أُريد المساجد][5] الثـلاثة[6]، وحمـل التنكـير عـلى التعظـيم كـما قيـل[7]. ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ أي: تُبنـى[8] كقولـه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ

(١) انظر: معاني القراءات (٢/٤٥٣)، والتيسير (١٦٢)، وشرح الـهداية (٢/٤٤١، ٤٤٢)، والبحر الـمحيط (٦/٤٥٦)، والدر الـمصون (٨/٤٠٧)، والنشر (٢/٣٣٢)، وإتحاف فضلاء البـشر (٣٢٥).

(٢) في الأصل، «ص»: كمشكوة.

(٣) في «ح»: المشكوة.

(٤) في «ق»: رجال.

(٥) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٦) في «ح»، «ص»، الأصل: الثلثة.

(٧) انظر: أنوار التنزيل (٤٧٠). والمساجد الثلاثة: المسجد الحرام، والمـسجد النبـوي، والمـسجد الأقصى.

(٨) قاله مجاهد وقتادة. زاد المسير (٦/٤٦).

ٱلْبَيْتِ ﴾[1]، أو تُعَظَّم وتُرفع قدراً وإكراماً كذا عن الحسن[2]. ﴿ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ ليشمل كلّ ذِكر حتّى المناظرة في العلم إذا أُريد [بها إظهار][3] الصواب. ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ ﴾ صفة مدح ثانية لبيوت، أي: ينزهونه ويقدِّسونه في هذه[4] الأوقات [الشريفة][5]، والصلوات الخمس في الغدوات والعشايا، لم يجمع الغدو؛ لكونه مصدراً في الأصل، والآصال جمع أصيل، [كأشراف][6] وشريف[7]. وقرأ ابن عامر، وأبو بكر «يُسَبَّحُ» بفتح الباء

(١) بعض الآية (١٢٧) من سورة البقرة.

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٣٠٧، ٣٠٨)، وزاد المسير (٦/٤٦).
وانظر هذه المسألة: معاني القرآن للزجاج (٤/٤٥)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/٩٧٠، ٩٧١)، وأنوار التنزيل (٤٧٠)، والبحر المحيط (٦/٤٥٧، ٤٥٨)، والدر المصون (٨/٤٠٩، ٤١٠).

(٣) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٤) في «ح»: هذا.

(٥) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٦) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٧) انظر: معالم التنزيل (٣/٣٤٨)، والكشّاف (٤/٣٠٨)، والتفسير الكبير (٢٤/٤)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/٩٧١)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٧٦)، وأنوار التزيل (٤٧٠). والآصال: جمع الجمع، فأصيل على وزن «فعيل»، يُجمع على «فُعُل»، ثمّ «فُعُل» على «أفعال»،

على بناء المفعول مسنداً إلى أحد الظروف[1] الثلاثة، وإسناده إلى الأوّل أولى[2]، و«رجال» مرفوع بما دلّ عليه يسبح، كقوله: ليبك يزيدُ ضارعٌ لخصومة[3].

﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ التجارة تشمل البيع والشرى للربح. وإنما أفرد البيع؛ لأنه أدخل في الإلهاء[4]، إذ الربح فيه ناجز مستيقن، وفي الشرى[5] مظنون مترقّب، أو أطلق التجارة على الشرى إطلاق الجنس على النوع

والأصيل: الوقت بعد العصر إلى المغرب. انظر: الصحاح (١٦٢٣/٤)، مادة «أصل»، والمفردات (٧٨)، ومشكل إعراب القرآن (٥١٢/٢)، والتبيان في إعراب القرآن (٦١٠/١).

(١) في «ق»: الضروف.

(٢) وقرأ الباقون بكسر الباء على البناء للفاعل، وهو (رجال). انظر: السبعة (٤٥٦)، والكشف (١٣٩/٢)، والموضح (٩١٦/٢، ٩١٧)، والنشر (٣٣٢/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (٣٢٥).

(٣) تمام البيت: لـيُبْكَ يزيدُ ضارعٌ لخصومة ومختبطٌ مما تطيح الطوائحُ. وهو من بحر الطويل.

والشاهد في البيت: رفع ضارع بفعل مقدّر، كأنه قيل: مَن يبكيه؟. فقيل: يبكيه ضارع قائله: نسب البيت لأكثر من شاعر، غير أنّ الصواب أنه لنهشل بن حري.

انظر: الكتاب (٢٨٨/١، ٣٦٦)، وإعراب القرآن للنحاس (١٣٩/٣)، والكشّاف (٤٠٢/٣)، والخصائص (٣٥٥/٢)، والدر المصون (٧٢/٣)، وهمع الهوامع (١٦٠/١).

(٤) في «ح»: الهاء.

(٥) في «ص»، «ح»: الشراء.

بقرينة ذكر البيع، وقيل: التجارة الجلب، يُقال: تجر إذا جلب المتاع[1]، نزلت في المهاجرين، فإنهم كانوا تجّاراً، قال عمر: شغلني الصفق بالأسواق[2]، وفي الحديث: «التاجر فاجر إلاّ من اتقى الله»[3].

﴿ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ حذفت التاء التي كانت عوضاً عن العين؛ لقيام المضاف إليه مقامها[4].

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٢٥٣)، وأنوار التنزيل (٤٧٠)، والبحر المحيط (٦/٤٥٩)، ونظم الدرر (١٣/٢٧٨).

(٢) انظر: فتح الباري (١١/٣٠)، وتحفة الأحوذي (٧/٣٨٩)، وأخرجه البخاري ومسلم بلفظ: «ألهاني عنه الصفق بالأسواق». صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالسنة، باب الحجة على من قال أن أحكام النبي ﷺ كانت ظاهرة (٤/٣٧٣) معلّقاً، وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الآداب، باب الاستئذان (١٤/١٣٤)، وانظر: مجمع الزوائد (٤/٣٢٤)، وتغليق التعليق (٣/٢٣٢).

(٣) أخرجه الخلال في السنة (٢/٣٥٢) بلفظ: «التاجر فاجر»، وكذا البيهقي في شعب الأيمان (٩/٤٩٢) ح٤٩١٠ موقوفاً على أبي ذر. والديلمي في الفردوس (٢/٧٩).
وفي سنن الترمذي، كتاب البيوع، باب ما جاء في التجار (٢٩٥) ح ١٢١٠ أخرج الترمذي رواية للحديث بلفظ: «إن التجار يُبعثون يوم القيامة فجّاراً، إلاّ من اتقى الله، وبرّ، وصدق». وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب البيوع، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه»، ووافقه الذهبي (٢/٦).
وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/٤٤١) ح ١٣٥٨.

(٤) انظر: الكتاب (٤/٨٣)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٤٦)، وقال الزجاج: «وهذا إجماع من النحويين»، وإعراب القرآن للنحاس (٣/١٣٩، ١٤٠)، والكشّاف (٤/٣٠٨)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/٩٢٢)، وأنوار التنزيل (٤٧٠).

﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ المفروضة ﴿يَخَافُونَ﴾ حال كونهم خائفين[1]. ﴿يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ تضطرب من الهول كقوله: ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[2]، أو تتقلب من حالٍ إلى حال، فتفقه القلوب التي كانت في أكنّة، وتبصر الأبصار التي كانت عليها غشاوة[3]. ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ متعلق بيُسبح أوّلاً، أو بيخافون[4]. ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ جزاء أحسن أعمالهم بأن يجزي على الأدنى كما يجزي على الأعلى. ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ فوق جزاء الأعمال ما لم يخطر ببالهم تفضلاً. ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ تقرير لسعة فضله، وإشارة إلى كمال قدرته، ونفاذ مشيئته[5].

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ

(١) انظر: التبيان في إعراب القرآن (٢/٩٧١).

(٢) بعض الآية (٤٢) من سورة إبراهيم.

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٣٠٨)، وأنوار التنـزيل (٤٧٠).

(٤) انظر: التبيان في إعراب القرآن (٢/٩٧١)، والدر المصون (٨/٤١١).

(٥) انظر: أنوار التنـزيل (٤٧٠).

كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [٣٩-٤٢].

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ ﴾ لما بيَّن حال المؤمن ونتيجة[1] سعيه في الدنيا وفي الآخرة من النعيم المقيم، أردفه بذكر الكافر الذي يكدُّ في العمل من غير أن يكون على الشرط من الإيمان والإخلاص، فشبه تلك الأعمال بالسراب وهو ما يلمع وقت الظهيرة في المفاوز عند شدَّة الحرّ، من سَرَبَ إذا جرى كأنه ماء يجري[2]. والقيعة: جمع قاع وهو المستوى المنبسط من الأرض[3].

---

(١) في «ح»، «ص»: نتجته.

(٢) انظر: الصحاح (١/١٤٧)، مادة «سرب»، المفردات (٤٠٥-٤٠٦)، والكشاف (٤/٣٠٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٨٢)، وأنوار التنزيل (٤٧٠)، وعمدة الحفاظ (٢/٢١٣)، ونظم الدرر (٨/٢٨٣).

(٣) قاله الزمخشري. الكشاف (٤/٣٠٩). وانظر: غريب القرآن لابن قتيبة (٣٠٥)، وجامع البيان (١٨/١٤٨)، والصحاح (٣/١٢٧٤) مادة «قيع»، والمفردات (٦٨٨) مادة «قيع»، وزاد المسير (٦/٤٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٨٢)، وأنوار التنزيل (٤٧٠)، ونظم الدرر (٨/٢٨٣-٢٨٤).

﴿ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً ﴾ فيسارع إليه، ويحتمل الحرج والجمع[1] والمشقة. ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ من الأشياء؛ لاضمحلاله وتلاشيه، أو لم يجد ما كان يظنه من الماء. ﴿ وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ ﴾ أي: عقابه عند ذلك الموضع الذي كان يظنه ماء[2].

فإن قلتَ: الضمير في قوله «جاءه»، «ولم يجده»، «ووجد الله» للظمآن، فكيف رتّب عليه قوله ﴿ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ﴾ وذلك إنما هو للكافر يوم القيامة؟.

قلتُ: المراد بالظمآن هو الكافر الذي غلبه العطش بالساهرة، وقد غشيها السراب مِن شدّة الحرّ، فيحسبه ماءً، فإذا جاءه لم يجد ما رجاه، بل

(١) في «ص»: الجهد، وهو المناسب للسياق.

(٢) انظر: التفسير الكبير (٢٤/٨)، وأنوار التنزيل (٤٧٠).

وقال الفراء: ««ووجد الله» عند عمله، يقول: قدم على الله فوفاه حسابه». أو يُقال: وجد الله بالمرصاد، أو وجد وعد الله بالجزاء على عمله، أو وجد أمر الله. والصواب بقاء اللّفظ على ظاهره. انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٢٥٤)، والوسيط في تفسير القرآن المجيد (٣/٣٢٢)، ومعالم التنزيل (٣/٣٤٩)، وزاد المسير (٦/٤٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٨٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٧٦)، والبحر المحيط (٦/٤٦١).

يرى الزبانية، فيأخذونه إلى جهنم، ويسقونه ماء الحميم"[1]. ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ إذ لا يشغله شأنٌ عن شأن، وفي الحديث: «يسأل الخلائق في مقدار حلبة شاة»[2]. وقيل: الكناية عن قرب الساعة[3] كقوله: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾[4]. ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾ عطف على كسراب و «أو» للتخيير[5]، كما في قوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾[6]، شبّه أوّلاً تلك الأعمال بالسراب المرئي من مكان بعيد في عدم النفع مع الجهد البالغ والكدّ في الطلب، وليته كان كفافاً، بل وجد

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٤٧)، والكشّاف (٣/٣٠٩)، وزاد المسير (٦/٤٩)، والبحر المحيط (٦/٤٦١)، واختار هذا الوجه السمين الحلبي بأنه أولى لاتساق الضمائر. الدر المصون (٨/٤١٣).

(٢) ورد هذا الحديث بلفظ «روي» في الكشّاف (١/٤١٤).

وقال القرطبي: «وفي الخبر: إن الله يحاسب في قدر حلب شاة». الجامع لأحكام القرآن (٢/٤٣٥).

(٣) انظر: زاد المسير (١/٢١٦)، ونسبه لمقاتل.

(٤) بعض الآية (١) من سورة الأنبياء.

(٥) انظر: التبيان في إعراب القرآن (٢/٩٧٢)، والدر المصون (٨/٤١٣، ٤١٤).

(٦) بعض الآية (١٩) من سورة البقرة.

خلاف ما كان يرجوه من الحميم والغسّاق[1]، وثانياً: بالظلمات المتراكمة بعضها فوق بعض؛ لخلوّها عن نور الإيمان وضياء الحق، عكس أعمال المؤمنين المؤسسة على الإيمان والإخلاص التي هي نور على نور. ﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ عميق شديد العمق منسوب إلى اللُّج وهو معظم البحر[2]. ﴿يَغْشَاهُ﴾ أي: البحر. ﴿مَوْجٌ﴾ ما يرتفع عند اضطراب البحر[3]. ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ أعظم منه وأعلى.

﴿مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾ غمام قد ركب الموج وحجب أنوار النجوم. ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ قرأ ابن كثير بإضافة «سحاب»، وجرّ «ظلمات» في

---

(١) الحميم: الماء الشديد الحرارة، وقيل: هو دخان جهنم لشدّة سواده، والغساق: ما يسيل من صديد أهل النار، وما يصهر من جلودهم.

انظر: المفردات (٢٥٤، ٦٠٦)، وعمدة الحفاظ (١/٥٢٤، ٥٢٥)، (٣/١٩٤، ١٩٥).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٠/٤٩٣) مادة «لجّ»، ومعالم التنزيل (٣/٣٤٩)، والكشاف (٤/٣٠٩)، وزاد المسير (٦/٥٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٨٤)، والبحر المحيط (٦/٤٤٤).

(٣) انظر: المفردات (٧٨٢)، ولسان العرب (٧/٤٢٩٧) مادة «موج»، والقاموس المحيط (٢٦٣) مادة «موج».

رواية البزي[1]، وبالتنوين وجرّ «ظلمات» على أنه اسم بدل من الأولى في رواية قنبل[2]. ﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ﴾ لم يقرب رؤيتها فضلاً عنها[3] كقول ذي الرمة:

(١) البزي: أحمد بن محمد بن عبد الله البزي، أبو الحسن، من كبار القراء، أحد رواة قراءة ابن كثير، محقق، ضابط متقن، عاش بمكة، ومات بها سنة ٢٥٠هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (٥٠/١٢)، وغاية النهاية (١١٩/١ ــ ١٢٠).

(٢) وقرأ الباقون «سحابٌ ظلماتٌ» بالرفع والتنوين فيهما. انظر: السبعة (٤٥٧)، والتبصرة (٦١١)، والتيسير (١٦٢)، والموضح (٩١٧/٢)، والنشر (٣٣٢/٢).

(٣) انظر: الكشاف (٣٠٩/٤)، وأنوار التنزيل (٤٧١)، وقد اختلف أهل التفسير والنحو في معنى «لم يكد يراها» على وجوه: ١ـ أنه نفي للرؤية، والمعنى: أنه لا يرى يده.

٢ـ أن المعنى هو المقاربة، أي: لم يقارب رؤيتها، وعليه الزمخشري والمصنف.

٣ـ أنه يرى يده بعد الجهد والمشقة؛ وذلك لشدة الظلمة. انظر: معاني القرآن للزجاج (٤٨/٤)، والمحرر الوجيز (٣١٣/١١)، والبيان في غريب إعراب القرآن (٦١/١)، والتبيان في إعراب القرآن (٩٧٣/٢ــ ٩٧٤)، والدر المصون (٤١٦/٨ــ ٤١٨)، والمساعد على تسهيل الفوائد (٣٠٣/١).

إذا غيّر الهجر المحبين لم يكد   رسيس الهوى من حبّ مية[1] يبرح[2]

الضمائر للواقع في البحر وإن لم يجر ذكره؛ لدلالة الكلام عليه[3]. ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا﴾ لم يوفقه[4] ولم يهده. ﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ شيء منه، كما وصف نور الحق بست صفات دالة على كماله، وصف الباطل بست حجاب[5] دالة على شدة ظلمته وغاية سحمته[6]. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ استطراد بعد ذكر تسبيح الرّجال تسبيح أهل السماوات والأرض، تعميماً وإظهاراً للعظمة والكبرياء. الاستفهام للتقرير، وعلمه بذلك من قوله: ﴿وَإِن

---

(١) مية: مية بنت طلبة بن قيس بن عاصم المنقرية، وقيل هي: مية بنت مقاتل بن طلبة شاعرة جميلة، لها أخبار مع ذي الرمة الشاعر، ماتت سنة ١٥٠هـ.

انظر: وفيات الأعيان (١١/٤ ــ ١٧)، ومعاهد التنصيص (٢٦١/٣).

(٢) البيت من بحر الطويل. انظر: ديوان ذي الرُّمة (١١٩٢/٣)، والكشاف (٣٠٩/٤)، والتبيان في إعراب القرآن (٩٧٤/٢)، وخزانة الأدب (٣٠٩/٩)، والدر المصون (١٧٦/١).

رسيس: الرسيس: بقية المرض اللازمة داخل البدن، ويطلق على الشيء الثابت، وعلى ابتداء الحب. انظر: اللسان (١٦٤١/٣) مادة «رس»، والقاموس المحيط (٧٠٧) مادة «الرس».

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٤٧١).

(٤) في «ح»: يرفعه.

(٥) في «ص»، «ح»: صفات، وهو الصواب.

(٦) سحمته: السُّحمة: شدة السواد، مأخوذ من سَحِم سَحْماً وسُحْمة.

انظر: القاموس المحيط (١٤٤٦) مادة «سحم»، والمعجم الوسيط (٤٢٠/١) مادة «سحم».

﴿مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[1] وفي ذكر من تغليب لذوي العقول[2]. وقيل: المراد الملائكة والإنس والجن[3]، ويرده قوله: ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ﴾ أي: حال كونها في الفضاء باسطة أجنحتها، فإذا كانت تسبح في تلك الحالة وهي مظنة الاشتغال فما ظنّك بغيرها، وفيه الدلالة على كمال قدرة الصانع[4]؛ لأن وقوف الأجرام

---

(١) بعض الآية (٤٤) من سورة الإسراء.

(٢) انظر: المحرر الوجيز (١١/٣١٥)، وأنوار التنزيل (٤٧١).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٨٦)، وأنوار التنزيل (٤٧١).

(٤) الصانع: أطلق المصنف ــ رحمه الله ــ لفظ الصانع على الله عز وجل، ويرى ابن القيّم غَلط من أطلقه على الله ــ عز وجل ــ فقال: «إن الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه، بل يطلق عليه منها كمالها، وهذا كالمريد والفاعل والصانع، فإن هذه الألفاظ لا تدخل في أسمائه، ولهذا غلط من سمّاه بالصانع عند الإطلاق». بدائع الفوائد (١/١٦١).

وأخرج مسلم في كتاب الذكر، باب العزم في الدعاء ولا يقل: «إن شئت» صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/٦) حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «لا يقولن أحدكم: اللّهم اغفر لي إن شئت، اللّهم ارحمني إن شئت، ليعزم في الدعاء، فإن الله صانع ما شاء لا مكره له». وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (١/٧٥)، وقال: «ومنها الصانع، ومعناه: المركب والمهيء،

السفلية في الجو دليل ظاهر على ذلك. ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ كل من المذكورات قد علم الله دعاءه وتقديسه[1] ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[2] أو كل واحد قد علم صلاة[3] نفسه لله تعالى وتقديسه[4]. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ لا يعزب عنه شيء، تذييل على الأول يؤكد علمه بحالهم، وتكميل على الثاني؛ لأنه دلّ على العلم البالغ بعد ما قدّم ما يدل على القدرة الكاملة[5]. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مختص به لا شريك له. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ للجزاء.

قال الله عز وجل: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾، وقد يكون الصانع الفاعل فيدخل فيه الاختراع والتركيب معاً»، ثم أورد حديث: «إن الله عزّ وجلّ صنع كلّ صانع وصنعته».

والبخاري في خلق أفعال العباد (٤٦)، وابن أبي عاصم في اعتقاد أهل السنة (٣/٥٣٩) ح ٩٤٣. والبزار في مسنده (٧/٢٥٨) ح ٢٨٣٧. ووصله ابن حجر في تغليق التعليق (٥/٤٣٢)، وانظر: مقدمة فتح الباري (١/٤٩٠)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (١/١٨١) ح ١٦٣٧.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٤٩).

(٢) بعض الآية (٤٤) من سورة الإسراء.

(٣) في «ح» الأصل: صلوة، وفي «ق»: صلة.

(٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/١٤١)، والمحرر الوجيز (١١/٣١٥)، وزاد المسير (٦/٥٢)، والدر المصون (٨/٤١٩)، وقال السمين الحلبي:«وهذا أولى؛ لتوافق الضمائر».

(٥) انظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للطيبي (٣٨٠).

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾ [٤٣ ـ ٤٦].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾ يسوقه، ومنه البضاعة المزجاة؛ لأنها غير مرضية، يزجيها كلّ أحد إلى آخر، دليل آخر على كمال صنعه تعالى[١].

﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ بين أجزائه[٢] المتفرقة. ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ مركوماً بعضه فوق بعض[٣]. ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ من فتوقه جمع «خلل»

---

(١) انظر: المفردات (٣٧٨) «زجا»، والكشاف (٤/٣١٠)، وأنوار التنزيل (٤٧١).

(٢) في «ح»: أجزاءة.

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٤٧١)، وفتوح الغيب (٣٨١).

كـ«جبال» جمع «جبل»، و«الودق» المطر من ودق إذا قطر[1]. قال ـ شعر ـ فلا مزنة ودقت ودقها[2].

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا﴾ في السماء. ﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾ «مِنْ» الأولى لابتداء الغاية، والثانية للتبعيض، والثالثة للبيان، أو الأوليان للابتداء، والثالثة للتبعيض، والمفعول محذوف، أي: ينـزل منها برداً. ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ﴾ بالبرد. ﴿مَن يَشَآءُ﴾ عقوبة.

﴿وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ﴾ سلامته، وقيل الضمير للودق، أي: يسقى به من يشاء سقيه ويصرفه عمن يشاء حرمانه، والأول هو الوجه[3]. ﴿يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ﴾

---

(١) انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/٥٤٣ـ٥٤٤) والجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٨٩)، وأنوار التنزيل (٤٧١).

(٢) البيت لعامر بن جوين الطائي، وهو من بحر المتقارب، وتمامه: ... ولا أرض أبقل إبقالها. يصف الشاعر في هذا البيت أرضاً مخصبة بكثرة ما نزل بها من الغيث. انظر: جامع البيان (١٨/١٥٣)، والكتاب (٢/٤٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/٥٤٣) والخصائص (٢/٤١٣)، ورصف المباني (١٦٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٨٩)، وخزانة الأدب (١/٢١)، والدر المصون (١/٢٠٦ ـ ٢٠٧).

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/١٤٢)، ومعالم التنـزيل (٣/٣٥١)، والكشاف (٤/٣١٢)، والمحرر الوجيز (١١/٣١٧)، والبيان (٢/١٩٨)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/٩٧٤ـ٩٧٥)،

ضوء برق السحاب. ﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ لقوته. ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يذهب بأحدهما ويأتي بالآخر، أو يخالف بينهما بالطول والقصر، أو النور والظلمة، أو يغير أحوال مَن فيها[1]. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ لدلالة يعبر بها إلى العلم بوجود الصانع القادر لذوي البصائر. ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ مثل قوله: و ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾[2]. استدلّ أولاً بأحوال السماء والأرض على وحدانيته وكمال قدرته وعلمه، وثانياً بأحوال الآثار العلوية، وثالثاً بأحوال الحيوانات المختلفة الأنواع، والأشكال، والأحوال مع اتحاد الأصل والمنشأ[3].

والجامع لأحكام القرآن (٢٨٩/١٢)، وأنوار التنزيل (٤٧١)، والبحر المحيط (٤٦٥/٦)، والدر المصون (٤٢٠/٨-٤٢٣).

(١) انظر: معالم التنزيل (٣٥١/٣)، وزاد المسير (٥٣/٦)، والتفسير الكبير (١٥/٢٤). وقال الرازي: «ولا يمتنع في مثل ذلك أن يريد تعالى معاني الكل؛ لأنه في الإنعام، والاعتبار أولى وأقوى». والجامع لأحكام القرآن (٢٩٠/١٢)، وأنوار التنزيل (٤٧١).

(٢) بعض الآية (٤) من سورة الرعد.

(٣) في «ح»: المنشاء.

فإن قلت: كثير من الحيوانات[1] خلق من غير ماء، آدم من تراب، وعيسى من نفخ جبرئيل[2]، والجنّ من النار. قلتُ: أصل الكلّ من الماء على ما روي أن الله تعالى أوّل ما خلق جوهرة، فنظر إليها بالهيبة، فذابت ماء، فمن ذلك الماء تكوّن النار، والنور، والهواء، والتراب[3]. وقيل: «من ماء» صفة «دابة» وليس صلة «خلق»[4]. والمعنى: كلّ دابة متولدة من ماء فهي مخلوقة لله تعالى، وهذا وجه

(١) إطلاق لفظ «الحيوانات» على آدم وعيسى والجنّ لا يراد به لفظ الدابة، بل يُراد بالحيوان ما فيه الحياة، أو الحيوان: نقيض الميت. انظر: المفردات (٢٦٩)، والقاموس المحيط (١٦٤٩)، مادة «حي».

(٢) في «ح»: جبرائيل.

(٣) انظر: التفسير الكبير (١٦/٢٤)، والبحر المحيط (٤٦٥/٦)، والدر المصون (٤٢٥/٨). وما ذكره المصنّف يصعب الجزم به والله أعلم بصحته، وقد أخرج أبو داود، والترمذي عن عبادة ابن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أوّل ما خلق الله القلم فقال له: اكتب فجرى بما هو كائن إلى الأبد». سنن أبي داود، كتاب السنّة، باب في القدر (٢٢٥/٤) ح ٤٧٠٠، وسنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ن والقلم (٧٥٧) ح ٣٣١٩، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٤) في «ق»: لخلق.

حسن، وأوفق بتنكير الماء المراد به نطفة أبيه، أو الماء المختصّ بتلك الدابة[1]. فإن قلت: فعلى هذا المعنى: كلّ دابة متولدة من ماء مخلوقة لله تعالى، ومفهومه[2]: أنّ ما ليس كذلك ليس مخلوقاً له. قلت: ذلك المفهوم ملغي في مقابلة القاطع، ولأن الماء الذي به الحياة[3] إذا كان المتولد منه يحتاج إلى الصانع فالغير[4][5] من باب أولى. ﴿ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ ﴾ كالحيّات. ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ ﴾

---

(١) انظر: الكشّاف (٣١٢/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٢٩١/١٢)، وأنوار التنزيل (٤٧٢)، والبحر المحيط (٤٦٥/٦).

(٢) المفهوم هو دلالة اللّفظ لا في محل النطق على ثبوت حكم ما ذكر لما سكت عنه، أو على نفي الحكم عنه. وبهذا التعريف ينقسم المفهوم إلى مفهوم موافقة، ومفهوم مخالفة، وما ذكره المصنّف هو مفهوم المخالفة. انظر: شرح مختصر الروضة (٧١٤/٢)، والمختصر في أُصول الفقه (١٣٢)، وإرشاد الفحول (١٥٦)، وأُصول الفقه للخضري (١٢٢)، والوجيز في أُصول الفقه (٣٦٦).

(٣) في «ح»، الأصل: الحيوة.

(٤) في «ق»: الغير.

(٥) الغير: غير اسم ملازم للإضافة في المعنى، وهي شديدة الإبهام، ولا تدخلها الألف واللاّم. انظر: الكتاب (٤٧٩/٣)، ومعني اللّبيب (١٥٨/١).

كالإنسان. ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ﴾ كسائر الحيوانات. قدّم الأبدع فالأبدع[1]. وإطلاق المشي على الزحف[2] للمشاكلة[3]، واستعمال المقيد في المطلق[4] استعارة، أو مجازاً مرسلاً[5][6].

---

(١) قول المصنّف: (قدّم الأبدع فالأبدع)، ربما أراد به الأبدع في أمر المشي، أو القدرة عليه، وفي هذا المعنى يقول الزمخشري: «قدّم ما هو أعرق في القدرة، وهو الماشي بغير آلة مشي، من أرجل أو قوائم، ثمّ الماشي على رجلين، ثمّ الماشي على أربع». الكشّاف (٣١٢/٤).

(٢) في «ق»: الزحف على المشي.

(٣) المشاكلة لغةً: المماثلة.

واصطلاحاً: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً.

انظر: التبيان في علم المعاني والبديع والبيان (٣٤٧، ٣٤٨)، والتلخيص في علوم البلاغة (٣٥٦).

(٤) المقيد: لغة اسم مفعول من القَيْد. واصطلاحاً: لفظ يدلّ لا على شائع في جنسه.

والمطلق: لغة اسم مشتق من الإطلاق. واصطلاحاً: اللّفظ الدال على شائع في جنسه كرجل ورقبة.

انظر: المختصر في أُصول الفقه (١٢٥)، وإرشاد الفحول (١٤٤ـ١٤٧)، والميسّر في أُصول الفقه (٣٢٦، ٣٢٧).

(٥) في «ح»: مرسل.

(٦) الاستعارة: هي اللّفظ المستعمل في غير المعنى الموضوع له؛ لمناسبة بين المعنى المنقول عنه، والمعنى المستعمل فيه مع قرينة تصرف عن إرادة المعنى الأصلي.

﴿ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ ما تعلقت به إرادته، كيف يشاء. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ كامل القدرة سواء كان الشيء حقيراً أو خطيراً(1). ﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ﴾ هي المذكورات من قوله ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ إلى هنا. قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص بكسر الياء(2). ﴿ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ هدايته ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ موصل إليه وإن كانت الآيات الدالة عامة الكلّ، فإن ملاك الأمر توفيقه.

قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ

---

(1) لم يذكر في الآية ما يمشي على أكثر من أربع كالسرطان، إمّا لأن أغلب الحيوان إنما يعتمد على أربع، أو يقال: ليس في الآية ما يمنع من المشي على أكثر من أربع إذ لا يقصد من الآية الحصر. وقال ابن عطية:«والظاهر أن تلك الأرجل الكثيرة ليست باطلاً، بل هي محتاج إليها في تنقل الحيوان، وهي كلّها تتحرك في تصرفه». انظر: المحرر الوجيز (١١/٣١٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٩٢).

(2) وقرأ الباقون بفتحها. انظر: السبعة (٢٢٩، ٢٣٠)، والكشف (١/٣٨٣، ٣٨٤)، والتيسير (١٦٢)، والموضح (١/٤١٠، ٤١١)، والنشر (٢/٢٤٨، ٢٤٩).

يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [٤٧-٥٢].

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ﴾ أشار في أثناء قصّة المنافقين إلى جملةٍ من دلائل التوحيد الدّالة على النعم الجسام والوعيد الشديد توكيداً للتوبيخ، ثمّ عاد إلى عدّ طائفة أُخرى من مثالبهم(١).

والآية نزلت في بشر المنافق(٢) خاصم يهودياً فدعاه اليهودي إلى رسول الله ﷺ(٣) ودعا المنافق إلى كعب بن الأشرف(٤)(٥)، وقيل: نزلت في المغيرة بن

(١) في «ح»: مثالهم.

(٢) بشر المنافق: بشر بن زيد، وهو من بني عبيد بن زيد بن مالك، كان موالياً لليهود، دُعي للتحاكم إلى رسول الله ﷺ مع طائفة من المنافقين فأبو، وطلبوا التحاكم إلى الكهان، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ آية (٦٠) من سورة النساء. انظر: السيرة النبوية لابن هشام (١/٥٢٣-٥٢٦).

(٣) في الأصل: صلعم.

(٤) كعب بن الأشرف الطائي، شاعر جاهلي، كانت أمه يهودية فتهوّد، وكان سيداً في اليهود، أدرك الإسلام و لم يسلم، هجا النبي ﷺ والصحابة، وشبب بنسائهم، خرج إلى مكة بعد بدر، وحض قريش على الأخذ بثأرها، فقتله خمسة من الصحابة في ظاهر حصنه، وحملوا رأسه إلى النبي ﷺ سنة ٣هـ. انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/٥١-٥٧)، (٢/٢٧٣ - ٢٧٦)، وسير أعلام النبلاء (١/٣٣٧).

(٥) انظر: أسباب النزول للواحدي (٣٧٨)، ومعالم التنزيل (٣/٣٥٢)، والكشاف (٣/٣١٤)، وزاد المسير (٦/٥٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٩٣).

وائل[1] كان بينه وبين عليٍّ ابن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ خصومة في ماء وأرض، فقال المغيرة: «لا أتحاكم إلى محمد، فإنه يبغضني، فأخاف أن يحيف عليّ»، وكان يظهر أنه مؤمن به[2]. ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أي: الله والرسول ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ (ثم) للاستبعاد بعد ذلك القول. ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [أي][3] القائلون كلّهم إلاّ المتولي وحده، وإن كان المتولي[4] أوْغَل وأغرق في الكفر، أو من تولّى. وفائدة [الإخبار عنهم][5] بأنهم ليسوا مؤمنين مع العلم بأنهم بعد التولي لا أيمان لهم: النعي عليهم بأنهم يقولون شيئاً ثمّ [يأتون بما][6] يُضادّه[7]. ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ ذُكِرَ الله للتعظيم، والحاكم رسوله؛ لقوله: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ كقوله: أعجبني [زيدٌ][8] وكرمه[9]. ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ إذا كان الحقّ عليهم، «إذا» فجائية دالةٌ على فرط كفرهم حيث لم يتوقفوا بعد

---

(1) المغيرة بن وائل: لم أجد ترجمةً له فيما بين يدي من الكتب.

(2) انظر: النكت والعيون (٤/١١٥)، والكشاف (٣/٣١٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٩٣)، وأنوار التنزيل (٤٧٢).

(3) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(4) في «ح»: المتوكل.

(5) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(6) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(7) انظر: الكشّاف (٤/٣١٣).

(8) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(9) انظر: الكشّاف (٤/٣١٣)، والبحر المحيط (٦/٤٦٧)، والدر المصون (٨/٤٢٦).

ظهور الحقّ عليهم لمحة طرف[1]. ﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾ إلى رسول الله، أو هو متعلق بقوله: ﴿ مُذْعِنِينَ ﴾ أي: إن بان أنّ الحقّ لهم لم يرضوا إلاّ بحكمك، إليك يُسرعون لا إلى غيرك، وهذا أوجه؛ لدلالته على شدّة نفاقهم[2].

﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾ قسّم الأمر في صدورهم ثلاثة[3] أقسام؛ لأنّ الخلل فيهم، أو في الحاكم، والثاني موجود أو مترقّب، ومنصب النبوة ينافي الأخيرين، [فتعيّن الأوّل، فالإضراب عن الأخيرين][4][5]. ﴿ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ إشارةٌ إلى القسم الأوّل، وإثباتٌ لمرض القلب، وهو النفاق على أبلغ وجه، أو إضراب عن الأخير وحده، بدليل أنهم يُسارعون إليه إذا كان الحقّ لهم، وذلك يُناقض توهم الحيف منه، بل إعراضهم لكونهم منافقين مرتابين، أو إضراب [عن نفس][6] التقسيم. والمعنى: دع التقسيم واحكم بأنهم الجامعون لتلك الأوصاف الكاملون في الظلم[7].

---

(١) انظر: التبيان في إعراب القرآن (٢/٩٧٥)، وأنوار التنزيل (٤٧٢).

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٤٧٢).

(٣) في الأصل، «ح»، «ص»: ثلثة.

(٤) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٥) انظر: أنوار التنزيل (٤٧٢).

(٦) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٧) انظر: فتوح الغيب (٣٨٦)، ونظم الدرر (١٣/٢٩٧).

(بل) حرف إضراب، وهو نوعان:

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ ﴾ سواء كان الحقّ عليهم أو لهم. ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ لا غير.

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ فيما يأمران به كائناً مَن كان، أي: وقت كان، دفعٌ لتوهم اختصاص الفلاح بمن كان في عصره. ﴿ وَيَخْشَ ٱللَّهَ ﴾ أي: عقابه، ﴿ وَيَتَّقْهِ ﴾ بامتثال أوامره والاجتناب عن المعاصي. وعن ابن عبّاس رضي الله عنه: «(من يطع الله) في فرائضه، ورسوله في سنته[1]، (ويخشى الله) على ما مضى من ذنوبه، (ويتقه) فيما بقي من عمره»[2].

١ـ انتقالي، وهو الانتقال من كلام سابق إلى كلام جديد مع بقاء حكم الكلام الأوّل، مثاله: قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ ﴾ [الأعلى: ١٤-١٦].

٢ـ إبطالي، وهو إبطال ما سبق، مثاله هذه الآية. يقول الزمخشري: «ثمّ أبطل خوفهم حَيْفَه بقوله: ﴿ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ أي: لا يخافون أن يحيف عليهم؛ لمعرفتهم بحاله».

الكشّاف (٤/٣١٤). وانظر: الجنى الداني في حروف المعاني (٢٣٥)، والبحر المحيط (٦/٤٦٧)، ومغني اللّبيب (١/١١٢)، الدر المصون (٨/٤٢٧).

(١) في الأصل: سنه، وفي «ق»: سننه.

(٢) انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٣/٣٢٥)، ومعالم التنزيل (٣/٣٥٢، ٣٥٣)، والكشّاف (٤/٣١٥).

قرأ(1) أبو عمرو، وأبو بكر، وخلّاد(2) عن حمزة(3) في وجه بسكون الهاء، إمّا لأن العرب تُسَكّن هاء الضمير إذا تحرك ما قبلها نحو ضربته على ما نقل الفراء(4)، أو حملاً على تاء الضمير على ما قاله(5) الفارسي(6)، أو إجراء للوصل مجرى الوقف، والباقون بالكسر مع الإشباع(7) إلاّ حفصاً، وهشاماً(8)،

---

(١) في «ق»: وقرأ.

(٢) خلّاد بن خالد الشيباني مولاهم، الصيرفي الكوفي، إمامٌ في القراءة، أحد رواة حمزة، أخذ القراءة عن سليم، وعن حسين بن علي الجعفي، وأبي بكر، وروى القراءة عنه أحمد بن يزيد الحلواني وغيره. انظر: معرفة القراء الكبار (١/٢١٠)، وغاية النهاية (١/٢٧٤).

(٣) في «ح»: ضمره.

(٤) انظر: معاني القرآن (١/٢٢٣)، وأورد أقوالاً أُخرى.

(٥) انظر: الحجة للقراء السبعة (٥/٣٢٨).

(٦) الفارسي: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، أبو علي، أحد الأئمة في علوم العربية، ارتحل في طلب العلم، وقدم حلب عام ٣٤١هـ، وأقام عند سيف الدولة، ثمّ عاد إلى فارس، وصحب عضد الدولة بن بويه، وصنّف له كتاب «الإيضاح» في النحو، كان متهماً بالاعتزال، مات ببغداد عام ٣٧٧هـ. من كتبه: الحجة في القراءات، والتذكرة في علوم العربية، والشعر، والشيرازيّات وغيرها. انظر: تاريخ بغداد (٧/٢٧٥)، ووفيات الأعيان (٢/٨٠ـ٨٢).

(٧) الإشباع: أي إشباع الهاء بحركة الكسر لتكون دالة على الياء المحذوفة للجزم، لأن الأصل في هذه الهاء أن تكون موصولة بياء؛ لأن ما قبلها متحرك بالكسر.
انظر: الموضح في وجوه القراءات (٢/٩٢٠).

(٨) هشام بن عمّار بن نصير السُّلمي، أبو الوليد، إمام أهل الدمشق وخطيبهم ومقرئهم ومحدثهم، أخذ القراءة عن أيوب بن تميم، وسويد بن عبد العزيز، وروى عنه القراءة القاسم بن سلاّم، وأحمد ابن يزيد الحلواني، وهارون الأخفش. توفي سنة ٢٤٥هـ.

وقالون[1] روماً[2] للتخفيف، والإشباع هو القياس، وانفرد حفص بإسكان القاف قياساً على «كَتْف»[3]. ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ بكلّ بغية.

قال تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

انظر: معرفة القراء الكبار (١/١٩٥–١٩٨)، وغاية النهاية (٢/٣٥٥).

(١) قالون: عيسى بن مينا بن وردان الزرقي، مولى بني زهرة، أبو موسى الملقب بقالون، قارئ المدينة ونحويها، أخذ القراءة عرضاً عن نافع، وعن عيسى بن وردان، روى القراءة عنه أحمد الحلواني وغيره، توفي سنة ٢٢٠هـ.
انظر: معرفة القراء الكبار (١/١٥٥)، وغاية النهاية (١/٦١٥، ٦١٦).

(٢) الروم لغة: الطلب. واصطلاحاً: الإتيان بثلث الحركة وتحذف الباقي. وقال بعضهم: هو تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظم صوتها، ويسمعه القريب المصغي دون البعيد.
النشر (٢/١٢١)، وهداية القاري (٥١٨، ٥١٩).

(٣) انظر: السبعة (٤٥٧، ٤٥٨)، والخصائص (٢/٣٤٠)، والكشف (٢/١٤٠–١٤٢)، والتيسير (١٦٢، ١٦٣)، والحجة للفارسي (١/٤٠٩)، والموضح (٢/٩١٩–٩٢١)، والدر المصون (٨/٤٢٨–٤٣١)، والنشر (٢/٣٠٦، ٣٠٧).

ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ ﴾ [٥٣-٥٧].

﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾ الضمير للمنافقين، فإنّ ذكر المؤمنين كان استطراداً للتقابل، وتباين الأحوال. والمعنى: استفرغوا جهدهم في الأيمان الكاذبة بعد ذلك التولي والإعراض، كما هو دأبهم في النفاق، و«جهد» منصوب بفعل مضمر كـ﴿ ضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾[1][2]. ﴿ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ﴾ جواب القسم، والمعنى: أنهم كاملون في الإيمان بحيث لو أمرتهم بالخروج عن الديار والأموال لفعلوا[3]. ﴿ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ﴾ كاذبين فإن ذلك تحمل إثم فوق آخر. ﴿ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴾ المطلوب منكم طاعة معروفة كطاعة الخُلّص، أو طاعتكم

(١) بعض الآية (٤) من سورة محمد.

(٢) انظر: المفردات (٢٠٨) مادة «جهد»، والكشاف (٣١٦/٤).

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٤٧٢). وقال مقاتل:«من حلف بالله فقد أجهد في اليمين، وذلك أن المنافقين كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: لئن خرجت خرجنا، وإن أقمت أقمنا، وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا، فقال الله تعالى: ﴿ قُل ﴾ لهم، ﴿ لَّا تُقْسِمُوا۟ ﴾ لا تحلفوا». التفسير الكبير (٢٢/٢٤، ٢٣).

معروفة بأنها بالقول دون الفعل فلا حاجة إلى الأيمان، أو طاعة معروفة أمثل بكم من هذه الأيمان الكاذبة[1]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ مطّلع على ضمائركم فيجازيكم عليها[2]. ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ﴾ واتركوا النفاق، لم يقل: وأطيعوني إشارة إلى كونه رسولاً هو المقتضي للإطاعة. ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ﴾ ابتداء كلام منه تعالى لقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ﴾ دون عليك، والمعنى: إن توليتم لا ضرّ عليه[3]؛ لأنه أدّى ما عليه، وعليكم غضب الله وسخطه بإعراضكم[4]. ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ إلى الحق وتحرزوا نفوسكم. ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ الموضح لما كلفتم به. ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الخطاب لرسول الله، و«من» بيانية[5]، وقيل تتميم[6]

(١) قاله الزمخشري. الكشاف (٣١٦/٤)، وانظر: البحر المحيط (٤٦٨/٦)، وفتوح الغيب (٣٩٠).

(٢) انظر: الكشاف (٣١٦/٤).

(٣) في «ح»: ضير.

(٤) انظر: الكشاف (٣١٦/٤).

(٥) انظر: الكشّاف (٣١٦/٤).

(٦) تتميم: التتميم لغة من تمّ الشيء يتمُّ تماماً، وتتِمة الشيء ما تمّ به.

لقوله: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ بياناً لما لهم في العاجل والآجل ترغيباً[1]، و«من» للتبعيض، وفيه أنّ «آمنوا»[2] يأباه، وحمله على المترقب[3] لا يلائم مع أنّ الخلفاء لم يكونوا من أُولئك المقسمين[4].

واصطلاحاً: يقول أبو هلال العسكري عنه: «أن توفّي المعنى حظّه من الجودة، وتعطيه نصيبه من الصحة، ثمّ لا تغادر معنى يكون فيه تمامه إلاّ تورده، أو لفظاً يكون فيه توكيده إلاّ تذكره». الصناعتين (٣٨٩). وقال الزركشي: «هو أن يتمّ الكلام فيلحق به ما يكمله، إمّا مبالغة، أو احترازاً، أو احتياطاً». البرهان (٣/٧٠). وانظر: معجم المصطلحات البلاغية (٢٥١ـ٢٥٥).

(١) انظر: الكشف على الكشاف (٣٦٢/ب).

(٢) أي لفظ «آمنوا» الوارد في الآية.

(٣) في «ح»: الترقب.

(٤) يقول القزويني في هذا المعنى: «ولا يجوز أن يكون الجار في (منكم) على معنى التبعيض؛ لأن (آمنوا) إن كان ماضياً على حقيقته لم يستقم إذا لم يكن فيهم مَن كان آمن حال الخطاب، وإن جعل بمعنى المضارع على المألوف من أخبار الله تعالى فمع نُبُوِّه بذا المقام لم يكن دليلاً على صحة أمر الخلفاء، و لم يطابق الواقع أيضاً؛ لأن هؤلاء الأجلاّء لم يكونوا بعض من آمن من أُولئك المخاطبين، ولا كان في المقسمين مَن نال الخلافة». الكشف على الكشّاف (٣٦٢/ب). وانظر فتوح الغيب (٣٩١، ٣٩٢).

فإن قلتَ: لم وسّط الجار والمجرور بين الإيمان والعمل الصالح هنا وأخّرَه في سورة الفتح[1]. قلتُ: إشارة إلى أنّ الأصل في الاستخلاف هو الإيمان، ولذلك لا ينعزل الإمام بالفسق، وتصحّ[2] ولاية ذي الشوكة الفاسق[3]، بخلاف المغفرة والأجر الموصوف بالعظيم، فإن الإيمان والعمل الصالح أصلان فيهما. ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يجعلهم خلفاء فيها جواب قسم مقدّر[4]. ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ بني إسرائيل أورثهم ملك فرعون بمصر،

---

(١) في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ بعض الآية (٢٩).

(٢) في «ص»: ويصح.

(٣) انظر: الكشف على الكشّاف (٣٦٢/ب)، وفتوح الغيب (٣٩٣).
وهذه المسألة تحتاج مزيد إيضاح:
فقد اتفق العلماء أنّ الإمامة لا تعقد لفاسق ابتداءً. يقول القرطبي المفسِّر: «لا خلاف بين الأُمّة أنه لا يجوز أن تعقد الإمامة لفاسق». أمّا إذا انعقدت لإمام ثمّ طرأ عليه الفسق، فيرى جمهور أهل السنة أنه لا يعزل مطلقاً. يقول القاضي عياض:«وقال جمهور أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يخلع، ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخويفه». وقال النووي: «إن الإمام لا ينعزل بالفسق على الصحيح».
انظر: روضة الطالبين (١٠/٤٨)، وصحيح مسلم بشرح النووي (١٢/٢٢٩)، والجامع لأحكام القرآن (١/٢٧٠، ٢٧١)، والإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة (٤٧٥).

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٣١٨)، والبحر المحيط (٦/٤٦٩)، والدر المصون (٨/٤٣٤).

والعمالقة[1] بالشام، وناهيك[2] ملك داوود وسليمان[3]. ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾ دين الإسلام؛ لقوله: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[4] ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ فإن رسول الله[5] وأصحابه لما كانوا بمكة حالهم الخوف، ومقاساة الأعداء معروفة. ولما كانوا بالمدينة كانوا خائفين من [ملك][6] غسّان، وكان أهل النفاق يرجفون الأخبار[7]، حتّى أنزل الله فيهم ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴾[8]

---

(١) العمالقة: قبيلة من العرب البائدة، وهم بنو عمليق، ويقال: عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام ابن نوح عليه السلام، يضرب بهم المثل في الطول والضخامة.
انظر: الجامع لأحكام القرآن (٦/١٢٥)، ونهاية الأرب (١٤٤، ٣٤٠).

(٢) ناهيك: كافيك عن طلب غيره.
انظر: القاموس المحيط (١٨٢٨)، مادة «نهى»، والمعجم الوسيط (٢/٩٦٠)، مادة «نهى».

(٣) انظر: معالم التنزيل (٣/٣٥٤)، وزاد المسير (٦/٥٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٩٩).

(٤) بعض الآية (٣) من سورة المائدة.

(٥) لفظة (الله) غير موجودة في الأصل.

(٦) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٧) في «ح»، «ص»: الأحبار.

(٨) بعض الآية (٦٠) من سورة الأحزاب.

فأنجز الله وعده، ونصر عبده، فأورثهم أرضهم، وديارهم، وأموالهم، وأرضاً لم يطؤها، وكان الله عليكلّ شيء قديراً[1]»[2]. ﴿ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ حال من الذِّين؛ لتقييد الوعد بثباتهم على التوحيد، أو استئناف لبيان مقتضى الاستخلاف والأمن[3]. ﴿ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ الكاملون في الفسق حيث كفروا تلك النعم العِظام.

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ عطفٌ على ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[4]، والفاصل ليس بأجنبي، بل هو وعدٌ على المأمور به، مع أنّ الأصل في العطف مغايرة المعطوف عليه، والفاصل يؤكدها؛ إذ في المجاورة مظنة

---

(١) في «ح»: وأيضاً.

(٢) الآية عامة في الصحابة ومن بعدهم. قال ابن عطية: «والصحيح في الآية أنها في استخلاف الجمهور، واستخلافهم هو أن يملكهم البلاد، ويجعلهم أهلها». وقال القرطبي: «الآية عامة لأمة محمد ﷺ غير مخصوصة، إذ التخصيص لا يكون إلاّ بخبر ممن يجب له التسليم، ومن الأصل المعلوم التمسك بالعموم، فالآية معجزة النبوة؛ لأنها إخبارٌ عمّا سيكون فكان». المحرر الوجيز (٣٢١/١١، ٣٢٢)، والجامع لأحكام القرآن (٢٩٩/١٢) بتصرف.

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١٤٦/٣)، والكشّاف (٣١٨/٤)، والمحرر الوجيز (٣٢٢/١١)، والدر المصون (٤٣٤/٨، ٤٣٥).

(٤) بعض الآية (٥٤).

الاتصال"[1]. وكررت طاعة الرسول مبالغة في إيجابها، وليرتب عليه الرحمة ثانياً كما رتّب عليها الهدى أوّلاً"[2].

﴿ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ خطاب لرسول الله، توكيدٌ لذلك الوعد. وقرأ ابن عامر، وحمزة بياء الغيبة، إمّا بإسناد الفعل إلى (الذين كفروا) على أنّ (معجزين في الأرض) مفعولاه. كأنه قيل: لا يحسبنّ الذين كفروا أحداً يُعْجِز الله في الأرض، أو على حذف المفعول الأوّل، أي: لا يحسبن الذين كفروا إياهم معجزين، أو في الفعل ضمير الرسول لتقدم ذكره، والخطاب أوجه؛ لعدم الحذف، ولكون أبلغ تسلية، ومن جوّز أن يكون الفاعل في قراءة التاء (الذين كفروا) لم يُصِب؛ لأن قراءة الخطاب لا احتمال فيها لغير رسول الله، ولا يمكن تأنيث الفعل المسند إلى (الذين)"[3].

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٣١٩)، والدر المصون (٨/٤٣٥).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٣١٩).

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٢٥٩)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/١٤٦)، والموضح (٢/٩٢٢)، والتيسير (١٦٣)، والكشّاف (٤/٣١٩)، والمحرر الوجيز (١١/٣٢٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٣٠١)، والبحر المحيط (٦/٤٧٠)، والدر المصون (٨/٤٣٦)، وإتحاف فضلاء البشر (٣٢٦).

﴿ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ عطفٌ على مقدّر، كأنه قيل: مقهورون في الدنيا بالاستئصال مجزيون في الآخرة بعذاب النار، أو في محل النصب على الحال، كإنه قيل: أنّى لك أو للكافر هذا الحسبان، والحال أنّ النار معدّة لهم[1]. ﴿ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ المأوى.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٥٨-٦٠].

(١) انظر: أنوار التنزيل (٤٧٣)، والبحر المحيط (٦/ ٤٧٠)، ومغني اللبيب (٢/ ٤٨٢-٤٨٥)، والدر المصون (٨/ ٤٣٧، ٤٣٨).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ متصل بقوله ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾[1]. والإفراد بالذكر؛ لأنه من الآداب فربما يتساهل فيه، وقيل: رجوع إلى الأحكام السالفة التي صدرت السورة بها بعد الفراغ من الالهيات، والوعد والوعيد، والخطاب للرجال، وتدخل النساء في الطريق الأولى؛ لأن الستر بهنّ أولى[2]. نزلت في عمر بن الخطاب كان قائلاً وقت الظهيرة متجرداً عن الثياب، فأرسل إليه رسول الله ﷺ مدلج[3] بن عمرو غلاماً من الأنصار، فدخل على عمر من غير إذن. فقال عمر: وددت أن الله نهى أولادنا وخدمنا من الدخول في هذه الساعات إلاّ بالإذن، فلمّا جاء رسول الله وجده قد

---

(١) بعض الآية (٥٤).

(٢) اختار هذا الفعل الإمام الطبري وقال: «وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عني به الذكور والإناث؛ لأن الله عمّ بقوله «الذين ملكت أيمانكم» جميع أملاك أيماننا، و لم يخصص منهم ذكراً ولا أُنثى، فذلك على جميع من عمّه ظاهر التزيل». جامع البيان (١٦١/١٨).
وانظر: التفسير الكبير (٢٨/٢٤)، وأنوار التنزيل (٤٧٣)، وفتوح الغيب (٣٩٩).

(٣) مدلج بن عمرو السُّلَمي، صحابي، من الشجعان، من حلفاء بني عبد شمس، شهد المشاهد مع رسول ﷺ، وأدرك أيام الفتوح، مات سنة ٥٠هـ.
انظر: الطبقات الكبرى (٩٨/٣)، والاستيعاب (١٤٦٨/٤)، والإصابة (٦٢/٦).

نزلت عليه[1]. وقيل نزلت في أسماء بنت مرشد[2]، دخل عليها غلامٌ كبير لها، فكرهت دخوله في ذلك الوقت، فشكت ذلك إلى رسول الله فنزلت[3]. ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ أي: الصبيان من الأحرار الذين لم يبلغوا حدّ الرجولة، فعبّر عنه بالحلم؛ لأنه أحد دلائله.

---

(١) قاله ابن عباس. انظر: أسباب النزول للواحدي (٣٨٠)، ومعالم التنزيل (٣/٣٥٥)، والكشّاف (٤/٣٢٠)، وزاد المسير (٦/٦٠)، والتفسير الكبير (٢٤/٢٨–٢٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٣٠٤)، وذكره ابن حجر في الإصابة (٣/٣٧٥)، ونسبه لابن منده في معرفة الصحابة من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وإسناده باطل.

(٢) في هامش «ص»، «ح»: «بنت مرشد بالشين المعجمة، كذا في الاستيعاب، وروى غيره بالثاء المثلثة».

أسماء بنت مرشد من بني حارثة، أسلمت وبايعت، قيل: لا يصح حديثها انفرد به حرام بن عثمان، وهو ضعيف من جميعهم. انظر: الاستيعاب (١٢/٢٠٤)، والإصابة (١٢/١٢٠).

(٣) قاله مقاتل. انظر: أسباب النزول للواحدي (٣٨٠)، ومعالم التنزيل (٣/٣٥٥)، والكشّاف (٤/٣٢٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٣٠٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٩٠).

﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍۚ﴾ في ثلاث[1] أوقات. ﴿مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ لأنه وقت القيام من المضاجع، والغالب فيه التجرد عن ثياب اليقظة[2]. ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم﴾ للقيلولة ﴿مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ بيانٌ للحين[3]. ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ﴾ لأنه وقت التجرد من الثياب والالتحاف باللِّحاف[4].

﴿ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ﴾ أي: هذه ثلاث[5] عورات [أو ثلاث عورات][6][7] مبتدأ خبره (لكم)[8][9]. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر (ثلاثَ عورات)

---

(١) في الأصل، «ح»، «ص»: ثلث، وفي «ق»: ثلاث. والصواب: ثلاثة.

(٢) انظر: الكشّاف (٣/٣١٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٣٠٤)، وأنوار التنزيل (٤٧٣).

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٣١٩)، وأنوار التنزيل (٤٧٣).

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٣١٩).

(٥) في الأصل، «ح»، «ص»: ثلث.

(٦) في الأصل، «ح»، «ص»: ثلث.

(٧) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٨) في الأصل، «ح»، «ص»: ثلث.

(٩) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٢٦٠)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/١٤٧).

بالنصب بدلاً من (ثلاث[1] مرات)، وتسميتها بالعورات؛ لكونها مظنّة لها، وكلّ عيب وخلل عورة. ومنه في الحديث: «لا يؤخذ في الزكاة هرِمة، ولا ذات عور»[2] أي: عيب وخلل، وأعور الفارس[3]، إذا وجد منه خلل في لبسه وسلاحه.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ بعد الأوقات الثلاث[4]، صفة (ثلاث[5] عورات) إن قرئ بالرفع ابتداء تعليم، أي: هنّ عورات مخصوصة بالاستئذان ليس وراءهنّ جناح، واستئناف يؤكد الأمر بالاستئذان في تلك الأوقات إن قرئ بالنصب[6]. فإن قلتَ: هلاّ جعل وصفاً في قراءة[7] [النصب كما في][8] قراءة[9] الرفع.

---

(١) في الأصل، «ح»، «ص»: ثلث.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب: لا تؤخذ في الصدقة هرمة، ولا ذات عوار، عن أنس ﷺ بلفظ: «ولا يُخرج في الصدقة هرمة، ولا ذات عوار، ولا تيس إلاّ ما شاء المصدّق». صحيح البخاري (١/٤٥٠) ح ١٤٥٥.

(٣) في «ح»: الفار.

(٤) في الأصل، «ح»، «ص»: الثلث.

(٥) في الأصل، «ح»، «ص»: الثلث.

(٦) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٢٦٠)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/١٤٧)، وعلل القراءات (٢/٤٥٩)، والتيسير (١٦٣)، والموضح (٢/٩٢٣)، والدر المصون (٨/٤٣٨ـ٤٤٠)، والنشر (٢/٣٣٣)، وإتحاف فضلاء البشر (٣٢٦).

(٧) في «ح»: قرأه.

(٨) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٩) في «ح»: قرأه.

قلتُ: إذا أمر بالاستئذان في الأوقات الثلاثة[1]، فقد حصل الغرض، سواء وصفت بأن لا حرج وراءها أو لم توصف، فيضيع الوصف، بخلاف الرفع فإنّ الوصف للخبر المقصود والاستئذان على إطلاقه كما في النصب. والآية في الصبيان [والمماليك][2]، وآية الاستئذان السابقة في الأحرار البالغين، فلا تنافي فلا نسخ. ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم﴾ تعليل لرفع الحرج [إذ كثرة][3] المداخلة مع الاستئذان في الأوقات كلّها يوجب الحرج.

﴿بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ مبتدأ[4] وخبر، أي: بعضكم [يطوف على][5] بعض[6].

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ﴾ سائر الآيات في الوضوح والجلاء. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ كامل العلم. ﴿حَكِيمٞ﴾ فيما شرع لكم من الأحكام.

---

(١) في الأصل، «ح»، «ص»: الثلثة.

(٢) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٣) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٤) في «ح»: مبتداء.

(٥) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٦) انظر: الكشّاف (٤/٣٢٠)، وأنوار التنزيل (٤٧٣)، والدر المصون (٨/٤٤١، ٤٤٢).

﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي: الذين بلغوا من قبلهم السنّ الذي يبلغ فيه الغلام، عند أبي حنيفة ثماني عشرة سنة، والجارية سبع عشرة سنة، والشافعي وعامّة العلماء خمس عشرة سنة في الغلام والجارية[1].

وروي عن عليّ رضي الله عنه أنه كان يقدر القامة[2] خمسة أشبار[3]. وإليه أشار الفرزدق[4] في قوله: فسما[5] وأدرك خمسة الأشبار[6]. واستدلّ به من أوجب

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٥/١٩٣ــ١٩٥)، والكشّاف (٤/٤٢١)، والتفسير الكبير (٢٤/٢٩، ٣٠). وهناك علامات أُخرى للبلوغ منها: الاحتلام، ونبات شعر العانة، وتختصّ الجارية بالحيض والحمل. انظر: المغني (٦/٥٩٧ــ٦٠٠).

(٢) في «ح»: العامة.

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٣٢١)، والتفسير الكبير (٢٤/٣٠)، وفتوح الغيب (٤٠٣).

(٤) الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعة التميمي، أبو فراس، شاعر فحل، عظيم الأثر في لغة العرب حتّى قيل: «لولا الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب»، له مهاجاة شعرية مع الأخطل، وجرير، كان شريفاً في قومه، مات سنة ١١٠هــ، في بادية البصرة. له ديوان شعر مطبوع. انظر: وفيات الأعيان (٦/٨٦ــ١٠٠)، وسير أعلام النبلاء (٤/٥٩٠)، ومعاهد التنصيص (١/٤٥).

(٥) في «ق»: فسمى.

(٦) تمام البيت: ما زال مذ عقدت يداه إزاره فسما وأدرك خمسة الأشبار. من بحر الطويل.

الاستئذان على العبد البالغ إذا دخل على سيدته، ولا دليل فيه؛ لأن المراد بهم ما عدا المماليك من الأحرار، لتقدم المماليك في «الذين ملكت أيمانكم»[1]. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ كرره مبالغة في شأن الاستئذان، وأضاف الآيات إلى الله تعالى زيادة توكيد؛ لأن الاستئذان مما يُتَساهل فيه. وعن ابن عباس رضي الله عنه: «ثلاث[2] آيات جحدهنّ الناس: الإذن كلّه[3]، و﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[4]، و﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ﴾[5]. وعن ابن

والشاعر في هذا البيت يرثي يزيد بن المهلب بأنه من حين تمييزه إلى حين موته، وهو يخوض غمار الحرب، وقد يراد معنى آخر وهو الإشارة إلى تمييزه وإحكام أمر تدبيره مذ كان صغيراً.

انظر: ديوان الفرزدق (١/٣٠٥)، والكشاف (٤/٣٢١)، والجنى الداني (٥٠٤)، ومغني اللبيب (١/٣٣٦).

(١) انظر: زاد المسير (٦/٦٢)، وأنوار التنزيل (٤٧٣)، وفتوح الغيب (٤٠٣).

(٢) في الأصل: ثلاثة.

(٣) في «ح»: كلمة.

(٤) بعض الآية (١٣) من سورة الحجرات.

(٥) بعض الآية (٨) من سورة النساء. وانظر الكشاف (٤/٣٢١).

مسعود[1] رضي الله عنه: «عليكم أن تستأذنوا على آبائكم، وأمهاتكم، وأخواتكم»[2].

﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ جمع قاعدة، أي: ذات قعود كطالق، وحائض، وهي المسنّة من النساء تقعد في البيت لعدم استطاعة الدخول والخروج[3]. ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا ﴾ لعدم رغبتهنّ فيه، أو لعدم رغبة الرّجال فيهنّ.

﴿ فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ ﴾ الثياب الظاهرة كالجلباب والملحفة، ودخول الفاء في الخبر؛ لأنّ اللاّم في القواعد موصولة[4].

﴿ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ﴾ الزينة الخفيه، لسبق العلم باختصاص الحكم بها، والتنكير لإفادة الشيوع، وإنّ زينةً مَّا، وإن قلّت داخلة في الحكم[5]. والتبرج: التكلف في إظهار الزّينة، من البرج بفتح الراء، وهو سعة العين إذا ظهر أحداق

(١) عبد الله بن مسعود الهذلي، أبو عبد الرحمن، الصحابي الجليل، وأول مَن جهر بالقرآن في مكة، كان خادم رسول الله ﷺ، وصاحب سرّه، ورفيقه في حلّه وترحاله، توفي بالمدينة سنة ٣٢هـ. انظر: صفة الصفوة (١/٢٠٨)، والإصابة (٢/٣٦٨) برقم (٤٩٥٤).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٣٢١).

(٣) انظر: غريب القرآن (٣٠٧، ٣٠٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٣٠٩).

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٣٢٢)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/٩٧٨)، والدر المصون (٨/٤٤٣).

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٣٢٢)، وفتوح الغيب (٤٠٦).

بياضها بسوادها[1]. وفي الحديث في وصف عمر بن الخطاب كان طُوالاً أبرج[2].

﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ مِن وضع الثياب، رغّب في الأفضل والتقوى بعد بيان الإباحة على نمط الفتوى. ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ أقوالهنّ. ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالهنّ.

تحذير لهنّ من التجاوز في الأقوال والأفعال، وقدّم ما يتعلق بالقول اهتماماً كما في الحديث أن معاذ بن جبل[3] قال: «يا رسول الله هل نؤاخذ بما نقول بألسنتنا. قال: ثكلتك أُمك[4] يا معاذ، وهل يكبّ الناس في النار على مناخرهم[5] إلاّ

---

(١) انظر: الصحاح (١/٢٩٩)، مادة «برج»، والمفردات (١١٥)، مادة «برج»، والكشّاف (٤/٣٢٢)، وأنوار التنزيل (٤٧٤)، ولسان العرب (١/٢٤٣)، مادة «برج».

(٢) انظر: الطبقات الكبرى (٣/٣٢٤، ٣٢٥).

(٣) معاذ: معاذ بن جبل الخزرجي الأنصاري، صحابي جليل، جمع القرآن على عهد النبي ﷺ بعثه النبي ﷺ إلى اليمن ووصيته له مشهورة، كان أعلم الصحابة بالحلال والحرام، مات سنة ١٧هـ، وقيل: ١٨هـ. انظر: التاريخ الكبير (٧/٣٥٩)، وسير أعلام النبلاء (١/٤٤٣).

(٤) ثكلتك أمك: الثُّكْل والثَكَل: فقدان المرأة ولدها، يُقال: ثكلته أُمه: دعاءٌ عليه بالهلاك، وقد يُراد به التعجب. انظر: الصحاح (٤/١٦٤٧)، مادة «ثكل»، والمعجم الوسيط (١/٩٨)، مادة «ثكل».

(٥) مناخرهم: المناخر جمع مَنْخِر، وهو ثقب الأنف. انظر: الصحاح (٢/٨٢٤)، مادة «نخر».

حصائد ألسنتهم[1]»[2]، لا سيما النساء، فإن الغالب عليهن[3] كثرة اللَّغو في الكلام، والخوض فيما لا يعني[4].

قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ

(١) حصائد ألسنتهم: أي: ما تحصده ألسنتهم من الكلام المحرم، فإن الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات، ثمّ يحصد ما زرع. انظر: جامع العلوم والحِكَم (١٤٧/٢).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٤٤/٣٦) ح٢٢٠١٦، قال المحقق: «صحيح بطرقه وشواهده»، والبزار في البحر الزخّار (٩٠/٧)، والترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة (٥٩٤، ٥٩٥) ح ١٦١٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والطبراني في الكبير (٢٠٠/٢٠، ٣٠٤)، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، باب تفسير سورة السجدة (٤١٢/٢، ٤١٣)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، و لم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي.

(٣) في الأصل: إليهنّ.

(٤) في «ح»: لا يغني.

أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [٦١].

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ كان المؤمنون لا يتحاشون في إدخال ذوي العاهات على أقربائهم، وأصدقائهم وإطعامهم مما يطعمون، ثمّ كره الطاعم والمطعم ذلك؛ فإنه أكل مال الغير بالباطل، فتحرجوا، فقيل لهم ليس ذلك من الأكل بالباطل[1]. وقيل: كان ذوو العاهات يتحرجون من مؤاكلة الأصِحّاء؛ استقذاراً لأنفسهم؛ لأن الأعمى لا يخلو تناوله الطعام عن نوع شَيْن، وكذلك الأعرج في جلوسه، والمريض عن كراهة رائحةٍ ونحوها، أو لأن الأعمى لا يرى الطعام، والمريض لا يستوفي الأكل، والأعرج لا يتمكن من الجلوس، فربما تحرجوا لئلا يظلموهم[2].

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٣٢٣)، والبحر المحيط (٦/٤٧٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٩٢).

(٢) قاله الضحاك. انظر: جامع البيان (١٨/١٦٨)، وأسباب النزول للواحدي (٣٨١)، ومعالم التنزيل (٣/٣٥٧)، والكشّاف (٤/٣٢٣)، وتفسير القرآن العظيم (٦/٩٢).

وقيل: كانوا إذا غزو خلفوا[1] على أموالهم وتعلقاتهم القاعدين عن الغزو، وكانوا يأذنون لهم في الأكل منها فيتحرجون[2]. حُكِيَ أنَّ الحرث بن عمرو[3] خرج غازياً، وخلّف على أمواله مالك بن زيد[4]، فلمّا رجع رآه مجهوداً، فسأله عن ذلك، فقال:لم يكن عندي شيء، ولم آكل من مالِك شيئاً[5]. وقيل الآية نزلت في القاعدين عن الغزو للأعذار[6]، وعلى هذا وجه العطف في قوله: ﴿ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ

(١) في «ح»: خلفوهم.

(٢) قاله سعيد بن المسيّب.
انظر: أسباب النزول للواحدي (٣٨٢)، ومعالم التنزيل (٣/٣٥٧)، والكشّاف (٤/٣٢٣)، والتفسير الكبير (٢٤/٣٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٣١٢).

(٣) الحرث بن عمرو، هكذا في النسخ كلّها، وفي التفاسير المطبوعة: الحارث بن عمرو.
والحارث بن عمرو الأنصاري، عم البراء بن عازب، ويقال: خاله، روى عنه البراء.
انظر: الاستيعاب (١/١٤٩) برقم ٤٤٥، وتهذيب التهذيب (٢/١٥١).

(٤) مالك بن زيد
لم أجد له ترجمة تتفق مع القصة.

(٥) قاله ابن عباس.
انظر: معالم التنزيل (٣/٣٥٨)، والكشّاف (٤/٣٢٣)، والتفسير الكبير (٢٤/٣٥)، والدر المنثور (٥/١٠٦).

(٦) قاله الحسن. انظر: معالم التنزيل (٣/٣٥٧)، والتفسير الكبير (٢٤/٣٥). وقال الرازي: «وهذا القول ضعيف». وأنوار التزيل (٤٧٤). وقال البيضاوي:«وهو ــ قول الحسن ــ لا يلائم ما قبله وما بعده».

بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ ﴾ الجامع بين المعطوف والمعطوف عليه كون كلٍّ منهما منفياً عنه الحرج، كما إذا استفتاك مسافر عن جواز الإفطار، وحاجّ عن تقديم الرمي عن الحلق. قلت: ليس على المسافر حرج في الإفطار ولا عليك أيّها الحاج في تقديمك[1]، فإنّ القضيتين وإن تباينتا كلّ التباين إذا تقاربتا في الاحتياج إلى البيان قرب الجامع، والذي دعا إلى ذكر بيوتكم أمران: أن يعطف عليه غيره، واكتفاءً بذكره عن ذكر بيوت الأبناء[2]، للحديث المشهور: «أنت ومالك لأبيك»[3]. ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ كناية عمّا تحت يد الوكيل، والقيم، والأمين[4]. ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ يُطْلق على الواحد

---

(١) في «ص»: تفديك.

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٣٢٤)، والبحر المحيط (٦/٤٧٤)، وفتوح الغيب (٤٠٧).

(٣) أخرجه أبو داود في البيوع، باب في الرجل يأكل من مال ولده (٣/٢٨٧) ح ٣٥٣٠، وابن ماجة في التجارات، باب ما للرجل من مال ولده (٢/٧٦٩) ح٢٢٩١، ٢٢٩٢، والبزار في البحر الزخّار (١/٤٢٠)، وأحمد في المسند (٥٢٣) ح٦٩٠٢، وفي كتاب الوَرَع (١/١١)، والطحاوي في مشكل الآثار (٤/١٥٨)، والبوصيري في مصباح الزجاجة (٣/٧٣)، وقال: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات على شرط البخاري. وانظر: نصب الراية (٣/٢٧٥)، ونيل الأوطار (٧/١٢٩)، وعون المعبود (٩/٣٢٤).

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٣٢٤).

والجمع كالـخليط والقطين، وهذا إذا دلّ الحال على الرضا[1] كما كان دأب السلف[2]. حُكِيَ أنّ الحسن دخل داره يوماً فرأى جمعاً من أصحابه قد أخرجوا من تحت سريره سلالاً فيها أطايب الأطعمه، وهم مكبون عليها يأكلون، فاستنار وجهه وقال: هكذا وجدناهم، يريد كبراء الصحابة من البدريـين[3]. وقد روى أنّ الشافعي كان يذهب إلى بيت الزعفراني[4]، ويقيم عنده في بيت الكتب أياماً، وكان دأب الزعفراني أن يكتب صبيحة كـلّ يوم ما يطبخ في بيته على ورقـة، ويناولها جارية ليسلمها إلى الطبّاخ، فوجد يوماً في السماط[5] طعاماً لم يكن كتبه، فسأل عن

---

(١) في «ح»: الرضاء.

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٣٢٤)، وأنوار التنـزيل (٤٧٤)، والبحر المحيط (٦/٤٧٤)، والدر المصون (٨/٤٤٤). والقطين: أهل الدار، والخدم، والأتباع، والمماليك.

انظر: القاموس المحيط (١٥٨١)، مادة «قطن».

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٣٢٤، ٣٢٥)، والتفسير الكبير (٢٤/٣٧)، واللُّباب في علوم الكتاب (١٤/٤٦٠).

(٤) الزعفراني: الحسن بن محمد الصباح البغدادي الزعفراني، أبو علي، قرأ على الشافعي كتابه القديم، وكان فقيهاً، محدثاً عالي الرواية، مات سنة ٢٦٠هـ ببغداد.

انظر: تاريخ بغداد (٧/٤٠٧)، وسير أعلام النبلاء (١٢/٢٦٢).

(٥) السماط: بكسر السين ما عدّ ليوضع عليه الطعام، وجمعه سُمط وأسْمِطة.

ذلك فأخبرته الـجارية أنّ الضيف أخذ منها الورقة، وزاد فيها ذلك الطعام، فقال: إن كنت صادقة فأنت حرّة لوجه الله، عليّ بالورقة، فأتوا بها فوجد الأمر كما أخبرته عليها ملحق بخطّ الشافعي.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: «الصديق أكبر من الوالدين، ألا يرى أنّ أهل النـار لم يذكروا الآباء والأمهات، بل قالوا ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾»[1][2].

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ﴾ نزلـــــت في [بني][3] عمرو بن ليث مِن كنانة[4]، كانوا يتحرجـون أن يأكـل الرجـل وحـده[5].

انظر: القاموس المحيط (٨٦٧)، مادة «سمط».

(١) الآيتان (١٠٠، ١٠١) من سورة الشعراء.

(٢) انظر: الكشّاف (٣٢٥/٤)، والتفسير الكبير (٣٧/٢٤)، والبحر المحيط (٤٧٤/٦).

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٤) بنو عمرو بن ليث: بطن من كنانة من العدنانية، وهم بنو ليث بن بكر بن عبد مناة من كنانـــة، كانوا يقيمون حول مكة.

انظر: انظر جمهرة أنساب العرب (١٨٠).

(٥) انظر: جـــامع البيان (١٧٢/١٨)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجـــاج (٥٤/٤)، وأسباب النـــزول للواحدي (٣٨٢)، ومعالم التنـــزيل (٣٥٨/٣)، والتفسير الكبير (٣٧/٢٤)، والجـــامع لأحكـــام القرآن (٣١٧/١٢).

وقيل: [من][1] الأنصار، كانوا لا يأكلون إلاّ مع الضيف[2]. وقيل: كانوا لا يتحرجون من الاجتماع على الأكل؛ لتفاوت نهمة[3] الناس[4].

﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا ﴾ من هؤلاء البيوت وغيرها، ولذلك نكّره. ﴿ فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ على من فيها، فإن المؤمنين كنفسٍ واحدة. ﴿ تَحِيَّةً

---

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٢) قاله عكرمة.

انظر: أسباب النزول للواحدي (٣٨٢)، ومعالم التنزيل (٣/٣٥٨)، والتفسير الكبير (٢٤/٣٧).

(٣) في «ح»: نمهة.

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٣٢٥)، والتفسير الكبير (٢٤/٣٧).

واختار الإمام الطبري قولاً آخر فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يُقال: إن الله وضع الحرج عن المسلمين أن يأكلوا جميعاً معاً إذا شاءوا، أو أشتاتاً متفرقين إذا أرادوا، وجائز أن يكون ذلك نزل بسبب من كان يتخوّف من الأغنياء الأكل مع الفقير، وجائز أن يكون نزل بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا لا يطعمون وحداناً، وبسبب غير ذلك، ولا خبر بشيء من ذلك يقطع العذر، ولا دلالة ظاهر التنزيل على حقيقة شيء منه، والصواب: التسليم لما دلّ عليه ظاهر التنزيل، والتوقف فيما لم يكن على صحته دليل». جامع البيان (١٨/١٧٢، ١٧٣).

﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ مشروعة بإذنه، أو متعلق بتحية؛ لأن السلام دعاء بالسلامة والحياة(1) للمسلم عليه من الله.

وانتصابه على المصدر كقعدت جلوساً(2). ﴿مُبَـٰرَكَةً﴾ يُرجى بركتها. ﴿طَيِّبَةً﴾ يوجب الأُنس ويطيب بها قلب السامع ويسكن.

روى البخاري [أنه ﷺ](3) سئل عن أفضل خصال الإسلام، فقال: «إطعام الطعام، وإفشاء السلام»(4). وهذا السلام مشروع سواء كان في البيت أحد أو لا. قيل: إذا لم يكن فيه أحد، فليقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين(5). وعن ابن عباس: «إذا دخلت المسجد وليس فيها أحد، فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»(6).

---

(1) في الأصل: الحيات.

(2) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٥٥)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/٩٧٨)، والدر المصون (٨/٤٤٤).

(3) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(4) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام (١/٢١) ح ١٢.

(5) انظر: معالم التنزيل (٣/٣٥٨)، والكشّاف (٤/٣٢٦، ٣٢٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٣١٨).

(6) انظر: جامع البيان (١٨/١٧٤)، ومعالم التنزيل (٣/٣٥٩)، والكشّاف (٤/٣٢٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٣١٨).

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ ﴾ كرره تفخيماً للأحكام المذكورة، وجعل الفاصلة في الأولين العلم والحكمة المقتضيان[1] لتبيين الأحكام، وهنا ما هو المقصود من ذلك البيان، وهو قوله ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[2] أي: تفقهون في الدين. وفي البخاري: «من يرد الله به خيراً يُفقهه في الدين»[3].

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ

(١) كذا في النسخ، والصواب: المقتضيين؛ لأنها صفة الأولين.

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٤٧٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقه في الدين (١/٤٢) ح٧١.

وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾ ﴾ [٦٢-٦٤].

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ يريد الكاملين في الإيمان.

﴿ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ ﴾ وصف الأمر بالجامع مجاز، والمراد ما يكون الاجتماع لأجله كالجمعه، والعيد، والمشاورة في مُهِمّ[1]. ﴿ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ﴾ لقوّة إيمانهم لا يأتون ولا يذرون إلاّ بإذنه[2]. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ صدر الكلام أوّلاً بـ«إنما» المفيد للحصر، وأوقع الموصول خبراً عنه محيطاً بالإيمانين. ثمّ أعاد الكلام على وجهٍ دلّ على أنّ مصداق الإيمان [هو][3] الاستئذان، وفيه تعريض بأن المنافق

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٣٢٧)، وزاد المسير (٦/٦٧).

وقول المصنّف: «وصف الأمر بالجامع مجاز»، يقول عنه الطيبي: «وهو يحتمل وجهين أحدهما: أن يكون إسناداً مجازياً؛ لأن صاحب الأمر يجمع الناس لأمره وشأنه، فوصف بصفة من هو بسببه، وثانيهما: أن يكون استعارة مكنية». فتوح الغيب (٤١٢).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٣٢٧).

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

المتسلل[1] ليس من الإيمان في شيء. ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ لِمُهمٍّ يعرض لهم. ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ واستصوبت له الإذن، فوّض الأمر إليه في الإذن والمنع، إجلالاً له[2]. ﴿وَٱسْتَغْفِرْ﴾ الله ﴿لَهُمُ﴾ على بدل الطاعة. وفي الحديث: «من أسدى إليكم معروفاً فجازوه بمثله، فإن لم تقدروا، فكافئوه بالدعاء»[3]. وقيل: الاستغفار لهم على الإذن، فإنه ترك الأفضل؛ لأنه اشتغال بأمر الدنيا[4]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لفرطات العباد، ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم حيث بنى[5] أمرهم على اليسر، أو أرسل لهم من يستغفر لهم.

---

(١) في «ح»: المعلن.

(٢) انظر: الكشّاف (٣٢٨/٤).

(٣) أورده العراقي في: المغني عن حمل الأسفار (٢١٥/١)، والعجلوني في كشف الخفاء (٢٢٥/٢).

وعند أبي داود بلفظ: «ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له حتّى تروا أنكم قد كافأتموه». كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله (١٣١/٢) ح ١٦٧٢.

(٤) انظر: أنوار التنزيل (٤٧٥).

(٥) في «ح»: بنا.

﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ فتنصرفون بغير إذنه توكيد لأمر الاستئذان، ولا تجعلوا دعاءكم إياه كما هو المتعارف يا فلان يا فلان تدعونه باسمه يا محمد، بل قولوا: يا رسول الله، ويا نبي الله بألفاظ تدلّ على التعظيم، كما خاطبه الله بها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾[1]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ﴾[2]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾[3]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾[4] لم يخاطب الله نبيّاً من الأنبياء إلاّ باسمه العَلَم ﴿ يَٰنُوحُ ﴾[5]، ﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾[6] ﴿ يَٰمُوسَىٰ ﴾[7]، إلاّ هذا المختار، فإنه لك يخاطبه إلاّ بتلك الألقاب الشريفة، أو لا تجعلوا دعاء الرسول واستغفاره لكم

(١) بعض الآية (٤١، ٦٧) من سورة المائدة.

(٢) بعض الآية (٦٤، ٦٥، ٧٠) من سورة الأنفال، وغيرها منه المواطن.

(٣) بعض الآية (١) من سورة المزمل.

(٤) بعض الآية (١) من سورة المدثر.

(٥) بعض الآية (٤٦، ٤٨) من سورة هود.

(٦) بعض الآية (٧٦) من سورة هود، وغيرها من المواطن.

(٧) بعض الآية (١٤٤) من سورة الأعراف، وغيرها من المواطن.

مثل دعاء بعضكم لبعض والاستغفار له؛ فإنه مستجاب حتماً[1]. ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ﴾ قليلاً مثل «تدرج» و«تدخل»، مصدر لاوذ[2] الرجل إذا تستر بغيره، أدخل «قد» على العلم تحقيقاً وتوكيداً لثبوته، [ليكون][3] ذريعة إلى تحقق الوعيد[4]. ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ﴾ يعرضون عن طاعته، فيشمل الأمر الجامع [وغيره. وعن][5] الأخفش[6] أنّ «عن» صلة[7]. وقيل:

(١) قاله ابن عباس. انظر: جامع البيان (١٨/١٧٨)، والكشّاف (٤/٣٢٨)، والتفسير الكبير (٢٤/٤٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٣٢٢)، وأنوار التنزيل (٤٧٥).

(٢) في «ح»: لاذ.

(٣) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٥٦)، وتهذيب اللُّغة (١٢/٢٩٢)، مادة «سل»، ومشكل إعراب القرآن (٢/٥١٨)، والبيان (٢/٢٠١)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/٩٧٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٣٢٢)، وأنوار التنزيل (٤٧٥)، والبحر المحيط (٨/٤٤٧).

(٥) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٦) الأخفش: سعيد بن مسعدة المجاشعي مولاهم، البصري، أبو الحسن، نحوي، عالم باللُّغة والأدب، أخذ العربية عن سيبويه، وزاد في العروض بحر الخبب، فأصبحت ستة عشر بحراً، مات سنة ٢١٥هـ، من كتبه: «معاني القرآن» مطبوع، والاشتقاق، والقوافي وغيرها.
انظر: وفيات الأعيان (٢/٣٨٠)، وسير أعلام النبلاء (١٠/٢٠٦).

(٧) لم أعثر عليه في معاني القرآن. وانظر: المسألة في: معالم التنزيل (٣/٣٥٩)، والبحر المحيط (٦/٤٧٧)، ومغني اللّبيب (٢/١١٦)، والدر المصون (٨/٤٥٠).

بمعنى بعد كقوله: ﴿ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾[1]. وقيل: يخالفون عن أمره، أي: يصدّون [عنه المؤمنين][2]، فحذف المفعول؛ لعدم تعلق المقصود به[3].

﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ في الدُّنيا بالقتل والأسر. ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [في الآخرة][4]، ظاهر الآية أن الأمر للوجوب عند عدم الصارف[5].

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ خلقاً وملكاً. ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾ الخطاب للمنافقين، أو عامٌّ لهم ولغيرهم[6]. ﴿ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ ﴾

(١) بعض الآية (١٩) من سورة الانشقاق. وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٢٣/١٢)، ومغني اللّبيب (١٤٨/١)، والتبيان في إعراب القرآن (١٢٧٩/٢)، وقال العكبري: «والصحيح أنها على بابها، وهي صفة، أي: طبقاً حاصلاً عن طبق، أي: حالاً عن حال.

(٢) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٣) انظر: الكشّاف (٣٢٨/٤)، وأنوار التنزيل (٤٧٥).

(٤) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٢٢/١٢، ٣٢٣)، وأنوار التنزيل (٤٧٥).

(٦) انظر: الكشّاف (٣٢٩/٤).

المنافقون للجزاء التفات على الأوّل[1]. ﴿ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ﴾ بالتوبيخ والمجازات[2]. ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾ افتتح السورة بقوله ﴿ وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖ ﴾ وختمها بقوله ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ إشارة إلى أنّ المنتفع بتلك الآيات المؤمن الذي سلّم كلّه إلى صاحب الشريعة، لا يقدم دون إشارته ولا يحجم[3]. وقد أورد بعض كبار المشايخ[4] هذه [الآيات][5] في بحث آداب المريد مع الشيخ[6].

تمت السورة والحمد لله على ما أنعم.

* * * *

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٣٢٩).

(٢) كذا في النسخ، والصواب: المجازاة بالتاء المربوطة.

انظر: القاموس المحيط (١٦٤٠)، مادة «جزى»، والمفرد العلم في رسم القلم (١٧١).

(٣) انظر: الكشف على الكشاف (٣٦٣/ب).

(٤) في هامش «ص»: «أوردها السهروردي في العوارف ـ قدّس الله روحه ـ».

(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٦) انظر: عوارف المعارف (٧٩، ١٩٣)، والكشف على الكشّاف (٣٦٣/ب، ٤٦٤/أ).

وقد أوردها في الباب الثاني عشر في شرح خرقة الصوفية، وليس كما ذكر المصنّف. ويريد بالمشايخ: مشايخ التصوّف.

تفسير
سورة الفرقان

«سورة الفرقان»

مكية وهي سبعون وسبع آيات[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ ﴾ [١-٦].

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ تعالى وتزايد خير مَن هذا فِعْلُه، أصله من برك البعير إذا ألقى بَرْكه، وهو الصدر، ففيه معنى اللُّزوم، ومنه البَرُوكاء لمكان الحرب، والبركة لمحبس[2] الماء[3]. ولما كان القرآن الكريم خيره ومنافعه لا تُحصى، وهو أصل الشريعة الدائمة إلى انقراض الزّمان وصف به من نزّله، ولا يوصف به غيره تعالى[4]، ولا يتصرف فيه. والفرقان علمٌ للقرآن؛ لأنه

(١) انظر: معالم التنزيل (٣/٣٦٠)، والمحرر الوجيز (١٢/٥)، وزاد المسير (٦/٦٦).

(٢) في «ح»: لمجلس.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٥٧)، والصحاح (٤/١٥٧٤، ١٥٧٥)، مادة «برك»، والمفردات (١١٩ــ١٢٠)، مادة «برك»، وفتوح الغيب (٤١٨).

(٤) في «ق»: تعلى.

يُفَـرِّق بين الحقّ والباطل، أو لأنه مفصول بعضه عن بعض بحسب الأحكام، أو في النـزول منجماً[1]. ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ أي: العبـد[2] والقـرآن[3]، والثـاني أوجه؛ لقولهم بعده ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[4] ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بدل من الموصول الأوّل؛ لأن قوله «ليكون» تعليل للصلة مـن تـتمتها، أو مـدح

---

(١) أي مفرقـاً حسب الحـوادث، قـال تعـالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]. انظر: الكشّـاف (٤/٣٣٠)، والـجامع لأحكـام القـرآن (٢/١٣)، وأنوار التزيل (٤٧٥)، وفتوح الغيب (٤١٨، ٤١٩).

(٢) قاله قتادة، وابن زيد.

انظر: النكت والعيون (٤/١٣١)، وزاد المسير (٦/٧٢)، ونسب القول للجمهور.

(٣) قاله ابن عيسى. انظر: النكت والعيون (٤/١٣١)، وزاد المسير (٦/٧٢).

(٤) بعـض الآية (٥). وانظر: معالـم التنزيل (٣/٣٦٠)، والكشّاف (٤/٣٣٠)، والبحـر المحـيط (٦/٤٨٠). وخالف بعض المفسرين اختيار الـمصنّف واختاروا القول الأوّل، منهم الرازي حيث قال: «وقول من قول: إنه راجع إلى الفرقان فبعيد، وإذا وصف به القرآن فهو مجاز، وحمل الكلام على الحقيقة إذا أمكن هو الواجب». التفسير الكبير (٢٤/٤٥). والقرطبي وقال: «ليكون للعالمين نذيراً» اسم (يكون)، مضمر يعود على (عبده)، وهو أولى؛ لأنه أقرب إليه، ويجوز أن يعود علـى (الفرقان)». الجامع لأحكام القرآن (١٣/٢).

مرفوع، أو منصوب[1]. ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ كما توهمه أهل الضلال. ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ أوْجَدَه مُراعىً فيه التسوية[2].

﴿ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ هيأه لما نيط به من الأفعال والملكات، وإن شئت فتأمل في الإنسان لـمّا كان مكلّفاً بمعرفة الصانع والقيام بعبادته كيف أفاض[3] عليه القُوى الدّراكة، والنطق للإفهام[4]. وقيل: قدّره للبقاء إلى أجلٍ مسمّى[5].

﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ اليهود، والنصارى، والمشركون، والمجوس. لـمّا بيّن أنه تفرد بالأُلوهية، أخذ في مثالب من ضلّ عن السبيل، واتّخذ له شريكاً. ﴿ لَّا يَخْلُقُونَ ﴾ له، ﴿ شَيْـًٔا ﴾ قطّ[6]، ﴿ وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ مخلوقون، وإيثار المضارع لاستحضار تلك الحالة. ﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ دفع ضر ولا جلب نفع، قدّم دفع الضرّ؛ لأنه أهـمّ، وعكس في قوله ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن

(١) انظر: الكشّاف (٣٣١/٤)، والتبيان (٩٨٠/٢)، والدر المصون (٤٥٣/٨، ٤٥٤).

(٢) انظر: الكشّاف (٣٣١/٤)، والتفسير الكبير (٤٧/٢٤)، وأنوار التنزيل (٤٧٦).

(٣) في «ح»: فاض.

(٤) انظر: الكشّاف (٣٣١/٤)، والتفسير الكبير (٤٧/٢٤)، وأنوار التنزيل (٤٧٦).

(٥) انظر: الكشّاف (٣٣١/٤)، وزاد المسير (٧٢/٦).

(٦) قَطُّ: ظرف زمان مختصّ بالنفي لاستغراق الماضي، وهو مشتقّ من قططته، أي: قطعته.

انظر: مغني اللّبيب (١٧٥/١)، ولسان العرب (٣٦٧٢/٦)، مادة «قط»، والمعجم الوسيط (٧٤٥/٢)، مادة «قط».

دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾[1]؛ لأن غرض العبد من عبادته هو النفع[2]. ﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ وإذا لم يقدروا على دفع الضرّ عن أنفسهم وجلب النفع لها، فهم عن هذه الأمور بمعزل، ولا يصلح للأُلوهية إلاّ مَن هذا شأنه وأفعاله، وقد روعيَ الأقرب فالأقرب في الترتيب[3]. ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ﴾ كذبٌ مصروف عن وجهه، آثر المظهر إشارة إلى أنّ الباعث على هذا القول هو الكفر[4]، ﴿ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ اخترعه قصداً، ﴿ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ﴾ أرادوا العدّاس[5] مولى الحويطب[6] بن عبد العزّى، ويساراً[7]

(١) بعض الآية (٥٥) من نفس السورة.

(٢) انظر: درّة التنزيل وغُرّة التأويل (٣٢٧).

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٣٣١)، وأنوار التنزيل (٤٧٦).

(٤) انظر: نظم الدرر (١٣/٣٣٨).

(٥) العدّاس: أصله من نينوى، لقي النبي ﷺ عندما انصرف من الطائف وأسلم، كان عبداً لعتبة ابن ربيعة، وقيل لشيبة بن ربيعة.

انظر: تكملة الإكمال (٤/١٣٦)، والإصابة (٤/٤٦٧).

(٦) في الأصل: الخويطب.

(٧) يسار: لم أجد له ترجمة. وقد ذكر البخاري طائفة ممن اسمه يسار، و لم يذكر أحدهم بكونه مولى العلاء الحضرمي. انظر: التاريخ الكبير (٨/٤١٩ـ٤٢٢).

مولى العلاء بن الحضرمي[1]، وأبا فكيهة الرّومي[2][3]. أو قوماً آخرين[4] من الذين قرأوا قصائص الأُمم الدّارجة[5].

﴿ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ حيث جعلوا الكلام المعجز مفترىً وزوراً، حيث نسبوا الآتي به إلى الزُّور. ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أي: ما أتى به جمع أُسطورة، كأحاديث جمع أُحدوثه، كانوا حيارى في أمرهم، تارة يقولون شعر، وتارة سحر، وأُخرى مفترى وأساطير الأوّلين، وهكذا شأن المُبْطِل لا يستقر على حال[6]. ﴿ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ أراد كَتْبَها لنفسه فهي تُلقى عليه طرفي النهار وهو يكتبها، أو قد كتبها فهي في كتابٍ عنده، يلقى إليه

---

(١) العلاء بن الحضرمي: العلاء بن عبد الله الحضرمي، صحابي، وُلِد العلاء بمكة ونشأ بها، ولاّه رسول الله ﷺ البحرين، وكتب له كتاباً فيه فرائض الصدقة، وولاّه عمر ﷺ البصرة، فمات في الطريق إليها عام ٢١هـ. انظر: تهذيب الأسماء واللُّغات (٣٤١/١).

(٢) أبو فكيهة الرومي: اسمه: أفلح، وقيل يسار، كان عبداً لصفوان بن أُميّة، أسلم مع بلال الحبشي، واشتراه أبو بكر الصديق فأعتقه. انظر: الكامل في التاريخ (٤٦/٢).

(٣) انظر: الكشّاف (٣٣١/٤)، وزاد المسير (٧٢/٦، ٧٣)، وأنوار التنزيل (٤٧٦).

(٤) في «ق»: آخرون.

(٥) قصائص الأمم الدراجة:

جمع قصيصة، وهي القصّة، أي: الخبر والأمر.

والدارجة: مأخوذة من دَرَج، أي: انقرضت ولم تبق لها بقية، والمقصود: قصص الأُمم المنقر انظر: القاموس المحيط (٨٠٩)، مادة «قصّ»، (٢٤٠)، مادة «درج»، وتاج العروس (٤٢٢/٤)، مادة «قصّ»، والمعجم الوسيط (٢٧٧/١)، مادة «درج».

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥٨/٤)، والكشّاف (٣٣٢/٤)، وأنوار التنزيل (١٧٢).

طرفي النهار للحفظ"(١). ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مشتمِلاً على المغيبات التي لا يعلمها غيره مما خلا عنه كتب الأنبياء، فكيف يكون أساطير الأوّلين أو مختلقاً"(٢). ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [ولذلك أنزله إليك وأرسلك به نذيراً، أو لكونه غفوراً رحيماً](٣) لم يعاجلهم بالعذاب مع استحقاقهم له(٤).

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [٧-١٤].

---

(١) هذا القول من جملة كَذِبهم عليه ـ ﷺ ـ، ومن المعلوم أنه كان أُميّاً لا يكتب، ولفظ: اكتتب على «افتعل» يشعر بالتكلّف. انظر: الشفا للقاضي عياض (١/٥٠٧ـ٥١٠)، والكشّاف (٤/٣٣٢)، وأنوار التنزيل (٤٧٦)، والبحر المحيط (٦/٤٨٢).

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٤٧٦).

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٤) انظر: أنوار التنزيل (٤٧٦)، وفتوح الغيب (٤٢٧).

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾ اتفقت المصاحف على فصل اللاّم، والوجه فيه أنّ اللاّم الجارة كلمة مستقلة، فنبهوا على ذلك في مواضع[1]. ﴿يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾ كسائر الناس، وهذه شبهة واهية ذكروها في مواضع بعبارات مختلفة، ردّها الله تعالى بأنواع الأجوبة القاطعة منها ما سيأتي عن قريب: قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾[2]، ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ يتعاونان على الإنذار ويكون مصدقاً له. ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ يستغني به عنه السعي في الأسواق والتردد [في][3] طلب المعاش[4]. ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ

---

(١) قال الناظم: فصلٌ:

فما هؤلاء فاقطعا مالِ الذين مالِ هذا الأربعا. يشير إلى أربعة مواضع هي:

١- ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾ بعض الآية (٧٨) من سورة النساء.

٢- ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ﴾ بعض الآية (٤٩) من سورة الكهف.

٣- ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾ بعض الآية (٧) من هذه السورة.

٤- ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بعض الآية (٣٦) من سورة المعارج.

انظر: التيسير (٦١)، والنشر (٢/١٤٦)، ولطائف البيان في رسم القرآن (٢/٧٧).

(٢) بعض الآية (٢٠) من هذه السورة.

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٣٣٤).

جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾ أقلّ الأحوال أن يكون له قوت يكون قِوَاماً لبدنه فضلاً عن الكنـز.

﴿ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ وُضِعَ الظالمون[1] موضع الضمير تسجيلاً عليهم بأنهم ظالمون في مقالتهم[2]، ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ أُصيب بالسحر ولا يدري ما يقول.

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ ﴾ الأقوال الغريبة التي يضرب بها المثل لفرط بعدها عن حالك ورفعة محلّك عن الاتصاف بها، ﴿ فَضَلُّوا۟ ﴾ في تلك المقالات ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ إلى شيء يستقرون عليه، أو فضلّوا عن طريق الحقّ، فهم يخبطون خبط عشواء[3].

يقول القرطبي: «دخول الأسواق مباح للتجارة وطلب المعاش، وكان ﷺ يدخلها لحاجته، ولتذكرة الخلق بأمر الله ودعوته، ويعرض نفسه فيها على القبائل، لعل الله أن يرجع بهم إلى الحقّ». الجامع لأحكام القرآن (١٣/٥).

(١) في «ح»: الظالمين.

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٣٣٤)، وأنوار التنـزيل (٤٧٧).

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٣٣٤)، وأنوار التنـزيل (٤٧٧).

وخبط عشواء: ما يأتيه المرء بجهالة وبغير تبصُّر وإدراك. ويطلق في الأصل على الناقة التي في بصرها ضعف، فهي تخبط لا تتوقّى شيئاً.

انظر: الصحاح (٣/١١٢١)، مادة «خبط»، والمعجم الوسيط (١/٢١٦)، مادة «خبط».

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ ﴾ الذي ذكروه من الكنز والجنّة [في الدنيا][1]. ﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ كما دعوك في الآخرة.

﴿ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴾ وإيثاره «إن» للدلالة على عدم وقوع ذلك في الدنيا، وأنها ليست محلاً له؛ لسرعة الانتقال منها. قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر «ويجعلُ» بالرفع عطفاً على «جعلَ»؛ لأن الشرط إذا وقع ماضياً جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله:

وإن أتاه خليلٌ يوم مسغبةٍ يقول لا غائب مالي ولا حرم[2][3]

واستئنافاً على معنى وهو يجعل لك في الآخرة قصوراً. والأوّل أوجه[4].

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ﴾ عطفٌ على ما حكى عنهم من قولهم: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ ﴾[5] إضرابٌ إلى ما هو أطمّ، فإن ذلك تكذيب الرسول، وهذا تكذيبه تعالى[6]. أو متصلٌ بقوله ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ ﴾ إنكار منهم لذلك على أبلغ وجه. فإنّ من كذّب بها كيف

---

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٢) في «ح»: جرم.

(٣) البيت من بحر البسيط، وقائله: زهير بن أبي سلمى في مدح هرم بن سنان.

(٤) وقرأ الباقون بالجزم. انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٢٦٣)، والسبعة (٤٦٢)، والحجة لأبي علي الفارسي (٥/٣٣٦، ٣٣٧)، والتيسير (١٦٣)، والكشّاف (٤/٣٣٥)، والموضح (٢/٩٢٦)، وأنوار التنزيل (٤٧٧)، والبحر المحيط (٦/٤٨٤)، والدر المصون (٨/٤٥٩، ٤٦٠)، والنشر (٢/٣٣٣).

(٥) بعض الآية (٧) من سورة الفرقان.

(٦) في «ق»: تعلى.

يُصدّق هذا الخبر. ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ النار الشديدة الاستعار[1]. وعن الحسن أنه من أسماء جهنم[2]، فصرفه إمّا لاعتبار المكان، أو ليوافق الفواصل، كما في: ﴿سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا﴾[3] ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ روى أنّ النار تتراءى لهم من مسيرة مائة عام ولها تغيظ وزفير[4]. قيل: شبّه صوت غليانها بصوت التغيظ وزفيره، والحق أنه على الحقيقة[5]. وقد روى البخاري أنه ﷺ قال: «إن النار اشتكت إلى ربها فقالت: يارب أكل بعضي بعضاً[6]، فأذن لها بنفسين، نَفَس في الصيف، ونَفَس في الشتاء، فهو أشد ما تجدونه من الحر، وأشد ما تجدونه من البرد»[7]. ولما كان الحق أن البُنية

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٣٣٥)، وأنوار التنـزيل (٤٧٧).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٣٣٥)، والبحر المحيط (٦/٤٨٥).

(٣) بعض الآية (٤) من سورة الإنسان.

(٤) قاله السدّي. انظر: زاد المسير (٦/٧٥).

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٢٦٣)، والكشاف (٤/٣٥٣)، وزاد المسير (٦/٧٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٧).

(٦) في «ق»: بعضاً.

(٧) أخرجه البخاري، في كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة (٢/٤٣٥) ح ٣٢٦٠، وفي كتاب مواقيت الصلاة، باب الإبراد بالظهر في شدة الحر (١/١٨٦) ح ٥٣٧، وفي الروايتين ورد في آخر الحديث:«من الزمهرير»، وفيما سبق دلالة على خلق النار وأنها موجودة الآن، وهو قول الجمهور. انظر: فتح الباري (٦/٣٣٣).

ليست بشرط في الحياة[1]، فلله أن يخلق في أي شيء كان[2]. ﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا﴾ كما يلقى الحجر عن ابن [عباس][3] رضي الله عنه: يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح؛ ليشتد عليهم الكرب[4]. ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ حال كونهم مقرنين في السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم. وقيل: يقرن كل إنسان مع شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الأصفاد[5].

وقد يستشكل بعض الناس هذا النص عن كيفية كون نَفَس النار مرةً حراً ومرةً برداً. والجواب: أن نصوص الشرع التي تخبر عن أمور الغيب لا مجال للعقول في النظر في كيفيتها، فالصواب هو إمرارها كما جاءت بلا خوض في الكيف.

انظر: الانتصاف لابن المنير (٤/٣٣٥)، وفتوح الغيب للطيبي (٧٣٤).

(١) في الأصل، «ح»: الحيوة.

(٢) وخالف المعتزلة في هذه المسألة. انظر: التفسير الكبير (٢٤/٥٥ ـ ٥٦)، وأنوار التنزيل (٤٧٧)، وفتوح الغيب (٤٣٣)، وروح المعاني (١٨/٢٤٣).

(٣) مابين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٤) انظر: معالم التنزيل (٣/٣٦٣)، والكشاف (٤/٣٣٦)، وزاد المسير (٦/٧٥)، والتفسير الكبير (٢٤/٥٦)، والبحر المحيط (٦/٤٨٥).

والزجّ: الحديدة التي تركب في أسفل الرمح، والجمع: أزجاج وأزجة.

انظر: القاموس المحيط (٢٤٤) مادة «زج».

(٥) انظر: الكشاف (٤/٣٣٦)، والتفسير الكبير (٢٤/٥٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٨)، والبحر المحيط (٦/٤٨٥).

﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ هلاكاً يقولون: واثبوراه، تعالى[1] هذا أوانك[2].

﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا﴾ يقال لهم، أوهم أحقاء بذلك القول.

﴿وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ لعدم انقطاع العذاب، أو لتكثر أنواعه[3].

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [١٥-١٩].

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ﴾ الذين اتقوا الشرك[4]؛ لأنه قوبلوا بالمشركين المكذبين، والاستفهام للتقريع والتفصيل على وجه التهكّم، كما يقول من يضرب عبده؛ لمخالفة أمره: هذا أطيب أم ذلك[5].

﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا﴾ أي: تكون، والتعبير بالماضي؛ لجعل المتقرب

(١) في الأصل «ح»، «ص»: تعالي، وفي «ق»: تعلى، والصواب: تعالى، اسم فعل.

(٢) انظر: الكشاف (٤/٣٣٦)، وأنوار التنزيل (٤٧٧)، وفي البحر المحيط (٦/٤٨٥).

(٣) انظر: الكشاف (٤/٣٣٦)، وأنوار التنزيل (٤٧٧).

(٤) في «ق»: الشرط.

(٥) انظر: التفسير الكبير (٢٤/٥٧).

كالواقع، وإنما ذكر المصير مع الجزاء كما في قوله: ﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾[1]، وقوله: ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[2]؛ لأن لذّة النعيم لا تكمل إلا إذا انضم إليه طيب المنزل[3]. ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ كل ما يتمنونه. فإن قلت: الجزاء على قدر الأعمال فكيف يكون أدنى المؤمنين في مثل أعلاهم، وقد روى ابن عباس ﷺ أن في الجنة مائة درجة بين كل درجتين مسيرة خمسمائة عام[4]. قلت: أدنى المؤمنين إذا كان له مثل تلك الدنيا عشر مرات فرضي بذلك ولا يشتهي زيادة على ما هو فيه[5]. ﴿خَٰلِدِينَ﴾ حال من فاعل ما يشاؤون.

(١) بعض الآية (٣١) من سورة الكهف.

(٢) بعض الآية (٢٩) من سورة الكهف.

(٣) انظر: الكشاف (٣٣٦/٤)، والبحر المحيط (٤٨٦/٦).

(٤) لم أجد هذا الأثر عن ابن عباس، وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة خمسمائة عام». أخرجه الطبراني في الأوسط (٥٢/٦) ح ٥٧٦٥، وانظر: العظمة (١٠٧٠/٣) ح ٥٧٥، ومجمع الزوائد (٤١٩/١٠)، وتحفة الأحوذي (١٩٩/٧)، وورد موقوفاً عن ابن عمر، وعن عبادة بن الصامت، كما أخرجه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٨٢/١)، (١١٤/٢).

(٥) أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما حديثاً عن آخر أهل الجنة دخولاً، وفيه:

﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ موعوداً حقيقياً أن يسأل ويطلب أو يسأله الناس في دعائهم[1] ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾[2]، أو الملائكة ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾[3]. ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ أي: الكفرة؛ لأن ذكر المتقين استطراد لإظهار مقام الفريقين على وجه التقابل. وقرأ ابن كثير، وحفص بالياء[4] على أن الفاعل ضمير «ربك»، والباقون بالنون التفاتاً[5]. ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بكل معبود سواه، واستعمال «ما» في العقلاء؛ إما لكون وضعه على العموم، أو لإرادة الوصف كقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾[6]، أو تغليباً، أو تنزيلاً للعقلاء في مقام الألوهية منزلة[7] غيرهم[8].

«... فيقول اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا ...الخ الحديث».

انظر: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٢٠٣/٤) ح ٦٥٧١.

(١) انظر: التفسير الكبير (٦٠/٢٤)، وأنوار التنزيل (٤٧٧).

(٢) بعض الآية (١٩٤) من سورة آل عمران.

(٣) بعض الآية (٨) من سورة غافر.

(٤) في «ح»: بالتاء.

(٥) انظر: السبعة (٤٦٢ ــ ٤٦٣)، والتيسير (١٦٣)، والموضح (٩٢٦/٢)، والنشر (٣٣٣/٢).

(٦) الآية (٥) من سورة الشمس.

(٧) في «ح»: مقام.

(٨) انظر: الكشاف (٣٣٧/٤)، والتفسير الكبير (٦١/٢٤)، وأنوار التنزيل (٤٧٨).

﴿ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ ﴾ سؤال تقريع وتوبيخ للعبدة حتى إذا أجاب المعبودون بما أجابوا تزداد بذلك حسرتهم، ويفضحون على رؤوس الأشهاد، وتقديم المسند؛ لكون الفعل واقعاً بلا ريب، وإنما الكلام في الفاعل[1]. قرأ ابن عامر فيقول بالياء[2]. ﴿ قَالُوا سُبْحَٰنَكَ ﴾ إبعاد له عن الإنذار، أو تعجّب من نسبة الإضلال إليهم؛ لأنهم إما ملائكة أو أنبياء معصومون، أو جماداً[3] لا حياة[4] لها[5]. ﴿ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ ما يليق بنا أن نتولى أحداً دونك، فكيف نأمر[6] أحداً بأن يتولانا دونك[7]. ﴿ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ ﴾ بأنواع النعم. ﴿ حَتَّىٰ نَسُوا ٱلذِّكْرَ ﴾ حتى تسبب ذلك التفضل الذي كان حقه الشكر لنسيان[8] ذكرك بالتوحيد

(١) انظر: أنوار التنــزيل (٤٧٨)، والبحر المحيط (٦/٤٨٨).

(٢) الصواب: أن قراءة ابن عامر بالنون، وقرأ الباقون بالياء. انظر: السبعة (٤٦٣)، والحجة لأبي علي الفارسي (٥/٣٣٨)، والتيسير (١٦٣)، والموضح (٢/٩٢٦)، والنشر (٢/٣٣٣).

(٣) في «ح»: جماد.

(٤) في «ح»، الأصل: حيوة.

(٥) انظر: الكشاف (٤/٣٣٨)، وأنوار التنــزيل (٤٧٨).

(٦) في «ق»: تأمر.

(٧) انظر: الكشاف (٤/٣٣٩).

(٨) في «ح»: للسان، وفي «ص»: لتبيان.

والتدبر في آلائك وآياتك[1]، وكان حق الكلام بل أضللتهم بإضافة النعم عليهم، ولكن عبروا عن اللاّزم بالملزوم تأدباً[2].

﴿وَكَانُوا۟ قَوۡمَۢا بُورࣰا﴾ هالكين في قضائك السابق، جمع «بور» كـ«هود وهايد»، أو مصدر وصف به[3]. ﴿فَقَدۡ كَذَّبُوكُم﴾ أيها العبدة، التفت إليهم كفاحاً بالتوبيخ والتقريع[4]. ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ أي: في قولكم أنهم آلهة، أو هؤلاء أضلونا، ويجوز أن يكون الجار والمجرور بدل اشتمال؛ لأن كذبته وكذبت به واحد معنى[5][6]. ﴿فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفࣰا﴾ دفعاً للعذاب عنكم بعد ما كذبوكم، أو ميله من صَرَف إذا احتال[7]، وقرأ حفص بالتاء خطاباً للعبدة، والغَيبة أبلغ تبكيتاً؛ لاستلزامه تعجيز من ادعوا الاستطاعة فيه[8].

---

(١) في «ح»: أبابك.

(٢) انظر: التفسير الكبير (٢٤/٦٣)، والبحر المحيط (٦/٤٨٩).

(٣) انظر: معاني القرآن للنحاس (٥/١٤)، والكشاف (٤/٣٣٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١١)، وأنوار التنزيل (٤٧٨)، والبحر المحيط (٦/٤٨٩)، والدر المصون (٨/٤٦٦).

(٤) انظر: البحر المحيط (٦/٤٨٩).

(٥) معنى: ساقطة من «ح»

(٦) انظر: أنوار التنزيل (٤٧٨)، وفتوح الغيب (٤٤٦).

(٧) انظر: الكشاف (٤/٣٤٠)، وأنوار التنزيل (٤٧٨).

(٨) انظر: السبعة (٤٦٣)، والتيسير (١٦٣)، والموضح (٢/٩٢٨)، والنشر (٢/٣٣٣ ــ ٣٣٤).

﴿ وَلَا نَصۡرٗاۚ ﴾ ولا إعانة لما أنتم فيه. ﴿ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ ﴾ أيها المشركون. ﴿ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ﴾ أصل الكلام نذيقهم أو نذيقكم، وُضع «ومن يظلم» موضع الضمير، وقيل: الخطاب لفرق المكلفين[1].

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ۝٢٠ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ۝٢١ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ۝٢٢ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ۝٢٣ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ۝٢٤ ﴾ [٢٠-٢٤].

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ ﴾ جواب عن شبههم، ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ ﴾[2]، والجملة بعد «إلا» صفة محذوف أي: أحد، كقوله: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ﴾[3] أي: أحد[4].

---

(١) انظر: الكشاف (٤/٣٤٠)، وأنوار التنزيل (٤٧٨). واختار أبو حيان القول بعموم الخطاب، وقال: « ﴿ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ ﴾ الظاهر أنه عام». انظر: البحر المحيط (٦/٤٩٠)، وفتوح الغيب (٤٤٧).

(٢) بعض الآية (٧).

(٣) الآية (١٦٤) من سورة الصافات.

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤/٦٢)، والكشاف (٤/٣٤٠)، وأنوار التنزيل (٤٧٨)، والدر المصون (٨/٤٦٨).

﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ محنة وابتلاء. ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ حث على الصبر بعد بيان موجبه كقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[1] بعد تحريم الخمر، وقيل: علّة للجعل، أي: لنعلم أيكم يصبر، كقوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[2]. ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ أي: بمن يصبر وبمن لا يصبر، أو بمن يصلح للرسالة والاصطفاء[3]. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ جزاءنا على الأعمال الصالحة ورؤيتنا أو عقابنا بلغة تهامة[4]، على أن الرجاء بمعنى: الخوف[5].

---

(١) بعض الآية (٩١) من سورة المائدة.

(٢) بعض الآية (٢) من سورة الملك. وانظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/١٩)، وأنوار التنزيل (٤٧٨).

(٣) وفي المسألة أقوال أخرى، أوردها الرازي ثم اختار العموم، وقال: «والأولى حمل الآية على الكل؛ لأن بين الجميع قدراً مشتركاً». التفسير الكبير (٢٤/٦٦)، وانظر: المحرر الوجيز (١٢/١٥)، وزاد المسير (٦/٨٠ ـ ٨١)، والبحر المحيط (٦/٤٩١).

(٤) تِهامة: بكسر التاء، وهي اسم لما انخفض من الأرض غرب جبال السراة، وتبدأ من اليمن إلى أطراف بادية الشام، وسمّيت تهامة؛ لتغير هوائها، مِن تهم الدهن إذا تغيّر.

انظر: معجم ما استعجم (١/١٣، ٣٢٢)، والروض المعطار (١٤١، ١٦٤).

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٢٦٥)، ومعالم التنزيل (٣/٣٦٥)، والكشاف (٤/٣٤١).

والقول بأن الرجاء بمعنى: الخوف فيه نظر، يقول الرازي: «لا وجه لذلك؛ لأن الكلام متى أمكن حمله على الحقيقة لم يجز حمله على المجاز، ومعلوم أن من حال عبّاد الأصنام أنهم كما لا يخافون العقاب؛ لتكذيبهم بالمعاد، فكذلك لا يرجون لقاءنا ووعدنا على الطاعة من الجنة والثواب، ومعلوم أن من لا يرجو ذلك لا يخاف العقاب أيضاً، فالخوف تابع لهذا الرجاء».

﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ بالرسالة؛ لعدم اعتقادهم جواز إرسال البشر، أو يصدقون محمداً، والأول هو الوجه؛ لقولهم: ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾[1]. ﴿ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ﴾ فيأمرنا[2] وينهانا بلا واسطة ولا حجاب. ﴿ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ أضمروا الكفر في قلوبهم وعقائدهم.

﴿ وَعَتَوْ ﴾ وتجاوزا الحدّ. ﴿ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ تجاوزاً مفرطاً، اللام جواب قسم محذوف، كأنه قيل: ما أشدّ استكبارهم وما أكبر عتوهم[3]. ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ منصوب باذكر أو يعذبون، دلّ عليه ما بعده، أو ننزل دلّ عليه قولهم: ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[4]. ﴿ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ لكل مجرم أولهم فوضع موضع الضمير؛ ليدل على علّية عدم البشرى[5]. ﴿ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ من المصادر التي هجر ذكر ناصبها، والوصف للمبالغة كـ«ليل أليل»،

التفسير الكبير (٢٤/٦٧ ــ ٦٨).

(١) بعض الآية (٧) من سورة الفرقان. وانظر: الكشاف (٤/٣٤١)، وأنوار التنزيل (٤٧٨).

(٢) في «ح»: فنأمرنا.

(٣) انظر: الكشاف (٤/٣٤١ ــ ٣٤٢)، والتفسير الكبير (٢٤/٧٠)، وأنوار التنزيل (٤٧٨).

(٤) انظر: التبيان (٢/٩٨٣)، والدر المصون (٨/٤٧٠).

(٥) انظر: الكشاف (٤/٣٤٢)، وفتوح الغيب (٤٥٣).

هذه كلمة كانوا يقولونها عند النوائب وشدائد النوازل في مقام الاستعاذة(١)، والمعنى: أنهم يطلبون نزول الملائكة(٢)، وإذا نزلت استعاذوا(٣) من نزولها، فإنهم يلاقونهم بما يكرهون(٤). وقيل: هو من كلام الملائكة، أي: حراماً محرماً الغفران والجنة أو البشرى(٥)(٦)، وأصل الحجر المنع [ومنه](٧) قيل للعقل: الحِجْر؛ لأنه يمنع ارتكاب الرذائل. ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ كانوا يُسابِقُون إلى المكارم من قِرى الضيف، وفكّ العاني، وسائر أنواع البِرّ، ويحسبون أنها ذخرٌ لهم عند الله. ولـمّا لم يكن لبنائهم أساس؛ إذ الأعمال بدون الإيمان كبناءٍ بلا أُسّ(٨)، ردّ الله عليهم في ذلك الحسبان أبلغ ردٍّ، بأن مثل لهم حالهم

---

(١) انظر: الكتاب (١/٣٢٦)، والكشاف (٤/٣٤٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٠ ــ ٢١)، والبحر المحيط (٦/٤٩٢)، والدر المصون (٨/٤٧٣ ــ ٤٧٤).

(٢) في الأصل: الملئكة.

(٣) في «ح»: استعادوا.

(٤) انظر: الكشاف (٤/٣٤٣).

(٥) في «ح»: والبشرى.

(٦) قاله عطاء، ومقاتل، والضحاك. انظر: جامع البيان (١٩/٢)، ومعالم التنزيل (٣/٣٦٥)، والكشّاف (٤/٣٤٣)، والتفسير الكبير (٢٤/٧١).

(٧) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٨) أُسّ: بضمّ الهمزة وإسكان السين المشددة أصل البناء، وتجمع على إِسَاس. انظر: الصحاح (٣/٩٠٣)، مادة «أس».

بحال قوم خالفوا أمر سلطانهم وأغضبوه غاية الإغضاب، فقدم[1] إلى ناديهم، وأباح[2] ما تحت أيديهم، وجعلها كأن لم تغن بالأمس[3].

والهباء ما يُرى من الذرات عند دخول الشمس في الكوّة شبيه الغبار[4]. والمنثور المُفَرّق[5]، صفة هباء، أو مفعول ثالث لـ«جعلنا»، على أنه في الأصل خبر ثانٍ، أي: جعلناه جامعاً للحقارة بحيث لا يحصل منه على طائل[6].

﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا ﴾ مكاناً يستقِرُّون فيه للمحاورة والمفاكهة مع الأصحاب كقوله: ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾[7] ﴿ وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ مكاناً للاسترواح والتمتع بالحور والأزواج[8].

---

(١) في «ح»: فعدم.

(٢) في «ح»: وأناح.

(٣) انظر: الكشّاف (٣٤٣/٤)، وأنوار التنزيل (٤٧٩)، والبحر المحيط (٤٩٣/٦).

(٤) قاله علي بن أبي طالب، الحسن، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة.

انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٦٤/٤)، ومعالم التنزيل (٣٦٥/٣)، وزاد المسير (٨٣/٦).

(٥) قاله مقاتل. انظر: زاد المسير.

(٦) انظر: الكشّاف (٣٤٣/٤)، وأنوار التنزيل (٤٧٩)، والدر المصون (٤٧٤/٨، ٤٧٥).

(٧) بعض الآية (٤٧) من سورة الحجر.

(٨) انظر: أنوار التنزيل (٤٧٩).

وتسميته مقيلاً على التشبيه؛ إذ لا قيلولة في الجنة، كقوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[1]، مع أنّ في الجنة لا ليل ولا نهار، أو المقيل عبارة عن الزّمان إشارة إلى أنّ مكانهم وزمانهم أحسن ما يُتَصَوَّر. والتفضيل إمّا أن يُراد به الزيادة المطلقة، أو بالإضافة إلى ما للمترفين في الدنيا، وإيثار الأحسن مع المقيل إشارة إلى زيادة المحاسن هنا من الزخارف، والوجوه الحسان، كما يكون للملوك في الدنيا في[2] أماكن أُنْسِهِم[3].

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [٢٥-٢٩].

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ أي: تنشق بسبب طلوع الغمام منه[4]، قيل: هو غمام فوق السموات سُمْكُه مثل سُمْك السموات، وثقله مثل ثقلها، فإذا كان يوم القيامة[5] ألقاه الله على السموات فتنشق منه[6]. قرأ الكوفيون، وأبو عمرو

---

(١) بعض الآية (٦٢) من سورة مريم.

(٢) في «ق»: عن.

(٣) انظر: جامع البيان (١٩/٥، ٦)، والتفسير الكبير (٢٤/٧٢، ٧٣)، وأنوار التنزيل (٤٧٩)، والبحر المحيط (٦/٤٩٣)، وفتوح الغيب (٤٥٦، ٤٥٧)، والدر المصون (٨/٤٧٥).

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٣٤٤).

(٥) في «ق»: القيمة.

(٦) انظر: الكشّاف (٤/٣٤٤).

بتخفيف الشين بحذف إحدى التاءين[1]. ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ في ذلك الغمام بأيديهم صحائف الأعمال[2].

وقرأ[3] ابن كثير: ننزل بزيادة النون مضارع أنزل، ونصب الملائكة[4]، وعليه رسم المكي، وعلى حذفه سائر الرسوم[5]. ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: الثابت له دون غيره من الملوك ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾[6]. مبتدأ[7]، و«يومئذٍ» ظرفه، و«الحقّ» نعت، و«للرحمن» خبره[8]. ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ أي: يكون شاقاً [عليهم][9]؛ لسقوط حجتهم.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ كل ظالم، كناية عن شدة الندامة، فإن النادم المتحسر يعض على الأنامل[10]، وجمع اليدين إشارة إلى فرطه. وعن ابن

---

(١) وقرأ الباقون بتشديد الشين. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٥/٣٤٠، ٣٤١)، وعلل القراءات (٢/٤٦٤)، والتيسير (١٦٣)، والموضح (٢/٩٢٩).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٣٤٤).

(٣) في «ح»: قرأ.

(٤) في الأصل، «ق»: الملئكة.

(٥) وهي قراءة الباقين بنون واحدة. انظر: علل القراءات (٢/٤٦٤)، والتيسير (١٦٣)، والموضح (٢/٩٢٩، ٩٣٠)، والنشر (٢/٣٤٤).

(٦) بعض الآية (١٦) من سورة غافر.

(٧) في «ح»: مبتداء.

(٨) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/١٥٧)، والتبيان (٢/٩٨٥)، والدر المصون (٨/٤٧٨).

(٩) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(١٠) الأنامل: جمع: أنمُلة، وهي رؤوس الأصابع. انظر: الصحاح (٥/١٨٣٦) مادة «نمل».

عباس نزلت في عقبة بن أبي معيط[1] كان إذا قدم من سفر اتخذ طعاماً ودعا إليه الناس، فدعا من جملتهم رسول الله، فلما قدّم الطعام أبى[2] أن يتناوله إلا أن يشهد له بالرسالة فشهد له بذلك، وهو مضمر الكفر، وكان صديقاً لأبي بن خلف[3]، فعابه أُبي وقال [له][4]: صبأت، فقال: ما صبأت ولكن كرهت أن يرجع ولم يطعم من طعام دعوته إليه، فقال: وجهي من وجهك حرام إن وجدت محمداً فلم تبزق في وجهه ففعل ذلك[5]، فعلى هذا اللاّم في الظالم للعهد، والحقّ أنه للجنس، وأن كان هو سبب النزول، إذ لا ظالم إلاّ هو عاضٌّ[6] يديه في ذلك اليوم[7].
﴿يَـقُولُ يَـٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا﴾ طريقاً إلى النجاة، أو طريقاً واحداً

(١) عقبة بن أبي معيط بن ذكوان بن أمية القرشي، كان ممن يؤذي النبي ﷺ، وحرّض قريشاً على الخروج إلى بدر، وبها قُتل كافراً، قتله عاصم بن ثابت الأنصاري صبراً.
انظر: تهذيب الأسماء واللغات (١/٣٣٧)، والسيرة النبوية لابن هشام (١/٤١٦، ٦١٠، ٦٤٤).

(٢) في «ق»: أبا.

(٣) أُبي بن خلف بن وهب الجمحي، أحد صناديد قريش، قتل يوم أحد، رماه النبي ﷺ بحربة فوقع عن فرسه ومات من تلك الرمية. انظر: جمهرة انساب العرب (١٥٩)، والبداية والنهاية (٤/٣٦).

(٤) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٥) انظر: جامع البيان (١٩/٨)، والسيرة النبوية (١/٣٦١)، وأسباب النزول للواحدي ٣٨٥)، ومعالم التنزيل (٣/٣٦٧)، والكشاف (٤/٣٤٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٥ ــ ٢٦)، وأنوار التنزيل (٤٧٩).

(٦) في «ح»: غاض.

(٧) انظر: الكشّاف (٤/٣٤٦) والتفسير الكبير (٢٤/٧٥، ٧٦)، والدر المصون (٨/٤٧٩).
وقال أبو حيان: «والظاهر عموم الظالم؛ إذ اللاّم فيه للجنس، قاله مجاهد، وأبو رجاء».
البحر المحيط (٦/٤٩٥).

وهو طريق الـجنة، فالتنكير للإفراد شخصاً أو طريقاً من الطرق، إشارة إلى أنّ ما كان يسلكه لم يستحق أن يسمى طريقاً، والقصد إلى صفة السبيل أو ماهيته"[1].

﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰ ﴾ أصله الياء قُلِبَت ألفاً كما في يا غلاما، وأمال ألفه حيث وقع الدوري[2] عن أبي عمرو، وكذا حمزة، والكسائي على ما عُرِف في أصولِهم[3]. ﴿ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴾ فلانٌ كناية عن عَلَمِ المذكّر، يُريد أُبيّاً إن أُريد العهد، وإن أُريد الجنس فكلّ مَن اتخذ خليلاً لا بدّ أن يكون له عَلَم، فجعله كناية عنه"[4]. ﴿ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ ﴾ ذِكْر الله، أو القرآن[5] ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ ﴾[6]، أو لمة الشهادة.

والذكر بمعنى العهد؛ لأنه عهدٌ بين الله وبين عبده[7]. ﴿ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ ﴾ ولم يبق لي عذر.

---

(١) انظر: أنوار التنزيل (٤٧٩)، وفتوح الغيب (٤٦١).

(٢) الدوري: حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري، أبو عمر، قرأ على الكسائي، ويحي اليزيدي، وقرأ عليه أحمد بن يزيد الحلواني، وقاسم بن عبد الوارث وغيرهما، كان شيخ الإقراء في وقته، ثقةٌ، ثبت، ضابط، مات سنة ٢٤٦هـ.
انظر: معرفة القراء الكبار (١٩١/١)، وغاية النهاية (٢٥٥/١).

(٣) وقرأ الباقون بالفتح. انظر: السبعة (٤٦٤)، والحجة لأبي علي الفارسي (٣٤٣/٥)، وعلل القراءات (٤٦٥/٢)، والدر المصون (٤٨٠/٨)، والإتحاف (٣٢٩).

(٤) انظر: الكشّاف (٣٤٦/٤)، والبحر المحيط (٤٩٥/٦، ٤٩٦)، والدر المصون (٤٧٩/٨، ٤٨٠).

(٥) انظر: الكشّاف (٣٤٦/٤)، وزاد المسير (٨٧/٦)، والتفسير الكبير (٧٦/٢٤).

(٦) بعض الآية (٩) من سورة الحجر.

(٧) انظر: الكشّاف (٣٤٦/٤)، وأنوار التنزيل (٤٧٩).

﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ أُبـيٌّ لعقبةَ سمّاه شيطاناً، كأنـه[1] مضلاً مثله، أو إبليس؛ لأنه الذي حمله على ذلك، أو منَ أضلَّ عن طريق الحقّ من الجنّ والإنس شيطان، حكاية كلام الظالم[2]. أو هو[3] ابتداء كلام من الله تحذيراً للسامع عن الإغرار[4]. والخذلان ضدّ النصرة.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾ [٣٠-٣٤].

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ يريـد محمـداً ﷺ ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ متروكاً غير ملتفت إليه، أو مهجوراً فيه من الهجر، بمعنى: جعلوه هذياناً، وسمّوه سِحْراً وأساطير الأولين. أو خلطوا هجرهم به إذا قريء لئلا يفهمه السامعون[5]. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟

(١) في «ح»: لأنه.

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٣٤٦)، والتفسير الكبير (٢٤/٧٦)، وأنوار التنـزيل (٤٧٩)، والبحر المحيط (٦/٤٩٦).

(٣) في «ح»: وهو.

(٤) في «ح»: الإغرار، وفي «ق»: الاغترار.

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٣٤٧)، والتفسير الكبير (٢٤/٧٧)، وأنوار التنـزيل (٤٧٩، ٤٨٠)، والبحر المحيط (٦/٤٩٦). قال ابن القيّم: «هجر القرآن أنواع:

أحدها: هجر سماعه، والإيمان به، والإصغاء إليه.

فِيهِ ﴾[1] ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ كما جعلنا لك، أَقْبَلَ عليه بعد سماع شكواه مسلِيّاً له بأنّ هذا شأن الرُّسل مع الكفار، لينالوا بذلك المثوبة العُظْمى[2]. ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا ﴾ إلى طريق الانتقام [منهم][3]. ﴿ وَنَصِيرًا ﴾ مِعْوَاناً[4] لك عليهم، فلا تبال واصبر.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ نـزِّل بمعنى أَنْزل؛ لقوله ﴿ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ وإلاّ لكان متدافعاً[5]. ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ جواب لهم، أي: كذلك أنزل مُفَرقاً[6]؛ لأن قولهم: «لولا أنزل عليه القرآن جملة» يتضمن إنكار إنزاله مفرقاً. ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ مفرقاً مُنَجماً [لأنك إذا][7] تحديت بكلّ نجم من

الثاني: هجر العمل به، الوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أُصول الدين وفروعه.

والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها». الفوائد (٨٢).

(١) بعض الآية (٢٦) من سورة فصلت.

(٢) يقول الرازي: «إنّ خلق العداوة سبب لازدياد المشقّة التي هي موجبة لمزيد الثواب». التفسير الكبير (٢٤/٧٨).

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٤) في «ح»: معاوناً.

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٣٤٧).

(٦) انظر: الكشّاف (٤/٣٤٧).

(٧) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

نجومه قَوِي قَلْبُك، وازداد ثباتُ جأشِك. ولو[1] أُنزل جملة واحدة مرّة وأفحمتهم لم يكن له ذلك الوقع ولا لك الظهور التام واطمئنان القلب، وأيضاً إذا تردد إليه جبرائيل في الوقائع إن أراد بذلك قوّة وتوالت عليه الأفراح كما يفعله الملوك مع الخواصّ المقربين، يواصلونهم بالرسائل والكتب، وما قيل أنه كان أُميّاً يباين حاله حال موسى، وعيسى، وداود عليهم السلام، فإنهم كانوا [قرأوا][2] وكتبوا، فلو أُلقيَ إليه جملة لعجز عن حفظه[3]، ففيه أنّ مَن أنزله قادر على أن يجعل له القوّة على حفظه في لمحة طرف بل كان ذلك معجزة أُخرى له.

﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ فصلنا بعضه عن بعض في الإنزال تفصيلاً متناسباً بين البعد[4] والقرب، مِن رتل الأسنان، وهو تباعد ما بين

(١) في «ق»: ولولا.

(٢) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٣٤٨)، وأنوار التنزيل (٤٨٠).

(٤) في الأصل: العبد.

الثنايا[1] الرباعيين[2][3]، وقيل: رتلناه أمرنا بترتيله في القـراءة لقولـه: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾[4][5].

﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ ﴾ بكـلامٍ هـو مثـل في الـبطلان يجادلونـك بـه. ﴿ إِلَّا جِئْنَٰكَ ﴾ في مقابله ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ صـواباً عنـه. ﴿ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ كـشفنا عـن المقصود، مِن الـفَسْر، وهو الكشف، وصـيغة التفعيـل للمبالغـة[6]، وذلـك أنهـم

(١) الثنايا: جمع ثَـنِيـّة، وهي إحـدى الأسنان الأربع التي في مقـدم الفم، ثنتان في الأعلى وثنتان في الأسفل.

انظر: القاموس المحيط (١٦٣٦، ١٦٣٧)، مادة «ثنى»، والمعجم الوسيط (١٠٢/١)، مادة «ثنى».

(٢) الرباعيين كذا في النسخ كلّها.

والرباعيتين: مثنى رباعيّة، هي السنّ بين الثنية والناب، وهي أربع: ثنتان في الفكّ الأعلى، وثنتـان في الـفكّ الأسفل.

انظر: القاموس المحيط (٩٢٩)، مادة «ربع»، والمعجم الوسيط (٣٢٤/١)، مادة «ربع».

(٣) انظر: الكشّاف (٣٤٨/٤، ٣٤٩)، وأنوار التنـزيل (٤٨٠)، وفتوح الغيب (٤٦٥).

(٤) بعض الآية (٤) من سورة المزمّل.

(٥) انظر: الكشّاف (٣٤٨/٤).

(٦) انظر: المفردات (٦٣٦)، مادة «فسر»، والكشّاف (٣٤٩/٤).

قاسوه بموسى، وعيسى في إنزال الكتاب[1] جملة واحدة، وقد جهلوا ما في تنزيله مفرقاً من الحِكَم[2].

﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ رفعٌ أو نصبٌ على الذّم[3].

[روى البخاري][4] عن أنس[5] أن رجلاً قال: يا رسول الله كيف يُحشر الكافر على وجهه يوم القيامة[6]؟، فقال: أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً أن يمشيه على وجهه يوم القيامة»[7][8]. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ منزلةً، ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ممن قدحوا في رسالته أي: لو علموا حالهم لعلموا أنهم شرّ

(١) في «ق»: الكتب.

(٢) منها: أنه لو نزل الكتاب جملة واحدة لترلت الشرائع دفعة، وذلك يثقل على الخلق، ومنها: أنّ القرآن كان يترل حسب الوقائع والأسئلة التي تعرض، وهي أمور متجددة، وكذلك أنّ في نزوله مفرقاً قوّة له ﷺ في الثبات على الدين حيث يقوى قلبه كلمّا شاهد جبريل حالاً بعد حال. وغيرها من الحكم. انظر: التفسير الكبير (٢٤/٧٩).

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/١٦٠)، والتبيان (٢/٩٨٦)، والدر المصون (٨/٤٨٢).

(٤) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٥) أنس: أنس بن مالك بن النضر الأنصاري، من بني النجار، خادم رسول الله ﷺ، دعا له رسول الله ﷺ بكثرة المال والولد، وطول الحياة، توفي سنة ٩٣هـ، وقيل غير ذلك.

انظر: التاريخ الكبير (٢/٢٧)، وأسد الغابة (١/١٢٧).

(٦) في «ص»، «ح»، «ق»: القيمة.

(٧) في «ص»، «ح»، «ق»: القيمة.

(٨) صحيح البخاري، كتاب الرّقاق، باب الحشر (٤/١٩٥) ح ٦٥٢٣.

مكاناً. وقيل: متصلٌ بقوله: ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا ﴾[1]، وصف السبيل بالضلال على طريقة المجاز الحكمي[2] مبالغة في ضلال سالكه[3].

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [٣٥-٣٩].

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ لما سلاّه بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا ﴾ فصّل بعض أحوال مشاهيرهم، وقدّم موسى؛ لأن أُمته أكثر، وعناه مع الجهال أوفر وأشهر. ﴿ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴾ موازراً له معاوناً إياه في تبليغ الرسالة، ولا تنافي بين النبوة والوزارة[4]. ﴿ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ فذهبا فكذبوهما. ﴿ فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴾ استأصلناهم[5]

(١) بعض الآية (٢٤) من هذه السورة. وانظر: أنوار التنزيل (٤٨٠).

(٢) المجاز الحكمي ويطلق عليه المجاز العقلي، وهو الكلام المحكوم فيه بخلاف ما عند المتكلم بالتأوّل. وسُمّيَ حكمياً؛ لتعلقه بأحكام جارية على الألفاظ. انظر: أسرار البلاغة (٣٦٦-٣٧٨)، والتبيان في علم المعاني والبديع والبيان (٢٥٤، ٢٥٥)، ومعجم المصطلحات البلاغية (٥٩١-٥٩٨).

(٣) انظر: الكشّاف (٣٤٩/٤)، وأنوار التنزيل (٤٨٠)، وفتوح الغيب (٤٦٩).

(٤) انظر: الكشاف (٣٥٠/٤)، وأنوار التنزيل (٤٨٠).

(٥) في «ح»: استأصلنا بهم.

وقلعنا شأفتهم، ولما كان الغرض التسلية وأنه سينزل بالمشركين ما أنزل بأولئك اختصر الكلام بذكر طرفي القصة، وكذلك سلك في القصص بعدها[1].

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ ﴾ كذبوا نوحاً من قبله من الرسل، أو نوحاً وحده، ومن كذّب رسولاً فقد كذب سائر الرسل؛ لاتحاد دعوتهم، واشتراك دليلهم في الإعجاز[2]. ﴿ أَغْرَقْنَـٰهُمْ ﴾ بالطوفان. ﴿ وَجَعَلْنَـٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ﴾ عبرة إلى يوم القيامة.

﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ لكلّ ظالم أو لهم، وإيثار المظهر؛ للدلالة على علّية الحكم[3]. ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ ﴾ عطف على «هم» أو «الظالمين» بحسب المعنى، أي[4]: وعدنا الظالمين وهؤلاء الأعلام في الظلم[5]. وقرأ حمزة، وحفص «ثمودَ» غير منوّن على تأويل القبيلة[6]. ﴿ وَأَصْحَـٰبَ ٱلرَّسِّ ﴾ قوم شعيب، والرّس: اسم بئرهم. كذّبوا شعيباً فبينا هم حول البئر جلوساً خسف الله

---

(١) انظر: الكشاف (٤/٣٥٠)، وأنوار التنزيل (٤٨٠).

(٢) انظر: الكشاف (٤/٣٥١)، والبحر المحيط (٦/٤٩٨).

(٣) انظر: الكشاف (٤/٣٥١)، والتفسير الكبير (٢٤/٨١).

(٤) في «ح»: أمر.

(٥) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/١٦١)، والتبيان (٢/٩٨٦)، والدر المصون (٨/٤٨٣).

(٦) وقرأ الباقون بالتنوين.

انظر: السبعة (٣٣٧)، والكشف (١/٥٣٣)، والموضح (٢/٦٥٣)، والنشر (٢/٢٨٩، ٢٩٠).

بـهم الأرض(1). وقيل: قرية عظيمة بفلج اليمامة(2) قتلوا نبيهم فهلكوا، وهم بقية ثمود(3). وقيل: هم أصحاب حنظلة [بن صفوان، وكانوا مبتلين بالعنقاء وهي طير عظيم، سمّي بذلك؛ لطول عنقه، وكانت تخطف أولادهم فدعا عليها حنظلة النبي](4) فأصابها صاعقة، ثم أنهم قتلوا حنظلة فأهلكهم الله(5). وقيل: هم

---

(١) قاله وهب والكلبي. انظر: البحر المحيط (٦/٤٩٩).

(٢) في هامش «ح»، و«ص»: «الفَلج: بفتح اللام قرية عظيمة من ناحية اليمامة، وبسكون اللام: وادٍ بقرب البصرة. اهـ». انظر: معجم ما استعجم (٣/١٠٢٩)، ومعجم البلدان (٤/٢٧١ـ٢٧٢). **واليمامة:** أرض بنجد تنسب إلى اليمامة بنت سهم بن طسم، وهي منازل طسم وجديس قديماً، فتحت على عهد أبي بكر الصديق، وبها ظهر مسيلمة الكذاب.

انظر: معجم البلدان (٥/٤٤١ ـ ٤٤٧).

(٣) قاله قتادة. معالم التنزيل (٣/٣٦٩)، والكشاف (٤/٣٥١)، والبحر المحيط (٦/٤٩٨ ـ٤٩٩).

(٤) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٥) انظر: الكشاف (٤/٣٥١)، وزاد المسير (٦/٩٠)، والبحر المحيط (٦/٤٩٩).

وحنظلة: هو حنظلة بن صفوان الرسي، من أنبياء العرب في الجاهلية، ظهر في الفترة بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ، بعثه الله إلى أهل الرس، وكانت تطلق على ما بين نجران واليمن، وبين حضرموت إلى اليمامة، وأكثر الروايات على أن الرس بئر فقط، وقد قتله قومه بعد أن كذبوه.

انظر: الإكليل (٨/١٣٩)، ومعجم البلدان (٣/٤٣ ـ ٤٤)، واللّباب لابن الأثير (١/١١٤).

والعنقاء: كائن خرافي أو طير ضخم على هيئة غريبة، يضرب بها المثل في الاستحالة، فيقال: رابع المستحيلات، وهي: الغول، العنقاء، الخلّ الوفي، وهي مما يتلهى عوام الناس برواية أخبارها.

انظر: تهذيب الأسماء واللغات (٢/٤٦) من القسم الثاني، والمعجم الوسيط (٢/٦٣٢) مادة «عنق».

أصحاب الأخدود، والرسَّ: الأخدود[1]. وقيل: الرسَّ أرض بأنطاكية[2] قتلوا فيها حبيباً النجار[3]. وقيل: اسم بئر، وإنما سمّي رسّاً؛ لأنهم قتلوا نبيهم ورسوه فيها، أي: دسّوه[4]. ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ المذكور. ﴿كَثِيرًا﴾ لا يعلمه إلا الله. روي أن رسول الله ﷺ لـمّا تلا الآية قال: «كذب النسابون يقول الله: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ

---

(١) انظر: معالم التنزيل (٣/٣٦٩)، والبحر المحيط (٦/٤٩٩)، والأخدود: موضع ذكره الله في القرآن، كان في قرية من قرى نجران. انظر: معجم ما استعجم (١/١٢١).

(٢) أنطاكية: مدينة بالشام معروفة، موصوفة بالحسن، وطيب الهواء، وكثرة الفواكه، وكان اللّغويون قديماً يصفون كل شيء حسن عندهم بأنه أنطاكي.

انظر: معجم ما استعجم (١/٢٠٠)، ومعجم البلدان (١/٢٦٦ ـ ٢٧٠).

(٣) قاله كعب، ومقاتل، والسدي.

انظر: معالم التنزيل (٣/٣٦٩)، والمحرر الوجيز (١٢/٢٥)، والبحر المحيط (٦/٤٩٩).

وحبيب النجار هو: حبيب بن مري، كان إسكافاً، وقيل: كان نجاراً، قتله قومه حينما دعاهم إلى الله، يقول ابن عباس عنه: «وكان كثير الصدقة، قتله قومه». انظر: البداية والنهاية (١/٢١٥).

(٤) قاله ابن عباس ، وعكرمة. جامع البيان (١٩/١٤). وانظر: الكشاف (٤/٣٥١)، والبحر المحيط (٦/٤٩٩). وقال الطبري: «والصواب من القول في ذلك قول من قال: هم قوم كانوا على بئر، وذلك أن الرس في كلام العرب: كل محفور، مثل: البئر والقبر ونحو ذلك، ولا أعلم قوماً كانت لهم قصة بسبب حفرة ذكرهم الله في كتابه إلا أصحاب الأخدود، وإن يكونوا غيرهم فلا نعرف لهم خبراً إلا ما جاء من جملة الخبر عنهم أنهم قوم رسّوا نبيهم في حفرة».

انظر: جامع البيان (١٩/١٤) بتصرف يسير.

ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾»[1]. ﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ﴾ أي: كل قرن بيّنا له القصص الغريبة مما جرى على الأمم المكذبة للرسل؛ إنذاراً وتحذيراً. ﴿ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴾ حيث لم يعتبروا، ولم ينجح فيهم ذلك الإنذار. التّبار: الكسر من «التِّبر» وهو قطع الذهب قبل الضرب[2]. و «كلا» الأول منصوب بما دلّ عليه «ضربنا»، أي: أنذرنا، والثاني: بـ«تبرنا»؛ لفراغ الفعل له[3].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ

---

(١) أخرجه ابن خياط في الطبقات (٣)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (١/٥٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣/٥٢ ـ ٥٩). وأورده القرطبي في تفسيره (٩/٣٤٥). وابن كثير في تفسيره (٢/٥٢٥). والسيوطي في الجامع الصغير (١/١٠٠)، وفي الدر المنثور (٦/٢٥٩).

وفي سند الحديث: هشام بن محمد بن السائب الكلبي، وهو ضعيف، وقال بعضهم: أنه متروك كذاب. انظر: الضعفاء للعقيلي (٤/٣٣)، والكامل في ضعفاء الرجال (٧/١١٠).

وقال الألباني عن الحديث: «موضوع». انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة (١/١٤٤) ح ١١١.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤/٦٨)، والصحاح (٢/٦٠٠) مادة «تبر»، والكشاف (٤/٣٥١)، وأنوار التنزيل (٤٨١)، وعمدة الحفاظ (١/٢٩٢).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٦٨)، والكشاف (٤/٣٥١)، والتبيان (٢/٩٨٦)، والدر المصون (٨/٤٨٤).

هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [٤٠-٤٤].

﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ﴾ يريد قريشاً(١) في مسايرهم في التجارات إلى بلاد الشام، والقرية(٢) اسمها «سدوم»(٣) [أعظم قرى قوم لوط، سميت باسم قاضيها، وكان آية في الظلم والجور حتى صار مثلاً «هذا قضاء](٤) سدوم»(٥)، و«مطر السوء»: الحجارة(٦). ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ﴾ الاستفهام للإنكار الداخل على النفي فيفيد الإثبات، أي: قد رأوها. ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ فلذلك لم يتأملوا ولم يتعظوا، فإن الإنسان إنما يتكلف النظر والتدبر إذا كان راجياً ثواب الآخرة، خائفاً عقابها، أو لا يخافون على اللغة التهامية(٧). ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ ﴾ أي: المشركون. ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾ أي: لم

---

(١) قريش: قبيلة من كنانة، وهي على قسمين: قريش الظواهر، وقريش البطاح، وتتفرع إلى عدة بطون منها: بنو جميح، وبنو مخزوم، وبنو زهرة، وبنو هاشم، وبنو أمية.
انظر: نهاية الأرب (٣٥٦ ــ ٣٥٧).

(٢) انظر: الكشاف (٣٥٢/٤)، وأنوار التنزيل (٤٨١).

(٣) سدوم: قرية من قرى قوم لوط، كان أهلها يعملون الخبائث، ولهم قاضٍ يقضي بينهم بالجور وعمل اللواط، ولما أمر الله بهلاكها رفعها جبريل عليه السلام بجناحه ثم قلبها دفعة واحدة.
انظر: معجم ما استعجم (٧٢٩/٣)، والروض المعطار (٣٠٨).

(٤) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٥) المثل المشهور في ذلك هو: أجور من قاضي سدوم.

(٦) انظر: الكشاف (٣٥٢/٤)، والتفسير الكبير (٨٤/٢٤).

(٧) انظر: الكشاف (٣٥٢/٤)، وأنوار التنزيل (٤٨١).

يرضوا بترك الإيمان حتى جعلوك مكان هزو، أو مهزوا بـه. ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ اسم الإشارة للتحقير[1]. كما في حديث عائشة: «يا عجباً لابن عمرو هذا حين أفتى بنقض الضفائر[2]»[3]. وإنما أخرجوا بعثه في معرض التسليم؛ لجعله صلة، وهو على غاية الإنكار تهكماً به. ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ بكثرة الدّعاء إلى التوحيد، وهذا يدل على أنه ﷺ قد بلغ الغاية القصوى في الدعوة إلى الله حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دين آبائهم مع فرط عنادهم، وشدّة لجاجهم[4]. «إنْ» مخففة من المثقلة، وضمير الشأن محذوف، واللاّم هي الفارقة[5]. ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ وتثبتنا، «لولا» هذه للدلالة على انتفاء

---

(١) انظر: الكشاف (٣٥٢/٤)، وأنوار التنزيل (٤٨١)، وفتوح الغيب (٤٧٣).

(٢) في الأصل، و«ح»، و«ق»: الضفاير.

(٣) تمام الحديث، أخرجه مسلم بسنده قال: أن عائشة رضي الله عنها قالت: «يا عجباً لابن عمرو هذا يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن أفلا يأمرهن أن يحلقن رؤوسهن لقد كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد ولا أزيد على أن أفرغ على رأسي ثلاث إفراغات».

صحيح مسلم بشرح النووي (١٢/٤)، كتاب الحيض، باب حكم ضفائر المغتسلة.

والضفائر: جمع ضفيرة، من: الضَّفر، وهو نسج بعض الشعر على بعض وإدخاله فيه.

انظر: الغريبين (١١٣٢/٤) مادة «ضفر»، والقاموس المحيط (٥٥١) مادة «ضفر».

(٤) انظر: الكشاف (٣٥٢/٤)، والبحر المحيط (٥٠٠/٦).

(٥) انظر: الدر المصون (٣٩٢/٧)، ومغني اللّبيب (٢٤/١، ٢٥، ٢٣١).

شيء لوجود غيره، كما في: لولا علي لهلك عمر[1]. ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أنت أو هم جواب عن قولهم: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ لأن من يضل غيره لا بد أن يكون ضالاً في نفسه[2].

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[3] تعجيب ممن هذا شأنه في الجهل. قدّم المفعول الثاني؛ للعناية به، والقرينة معنوية كما في قوله: بنونا بنو أبنائنا[4].

﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ مسلطاً تجبره على الإسلام، إنكار أي: لست كذلك بل أنت مبلّغ و﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾[5]. ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ حتّى سمعوا كلامك، أو يفهموا خطابك، وهذا أشدّ مذمّة[6]، ولذلك لـمّا[7] أضرب عن الأوّل قيّد بالأكثر؛ لأن منهم مَن كان يأبى

---

(١) انظر: الجنى الداني (٥٩٧)، ومغني اللّبيب (١/٢٧٢، ٢٧٣).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٣٥٢)، أنوار التنزيل (٤٨١).

(٣) في «ق» زيادة: «أنت» أو «هم» جواب عن قولكم «إن كاد».

(٤) قائله الفرزدق. وتمام البيت:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهنّ أبناء الرّجال الأباعد. قدّم في البيت الخبر على المبتدأ.

والتقدير: بنو أبنائنا بنونا، وذلك لأجل القرينة المعنوية، وهي أنّ الخبر محطّ الفائدة فقُدِّم.

انظر: ديوان الفرزدق (١٢)، وشرح المفصّل (١/٩٩)، وخزانة الأدب (١/٢١٣)، والمساعد على تسهيل الفوائد (١/٢٢١)، والدر المصون (٤/٣٨٨).

(٥) بعض الآية (٢٥٦) من سورة البقرة.

(٦) في «ق»: مذة.

(٧) «لما» ساقطة من الأصل، «ح»، «ق».

عناداً واستكباراً. ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ في عدم الإدراك، وفهم الآيات. ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ من الأنعام؛ لأنها تفرِّق بين المحسن إليها والمسيء، وتتعلم بالتعلّم، لا يُرى[1] أجهل من الحمار وقد رأيناه قد تعلّم أنواعاً من الحيل، وهؤلاء قد اتّبعوا الشيطان، وهو أعدى عدوهم الذي يجلب لهم شقاء الأبد[2].

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾ [٤٥-٥٠].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ أشار إلى صُنْعِه البديع الدالّ على كمال العلم والقدرة، بل على الكمال المطلق من كلّ وجه على أكمل وجه بالمحسوسات؛ لأن الخصم بعيدٌ عن إدراك المعقولات والتدبر[3] في علم الملكوت، ولم يُخاطبهم بل وجّه الكلام إليه توكيداً لـمّا قدّمه من أنهم أضلّ من الأنعام، فليس من شأنهم

---

(١) في «ق»: لا ترى.

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٣٥٣)، والتفسير الكبير (٢٤/٨٦، ٨٧).

(٣) في «ح»: والتقدير

الخطاب. والاستفهام للإنكار دخل النفي أفاد[1] التقرير، أي[2]: قد رأيت صنع ربك كيف بسط الظل لمنافع العباد.

﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ لاحقاً[3] بأصل ذي الظل كالشجر، والبناء[4]، والجبال[5]. وقيل: الظل الذي مدّه ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فإنه أطيب الأوقات، إذ الظلمة الخالصة تنفر الطبع، وتسدّ النظر، وشعاع الشمس يسخن الجو، ويبهر البصر[6].

أصل الكلام: ألم تر إلى الظل كيف مدّه ربك، وإنما عدل إلى المنزل إشارة إلى أن المعقول من هذا الكلام كالمرئي؛ لوضوح برهانه.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ متبوعاً يتبعه الظل يزيد به وينقص، ويمتد ويقصر[7].

---

(١) في «ح»: فاد.

(٢) في «ح»: أتى.

(٣) في «ص»، و«ق»: لاصقاً.

(٤) في «ح»: النبات.

(٥) انظر: الكشاف (٣٥٣/٤)، والبحر المحيط (٥٠٣/٦).

(٦) انظر: التفسير الكبير (٨٨/٢٤)، وأنوار التنزيل (٤٨١).

وقال أبو حيان: «وقال الجمهور «الظل» هنا من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، مثل ظل الجنة ظل ممدود، لا شمس فيه ولا ظلمة، واعترض بأنه في غير النهار بل في بقايا اللّيل ولا يسمى ظلاً». البحر المحيط (٥٠٣/١).

(٧) انظر: البحر المحيط (٥٠٣/٦).

﴿ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا ﴾ رفعناه بإيقاع شعاع الشمس موقعه. ﴿ قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ على التدريج لما في ذلك للعباد من المصالح[1]. و«ثمّ» في الموضعين للترقي من الأدنى إلى الأعلى، أو على[2] أصله. وذلك أنّ الله خلق السماء كالقبة المضروبة، ثمّ خلق بعد ذلك الشمس وسلّطها على ذلك الظلّ، وجعله تابعاً إيّاها[3]. ويجوز أن يُراد قبضه يوم القيامة[4] ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ ﴾[5]، ولفظ «إلينا» ربما أيّده، وكذلك ﴿ يَسِيرًا ﴾ كما في قوله: ﴿ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾[6][7]. ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ ساتراً كاللّباس، ﴿ وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا ﴾ راحة من السبت وهو القطع، واستعماله في نوم المريض عند

(١) انظر: التفسير الكبير (٢٤/٨٨، ٨٩)، وأنوار التنـزيل (٤٨١)، والبحر المحيط (٦/٥٠٣).

(٢) في «ح»: وعلى.

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٣٥٤)، والتفسير الكبير (٢٤/٨٩).

(٤) في الأصل، «ح»، «ص»: القيمة.

(٥) بعض الآية (١٠٤) من سورة الأنبياء.

(٦) بعض الآية (٤٤) من سورة «ق».

(٧) انظر: الكشّاف (٤/٣٥٤)، والبحر المحيط (٦/٥٠٣).

العرب والشيخ المسِنّ. قال عمرو بن مسعود[1] رضي الله عنه لمعاوية[2]: «لا تسأل عن شيخ نومه سبات، وليله هَبّات»[3]، أو موتاً لقوله ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ أي: بعثاً شبّه بعثهم من النوم بالبعث بعد الموت. قال لقمان لابنه: يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر[4]. وعلى الأوّل النشور بمعنى: الانتشار لأسباب المعاش.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا﴾ بسكون الشين في قراءة[5] الكوفيين[6]، وابن عامر، جمع ناشر، أو جمع نشور، كصبور خفف إسكان العين. وابن كثير، ونافع،

---

(١) عمرو بن مسعود بن معتب الثقفي، صحابي، كان صديقاً لأبي سفيان، حضر حجة الوداع، وفد على معاوية في قصّة مشهورة. انظر: الإصابة (٤/٦٨٣).

(٢) معاوية بن أبي سفيان بن حرب الأموي، مؤسس الدولة الأُموية بالشام، أسلم يوم فتح مكة، كان من كتاب الوحي، ومن دهاة العرب، ولِيَ الخلافة بعد حربٍ طاحنة مع علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، مات بدمشق عام ٦٠هـ. انظر: أُسد الغابة (٤/٣٨٥)، وسير أعلام النبلاء (٣/١١٩).

(٣) في هامش الأصل، و «ص»: «يُقال: هبّ من النوم استيقظ، يريد أنه لا ينام من اللّيل».
والسبات: النوم الخفيف كنوم المسِنّ. انظر: الصحاح (١/٢٣٦) مادة «هبّ»، (١/٢٥٠، ٢٥١) مادة «سبت»، والمفردات (٣٩٢)، ولسان العرب (٨/٤٦٠٠) مادة «هب»، (٤/١٩١٢) مادة «سبت»، والمعجم الوسيط (١/٤١٢) مادة «سبت». وروي هذا القول عن عمرو بن عامر السّلمي لما وفد على معاوية بن أبي سفيان. انظر: الإصابة (٤/١٤٧).

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٣٥٤)، وسيذكر المصنّف تعريفاً عن لقمان في سورة لقمان.

(٥) في «ح»: قرأه.

(٦) ما عدا عاصم.

وأبو عمرو بضمتين على الأصل. وحمزة، والكسائي بفتح النون على المصدر. كما[1] في الإرسال من معنى النشر أو على الحال، وقرأ عاصم بالباء جمع «بشور»، بمعنى: مبشر، كـ«صبر[2] وصبور» أو «بشير» كـ«قليب وقلب»[3]، وقرأ ابن كثير الريح بالإفراد على إرادة الجنس، والجمع هو المختار[4]؛ لكون المبشرات ثلاثاً[5]: صباً[6][7] وشمالاً وجنوباً[8]، وعليه حُمل قوله ﷺ: «اللهم اجعلها رياحاً، ولا

---

(١) في «ص»: لـما.

(٢) في الأصل: كصبور.

(٣) خلاصة ما سبق: وقرأ حمزة، والكسائي «نَشْراً»، وقرأ عاصم «بُشْراً»، وقرأ ابن عامر «نُشْراً»، وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو «نُشُراً». انظر: السبعة (١٧٢ ــ ١٧٣)، والتيسير (١١٠)، والموضح (٥٣٢/٢ ــ ٥٣٤)، والنشر (٢٦٩/٢ ــ ٢٧٠).

(٤) وقرأ الباقون بالجمع.

انظر: السبعة (١٧٢ــ١٧٣)، والموضح (٣٠٦/١)، (٩٣٠/٢)، والنشر (٢٢٣/٢ــ٢٢٤).

(٥) في الأصل، و«ح»، و«ص»: ثلثاً.

(٦) في الأصل، و«ص»: صباء.

(٧) صبا: الصبا هي: الريح التي تهب من مطلع الشمس، وتسمى القبول.

انظر: لسان العرب (٢٣٩٨/٤) مادة «صبا».

(٨) الشمال: الجهة التي تقابل الجنوب، والمراد هنا: الرياح التي تهب من تلك الجهة، والجنوب هي الرياح التي تهب من الجنوب.

انظر: لسان العرب (٦٩٤/٢) مادة «جنب»، والمعجم الوسيط (٤٩٤/١) مادة «شمل».

تجعلها ريحاً»[1] وهي الدبور[2]. وقال: «نُصرت بالصبا[3]، وأُهلكت عاد بالدبور»[4]. ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ﴾ أمامه، جعل الريح مبشراً بقدومه؛ تعظيماً له فإنه سبب بقاء العالم. ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ مطهراً من الأحداث والأخباث، «فعول» من «طهر» اسم آلة كـ«الوقود، والسجود»؛ لأن المأخوذ من اللازم لا يكون متعدياً[5]. وقول الفقهاء بمعنى: المطهر تسامح

(١) أخرجه الشافعي في المسند (٨١)، وفي الأم (١/٢٥٣). وأبو يعلى في المسند (٤/٣٤١) ح٢٤٥٦. والطبراني في المعجم الكبير (١١/٢١٣) ح ١١٥٣٣. والأصفهاني في العظمة (٤/١٣٥٢). وانظر: تلخيص الحبير (٢/٩٣)، ومجمع الزوائد (١٠/١٣٥ ــ ١٣٦)، وفيض القدير (٥/١٦٥)، ومشكاة المصابيح ح١٥١٩، وفي سند الحديث: حسين بن قيس، الملقب بـ«حنش»، وهو ضعيف جداً، وقال أحمد بن حنبل وغيره: متروك، وبقية رجاله رجال الصحيح، والحديث بهذا الإسناد ضعيف. انظر: العلل ومعرفة الرجال (٢/٤٨٦)، والضعفاء الصغير (٣٣)، وأحوال الرجال (١٠٥)، والضعفاء للعقيلي (١/٢٤٧)، وموضح أوهام الجمع والتفريق (١/٥٥٦)، والعلل المتناهية (٢/٥٩١)، وخلاصة البدر المنير (٢/٢٧٧).

(٢) الدبور: ريح عذاب تهب من ناحية الغروب، وهي مقابلة من حيث الجهة للصبا.

(٣) في «ح»: بالصباء.

(٤) رواه البخاري، في كتاب الاستسقاء، باب قول النبي ﷺ: «نصرت بالصبا» (٢/٣٢٥) ح ١٠٣٥.

(٥) اللاّزم: هو الفعل الذي لم يتعد إلى مفعول، نحو: ذهب زيد. والمتعدي: هو الفعل الذي يتعدى إلى مفعول أو أكثر، نحو: ضرب زيد عمراً. انظر: المساعد على تسهيل الفوائد (١/٤٢٦ــ٤٤٥)، وأوضح المسالك (١٦١ــ١٦٢). وقول المصنف: «المأخوذ من اللازم لا

[بالتراب][1]، وسالب الطهورية، عند أبي حنيفة إذا كان الماء راكداً وقوع النجاسة قليلاً كان أو كثيراً، وعند مالك إذا غير طعمه أو ريحه أو لونه، وعند الشافعي كأبي حنيفة فيما دون القلتين[2] وكمالك إذا بلغ قلتين، والجاري[3] عنده كالراكد، وعند أبي حنيفة: الجاري لا ينجس إذا لم ير للنجاسة فيه أثر[4]. وفي الآية إشارة إلا [أنّ][5] الله تعالى لما أكرمهم بإنزال الماء الطهور[6] المزيل للخبث والحدث عن ظواهرهم فعليهم أن يطهروا بواطنهم التي هي محل الأسرار عن قاذورات الغل وسائر الرذائل. ﴿ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ بالإنبات، وتذكير «ميتاً»؛ لكون «البلدة» في معنى: [البلد][7] لقوله: ﴿ فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾[8][9].

يكون متعدياً» يشير إلى كلمة «طهور» وهي إما أن تكون اسم آله أو صفة أو مصدر كـ«القبول».

انظر: الكشاف (٤/٣٥٥)، والتفسير الكبير (٢٤/٩٠)، والبحر المحيط (٦/٥٠٥)، والدر المصون (٨/٤٨٧ ـ ٤٨٨).

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق»، و«ح»، و«ص».

(٢) القلتان: مثنى قلة وهي: الجرة، ومقدارها خمس قرب، كل قربة مائة رطل عراقي، ومقدار القلتين بالجرام ١٩١٢٥٠، وبالكيلو ١٩١،٢٥.
انظر: طلبة الطلبة (١٩)، والمغني (١/٣٦)، والشرح الممتع (١/٣٠).

(٣) في الأصل: الجاريء.

(٤) انظر: روضة الطالبين (١/٧ ـ ٢٢)، والحاوي الكبير (١/٣٥ـ ٥٥)، والهداية (١/١٧ـ ٢١)، والمغني (١/١٢ ـ ٥٥)، والشرح الممتع (١/٢١ ـ ٣١).

(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٦) في «ح»: الظهور.

(٧) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٨) بعض الآية (٩) من سورة فاطر.

(٩) انظر: الكشاف (٤/٣٦٠).

أو لأنه غير جار على الفعل فألحق بالجامد[1].

﴿وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾ [وصف الأنعام][2] والأناسي بالكثرة؛ لأن أكثر الناس يسكنون بقرب الأنهار والأودية فهم في أكثر الأوقات في غنية من المطر، وكثير منهم سكان البوادي لا يعيشهم وأنعامهم إلاّ المطر وماء الغدران[3]، وقدّم الأهم فالأهم[4]. وصف الماء أولاً بالطهور؛ لأن المقصود الأصلي من إنزاله تطهيرهم، ليكونوا في حال المناجاة[5] مع ربهم على أكمل الأحوال، ثم إحياء الأرض بالنبات؛ لأنه أبدع، ولأنه سبب معاشهم ومعاش أنعامهم، ثم قدّم «الأنعام» على «الأناسي»؛ لذلك، أو لأن الماء إذا وجد للأراضي فلهم من باب الأولى فذكر «الأناسي» للاستيعاب[6].

(١) انظر: أنوار التنزيل (٤٨٢)، والجامد ما دلّ على ذات أو معنى، من غير ملاحظة صفة كاسم الجنس المحسوس أو المعنوي كأسد، شجاعة. انظر: معجم القواعد العربية (١٧٤).

(٢) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٣) الغدران: جمع غدير، ويطلق على قطعة من الماء يغادرها السيل، وهي عند أهل الجغرافيا النهر الصغير. انظر: المعجم الوسيط (٢/٦٤٥) مادة «غدر».

(٤) انظر: الكشاف (٤/٣٦١)، والتفسير الكبير (٢٤/٩١)، وأنوار التنزيل (٤٨٢).

(٥) في «ق»، والأصل: المناجات.

(٦) انظر: الكشاف (٤/٣٦١)، والتفسير الكبير (٢٤/٩١)، وأنوار التنزيل (٤٨٣).

و«الأناسي» جمع «إنسي» أو جمع «إنسان» أصله: «أناسين» قلبت النون ياءً[1].

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ ﴾ أي: هذا القول بين الناس في القرآن، وسائر الكتب، والصحف المنزلة، إشارة إلى أنه من الأدلة القاطعة على وحدة الصانع، ومن الطهور بحيث لا يختص بهذه الأمة التي فاقت سائر الأمم في الفهم والذكاء. والضمير للمطر[2].

والمعنى: قسمناه بينهم على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن المطر لا يختلف كل عام قلة وكثرة ولكن[3] يقع [تارة هنا][4] وتارة هناك على وفق ما اقتضته الحكمة[5]. ومنه نشأ جواب آخر عن تنكير «البلدة والأنعام والأناسي» أي[6]: لنحيي به بعض البلاد، وبعض الأنعام، وبعض الأناسي. ﴿لِيَذَّكَّرُوا ﴾ بصرف المطر إليهم وعنهم ليعلموا كمال القدرة، وغاية الرأفة بهم. ليصبروا إذا

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٢٦٩)، ومعاني القرآن للأخفش (٢/٦٤٣)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٧١)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/١٦٣)، والكشاف (٤/٣٦١).

(٢) انظر: الكشاف (٤/٣٦١)، وأنوار التنزيل (٤٨٢).

(٣) في «ق»: ولاكن.

(٤) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير (٢/٤٠٣)، وقال: «حديث صحيح على شرط الشيخين، و لم يخرجاه». ووافقه الذهبي. انظر: جامع البيان (١٩/٢٢)، والكشاف (٤/٣٦١ ــ ٣٦٢)، والتفسير الكبير (٢٤/٩٨)، وأنوار التنزيل (٤٨٢).

(٦) في «ق»: أو.

فقدوا ويشكروا إذا وجدوا، ولما كان من المحسوس الذي لا يحتاج إلى تأمل جعل الفاصلة التذكر الذي هو ملاحظة الحاصل المغفول عنه، وقرأ حمزة، والكسائي «ليذْكروا» بالتخفيف من «الذِّكر»(١).

﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾ بتلك النعم الجسيمة يراها من الغير ولا يرضى رأساً برأس، قائلاً: مطرنا بنوء كذا(٢)، وأما من يرى الكل منه تعالى ويجعل النوء من جملة الأسباب والعلامات فذلك لا يقدح في الإيمان(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ۝٥١ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ۝٥٢ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ۝٥٣ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ۝٥٤ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا

---

(١) وقرأ الباقون بفتح الذال، والكاف المشددة. انظر: السبعة (٤٦٥ ــ ٤٦٦)، والحجة لأبي علي الفارسي (٣٤٥/٥ ــ ٣٤٦)، والموضح (٩٣٠/٢)، والنشر (٣٠٧/٢).

(٢) أخرج البخاري بسنده عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: « صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف النبي ﷺ أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب». كتاب الاستسقاء، باب قول الله تعالى: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ (٣٢٦/١) ح ١٠٣٨.

والنَّوء: من ناء إذا سقط، وهو سقوط نجم في المغرب من النجوم الثمانية والعشرين التي هي منازل القمر. انظر: الغريبين (١٨٨٩/٦ ــ ١٨٩٠)، وفتح الباري (٥٢٣/٢ ــ ٥٢٤).

(٣) انظر: الكشاف (٣٦٢/٤)، والتفسير الكبير (٩٩/٢٤)، وأنوار التنزيل (٤٨٢).

يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [٥١-٥٦].

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴾ ليخف عنك بعض أعباء التبليغ، سلاّه الله غاية التسلية بأن جعلهم أضل من الأنعام وأنه ليس عليهم بوكيل، وعجبه من حال ﴿ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾[1] فأشار إلى أن عموم رسالته، وتكليفه[2] التبليغ إلى كافة الناس إجلال له؛ لئلا يشاركه في منصبه أحد فأمره بالمصابرة على المجاهدة، وجعل تهالكه على أيمانهم كالطاعة لهم فقال: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ ﴾ بالقرآن[3]. ﴿ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ فإن الجهاد بالحجة أعظم من الجهاد بالسيف لا سيما مع السفهاء الذين شأنهم المراء والمكابرة[4]. قيل: رؤي[5] الشافعي يوماً مسروراً فسأله بعض أصحابه، فقال: «ألزمْتُ عامياً. قيل له: أنت أجلّ من ذلك. فقال: لا شيء أشدّ وأشكل من إفحام الجاهل»، وقيل: «كبيراً»[6] موقعه عند الله.

---

(١) بعض الآية (٤٣) من سورة الفرقان.

(٢) في «ح»: تأليفه.

(٣) قاله ابن عباس.

انظر: جامع البيان (١٩/٢٣)، والكشّاف (٤/٣٢٦)، وزاد المسير (٦/٩٥)، وأنوار التنزيل (٤٨٢).

(٤) انظر: أنوار التنزيل (٤٨٢).

(٥) في «ح»: رأى.

(٦) في «ح»: كثيراً.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ نوع من دلائل التوحيد. والمرج: الإرسال، أي: أرسلهما وخلاهما متجاوزين[1] متلاقيين[2].

﴿ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴾ قامع للعطش [كاسره][3][4]. ﴿ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ شديد الملوحة[5]. ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ﴾ حاجزاً من قدرته غير محسوس[6]. ﴿ وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ حدّاً محدوداً، أو هي الكلمة التي يقولها المتعوّذ، كأن كلاً من البحرين يستعيذ من الآخر بهذه الكلمة، كقوله: ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾[7] لا يظلم أحدهما الآخر بالممازجة[8]. قيل: إن دجلة[9] يصب[10] في بحر فارس[11] ويذهب فراسخ لا يتغير طعمه[12].

---

(١) في «ص»: متحاورين، وهو الصواب.

(٢) انظر: الكشاف (٣٦٣/٤)، والتفسير الكبير (١٠٠/٢٤)، وأنوار التنزيل (٤٨٢).

(٣) ما بين المعكوفتين مطموسة في «ح».

(٤) انظر: أنوار التنزيل (٤٨٢).

(٥) انظر: معالم التنزيل (٣٧٣/٣)، وأنوار التنزيل (٤٨٢).

(٦) انظر: معالم التنزيل (٣٧٣/٣)، والكشاف (٣٦٣/٤).

(٧) الآية (٢٠) من سورة الرحمن.

(٨) انظر: التفسير الكبير (١٠٠/٢٤)، والبحر المحيط (٥٠٧/٦).

(٩) دجلة: نهر كبير ينبع من بلاد آمد من ديار بكر، ويمر بتكريت وسامرا، ويلتقي مع الفرات عند واسط فيصيران نهراً واحداً يصب في بحر فارس.
انظر: معجم البلدان (٤٤٠/٢)، والروض المعطار (٢٣٣).

(١٠) في «ص»: يصيب.

(١١) بحر فارس: ويسمى الآن الخليج العربي، ويسميه الفرس الخليج الفارسي، وهو البحر الممتد من جنوب العراق إلى عمان. انظر: معجم البلدان (٣٤١/١).

(١٢) قاله ابن جريج. انظر: جامع البيان (٢٥/١٩)، والبحر المحيط (٥٠٦/٦ ـ ٥٠٧).

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا ﴾ شرع [في][1] آيات الأنفس بعد آيات الآفاق، و«البشر» آدم خلقه من تراب خلق من الماء، فهو أصله ومادته الأولى، أو من طين خمّره بالماء، أو أولاده[2]، و«الماء» النطفة[3]. ﴿ فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا ﴾ ذا نسبٍ يُنسب إليه فلان ابن فلان، أي: ذكراً. ﴿ وَصِهْرًا ﴾ ذا صهر، أي: أنثى. قال قطرب[4]: «ما كان من قبل زوج البنت [أصهار][5]، وما كان من قبل المرأة

والفراسخ: جمع «فرسخ»، وهو من المقاييس القديمة يقدر بثلاثة أميال. والميل نوعان: ميل بري ويقدر بما يساوي ١٦٠٩م، وبحري بما يساوي ١٨٥٢م.

انظر: القاموس المحيط (٨٢٩) مادة «فرسخ»، والمعجم الوسيط (٨٩٤،٦٨١) مادة «فرسخ، ميل».

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥٩/١٣)، وأنوار التنزيل ٤٨٣)، والبحر المحيط (٥٠٧/٦).

(٣) انظر: معالم التنزيل (٣٦٣/٣).

(٤) قطرب: محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، اشتهر بـ«قطرب»، وهو لقب دعاه به شيخه سيبويه، كان عالماً بالأدب واللُّغة، إماماً في النحو في زمانه، وهو أول من وضع المثلثات في اللُّغة، وكان يرى رأي المعتزلة، مات سنة ٢٠٦هـ، من كتبه: «النوادر»، و«معاني القرآن»، و«المثلثات» وغيرها.

انظر: وفيات الأعيان (٤٩٤/١)، وتاريخ بغداد (٢٩٨/٣)، وشذرات الذهب (١٥/٢).

(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

أحماء»[1]. ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ كامل القدرة يخلق من ماء تارة ذكراً وتارة أنثى، وتارة يجمع بين النوعين بأن يخلق من نطفة واحدة توأمين[2].

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ بعد ظهور دلائل وحدة الصانع. ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ معاوناً للشيطان، فعيل بمعنى الفاعل كالكليم بمعنى المكالم، وهو أبو جهل[3] فإنها نزلت فيه[4]، أو جنس الكافر؛ لأن الظهير كالصديق يطلق على الجمع كقوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ

---

(١) فرّق أهل اللّغة بين الصهر والحمو، قال الأصمعي:«الأحماء من قبل الزوج، والأختان من قبل المرأة، والصهر يجمعهما»، وقيل: إنّ الأحماء يجمع الصهر والختن.

انظر: الصحاح (٢/٧١٧) مادة «صهر»، ولسان العرب (٤/٢٥١٥) مادة «صهر».

(٢) توأمين: مثنى «توأم»، وهو المولود مع غيره في بطن، من الاثنين فما زاد ذكراً كان أو أنثى، ويقال: هما توأم، وتوأمان.

انظر: الصحاح (١٨٧٦) مادة «توأم»، والقاموس المحيط (١٥٠٤) مادة «وأم»، والمعجم الوسيط (١/٨١) مادة «تأم»، (٢/١٠٠٧) مادة «وأم».

(٣) أبو جهل هو: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي، كان من أشد المشركين عداوة للإسلام، وله مواقف عديدة في إيذاء المشركين، وقاد المشركين في بدر، وبها قتل في السنة الثانية للهجرة.

انظر: تاريخ الأمم والملوك (٢/٢٨٤)، والبداية والنهاية (٣/٢٨٧).

(٤) قاله ابن عباس، وجريج.

انظر: جامع البيان (١٩/٢٦ ـ ٢٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٦١).

ظَهِيرٌ ﴾[1]، أو هيناً لا عبرة به كأنه ملقى وراء الظهر[2]. قال الأخطل[3]: وجدنا بني البرصاء من ولد الظهر[4]. ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ قدم المبشر؛ رعاية للفاصلة.

قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٥٧ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ٥٩ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا۩ ٦٠ ﴾ [٥٧ـ٦٠].

﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ ﴾ على التبليغ. ﴿ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴾ «إلا» فِعل من أراد أن يتقرب إليه، ويطلب الزلفى لديه، جعل الإيمان المنجي للمؤمن أجراً له على أداء الرسالة؛ قلعاً لشبهة الطمع، وإظهاراً لغاية الشفقة حيث جعل تعرضهم للثواب، وتخلصهم من العقاب نفعاً عائداً

---

(١) بعض الآية (٤) من سورة التحريم.

(٢) انظر: معالم التنزيل (٣/٣٧٣)، والكشاف (٤/٣٦٣ ـ ٣٦٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٦١ ـ ٦٢).

(٣) الأخطل: غياث بن غوث بن الصلت التغلبي، أبو عمر، شاعر نصراني، قويّ الشعر، كان يمدح خلفاء بني أمية، ونقائضه مشهورة مع الفرزدق وجرير، كان يعتني بشعره، يختار ثلث القصيدة ويحذف ثلثيها، وقد جمع شعره في ديوان مطبوع، مات سنة ٩٠هـ.
انظر: الأغاني (٧/١٦٩)، وخزانة الأدب (١/٤٥٩)، وسير أعلام النبلاء (٤/٥٨٩).

(٤) تمام البيت: فَمَنْ مُبْلِغٌ أبناءَ مُرَّةَ أننا ... وجدنا بني البرصاء من ولد الظهر. انظر: ديوانه (٦٥).

إليه، وفيه إشعار بأن له في إيمانهم ثواباً جزيلاً؛ لأنه الدال المرشد[1]. قال لعلي بن أبي طالب يوم خيبر[2] حين أعطاه الراية:

«أدعهم إلى الإيمان أولاً، لأن يهدي الله رجلاً على يديك خير لك من الدنيا وما فيها»[3]. وقيل الاستثناء منقطع، أي: لكن[4] من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً فليفعل[5].

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ فهو كافيك عن أجورهم. أو يتصل بقوله: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ أي: فهو ناصرك وحافظك من شرورهم. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ ونزهه عما لا يليق بحضرة قدسه عما يصفه به هؤلاء الجهلة من الشريك والولد مثنياً عليه بأوصاف الكمال؛ شكراً لسوابق نعمه وطلباً للمزيد[6]. ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ ببواطنها وظواهرها فلا

---

(١) انظر: الكشاف (٤/٣٦٤)، والتفسير الكبير (٢٤/١٠٢)، وأنوار التنزيل (٤٨٣).

(٢) يوم خيبر كان في السنة السابعة، وقيل: في السنة الثامنة.
انظر: المغازي (٢/٦٣٤)، والسيرة النبوية (٣/٣٢٨).
وخيبر: وهي المسماة بالحصن بلغة اليهود، فتحها النبي ﷺ عنوة، ثم صالحوه على حقن دمائهم، ثم أجلا عمر بن الخطاب من بقي من اليهود فيها إلى الشام، وتشتهر خيبر بكثرة النخيل والتمر.
انظر: معجم ما استعجم (٢/٥٢١ ــ ٥٢٤)، ومعجم البلدان (٢/٤٠٩).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (٣/١٣٧) ح ٤٢١٠.

(٤) في «ق»: لاكن.

(٥) انظر: أنوار التنزيل (٤٨٣).

(٦) انظر: أنوار التنزيل (٤٨٣).

عليك بعد التبليغ آمنوا أو[1] كفروا. ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ نصب على الاختصاص، أو خبر مبتدأ محذوف، أي: هو الذي، أو مبتدأ خبره ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾[2] ذكر هذه الأوصاف بعد الأمر بالتوكل؛ دلالة على أن من هذا شأنه حقيق بالتوكل عليه.

والمراد بـ«الأيام»: مقدارها؛ لعدم اليل والنهار حينئذ[3]. أو أيام الآخرة[4]. والتقدير بـ«الستة» دون غيرها مما استأثر تعالى بعلمه كعدد الركعات، ونصب الزكوات[5][6]. وعن سعيد بن جبير: «إنما خلقها في ستة أيام وكان قادراً على خلقها في لمحة طرف؛ تعليماً للعباد أن يرفقوا في أمورهم، ويتخلقوا بأخلاقه»[7].

﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ الباء صلة السؤال، والمعنى: سل عنه رجلاً عارفاً به يخبرك عن سعة رحمته. قال الأخفش: «يقال: خرجنا نسأل عن فلان وبفلان»[8].

---

(١) في «ح»، و«ص»، و«ق»: أم.

(٢) انظر: التبيان (٢/٩٨٩)، والبحر المحيط (٦/٥٠٨)، والدر المصون (٨/٤٩٢).

(٣) انظر: الكشاف (٤/٢٦٤)، والتفسير الكبير (٢٤/١٠٣).

(٤) انظر: الكشاف (٤/٢٦٤)، والتفسير الكبير (٢٤/١٠٤)، وقال الرازي عن هذا القول: «وهو بعيد؛ لأن التعريف لابد وأن يكون بأمر معلوم لا بأمر مجهول».

(٥) في الأصل، و«ق»: الزكواة.

(٦) انظر: الكشاف (٤/٣٦٥).

(٧) انظر: الكشاف (٤/٣٦٥).

(٨) لم أجد هذا النص للأخفش في كتابه «معاني القرآن»، وهو مذكور بالمعنى في البحر المحيط (٦/٥٠٨)، وانظر: الدر المصون (٨/٤٩٤)، ومغني اللّبيب (١/١٠٤)، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم (٢/١٧)، القسم الأول.

أو صلة «خبيراً» أي: أسأل خبيراً به يخبرك، أو تجريديه[1] أي: أسأل بسؤاله خبيراً، على معنى: أنك إذا سألته وجدته خبيراً، أي: خبير[2]. والضمير لما تقدم من خلق السماوات والأرض وما بينهما. أمر بالسؤال عنها خبيراً كامل العلم بما فيها من الأجزاء والصفات والأسرار المودعة فيها؛ حتى يظهر كمال قدرته، ودقة حكمته، ونهاية رأفته بعباده حيث خلق لهم الكائنات بأسرها مشتملة على حكم لا تحصى، ونعم لا تستقصى.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ سؤال عن مسمّاه فإنهم كانوا يطلقون عليه. أو عن معناه؛ لأنه كان مذكوراً في الكتب السالفة، وعلى هذا معنى: فاسأل به خبيراً بهذا الاسم من أهل الكتاب[3] فإنهم عارفون به، وفي الآية إشارة إلى أنّ الرحمن الذي شملتهم رحمته إذا ذُكِر لا يعرفونه[4]. ﴿ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ﴾ من غير أن نعلم ما هو وكيف شأنه.

---

(١) التجريد: أن يُنتزع من متّصف بصفةٍ آخرُ مثله فيها مبالغة في كمالها فيه. نحو: لئن سألت فلاناً لتسألن به البحر. انظر: التبيان في علم المعاني والبديع والبيان (٢٨٨).

(٢) انظر: مشكل إعراب القرآن (٢/٥٢٣)، والكشاف (٤/٣٦٥)، والتبيان (٢/٩٨٩)، والبحر المحيط (٦/٥٠٨)، والدر المصون (٨/٤٩٣ ــ ٤٩٤).

(٣) في «ق»: الكتب.

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٣٦٥)، وأنوار التنزيل (٤٨٣).

واستبعد الرازي كونهم لا يعرفون الرحمن، وقال: «والأقرب أنّ المراد إنكارهم لله لا للاسم؛ لأن هذه اللّفظة عربية، وهم كانوا يعلمون أنها تفيد المبالغة في الإنعام». التفسير الكبير (٢٤/١٠٥).

وقرأ حمزة، والكسائي «يأمرنا» بياء الغيبة، كأنه قال لهم: اسجدوا للرحمن.

قال بعضهم لبعض تهكماً واستهزاءً: أنسجد لما يأمرنا [به][1] محمد ولا يكون ذلك.

والخطاب أحسن حجاجاً، والغيبة أقعد لما هم بصدده من الإنكار[2].

﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ فراراً، فاعل «زاد» ضمير «اسجدوا»[3].

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (٦١) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٦٢) وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥)﴾ [٦١-٦٥].

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ استأنف؛ لاثبات رحمانيته، جملة يدل صدرها على كثرة نعمائه، ووفور آلائه، ودوامها وعلو شأنها لما تقدم من [معنى][4] اشتقاقه، و«البروج» منازل الكواكب السيارة، الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٢) والقراءة بتاء الخطاب قراءة الباقين. انظر: السبعة (٤٦٦)، والحجة لأبي علي الفارسي (٣٤٦/٥)، وعلل القراءات (٤٦٦/٢)، والتيسير (١٦٤)، والنشر (٣٣٤/٢).

(٣) انظر: الكشاف (٣٣٦/٤)، والتفسير الكبير (١٠٦/٢٤).

(٤) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

والحوت، سميت بروجاً؛ لظهورها[1] واشتهارها بكونها منازل الكواكب، من «برج» إذا ظهر[2]. فإن قلت: أي فائدة للناس في البروج حتى ذكرها في باب الامتنان، وتقرير صفة الرحمانية. قلت: كل الفوائد عليها مدار الفصول التي نيط بها أسباب المعاش[3]. ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا﴾ الشمس؛ لكمال

---

(١) في الأصل: لظواهرها.

(٢) انظر: الكشاف (٣٦٦/٤)، والأنواء في مواسم العرب (١٢٠)، وأنوار التنزيل (٤٨٣)، والبحر المحيط (٥١١/٦).

(٣) الفصول هي: الخريف والشتاء والربيع والصيف. وذلك أن الأنواء ذات علاقة بالأنواء والبروج هي: **الحمل**: هذا البرج يقع في فصل الخريف، وتزداد فيه حرارة الجو، وتهب فيه الرياح القوية أثناء النهار. انظر: الأنواء (١٢٠).
الثور: يقع في فصل الشتاء، وفيه يشتد الحر، وتهب فيه رياح البوارح، وتظهر فيه الثريا ثم الدبران. انظر: الأنواء (١١٩).
الجوزاء: ويسمى التوأمان، وهما ألمع نجومه، ويمكن رؤية هذا البرج في فصل الشتاء، وتكون الرياح فيه ساكنة. انظر: الأنواء (١٢٠).
السرطان: ويقع هذا البرج في فصل الربيع، وبه يعتدل الجو، ويكثر الرطب، وتبدأ هجرة الطيور. انظر: الأنواء (١١٩).
الأسد: أهم نجومه نجم: قلب الأسد، ويقع هذا البرج في فصل الربيع، ترتفع فيه الرطوبة ويصاحبها انخفاض في درجة الحرارة. انظر: الأنواء (١٢٠).
السنبلة: أكبر البروج اتساعاً، ألمع نجومه: السماك الأعزل، يعتدل الجو فيه، وتكثر به العواصف الممطرة بإذن الله تعالى. انظر: الأنواء (١١٩).
الميزان: من البروج الباهتة، ويقع في فصل الصيف، تنزل فيه الأمطار بإذن الله تعالى. انظر: الأنواء (١١٨).
العقرب: من البروج التي يسهل تمييزها، ويظهر في فصل الصيف، أهم نجومه: قلب العقرب، تكثر فيه الأمطار بإذن الله، وتزداد به برودة الجو. انظر: الأنواء (١١٧).
القوس: يقع هذا البرج في فصل الصيف، والسماء صافية غالباً فيه.

ضوئها[1]، استعار لها اسم السراج. وقرأ حمزة، والكسائي «سُرُجا» على إرادة السيارة [والإفراد][2] أوفق بقوله: ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ ذا نور[3]. ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ لم يعطف «جعل» على الصلة بل استأنف؛ [دلالة][4] على عظم صنعه في إرداف كل من اللّيل والنهار بالآخر. كأنه قال وهو المتفرد بهذا الصنع البديع والخلفة: اسم [بمعنى][5] الاختلاف، أي: ذوي اختلاف يخلف أحدهما الآخر[6]. ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ يتذكر[7] قدرة الصانع الحكيم. ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ لبعض آلائه، فإن مدار أمر الدين على اختلافهما فلا نعمة

انظر: الأنواء (١١٧).

الجدي: يعتبر من البروج الباهتة، ويكون في فصل الخريف، يكثر فيه العشب والكمأ.

انظر: الأنواء (١١٩).

الدلو: ويقع في فصل الخريف، وتشتد فيه الرياح، ويتغير الجو غالباً. انظر: الأنواء (١١٦).

الحوت: ويقع في أواخر الخريف وأوائل الشتاء، وتكون الأمطار غزيرة فيه بإذن الله عز وجل، وتهب فيه الرياح المحملة بالغبار. انظر: الأنواء (١١٦).

(١) في «ح»، و«ص»: ضوءها.

(٢) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٣) والإفراد قراءة الباقين.

انظر: السبعة (٤٦٦)، والحجة للفارسي (٥/٣٤٧)، والموضح (٢/٩٣٢)، والنشر (٢/٣٣٤).

(٤) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٥) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٦) انظر: الصحاح (٤/١٣٥٥) مادة «خلف»، والمفردات (٢٩٤)، والكشاف (٤/٣٦٦).

(٧) في «ح»: يذكر.

أشمل وأكمل منه. وقرأ حمزة «يذكر» مضارع «ذكر» ثلاثياً، والباقون بإدغام التاء في الذال مضارع «تذكر»، وهو أبلغ وأظهر[1].

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ ذكرهم في مقابلة الذين ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾، والمعنى: عباده المختصون به الذين عرفوه بصفة الرحمانية وتخلقوا بها فأورثت لهم هذه الصفات المتعاقبة، و«الهون»: الرفق والتؤدة[2]، وفي صفته ﷺ أنه يمشي هَوْناً[3]. وفي كلام علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ «أحبب حبيبك هوناً»[4]. ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ

(١) انظر: السبعة (٤٦٦)، والكشف (٢/١٤٧)، والتيسير (١٦٤)، والنشر (٢/٣٣٤).

(٢) انظر: الكشاف (٤/٣٦٧)، والنهاية في غريب الحديث (٥/٢٨٤)، والبحر المحيط (٦/٥١٢)، وعمدة الحفاظ (٤/٣٠٨) مادة «هون».

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/٤٢٢)، وابن حبان في الثقات (٢/١٤٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٢/١٥٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (١/٢٨٧)، وشعب الإيمان (٢/١٥٥) ح١٤٣٠.

وانظر: صفة الصفوة (١/١٥٦)، وزاد المعاد (١/١٦٨)، ومجمع الزوائد (٨/٢٧٣)، والجامع الصغير (١/٣٦).

(٤) وتمامه: «... هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما». أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١/٣٣٦) ح ٤٨٤. والترمذي في كتاب البر والصلة باب ما جاء في الاقتصاد في الحب والبغض (٤٦١) ح ١٩٩٧، وقال: «والصحيح عن

﴿قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ أي: قولاً سديداً، يدل على المتاركة من غير إثم ولا لغو سواء كان لفظ السلام أو غيره، ولا يخالفه قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾[1] لأنه من القول السديد، ولا نسخ بآية القتال[2]؛ لأنه من القول السديد، ولا نسخ بآية القتال؛ لأن متاركة السفهاء والإغضاء عنهم من الآداب المستحسنة[3].

﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا﴾ يقضون ليلهم في عبادته ساجدين قائمين، يقال: بات يفعل كذا إذا فعله ليلاً، وتأخير القيام؛ للفاصلة جمع قائم أو مصدر وصف به[4]، والتقييد بالليل؛ لأنه أخلى عن شوب الرياء، وأحلى للقلب، وأشق على النفس[5]، والمراد أكثر الليل؛ لقوله: ﴿قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾[6]. ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ

علي موقوف». والطبراني في المعجم الأوسط (٥/٢١٣). والدار قطني في العلل (٤/٣٣) ح ٤١٩. والبيهقي في شعب الإيمان (٥/٢٦٠) ح ٦٥٩٣. والضياء في المختارة (٢/٥٥).

وانظر: الكشاف (٤/٣٦٧)، وكشف الخفاء (١/٥٣).

(١) بعض الآية (٥٥) من سورة القصص.

(٢) قال بالنسخ الكلبي، وأبو العالية.

انظر: الكشاف (٤/٣٦٩)، والتفسير الكبير (٢٤/١٠٨)، وآية القتال هي الآية (٥) من سورة التوبة.

(٣) انظر: الكشاف (٤/٣٦٩)، وأنوار التنزيل (٤٨٤)، والبحر المحيط (٦/٥١٣).

(٤) انظر: أنوار التنزيل (٤٨٤)، والبحر المحيط (٦/٥١٣)، والدر المصون (٨/٤٩٨).

(٥) في «ح»: للنفس.

(٦) الآية (١٧) من سورة الذاريات.

غَرَامًا ﴾ شرّاً لازماً. [ومنه الغُرْمُ](١) لِمَا(٢) يلزم الإنسان، وصفهم بالجد البالغ في العبادة، ثم وصفهم بالوجل والابتهال إليه مع تلك العبادة؛ إشارة إلى أنهم غير متّكلين عليها، بل لا يرونها شيئاً؛ نظراً إلى كبريائه تعالى(٣)(٤).

قوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ ﴾ [٦٦-٧١].

﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ إنشاءُ ذمّ، فاعله ضمير مبهم يفسره «مستقراً»، وإنما ذكره مع أن المفسر مؤنث؛ لأنه في معنى الدار والمنزل، والمخصوص محذوف، أي: هي، وهذا الضمير هو الذي ربط خبر إن بإسمها، ويجوز أن يكون ﴿ سَآءَتْ ﴾ بمعنى: أحزنت، و«مستقراً ومقاماً» منصوبان على الحال، أو التمييز، ثمّ هذا وقوله ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ تعليلان يصح أن يكونا متداخلين ومترادفين، وأن يكونا ابتداء كلام منه تعالى، وحكاية

---

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ص».

(٢) في «ح»: بـما.

(٣) في «ق»: تعلى.

(٤) انظر: الكشاف (٤/٣٧٠)، وأنوار التنزيل (٤٨٤)، والبحر المحيط (٦/٥١٣).

قولهم[1]. ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ القتر والاقتار والتقتير: التضييق والتقليل[2] في الرزق والإنفاق[3]. [والإسراف: الإنفاق][4] في المعصية وإن قلّ[5]، وقيل: التجاوز عن الاعتدال وإن حلّ[6][7]. وهذا إذا لم يكن في القرابات وأبواب البرّ، يدلّ عليه قصّة الصديق وعثمان رضي الله عنهما[8]،

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٧٥)، والكشاف (٤/٣٧٠)، والبحر المحيط (٦/٥١٣)، والدر المصون (٨/٤٩٩، ٥٠٠).

(٢) في «ص»: التعليل.

(٣) انظر: المفردات (٦٥٥)، والكشّاف (٤/٣٧٠)، وزاد المسير (٦/١٠٢).

(٤) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٥) قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن جريج وغيرهم.
انظر: جامع البيان (١٩/٣٧)، وزاد المسير (٦/١٠٣).

(٦) في «ق»: وإن قلّ.

(٧) قول المصنّف: «وإن حلّ» أي: وإن كان في الحلال. انظر: التفسير الكبير (٢٤/١٠٩).

(٨) وردت أحاديث وآثار كثيرة في بيان جود الصديق وعثمان رضي الله عنهما منها:
حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدّق ووافق ذلك عندي مالاً، فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً. قال: فجئت بنصف مالي. فقال رسول الله ﷺ ما أبقيت لأهلك؟، قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكلّ ما عنده، فقال: يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟، فقال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: والله لا أسبقه إلى شيء أبداً». أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب «رجاؤه ﷺ أن يكون أبو بكر ممن يُدْعى من جميع أبواب الجنة» (٨٣٦) ح٣٦٧٥، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وحديث البخاري قال النبي ﷺ: «من حفر بئر رومة فله الجنة، فحفرها عثمان». وقال: «من جهّز جيش العسرة فله الجنة، فجهزه عثمان».

ولذلك قيل: لا إسراف في الخير، ولا خير في الإسراف[1]. قرأ نافع، وابن عامر «يُقْتِرِ» بضمّ الياء وكسر التاء من الإقتار، والكوفيون بفتح الأوّل وضمّ التاء، وابن كثير، وأبو عمرو بكسرها، وهما لغتان كما في يعكف[2].

﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ بين الإسراف والإقتار، والقوام والاعتدال كالسواء لفظاً ومعنى[3]، وذلك [الذي][4] أمر به رسول الله ﷺ[5] ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾[6]، وهكذا كان حال

صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه (٣/١٨). وسنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في عدّ عثمان شهيداً وتجهيزه جيش العسرة (٨٤١ ـ ٨٤٣) ح٣٦٩٩ـ٣٧٠٣.

(١) انظر: الكشّاف (٤/٣٧٠)، والبحر المحيط (٦/٥١٤).

(٢) انظر: السبعة (٤٦٦)، وعلل القراءات (٢/٤٦٦، ٤٦٧)، والتيسير (١٦٤)، والنشر (٢/٣٣٤).

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٣٧٠)، وأنوار التنزيل (٤٨٤). وقال الطبري: «والصواب من القول في ذلك قول مَن قال: الإسراف في النفقة الذي عناه الله في هذا الموضع: ما جاوز الحدّ الذي أباحه الله إلى ما فوقه. والإقتار: ما قصّر عمّا أمر الله به، والقوام: بين ذلك». جامع البيان (١٩/٣٨).

(٤) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٥) من ذلك حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة». سنن النسائي، كتاب الزكاة، باب الاختيال في الصدقة (٣٥٤) ح٢٥٦٠.

(٦) بعض الآية (٢٩) من سورة الإسراء.

الصحابة لا يأكلون إلاّ سدّ جوعتهم، ولا يلبسون إلاّ ستراً لعورتهم"[1]. وقيل: إن علي بن أبي طالب دخل السوق واشترى قميصاً بخمسة دراهم، فرأى في كمّه طولاً، فقال للبائع: اقطع مِن كُمّه، فقال: اشتريت قميصاً بخمسة دراهم، ثمّ تقطع كمّه أيضاً إنّك لمجنون. فقال علي: بارك الله فيك سمعت رسول الله يقول: «لا يكمل[2] إيمان المرء حتى يُقال فيه إنه لمجنون»[3]. والمنصوبان أعني «بين ذلك قواماً» خبران معاً، ويجوز أن يكون «بين» لغواً[4]، و«مقاماً» هو الخبر، وأن يكون الظرف خبراً، وقواماً حالاً مؤكدة، وما أجازه الفراء من أن يكون «بين» اسم

(١) قاله يزيد بن أبي حبيب.

معالم التنزيل (٣/٣٧٦)، والكشّاف (٤/٣٧٠)، والجامع لأحكام القرآن (٣/٧٣).

(٢) في «ص»: لا يكلمك.

(٣) ورد هذا النصّ عن علي ـ رضي الله عنه ـ بلفظ: «واشترى علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ ثوباً بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلافة، وقطع كميه من الرسغين، وقال: الحمد لله الذي كساني هذا من رياشه». إحياء علوم الدين (٤/٢٠٤). و لم أجد الحديث الذي ذكره المصنّف في مصادر ومراجع الأحاديث الصحيحة أو الضعيفة. والله أعلم.

وكان هدي رسول الله ﷺ في اللّباس أكمل الهدي وأتمّه، و لم يكن من هديه تقطيع الثياب حتّى يكمل الإيمان. انظر: زاد المعاد (١/١٣٥ ـ ١٤٦).

(٤) قول المصنّف: «ويجوز أن يكون «بين» لغواً».

قال الرازي: «فيكون معنى «بين ذلك» أي: كان الوسط من ذلك قواماً، أي: عدلاً، وهذا التأويل ضعيف؛ لأن القوام هو الوسط فيصير التأويل، وكان الوسط وسطاً، وهذا لغواً».

التفسير الكبير (٢٤/١١٠)، وفتوح الغيب (٥١٠، ٥١١). وهذا القول باللغو مما يتره القرآن عنه، ولا يليق مع وجوب توقيره. انظر: دراسة في علوم القرآن (٣٣٢).

كان[1]، وإنما بني لإضافته إلى غير المتمكن مع عدم اطّراده ففيه أنه من قبيل كان الذاهب جاريته صاحبها، فليس في الخبر الذي هو محطّ الفائدة فائدة[2].

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾ حرّم قتلها ﴿ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ صفة المصدر المحذوف، أو متعلق بـ«يقتلون»[3].

﴿ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ نفي عن الموصوفين بتلك الخلال العظام عظائم الذنوب الموبقات تعريضاً بأعدائهم المشركين[4].

روى البخاري عن ابن مسعود أنه قال: سألت أو سئل رسول الله ﷺ[5] أي الذنوب عند الله أكبر، فقال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك، قلت: ثمّ أي؟، قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، قلت: ثمّ أي؟، قال: أن تزاني حليلة جارك، فأنزلت هذه الآية تصديقاً له»[6]. ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ الأثام بالفتح جزاء الإثم[7]، وقيل بمعنى الإثم. فالمضاف محذوف[8]. ﴿ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ للشرك وللذنوب التي ارتكبها معه؛ لأن الكفار متفاوتون في

(١) انظر: معاني القرآن (٢/٢٧٢، ٢٧٣).
(٢) قاله الزمخشري: الكشاف (٤/٣٧١).
وانظر: التفسير الكبير (٢٤/١١٠)، وأنوار التنزيل (٤٨٤)، وفتوح الغيب (٥١٠، ٥١١).
(٣) انظر: الكشّاف (٤/٣٧١)، والدر المصون (٨/٥٠٢).
(٤) انظر: الكشّاف (٤/٣٧١).
(٥) في الأصل: صلعم.
(٦) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب «والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر» (٣/٢٧١) ح٤٧٦١.
(٧) قاله ابن عباس. معالم التنزيل (٣/٣٧٧).
(٨) انظر: الكشّاف (٤/٣٧١، ٣٧٢)، والتفسير الكبير (٢٤/١١١).

الدركات كما أن المؤمنين متفاضلون في الدرجات. قرأ نافع، وأبو عمرو، وحفص، وحمزة، والكسائي بجزم الفعلين، وتخفيف «يضاعف»، وابن كثير بتشديده وجزمهما، وابن عامر، وأبو بكر برفع الفعلين إلاّ أنّ ابن عامر يشدد الأوّل دون أبي بكر، وجه الرفع: الحال والاستئناف، والجزم: الإبدال من «يلق»[1].

كقول ابن الحرّ[2]:

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطباً جزلاً وناراً تأججاً[3]

﴿وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ لاستكباره عن اتّباع الحقّ. ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ يمحو الله معاصيهم

(١) انظر: السبعة (٤٦٧)، والحجة لأبي علي الفارسي (٥/٣٥٠، ٣٥١)، والتيسير (١٦٤)، والموضح (٩٣٣/٢)، والبحر المحيط (٥١٥/٦)، والنشر (٢/٢٢٨، ٣٣٤).

(٢) ابن الحرّ: عبيد الله بن الحرّ بن عمرو الجعفي، قائد، شجاع، كان من أصحاب عثمان ابن عفّان، ثمّ انحاز إلى معاوية بعد مقتل عثمان، وشهد معه صفين، مات غرقاً في الفرات عام ٦٨هـ، وكان شاعراً فحلاً.

انظر: تاريخ الطبري (١٦٨/٧)، تاريخ ابن خلدون (١٤٨/٣).

(٣) البيت من بحر الطويل. الشاهد فيه: جزم الفعل «تلمم»؛ لأنه بدل من قوله «تأتنا».

والجزل: الغليظ من الحطب ويستخدم لتقوى النار فيراه الضيوف عن بعد.

انظر: تهذيب اللّغة (٦١٣/١٠) مادة «جزل».

وانظر في عزو البيت: الكتاب (٨٦/٣)، والحجة لأبي علي الفارسي (٣٥١/٥)، والكشاف (٤٧٢/٤)، وزاد المسير (١٠٥/٦)، والبحر المحيط (٥١٥/٦)، والخزانة (٦٦٠/٣)، والدر المصون (١٢٤/١).

ويثبت مكانها لواحق الطاعات، أو يجعل أعدادها في صحيفة الحسنات بعد محوها من ديوان السيئات وهذا أصحّ[1]، رويَ مرفوعاً عن أبي هريرة[2]، وسلمان[3].

فإن قلت: لمْ يُؤكّد الفعل بالمصدر أعني «من عمل صالحاً» إلاّ في هذه الآية مع كثرة وقوعه؟. قلت: لم يقع في القرآن أرجى من هذه الآية، فكما بالغ في

---

(١) انظر: معالم التنزيل (٣/٣٧٨)، والكشّاف (٤/٣٧٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٧٨)، وأنوار التنزيل (٤٨٤).

(٢) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « ليتمنينّ أقوامٌ أنهم أكثروا من السيئات، قيل: من هم؟. قال: الذين بدّل سيئاهم حسنات». أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/٢٥٢)، وصحح إسناده ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في الأحاديث الصحيحة (٥/٢٠٩) ح٢١٧٧.

وأبو هريرة: عبد الرحمن بن صخر الدوسي، صحابي جليل، كان من أهل الصفّة، أسلم عام خيبر، مات سنة ٥٧هـ، وقيل ٥٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢/٥٧٨)، وتهذيب التهذيب (١٢/٢٦٢).

(٣) عن سلمان ﷺ قال: «يعطى رجل يوم القيامة صحيفة فيقرأ أعلاها فإذا هي سيئاته، فإذا كاد يسوء ظنّه، ينظر إلى أسفلها فإذا حسناته، ثمّ ينظر في أعلاها، فإذا هي قد بُدّلت حسنات».

تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٨/٢٧٣٤) ح١٥٤٣٩، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٧٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/١٣٨).

وسلمان هو: سلمان الفارسي، أبو عبد الله، صحب النبي ﷺ وخدمه وحدث عنه، كان لبيباً حازماً، عاقلاً، عابداً، أشار بحفر الخندق، مات في خلافة عثمان بن عفّان بالمدائن.

انظر: حلية الأولياء (١/١٨٥)، وسير أعلام النبلاء (١/٥٠٥).

رأفته، أشار إلى أنّ العمل الذي يترتب عليه الجزاء ينبغي أن يكون عملاً معتداً به في باب الصلاح على ما قيل: كما تدين تدان[1].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ولذلك بدّل السيئات بالحسنات.

﴿وَمَن تَابَ﴾ عن المعاصي، ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ وأتى بالطّاعات، ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ أي: يرجع إليه وإلى ثوابه، إمّا على تقدير المضاف، أو على جعل الرجوع إليه كناية عن نيل ثوابه، أو «فإنه» يرجع إلى الله المتّصف بالأسماء الحسنى وصِدْق الوعد[2]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾[3]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾[4]، أو متاباً مرضياً على أنّ التنكير للتعظيم.

فإن قلت: ما فائدة هذا التكرير؟، وهل يكون الترغيب بأكثر من جعل السيئات حسنات؟. قلت: لا تكرير؛ فإن المراد مِن الأُولى جعل أعمال التائب

---

(١) قول المصنّف: «كما تدين تدان». ذكره البخاري في صحيحه، كتاب التفسير في ترجمة: «باب ما جاء في فاتحة الكتاب» (٣/١٨٩)، وأخرجه معمر بن راشد في الجامع (١١/١٧٨)، وابن أبي عاصم في السنّة (١/٣٠٥) ح٦٩٦، وقال الألباني في تخريجه: «إسناده ضعيف جدّاً، بل موضوع»، وأخرجه البيهقي في الزهد الكبير (٢/٢٧٥)، والديلمي في الفردوس (٤/١٢٤) ح٦٣٨٦، وأورده ابن حجر مرّة باعتباره مثلاً، وأُخرى باعتباره حديثاً كما في فتح الباري (٨/١٥٦)، (١٣/٤٥٨)، وقال: «ورجاله ثقات».

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٣٧٣)، وأنوار التنزيل (٤٨٤)، وفتوح الغيب (٥١٦، ٥١٧).

(٣) بعض الآية (٢٢٢) من سورة البقرة.

(٤) بعض الآية (٢٥) من سورة الشورى.

حسنات، ومن الثانية بيان جزاء تلك الأعمال والثواب عليها[1]، وقيل: الأولى في حقّ المشرك التائب، وهذه في المؤمن العاصي إذا تاب[2].

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [٧٢-٧٧].

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ أي: لا يحضرون مجالس الكذب تنزُّهاً عن مخالطة أهل الإثم، وصيانةً عن الإنسلاك في سلكهم؛ لأن في ذلك تكثير سوادهم، وفيه إغراؤهم على ما هم فيه. وقيل: لا يشهدون شهادة الزور، فحذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه[3]. ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ ﴾ ما يجب أن يُلْغى

---

(١) انظر: التفسير الكبير (١١٣/٢٤).

(٢) انظر: الوسيط (٣٤٨/٣)، ومعالم التنـزيل (٣٧٨/٣).

(٣) انظر: الكشّاف (٣٧٣/٤)، وأنوار التنـزيل (٤٨٤)، والبحر المحيط (٥١٦/٦).

وقال ابن كثير: «والأظهر من السياق أنّ المراد «لا يشهدون الزور» أي: لا يحضرونه؛ ولهذا قال: «وإذا مـرّوا باللغو مروا كراماً»، أي: لا يحضرون الزور، وإذا اتّفق مرورهم به مروا و لم يتدنسوا بشيء، ولهذا قال: «مروا كراماً». تفسير القرآن العظيم (١٤٠/٦).

ويُطْرَح"[1]. ﴿ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾ جمع كريم وهو الجامع لأنواع الفضائل، وشتات المحاسن، وأسباب الشرف، أي: معرضين عنه غير ملتفتين إليه[2]، كقوله: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ ﴾[3]. وقيل: إذا سمعوا الشتم [والأذى][4] من السفهاء صفحوا وتجاوزوا[5] كقوله: ولقد أمر على اللئيم يسبُّني[6].

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ بمواعظه وحكمه. ﴿ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ بل أكبوا عليها وألقوا شراشرهم[7] على حفظها والاتّعاظ بها بآذان واعية، وأبصار راعية، وقلوب جامعة لا كالذين لهم آذان لا يسمعون بها، وأعين لا يبصرون بها[8].

---

(١) انظر: الكشّاف (٣٧٣/٤)، وأنوار التنزيل (٤٨٤).

(٢) انظر: الكشّاف (٣٧٣/٤).

(٣) بعض الآية (٥٥) من سورة القصص.

(٤) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح»، «ص»، «ق».

(٥) انظر: الكشّاف (٣٧٣/٤)، والتفسير الكبير (١١٤/٢٤).

(٦) تمام البيت: .... فمضيت ثُمّتَ قلتُ لا يعنيني.

وقائله: شمر بن عمرو الحنفي، أو رجل من بني سلول، وهو من بحر الكامل.

انظر: الكتاب (٢٤/٣)، والكشّاف (١٢٢/١)، والخصائص (٣٣٣/٣)، ومغني اللّبيب (١٠٢/١)، والدر المصون (٨٨/٢).

(٧) شُراشِرهم: جمع شُرْشره، يقال: ألقى شراشره: أعباءه وهمومه، أو ألقى عليه نفسه محبة وحرصاً. انظر: الصحاح (٦٩٦/٢)، مادة «شرر»، والمعجم الوسيط (٤٧٨/١)، مادة «شرشر».

(٨) انظر: الكشّاف (٣٧٣/٤)، وفتوح الغيب (٥١٩).

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ سرور بأن يراهم مقبلين على طاعتك مسارعين في أسباب مرضاتك. أصل القُرَّة: البرودة، والمراد بها نهاية السرور والفرح، وذلك أنّ العين تدمع من غاية السرور دمعاً بارداً[1].

وعن محمد بن كعب[2]: ليس شيء أقرّ لعين المؤمن من أن يرى أهله وأولاده مطيعين لله؛ لأن الله سائله عنهم[3]، كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته[4]. قرأ أبو عمرو، وحمزة، وأبو بكر «وذريّتنا» على التوحيد، وهو المختار؛ لدلالته على الكثرة بمادته مع خفّته[5].

و «من» إمّا بيانية، أو ابتدائية، أي: اجعل لنا قرّة أعين من جهتهم، وإنما نكّر قرة مبالغة كأنه قيل: هب لنا منهم سروراً وفرحاً تامّاً، وآثر جمع القِلّة؛ لقلة

(١) انظر: المفردات (٦٦٣)، ومعالم التنزيل (٣/٣٧٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٨٢).

(٢) محمد بن كعب بن سليم القُرَظي المدني، أبو حمزة، إمام، عابد، قال ابن سعد عنه: «كان ثقة عالماً كثير الحديث ورِعاً»، مات سنة ١٠٨هـ، وقيل ١١٧هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (٤/٦٥)، وتهذيب التهذيب (٩/٤٢٠).

(٣) انظر: معالم التنزيل (٣/٣٧٩)، والكشّاف (٤/٣٧٣).

(٤) بعض حديث طويل أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن (١/٢٨٤) ح٨٩٣.

(٥) وقرأ الباقون بالجمع. انظر: السبعة (٤٦٧)، وعلل القراءات (٢/٤٦٩)، والنشر (٢/٣٣٥).

المؤمنين الموصوفين بتلك الصفات[1]. ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ يقتدون بنا لننال زيادة الأجر، فإنّ الدال على الخير له مثل أجر فاعله[2]، والإفراد؛ لعدم اللّبس كقوله: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾[3]. أو لأنه مصدر في الأصل، أو التقدير كلّ واحد منّا، أو لأن المؤمنين كنفسٍ واحدة كما نطق به مَن لا ينطق عن الهوى[4].

﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ العَلِيّة، جمعها غُرُفات وغُرَف، وُحِّد؛ لإرادة الجنس وعدم اللّبس لقوله: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾[5]، وهي على قدر الأعمال.

---

(١) انظر: الكشّاف (٣٧٤/٤)، والبحر المحيط (٥١٧/٦)، والدر المصون (٥٠٥/٨).

(٢) قول المصنّف: «الدال على الخير له مثل أجر فاعله» جزءٌ من حديث أخرجه الترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء أنّ الدّال على الخير كفاعله (٦٠٦) ح٢٦٧٠، ٢٦٧١.

وعند مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أُجور من تبعه لا ينقص ذلك من أُجورهم شيئاً». صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب العلم، باب من سنّ سنّة حسنة أو سيئة (٢٢٧/١٦).

(٣) بعض الآية (٦٧) من سورة غافر.

(٤) انظر: الكشّاف (٣٧٤/٤)، والتفسير الكبير (١١٥/٢٤)، وأنوار التنزيل (٤٨٥)، والدر المصون (٥٠٦/٨). وقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى». كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم (٩٣/٤) ح٦٠١١.

(٥) بعض الآية (٣٧) من سورة سبأ. وانظر: الكشّاف (٣٧٤/٤)، وأنوار التنزيل (٤٨٥).

والتوحيد إنما رُتِّبَ على هذه الأوصاف الكاملة وهي مضبوطة، فالمتصفون بها متحدون في الجزاء؛ لاتحاد ما عملوا به. ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾[1] بصبرهم. ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ تحييهم الملائكة ويُسلّمون عليهم أو بعضهم بعضاً. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر «يلقون» من اللّقاء، أي: يُصادقون[2]، والتشديد أبلغ في الإكرام[3].

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ في مقابلة ﴿سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ ومثله إعراباً. ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى﴾ عبأت بالشيء: باليت به وأعتدت، و«ما» [استفهامية في][4] موضع المصدر[5]. والمعنى: أيّ اعتداد يعتدّ بكم، وأي وزن ومقدار لكم عنده، ﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ إيمانكم[6] أو

---

(١) في «ح»: زيادة «به».

(٢) في «ق»: يصادفون، وهو الصواب.

(٣) والتشديد قراءة الباقين.

انظر: السبعة (٤٦٨)، وحجة الفارسي (٥/٣٥٤)، وعلل القراءات (٢/٤٧٠)، والتيسير (١٦٥)، والنشر (٢/٣٣٥).

(٤) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٧٨)، والكشّاف (٤/٣٧٥)، والدر المصون (٨/٥٠٧).

(٦) قال ابن عباس. جامع البيان (١٩/٥٥)، ومعالم التنـزيل (٣/٣٧٩)، وزاد المسير (٦/١١٢).

عبادتكم[1]، أي: الكمال في التحلي بالملكات [النظرية][2]، والتخلي عن الشواغل، وقطع العلاقات بالتوجّه إلى جناب قدسه.

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ خطاب لمشركي قريش خاصّة بعد أن خاطب [الجنس][3] المتناول[4] لهم ولغيرهم فانتظم الخاتمة مع الفاتحة؛ لأن السورة كانت مصدّرة بتكذيبهم.

﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ عذاباً ملازماً يوم القيامة[5]. وعن مجاهد[6] هو القتل يوم بدر لوزم بين[7] القتلى لزاماً[8]. وعن عبد الله بن مسعود ﷺ: خمس قد مضين: الدخان، والقمر، [واللّزام][9]، والبطشة، والروم[10].

(١) قاله مجاهد والضّحّاك. جامع البيان (١٩/٥٥)، ومعالم التنزيل (٣/٣٧٩)، وزاد المسير (٦/١١٢).

(٢) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٣) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٤) في «ح»: التناول.

(٥) في «ح»، «ص»، «ق»: القيمة.

(٦) مجاهد بن جبر المكي، أبو الحجاج، كان من أعلام التفسير، أخذ عن ابن عباس، وأبي هريرة رضي الله عنهما، وعنه أخذ عكرمة وطاووس، وعطاء، وقتادة وغيرهم، مات سنة ١٠٢هـ، وقيل ١٠٣هـ. انظر: حلية الأولياء (٣/٢٧٩)، وسير أعلام النبلاء (٤/٤٤٩).

(٧) في «ح»: من.

(٨) انظر: جامع البيان (١٩/٥٧)، ومعالم التنزيل (٣/٣٨٠)، وزاد المسير (٦/١١٣).

(٩) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(١٠) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب «فسوف يكون لزاماً» (٣/٢٧٢) ح٤٧٦٧، و (٣/٢٨٩) ح٤٨٢٠، و (٣/٢٩٠) ح٤٨٢٥. وقد أورد المصنّف قول مجاهد عن اللّزام. وأمّا القمر فهو المذكور في قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

تـمّت السورة والحمد لله والصلاة[1] على نبيه وعبده.

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين: فرقة فـوق الجبل، وفرقـة دونه، فقـال رسول الله ﷺ: اشهـدوا». أخرجـه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ (٣/٣٠٠) ح٤٨٦٤.

والدخـان، والبطشة، والروم هي الواردة في حديث ابن مسعـود ﷺ قـال: «إنّ قريشاً أبطأوا عن الإسلام، فـدعا عليهم النبي ﷺ فقال: اللهم أعني عليهم بسبعٍ كسبع يوسف، فأخذهم سنة حتّى هلـكوا فيها، وأكلوا الميتة والعظام، ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الـدخان، فجاءه أبو سفيان فقـال: يا مـحمّد جئت تأمرنا بصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله فقرأ ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ...﴾. إلى قوله ﴿عَآئِدُونَ﴾ ......، فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ يوم بدر. ولـزاماً: يـوم بـدر. ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ﴾ إلى ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾. والروم قد مضى. أخرجـه البخاري في كتاب التفـسير، سـورة الـروم (٣/٢٧٤) ح٤٧٧٤. فالروم يراد بها: غلبة الروم لفارس المذكروة مطلع سورة الروم مـن الآيـة (١ــ٥).

(١) في «ح»، «ص»: الصلوة.

تفسير
سورة الشعراء

«سورة الشعراء»

مكيـة إلاّ قولـه ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ ﴾ إلى آخرهـا[1]، وهـي مائتان وست أو سبع وعشرون آية[2].

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [١-٩].

﴿ طسٓمٓ ﴾ حـروف مبـسوطة للإيقـاظ أو اسـم الـسورة[3]. قـرأ حمـزة، والكسائي، وأبو بكر بإمالة الطاء. وورش بين بين، وأظهر السين حمزة؛ إشارة إلى أن أصل حروف التّهجّي عدم التركيب والوقوف عليها[4].

---

(١) قاله ابن عباس، وقتادة.

انظر: الكشّاف (٤/٣٧٦)، وزاد المسير (٦/١١٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٨٧). والآيات المدنيّات من (٢٢٤ــ٢٢٧).

(٢) انظر: معالم التنــزيل (٣/٣٨٠)، والكشّاف (٤/٣٧٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٨٧).

(٣) قاله مجاهد. انظر: معالم التنـزيل (٣/٣٨٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٨٨).

(٤) وقـرأ الباقـون بفتح الـطّاء. انظر: السبعة (٤٧٠ــ٤٧١)، والحجـة لأبي علـي الفارسـي (٥/٣٥٥ــ٣٥٦)، والكشف (٢/١٥٠)، والموضح (٢/٩٣٨ــ٩٣٩)، والنشر (٢/٧٠).

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ الواضح إعجازه، والمراد السورة، أو القرآن بأسره، والمشار إليه ما دلّ عليه الحروف[1]. ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾ قاتلٌ نفسك[2]، البِخَاع: بالباء عِرقٌ في الصلب متصلٌ بالعنق، وهو نهاية الذبح[3]. وبالنون دونه، وهو الخيط الأبيض[4]، ومعنى «لعل» الإشفاق، أي: أشفق على نفسك أن تقتلها أسفاً على ما فاتك من إيمان قومك، وفيه نهاية مدح له بما قام به من الاجتهاد في التبليغ[5]. ﴿ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ خيفة[6] ألاّ يومنوا[7][8]. ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً ﴾ ملجئة لهم على الإيمان.

---

(١) انظر: الكشّاف (٣٧٦/٤)، وأنوار التنزيل (٤٨٥).

(٢) قاله ابن عباس. انظر: جامع البيان (٥٨/١٩)، والجامع لأحكام القرآن (٨٩/١٣).

(٣) قاله الزمخشري. الكشاف (٣٧٦/٤). وانظر: الفائق في غريب الحديث (٨٢/١)، وأنوار التنزيل (٤٨٥). وأنكر ابن الأثير ذلك وقال: «هكذا ذكره في كتاب «الفائق في غريب الحديث»، وكتاب «الكشّاف في تفسير القرآن»، ولم أجده لغيره، وطالما بحثت عنه في كتب اللُّغة، والطبّ، والتشريح فلم أجد البِخَاع بالباء مذكوراً في شيء منها».
النهاية في غريب الحديث والأثر (٦٥) مادة «بخع».
وصوب الزبيدي رأي الزمخشري. انظر: تاج العروس (٢٧٠/٥) مادة «بخع».

(٤) انظر: الصحاح (١٢٨٨/٣) مادة «نخع»، والقاموس المحيط (٩٨٩) مادة «نخع».

(٥) انظر: الكشّاف (٣٧٦/٤)، وأنوار التنزيل (٤٨٥).

(٦) في «ح»: حقه.

(٧) في «ح»: ألا يؤمنون.

(٨) انظر: الكشّاف (٣٧٦/٤)، وأنوار التنزيل (٤٨٥).

﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ منقادين، أقحم الأعناق لبيان موضع الخضوع، ولما وصفت بأوصاف العقلاء أُجريت مجراها في الجمع بالواو والنون، والأعناق جمع عنق، بمعنى جماعة، أي: جماعاتهم[1]. وفي الحديث «لا يزال الناس مختلفة أعناقهم في طلب الدنيا»[2]، وفيه أيضاً يخرج من النار[3] عُنُق[4]، أي: طائفة أو رؤساؤهم، والعرب تسمى سادات الناس أعناقاً[5]. ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ ﴾ وحيٌ يُذَكّرهم، ﴿ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ ﴾ إنزاله لتجدد التذكير[6]. ﴿ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ إلاّ استمرّوا على الإعراض. ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا ﴾ حين أعرضوا.

(١) انظر: الكشّاف (٤/٣٧٦)، وأنوار التنزيل (٤٨٥).

(٢) أخرجه مسلم بسنده موقوفاً عن أُبي بن كعب ﷺ.
صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن (١٨/١٩)، وانظر: فتح الباري (١٣/٨١).

(٣) في «ق»: الناس.

(٤) الحديث إسناده صحيح على شرط الشيخين، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنّف (٧/٢٠٥)، وأخرجه أحمد في المسند (١٤/١٥٢) ح٨٤٣٠، والترمذي في سننه، كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة النار (٥٨٥) ح٢٥٧٣، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، والديلمي في الفردوس (٥/٤٩٣) ح٨٨٦٤، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/٣٩) ح٥١٢.

(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤/٨٢)، والكشّاف (٤/٣٧٦ـ ٣٧٧).
وقال الطبري: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بما قال أهل التأويل في ذلك أن تكون الأعناق هي أعناق الرجال، وأن يكون معنى الكلام: فظلّت أعناقهم ذليلة للآية التي ينزلها الله عليهم من السماء». جامع البيان (١٩/٦٢).

(٦) انظر: معالم التنزيل (٣/٣٨١)، وأنوار التنزيل (٤٨٥)، وفتوح الغيب (٥٣١).

﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ما أصابهم يوم بدر، أو يصيبهم يوم القيامة[1]، وإقحام الإنباء؛ للدلالة على عِظَم ما ينزل بهم، فإن الواقعة إذا عظمت شاعت في الأقطار والبلدان، وسارت بأخبارها الركبان[2].

فإن قلت: ذكر مثله في الأنعام مصدراً بـ«سوف»[3]، وهنا بالسين فما وجه ذلك؟.

قلت: الوجه ـ والله أعلم ـ أنّ كلتا السورتين مكيتان، فالظاهر أن آية الأنعام سابقة نزولاً، لأن التراخي في «سوف» أكثر من السين[4]. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أولم ينظروا إلى بدائع[5] ما فيها. ﴿كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ صِنْف والجمع بين «كم» و«كلّ»؛ لإفادة الكثرة إجمالاً والاستيعاب فكأنه قيل أنبتنا فيها أفراداً كثيرة من كلّ صنف، صنفٌ ﴿كَرِيمٍ﴾ شريف مرضي الصفات إمّا بسيطاً

---

(١) في «ح»، «ص»، «ق»: القيمة.

(٢) انظر: الكشاف (٤/٣٧٧).

(٣) الآية (٥) من سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٥﴾.

(٤) انظر: درّة التنزيل (١٠٧)، وكشف المعاني (١٥٤ ـ ١٥٥).

(٥) في «ق»: بديع.

أو مركباً[1]. ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ﴾ إفراد الآية مع كثرة الأزواج الدالّ عليها «كم» و «كل»؛ لأنه أُريد الإنبات المتعلق بها، أو باعتبار واحد واحد[2].

﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ مع وضوح الآية؛ لكونهم مخلوقين للنار. ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ الغالب على كلّ شيء فينتقم منهم. ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ حيث أرسل إليهم رسولاً بالآيات ولم يعاجلهم بالانتقام بعد التكذيب والإنكار[3].

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [١٠-٢٢].

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ ﴾ بعد ما بيّن إعراض قومه وتكذيبهم واستهزاءهم به وبما جاء به أتبعه بقصص الأنبياء مع قومهم وبما جرى لهم معهم من

(١) انظر: التفسير الكبير (٢٤/١٢٠).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٣٧٩)، وأنوار التنزيل (٤٨٥)، والبحر المحيط (٧/٦).

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٤٨٥).

التكذيب والاستهزاء، وكيف صبروا على أذاهم ثمّ كان لهم العاقبة وشفاء[1] الصدور، وقدّم قصة موسى؛ لأنه أقرب أحوالاً من رسول الله، وأُمّته أوفر الأُمم بعد هذه الأمّة. ﴿أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فرعون وقومه كانوا مع شركهم قد استعبدوا[2] بني إسرائيل يقتّلون أبناءهم[3] ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ بدلٌ من القوم، أو عطف بيان، وفيه دلالة على كون فرعون عَلَماً في الظُّلم والطغيان[4]؛ لأن البدل مقصود بالنسبة، ودلالته على المعنى المراد من الكلام أوفى[5]. ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ استئناف عَجِبَ به عن تمادي القوم في الظلم غير ناظرين في عواقب الأُمور، وجعله حالاً من ضمير الظالمين؛ ليكون إنكار عدم التقوى توبيخاً لهم، فيُفيد إنكار الظلم من بابِ الأولى وأنّ عدم التقوى هو الذي حرّضهم على الظلم حسنٌ

---

(١) في الأصل: وشفاً.

(٢) في «ح»: استبعدوا.

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٣٧٩)، وأنوار التنزيل (٤٨٦).

(٤) في «ح»: الطغيا.

(٥) انظر: إعراب القرآن (٣/١٧٥)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/٩٩٤)، والدر المصون (٨/٥١٣ـ٥١٤).

وقال أبو حيان: «والأجود أن يكون عطف بيان؛ لأنهما عبارتان يعتقبان على مدلول واحد، إذ كلّ واحد عطف البيان وسوّغه مستقلّ بالإسناد، ولما كان ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يوهم الاشتراك أتى عطف البيان بإزالته؛ إذ هو أشهر». البحر المحيط (٧/٧).

إلاّ إنّ دخول الـهمزة عـلى الحـال لا يجوز إلاّ توسعاً[1]. ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ ﴾ «يكذبون» بعد أداء الرسالة، «ويضيق صدري» لـمّا يعتريني مِن همّ عدم الغَرَض[2]، «ولا ينطلق» بعد ذلك «لساني» على المحاجّة والمناظرة معهم مع أنـهما مـن ضرورات مـدّعي الرسالة، وكـان هـذا مـن كـمال عقلـه، أظهـر عجـزه واحتياجـه إلى الـمؤازر والـمعين؛ ليكون ذهابـه إلى الـخصم على يقظة[3] وتوفّر[4] عـدّة وأسـباب، فـأنّى يُتصوّر منه التعلل، بـل كـان هـذا منـه عـين الطّاعـة. ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ به قصاصاً [و[5]ليس لي على دفعه قدرة، وإنما أخّر خوف القتل ووسّط بينه وبين ثالث العلل «فأرسل إلى هارون»؛ لئلا يتوهم من ظاهر كلامـه التعلـل، فإنّ موسى لم يكن في بسطة المقال وسلاطة اللّسان مثل هارون، فاستعان بـه مـع

---

(١) انظر: الكشّاف (٣٧٩/٤)، والتفسير الكبير (١٢١/٢٤ ــ ١٢٢)، والدر المـصون (٥١٤/٨).

وردّ هذا القول أبو حيّان من وجهين:

الأوّل: أنه يلزم منه الفصل بين الـحال وعاملها بأجنبي وهو «قوم فرعون» إذا أعربته عطف بيان للقوم الظالمين.

الثاني: أنّ ما بعد الهمزة لا يعمل فيما قبلها. البحر المحيط (٧/٧).

(٢) الغرض هو تأدية الرسالة، أو يضيق صدري: لتكذيبهم إياي.

انظر: جامع البيان (٦٤/١٩)، ومعالم التنـزيل (٣٨٢/٣).

(٣) في «ح»: نقيضه.

(٤) في «ص»: ولوفر.

(٥) من هنا إلى قوله «توقيره ورعاية حقوقه» سقطٌ من الأصل طويل.

أنه أخوه الشقيق [الشفيق][1] عسى أن يحصل له شرف النبوة[2]. إذ معنى فأرسل إليه أي: بالنبوة والرسالة[3]، ﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا﴾ أجابه إلى ما سأل من ضمّ أخيه وأزال خوفه بقوله «كلا» أي: ارتدع عن ذلك الوهم، وعليه عطف «فاذهبا» بعد تغليب المخاطب على الغائب ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ مقاولة الطرفين والمعية معية الحفظ والكلاءة والنصر[4]. وعبّر عن السماع بالاستماع الذي هو الإصغاء والاعتناء بشأن المسموع؛ إشارةٌ إلى كمال العناية بهم. وهو خبرٌ ثانٍ، أو هو الخبر «ومعكم» غير مستقرّ[5]. ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خصّه بالذكر بعد قوله «ائت القوم الظالمين» دلالة على أنه قدوتهم والقوم تبع، وإنما أفرد الرسول مع كونه المخبر عنه اثنين؛ لاتحاد المرسل به، أو

---

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٢) قال تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص: ٣٤]

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٣٨٠)، والتفسير الكبير (٢٤/١٢٢ ــ ١٢٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٩٢)، وأنوار التنزيل (٤٨٦).

(٤) انظر: التفسير الكبير (٢٤/١٢٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٩٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/١٤٦)، وهذا هو الصواب في معنى المعية هنا.

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٣٨١)، وأنوار التنزيل (٤٨٦)، وفتوح الغيب (٥٣٩ــ٥٤٠).
وقول المصنّف ««ومعكم» غير مستقرّ» يفيد أنّ «مع» تقدّر بالخبر الأوّل على معنى تضمنها كائن أو مستقر، وعلى الوجه الثاني تكون «معكم» لا تتضمن مستقراً أو كائناً.
انظر: أوضح المسالك (٦٨)، والمساعد على تسهيل الفوائد (١/٢٣٥ــ٢٣٧).

لكونهما أخوين متحدين في الأُخوة، أو على تقدير كلّ منهما، أو لأنه مصدر وُصِفَ به[1] كقوله ـ شعر ـ:

ألا أبلغ أبا عمرو رسولاً   بأني عن قباحتكم غني[2]

﴿ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ إلى بلاد الشام، «أن» مفسرة؛ لتضمن الإرسال معنى القول[3]، فإن قلت: كان مرسلاً إلى القوم الظالمين ليدعوهم إلى الله، وهذا ظاهر في أنه إنما أُرسل لطلب بني إسرائيل. قلتُ: الغرض الأصلي هو دعوتهم وإنما بدأ بالأسهل والقول اللّيّن؛ لئلا يشمئز ويطغى، ولذلك ذكر رب العالمين؛ ليدخل فيهم فرعون فيحمله الاستكبار عن السؤال عنه تجاهلاً فتقع المناظرة على وجه الرّفق كما سيأتي[4].

(١) انظر: المحرر الوجيز (١٣/٥٤)، والتفسير الكبير (٢٤/١٢٤)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/٩٩٤)، وأنوار التنزيل (٤٨٦)، والدر المصون (٨/٥١٥ ــ ٥١٦).

(٢) البيت من بحر الوافر، وقائله: الأسعر الجعفي، والشاهد فيه أن الشاعر استعمل رسولاً بمعنى الرسالة وأورد المصنّف لفظ «قباحتكم»، وفي المصادر التي أوردت البيت فتاحتكم، والفُتَاحة: الحكم. انظر: الصحاح (٤/١٧٠٩) مادة «رسل»، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٩٤)، ولسان العرب (٣/١٦٤٤) مادة «رسل».

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٣٨٣)، والدر المصون (٨/٥١٦).

(٤) عند تفسير الآية (٢٣) وما بعدها.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ ولداً طفلاً سمّي به لقرب ولادته[1]. ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا﴾ في منزلنا[2]، ﴿مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ قيل: لبث فيهم ثلاثين[3] سنة[4]، ثمّ خرج بعد قتل القبطي، ولبث عند شعيب عشر سنين[5]، ثمّ عاد إليهم يدعوهم إلى الله ثلاثين[6] سنة، ثمّ لبث رسولاً بعد غرق فرعون خمسين سنة[7]. ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ يريد قتل القبطي، عظّم قتله؛ لأنه كان من خواصه[8]، قيل: كان خبّاز فرعون، واسمه قانون[9].

﴿وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ بنعمتي؛ لأنَّ مَن كان في نعمة[10] شخص يجب عليه][11] توقيره ورعاية حقوقه، أو مِن الكافرين برب العالمين، وذلك افتراء منه،

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٣٨٣)، والتفسير الكبير (٢٤/١٢٥).
وتسميته بالوليد على سبيل التحقير والمنّ عليه، أي: ربيناك صغيراً ولم نقتلك كما قتلنا غيرك من الأطفال. انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/٩٤)، والبحر المحيط (٧/١٠).

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٤٨٦).

(٣) في «ح»، «ص»: ثلثين.

(٤) قاله مقاتل. انظر: الوسيط (٣/٣٥٢)، وزاد المسير (٦/١١٩).

(٥) اختار المصنّف أن موسى عليه السلام أتمّ عشر سنين، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما كما في صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد (٢/٢٦٢) ح٢٦٨٤.

(٦) في «ح»، «ص»: ثلثين.

(٧) انظر: النكت والعيون (٤/١٦٧)، وأنوار التنزيل (٤٨٦).

(٨) قاله الشعبي. انظر: الكشّاف (٤/٣٨٣)، والتفسير الكبير (٢٤/١٢٥).

(٩) انظر: الكشّاف (٤/٣٨٣)، ولم يذكر الزمخشري اسم القبطي.

(١٠) في «ص»: نعمت.

(١١) هنا نهاية الساقط من الأصل.

إذ الأنبياء قبل البعثة معصومون من الكبائر[1]، وكان غرضه مِن هـذه المقدّمات تبعيده عمّا هو بصدده بأنّ مَن يكون متلبِّساً بهذه الرذائل كيف يرشح للمراتب العَلِيّة فضلاً عن منصب الرسالة.

﴿ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ عن طريق الصواب لا لكونه من خواصّك، بل بالإقدام قبل الإذن، أو المخطئين، فإنه لم يتعمد قتله بل تأديبه، فآلت الوكزة إلى القتل، أو فاعلين فعل أُولي الجهل اعتراف منه[2]، ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا ﴾ فإن الأنبياء حكام على الناس، أو حِكْمَة وهي علم الشريعة[3]. ﴿ وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ فبطل ما تشبّثت به.

﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ «تلك» مبتدأ[4]، و «نعمة» خبر، و «تمنها» وصف، و «أن عبّدت» عطف بيان[5]، والمعنى: تلك الخصلة

---

(١) انظر: الشفا للقاضي عياض (٢/٧٩٣ ــ ٨٠٠)، وعصمة الأنبياء (٤ ــ ١٠) للرازي، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٣١٩ ــ ٣٢١)، والمسودة في أُصول الفقه (١/٧٢) لآل تيمية، تحقيق الدكتور/ أحمد الذروي.

(٢) انظر: جامع البيان (١٩/٦٧)، ومعالم التنزيل (٣/٣٨٣)، والكشّاف (٤/٣٨٤)، وزاد المسير (٦/١١٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٩٥)، وأنوار التنزيل (٤٨٦).

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٤٨٦).

واختار الرازي أنّ المراد بالحكم هو العلم، وقال: «فالمراد بالحكم العلم، ويدخل في العلم العقل والرأي والعلم بالتوحيد، وهذا أقرب؛ لأنه لا يجوز أن يبعثه تعالى إلاّ مع كماله في العقل والرأي والعلم بالتوحيد». التفسير الكبير (٢٤/١٢٦).

(٤) في الأصل: مبتداء.

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٣٨٥)، والبحر المحيط (٧/١٢)، والدر المصون (٨/٥١٧ ــ ٥١٨).

القبيحة، وهي تعبيد بني إسرائيل تعدّها نعمة عليّ بأني قد ربيتك وتجعلني مسيئاً في مقابلة إحسانك. وأين الإحسان بل أنت المسيء، إذ لو لم تفعل من قتل الأبناء كنت مربّى في أهلي[(١)(٢)]، وإنما أفرد الخطاب في «تمنها» وجمع في الأولين؛ لأن المنة كانت منه وحده، والفرار والخوف منه ومن قومه[(٣)]. وعن الفراء أنّ هذا الكلام إقرار واعتراف من موسى حيث عبّد بني إسرائيل ولم يعبِّده[(٤)]، وأراد مكافأة إحسانه بإرشاده إلى طريق الصواب. يُقال عبّد وتعبّد أي: اتخذ الناس عبيداً[(٥)(٦)].

قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [٢٣ــ٣١].

---

(١) في «ح»: أهل.

(٢) انظر: معاني القرآن (٨٦/٤ ــ ٨٧)، والكشاف (٣٨٤/٤ ــ ٣٨٥)، والجامع لأحكام القرآن (٩٥/١٣)، والبحر المحيط (١١/٧ ــ ١٢).

(٣) انظر: الكشّاف (٣٨٥/٤)، وأنوار التنزيل (٤٨٦ ــ ٤٨٧).

(٤) معاني القرآن للفراء (٢٧٩/٢).

(٥) في «ح»: عيداً.

(٦) انظر: تهذيب اللُّغة (٢٣٢/٢ ــ ٢٣٣) مادة «عبد»، والصحاح (٥٠٣/٢) مادة «عبد»، والكشاف (٣٨٤/٤).

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ لـمّا لم تـُجْدِ تلـك المقـدِّمات أخـذ في السـؤال عـن حقيقـة مَـن أرسلـه تعنتـاً لا استرشـاداً[1]. ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ﴾ إشارة [إلى][2] أنه مباين للممكنات؛ لأن موجـدها يجب أن يكون واجباً خارجاً عنها، فلا يمكن تعريفه إلاّ بلوازمه الخارجيه؛ لامتناع تعريفه بنفسه، واستحالة الأجزاء؛ لاستلزام التركيب الإمكـان[3]. ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ ذوي إيقان محققين الأشياء مطّلعين عـلى أحوالها بالأدلـة. ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ عجّبَ الملأ حوله من قوله؛ لأنه سألـه عن حقيقة وأجاب باللّـوازم. ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ إذْ رُبـّما يتوهم قِـدَم الـسموات والأرض كـما

---

(١) انظر: الكشاف (٤/٣٨٥).

(٢) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٣) انظر: التفسير الكبير (٢٤/١٢٨ـ١٢٩)، وأنوار التنـزيل (٤٨٧).

وما ذكره المصنّف يحتاج إلى إيضاح. فالممكنات جمع ممكنة، ويراد بها في الآية: السموات والأرض وما بينهما، وسميت بذلك؛ لتركبها وتعددها وتغير أحوالها، وهي موجودة لا بنفسها بل بغيرهـا، وهو الله عز وجلّ. وقد ثبت بالضرورة وجود موجودين: أحدهما واجب، والآخر ممكن، ويـرى المصنّف أن واجب الوجود لا يمكن تعريفه إلاّ بلوازمه الخارجية، واللّوازم نوعان:

أ ـ لوازم خارجية جليّة.

ب ـ لوازم داخلية خفيّة. انظر: التعريفات (١٩٩ـ ٢٠٠، ٢٦٩)، وشـرح الطحاويـة (٤٢، ٤٣)، والكليّات (٧٩٦، ٩٢٣ ـ ٩٢٨)، وكشّـاف اصطلاحـات الفنون والعلوم (١/٢٦٧ ـ ٢٧٠)، (٢/١٣٩٩ ـ ١٤٠١)، (٢/١٧٥٩ ـ ١٧٦٥).

هو مذهب الدّهرية[1]، وكان فرعون دهرياً؛ لقوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾[2]، وأما خلقهم وخلق آبائهم فلا مجال للتوهم فيه، ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ أضافه إليهم؛ لأن تسميته رسولاً على وجه التهكم[3]، ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ من الكائنات موجدها وحافظها، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ إن كان لكم عقل فقد أجبتكم جواباً شافياً.

لقد ناديت لو أسمعت حيّاً ولكن لا حياة[4] لمن تنادي[5]

﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ الدّاخلين في زمرتهم، وقد عرفتَ حالهم[6]، قيل كان إذا سجن إنساناً ألقاه في هوة ذاهبة في

---

(١) الدهرية: طائفة ترى إسناد الحوادث إلى الدهر وأنه قديم، ويرى بعضهم أنّ الأفلاك واجبة الوجود بذاتها وتؤثر في الحودات.

انظر: التفسير الكبير (١٢٨/٢٤)، وكشاف مصطلحات العلوم والفنون (٨٠٠/١).

(٢) بعض الآية (٣٩) من سورة القصص.

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٤٨٧)، وفتوح الغيب (٥٥٠).

(٤) في الأصل: لا حيوة.

(٥) البيت من بحر الوافر وقائله: عمرو بن معد كرب. انظر: ديوانه (٩٩)، والمحرر الوجيز (٢٨٣/١٦)، والبحر المحيط (٤٥٩/٨)، والدر المصون (٧٦٣/١٠).

(٦) قال الزمخشري: «فإن قلت: ألم يكن «لأسجننك» أخصر من «لأجعلنك من المسجونين» ومؤدياً معناه؟. قلتُ: أمّا أخصر فنعم، وأما مؤدٍ مؤدّاه فلا؛ لأن معناه لأجعلنك واحداً ممن عرفت حالهم في سجوني». الكشاف (٣٨٧/٤).

الأرض بعيدة العمق لا يرى شيئاً ولا يسمع صوتاً[1]. وهذا دليل على أنه عَلِمَ أنه مُـحِقّ، وخاف أن لو أمر بسجنه يصيبه[2] آفـة[3]، وإلاّ فما وجه التوقّف إذْ لم يكن على فرعون مصيبة أشدّ من أن يُدْعى إلى عبادة الغير، وهو يقول: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[4]. ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾ واضح الدّلالـة على صدقي، الواو للحال وَليـَها الهمز بعد حذف الفعل، أي: تفعل ذلـك ولو جئت على هذه الحالة[5]. ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في دعواك.

قال تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ

(١) قاله الكلبي. انظر: معالم التنـزيل (٣/٣٨٥). وقال ابن عباس: «وكان سجنه أشدّ من القتـل». بحر العلوم للسمرقندي (٢/٥٥٣).

(٢) في «ق»: تصيبه.

(٣) أجاز ابن عقيل أن تقول: يقوم هند ويضطرم النار، كما أجاز غيره قام فلانة. انظر: المساعد على تسهيل الفوائد (١/٣٩٢)، وشرح قطر الندى وبلّ الصدى (١٨٢).

(٤) الآية (٢٤) من سورة النازعات.

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٣٨٧)، والتفسير الكبير (٢٤/١٣١)، والبحر المحيط (٧/١٤).

ٱلسَّحَرَةُ قَالُوٓاْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [٣٢-٤٢].

﴿ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴾ واضح لا يشتبه على أحدٍ أنه ثعبان، وهي الحية العظيمة. ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ ﴾ أخرجها من كمّه[1] ﴿ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ قيل: لـمّا ألقى عصاه وصارت ثعباناً قدر مِيْل، فأقبلت إلى فرعون فاستغاث بموسى، فأخذها فعادت عصا[2]. فقال: هل من آية غيرها فأخرج له يده فرآها على هيئتها[3]، ثمّ أدخلها في جيبه، فأخرجها بيضاء لها شُعَاع يسدّ الآفاق ويكاد يغشى الأبصار[4]، وفي ذكر الناظرين دلالة على أنّ بياضها كان شيئاً تجتمع[5] النظّارة على النظر إليه، ﴿ قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ ﴾ مستقرين حوله، نصب على الحال

---

(١) الكمّ: مخرج اليد ومدخلها من الثوب، وجمعها أكمام.

انظر: القاموس المحيط (١٤٩١) مادة «كم»، والمعجم الوسيط (٧٩٩/٢) مادة «كم».

(٢) انظر: معالم التنزيل (١٨٥/٢-١٨٦)، ونسبه لابن عباس والسدّي. انظر: الكشّاف (٣٨٨/٤)، والبحر المحيط (٣٥٧/٤). والميل: مسافة من الأرض متراخية، وتقدر بما يساوي ١٦٠٩م.

انظر: المعجم الوسيط (٨٩٤/٢). والقول بان العصا صارت بطول ميل فيه نوع مبالغة، وقد وردت أقوال أُخرى في ذكر طولها. والله أعلم بالصواب.

(٣) في «ح»، «ص»: هيئاتها.

(٤) قاله ابن عباس. انظر: زاد المسير (٣٨٨/٤)، والتفسير الكبير (١٣٢/٢٤)، وأنوار التنزيل (٤٨٧).

(٥) في «ح»: يجتمع.

محلاً ولفظه نصب بنزع الخافض(١). ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ ماهرٌ في سِحْرِه، ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ طار عقلُه من الرّعب فتنزّل عن دعوى الألوهية إلى الاسترشاد والاستضاءة بآراء ملاّئه لعلهم يرشدونه إلى الخلاص مما دهاه(٢). ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أخّره ولا تناظروه(٣)، وما فيه من القراءات والوجوه تقدم في الأعراف(٤). ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾ مدائن ملكك، ﴿حَٰشِرِينَ﴾ لك السحرة، ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ كامل العلم في فنِّه، ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ لما وقّت به من ساعات يوم مُعين وهو وقت الضحى من يوم الزينة؛ لقوله: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ

---

(١) الخافض هو المقدّر في الظرف أي: «كائنين حوله أو مستقرين».

انظر: الكشّاف (٤/٣٨٨)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/٩٩٥)، وأنوار التنزيل (٤٨٧)، والبحر المحيط (٧/١٥)، والدر المصون (٨/٥١٩).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٣٨٩).

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٣٨٩).

(٤) الآية (١١١). قال المصنّف: «قرأ نافع في رواية «قالوا أرْجِهِ» بكسر الهاء بلا همز، وكذا ورش عنه إلاّ أنه وصل كسر الهاء بالياء، وابن كثير بالهمز ساكناً مع ضمّ الهاء الموصولة بالواو، وكذا أبو عمرو إلاّ أنه لم يوصل الضمّ، وهشام عن ابن عامر فكأبي عمرو، وابن ذكوان بالهمز وكسر الهاء دون وصل، وعاصم، وحمزة بسكون الهاء دون الهمزة، والكسائي بكسر الهاء مع الصلة كورش». الأصل (١٠٠/أ). وانظر: السبعة (٢٨٧ ــ ٢٨٩)، والكشف (١/٤٧٠)، والموضح (٢/٥٤٣ ــ ٥٤٦)، والنشر (١/٣١١ ــ ٣١٢).

ﵟٱلنَّاسُ ضُحٗىﵞ[1] فإن قلت: المأمور به كلّ سحّار عليم، والسحرة جمع ساحر، فقد حشروا ما لم يؤمروا به. قلتُ: الأمر كذلك لئلا يقول لهم لم يأتوني بكل سحّار. ﵟوَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَﵞ القائل فرعون، أو من هو من قِبَلِه، و«هل»[2] للاستبطاء، والمراد حثهم على الاجتماع[3]. ﵟلَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَﵞ كناية عن عدم اتباع موسى[4]؛ لأنه من لوازم اتباعهم؛ لأنَّ من يقول: أنا ربكم الأعلى كيف يتّبع الساحر[5].

---

(١) الآية (٥٩) من سورة طه. وانظر: الكشّاف (٤/٣٨٩)، وأنوار التنزيل (٤٨٧).

وقال الرازي: «اعلم أن القوم لما أشاروا بتأخير أمره، وبأن يجمع له السحرة ليظهر عند حضورهم فساد قول موسى عليه السلام رضي فرعون بما قالوه وعمي عما شاهده، وحبّ الشيء يعمي ويصمّ، فجمع السحرة ثمّ أراد أن تقع المناظرة يوم عيدٍ لهم ليكون ذلك بمحضر الخلق العظيم، وكان موسى عليه السلام يطلب ذلك لتظهر حجته عليهم عند الخلق العظيم، وكان هذا من لطف الله تعالى في ظهور أمر موسى عليه السلام». التفسير الكبير (٢٤/١٣٣).

(٢) في «ح»: وهو.

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٣٩٠)، وأنوار التنزيل (٤٨٨)، والبحر المحيط (٧/١٥).

(٤) عليه الصلاة والسلام.

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٣٩٠)، والبحر المحيط (٧/١٥). قال البغوي: «وقيل: إنما قالوا ذلك على طريق الاستهزاء، وأرادوا بالسحرة موسى وهارون وقومهما». معالم التنزيل (٣/٣٨٥).

وقال ابن كثير: «ولم يقولوا: نتبع الحقّ سواء من السحرة أو من موسى عليه السلام بل الرعية على دين ملكهم». تفسير القرآن العظيم (٦/١٥٠).

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ ﴾ الموعد للمناظرة، ﴿ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾ لموسى في سحره، ﴿ قَالَ نَعَمْ ﴾ جزاء للشرط؛ لأن قولهم «أئن لنا لأجراً» دال عليه، ﴿ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ عطف على جزاء الشرط، فإذا جواب وجزاء على أصله، زادهم على طلبهم ترغيباً(١).

قال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [٤٣-٥١].

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾ آثر «ما»؛ تحقيراً لما هم يلقون وليس الغرض أمرهم بالسحر بل التوسّل إلى الحقّ(٢). ﴿ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ أقسموا بعزته على أنهم غالبون؛ لفرط

وقول المصنّف: «لأن من يقول: أنا ربكم الأعلى» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ الآية (٢٤) من سورة النازعات.

(١) انظر: الكشاف (٤/٣٩٠)، والبحر المحيط (٧/١٥).

(٢) انظر: التفسير الكبير (٢٤/١٣٤).

اعتقادهم؛ لأنهم أفرغوا جهدهم في الإتيان بأقصى ما يمكن من السحر[1]، واليمين بغير الله وصفاته وأفعاله وَرَدَ النهي عنه؛ لأنه من شعار[2] الجاهلية[3]. ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ تبلع، قرأ[4] حفص بالتخفيف[5]. ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ ما يزورونه ويخيّلون [به][6] الناس، وأصل الأفك صرف الشيء عن وجهه، وصفته التي هو عليها، ويجوز أن يكون مصدرية تسمية للمأفوك به إفكاً مبالغة[7]. ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ تيقّنوا أنه من عند الله؛ لأنها ابتلعت تلك

(١) قاله البيضاوي. انظر: أنوار التنزيل (٤٨٨).

(٢) في الأصل: أشعار، والمثبت من باقي النسخ، وهو الصواب.

(٣) أخرج البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب «لا تحلفوا بآبائكم» (٤/٢١٨) ح٦٦٤٦ عن عبد الله بن عمر أنّ رسول الله ﷺ قال: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت». وأخرج أبو داود في كتاب الأيمان والنذور، باب كراهية الحلف بالآباء (٣/٢٢٠) ح٣٢٥١ بسنده عن ابن عمر قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف بغير الله فقد أشرك».

(٤) في «ح»: قرأ.

(٥) وقرأ الباقون بفتح اللاّم وتشديد القاف.

انظر: التيسير (١١٢)، والموضح (٢/٩٤٠)، والنشر (٢/٢٧١).

(٦) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٧) انظر: المفردات (٧٩) مادة «أفك»، والتفسير الكبير (٢٤/١٣٤)، وأنوار التنزيل (٤٨٨).

العِصِي والحبال ولم يزدد حجمها[1]، وإنما أوثر «ألقوا» على «خرّوا»؛ لذكره بعد الإلقاء مشاكلة مع دلالة الإلقاء على أنهم مِن فرط يقينهم لم يتمالكوا فكأنهم طُرِحوا كرهاً، وفاعل الإلقاء هو الله، أو هم أي: ألقوا أنفسهم[2]. ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ حال بتقدير «قد»[3] ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ بدل من رب العالمين دفعاً لوهم فرعون أنه المراد برب العالمين[4]، ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ﴾ وهذا نهاية جهله، أو من شدّة خجله أراد التلبيس على الحاضرين، وإلاّ فالسحرة المتفرقون في النواحي متى تمكنوا من رؤية موسى والمجالسة فضلاً عن التعلم، الهمزة الثالثة مقلوبة ألفاً لكل القراء، والثانية

---

(١) قال عكرمة: «أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء». الكشاف (٣٩٢/٤). وأورد أبو حيان تفصيلات كثيرة في البحر المحيط (٣٦٤/٤). والله أعلم بالصواب.

(٢) انظر: الكشّاف (٣٩٢/٤)، وأنوار التنزيل (٤٨٨).

قال الرازي: «فألقي السحرة ساجدين» فالمراد خرّوا سجداً؛ لأنهم كانوا في الطبقة العالية من علم السحر، فلا جرم كانوا عالمين بمنتهى السحر، فلما رأوا ذلك وشاهدوه خارجاً عن حدّ السحر علموا أنه ليس بسحر ....، ثمّ إنهم عند ذلك لم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم إلى الأرض ساجدين كأنهم أُخِذوا فطُرِحوا طرحاً». التفسير الكبير (١٣٤/٢٤).

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٤٨٨).

(٤) ويجوز إعراب «موسى وهارون» عطف بيان.

انظر: التفسير الكبير (١٣٥/٢٤)، وأنوار التنزيل (٤٨٨).

مخففة لحمزة، والكسائي، وأبو بكر، مسهلة للباقين على أصولهم[1]. ﴿ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ وخامة[2] ذلك وعيد لهم. ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ﴾ على التعاكس اليمين مع الشمال، أو العكس من اليد والرجل[3]. ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ لتكونوا زماناً عبرةً للناظرين ﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ ﴾ لا ضرر علينا في القطع والقتل والصلب[4]، ﴿ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾ بالموت لا محالة، فالقتل أهون أسبابه، والشهادة أشرف أحواله، فما توعدتنا[5] به مرغوب لا مرهوب ولا مهروب، فكنوا عن الموت بالانقلاب إلى ربهم الكريم، ولا ترى أحسن منها كناية[6].

---

(١) موضع الخلاف هو «آمنتم»، أصلها: «أآمنتم»، والقراءات فيها على النحو التالي:
قرأها حفص عن عاصم «آمنتم» على الخبر. وقرأ أبو بكر، والكسائي «آامنتم» بهمزتين بعدهما ألف، وقرأ البزي عن ابن كثير والباقون بهمزة واحدة ممدودة على الاستفهام، واختُلفَ عن قنبل بروايتين: الأولى: وآمنتم، والثانية مثل الباقين.
انظر: السبعة (٢٩٠ ـ ٢٩١)، والكشف (٤٧٣/١ ـ ٤٧٤)، والتيسير (١١٢)، والموضح (٥٤٩/٢، ٩٤٠)، والنشر (٣٦٨/١).

(٢) وَخامة بفتح الواو عاقبة الشيء، يُقال: هذا الأمر وخيم العاقبة.
انظر: لسان العرب (٤٧٩١/٨) مادة «وخم».

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٤١٩).

(٤) انظر: معاني القرآن للنحاس (٧٦/٥)، والكشّاف (٣٩٢/٤)، وقال ابن قتيبة: «قالوا لا ضير» هي من ضاره يضوره ويضيره، بمعنى: ضرّه ». غريب القرآن (٣١٧).

(٥) في «ح»، «ق»: هددتنا.

(٦) وفي هذا المعنى يقول الرازي: «فيه نكتة شريفة وهي أنهم قد بلغوا في حبّ الله تعالى أنهم ما أرادوا شيئاً سوى الوصول إلى حضرته». التفسير الكبير (١٣٦/٢٤).

﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ[1] ﴾ من زمرة فرعون، أو من أهل المشهد فإن المسارعة إلى الإيمان بالرسول بعد دلالة المعجزة من أقوى وسائل العبد إلى الله، والتقدير: لأن كنّا. وقريء «إن» بالكسر إمّا هضماً لأنفسهم، أو بالنظر إلى العاقبة وعدم الثقة، أو على طريقة المدلّ بحاله والمتمكن الذي لا يظنّ به خلافه[2] كقوله تعالى[3]: ﴿ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى ﴾[4].

قال تعالى: ﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ

---

(١) في «ح»: المسلمين، وهو خطأ.

(٢) وهي قراءة أبان بن تغلب، وأبو معاذ. وقرأ الجمهور «أن كنا» بفتح الهمزة، وفيه الجزم بإيمانهم.

انظر: القراءات الشاذّة لابن خالويه (١٠٦)، والمحتسب (٢/١٢٧)، والمحرر والوجيز (١٢/٦٠)، والكشاف (٤/٣٩٢)، والبحر المحيط (٧/١٦)، والدرّ المصون (٨/٥٢١).

(٣) في «ق»: تعلى.

(٤) بعض الآية (١) من سورة الممتحنة.

واختلف النحاة في «أن» من قوله تعالى «أن كنا أوّل المؤمنين» على رأيين:

الأوّل: أنها بمعنى «إذ».

الثاني: أنها مصدرية.

انظر: معاني القرآن للفراء (٣/٢٧)، والجنى الداني (٢٢٥)، والبحر المحيط (١/١٠١)، ومغني اللّبيب (١/٣٦).

مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾ [٥٢-٦٨].

﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ ﴾ وذلك أنه طالت مدّة دعوته وأراهم الآيات ولم يؤثّر فيهم، أمره الله تعالى بالخروج ببني إسرائيل. وقرأ نافع، وابن كثير «اسر» بهمز الوصل من السري وهما لغتان[١]. ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ يتّبعكم فرعون وجنوده، عِلّة للأمر بالإسراء[٢]، ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾ للعساكر حين أُخبِر بخروجهم.

﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ قائلاً هذا الكلام، وإنما بالغ في تقليلهم بلفظ الشّرذمة وهي الطائفة القليلة[٣]، ثمّ وصف الشّرذمة بالقلّة، وآثر جمع [القِلّة][٤] الدّال على القِلّة أيضاً[٥]، وكانوا[٦] ستمائة وسبعين ألفاً نظراً إلى ماله من الجنود والكثرة[٧] على ما روى ابن عباس أنه خرج بألف ألف حصان سوى الإناث من

---

(١) وقرأ الباقون بهمز القطع «أسر».

انظر: السبعة (٤٧١)، والتيسير (١٢٥)، والموضح (٢/٩٤١)، والنشر (٢/٢٩٠).

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٤٨٩).

(٣) انظر: تهذيب اللّغة (١١/٤٥٠) مادة «شرذم»، والصحاح (٥/١٩٦٠) «شرذم».

(٤) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٣٩٣).

(٦) في «ح»: وكان.

(٧) قاله ابن عباس، وابن مسعود.

الخيل(١). ﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴾ يفعلون أفعالاً توجب(٢) غيظاً من خروجهم بغير الإذن، وتركهم طاعته، وأخذهم حُلي القبط(٣) فإنهم استعاروها لعيدٍ لهم ثمّ ذهبوا ولم يردّوها(٤) ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴾ متأهبون مستعدون(٥). وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر في رواية هشام «حَذِرون» على الصفة المشبهة، أي:

انظر: جامع البيان (١٩/٧٥)، ومعالم التنزيل (٣/٣٨٧)، والمحرر الوجيز (١٢/٦١)، وأنوار التنزيل (٤٨٩).

(١) انظر: الكشّاف (٤/٣٩٣).

قال ابن عطية بعد أن ذكر قول ابن عباس وغيره: «والله أعلم بصحته، وإنما اللاّزم من الآية الذي يقطع به أنّ موسى عليه السلام خرج بجمع عظيم من بني إسرائيل، وأنّ فرعون تبعه بأضعاف ذلك العدد». المحرر الوجيز (١١/٦١)، وتبعه القرطبي على ذلك. انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/١٠٠ ــ ١٠١).

(٢) في «ح»: يوجب.

(٣) القبط: بكسر القاف وإسكان الباء جيل بمصر، وقيل: هم أهل مصر، ويُروى أنّ اسمهم قبط ابن مصر بن بيصر بن حام بن نوح ــ والله أعلم ــ.

انظر: معجم البلدان (٤/٣٠٦، ٣٨٣)، ولسان العرب (٦/٣٥١٤) مادة «قبط»، وأبجد العلوم (١/٢٦٠)، (٢/٣١٩).

(٤) انظر: جامع البيان (١٩/٧٦ــ٧٧)، والمحرر الوجيز (١٢/٦٢)، وزاد المسير (٦/١٢٥).

وهناك سبب آخر للغيظ هو مخالفتهم لفرعون وعدم تأليهه، وإيمانهم بالله عزّ وجلّ.

انظر: معالم التنزيل (٣/٣٨٧)، والتفسير الكبير (٢٤/١٣٧).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٩٢).

خائفون متحذّرون، والمعنيان يلائـمان المقـام[1]. ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ منـازلهم العاليـة حتـى [صـار][2] مـثلاً دور الفراعنـة، ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ نصب على المصدر أي: أخرجناهم مثل ذلك الإخراج، أو جرّ على أنه وصف مقام، أو رفع خبر مبتـدأ محـذوف[3]، ﴿ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ ملّكنـاهم ملكـاً لازمـاً لا يُـرَدّ[4]، ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴾ أدركـوهم داخـلين في وقـت شروق الشمس [كذلـك][5] يُقال: أتبعت فلاناً إذا أدركته بعد مـا سـبق[6]. ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ أي: لما رأى كلّ مـنهما الآخـر قـالوا هذا الكلام لموسى خوفاً، ﴿ قَالَ كَلَّآ ﴾ أي: ارتدعوا عن هذا الكـلام، ﴿ إِنَّ مَعِىَ

(١) وقرأ الكوفيون، وابن ذكـوان «حاذرون»، وأمّا هشام فروى عنه الداجوني «حاذرون»، وروى عنه الحلواني «حذرون». انظر: النشر (٢/٣٣٥)، وإتحاف فضلاء البشر (٣٣٢).

(٢) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٣٩٤)، والتفسير الكبير (٢٤/١٣٨)، والدر المصون (٨/٥٢٤).

وردّ أبو حيّان الوجه الإعرابي الأوّل والثاني. انظر: البحر المحيط (٧/١٩).

(٤) في «ق»: زيادة «كذلك عنه».

(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجـاج (٤/٩٢)، والكـشّـاف (٤/٣٩٤)، وأنـوار التنــزيل (٤٨٩)، والقاموس المحيط (٩١٢) مادة «تبع».

رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ طريق النجاة، وإذا قابلت قوله هذا بقوله ﷺ: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾[1] ظهر لك الفرق بين مقاميهما[2]. فإن قلت: قد فسرت اتبعوهم بأدركوهم فما معنى ردع موسى عن القول بالإدراك بعد وقوعه؟.

قلت: المراد بالإدراك [بعد وقوعه][3] رؤية بعضهم بعضاً، وما نفاه موسى أن يلحقوهم بحيث يصل شرّهم إليهم، قيل: إن مؤمناً من آل فرعون كان بين يدي موسى عليه السلام، فقال له البحر أمامك وقد غشيك فرعون بجنوده بماذا أُمرت؟. قال: بالبحر ولعلي أومر بماذا أصنع[4]. ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ﴾ بحر القلزوم[5][6]، وذلك المكان يُسمّى سويساً[7] معروف عند

---

(١) بعض الآية (٤٠) من سورة التوبة.

(٢) الفرق بينهما:

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ص»، «ح».

(٤) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (٤/٥٠)، والكشاف (٤/٣٩٦) ونسبه لعطاء بن السائب، وأنوار التنزيل (٤٨٩).

(٥) كذا في الأصل، وفي باقي النسخ: القُلزُم وهو الصواب.

(٦) بحر القلزم: بضمّ القاف والزاي، سمّي بذلك؛ لالتهامه مَن ركبه في القدم، وبه غرِق فرعون وآله، ويُسمّى الآن البحر الأحمر. انظر: معجم البلدان (٤/٣٨٧)، والمعجم الوسيط (٢/٧٥٤) مادة «قلزم»، والموسوعة العربية العالمية (٤/١٩٦).

(٧) سويس: مدينة على ساحل بحر القلزم من ناحية مصر وأحد موانئها.
انظر: معجم البلدان (٣/٢٨٦).

أهـل مصر لا يختلفون فيه، وتفسيره بنيل مصر[1] فاسد[2]، وكيف يتأتى في نهر نيـل ما أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ أي الجبل العالي من طاد الشيء إذا ذهب إلى جانب السماء صعوداً[3].

وفي حديث عائشة رضي الله عنها تصف أبا بكر ذاك طـود منيف[4]، والفـاء في «فانفلق» فصيحة[5]، والانفلاق والانشقاق والفَرْق: الجزء من الـشيء كـالفلق لفظاً ومعنى[6].

﴿ وَأَزْلَفْنَا ﴾ قرّبنا، ﴿ ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴾ فرعون وجنوده حتى سلـكوا مسالك بني إسرائيل في البحر[7]. أو قرّبنا آل فرعون بعضاً؛ حتّى لا ينجـو منهم أحد[8].

---

(١) نيل مصر: أصله نيلوس بالرومية: أعظم أنهار الدنيا طولاً، وقيل: ليس في الدنيا نهر يـسمّى بحـراً ويـمّاً غير النيل، ويعبر دولاً عِدّة حتّى يصب في البحر الأبيض المتوسط. انظر: معـجم البلـدان (٥/٣٣٤ ــ ٣٣٩)، والروض المعطار (٥٨٦)، والموسوعة العربية العالمية (٣٥٢/٢٣).

(٢) قال البيضاوي. أنوار التنـزيل (٤٨٩).

(٣) انظر: الـمفردات (٥٢٨) مادة «طود»، والكشّاف (٣٩٥/٤)، والقاموس المحيط (٣٧٨) مـادة «طود».

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٨٤/٢٣) ح٣٠٠.
وانظر: الرياض النضرة (١٦٤/٢)، ومـجمع الزوائد (٤٩/٩)، ولسان العرب (٢٧١٧/٥) مادة «طود».

(٥) الفاء الفصيحة هي التي يـحذف فيها المعطوف عليه مع كونه سبباً للمعطوف من غـير تقـدير حرف الشرط، وسمّيت بذلك لأنها تفصح عن المحذوف، والتقدير في الآية فضرب فانفلق.
انظر: الكشّاف (٢٧٤/١)، والدر المصون (٣٨٥/١)، ومعجم القواعد العربية (٣٢١).

(٦) انظر: الكشّاف (٣٩٥/٤).

(٧) قاله مقاتل. انظر: الوسيط (٣٥٤/٣).

(٨) انظر: الوسيط (٣٥٤/٣)، والكشّاف (٣٩٥/٤)، وقال الزجاج: «وكلا القولين حسن جميـل». معاني القرآن وإعرابه (٩٣/٤).

روي أنّ جبرئيل[1] صلوات الله عليه كان بين بني إسرائيل وبين آل فرعون يقول لبني إسرائيل: ليلحق آخركم بأولكم، ويستقبل القبط يقول: رويدكم حتى يلحق آخركم[2]. وإذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه، ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴾ لا يشذّ منهم أحد، ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴾ فرعون وجنوده. ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ فإنّ القبط الذين كانوا بمصر بعد ما سمعوا شأن فرعون لم يزعجهم ذلك ولم يؤمنوا بموسى[3]، وأمّا بنوا إسرائيل فكما أخبر الله عنهم: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ ﴾[4]، وقولهم: ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾[5]، واتّخاذهم العجل إلهاً[6]، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الغالب على كلّ شيء المنتقم من أعدائه، ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ بأوليائه.

قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ

---

(١) في «ح»: جبرائيل، وفي «ص»: جبرئل، وفي «ق»: جبريل، وكلّها لغات جائزة.

(٢) قاله عطاء بن السائب. انظر: الكشّاف (٣٩٦/٤)، والتفسير الكبير (١٣٩/٢٤).

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٤٨٩).

(٤) بعض الآية (١٣٨) من سورة الأعراف.

(٥) بعض الآية (١٥٣) من سورة النساء.

(٦) انظر: الكشّاف (٣٩٦/٤)، وأنوار التنزيل (٤٨٩).

أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [٦٩-٨٢].

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ قصته وحديثه مع قومه، ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾ سألهم ليُعلمهم أنّ ما يعبدونه لا يصلح للعبادة، كما تقول [للتاجر](١): مالك.

فيقول: الرقيق، فتقول: الرقيق جمال لا مال(٢). ﴿ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾ كان حقّ الجواب أصناماً، وإنما أطنبوا؛ افتخاراً وابتهاجاً، لم يرضوا بتعفير الجباه للجهاد حتّى افتخروا به(٣)، وإنما آثر «نظل»(٤)؛ لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار إشهاراً لعبادتهم كما يفعله الجهال المراؤن(٥)، أو من إطلاق المقيد على

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٣٩٦)، والتفسير الكبير (٢٤/١٤٢).

(٣) انظر: الكشاف (٤/٣٩٦)، وأنوار التنزيل (٤٩٠).

(٤) في «ص»: يضل.

(٥) انظر: معالم التنزيل (٣/٣٨٩)، وتكتب الكلمة: المراؤون.

المطلـق[1]. ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ ﴾ أي: دعـاءكم[2] [حـذف][3]؛ لدلالـة ﴿ إِذْ تَدْعُونَ ﴾ عليه[4]، ﴿ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ ﴾ جزاء لعبادتكم، ﴿ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ مـن أعـرض عن عبادتها، ﴿ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ أعرضوا عن ظاهر الـجواب؛ تـحاشياً عن الاعتراف بعدم شيء مـن صـفات الألوهيـة فيهـا. ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴾ أخبروني عن شـأن ما استمروا[5] على عبادته مَن تقدم مِن آبائكم، فإنّ تقادم العهد لا يجعـل الباطـل حقّـاً. ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ ﴾ أي: عدوٌ لكم، أضاف عداوتها إلى نفسه؛ تصويراً للمـسألة[6] في نفـسه

(١) **المقيد**: اسم مفعول من القيد.

واصطـلاحاً: اللّفظ الـدالّ على الـحقيقة مقيّدة بقيد يقلل من شيوعـها، أو هو اللّفظ الدالّ لا على شائع في جنسه.

والمطلق في اللّغة مشتق من الإطلاق.

واصطلاحاً: اللّفظ الدالّ على الحقيقة من حيث هي، أو اللّفظ الدالّ على شائع في جنسه كالرجل في أفراد الرجال المسلمين. انظر: إرشاد الفحول (١٤٤)، والميسر في أُصول الفقه (٣٢٦ـ٣٢٧).

(٢) في «ص»: دعاؤكم.

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٤) انظر: معاني القرآن للأخفش (٦٤٦/٢)، والتبيان في إعراب القرآن (٩٩٦/٢).

(٥) في «ص»: ما استمر.

(٦) في «ح»، «ص»، «ق»: للمسئلة.

مبالغة في إظهار النصح، وأنه لا يرضى لهم إلاّ ما يرضى لنفسه، ولأنه من باب التعريض، والتعريض أكثر جدوى من التصريح وأدعى إلى القبول[1].

حُكي أنّ رجلاً واجه الشافعي رحمه الله بمكروه فقال: لو كنت مكانك لاحتجت إلى التأديب[2]. ورأى علي بن سند[3] وكان من المجاورين[4] بمكة ناساً يتحدّثون في الحجر[5]، فقال: «هذا ليس بيتي ولا بيتكم»[6][7]. ومعنى العداوة ما أشار إليه بقوله: ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾[8] أفرده؛ لإطلاقه

---

(١) قاله الزمخشري، وأورد قولاً آخر: «وإنما قال «عدو لي» تصوير للمسألة في نفسه على معنى: أني فكرت في أمري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو، فاجتنبتها وآثرت عبادة مَن الخير كلّه منه، وأراهم بذلك أنها نصيحة نصح بها نفسه أوّلاً، وبنى عليها تدبير أمره لينظروا ويقولوا: ما نصحنا إبراهيم إلاّ بما نصح به نفسه، وما أراد لنا إلاّ ما أراد لروحه؛ ليكون أدعى لهم إلى القبول، وأبعث على الاستماع » الكشّاف (٣٩٧/٤).

(٢) انظر: الكشّاف (٣٩٧/٤).

(٣) علي بن سند ذكره ياقوت فقال: «وأبو الحسن علي بن سند بن عبّاس اللُّكي مات سنة ٥٣٠هـ، وكان من الصالحين». معجم البلدان (٢٢/٥).

(٤) المجاورين: من المجاورة وهي البقاء في المسجد الحرام على سبيل العبادة والاعتكاف. انظر: الصحاح (٦١٨/٢) مادة «جور».

(٥) الحِجر: بكسر الحاء حجر الكعبة، وهو ما تركت قريش بناءه من الكعبة من أساس إبراهيم ﷺ، وحُجِر ليُعلم أنه من الكعبة. انظر: معجم البلدان (٢٢١/٢).

(٦) في «ح»: بيني وبينكم.

(٧) انظر: الكشّاف (٣٩٧/٤).

(٨) الآية (٨٢) من سورة مريم.

على الجمع كالصديق والظهير[1]، ﴿ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ استثناء متّصل؛ لأنهم كانوا يُشركون ويزعمون أنها شفعاء، إذ لا يقول أحدٌ بأن الجماد صانع العالم[2][3]. ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ الذي عَقَّب خلقتي[4] هدايته المتصلة، ابتداؤه[5]: هدايته إذ[6] كان جنيناً إلى امتصاص دم الحيض، وانتهاؤها: سلوك طريق الجنة والفوز برضوان الله، ولذلك آثر الإسمية مع كون الخبر مضارعاً[7]. ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴾ أي: يمكنني من الطعام والشراب بإن خلق فيَّ الشهوة والقوى والإرادة [والعقل][8] الهادي إلى إيثار المنافع. ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ من مرضي، وفي إيثار «إذا» على كلّما إشارة إلى أنّ مرض الموت [محتوم][9] لا شفاء منه، وغيّر الأسلوب حيث لم يقل «وإذا أمرضني»؛ لأنه بصدد

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٣٩٨)، والتفسير الكبير (٢٤/١٤٣)، ومعجم مفردات الإبدال والإعلال (١٨٤).

(٢) وقيل: إن الاستثناء منقطع. انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٢٨١)، ومعاني القرآن للزجاج (٤/٩٣)، والكشّاف (٤/٣٩٨)، وزاد المسير (٦/١٢٨)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/٩٩٧).

(٣) في هامش «ص»: ردّ على من جعل الاستثناء منقطعاً.

(٤) في «ح»: خلق، وفي «ص»، «ق»: خلقي.

(٥) في «ح»، «ص»، «ق»: ابتداؤها.

(٦) في «ح»: إذا.

(٧) انظر: الكشّاف (٤/٣٩٨)، وأنوار التنزيل (٤٩٠)، وفتوح الغيب (٥٦٨).

(٨) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٩) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

عدّ النعم فلا يُلائم إسناد الأمراض إليه[1]، [وقيل][2]: لأنّ كثيراً من الأمراض إنما تحدث من تخليط الإنسان في المطاعم والمشارب[3]. قال - شعر -

فإنّ الداء أكثر ما تراه   يكون من الطعام أو الشراب[4][5]

فهو من روادفهما، والوجه هو الأوّل[6]. ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ﴾ عدّه في النعم؛ لأنه وسيلة لقاء الله تعالى. ﴿ ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ يوم القيامة[7]. ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ قاله؛ تواضعاً وهضماً لنفسه، كقوله: إنّ لي ثلاث[8] كذبات[9]، ولم يكذب قطّ بل كانت معاريض، وهي ترك الأوّلى

(١) انظر: التفسير الكبير (١٤٥/٢٤)، وأنوار التنزيل (٤٩٠).
وقال ابن عطية: «وأسند إبراهيم المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله عزّ وجلّ وهذا حسن الأدب في العبارة، والكلّ من عند الله تعالى». المحرر الوجيز (٦٧/١٢).

(٢) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٣) انظر: الكشّاف (٣٩٨/٤)، والتفسير الكبير (١٤٥/٢٤)، وأنوار التنزيل (٤٩٠).

(٤) البيت من بحر الوافر، وقائله ابن الرومي.
انظر: ديوانه (٤٦)، وبهجة المجالس (٦٩٥/٢)، وفتوح الغيب (٥٦٩).

(٥) في هامش «ص»: «أوّله أنشد صاحب المطالع:
عدّوك من صديقك مستفاد   فلا تكثرنّ من الصحاب».

(٦) قال البيضاوي: «لأنه من روادفهما من حيث أنّ الصحة والمرض في الأغلب يتبعان المأكول والمشروب». أنوار التنزيل (٤٩٠).

(٧) في «ح»، «ص»: القيمة.

(٨) في «ح»، «ص»: ثلث.

(٩) أخرج البخاري عن أبي هريرة بسنده قال: «قال رسول الله ﷺ: «لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلاّ ثلاث كذبات»، وهذه الثلاث هي:

والأفضل، فإنّ حسنات الأبرار سيئات المقربين[1]. فإن قلت: لِمَ أتى بضمير الفصل في الأفعال الثلاثة[2] الأُوَل ولم يأت به في الأخيرين[3] حيث لم يقل يميتني ثمّ هو يحيين وأطمع[4] أنّ يغفر لي [هو][5] خطيئتي؟. قلتُ: لأنّ الأسباب الظاهرية[6] لها دخلٌ في تلك الأفعال، فدفع بضمير الفصل كون تلك الأسباب أسباباً مؤثرة بخلاف الإحياء بعد الموت ومغفرة الخطيئة يوم الدين، إذ لا يُتصوّر هناك سوى قدرته وإرادته تعالى[7].

قال تعالى: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ

أ ــ ﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ (٨٩) سورة الصافات.

ب ــ ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ (٦٣) سورة الأنبياء.

ج ــ قوله عن زوجته أنها أُخته حينما دخل على جبّار من الجبابرة.

صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥] (٢/٤٦١) ح٣٣٥٧، ٣٣٥٨، (٣/٣٥٩) ح٥٠٨٤.

(١) انظر: المحرر الوجيز (١٢/٦٧)، والكشّاف (١/١٧٨)، (٤/٣٩٨)، والتفسير الكبير (٢٤/١٤٦)، والبحر المحيط (٧/٢٥)، وفتح الباري (٦/٣٩١).

(٢) في الأصل، «ح»، «ص»: الثلثة.

(٣) في «ق»: الآخرين.

(٤) في «ح»: أطعم.

(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٦) في «ح»: الظاهرة.

(٧) في «ق»: تعلى.

ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ
تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ
إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ
نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ
حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ
﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [٨٣ ـ ١٠٤].

﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا ﴾ علماً أحكم به بين الناس[1]، أو مواعظ وأمثالاً أنفع بها الناس.

وفي الحديث: «الصمت حُكْمٌ وقليل فاعله»[2]. ومنه: «الخلافة في قريش، والحكم في الأنصار»[3]، يريد العلم والفقه؛ فإنّ أكثر

---

(١) قاله ابن عباس، ومقاتل.

انظر: النكت والعيون (٤/١٧٦)، وزاد المسير (٦/١٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١١٢).

(٢) أخرجه أحمد في الزّهد (١/٣٥) ح٤٦، وابن أبي عاصم في الزّهد (١٠٦)، وابن عدي في الكامل (٥/١٦٩)، والقضاعي في المسند (١/١٦٨) ح٢٤٠، والبيهقي في شعب الإيمان (٩/٢٨٣) ح٤٦٧١، تحقيق / مختار الندوي، قال البيهقي: «هذا هو الصحيح عن أنس أنّ لقمان قال: «الصمت حكم ...». قال محققه: «إسناد رجاله ثقات»، وأورد رواية أُخرى ح ٤٦٧٢ وقال: «غلط في هذا عثمان بن سعيد (أي: في رفعه)، والصحيح رواية ثابت» أي: عن أنس موقوفاً. قال محققه: «إسناده ضعيف».

وانظر: المغني عن حمل الأسفار (٣/٩٨)، وكشف الخفاء (٢/٣٢) ح١٦٢٣.

(٣) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٤/٣٣٨)، وأحمد في المسند (٢٩/٢٠٠) ح١٧٦٥٤، وابن أبي عاصم في السّنة (٢/٥١٤، ٥١٨) ح١١١٤، ١١٢٤ مختصراً، وقال الألباني: «إسناده

فقهاء[1] الصحابة منهم. ﴿وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: وفّقني لعمل أنتظم به معهم، أو احشرني في زمرتهم، ولقد أجابه الله تعالى[2] فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[3][4].

﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ أي: ذكراً حسناً وثناءً جميلاً. وقد أُجيب إلى ذلك ولا ترى أحداً من أهل الملل إلاّ هو ينتسب إليه[5]. فإن قلتَ: ما نَفْعُهُ في هذا؟ ولِمَ طلبه؟، وهل هذا إلاّ طلب الشهرة والأتقياء منزّهون عن ذلك فضلاً عن جِلّة الأنبياء؟.

قلتُ: إنما سأل[6] ذلك؛ ليقتدي بسيرته السامعون إلى آخر الدّهر، فإنه إذا أُثنيَ عليه بمحاسن أخلاقه وكريم صفاته كان ذلك باعثاً للسامعين على اكتساب

جيد»، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/١٢١) ح٢٩٨، ومسند الشاميين (٢/٤٢٧)، والديلمي في الفردوس (٢/٢٠٧) ح٣٠٢٢، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/١٩٢) وقال: «رواه أحمد، والطبراني ورجاله ثقات»، وصححه الألباني في الصحيحة (٤/٤٦٦) ح١٨٥١.

(١) في «ق»: علماء.

(٢) في «ق»: تعلى.

(٣) بعض الآية (١٣٠) من سورة البقرة.

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٣٩٩).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١/٢٧٨١)، وجامع البيان (١٩/٨٦).

(٦) في «ح»: سئلت.

أمثالها(١). وقيل: أراد من يدعو إلى دينه صادقاً في أقواله وهو رسول الله محمد ﷺ(٢) ﴿ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ داخلاً في زمرتهم. ﴿ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ طريق الحق دعاءٌ له؛ لأنه كان وعده أن يستغفر له بقوله: ﴿ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ ﴾(٣)، قال تعالى(٤): ﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾(٥). والقول بأنّ هذا الدعاء إن كان بعد موته فلعل إبراهيم كان يظنّ أنّ أباه مؤمن وإنما يخفي إيمانه تقيةً من نمروذ(٦) بعيد عن

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٢٤/١٤٩)، روى أشهب عن مالك قال: قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ لا بأس أن يحب الرجل أن يثنى عليه صالحاً، ويُرى في عمل الصالحين إذا قصد به وجه الله تعالى». الجامع لأحكام القرآن (١٣/١١٣). وحكى ابن عطية الإجماع فقال: «ولسان الصدق في الآخرين» هو الثناء وخُلْد المكانة بإجماع من المفسرين». المحرر الوجيز(١٢/٦٧).

(٢) انظر: التفسير الكبير (٢٤/١٤٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١١٢ ـ ١١٣)، وأنوار التنزيل (٤٩٠). وردّ هذا القول ابن عطية وقال: «وهذا معنى حسن إلاّ أنّ لفظ الآية لا يعطيه إلاّ بتحكم على اللّفظ». المحرر الوجيز (١٢/٦٨).

(٣) بعض الآية (٤) من سورة الممتحنة.

(٤) في «ق»: تعلى.

(٥) بعض الآية (١١٤) من سورة التوبة.

(٦) نمروذ: هو النمروذ بن كنعان بن كوش، كان أحد ملوك الدنيا، وكان طاغية جبّاراً، ناظره إبراهيم عليه السلام مناظرة مشهورة، ثمّ بهت الذي كفر، أرسل الله عليه وعلى قومه البعوض فأكلت لحومهم، ودخلت واحدة منها في منخر النمروذ فمات بها.

الصواب[1]، دلّ عليه مناظرته كما تقدم في سورة مريم[2]، ولو كان كذلك لحكى كما حكى سائر أحواله. ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ من الخِزْي وهو الهوان والذلّ، أو من الخَزَاية وهي الخجل والحياء[3]. وقد روى البخاري أنّ إبراهيم[4] يرى أباه في النار فيقول: «يا ربّ إنك وعدتني ألاّ تخزني وأي خزي أعظم من أن يكون أبي في النار؟»، فيقول الله: «يا إبراهيم إني حرمت الجنة على الكافرين»، ثم ينظر إليه فيراه في صورة ضبع قد مسخ فيعرض عنه[5]. ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾

انظر: تاريخ الأمم والملوك (١/١٤٧)، والبداية والنهاية (١/١٣٩).

(١) انظر: التفسير الكبير (٢٤/١٥٠)، وأنوار التنزيل (٤٩٠).

(٢) الآيات من (٤١ ــ ٤٨).

(٣) انظر: الصحاح (٦/٢٣٢٦) مادة «خزا»، والمفردات (٢٨١) مادة «خزي».

(٤) في الأصل: إبرهيم.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥] (٢/٤٥٩) ح٣٣٥٠، وانظر أطرافه في ٤٧٦٨، ٤٧٦٩. ولفظ البخاري: «فإذا هو بذيخ ملتطخ». والذيخ: ذكر الضباع، ولا يسمّى بذلك إلاّ إذا كان كثير الشعر.

وقال ابن حجر: «وفي رواية أيوب «فيمسخ الله أباه ضبعاً». انظر: فتح الباري (٨/٥٠٠).

أمّا الضبع فهو: جنس من السباع المتوحشة، أكبر من الكلب، قوية الفكّين، ويطلق لفظ الضبع على الذكر والأنثى، وقيل: إنّ الذكر يطلق عليه ضبعان.

انظر: لسان العرب (٤/٢٥٥٠) مادة «ضبع»، والموسوعة العربية العالمية (١٥/٣٠٥).

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ خالص عن الشرك وسائر الرذائل. والمعنى: لا ينفعان إلاّ مَن قلبه بهذه الصفة، أو لا ينفعان إلاّ مَن هذا شأنه حيث أنفق ماله في مرضات الله، وأرشد بنيه إلى طريق الحقّ. وقيل: الاستثناء من أنّ الكلام بحسب المعنى، كأنه قيل: يوم لا ينفع غنى إلاّ غنى مَن قلبه بهذه الصفة[١]، كما ورد في الحديث: «إنما الغنى غنى[٢] القلب»[٣]. أو الاستثناء

منقطع أي: لكن من أتى الله بقلب سليم تنفعه سلامة قلبه، ولا حاجة إلى تقدير المضاف قبل «مَن»؛ لأن وصف القلب بالسلامة يغني عنه[٤]. وعن الجنيد[٥]

---

(١) انظر: الكشّاف (٣٩٩/٤)، وأنوار التنزيل (٤٩١).

(٢) في «ق»: غنا.

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد عن الحسن مرسلاً (٣٥٧/١) ح١٠٠٨، والحاكم في المستدرك (٣٢٧/٤) وصححه، وسكت عنه الذهبي، والديلمي في الفردوس (٣٣٦/٥) كلاهما عن أبي ذرّ. وانظر: فتح الباري (٢٧٢/١١)، وكشف الخفاء (٨٠/٢) ح١٨٠٩. وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس».

انظر: كتاب الرقائق، باب (١٤) (١٨٢/٤) ح٦٤٤٦.

(٤) انظر: التبيان (٩٩٧/٢ ـ ٩٩٨)، والدر المصون (٥٣٢/٨ ـ ٥٣٤).

(٥) الجنيد: الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي، أبو القاسم، عالم بالدين، شيخ طائفة التصوف، أصله من نهاوند، مات ببغداد سنة ٢٩٧هـ، وكان مولده ومنشأه بها. من كتبه: «دواء الأفراح»، و «رسائل» مطبوع. انظر: حلية الأولياء (٢٥٥/١٠)، وتاريخ بغداد (٢٤١/٧).

شيخ الطائفة[1] أن السليم هو اللّديغ[2] بالحبّ[3] فلا قرار لـه[4]. وعـن القـشيري[5]: هو السالم عن ذِكر غير الله تعالى[6][7]. ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ «في ذلك اليوم وهم

(١) الطائفة أي الصوفية.

(٢) في «ص»، «ح»: اللذيغ.

(٣) في «ح»: بالجب.

(٤) انظر: المحرر الوجيز (١٢/٦٨)، والكشّاف (٤/٤٠٠)، وزاد المسير (٦/١٣١)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١١٤).

واللّديغ: فعيل من اللّدغ، لدغته الحيّة والعقرب فهو لديغ أو ملدوغ، وتفسير الجنيد على المجـاز.

انظر: أساس البلاغة (٤٠٧) مادة «لدغ»، والمعجم الوسيط (٢/٨٢١) مادة «لدغ».

(٥) الـقشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري القشيري، أبو القاسم، شيخ خراسان في عصره زهداً وعلماً بالدين، حسن الموعظة، ثقة مفسر، مات سنة ٤٦٥هـ.

انظر: تاريخ بغداد (١١/٨٣)، ووفيات الأعيان (٢/٢٠٥).

(٦) في «ق»: تعلى.

(٧) لم أجده فيما بين يدي من المراجع. وردّ العلماء هـذه الأقوال ونـحوها، فقال الزمخشري: «إنها من بدع التفسير». وقـال الطيبي معلّقاً على قـول الزمـخشري: «لأن التفسير الصحيح شرطه أن يكون مطابقاً للّفظ من حيث الاستعمال، سليماً من التكلّف، عَـرِيّاً عن التعسف». الكشاف (٤/٤٠٠)، وفتوح الغيب (٥٧٦). والصواب في معنى القلب السليم أنه السليم من الشرك. وهو قول الـحسن، وابن زيد، وقـتادة وأكثر المفسرين، واختيار ابن عطية، وأبي حيّان، ومال إليـه البغوي. انظر: معالم التنـزيل (٣/٣٩٠)، والمحرر الـوجيز (١٢/٦٨)، وزاد المـسير (٦/١٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١١٤)، والبحر المحيط (٧/٢٧).

بعدُ في عَرْصة القيامة[1][2]، تعجيلاً للسرور إليهم. ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ «علت مكشوفة لهم يرونها، والتخصيص بالغاوين؛ لأن المؤمنين لا يرونها؛ لأن نفس رؤيتها مما يُكَدِّر ويسوء، ولم يصفها بالقرب كما وصفت الجنة؛ لأنّ قربها يُؤذي أهل المحشر من المؤمنين»[3] لما في الحديث: «مِن أنّ ريحها ونتنها يسري مائة عام»[4]. وقيل: إشارة إلى غلبة رحمته وسبقه غضبه.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فإنّ هذا وقت نفع العبادة، سؤال توبيخ[5]. ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ بدفع العذاب عنكم. ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ بدفعه عن أنفسهم، استفهام إنكار، تقريع لهم[6]. ﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ أي: الآلهة ومن عبدها.

والكبّ: إلقاء الشيء على وجهه معكوساً، والكبكبة تكرير «كبّ»، جعل التكرير في اللّفظ دليلاً على تكرير المعنى وتكثيره، فإنه إذا ألقى فيها انكب مرّة

---

(١) في الأصل، «ق»، «ص»: القيمة.

(٢) عَرْصة القيامة: العَرْصة: ساحة الدار، والبقعة الواسعة بين الدور لا بناء فيها، والمراد: ساحة يوم القيامة. انظر: النهاية في غريب الحديث (٦٠٤) مادة «عرص»، والقاموس المحيط (٨٠٣) مادة «عرص»، والمعجم الوسيط (٥٩٣/٢) مادة «عرص».

(٣) انظر: التفسير الكبير (١٥٢/٢٤)، وأنوار التنزيل (٤٩٠).

(٤) لم أجد هذا الحديث فيما توافر لدي من كتب الحديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة.

(٥) انظر: المحرر الوجيز (٦٨/١٢).

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١١٦/١٣)، والبحر المحيط (٢٧/٧).

بعد أُخرى هكذا إلى أن يصل إلى قعرها، فإنّ طبقتها السّفلى للمشركين[1].

﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ مَن اتّبعه من الإنس والجنّ[2]؛ لقوله: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ ﴾[3] ﴿ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ واضح بعبادة غير الله، والضمير في «يختصمون» للعبدة أي: يخاصم الأتباع الرؤساء[4] لقوله: ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ﴾[5]، أو لهم ولمن عبدوه من الأصنام؛ لقوله: ﴿ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فإنّ الخطاب لها. ﴿ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٩٤)، والصحاح (١/٢٠٧) مادة «كب»، والمفردات (٦٩٥)، والكشّاف (٤/٤٠٠)، والمحرر الوجيز (١٢/٦٩)، والتفسير الكبير (٢٤/١٥٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١١٦)، وأنوار التنزيل (٤٩١).

(٢) في «ق»: الجنّ والإنس.

(٣) الآية (٨٥) من سورة «ص».

(٤) انظر: أنوار التنزيل (٤٩١)، والبحر المحيط (٧/٢٧).

(٥) بعض الآية (٤٧) من سورة غافر.

الكاملون في الإجرام وهم الرؤساء الذين دعوهم[1][2]. ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴾ كما للمؤمنين يشفع لهم الأنبياء، والملائكة، والعلماء، والأتقياء، والأصدقاء[3].

﴿ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ رَؤُفٌ[4] شفوق من الاحتمام كالاهتمام لفظاً ومعنى إلاّ أنه أبلغ منه، أو من الحامّة، وهي خاصّة الإنسان[5]، وفي الحديث أنه قال ﷺ: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي وحامّتي أذهب عنهم الرّجس»[6]. وإنما جمع الشفيع دون الصديق؛ لكثرة الشفعاء وقلّة الصديق. قال ـ شعر ـ:

---

(١) في الأصل: الدعوهم.

(٢) انظر: البحر المحيط (٧/٢٧).

(٣) عن أبي سعيد الخدري قال: «قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ...، وفيه: «فما أنتم بأشدّ لي مناشدة في الحقّ قد تبين لكم مِن المؤمن يومئذٍ للجبّار، وإذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون: ربنا إخواننا الذين كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا، ويعملون معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرّة من إيمان فأخرجوه ...، فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون». أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] (٤/٣٩١-٣٩٢) ح٧٤٣٩.

(٤) رؤف: كذا في جميع النسخ، وهو لغة صحيحة في رؤوف.

(٥) انظر: الصحاح (٥/١٩٠٧) مادة «حمم»، والمفردات (٢٥٥) مادة «حمّ»، والكشّاف (٤/٤٠١).

(٦) حديث صحيح، أخرجه أحمد في المسند (٤٤/٢١٧) ح٢٦٥٩٧، والطبراني في المعجم الكبير (٢٣/٣٣٤) ح٧٧٣، والترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب ما جاء في فضل فاطمة بنت

صاد الصديق وكاف الكيمياء معاً لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا[1]

أو لأنه يُطلق على الجمع كالواحد مثل العدّو والظهير[2]. ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا، «لو» في مثله للتمني؛ لأن في كلّ واحد منهما تقديرَ غير الواقع واقعاً فيصحّ[3] التجوز[4]. ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ جواب التمنّي. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ أي: فيما ذُكِر من مقالة إبراهيم[5]، فإنّ العاقل يتّعِظُ بها ويستبصر.

محمد ﷺ رضي الله عنها (٨٧٤) ح٣٨٧١، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وهو أحسن شيء روي في هذا الباب، والحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، وباب ومن مناقب أهل بيت رسول الله ﷺ (١٤٦/٣ــ١٤٧) مختصراً.

انظر: جامع البيان (٥/٢٢ــ٨)، وتفسير القرآن العظيم (٤٠٨/٦).

(١) ذكره الألوسي في: روح المعاني (٢٢٠/١٨) بلفظ قيل. وهو من بحر البسيط.

(٢) انظر: الكشّاف (٤٠١/٤)، والانتصاف فيما تضمنه الكشّاف من الاعتزال لابن المنير (٤٠١/٤)، والتفسير الكبير (١٥٢/٢٤ــ١٥٣).

(٣) في «ح»: فلذلك يصحّ، وفي «ق»: فبذلك يصحّ.

(٤) «لو» تجيء للتمني نحو: لو تجيء فتحدّثنا، أي: ليتك تجيء فتحدثنا، فـ«لو» هذه مثل «ليت»، ويكون جوابها مقروناً بالفاء. وقول المصنّف:«لأنّ في كلّ واحد منهما» أي: من «لو» و «ليت». انظر: الكتاب (٣٦/٣)، والأصول في النحو لابن السراج (١٨٥/٢)، والبيان في إعراب القرآن (١٣٤/١)، ورصف المباني (٣٦٠)، ومغني اللبيب (٢٦٦/١)، وهمع الهوامع (٦٦/٢).

(٥) في الأصل: إبرهيم، وهي لغات صحيحة في إبراهيم، وفيه لغات أُخرى متعددة.

قال ابن جنّي: «فأمّا الخلاف الذي في باب جبريل وإسرافيل وميكائيل وإبراهيم، ونحو ذلك فالعذر فيها أنها أسماء أعجمية، ولام التعريف لا تدخلها فبعدت عن أُصول كلام العرب، واجترأت

﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾؛ لعدم التدبر. ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ الغالب. ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ بإرسال الرّسل.

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [١٠٥ـ ١٢٢].

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ القوم من أسماء الجموع[1] يطلق على الرّجال خاصّة، ففيه تغليب، وتأنيث الاسم باعتبار معنى الجمعية، ويُقال في تصغيره: قويم بالتذكير[2]، والمراد بالرسل نوح كقولهم فلان يركب الخيل، أو هو وسائر من

عليها، وتلعبت بها لفظاً، تارةً هكذا وأُخرى كذا». المحتسب (٢/٢٤٩). وانظر: الموضح (١/٣٠١).

(١) أسماء الجموع: اسم الجمع: ما ليس له واحد من لفظه ويدل على أكثر من اثنين، وليس على صيغة الجموع. انظر: المساعد على تسهيل الفوائد (٣/٣٨٧)، والخليل معجم مصطلحات النحو العربي (٥٧)، ومعجم القواعد العربية (٣٦).

(٢) انظر: الكتاب (٣/٤٩٤)، والمفردات (٦٩٣) مادة «قوم»، والقاموس المحيط (١٤٨٧) مادة «قوم».

معه من المؤمنين، أو لأنّ مَن كذّب رسولاً فقد كذّب الجميع؛ لاتحاد دعوتهم واشتراك برهانهم[1]. ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ ﴾ سمّاه أخاً؛ لاتصال نسبه بهم، كقول العرب: يا أخا بني فلان لواحدٍ منهم[2]. ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ الشرك وعبادة الأوثان. ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ كان مشهوراً بينهم بالأمانة. ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ في التوحيد، ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ على أداء الرسالة، ﴿ مِنْ أَجْرٍ ﴾ حتّى أتّهم، ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ كرره للتوكيد والتقرير في أنفسهم كما هو شأن الناصح الشفوق[3][4].

وفي الحديث كان رسول الله إذا تكلم بكلام أعاده ثلاثاً[5][6]، أو لأنه علل[7] الأوّل بكونه أميناً، والثاني بحسم طمعه[8]. ﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴾ أي: الفقراء الذين لا مال لهم ولا جاه، وهكذا كما قال المشركون لرسول الله: «يا

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٤٠٣)، والمحرر الوجيز (١٢/٧٠)، والانتصاف بحاشية الكشّاف (٤/٤٠٣).

(٢) انظر: التفسير الكبير (٢٤/١٥٤)، والبحر المحيط (٧/٣٠).

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٤٠٣ ــ ٤٠٤)، وأنوار التنزيل (٤٩٢).

(٤) في هامش الأصل، «ص»: «لم يقع هذا التكرير في سائر قصص الرّسل؛ وذلك إشارة إلى كثرة المناظرة مع القوم؛ لطول عمره».

(٥) في الأصل، «ح»، «ص»: ثلثاً.

(٦) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه (١/٥١) ح٩٤، ٩٥.

(٧) في «ح»: عدى.

(٨) وعلى هذا المعنى فلا تكرار.

انظر: الكشّاف (٤/٤٠٤)، والتفسير الكبير (٢٤/١٥٤)، والبحر المحيط (٧/٣٠ ــ ٣١).

محمد ما نرى معك إلاّ الأعبد والرعاة»[1]. ﴿ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ وأي علمٍ لي بما كانوا يعملون لأجله، فهم من كلامهم أنهم يطعنون[2] في إيمانهم، بأنهم آمنوا لغرضٍ دنيويّ، فأجاب بأنه إنما يطلب الإيمان على الظاهر، ﴿ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ ﴾ فهو المطّلع على الضمائر، ويجوز أن يكون حمل الرذالة في قولهم على الرذالة في الدّين وإن لم يقصدوها، إشارة إلى أنّ الرذالة المعتدّ بها رذالة الدّين[3]، ﴿ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴾ لعلمهم ذلك. ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ دفعٌ لما أوهم كلامهم، وإيثار المظهر موضع المضمر إيماء إلى أنّ وصف الإيمان يُنافي الطّرد[4]. ﴿ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ ما عليَّ آمنتم أو لم تؤمنوا، أو ما عليَّ إن كان إيمانهم لغرض. ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ﴾ بالحجارة والشتم[5]، وهذا دأب الجاهل المحجوج[6]. ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ﴾ فيما

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٤٠٤).

ولـمّا سأل هرقل أبا سفيان عن أتباع رسول الله ﷺ فقال أبو سفيان: «إنهم ضعفاء الناس»، فقال هرقل: «وما زالت أتباع الأنبياء كذلك». أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب (٧) (١/١٦–١٧) ح٦.

(٢) في «ق»: يطيعون.

(٣) انظر: المحرر الوجيز (١٢/٧١)، والبحر المحيط (٧/٣١).

(٤) انظر: التفسير الكبير (٢٤/١٥٥).

(٥) في «ح»، «ق»: أو الشتم.

(٦) قاله الضحاك، وقتادة، ومقاتل. انظر: معالم التنزيل (٣/٣٩٢–٣٩٣)، وزاد المسير (٦/١٣٤). وانظر: المحرر الوجيز (١٢/٧١)، وأنوار التنزيل (٤٩٢)، والبحر المحيط (٧/٣٢).

أرسلتني به، لم يدع الله لما أصابه من أذاهم بل لتكذيبهم. ﴿ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا ﴾ احكم بيننا بإظهار الحقّ وإذهاب الباطل من الفُتاحة، وهي الحكومة؛ لأن الحاكم يفتح المشكل في الدّين وما استغلق على الناس[1]. ﴿ وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ من أذاهم، أو من العذاب الذي يرسله[2] عليهم. ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴾ المملوء[3] من الناس وسائر الحيوانات التي حملها نوح معه[4]، ﴿ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ﴾ بعد إنجائه، ﴿ ٱلۡبَاقِينَ ﴾ وهم الكفّار، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

---

(١) الفُتاحة: بضمّ الفاء وفتحها هي الحكومة. والفتّاح القاضي بلهجة أهل اليمن، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «ما كنت أدري ما معنى الفتّاح حتّى اختصم إليّ أعرابيان فقال أحدهما: افتح بيننا، أي: أُحكم بيننا».

انظر: الصحاح (٣٨٩/١) مادة «فتح»، والمفردات (٦٢١ ـ ٦٢٢) مادة «فتح»، والكشّاف (٤٠٥/٤)، والمحرر الوجيز (٧١/١٢)، والتفسير الكبير (١٥٥/٢٤)، وعمدة الحفّاظ (٢٣٢/٣) مادة «فتح»، وشرح الزرقاني على موطأ مالك (٢٤/٢).

(٢) في «ق»: ترسله.

(٣) في الأصل: المملوّ.

(٤) انظر: التفسير الكبير (١٥٥/٢٤)، وأنوار التنزيل (٢٩٦).

﴿لَآيَةً﴾ أيّة آية! شاعت وتواترت، ولا قصّة أشهر من طوفان نوح. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بل أقلّهم وهم ثمانون نفساً[1].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب الذي لا [يُغالب][2]. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بعباده حيث لا يُعاجل بالعقوبة.

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾ [١٢٣ــ١٤٠].

---

(١) قاله ابن عباس، ومقاتل. انظر: زاد المسير (٤/١٠٦ ــ ١٠٧)، وأنوار التنزيل (٢٩٦).

وفي عددهم أقوال أُخرى، وأختار الطبري القول بظاهر الآية من غير تحديد عدد فقال: «والصواب من القول في ذلك أن يُقال كما قال الله «وما آمن معه إلاّ قليل» يصفهم بأنهم كانوا قليلاً، و لم يحد عددهم بمقدار ولا خبر عن رسول الله ﷺ صحيح، فلا ينبغي أن يُتجاوز في حدّ الله، إذ لم يكن لمبلغ عدد ذلك حدّ من كتاب الله أو أثر عن رسول الله ﷺ». جامع البيان (١٢/٤٣).

(٢) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ أنثه باعتبار القبيلة، وهو في الأصل اسم رجل[1].

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً ﴾ علامة، والريع: المكان المرتفع[2]، وعن عُمارة[3][4]: هو الجبل[5]. اسم جنس[6] واحده ريعه والجمع رياع[7]، وهو الطريق أيضاً[8]، ومنه قول المسيب بن غلس[9][10]:

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (١٢/٦٢)، وأنوار التنـزيل (٤٩٢).

(٢) قالـه ابن عباس.
انظر: زاد المسير (٦/١٣٥)، والتفسير الكبير (٢٤/١٥٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١٢٢).

(٣) في «ح»: عمار.

(٤) عمارة: عمارة بن عقيل بن بلال الكلبي اليربوعي، شاعر، مقدّم، فصيح من أهل اليمامة، كان يسكن البصرة يأخذون عنه اللغة، وكان واسع العلم، غزير الأدب، مات سنة ٢٣٩هـ.
انظر: تاريخ بغداد (١٢/٢٨٢)، ومعجم الأدباء (٤/١٥٤٦)، ورغبة الآمل (١/١٢٩).

(٥) انظر: تهذيب اللُّغة (٣/١٧٩) مادة «راع».

(٦) اسم جنس هو الاسم الذي لا يختصّ بواحد من أفراد جنسه نحو: رجلٌ وحصان، وما ذكره المصنِّف هو اسم الجنس الجمعي، ويراد به: ماله مفرد يُشاركه في لفظه ومعناه معاً، ويكون المفرد زائداً بالتاء، أو ياء النسب نحو: كلم، كلمة، عرب، عربي.
انظر: الكتاب (٤/٤٤)، والمساعد على تسهيل الفوائد (٣/٣٩٠ ـ ٣٩٢)، والخليل معجم مصطلحات النحو العربي (٥٧ـ٥٨).

(٧) انظر: صحيح البخاري (٣/٢٧٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/٩٢)، وتهذيب اللُّغة (٣/١٧٩) مادة «راع».

(٨) قاله مقاتل، والكلبي، والضحاك، وقتادة، والسّدي.
انظر: الوسيط (٣/٣٥٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١٢٢).

(٩) في الأصل، «ح»، «ص»: غلس، وفي «ق»: غلس.

(١٠) المسيب بن علس بن مالك بن عمرو، من ربيعة بن نزار، شاعر جاهلي، خال الأعشى، وكان الأعشى راويته، سمّي مسيّباً؛ لأنه استرعى إبلاً فسيّبها، وقيل غير ذلك، له ديوان شعر.

ربعٌ يلوح كأنه سحْل[1][2].

﴿تَعۡبَثُونَ﴾ عابثين بالمارّة لا غرض لكم سواه، وقيل: تبنون أبراج الحمام[3]، وقيل: كانوا عارفين بعلم النجوم يهتدون بها في أسفارهم، وكانوا يبنون تلك الأعلام الطّوال عبثاً[4]. ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ المباني والقصور العالية[5]،

انظر: جمهرة أشعار العرب (١١١)، وخزانة الأدب (٣/٢٤٠).

(١) تمام البيت: في الآل يخفضها ويرفعها ربعٌ يلوح كأنه سحْل.

وقبله: ولقد أرى ظُعناً أُبينها تُحدى كأن زهاءها الأثل.

ومعناه: الآل هو السراب، أو ما في طرفي النهار وفيه السراب. والسَحْل: نوع أبيض من ثياب اليمن، وهو من بحر الكامل. انظر: ديوانه (٦٢٥)، والصحاح (٥/١٧٢٦) مادة «سحل»، وغريب الحديث لابن قتيبة (٣١٨)، والنكت والعيون (٤/١٨٠)، والكشاف (٤/٤٠٦)، والمحرر الوجيز (١٢/٧٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١٢٢)، والبحر المحيط (٧/٣٠)، ولسان العرب (١/١٧٤) مادة «أول».

(٢) في هامش «ص»: يصف الظعن في الهودج سائر بين السراب.

(٣) قاله سعيد بن جبير، ومجاهد. انظر: معالم التنزيل (٣/٣٩٣)، والكشّاف (٤/٤٠٦)، والمحرر الوجيز (١٢/٧٢)، وزاد المسير (٦/١٣٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١٢٣).

(٤) قاله عكرمة، ومقاتل. انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/١٢٣).

واستدرك ابن المنير على هذا القول بأنّ فيه بُعداً، من حيث أنّ الحاجة تدعو إلى ذلك لغيم مطبق وما يجري مجراه. الانتصاف (٤/٤٠٦) بحاشية الكشّاف.

(٥) قاله مجاهد، والكلبي.

انظر: جامع البيان (١٩/٩٥)، والوسيط (٣/٣٥٩)، ومعالم التنزيل (٣/٣٩٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١٢٣).

وقيل: مواضع الماء الحاصل من المطر جمع مصنعة[1]. ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ ترجون الخلود في الدنيا، أو حالكم شبه حال من تخلد[2][3]. ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾ أخذتم بالعنف، ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ قاتلين على الغضب، والجبّار من يقتل إذا غضب[4]، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أدعوكم إليه من الإيمان وترك القبائح. ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ بالغ في التبليغ وأنكر عليهم عدم تقواهم بحسب الفطرة ومقتضى العقل. ثمّ ذكر أنه رسول الله صادق أمين، فأمرهم بالتقوى صريحاً، وبيّن أنّ فعله ليس لغرض يتعلق بالدنيا، ثمّ ذكر لهم ما فيه من القبائح، ثمّ أمرهم ثانياً بتقوى الله وطاعته، ثمّ أمرهم بالتقوى ثالثاً، وعلقه بالموصول الدالّ صلته على أنّ مَن يطلب منهم تقواه ممد لهم نعماً متوالية، علمهم محيط بها لا يجهلون شيئاً منها، ثمّ فصّل ذلك

---

(١) قاله قتادة، وأبو عمرو. انظر: تهذيب اللُّغة (٢/٣٧) مادة «صنع»، ومعالم التنزيل (٣/٣٩٣)، والمحرر الوجيز (١٢/٧٢)، وزاد المسير (٦/١٣٦).

واختار الطبري القول بالعموم فقال: «والصواب من القول في ذلك أن يُقال: إنّ المصانع جمع مصنعة، والعرب تسمّي كلّ بناء مصنعة، وجائز أن يكون ذلك البناء كان قصوراً وحصوناً مشيّدة، وجائز أن يكون مآخذ للماء، ولا خبر يقطع العذر بأي ذلك كان، ولا هو مما يدرك من جهة العقل، فالصواب أن يُقال فيه ما قال الله: إنهم كانوا يتخذون مصانع». جامع البيان (١٩/٩٥-٩٦).

(٢) في «ح»، «ق»: يخلد.

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٤٠٦).

(٤) قاله الحسن، والكلبي.

انظر: النكت والعيون (٤/١٨٢)، ومعالم التزيل (٣/٣٩٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١٢٤).

المجمل[١] مبالغة في الوعظ والنصح ثمّ أشار بقوله ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ إلى[٢] أنهم إن لم يمتثلوا ما أمرهم به يلحقهم عذاب لا توصف[٣][٤]....

ولـمّا كانوا ممن طُبع على قلوبهم ﴿قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ﴾ «فإنّ وعظك وعدمه عندنا سيّان، غيّر الأسلوب في النفي؛ لأنه أبلغ في قلّة اعتدادهم بوعظه»[٥]. ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ «أي: ما هذا الذي جئتنا به من الأكاذيب إلاّ عادة أمثالك من الماضين، أو ما هذا الذي نحن عليه من الدّين والموت إلاّ عادة السالفين وآبائنا الأوّلين»[٦].

وقرأ ابن كثير، وأبو عمر، والكسائي بفتح الخاء وسكون اللاّم أي: ما هذا الذي جئتنا به إلاّ كذب اختلقه الأوّلون من أضرابك، أو ما خلقنا إلاّ كخلق الأوّلين آخره الموت ولا بعث[٧]. ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ «في الدنيا، أو في الآخرة»[٨]

---

(١) المجمل: لغة المبهم مِن أجمل الأمر إذا أبهمه.

واصطلاحاً: ما خفي المراد منه خفاء لا يدرك إلاّ ببيان يُرجى بالطلب والتأمل، أو ببيان المجمل.

انظر: إرشاد الفحول (١٤٧)، والميسر في أُصول الفقه (٢٩٨ـــ٢٩٩).

(٢) في «ق»: أي.

(٣) في «ح»: يوصف.

(٤) في «ق» زيادة: فضاعته، والصواب: فظاعته.

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٤٠٧)، والتفسير الكبير (٢٤/١٥٧ـــ ١٥٨)، وأنوار التنزيل (٥٩٣).

(٦) انظر: الكشّاف (٤/٤٠٧)، والمحرر الوجيز (١٢/٧٣)، والتفسير الكبير (٢٤/١٥٨).

(٧) وقرأ الباقون «خُلُق» بضمّ الخاء واللاّم. انظر: السبعة (٤٧٢)، والحجة لأبي علي الفارسي (٥/٣٦٥)، والكشف (٢/١٥١)، والتيسير (١٦٦)، والموضح (٢/٩٤٣ـــ٩٤٤).

(٨) انظر: زاد المسير (٦/١٣٧).

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ﴾ «بسبب تكذيبهم. ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ﴾ «وأية آية، بيّن كيفية هلاكهم في موضع آخر»[1].

﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾.

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٤٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٤٥) أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٢) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٥٣) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٥٤) قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (١٥٥) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥٦) فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٥٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٥٩) ﴾ [١٤١ــ١٥٩].

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٤٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ على أداء الرسالة.

﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٤٥) أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴾ إنكار لبقائهم على ذلك الحال، أو تذكير للنعمة قبل فوات أوان الشكر عليها»[2]. ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ ﴾ تفصيلٌ بعد الإجمال كما

(١) أهلكهم الله بريح صرصر عاتية. انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/١٢٦).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٤٠٨)، وأنوار التنزيل (٤٩٤).

في قصة هود. ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ أفرد النخل لمزيد فضله[1]، أو أراد وصف طلعه وهو ما يطلع منه على مثال نصل[2] السيف، ثم يّشق فيخرج منه ثمرة[3]، وهو الجُمّار[4] الذي جاء في الحديث أنّ رسول الله أتى بجمار[5][6]، والهضيم من الهضم، وهو الكسر كأنه متكسّر من ترافيه[7]، وهو من أحسن الفواكه عند العرب. وعن ابن عباس: هضيم نافع[8]، كأنه قيل: ونخل قد أرطب ثمره وطاب[9].

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٤٠٨)، وأنوار التنـزيل (٤٩٤).

(٢) في «ح»: تصل.

(٣) في «ح»: ثمرته.

(٤) في «ح»، الأصل: الحمار.

(٥) في «ح»، الأصل: بحمار.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الفهم في العلم (١/٤٣) ح٧٢.
والجُمَّار: جمع جُمّارة وهي قلب النخلة وشحمتها.
انظر: النهاية في غريب الحديث (١٦٣) مادة «جمر».

(٧) ي «ق»: ترافته. وفي لسان العرب (١/٤٢٩): الترفّه الطعام الطّيب.

(٨) في الأصل، «ح»، «ص»: نافع، وفي «ق»: يانع، وذكره المفسرون بلفظ «يانع».
انظر: جامع البيان (١٩/٩٩)، والنكت والعيون (٤/١٨٣)، ومعالم التنـزيل (٣/٣٩٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١٢٨). وما أورده المصنّف يؤيد معنى «يانع».

(٩) اختار الطبري أنّ الهضيم هو المتكسّر وقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يُقال: الهضيم هو المتكسّر من لينه ورطوبته، وذلك من قولهم: هضم فلان حقّه: إذا انتقصه وتحيّفه، فكذلك الهضم في الطّلع، إنما هو التنقّص من رطوبته ولينه إمّا بمسّ الأيدي، وإمّا بركوب بعضه بعضاً».
جامع البيان (١٩/١٠٠).

﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴾ «حاذقين، من الفراهة، وهي الحِذْق[1]، أو أشرين بطرين[2]». وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو «فرهين» على الصّفة المشبهة، والمدّ أبلغ؛ لدلالته على تجدد الأشر والبطر ساعة فساعة[3].

﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ «كرره للتأكيد. ﴿ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ «أوقع الإطاعة على الأمر وهي للآمر[4]؛ لما بينهما من التلبس، أو استعيرت الإطاعة للامتثال؛ لما بينهما من الشّبه[5]».

﴿ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ مستمرون على الإفساد ﴿ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ ولا يوجد منهم إصلاح قطّ كسائر المفسدين، يخلطون بالإفساد إصلاحاً[6]. ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾ الذين سُحِروا كثيراً حتّى غلب عقلهم[7]. ﴿ مَآ

(١) قاله ابن عباس، وأبو عبيدة.

انظر: النكت والعيون (١٨٣/٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٢٩/١٣).

(٢) قاله أبو صالح عن ابن عباس.

انظر: النكت والعيون (١٨٣/٤)، ومعالم التنزيل (٣٩٥/٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٢٩/١٣).

(٣) وقرأ الباقون بالمدّ «فارهين».

انظر: السبعة (٤٧٢)، والحجة لأبي علي الفارسي (٣٦٦/٥)، والموضح (٩٤٤/٢)، والنشر (٣٣٦/٢).

(٤) في «ح»: الأمر.

(٥) انظر: أنوار التنزيل (٤٩٤).

(٦) انظر: الكشّاف (٤٠٨/٤)، والتفسير الكبير (١٥٩/٢٤).

(٧) انظر: الكشّاف (٤٠٩/٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٣٠/١٣)، وأنوار التنزيل (٤٩٤).

أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ أي: تنزّلنا عن كونك مسحوراً، ألست بشراً مثلنا؟، أنّى لك رتبة الرّسالة؟. ﴿ فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ في دعواك. ﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ ﴾ اختصر القصص؛ لأن الغرض

تسلية رسول الله، وهو قد أحاط بها علماً في مواضع أُخر فاكتفى بطرفها.

﴿ لَّهَا شِرْبٌ ﴾ حظٌّ من الماء كالقيت من القوت، والسقي من السقي[1]. ﴿ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ فلا تتجاوزوه[2]، ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ ﴾ فضلاً عن القتل والضّرب[3]، ﴿ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ عظّم اليوم لعِظَم العذاب الواقع فيه على طريق المجاز الحكمي، حتّى كأنّ شدّة العذاب سرت إلى الوقت[4].

﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ أسند العقر إليهم والعاقر واحد، وهو قدار[5]؛ لرضى[6] الكلّ به.

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٢٨٢)، والصحاح (١/١٥٣) مادة «شرب»، والمفردات (٤٤٨) مادة «شرب»، والكشاف (٤/٤٠٩)، وأنوار التنزيل (٤٩٤)، والدّر المصون (٨/٥٤٢).

(٢) في «ح»: تجاوزوه.

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٤٠٩).

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٤٠٩)، والتفسير الكبير (٢٤/١٦٠)، وأنوار التنزيل (٤٩٤).

(٥) قُدَار: هو قدار بن سالف، عاقر ناقة صالح عليه السلام، كان يُقال له: أحمر ثمود، تقول العرب للجزّار قدار تشبيهاً به، وكان قدار شديداً، صعباً، قويّاً في قومه.

انظر: عرائس المجالس (٥٩)، والإكمال (٧/٨١)، وتحفة الأحوذي (٩/١٨٩).

(٦) في «ح»: قدرضي.

روي أنه لم يعقرها حتى داروا على المخدّرات[1] فرضيت كلّهنّ بذلك[2].

﴿ فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴾ على فعلهم خوفاً من العذاب لا تصديقاً لقول صالح، وإلاّ لنجوا كما نجا قوم يونس، أو ندموا بعد فوات الوقت، وهو إيمان البأس[3][4].

﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ صيحة جبرئيل[5]. ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾، [﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ قيل: إنما لم يصب قريشاً ما أصاب تلك الأُمم ببركة مِن آمن منهم[6]، استدلالاً بقوله ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾][7]، وفيه أنّ رسول الله حين خرج من بينهم لم يكن آمن [من][8] قريش إلاّ قليلاً[9]، بل إنما لم يصبهم ما أصاب أُولئك لعدم إتيانه بآياتهم المقترحة[10].

---

(١) المخدّرات: أي اللاّتي سُتِرْنَ بالـخِدْر، وهو سترٌ يُمَدّ للجارية في ناحية البيت يسترها.
انظر: القاموس المحيط (٤٩٠) مادة «خدر».

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٤٠٩).

(٣) في الأصل، «ص»: البأس، وفي «ح»، «ق»: اليأس.

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٤٠٩)، والتفسير الكبير (٢٤/١٦٠).

(٥) في «ق»، «ح»: جبرائيل، وفي «ص»: جبرئل، وهما لغتان جائزتان في «جبريل»، وقد أورد ابن الجوزي في «جبريل» إحدى عشرة لغة. انظر: زاد المسير (١/١١٧ـ١١٩).

(٦) انظر: أنوار التنزيل (٤٦٤)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/١١٣ـ١١٤)، والتبرك أنواعه وأحكامه (٩٥).

(٧) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٨) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل، «ح».

(٩) في «ح»، «ص»: قليل.

(١٠) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: «هل أتى عليك يوم كان أشدّ من يوم أُحد ...، وفيه: فناداني ملك الجبال، فسلّم عليّ، ثمّ قال: يا محمد ...فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم
مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾
قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ
﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ
ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾ [١٦٠-١٧٥].

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الجار والمجرور حال من الذكران، والمراد بالعالمين الناس؛ لأن المأتي الذكر منهم خاصّة، فالجمع بالواو والنون على أصله، وخرج المَلك والجنّ بقرينة العقل، أو متعلق بـ«تأتون»، فالمأتي كلّ من يتأتّى

أن أُطبق عليهم الأخشبين. فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يُشرك به شيئاً».

أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين (٢/٤٢٨-٤٢٩) ح٣٢٣١.

منه الإتيان من سائر الحيوانات، والجمع بالواو والنون فللتغليب، وخروج غير الإنسان بتلك القرينة[1].

﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ﴾ «من» إمّا بيان «ما» وأُريد به جنس الإناث، أو تبعيض، ويُراد بـ«ما خلق» المحل المباح منهم، وفيه إشارةٌ إلى أنهم كانوا يأتون من نسائهم في غير موضع الحَرْث[2]. ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ متجاوزين الحدّ في أنواع المعاصي، وهذه الجريمة من ذاك، أو أنتم أحقّاء بأن توصفوا[3] بالعدوان؛ لارتكابكم هذه العظيمة[4]. وهذا أوجه؛ لدلالته على انّ هذه الجريمة كلّ العظائم، ولذلك لم يلاحظ متعلق العدوان[5]. ﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ

---

(١) انظر: الغريبين (١٣١٩/٤ـ١٣٢٠) مادة «علم»، والكشّاف (٤١٠/٤)، وأنوار التنزيل (٤٦٥)، وفتوح الغيب (٥٩٢)، وعمدة الحفّاظ (١٣٨/٣) مادة «علم».

(٢) انظر: الكشّاف (٤١٠/٤)، والتفسير الكبير (١٦١/٢٤)، وأنوار التنزيل (٤٩٥)، والبحر المحيط (٣٦/٧).

(٣) في «ص»: توضعوا.

(٤) في «ص»: العظمة.

(٥) انظر: الكشّاف (٤١٠/٤)، والتفسير الكبير (١٦١/٢٤). وقول المصنّف: «أنّ هذه الجريمة كلّ العظائم»، يريد أنها من أعظم العظائم بعد الكفر والشرك بالله عزّ وجلّ.

﴿يَٰلُوطُ﴾ عن مقالتك. ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾ من بيننا، هددوه بالإخراج؛ لأن مفارقة الوطن من أشدّ العذاب[1].

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ﴾ من المبغضين أشدّ[2] البغض فلا أبالي بالخروج من بينكم، وهذا أبلغ من أنّ يقول: «إني لعملكم قالٍ»؛ لدلالته على أنه داخلٌ في زمرتهم معدود من جملتهم[3]. ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ من شؤم عملهم. ﴿فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ﴾ حكمنا بنجاتهم، أو أردنا نجاتهم. ﴿إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ الباقين في العذاب، وهي إمرأته مستثناة من الأهل؛ لشموله إيّاها[4]. ﴿ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ﴾ أهلكناهم. ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ﴾ هي الحجارة؛ لقوله: ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ﴾[5]. فإن قلت: إهلاكهم كان بقلب

---

(١) قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ﴾ [النساء: ٦٦]. قرن الله عزّ وجلّ قتل النفس بالخروج من الدّيار؛ لأنه شاقٌّ على النفس ومن أشدّ العذاب.

(٢) في «ق»: غاية.

(٣) قاله الزمخشري. انظر: الكشّاف (٤/٤١١). وانظر: التفسير الكبير (٢٤/١٦١)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١٣٣)، وأنوار التنزيل (٤٩٥).

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٤١١)، وأنوار التنزيل (٤٩٥).

(٥) الآية (٧٤) من سورة الحجر.

القرية عليهم كما تقدم من قوله: ﴿ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا ﴾[1]، فما فائدة الإمطار عليهم؟.

قلتُ: إظهار القهر وشدّة الغضب كما هلكت عاد بالريح مع الصيحة.

وعن قتادة[2]: «أمطر الله الحجارة على شذّاذ القوم»[3]. ولا يُنافي الإمطار على الحاضرين؛ لقوله: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً ﴾[4] فإنّ الضمير للقرية.

﴿ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ مطرهم، فالمخصوص محذوف، واللاّم في «المنذرين» للجنس؛ ليصحّ وقوع ما أُضيف إليه فاعل «ساء»[5]. ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ بل أقلُّهم وهم الذين مع لوط.

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا ٱلَّذِى

---

(١) بعض الآية (٧٤) من سورة الحجر.

(٢) قتادة: هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي البصري، أبو الخطّاب، محدّث، مفسِّر، حافظ، كان من أوعية العِلم، قال عنه سعيد بن المسيّب: «ما أتاني عراقي أحفظ من قتادة».

وقال محمد ابن سيرين: «قتادة أحفظ الناس». مات سنة ١١٧هـ.

انظر: تهذيب الأسماء واللُّغات (٢/٥٧)، وسير أعلام النبلاء (٥/٢٦٩).

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٤١٢)، وأنوار التنزيل (٤٩٥)، والبحر المحيط (٧/٣٧).

(٤) بعض الآية (٨٢) من سورة هود.

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٤١٢)، وأنوار التنــزيل (٤٩٥)، والدّر المصون (٨/٥٤٣).

خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ ﴾ [١٧٦-١٩١].

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ الأيكة: الغيظة التي فيها ناعم الشجر الملتفّ(١). وقرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر «ليكة» على وزن ليلة، وهما لغتان كمكة وبكة كذا عن ابن عباس، والخليل(٢).

فمن قال أنّ الأيكة اسم لا يُعرف(٣) فقد شهد على النفي(٤)(٥). قال أبو

---

(١) انظر: الصحاح (٤/١٥٧٣ ـ ١٥٧٤) مادة «أيك»، والمفردات (٩٨) مادة «أيك»، والكشّاف (٤/٤١٢)، وأنوار التنزيل (٤٩٥).

(٢) وقرأ الباقون «أصحاب الأيكة». انظر: السبعة (٤٧٣)، وعلل القراءات (٢/٤٧٧ـ٤٧٨)، والحجة لأبي علي الفارسي (٥/٥١)، والكشف (٢/٣٢ـ٣٣)، والموضح (٢/٧٢٦، ٩٤٥)، وإبراز المعاني (٦٢١ ـ ٦٢٣). وللتوسع في هذه المسألة انظر: العين (٥١) مادة «أيك»، والصحاح (٤/١٥٧٤) مادة «أيك»، والجامع لأحكام القرآن (١٠/٤٥)، وفتح الباري (٦/٤٥٠)، ولسان العرب (١/١٩٠) مادة «أيك».

(٣) في هامش ص (٢٣/أ)، و«ق» (٢٠/أ): قائله صاحب الكشّاف. انظره في (٤/٤١٢)

(٤) في «ص»: المنفي.

(٥) قول المصنّف «على النفي» أي: نفي القراءة بـ«ليكة»، وقال بقول الزمخشري من العلماء المبرد، وابن قتيبة، والزجاج، والنحاس، وأبو علي الفارسي. وقد ناقش أبو حيان أصحاب هذا القول وقال: «وهذه نزعة اعتزالية، يعتقدون أنّ بعض القراءة بالرأي لا بالرواية، وهذه قراءة متواترة لا يمكن الطعن فيها، ويقرب إنكارها من الرّدة». ثمّ ناقش القائلين بأنها لا تعرف في لسان العرب فقال: «وأمّا كون هذه المادة مفقودة في لسان العرب فإن صحّ ذلك كانت الكلمة عجمية،

عبيدة[1]: «رسمت هنا وفي سورة[2] «ص» «ليكة» في الإمام[3]، وفي الـحِجْر و «ق» «الأيكة»»[4].

ومواد كلام العجم مخالفة في كثير مواد كلام العرب، فيكون قد اجتمع على منع صرفها العلمية والعجمة والتأنيث ». وقال الكواشي عن القول أنها لا تعرف: «هذا تحكم ظاهر، ولعله كان مع آدم الطَّيْلا حين عُلِّمَ آدم الأسماء كلّها وضبطها إلى وقت دعواه». انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٩٨/٤)، وإعراب القرآن للنحاس (١٨٩/٣ ــ ١٩٠)، والحجة لأبي علي الفارسي (٣٦٨/٥)، وتلخيص تبصرة المتذكر (٢١١/أ)، وفتوح الغيب (٥٩٤)، والبحر المحيط (٣٧/٧ ــ ٣٨)، والدر المصون (٥٤٤/٨ ــ ٥٤٩)، ولسان العرب (١٩٠/١) مادة «أيك».

(١) في جميع النسخ: أبو عبيدة، وهو خطأ، والصواب أنّ القائل: أبو عبيد القاسم بن سلاّم.

انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٩٨/٤)، وإبراز المعاني (٦٢١ ــ ٦٢٢)، والبحر المحيط (٣٧/٧)، وفتوح الغيب (٥٩٥)، والدر المصون (٥٤٤/٨).

وأمّا أبو عبيد فهو: القاسم بن سلام الهروي الخراساني البغدادي، عالم بالحديث، والأدب، والفقه، ولي القضاء بطرسوس ١٨سنة، ثمّ رحل إلى مصر، وبغداد، وتوفي بمكة عام ٢٢٤هـ، ومن أشهر كتبه: الغريب المصنّف، الطهور، فضائل القرآن وغيرها.

انظر: تاريخ بغداد (٤٠٣/١٢)، ووفيات الأعيان (٦٠/٤).

(٢) في «ص»: صورة.

(٣) الإمام: أي المصحف الإمام الذي كُتِب على عهد عثمان ﷺ. انظر: الإتقان (١٧٠/١).

(٤) انظر: الـمقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار (٢١)، وإبراز المعاني (٦٢١)، ولطائف البيان في رسم القرآن (١٠٠/١)، واختيارات أبي عبيد القاسم بن سلام في القراءات جمعاً ودراسة (٥٩٥/٢). والمواطن كالآتي:

١ــ في سورة الحجر: ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ آية (٧٨).

وهم طائفة من أهل مدين ضاقت بهم البلد، فخرج منها أرباب الأموال والـمُكْنَة إلى أيكةٍ هناك وبنوا بين تلك الأشجار. وما قيل إنّ شعيباً أُرسِل إلى أهل مدين وهم قومه، وإلى أهل الأيكة ولم يكونوا قومه، ولذلك قال ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ولم يقل أخوهم فقد وهم[1]، كيف وفي الحديث: «إنما كان يُبعث النبي إلى قومه وبعثت إلى الأحمر والأسود»[2]. فإن قلت: فلمَ لم يذكره باسم الأخ كما في سائر قصص الأنبياء؟.

قلتُ: كثر في هذه السورة ذكر الأخ، وكانت قصة شعيب آخر القصص فحذف لذلك، وليكون فيه إشارة إلى أنّ القصص قد تـمّت، وقد رمز إلى ذلك بحذف التاء في «كذّب» أيضاً. وهذا من غوامض أسرار القرآن واختصاراته.

٢- في سورة ص: ﴿ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ ﴾ آية (١٣). ٣- في سورة ق: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ آية (١٤).

(١) قاله قتادة، وابن زيد. انظر: جامع البيان (١٩/١٠٧)، وزاد المسير (٦/١٤١)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١٣٥)، وفتح الباري (٦/٤٥٠). واختار ابن كثير أنهم أمّة واحدة فقال: «هؤلاء ـ أعني أصحاب الأيكة ـ هم أهل مدين على الصحيح». تفسير القرآن العظيم (٦/١٦٨). وقال ابن حجر: «والجمهور على أنّ أصحاب مدين هم أصحاب الأيكة». فتح الباري (٦/٤٥٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التيمم، باب (١) (١/١٢٦) ح٣٣٥، ومسلم عن جابر بن عبد الله ﷺ في صحيحه بشرح النووي، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥/٣)، وأحمد في المسند (٢٢/١٦٥) ح١٤٢٦٤ واللّفظ له.

﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ ﴾ إذا كلتم للناس أتموه. ﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴾ حقوقهم بالتطفيف، تصريح بما عُلِمَ ضمناً، ولم يذكر الزيادة؛ لأنها غير واجبة ولا محرمة، بل من الجميل، فإن فعل فبها وإلاّ فلا عيب.

﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ الميزان السوي[1]. وعن الحسن هو القبان[2]، واللّفظ إن كان رومياً فالوزن «فعلال»، وإنما فمن القسط وهو العدل[3] فالسين زائدة والوزن «فعلاس»، وليس من التضعيف وإلاّ لكان وزنه «فعلاع»[4]. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص بكسر القاف[5].

---

(١) قاله الكلبي. انظر: النكت والعيون (١٨٥/٤).

(٢) النكت والعيون (١٨٥/٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٦٩/٦).

والقَبّان: هو الميزان ذو الذّراع الطويلة المقسمّة أقساماً، ينقل عليها جسم ثقيل يُسمّى الرمانة لوزن ما يوزن. انظر: القاموس المحيط (١٥٧٨) مادة «قبن»، والمعجم الوسيط (٧١٣/٢) مادة «قبن».

(٣) قاله ابن عباس، ومجاهد، والشعبي.

انظر: معاني القرآن للنحاس (١٠١/٥)، والنكت والعيون (١٨٥/٤).

(٤) انظر: تهذيب اللُّغة (٣٨٩/٩)، والكشّاف (٤١٢/٤-٤١٣)، والمعرّب (٤٨٨ ـ ٤٨٩)، وأنوار التنزيل (٤٩٦)، وفتوح الغيب (٥٩٥)، والمصباح المنير (٥٠٣).

(٥) وقرأ الباقون بضمّ القاف.

انظر: السبعة (٣٨٠)، والحجة لأبي علي الفارسي (١٠١/٥)، والكشف (٤٦/٢)، والتيسير (١٤٠)، والموضح (٩٤٥/٢)، والنشر (٣٠٧/٢).

﴿ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ ﴾ لا تنقصوها، من بخست الشيء: نقصته، وهو عام في كلّ حقّ غصباً وسرقة وغيرهما[1][2]. ﴿ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ لا تُفسِدوا فيها بالقتل والغارة وقطع الطريق[3] ﴿ مُفۡسِدِينَ ﴾ حال مؤكّدة. ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ الخلقة الأولين، مصدر بمعنى المفعول، من جبله الله: خلقه، ذكره توكيداً لاستحقاقه للتقوى؛ لأنه خلق الأولين الذين هم أُصولهم وآباؤهم وسيُميت[4] هؤلاء كما أمات أُولئك[5]، ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ۝١٨٥ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا ﴾ أدخل الواو بين الوصفين؛ للدلالة على منافاة كلّ منهما الرّسالة استقلالاً، بخلاف قصة ثمود مع صالح، فتكذيب قوم شعيب أبلغ وأقوى من أُولئك[6]. ﴿ وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ في دعواك. ﴿ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ هذا غاية إنكار منهم كما قالت كفار قريش: ﴿ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ

---

(١) في «ص»: وغيرها.

(٢) انظر: المفردات (١١٠) مادة «بخس»، والكشّاف (٤/٤١٣)، والتفسير الكبير (٢٤/١٦٣).

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٤١٣)، والتفسير الكبير (٢٤/١٦٣ـ١٦٤).

(٤) في «ص»: وسميت.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/١٠١)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/١٠٢)، والمفردات (١٨٥ـ١٨٦) مادة «جبل»، والتفسير الكبير (٢٤/١٦٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١٣٦).

(٦) انظر: الكشّاف (٤/٤١٣)، وأنوار التنزيل (٤٩٦)، ونظم الدرر (١٤/٨٩).

فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[1]. وقرأ حفص «كِسَفاً» بالتحريك، والباقون «كِسْفاً»، وكلاهما جمع «كِسْفة» وهي القطعة[2]. ﴿ قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ فيُجازيكم على وفق ذلك بإسقاط الكسف وغيره ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ﴾ قيل: أخذهم بالحرّ الشديد، ومنع عنهم الهواء البارد حتّى قلقلوا[3] وخرجوا إلى الفضاء، فأظلتهم سحابة فوجدوا البرد والرَّوْح منها، فأمطرت عليهم ناراً، وكان ذلك أشدّ؛ لـمجيء العذاب من مظنة الرّحمة[4]. كما فعل مع قوم هود ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[5] ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ وصف اليوم بالعِظَم؛ لِعِظَم[6] الواقع فيه على طريقة المجاز. ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ كرر في أوائل القصص وأواخرها ما

(١) بعض الآية (٣٢) من سورة الأنفال.

(٢) انظر: السبعة (٣٨٥)، والحجة لأبي علي الفارسي (٥/١١٩)، والموضح (٢/٩٤٥)، والنشر (٢/٣٠٨ـ٣٠٩).

(٣) في «ح»: قلعوا.

(٤) انظر: جامع البيان (١٩/١١٠) ونسبه لابن عباس. والوسيط (٣/٣٦٢)، والكشّاف (٤/٤١٤)، وزاد المسير (٦/١٤٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١٣٧).

(٥) الآية (٢٤) من سورة الأحقاف.

(٦) في «ح»: العظم.

كرر؛ لأنها تُلِيَت على الصمّ البكم الذين لا يعقلون، فالأجدر التكثير والتكرير بالوعظ والتذكير؛ إزاحةً للأعذار، وإشاعةً للإبلاغ والإنذار[1].

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ [١٩٢-٢٠٧].

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ خصّ القلب؛ لأنه وعاء العلوم ومدرك المعقولات، والروح الأمين: جبرئيل[2]؛ لأنه واسطة بين الله والرّسل في تبليغ الأحكام[3]. وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وحفص مخففاً، والباقون «نزّل» مشدّداً مسنداً إلى ضمير الله، والروح الأمين منصوباً[4]. ﴿ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ داخلاً في زمرتهم. ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٤١٤)، والبحر المحيط (٧/٣٩).

(٢) في «ح»، «ق»: جبريل، وفي «ص»: جبرئل.

(٣) انظر: التفسير الكبير (٢٤/١٦٥ ــ ١٦٦)، وأنوار التنزيل (٤٩٧).
وقد أجمع المفسّرون على ذلك. قال ابن عطية: «فالروح الأمين: جبريل ــ عليه السلام ــ بإجماع».
المحرر الوجيز (١٢/٧٩)، وانظر: البحر المحيط (٧/٤٠).
وحكى ابن حجر الاتّفاق. انظر: فتح الباري (٨/٣٨٤).

(٤) انظر: السبعة (٤٧٣)، والتيسير (١٦٦)، وحجة الفارسي (٥/٣٦٨ــ٣٦٩)، والنشر (٢/٣٣٦).

واضح؛ لئلا يقولوا ﴿ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾[1] متعلقٌ بنزل، وقيل يجوز تعلقه بالمنذرين[2] بناءً على ما قيل أنّ هوداً وصالحاً وشعيباً وإسماعيل من العرب[3]، وهذا لو فُرِضَ معنى ركيكاً. ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي: القرآن. ﴿ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أي: ذكره أو معناه[4]، وقد يُستَدلّ به لأبي حنيفة أنّ القرآن هو المعنى دون النظم، ولذلك جوّز القراءة بالفارسيّة. والتحقيق أنّ المنزل هو النظم المنزل للإعجاز، ولذلك صحّ رجوع الإمام إلى قول الجمهور[5]. ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن

(١) بعض الآية (٤٤) من سورة فصّلت.

(٢) في هامش «ص»: إذ المعنى حينئذٍ: لتكون من جملة الذين بلّغوا بلسانٍ عربيٍ مبين.

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٤١٤ــ٤١٥)، والتفسير الكبير (٢٤/١٦٨)، وأنوار التنزيل (٤٩٧)، والبحر المحيط (٧/٤٠)، والدرّ المصون (٨/٥٥١).

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٤١٥)، وأنوار التنزيل (٤٩٧). والقول بأن ذِكر القرآن في زبر الأوّلين هو المراد قال به جمهور المفسرين، وهو المختار عند الطبري. انظر: جامع البيان (١٩/١١٣)، والنكت والعيون (٤/١٨٧)، ومعالم التنزيل (٣/٣٩٨)، والمحرر الوجيز (١٢/٧٩ ــ ٨٠)، وزاد المسير (٦/١٤٤).

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٤١٥)، والبحر المحيط (٧/٤٠)، وحاشية ابن عابدين (١/٥٠٦).

وقال الشيرازي في المهذّب (١/٨٠): «فإن قرأ القرآن بالفارسية لم يجزه؛ لأنّ القصد من القرآن اللّفظ والنظم وذلك لا يوجد في غيره». قال النووي شارحاً هذا القول: «مذهبنا أنه لا يجوز قراءة القرآن بغير لسان العرب سواء أمكنه العربية أو عجز عنها، وسواء كان في الصلاة أو غيرها، فإن أتى بترجمته في صلاة بدلاً عن القراءة لم تصحّ صلاته سواء أحسن القراءة أم لا. هذا مذهبنا وبه قال جماهير العلماء منهم مالك وأحمد وداود». وانظر المسألة بتوسّع في المحلّى

﴿يَعْلَمَهُ﴾ أي: القرآن. ﴿عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بنعته في كتبهم، وكانت كفّار قريش يسألون أهل الكتّاب عن أحوال رسول الله، والمراد: عبد الله بن سلام[1] وأضرابه ممن آمن، لا مَن حرّف الكَلِم من بعد مواضعه[2]، وقرأ ابن عامر «تكن» مؤنثاً، ورفع «آية» على أنّ «كان» تامّة[3] و«آية» فاعلها، و«أن يعلمه» بدل من الفاعل، أو خبر مقدّر[4]، والتقدير: بأن يعلمه [بدل من الفاعل][5]، أو لأن، أو ناقصة واسمها ضمير القصّة، و«أن يعلمه» اسمّية مقدّمة الخبر خبرها، أو الخبر «لهم آية»، و«أن يعلمه» على الوجوه الثلاثة[6]، أو هو من قبيل: مزاجها

(٢٥٤/٣)، والمجموع شرح المهذّب (٣/٣٧٩ـ٣٨٠). وانظر: شرح العقيدة الطحاوية (١٢٤)، والبرهان في علوم القرآن (١/٤٦٤ ـ ٤٦٧)، ومناهل العرفان (٢/٥٨ـ٥٩).

(١) عبد الله بن سَلَام بن الحارث، صحابي جليل، كان اسمه الحصين فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الله، أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة وروى عنه، كان من علماء اليهود، مات بالمدينة سنة ٤٣هـ.
انظر: التاريخ الكبير (١٨/٥)، وسير أعلام النبلاء (٤١٣/٢).

(٢) انظر: الكشّاف (٤١٦/٤)، والتفسير الكبير (١٦٩/٢٤).
والقول بأنّ المراد به عبد الله بن سلام قال به مجاهد. انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣٨/١٣).
وعلى هذا القول فالآية مدنية، وبه قال مقاتل. انظر: المحرر الوجيز (٨٠/١٢).

(٣) كان التامة: فعل غير ناسخ بمعنى حدث أو وجد، وكان الناقصة: فعل ماضي ناقص يرفع الاسم وينصب الخبر. انظر: الكتاب (١/٤٥ـ٤٦)، ومعجم القواعد العربية (٣٤٥) وما بعدها.

(٤) في «ص»: مقدراً.

(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح»، «ق».

(٦) في الأصل، «ح»، «ص»: الثلثة.

عسلٌ وماء[1]، وفيه ضعف، والأَوْلى[2] التذكير والنصب؛ لعدم الإضمار والتقدير[3]. ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴾ أي: القرآن كما هو، أو بلغة العجم، والعجمة لغةً: اللّكنة، ولما كان مَن يتكلّم بغير لسان العرب لا يفقهون كلامه سمّوه أعجم، والأعجمي جمع أعجمي بتخفيف الياء لا أعجم؛ لأن «أفعل فعلاء» لا يجمع[4] بالواو والنون كذا نُقِل عن الزّجاج[5]. والحقّ: أنّ اللّفظ منقول فلا مانع[6]. ﴿ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾ لعدم فهمهم، أو لفرط

---

(١) قول المصنّف: «مزاجها عسل وماء» جزء من بيت شعر لحسان بن ثابت وتمامه:

كأن سلافة من بيت رأس ... يكون مزاجها عسل وماء.

من بحر الوافر، يصف فيها الخمر قبل تحريمها. والشاهد: مجيء الخبر معرفة والمبتدأ نكرة على سبيل الضرورة. انظر: ديوانه (٥٩)، والكتاب (١/٤٩)، والمقتضب (٤/٩٢)، مغني اللّبيب (٢/٤٥٣)، والدّر المصون (٤/٤٧٢)، والخزانة (٩/٢٢٤).

(٢) والقراءة بالتذكير اختيار أبي عبيد، وأبي حاتم، وابن خالويه، ومكي القيسي، والهذلي، وابن إدريس. ورجحها أبو الحسن الأخفش، وأبو جعفر النحاس.
انظر: اختيارات مكي بن أبي طالب في كتابه الكشف عن أوجه القراءات السبع دراسة موازنة (٨٤٣ـ٨٤٤).

(٣) وقراءة الباقين بالتذكير في «يكن» والنصب في «آية».
انظر: السبعة (٤٧٣)، والحجة لأبي علي الفارسي (٥/٣٦٩ ـ ٣٧٠)، والموضح (٢/٩٤٦ـ ٩٤٧)، والكشّاف (٤/٤١٦)، والبحر المحيط (٧/٤١)، والدر المصون (٨/٥٥٢ ـ ٥٥٤)، والنشر (٢/٣٣٦).

(٤) في «ح»: لا الجمع.

(٥) قال الزّجاج: «الأعجمين جمع أعجم، والأنثى عجماء، والأعجم الذي لا يُفصِح، وكذلك الأعجمي، فأمّا العجمي فالذي من جنس العجم أفصح أو لم يُفصِح».
معاني القرآن وإعرابه (٤/١٠٢، ٣٨٩).

(٦) اختلف العلماء في جمع «أفعل فعلاء» بالواو والنون على قولين:

عنادهم واستنكافهم. ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أدخلناه أي: الكفر والتكذيب[1] دلّ عليه ﴿مَا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾، أو القرآن عرفوه بإعجازه، وأنكروه يؤيده قوله ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن[2]. ﴿حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ حين لا ينفع الإيمان. فإن قلتَ: لـمَ آثر[3] في سورة الحجر «نسلكه»[4] بلفظ المضارع؟.

قلتُ: لأنه فرّعه على قوله ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١١﴾[5] الدّال على استمرار الأُمم المكذّبة على الاستهزاء. والكلام هنا في كفّار قريش المختوم على قلوبهم. ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ في الدّنيا وفي

الأوّل: قول البصريين وهو المنع إلاّ في الضرورة.

الثاني: قول الكوفيين وهو جوازه مطلقاً. ومال المصنّف هنا إلى قول الكوفيين.

انظر: الكتاب (٤١٠/٣)، ومعاني الأخفش (٦٤٧/٢)، ومعاني الفراء (٢٨٣/٢)، والكشّاف (٤/ ٤١٦)، والمحرر الوجيز (٨٠/١٢ ـ ٨١)، والبحر المحيط (٤١/٧)، والتبيان (١٠٠١/٢ـ١٠٠٢)، والدر المصون (٥٥٤/٨ـ٥٥٦)، ولسان العرب (٢٨٢٥/٥) مادة «عجم».

(١) قاله ابن عباس، ومجاهد، ويحي بن سلام.

انظر: النكت والعيون (١٨٨/٤)، ومعالم التنزيل (٣٩٩/٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٣٩/١٣).

(٢) في «ح»: القرآن.

(٣) في «ح»: آثره.

(٤) بعض الآية (١٢) من سورة الحجر.

(٥) الآية (١١) من سورة الحجر.

الآخرة"[1]. ﴿ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾. ﴿ فَيَقُولُواْ هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ ﴾ تأسفاً على مقدار طرفة عين؛ لما هم فيه اليوم"[2]. والفاء للترتيب الرّتبي، فإنّ مفاجأة العذاب أشدّ من رؤيته. ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ﴾ ردٌّ لقولهم ﴿ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾[3] الهمزة للإنكار والفاء لترتبه على الكلام السابق، والمعنى: أيستعجل بمثل [هذا][4] العذاب [الأليم][5] عاقل، أو يُقال لهم يوم القيامة[6] توبيخاً لهم حُكِيَ لنا لطفاً[7]، والمضارع على هذا بمعنى الماضي، وأوثر؛ لاستحضار تلك الصورة، أو يُقدَّر كانوا. ثمّ قال: ﴿ أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ۝٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ۝٢٠٦ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴾ مرتباً على الاستهزاء والاستعجال تعجيباً من حالهم، وهذا كما تقول[8] لمن اغترّ بكثرة العشائر والأموال: هبّ أنك بلغت فوق ما تأمل أليس

(١) انظر: أنوار التنزيل (٤٩٧).

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٤٩٧).

(٣) بعض الآية (٣٢) من سورة الأنفال.

(٤) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٦) في «ح»، «ص»، «ق»: القيمة.

(٧) قال القزويني في الكشف على الكشّاف: «ويحتمل أن يكون هذا حكاية توبيخ، فعلى هذا هو كلامٌ يوبخوك به يوم القيامة حكي لنا لطفاً» (٣٧٤/أ).

(٨) في «ح»: يقول.

بعده الموت؟!. والخطاب عام إشارة إلى أنّ هذا القصّة من حقّها أن يُخبرَ بها كلّ أحدٍ؛ ليتعجب منها كلُّ سامع. وعلى الأوّل متعلق بقوله ﴿ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴾، وقوله ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ معترضٌ؛ للتبكيت.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [٢٠٨-٢٢٧].

﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾ من الأنبياء والرُّسل. ﴿ ذِكْرَىٰ ﴾ نصب على المصدر بمعنى: تذكرةً؛ لأنّ «ذكر»، و«أنذر» متقاربان، أو مفعول له(١)

(١) المفعول له: مصدر يُذكر لبيان سبب الفعل وله شروط هي:

١ـ كونه مصدراً قلبياً.

٢ـ أن يُفيد التعليل.

٣ـ أن يتّحِد مع المعلل به في الفاعل والوقت.

انظر: شرح قطر النّدى (٢٠١)، ومعجم القواعد العربية (٤٤٥).

أي: لأجل الموعظة، أو حال من ضمير «منذرون» أي: ذوي تذكرة، أو رفع خبر مبتدأ محذوف بمعنى: هذه ذكرى، والجملة اعتراضية[1]، أو صفة لـ«منذرون» إمّا بتقدير مضاف أي: ذو ذكرى، أو جُعِلوا نفس الذكرى؛ لمبالغتهم في التذكير وإمعانهم فيه، أو متعلّق بمقدّر والمعنى: ما أهلكنا من قرية إلاّ بعد إلزام الحجة؛ ليكون إهلاكهم تذكرةً وعبرةً لمن يفعل مثل فعلهم، وهذا أليق بالمقام؛ لدلالته على وعيد المستهزئين وأنهم أحقّاء بأن يجعلها عبرة لمن بعدهم[2].

﴿ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ بأن نهلك قبل الإنذار، وهذا على المتعارف؛ إذ لا يُتصوّر الظُّلم من المالك الموجد تعالى[3]. ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ كما يزعم الكفّار أنه من إلقاء الشياطين إلى الكّهان[4]. ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ ﴾؛ لسفالة محلّهم ﴿ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ وما يقدرون على ذلك. ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ كانوا

(١) قال الزمخشري بكون الجملة اعتراضية، وتبعه الرّازي، والبيضاوي.
انظر: الكشّاف (٤/٤١٨)، والتفسير الكبير (٢٤/١٧١)، وأنوار التنزيل (٥٩٨). والجملة الاعتراضية: جملة لا محل لها من الإعراب تعترض بين شيئين متلازمين؛ لتقوية الكلام، أو تحسينه، أو توضيحه.
انظر: معجم القواعد العربية (١٩٩).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٢٨٤)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/١٠٢ـ١٠٣)، والكشّاف (٤/٤١٨)، والمحرر الوجيز (١٢/٨٢)، والبيان (٢/٢١٧)، وأنوار التنزيل (٤٩٨)، والبحر المحيط (٧/٤٤)، والدر المصون (٨/٥٦١ـ٥٦٢).

(٣) في «ق»: تعلى.

(٤) انظر: المحرر الوجيز (١٢/٨٢)، وأنوار التنزيل (٤٩٨).

يسترقون السمع إلى الملائكة[1] ويأخذون منهم الأخبار ويلقونـها إلى الكهنة، فلمّا بُعِث رسول الله حُجِبوا ورُجِموا، وهذا ما قالوا ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾[2].

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ الخطاب له والمراد غيره، فإنّ شأن الملوك خطاب الخواص بما لا يُتصوّر وقوعه منهم؛ مبالغةً في زجر العّامة[3]. أو هو من باب الإلهاب؛ لازدياد الإخلاص[4]. ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ الأقرب فالأقرب، ليكون تبليغه بعد ذلك في الأبعد أنجع، ولأنّ عشيرته ربما اعتمدوا على قرابته فقطع دابر شبهتهم[5]. روى البخاري عن ابن

---

(١) في الأصل، «ص»، «ق»: الملئكة.

(٢) الآية (٩) من سورة الجنّ.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرسلت عليهم الشّهب، فرجعت الشياطين فقالوا: ما لكم؟، فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأُرسلت علينا الشّهب ... الحديث».

أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب (٧٢) (٣/٣١٦) ح٤٩٢١.

(٣) انظر: التفسير الكبير (٢٤/١٧٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١٤٢)، والمختصر في أُصول الفقه (١١٤).

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٤١٩).

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٤١٩)، والتفسير الكبير (٢٤/١٧٢).

عباس أنها لما نزلت صعد رسول الله ﷺ إلى الصفا[1] فجعل يُنادي: يا بني فِهْر[2]، يا بني عبد مناف[3] لبطون قريش، وكان الرّجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو؟، فجاء أبو لهب[4] وقريش. فقال رسول الله: أرأيتكم لو أخبرتكم أنّ خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مصدّقي. قالوا: نعم، ما جرّبنا عليك إلاّ صدقاً. قال: فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا، فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾[5][6].

---

(١) الصّفا: في اللُّغة العريض من الحجارة الأملس، والصفاء مكان مرتفع من جبل أبي قبيس، من وقف عليه كان مُحاذياً للحجر الأسود. انظر: معجم البلدان (٣/٤١١).

(٢) بنو فهر: بطن من كنانة، وهم بنو فهر بن غالب بن مالك بن النضر بن كنانة، ويُقال لهم: الظواهر. انظر: جمهرة أنساب العرب (١٢)، ونهاية الأرب (٣٥٣).

(٣) بنو عبد مناف: بطن من قريش، وهم بنو عبد مناف بن قصيّ، كانت فيهم السّقاية والرّفادة، كان أبوهم عبد مناف يُسمّى قمر البطحاء، وكانت له الشوكة في قريش.
انظر: جمهرة أنساب العرب (١٤)، ونهاية الأرب (٣١١ــ٣١٢).

(٤) أبو لهب: عبد العزى بن عبد المطّلب بن هاشم القرشي، عمّ رسول الله ﷺ وأحد الشجعان في الجاهلية، ومن أشدّ أعداء الإسلام والمسلمين، نزل فيه وفي امرأته سورة المسد، مات بعد معركة بدر بأيام في السنة الثانية. انظر: جمهرة أنساب العرب (٧٢)، والبداية والنهاية (٥/٧٧).

(٥) الآيتان (١،٢) من سورة المسد.

(٦) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب «وأنذر عشيرتك الأقربين» (٣/٢٧٢ــ٢٧٣) ح٤٧٧٠. و«تباً لك»: التبّ والتّباب: الدّعاء بالخسران، أو بالهلاك والدّمار.

﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ خفض الجناح مثلٌ في التواضع ولين الجانب، فإنّ الطائر عند الانحطاط يكسر جناحه، «من» بيانية؛ لأنّ مَن اتّبعه أعمّ من المؤمنين ومن اتّبع لغرضٍ آخر، أو تبعيضية، والمراد بالمؤمنين المشارفون[1] والمصدّقون باللّسان دون القلب[2]. ﴿فَإِنۡ عَصَوۡكَ﴾ عشيرتك والمؤمنون. ﴿فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ من عملكم، لم يقل «منكم» إشارة إلى أنّ المجانبة عارضة بخلاف قول إبليس ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ﴾[3]؛ لأنّ المباينة ذاتية، والعداوة صلبية[4]. ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فوّض أمرك إلى مَن هو غالب لا يُغالب، يقهر أعداءك[5] وينصرك وأولياءك[6].

انظر: المفردات (١٦٢) مادة «تبّ»، وفتح الباري (٨/٧٣٧).

(١) المشارفون: مَن شارف أن يؤمن، أي: دنا من الإيمان، فيتواضع لهم تأليفاً واستمالة.

انظر: فتوح الغيب (٦٠٨–٦٠٩)، والمعجم الوسيط (١/٤٧٩) مادة «شرف».

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٤٢١)، والتفسير الكبير (٢٤/١٧٣)، وأنوار التنزيل (٤٩٨).

(٣) بعض الآية (٤٨) من سورة الأنفال.

(٤) قال أبو حيّان: «﴿بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ لا منكم، أي: أظهر عدم رضاك بعملهم وإنكارك عليهم، ولو أمره بالبراءة منهم ما بقي بعد هذا شفيعاً للعصاة». البحر المحيط (٧/٤٧).

(٥) في «ح»: بقهر أعدائك.

(٦) في الأصل، «ص»، «ق»: وأوليائك.

قرأ نافع، وابن عامر بالفاء عطفاً على جزاء الشرط، أو على قوله «فلا تدع»، أو بدل من جواب الشّرط، والواو أظهر وعليه الرّسم العراقي والمكي، وعلى الفاء المدني والشّامي[1].

﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ للتهجد ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ لما نُسِخ قيام اللّيل طاف تلك اللّيلة على بيوت أصحابه لينظر ما يصنعون؛ حرصاً على طاعتهم، فوجدها كبيوت الزنابير ما بين تالٍ ومصلٍّ وذاكر[2]. وقيل أراد قيامه وقعوده وسجوده إذا أمّهم في الصلاة[3][4]. روي أنّ قتادة سأل أبا حنيفة رحمه الله هل تجد في القرآن ذكر الصلاة[5] جماعة؟. فقال: لم يحضرني، فقرأ عليه قتادة هذه الآية[6]. وقيل: أراد انتقال نوره في أصلاب الأنبياء وبطون الأُمهات الطّاهرة[7].

---

(١) وقراءة الواو هي قراءة الباقين. انظر: السبعة (٤٧٣)، والحجة لأبي علي الفارسي (٥/٣٧٠)، والتيسير (١٦٧)، والموضح (٢/٩٤٧)، والنشر (٢/٣٣٦).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٤٢٢)، والتفسير الكبير (٢٤/١٧٣)، وأنوار التنزيل (٤٩٨).

والزنابير: جمع زنبور أو زنبار: وهو حشرة تشبه النحلة أليمة اللّسع من الفصيلة الزنبوريّة.

انظر: المعجم الوسيط (١/٤٠٢) مادة «زنب».

(٣) في الأصل: الصلوة.

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٤٢٢)، والتفسير الكبير (٢٤/١٧٣).

(٥) في الأصل: الصلوة.

(٦) انظر: معالم التنزيل (٣/٤٠٢)، والكشّاف (٤/٤٢٢)، وزاد المسير (٦/١٤٨).

(٧) قاله ابن عباس. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٩/٢٨٢٨)، ومعالم التنزيل (٣/٤٠٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١٤٤).

وردّ الشنقيطي هذا القول؛ لعدم صحّته. انظر: أضواء البيان (٦/٣٨٨).

وعلى الوجوه علّة لاستحقاقه قهر أعدائه ونصر أوليائه[1]. ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لأقوالك ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بنيّتك وإخلاصك.

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ كثير الكذب والعصيان، كالكهنة والمتنبئة مثل شِقّ[2]، وسطيح[3]، وطليحة[4]، ومسيلمة[5]. ومحمد[6] نبي معصوم لا مناسبة بينه وبين الشياطين.

---

(١) اختار الرازي العموم وقال: «وإذا احتمل كلّ هذه الوجوه وجب حمل الآية على الكلّ ضرورة أنه لا منافاة ولا رجحان». التفسير الكبير (١٧٤/٢٤).

(٢) شِق بن مصعب بن يشكر القسري البجلي الأغاري، كاهن، جاهلي من عجائب الخلق، كانت له يد واحدة، ورجل واحدة، وعين واحدة، عاش إلى ما بعد ولادة النبي ﷺ، وكان قد عمّر طويلاً، وذكر ابن حزم أنه كان له نسل.
انظر: جمهرة أنساب العرب (٣٨٨)، وتاريخ ابن خلدون (٨٤/١).

(٣) سطيح: ربيع بن ربيعة بن مسعود المازني، كاهن جاهلي من المعمّرين، كان العرب يحتكمون إليه ويرضون بقضائه، سمّي سطيحاً؛ لأنه كان منبسطاً منسطحاً على الأرض لا يقدر على قيام أو قعود، وكان يُضرب المثل بجودة رأيه، مات سنة ٥٢ قبل الهجرة.
انظر: جمهرة أنساب العرب (٣٧٤)، والأغاني (٣٠٥/٤).

(٤) طليحة بن خويلد الأسدي، شجاع، فصيح، متنبئ، قدم على النبي ﷺ في وفد بني أسد سنة ٩هـ وأسلم، ولما عاد ارتدّ وادّعى النبوة في حياة النبي ﷺ، وبعد موت النبي ﷺ كثر أتباعه، وقد أرسل له أبو بكر الصدّيق خالد بن الوليد، فانهزم طليحة، وفرّ إلى الشام، ثمّ أسلم وأبلى في الفتوح وقد استشهد بنهاوند سنة ٢١هـ.
انظر: تهذيب الأسماء واللّغات (٢٥٤/١).

(٥) مسيلمة بن ثمامة بن كبير الحنفي الوائلي، أبو ثمامة، متنبئ من المعمرين، عُرف برحمان اليمامة، قدم مع وفد بني حنيفة وأظهر الإسلام، ولما رجع الوفد ادّعى النبوة أواخر سنة ١٠هـ، أرسل الصّديق لقتاله خالد بن الوليد وتمكّن من قتله سنة ١٢هـ بعد استشهاد طائفة كبيرة من خيار الصحابة. انظر: شذرات الذهب (٢٣/١)، والكامل لابن الأثير (١٣٧/٢).

(٦) صلى الله عليه وسلّم.

﴿ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾ أي: يستمع الشياطين إلى الملائكة كما ورد يختطف كلمة فيَقُرها[1] في آذان وليّه كما تقرّ[2] الدّجاجة، فيخلط فيها أكثر من مائة كذبة[3]. أو يُلقون المسموع إلى أوليائهم. أو الضمائر لكلّ أفّاك أي: يستمعون إلى الشياطين فيتلقون وحيهم، أو يُلقون ما سمعوه منهم إلى الناس. والضمير في «أكثرهم» إن كان للشياطين فقيد الأكثرية؛ لإخراج مَن يصدق في الكلمة المخطوفة. وإن كان للأفّاك فلأنه لا يلزم أن يكون كاذباً في كلّ ما يتكلّم به، فالأكثرية باعتبار أقوالهم. وقيل: أُريد بالأكثر الكلّ، ومحل «يُلقون» إمّا نصب

---

(١) في «ح»: فنقرها.

(٢) في «ص»، «ق»: يقر، وفي «ح»: نقر.

(٣) أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سأل أُناس رسول الله ﷺ عن الكهّان، فقال لهم رسول الله ﷺ: ليسوا بشيء، قالوا: يا رسول الله فإنهم يحدّثون أحياناً بالشيء يكون حقّاً. فقال رسول الله ﷺ: تلك الكلمة من الحقّ يخطفها الجني فيقرها في أُذن وليه قرّ الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة».

انظر: كتاب الأدب، باب (١١٧) قول الرّجل للشيء «ليس بشيء» (١٣١/٤) ح٦٢١٣.

وقوله في الحديث: «قرّ الدجاجة» شبّه ترديد الكلام في أُذن الكاهن بترديد الدّجاجة صوتها في آذان صويحباتها. والقرّ في الأصل: الصبّ.

انظر: الصحاح (٧٩٠/٢) مادة «قرر»، والكشّاف (٤٢٣/٤)، وفتح الباري (٢٢٠/١٠).

على الحال، أو جرّ صفة «أفـاك»، أو استئناف كأنه قيل: لم تنزل الشياطين على كـلّ أفّاك؟. فقيل: يفعلون كيت وكيت[1].

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ ما يتّبعهم إلاّ الـضّالون، وأتبـاع محمـد[2] علماء صديقون، فكيف يكون شاعـراً كـما تزعمـون. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ في كلّ نوعٍ من الكلام مـدحاً، أو ذمّـاً، أو نـسيباً[3]، أو غـزلاً يُلفقّـون مخيلات باطلة، وأكاذيب صريحة، فذكر الوادي والهيام تمثيـل[4]. ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ سمع سليمان ابن عبد الملك[5] قول الفرزدق ـ شعر ـ:

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٤٢٤)، والمحرر الوجيز (١٢/٨٥)، وأنوار التنـزيل (٤٩٨)، والبحر المحـيط (٧/٤٨)، والدّر المصون (٨/٥٦٥).

(٢) صلى الله عليه وسلّم.

(٣) أو نسيباً: النسيب: التغزل بالنساء والتشبب بهنّ. وقيل هو: رقيق الشعر في النساء.

انظر: الصحاح (١/٢٢٤) مادة «نسب»، ولسان العرب (٧/٤٤٠٥ــ٤٤٠٦) مادة «نسب».

(٤) الـهُيَام: مصدر هام يهيم هيماً، وهو الحبّ، ويُطلَق على العِشق، وقد يُراد به: الجنون من العشق. انظر: تهذيب اللُّغة (٦/٤٦٧) مادة «هام».

(٥) سليمان بن عبد الملك بن مروان، الخليفة الأموي، ولي الخلافة بعد أخيه الوليد سـنة ٩٦هــ، فأحسن إلى الناس، وأطـلق الأسرى، وعفا عن المجرمين، كان عاقلاً فصيحاً طموحاً إلى الفتوح، فتحت في عهده جرجان، وطبرستان، وسيّر جيشاً إلى القسطنطينية بقيادة أخيه مسيلمة، مات سنة ٩٩هــ.

وبتن بجانبي مصرَّعاتٍ ... وبتّ أفضّ أغلاق الختام[1]

قال: يا فرزدق وجب عليك الحدّ، فقال: يا أمير المؤمنين قد درأ الله عني الحد بقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾[2]. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ استثناء لشعراء المؤمنين كحسّان، وعبد الله بن رواحة[3]، وكعب بن مالك الأنصاري[4]، وكعب بن زهير[5] المهاجر[6]. وفي

انظر: التاريخ الكبير (٢٥/٤)، ووفيات الأعيان (٤٢٠/٢)، وسير أعلام النبلاء (١١١/٥).

(١) البيت من بحر الوافر.
انظر: ديوان الفرزدق (٨٣٦)، وأساس البلاغة (٣٤٣) مادة «فضض»، ومشاهد الإنصاف (١٢٠).

(٢) انظر: الكشّاف (٤٢٥/٤ـ٤٢٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٤٨/١٣ـ١٤٩)، ووفيات الأعيان (٩٤/٦)، والبحر المحيط (٤٩/٧).

(٣) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، أبو عمرو، شهد العقبة وبدراً وأحد والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، استشهد في غزوة مؤتة سنة ٨هـ.
انظر: تهذيب الأسماء واللّغات (٢٦٥/١)، وتهذيب التهذيب (٢١٢/٥).

(٤) كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري السلمي، أبو عبد الله، شهد العقبة وبايع بها، وتخلّف عن بدر، وشهد أحداً وما بعدها، وتخلّف عن تبوك، وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم، توفي سنة ٥٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٥٢٣/٢)، والإصابة (٣٠٩/٥).

(٥) كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، أبو المضرّب، شاعر فحل، ولما ظهر الإسلام هجا النبي ﷺ وشبب بنساء المسلمين، فأهدر النبي ﷺ دمه فجاءه كعب مستأمناً وقد أسلم، وأنشد لاميته المشهورة، فعفا عنه النبي ﷺ وخلع عليه البردة، مات سنة ٢٦هـ.
انظر: الشعر والشعراء (٨٦)، وخزانة الأدب (٣٣٣/٢).

(٦) في «ق»، «ص»: المهاجري، وفي «ح»: من المهاجرين.

وصفهم بذكر الله كثيراً إشارة إلى أنهم وإن وقع منهم في أشعارهم شيء من الغلو على ما هو دأب الشعراء فغير[1] مؤاخذٌ به؛ لكونه معموراً[2] بذكر الله[3].

﴿وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ كما فعل شعراء الصّحابة، حين هجا كفّار قريش رسول الله فقابلوهم بالهجاء، ومدح رسول الله بما هو أهله[4].

روى البخاري ومسلم والترمذي عن عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله تعالى[5] يؤيد حسّان بروح القدس ما نافح عن رسوله»[6][7].

---

(١) في «ح»: فيصر.

(٢) في «ح»: مغموراً.

(٣) قال القرطبي: «وأمّا الشعر المذموم الذي لا يحلّ سماعه وصاحبه ملوم، فهو المتكلم بالباطل حتى يُفضِّلوا أجبن الناس على عنترة، وأشحّهم على حاتم، وأن يبهتوا البريء ويفسِّقوا التّقي، وأن يُفرِطوا في القول بما لم يفعله المرء؛ رغبة في تسلية النفس وتحسين القول، وقال الشافعي: «الشعر نوع من الكلام حسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام»».
الجامع لأحكام القرآن (١٣/١٤٨ــ١٥١).

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٤٢٦)، وأنوار التنزيل (٤٩٩).

(٥) في «ق»: تعلى.

(٦) في «ق»: رسول الله.

(٧) أخرجه الترمذي بلفظ المصنّف في سننه، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في إنشاد الشعر (٦٣٩ــ٦٤٠) ح٢٨٤٦، وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح. وأخرجه البخاري بلفظ: «يا حسّان أجب عن رسول الله ﷺ، اللهم أيّده بروح القدس». وبلفظ: «أُهجهم أو هاجهم وجبريل معك» من غير طريق عائشة. انظر: كتاب الصلاة، باب الشعر في المسجد

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ وعيد شديد لمن ألقى السّمع وهو شهيد، وأطلق الظّلم؛ ليتناول كلّ ظلم ويدخل فيه من كذّب بالقرآن وأعرض عنه، وهو الذي صدّر به السورة، فانتظم الفاتحة مع الخاتمة.

وفي إبهام «أي منقلب» من التهويل ما لا يخفى. ولـمّا أيس الصدّيق من الحياة[1] استكتب عثمان بن عفّان كتاب العهد: هذا ما عهد ابن أبي قحافة إلى المؤمنين في الحال التي يؤمن فيها الكافر، أني استخلف عليكم عمر بن الخطّاب، فإن عدل فذاك ظني به، وإن لم يعدل فسيعلم الذين ظلموا أي منقلبٍ ينقلبون[2].

تـمّت السورة والحمد لله على آلائه.

* * * *

(١٦٣/١) ح٤٥٣، وكتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٤٢٥/٢) ح٣٢١٣. ومسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسّان بن ثابت (٤٩/١٦).

(١) في الأصل، «ق»: الحيوة.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٩٩/٣ ـ ٢٠٠)، وأنوار التنزيل (٤٩٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٨٨/٦).

تفسير
سورة النمل

«سورة النمل»

مكية وهي ثلاث[1] [أو أربع وتسعون آية][2][3].

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ۝٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [١ــ٦].

﴿ طسٓۚ ﴾ اسم السورة، أو حروف مقطّعة عُدِّدت إيقاظاً[4]، وأمال ألف «طاء» حمزة، والكسائي، وأبو بكر[5]. ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ﴾ تلك إشارة إلى آي السورة، والكتاب المبين إمّا اللّوح، وإبانته: كونه مبيناً للناظرين ما خُطّ فيه[6]، وإمّا السورة، أو القرآن، وإبانتهما: إظهار ما أودِع فيهما من الحِكَم والأحكام، أو كون إعجازهما بيّناً مكشوفاً، وفيه احتمالات أُخر ذُكِرت في أوّل

---

(١) في «ح»، «ص»: ثلث.

(٢) ما بين المعكوفتين مطموسة في «ق».

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٤٢٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١٥٤).

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٤٢٩).

(٥) وقرأ الباقون بالفتح. انظر: التبصرة (٦١٦)، والنشر (٢/٧٠)، والإتحاف (٩٠).

(٦) في «ق» زيادة: أو ظاهر لهم فيه ذلك.

الحجر"[1]. والعطف إن أُريد به القرآن باعتبار الصفات، والتنكير للتفخيم، وتقديم القرآن هنا وتأخيره في سورة الحجر قد أُشير إلي وجهه هناك[2]. ﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ حالان من الآيات، أي: هادية ومبشرة، والعامل معنى الإشارة، أو رفعاً على خبرية محذوف، أو البدلية أو الخبرية بعد الخبر[3]. ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ أي: الذين يعملون الصّالحات كلّها اكتفاءً [تامّاً][4] في الأعمال البدنية والمالية، ﴿ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ اعتراض يؤكّد[5] ما وصفوا به. الإيقان بالآخرة يستلزم الخوف المستلزم لتحمل مشاق التكليف، ولذلك كرّر فيها الضمير كأنه قيل: بالآخرة يوقنون لا بغيرها وهم المؤمنون لا غيرهم، أو هو

---

(١) عند قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ ﴾ الآية (١).

قال المصنّف: «والكتاب والقرآن: السورة، أو القرآن كلّه، والعطف؛ لتغاير الصفات، أو الكتاب: اللّوح المحفوظ، والقرآن: السورة أو المجموع، أو الكتاب: السورة، والقرآن المجموع، وهو الوجه». الأصل (١٥٣/ب). وانظر: غاية الأماني (١/) تحقيق: العباس الحازمي.

(٢) قال المصنّف: «ولما كان في التعريف نوعٌ من المخالفة وفي التنكير آخر جمع بينهما، ونكّر القرآن هنا وعرّفه في النمل وقدّمه؛ لأن كونه قرآناً أدلّ على خصوص المنزل على محمد ﷺ، والحديث هناك عن المنزل المخصوص؛ لقوله: ﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾. الأصل (١٥٣/ب). وانظر: الكشّاف (٤٢٩/٤)، وأنوار التنزيل (٤٩٩)، وملاك التأويل (٥٥٢/٢ـ٥٦٠).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٠٧/٤ ـ ١٠٨)، والكشّاف (٤٢٩/٤ـ٤٣٠)، والدر المصون (٥٧٠/٨).

(٤) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٥) في «ح»: توكيد.

من تتمة الصّلة وتغيير النظم؛ للدلالة على كمال يقينهم، والواو عاطفة لا حالية"[1][2]. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أتبع ما للمؤمنين من البشرى بما للكفار من سوء العذاب، وتزيينها: جعلها مشتهاة لهم[3]، وقوله: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[4] مجاز باعتبار الوسوسة. ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ حائرون بعد ذلك لا يُدركون ما فيها من الضرّ والنفع.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ في الدنيا بالقتل والأسر وضرب الجزية[5]. ﴿وَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾؛ لأنهم خسروا جِوار الله في دار النعيم وقُرِنوا مع الشياطين في النار. ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٤٣٠)، وأنوار التنزيل (٤٩٩)، والدّر المصون (٨/٥٧٠ـ٥٧١).

وقال أبو حيّان عن قول الزمخشري: «أنّ الجملة اعتراضية»: «هو على غير اصطلاح النحاة في الجملة الاعتراضية من كونها لا تقع إلاّ بين شيئين متعلق بعضهما ببعض، كوقوعها بين صلة وموصول، وبين جزأي إسناد، وبين شرط وجزائه، وبين نعت ومنعوت، وبين قَسَمٍ ومقسم عليه، وهنا ليست واقعة بين شيئين مما ذُكِر». البحر المحيط (٧/٥٣).

(٢) في هامش الأصل، «ص»: جوّز القاضي الحال و لم يرضه المؤلف؛ لأنه فصّل وقيّد بلا فائدة.

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٤٩٩).

(٤) بعض الآية (٢٤) من سورة النمل.

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٤٣١).

والجزية: ما يؤخذ من أهل الكتاب مقابل حقن دمائهم، ولا تؤخذ الجزية من المشركين.

انظر: المفردات (١٩٥) مادة «جزي»، والقاموس المحيط (١٦٤٠) مادة «جزى».

قال أبو حيّان: «وسوء العذاب الظاهر أنه ليس مقيّداً بالدنيا، بل لهم ذلك في الدنيا والآخرة». البحر المحيط (٧/٥٤).

لَتُعْطَاه(1)، مِن تلقّيْت الشيء: أخذته، وذكر العليم بعد الحكيم تعميم بعد التخصيص؛ إشارة إلى اشتمال القرآن على البراهين والخِطابات، والتنكير للتعميم، كأنه قيل: أيّ حكيم وأيّ عليم(2).

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٨ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١١ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ۝١٢ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١٣ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [٧-١٤].

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ﴾ «ٱمْكُثُوٓا۟»(3) نُصِبَ باذكر، أو متعلق بـ«عليم» كأنه قال(4):

ما أعلمه إذ فعل بموسى ما فعل، وما يُتَوَهّم من تقييد العلم بالوقت مندفعٌ؛ لأنه مفهوم اللّقب، [وإنما جمع الضمير في «امكثوا» باعتبار لفظ الأهل،

(1) في «ح»: لتعظ.

(2) انظر: التفسير الكبير (٢٤/١٨٠)، وأنوار التنزيل (٤٩٩).

(3) بعض الآية (٢٩) من سورة القصص، وقد أدرجها المصنّف هنا.

(4) في «ق»: قيل.

إذ لم يكن مع موسى سوى إمرأة[1]][2][3]. ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ أبصرتها، ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ﴾ مِن حال الطريق، وإيثار السين؛ لأن النار بالليل وإن تُرى قريبة ربما كانت بعيدة[4]. ﴿أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ﴾ بشعلة من النار، ﴿قَبَسٖ﴾ مقبوسة، يُقال: أقبست[5] العِلْمَ وقبست النار[6].

وقرأ الكوفيون بالتنوين بدلاً أو صفة[7]. ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾ تستدفئون بها؛ فإنها كانت [ليلة][8] شاتية، مِن صليت[9] اللّحم: شويته، ولا تدافع بين قوله: ﴿سَـَٔاتِيكُم﴾ [هنا][10] و﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم﴾ في «طه»[11]؛ لأنّ الراجي إذا قوي رجاؤه

(١) في «ح»، «ص»: امرأته.

(٢) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/١٠٨)، والكشّاف (٤/٤٣١)، والتفسير الكبير (٢٤/١٨١).

(٤) انظر: أنوار التنزيل (٤٩٩)، والبحر المحيط (٧/٥٥).

(٥) في «ح»، «ص»: اقتبست.

(٦) انظر: المفردات (٦٥٢) مادة «قبس»، والكشّاف (٤/٤٣٢).

(٧) وقرأ الباقون «بشهابِ قبسٍ» بالإضافة.

انظر: التيسير (١٦٧)، والموضح (٤/٩٥١)، والبحر المحيط (٧/٥٥)، والدر المصون (٨/٥٧٢ـ٥٧٣)، والنشر (٢/٣٣٧).

(٨) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٩) في الأصل: صلبت.

(١٠) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(١١) بعض الآية (١٠).

يقول: سأفعل، وذلك[1] باعتبار الوقتين. وأختار «أو» على الواو؛ بناءً على أنه إن لم يظفر بكلتا البغيتين فلن يُعدم أحديهما[2]، ولم يخطر بقلبه أنه فائز بما دونه كلّ الأماني من رتبة الرّسالة[3].

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾ أي المكان القريب منها، ﴿نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ أي في البقعة التي فيها النار، وهم موسى والملائكة[4] الحاضرون[5]. ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ومن سكن حولها في الأرض المقدّسة يتناول كلّ مَن يسكن بالشام[6]. وفي الحديث: «الشام كنز الله في أرضه وبها كنزه في عباده»[7]. وقيل: مَن في النار: الملائكة[8]؛ فإنها كانت في نفس النار، ومن حولها: موسى[9]، والأوّل هو الوجه؛

(١) في «ح»، «ق»: ذلك.

(٢) كذا في جميع النسخ، والصواب: أحدهما.

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٤٣٢).

(٤) في الأصل، «ح»، «ق»: الملئكة.

(٥) انظر: معالم التنزيل (٣/٤٠٦)، والمحرر الوجيز (١٢/٩٢)، وزاد المسير (٦/١٥٥).

(٦) انظر: الكشّاف (٤/٤٣٢)، وأنوار التنزيل (٥٠٠).

(٧) أخرجه معمر بن راشد في الجامع عن كعب موقوفاً (١١/٢٥١)، وأورده الطبري في جامع البيان (١٧/٤٦) بلفظ «ذُكِر» عن كعب بلا سند. وأخرج أحمد في المسند (٢٨/٢١٦) ح١٧٠٠ قوله ﷺ: «عليك بالشام، فإنّه خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده» وهو صحيح بطرقه، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في سكنى الشام (٣/٤) ح٢٤٨٣، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٥٩)، والعجلوني في كشف الخفاء (٢/٢ـ٣).

(٨) في الأصل، «ق»: الملئكة.

(٩) قاله السّدي، وأبو صخر.

لأنّ تصدير الكلام به عند مجيء موسى بشارة بأنه قد قضي أمر عظيم ينتشر[1] بركته[2]، ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الذي لا يفعل إلاّ ما فيه حكمة؛ تمهيداً لما يريه من قلب العصا واليد البيضاء][3]، من تمام النداء تنزيهاً له تعالى[4] عن التشبيه المتوهّم من إيجاد الصوت والحروف[5]، وتعجيباً لموسى من ذلك، وإيذاناً بأنّ المقضي له من جلائل الأمور وعظائمها؛ لأنه آثر تكوين ربّ العالمين. وجعله من كلام موسى تعجيباً[6] منه بعيد؛ لأنّ قوله: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ من كلام الله تعالى معطوفاً على «بورك»، وأيضاً لو كان من كلامه لكان الظاهر ترك الواو، وقد أظهر حرف التفسير في القصص في قوله: ﴿وَأَنْ أَلْقِ

(١) في «ق»: تنتشر.

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٤٣٢)، وأنوار التنزيل (٥٠٠).

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح»، «ص»، «ق».

(٤) في «ق»: تعلى.

(٥) قرّر المصنّف هنا قول الأشاعرة. والصواب أنّ كلام الله يكون بالصوت والحرف على ما يليق به تعالى. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قول القائل إنّ الله لا يتكلم بصوت ونحو ذلك كلام لم يقله أحد من سلف الأمّة وأئمتها، وليس فيه حديث لا صحيح ولا ضعيف، وأمّا الإثبات ففيه عدّة أحاديث في الصحاح والسنن والمسانيد». مجموع الفتاوى (٦/٥٣٠-٥٤٤)، (١٢/١٣٠).

(٦) في «ح»، «ص»: تعجباً.

عَصَاكَ ﴾[1] وحذفه هنا، وكلّ منهما شائع تقول: كتبت إليك أنْ حُجّ وأنْ اعتمرْ، وإن شئت قلت: أنْ حُجّ واعتمرْ[2][3]. ﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ ﴾ أي: ألقاها وصارت حيّة، فلما رآها تتحرك، يُقال: هـزّه: حرّكه فاهتزّ[4]. ﴿ كَأَنَّهَا جَآنٌّ ﴾ حيّة سريعة[5]. ﴿ وَلَّىٰ مُدْبِرًا ﴾ أعرض هارباً. ﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ ولم يرجع بعد الهرب كنايةً عن غاية الخوف، يُقال: عقّب المقاتل: إذا كرّ بعد الفرار، وإنما خاف؛ لظنّه أن قلب العصا حيّة لإمرٍ أُريد به، إذْ[6] كان ذلك أوّل الأمر[7]، ولم يدر أنه نبي[8]. ولذلك قال ﴿ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾؛ لأنهم مكرمون مقرّبون وأنت منهم. ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾ نفسّه منهم بترك الأفضل، أو بارتكاب خلاف الأولى، أو بترك المأمور سهواً، فإنه خائف ﴿ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ ﴾ تدارك[9] ما فرط منه بالإنابة

(١) بعض الآية (٣١).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٤٣٣)، والبحر المحيط (٧/٥٦).

(٣) في «ح»، «ق»، «ص» زيادة «يا موسى إنه» الشأن «أنا الله العزيز» الغالب «الحكيم» الذي لا يفعل إلاّ ما فيه حكمة؛ تمهيد لما يريد من قلب العصا واليد البيضاء».

(٤) انظر: المفردات (٨٤٠) مادة «هزّ».

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/١٠٩)، والنكت والعيون (٤/١٩٦).

(٦) في «ح»: إذا.

(٧) في «ح»: الأوّل.

(٨) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/١٠٩)، والمفردات (٥٧٥ـ٥٧٦)، والكشّاف (٤/٤٣٣)، وأنوار التنزيل (٥٠٠).

(٩) في «ح»: تدار.

كما قال يونس[1] ﴿ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2]، وكما قال موسى[3]: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي ﴾[4]. وفيه تعريض لطيف بموسى حيث قتل[5] القبطي من غير إذنٍ من الله تعالى[6]، وإن كان كافراً حربياً[7]، ﴿ فَإِنِّي غَفُورٌ ﴾ أتجاوز عمّا فرط منه، ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ أتفضّل عليه بعد التوبة. ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ قيل: كان عليه مدرعة صوفٍ لا كمّ لها، أو أُريد بالجيب القميص؛ لأنه من لوازمه[8]. ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ آفة برص[9]. ﴿ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ ﴾ كلامٌ مستأنف أي: اذهب إلى فرعون وقومه في تسع آياتٍ كقوله ـ شعر ـ: فقلت إلى الطعام فقال منهم فريقٌ نَحسِدُ[10] الإنسَ الطعاما[11].

---

(١) عليه السلام.

(٢) بعض الآية (٨٧) من سورة الأنبياء.

(٣) عليه السلام.

(٤) بعض الآية (١٦) من سورة القصص.

(٥) في «ح»: قال.

(٦) في «ق»: تعلى.

(٧) انظر: التفسير الكبير (٢٤/١٨٤).

(٨) انظر: معالم التنزيل (٣/٤٠٨)، وأنوار التنزيل (٥٠٠).

(٩) قاله ابن عباس. انظر: معاني القرآن للنحاس (٥/١١٧)، وأنوار التنزيل (٥٠٠).
والبرص: بفتح الباء والراء بياضٌ يقع على الجسد لعلّة.
انظر: المفردات (١١٨) مادة «برص»، والمعجم الوَسيط (١/٤٩) مادة «برص».

(١٠) في «ق»: تحسد.

(١١) قائله: تأبط شرّاً، أو سمير بن الحارث الضبي، أو شمر بن الحارث الغسّاني. وهو من بحر الوافر.
انظر: الحيوان (٤/٤٨١ ــ ٤٨٢)، (٦/١٩٧)، والنوادر (١٢٤)، والكشّاف (١/١٠١)، والبحر المحيط (٧/٥٨)، والدر المصون (٨/٥٧٩)، وخزانة الأدب (٦/١٧٠).

وهي: الطوفان، والجراد، والقمّل، والضفادع، والدّم، والطّمسة، والجدب، واليد، والعصا(١). أو متعلق بالمذكور أي: ألق عصاك وأدخل يدك في تسع آياتٍ في عدادها وجملتها. وأمّا نتق(٢) الجبل(٣) وفلق البحر(٤) فليسا من الآيات التي بعث بها. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾ تعليل للإرسال. ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ [أي: يجعلهم بصراء، أو [وصفت](٥) بوصفهم؛ لأنهم بسبب منها بنظرهم وتأملهم على طريقة المجاز الحكمي، أو جعلت كأنها تُبْصِر فتهتدي](٦)؛ لأن الأعمى لا اهتداء له، فضلاً عن الهداية على طريقة

والشاهد في البيت: فقلت إلى الطعام، أي: هلمّوا إليه، والمحذوف هنا في حكم الموجود الظاهر.

(١) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠].

وقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَـٰتٍ مُّفَصَّلَـٰتٍ﴾ [الأعراف: ١٣٣]. وقال عن الطّمسة: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]. والقمّل: جمع قُمّلة وهي حشرة صغيرة تتولّد على البدن بسبب العفونة، وتطلق على حشرة أُخرى تلتصق بجلد البعير عند الهزال.

انظر: المفردات (٦٨٤) مادة «قمل»، والمعجم الوسيط (٢/٧٦٠) مادة «قمل».

(٢) في «ق»: شقّ.

(٣) قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧١].

(٤) قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣].

(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٦) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

الاستعارة المكنية[1]. ﴿قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ ظاهر لا اشتباه فيه. ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾ الجحد [هو][2] الإنكار مع العلم ضمّن معنى التكذيب فعدّي بالباء[3]. ﴿وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾ الواو للحال و«قد» مضمرة، أي: جحدوا باللّسان موقنين بالقلب، والاستيقان أبلغ من الإيقان[4]. ﴿ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾ حالان [من][5] فاعل «جحدوا»، أو منصوبان على العِلّية[6].

والعلوّ: الترفّع، وقريء «غُلوّاً» بالمعجمة، وهو التجاوز[7]. ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ تأمّل يا محمد عاقبتهم وهو[8] الإغراق في الدّنيا، ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ[9] يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ﴾[10]، والإتيان بالظاهر لبيان العِلّة.

---

(١) الاستعارة المكنية: هي ما حُذف فيها المشبّه به، ورُمِزَ إليه بشيء من لوازمه.

انظر: التبيان في علم المعاني البديع والبيان (٢٣٤)، والبلاغة الواضحة (٧٧).

(٢) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٣) انظر: المفردات (١٨٧) مادة «جحد»، وعمدة الحفّاظ (٣٥٥/١) مادة «جحد».

(٤) انظر: الكشّاف (٤٣٥/٤)، والتفسير الكبير (١٨٤/٢٤).

(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٦) انظر: أنوار التنـزيل (٥٠٠)، والبحر المحيط (٥٨/٧)، والدر المصون (٥٨٠/٨ــ٥٨١).

(٧) انظر: التبيان في إعراب القرآن (١٠٠٦/٢)، والدر المصون (٥٨١/٨).

(٨) في «ح»، «ص»، «ق»: وهي.

(٩) في النسخ جميعها: القيمة.

(١٠) بعض الآية (٨٥) من سورة البقرة.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [١٥-٢٢].

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ﴾ طائفة من العلم، وهي علم الشرائع والأحكام[١]، أو علماً عزيزاً[٢]، وإنما أورد قصة داود وسليمان عقيب قصة موسى؛ لأنّ موسى أُبتُلِيَ فصبر، وهما أُعطِيا فشكرا، إشارة إلى حسن الاقتداء بهما في السّراء والضّراء. ﴿ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ لم يعطف بالفاء كما تقول: أعطيته[٣] فشكر؛ لأنه عطفٌ على مقدّر، كأنه قيل: فعملا

(١) انظر: النكت والعيون (١٩٨/٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٦٣/١٣)، والتفسير الكبير (١٨٥/٢٤).

(٢) انظر: الكشّاف (٤٣٥/٤)، والتفسير الكبير (١٨٥/٢٤).

(٣) في «ح»: لا أعطيته.

بذلك العلم قلباً وجوارحاً وقالا الحمد لله[1]، إشارة إلى أنّ شكر اللّسان إنما يحسن إذا كان مسبوقاً بعمل القلب وسائر الجوارح، ففيه استيعابٌ لأنواع الشكر على أحسن وجه، وهذا أحسن مما قيل: فوّض الترتيب إلى العقل؛ لأن المقام يستدعي مزيد الشكر، وإنما قيد بالكثير؛ لأنّ قليلاً فُضِّل عليهم، وهم خوّاص الأنبياء من أُولي[2] العزم[3]. وفي الآية دلالة على فضل العلم وأهله، وأنّ ملك الدنيا بأسره على أكمل وجه كما كان لداود وسليمان دونه، وأنّ من أُوتي علماً ينبغي أن يتواضع ويعلم أنه وإن فُضِّل على بعض فقد فُضِّل عليه البعض[4].

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ ورث العلم والنبوة والملك[5]، ومعنى الوراثة فيها: قيامه مقام داود في تلك الصفات. وعن الحسن: ورث المال؛ لأنّ النبوة عطية

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٢٤/١٨٥)، والدر المصون (٨/٥٨١).

(٢) في «ح»: أوّل.

(٣) قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ الأحقاف بعض الآية (٣٥).
وقال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وعطاء الخراساني، وابن السائب: «إنّ أُولي العزم من الرّسل هم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام».
وذكر ابن الجوزي في المراد بهم عشرة أقوال.
انظر: جامع البيان (٢٦/٣٧)، وزاد المسير (٧/٣٩٢ ـ ٣٩٣)، وأنوار التنزيل (٦٧٠).

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٤٣٥)، والتفسير الكبير (٢٤/١٨٥)، وأنوار التنزيل (٥٠١).

(٥) قاله قتادة، والكلبي.
انظر: النكت والعيون (٤/١٩٨)، ومعالم التنزيل (٣/٤٠٨)، وزاد المسير (٦/١٥٩).

مبتدأة[1]. إن صحّ عنه ذلك فلعله لم يبلغه الحديث: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»[2].

﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ نادى الناس؛ إظهاراً لنعمة الله، ودعاءً لهم على التصديق بالمعجزة التي هي[3] فهم كلام الطير.

والمنطق: هو الكلام المركّب من الأصوات مفرداً كان أم مركّباً[4].

قال ـ شعر ـ: فلما التقينا ما نطقت ولا حرفاً[5].

---

(١) تفسير السمرقندي «بحر العلوم» (٢/٥٧٥)، والتفسير الكبير (٢٤/١٨٦).

(٢) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي بلفظ: «لا نورث ما تركنا صدقة». صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب قول النبي ﷺ لا نورث ما تركنا صدقة (٤/٢٣٦، ٢٣٧) ح٦٧٢٦، ٦٧٢٧، وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجهاد والسير، باب حكم الفيء (١٢/٨٢)، وسنن أبي داود، كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب في صفايا رسول الله ﷺ من الأموال (٣/١٤٠ـ١٤٥)، وسنن الترمذي، كتاب السير، باب ما جاء في تركة رسول الله ﷺ (٣٩٠) ح١٦١٠، وأخرجه أحمد في مسنده بلفظ: «إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركتُ بعد مئونة عاملي ونفقة نسائي صدقة» (١٦/٤٧) ح٩٩٧٢، وهو صحيح الإسناد.
وقال ابن كثير: «قوله: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» هذا الحديث بهذا اللّفظ لم أره في شيء من كتب السّنة». تحفة الطالب (٢٥٠) ح١٣٨.
وقال ابن حجر: «وأمّا ما اشتهر في كتب الأصول وغيرهم بلفظ «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» فقد أنكره جماعة من الأئمة، وهو كذلك بالنسبة لخصوص لفظ نحن». فتح الباري (١٢/٨).

(٣) في «ح»: من.

(٤) انظر: المفردات (٨١١ ـ ٨١٢) مادة «نطق»، والكشّاف (٤/٤٣٧ ـ ٤٣٨)، وأنوار التنزيل (٥٠١)، والكليّات (٧١٠، ٨٨٧).

(٥) لم أهتد إلى قائله فيما توفّر لديّ من المصادر والمراجع.

وفهمه كلام الطيور مثل فهمنا كلام الناس إلاّ أنا نفهم ذلك بألفاظ موضوعة، والأنبياء يفهمون من غير سبق وضعٍ وتعلّم[1]، بل بإعلام الله تعالى كما وقع لرسول الله[2] ﷺ من كلام الضبّ والظبي والبعير وتسليم الحجر[3].

---

(١) في «ح»: تعليم.

(٢) في «ح»: رسول الله.

(٣) **كلام الضبّ**: عن عمر رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ كان في محفلٍ من أصحابه إذ جاء أعرابي قد صاد ضباً، فقال: ما هذا؟ قالوا: نبي الله، فقال: واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضبّ، وطرحه بين يدي النبي ﷺ، فقال: النبي ﷺ: يا ضبّ، فأجابه بلسانٍ عربي مبين يسمعه القوم جميعاً: لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة. قال: من تعبد؟. قال: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عقابه. قال: فمن أنا؟.

قال: رسول ربّ العالمين وخاتم النبيين، وقد أفلح مَن صدّقك، وخاب مَن كذّبك، فأسلم الأعرابي. أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (٢/١٥٤).

وانظر: الشفا (١/٤٣٥ـ٤٣٦)، ومجمع الزوائد (٨/٢٩٣).

وكلام الظبي: عن أُمّ سلمة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ في صحراء، فنادته ظبية: يا رسول الله. قال: ما حاجتك؟، قالت: اصطادني هذا الأعرابي ولي خِشْفَان في ذلك الجبل، فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع، قال: وتفعلين، قالت: نعم، فأطلقها، فذهبت ورجعت، فأوثقها، فانتبه الأعرابي وقال: يا رسول الله ألك حاجة؟. قال: تطلق هذه الظبية، فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنك رسول الله».

روي أنّ سليمان مرّ بطاووس[1] يصيح، فقال: هل تدرون ما يقول؟ قالوا: لا. قال: يقول: كما تدين تدان. وسمع صياح هدهد[2]، فقال يقول: استغفروا الله يا

أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/٣٥٨) ح٥٥٤٧. وقال ابن كثير: في تحفة الطالب (١٨٧): «هذا الحديث متنه فيه نكارة وسنده ضعيف». وانظر: الشفا (١/٤٤١)، ومجمع الزوائد (٨/٢٩٤)، وفتح الباري (١٢/٢٦٧).

وكلام البعير كما في الحديث: «...، وكان لا يدخل أحدٌ الحائط إلاّ شدّ عليه الجمل، فلما دخل عليه النبي ﷺ دعاه، فوضع مشفره على الأرض، وبرك بين يديه فخطمه، وقال: ما بين السماء والأرض شيء إلاّ يعلم أني رسول الله إلاّ عاصي الجنّ والإنس».

أخرجه أحمد في المسند (٢٢/٢٣٦) ح١٤٣٣٣، وقال المحقق: «صحيح لغيره وهذا إسناد حسن»، وعبد بن حميد في المنتخب (٣/٦١) ح١١٢٠، والدارمي في سننه (١/٢٤) ح١٨.

وتسليم الحجر: عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسلّم عليّ قبل أن أُبعث إني لأعرفه الآن».

أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجارة عليه قبل النبوة (١٥/٣٦).

(١) الطاووس: طائر حسن الشكل، كثير الألوان، يظهر في مشيته كالمعجب بريشه وبنفسه.

انظر: المعجم الوسيط (٢/٥٧٠) مادة «طاس»، والموسوعة العربية العالمية (١٥/٥١٢).

(٢) الـهُدْهُد: بضمّ الهاء وإسكان الدال، ويُجمع على هداهد وهداهيد، وهو جنس من الطير له قنزعة على رأسه، وألوان ريشه جميلة، يُطلق رائحة كريهة عندما يُهاجم.

انظر: المعجم الوسيط (٢/٩٧٨) مادة «هدهد»، والموسوعة العربية العالمية (٢٦/٩٣).

مذنبون[1]. ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ كناية عن الكثرة، وإيثار «أوتينا» باعتبار ملكه وملك داود على طريقة الملوك[2].

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ الواضح، إذ كلٌّ من العلم والنبوة والملك فضلٌ ظاهر فكيف بالجميع! ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ﴾ الحشر: الجمع من كلّ أوب[3]، وتقديم الجنّ؛ لأنهم أعتى[4] وأبعد من التسخير[5].
﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يحبسون أي: يحبس سُبّاق الجيش حتى يلحق التوالي[6]. وفيه دلالة على أنهم مع كثرتهم كانوا مسوسين مضبوطاً أحوالهم؛ لئلا يتأذى أحد منهم أو بهم.

---

(١) انظر: معالم التنزيل (٤٠٩/٣)، والكشّاف (٤٣٨/٤).

(٢) انظر: الكشّاف (٤٣٨/٤)، وأنوار التنزيل (٥٠١).

وعن قوله تعالى: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ قال الزجاج: «المعنى: أُوتينا من كلّ شيء يجوز أن يؤتاه الأنبياء والناس». معاني القرآن وإعرابه (١١١/٤).
وقال أبو حيان: «ظاهره العموم والمراد الخصوص، أي: كلّ شيء يصلح لنا ونتمناه، وأُريد به كثرة ما أُوتي فكأنه مستغرق لجميع الأشياء». البحر المحيط (٥٩/٧).

(٣) في الأصل، «ص»: أدب.

(٤) في «ح»: أغنى.

(٥) انظر: المفردات (٢٣٧) مادة «حشر»، والتفسير الكبير (١٨٧/٢٤)، ونظم الدرر (١٤١/١٤).
والأَوْب: بفتح الهمزة وإسكان الواو الجهة والطريق.
انظر: القاموس المحيط (٧٦) مادة «أوب».

(٦) انظر: الكشّاف (٤٣٩/٤)، والبحر المحيط (٦٠/٧).

روى أنّ معسكره كان مائة فرسخ[1] في مائة موزعاً على الأنواع:

خمسة وعشرون للجنّ، وخمسة وعشرون للإنس، وخمسة وعشرون للطير، وخمسة وعشرون للوحش، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة[2] مهرة[3] وسبعمائة سرية[4]. وكان له بساط من الذهب والحرير نسجته الجنّ فرسخاً في فرسخ، وكان له منبر من الذهب يوضع في وسط البساط يقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من الذهب والفضة، يقعد على كراسي الذهب الأنبياء، وعلى كراسي الفضة العلماء، وكان يأمر بحمل سريره الريح العاصف ويسيِّره الرّخاء[5].

(١) فَرْسَخ: الفرسخ: مقياس طول، من المقاييس القديمة، يُقدّر بثلاثة أميال.

انظر: المعجم الوسيط (٢/٦٨١) مادة «فرسخ».

(٢) في «ح»، «ص»: ثلثمائة.

(٣) في «ح»: مهيرة. وأورد المفسّرون لفظ «منكوحة»، وحسب السياق يُراد بها الحُرَّة.

(٤) سُرِّيَّة: السرية هي الجارية المملوكة يتخذها مولاها للفراش.

انظر: طلبة الطلبة (٩١)، ولسان العرب (٤/١٩٨٩) مادة «سرر».

(٥) في «ح»، «ص»: الرّخا.

وكان لا يتكلم أحد بشيء إلاّ ألقى الريح ذلك إلى مسامعه[1]. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ أي ساروا إلى أنّ وصلوا ذلك الوادي، وهو وادٍ بالشام كثير النمل[2].

وتعدية الإتيان بـ«على» إمّا لأنّ دخولهم كان من جانبه الأعلى، وإمّا لأنهم قطعوا الوادي من قولهم: أتى على الشيء إذا بلغ نهايته[3]. ﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَـٰكِنَكُمۡ﴾ قيل: كانت نملة عرجاء اسمها طاخية[4][5]، فسمع

---

(١) قاله محمد بن كعب القرظي.

وانظر: معالم التنزيل (٣/٤١٠)، والكشّاف (٤/٤٣٩)، وزاد المسير (٦/١٦٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١٦٧).

قال أبو حيّان: «وتفصيل هذه الأشياء يحتاج إلى صحة نقل، وكان ملكه عظيماً ملأ الأرض وانقاد له أهل المعمور منها». البحر المحيط (٧/٦٠).

وقال ابن كثير: «ومن قال من المفسرين: إنّ هذا الوادي كان بأرض الشام أو بغيره، وإن هذه النملة كانت ذات جناحين كالذباب، أو غير ذلك من الأقاويل فلا حاصل لها». تفسير القرآن العظيم (٦/١٩٤).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٤٤٠)، ومعجم البلدان (٥/٤٣٦).

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٤٤٠)، وأنوار التنزيل (٥٠١).

(٤) في «ح»: طاحنة.

(٥) من غرائب التفسير تسمية النملة باسم علم.

سليمان كلامها من ثلاثة(١) أميال(٢). وما نُقِل عن قتادة أنه دخل الكوفة(٣) [فقال: سلوني عمّا شئتم](٤)، وكان أبو حنيفة إذ ذاك شاباً(٥). فقال: سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكراً أم أنثى؟.

فسألوه فأُفحِم، فقال أبو حنيفة: كانت أُنثى. فقيل له: مِن أين لك ذلك؟. قال: من التاء في «قالت»، ولو كانت أُنثى لم يلحق التاء(٦). ففيه أنّ التاء لا تدل على تأنيث المسمّى، بل هي تاء الوحدة يقع على القبيلين، يُقال: حمامة ذكر

قال السهيلي: «ولا أدري كيف يُتَصَوّر أن يكون للنملة اسم علم، والنمل لا يسمّى بعضهم بعضاً، ولا الآدميون يمكنهم تسمية واحدة منهم باسم علم؛ لأنه لا يتميز للآدميين صور بعضهم من بعض، ولا هم واقعون تحت ملك بني آدم كالخيل والكلاب ونحوها». التعريف والإعلام (٢٣٣)، ومبهمات القرآن (٢/٢٨١).

(١) في «ح»، «ص»: ثلثه.

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٤٤٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١٦٩).

(٣) الكوفة: هي المدينة المعروفة المشهورة بالعراق، بناها سعد بن أبي وقاص بإذن عمر بن الخطّاب رضي الله عنهما، سمّيت بذلك لجبلٍ صغير في وسطها يُقال له كوفان، وأوّل ما بُني فيها هو المسجد. انظر: معجم البلدان (٤/٤٨٩ــ٤٩٣)، والروض المعطار (٥٠١).

(٤) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٥) في «ح»: شاب.

(٦) انظر: الكشّاف (٤/٤٤٠)، والتفسير الكبير (٢٤/١٨٧).

وحمامة أنثى، ولو استدلّ بالضمير من «قولها» لكان أسلم[1][2]. ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ لا يكسرنكم. وأصل[3] الحطم: الازدحام ومنه حطيم الكعبة، وهو ما بين الباب والركن؛ لازدحام الناس فيه[4][5]، «ولا يحطمنكم» إمّا جواب الأمر، فدخول النون؛ لكونه نهياً في المعنى، وإمّا بدل من الأمر؛ لأنه في المعنى نهي؛ لأن قوله «ادخلوا مساكنكم» في معنى: لا تكونوا[6] حيث أنتم[7].

---

(١) انظر: الكشف على الكشّاف (٣٧٦/أ)، والبحر المحيط (٧/٦١)، والدّر المصون (٨/٥٨٤).

وردّ ابن عاشور الرواية بقوله: «واعلم إنّ إمامة أبي حنيفة في الدين والشريعة لا تنافي أن تكون مقالته في العربية غير ضليعة، وأعجب من ذهول أبي حنيفة انفحام قتادة من مثل ذلك الكلام، وغالب ظني أنّ القصّة مختلقة اختلاقاً غير متقن». التحرير والتنوير (١٩/٢٤٢).

وانظر المسألة بتوسع في روح المعاني (١٩/١٧٦ــ١٧٨).

(٢) في هامش الأصل، «ص»: «قوله ولو استدلّ كلام المؤلف فإن صاحب الكشّاف اكتفى بقوله أي: صفة، ورده ابن الحاجب بما ذكره المؤلف من الاشتراك منه».

(٣) في «ح»: أوصل.

(٤) انظر: المفردات (٢٤٢) مادة «حطم»، ومعجم البلدان (٢/٢٧٣).

(٥) في هامش الأصل، «ص»: «تفسير الحطيم بما ذكره هو المعروف، لكن في تفسير ابن عبّاس هو الحجر».

(٦) في «ح»: لا يكونوا.

(٧) انظر: الكشّاف (٤/٤٤١)، والتفسير الكبير (٢٤/١٨٧)، وأنوار التنزيل (٥٠١).

﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ علمت أنّ نبي[1] الله وأتباعه لا يقتلون ظلماً. قيل: فَهِم سليمان قولها وهم لا يشعرون.

﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾ تعجباً من اهتدائها إلى الحذر والتحذير مع صِغَر حجمها، أو سروراً بما آتاه الله من الملك الجسيم، والعدل العظيم من حيث أنّ الحيوان العجم يعلم ذلك[2]، و«ضاحكاً» نصب على الحال، أي: شارعاً في الضحك[3]، وهذا هو ضحك الأنبياء. وما روي أنّ رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، كناية عن التبسّم الكامل؛ لدلالة سائر الأحاديث عليه[4].

﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ ﴾ ألهمني[5] من الوَزْع وهو التقدّم[6].

﴿ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ ﴾ أدرج ذكر والديه إمّا لأنّ النعمة على الولد نعمة على الوالدين لا سيما الدينية، فإنه إن كان براً تقيّاً نفعهما بدعائه وشفاعته ودعاء المؤمنين لهما إذا رأوا منه خيراً، بل الأجداد

---

(١) في «ص»: نبياً نبي.

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٥٠١)، والبحر المحيط (٦٢/٧).

(٣) انظر: التبيان في إعراب القرآن (١٠٠٦/٢)، والبحر المحيط (٦٢/٧)، والدر المصون (٥٩٠/٨).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب «وما قدروا الله حقّ قدره» (٢٨٥/٣) ح٤٨١١، ومسلم في كتاب الإيمان، باب آخر أهل النار خروجاً (٤٠/٣) صحيح مسلم بشرح النووي، وأخرج الترمذي من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء قال: «ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ». وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وفي حديث آخر عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال: «ما كان ضحك رسول الله ﷺ إلاّ تبسّماً». وقال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب. انظر: سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب قول ابن جزء ما رأيت أحداً أكثر تبسماً (٨٣) ح٣٦٤١، ٣٦٤٢.

(٥) قاله قتادة. انظر: النكت والعيون (٢٠٠/٤).

(٦) انظر: لسان العرب (٤٨٢٥/٨) مادة «وزع».

والأسلاف، يقولون: رحم الله أجدادك وأسلافك. وإمّا لأنّ النعمة على الوالدين نعمة على الولد[1] كما تقدّم في قصة بني إسرائيل في أوائل البقرة[2]. ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ بقية عمري، ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ أدخلني الجنّة في عدادهم، ذكر رحمته إشارة إلى أنّ دخول الجنة بفضل رحمة الله، كما ورد في الحديث[3]. ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ التفقد: طلب الشيء بعد غيبته[4]. ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ نظر إلى مكانه فلم يره فتعجّب[5]. ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ «أم» منقطعة أضرب عن تعجبه، وأخذ يقول: أهو غائب كأنه يريد تحقيق ما لاح له. ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بعد ما تبين له أنه غائب،

(١) انظر: الكشّاف (٤/٤٤٤)، والتفسير الكبير (٢٤/١٨٨).

(٢) عند قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ الآية (٤٠).

قال المصنّف: «خصّهم من بين المخاطبين؛ لأنهم أهل العلم وأولى بأن يكونوا أتباع رسول الله شكراً للنعمة اللاّحقة والسابقة على أسلافهم من الإنجاء وإغراق العدو والعفو وقبول التوبة، فإن النعمة على الآباء واصلة بالأبناء». الأصل (١٥/أ).

(٣) في هامش «ص»، «ق»: «لا يدخل أحدكم الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: ولا أنا إلاّ أن يتغمدني الله برحمته».

أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة في العمل (٤/١٨٥) ح٦٤٦٧.

(٤) انظر: المفردات (٦٤١) مادة «فقد»، وزاد المسير (٦/١٦٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١٧٧).

(٥) انظر: التفسير الكبير (٢٤/١٨٩).

والعذاب الشديد: الجمع مع غير جنسه في قفص(1)، وقيل: نتفه وإلقاؤه في الشمس(2)، وقيل: نتفه وإلقاؤه بين النمل لتأكله(3)، وقيل: التفريق بينه وبين إلفه(4)، وقيل: أمره بخدمة أقرانه(5).

﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ سياسةً؛ لئلا يتجرّى(6) على فعل مثله آخر من جنسه. ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ بحجة واضحة دالة على عذره، والمحلوف عليه هو أحد الأوّلين، والثالث في معنى الاستثناء(7). وقرأ ابن كثير «يأتينني» بنونين، نون التأكيد والوقاية، والأوّل أحسن؛ استغناء بالمؤكدة، وعليه رسم المصاحف سوى المكي(8).

---

(1) النكت والعيون (٤/٢٠٢)، ومعالم التنزيل (٣/٤١٢).

(2) قاله ابن عباس. انظر: جامع البيان (١٩/١٤٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١٨٠).

وقال البغوي: «فأظهر الأقاويل أن ينتف ريشه وذنبه، ويلقيه في الشمس ممعّطاً لا يمتنع من النمل ولا من هوام الأرض». معالم التنزيل (٣/٤١٢).

(3) انظر: أنوار التنزيل (٥٠١)، والبحر المحيط (٧/٦٥).

(4) انظر: معالم التنزيل (٣/٤١٢)، وزاد المسير (٦/١٦٤).

(5) انظر: الكشّاف (٤/٤٤٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١٨٠).

(6) في «ق»: تجري، وفي «ح»، «ص»: تجترئ.

(7) انظر: أنوار التنزيل (٥٠١).

(8) وقرأ الباقون بنون واحدة مشددة.

انظر: علل القراءات (٢/٤٨٣)، والتيسير (١٧٠)، والموضح (٢/٩٥٢)، والنشر (٢/٣٣٧).

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ زماناً قليلاً دلّ [على][1] سرعة عوده. قرأ عاصم «مكَث» بفتح الكاف، والضمّ أشهر[2]. وقصة الهدهد أنّ سليمان عليه السلام لما زار البيت الحرام سار على طريقة الملوك غدوة إلى جنوب اليمن[3]، وكانت الريح تحمل[4] سريره وكانت كما أخبره[5] الله تعالى[6] ﴿ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾[7]. فرأى سليمان أرضاً مخضرّة الجهات فنزل وطلب الماء، وكان الهدهد يعرف منابط[8] الماء بخاصية خصه الله بها، يرى الماء تحت الأرض كما يراه أحدنا في الزجاجة، فتفقد الهدهد فلم يوجد، وكان حين نزل سليمان رأى الهدهد واحداً من أبناء جنسه، وذكر له ملك بلقيس وما أُوتيت من الأسباب. قيل: كان تحت يدها إثنى[9] عشر ألف قائد، تحت كلّ قائد مائة ألف، فذهب معه لينظر صدق مقالته.

---

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٢) انظر: الكشف (٢/١٥٥)، والتيسير (١٦٧)، والنشر (٢/٣٣٧).

(٣) في «ح»: جانب اليمن.

(٤) في «ح»، «ص»: يحمل.

(٥) في «ق»: أخبر.

(٦) في «ق»: تعلى.

(٧) الآية (١٢) من سورة سبأ.

(٨) منابط: جمع منبط، وهو موضع خروج الماء من الأرض، من نبط الشيء: ظهر بعد خفائه، يُقال: حفر الأرض حتى نبط الماء.

انظر: لسان العرب (٧/٤٣٢٥)، والمعجم الوسيط (٢/٨٩٧) مادة «نبط».

(٩) كذا في النسخ كلّها، والصواب: اثنا.

ولما تفقد سليمان الطير ولم ير الهدهد فسأل عريف الطير عنه وهو النسر[1] فلم يعلم خبره، فقال لملك الطيور وهو العقاب[2]: عليَّ به حيث كان، فارتفع العقاب إلى الجو فرآه مقبلاً فانقضّ عليه. فقال الهدهد: ناشدتك الله الذي أقدرك عليَّ وأعطاك هذه القوّة إلاّ ترحمني.

فقال: ويلك يا هدهد إن نبي الله عليك غضبان، وقد حلف ليعذبنك. قال: وما استثنى.

قال: بلى، فلما قرب سليمان أرخى جناحه تواضعاً، فلما دنى[3] منه أخذ برأسه ومدّه. فقال: يا نبي الله أُذكر وقوفك بين يدي الله، فارتعد سليمان[4]، فقال:

---

(١) النَّسْر: طائر من الجوارح، حادّ البصر، له جناحان كبيران، وهو سريع الخطى، بطيء الطيران، يأكل الجيف ويستوطن المناطق الحارّة والمعتدلة. انظر: المعجم الوسيط (٢/٩١٧) مادة «نسر».

(٢) العُقَاب: بضمّ العين وفتح القاف طائر من الكواسر، حداّ البصر، له مخالب قويّة ومنقار قصير أعقف. انظر: المعجم الوسيط (٢/٦١٣) مادة «عقب».

(٣) في النسخ كلّها: دنى، والصواب: دنا؛ تقول فيه: دنا يدنو.

(٤) انظر: معالم التنزيل (٣/٤١٢-٤١٣)، والكشّاف (٤/٤٤٥).

وقال الطبري بعد أن ذكر بعض الآثار: «والله أعلم بأي ذلك كان؛ إذ لم يأتنا بأي ذلك كان تنزيل عن رسول الله ﷺ صحيح، فالصواب من القول أن يُقال: إن الله أخبر عن سليمان أنه تفقد الطير، إمّا للنوبة التي كانت عليها وأخلّت بها، وإمّا لحاجة كانت إليها عن بعد الماء». جامع البيان (١٩/١٤٤).

﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾. الإحاطة: إدراك الشيء من الجهات كلّها بحيث لا يبقى[1] منه خافية[2].

ألْـهَمَ الله الهدهد هذا الكلام فكافح به سليمان؛ إيقاظاً له[3]؛ لئلا يظنّ أنه ليس أحدٌ أعلم منه. ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن كثير في رواية البزي بفتح الهمزة غير منون على أنه اسم القبيلة، وفي رواية قنبل بإسكان الهمزة؛ حملاً للوصل على الوقف كما في ﴿يَتَسَنَّهْ﴾[4] و ﴿عِوَجَا﴾[5]. وقرأ الباقون بكسر الهمزة منوناً على أنه اسم الحيّ، وهو لقب لعبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان، قيل سمّي بذلك؛ لأنه أوّل مَن سبأ[6][7]. وفي الحديث سأل رجل رسول الله ﷺ عن سبأ، أهو رجل أم جبل أم وادٍ؟. فقال: بل

(١) في «ق»: لا يبقى.

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٤٤٦).

(٣) في «ح»: اتعاظاً.

(٤) بعض الآية (٢٥٩) من سورة البقرة.

(٥) بعض الآية (١) من سورة الكهف.

(٦) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٥/٣٨٢)، وعلل القراءات (٢/٤٨٤)، والتيسير (١٦٧)، والنشر (٢/٣٣٧).

(٧) في «ح»: سباء.

رجل ولد له عشرة: الأزد[1]، وحِمْيَر[2]، وكِنْدة[3]، وأنمار[4]، [ومذحج][5]، والأشعرون[6]، وتشام[7]، ولخم[8]، وجذام[9]، وغسّان[10]، وعابلة[11]»[12]. وما في الآية أُريد به الناحية التي كانت مساكنهم أو القبيلة.

---

(١) في «ق»، «ح»: الأسد. والأزد: قبيلة عظيمة منها الأوس والخزرج بالمدينة، وبارق وهم بنو عدي، ومنهم بنو الحَجْر، وبنو العتيك. انظر: جمهرة أنساب العرب (٤٨٤).

(٢) بكسر الحاء وإسكان الميم قبيلة عظيمة قديمة باليمن، كان منهم التبابعة ملوك اليمن، وإليهم تنسب اللّغة الحميرية. انظر: جمهرة أنساب العرب (٣٢٩)، ونهاية الأرب (٢٢٢).

(٣) كندة: قبيلة من كهلان بن سبأ، وكندة اسم أبيهم، كان له ملك بالحجاز واليمن.
انظر: نهاية الأرب (٣٦٦).

(٤) أنمار: بنو أنمار بن أراش بن عمرو من كهلان القحطانية، وينتسب إليهم بنو خثعم، وبنو سعد العشيرة. انظر: جمهرة أنساب العرب (٣٨٧)، ونهاية الأرب (٨٨).

(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من النسخ كلّها، والمثبت من رواية الترمذي في سننه.
ومذحج: هم بنو مالك بن أدد من كهلان بن سبأ، وهي من قبائل اليمن.
انظر: جمهرة أنساب العرب (٤٨٥).

(٦) في «ح»: الأشعارون.
والأشعرون: قبيلة من سبأ، منهم الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري، موطنهم باليمن، يُقال لهم بنو الأشعر، وبنو أشعر. انظر: جمهرة أنساب العرب (٤٨٥)، ونهاية الأرب (٥١).

(٧) في الأصل، «ح»: وتشام، وفي «ق»: الشام، وفي «ص»: فتشام وفي «ح».
والصواب هو: وتشاءم، أي: اتّجه ناحية الشام وهو الوارد في الحديث.

(٨) في النسخ كلّها: وتشام ولخم. والصواب: وتشاءم لخم ....
ولخم: قبيلة من كهلان، كان لهم ملك بالحيرة من العراق، وتنسب إليهم دولة بني عبّاد بالأندلس.
انظر: جمهرة أنساب العرب (٤٨٥)، ونهاية الأرب (٣٦٧).

(٩) جذام: بنو جذام بن عدي بن الحراث بن مرّة من كهلان، وجذام أخو لخم وعمّ كندة، كان من ولده: حرام وجُشَم. انظر: نهاية الأرب (١٩١).

(١٠) غسّان: قبيلة من الأزد، وهم بنو جفنة وبنو ثعلبة وبنو الحارث من ولد عمرو بن مزيقيا، استوطنوا اليرموك وحمص من بلاد الشام. انظر: جمهرة أنساب العرب (٤٧٢)، ونهاية الأرب (٣٠٣).

(١١) في الأصل، «ص»، «ق»: عايلة. وفي «ع»: عابلة. والصواب: وعاملة وورد بها الحديث.
وعاملة: وهم بنو الحارث بن عدي من كهلان بن سبأ، استوطنوا بلاد الشام.
انظر: جمهرة أنساب العرب (٤٨٥)، ونهاية الأرب (٣٠٣).

(١٢) حديث حسن الإسناد، وفيه عبد الله بن لهيعة، وبقية رجاله رجال الصحيح.

﴿ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ أي: بخبر مشتمل على العلم الذي لا شكّ فيه كرجل صِدق بالإضافة، و«نبأ» مع «سبأ» من الجناس الملحق[1].

قال تعالى: ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ (٢٥) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ (٢٦) ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ (٢٧) ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ (٢٨) قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ (٣١) قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ (٣٢) قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ (٣٣) قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا

أخرجه أحمد في المسند (٧٥/٥) ح٢٨٩٨، وأبو داود في كتاب الحروف والقراءات (٣٣/٤) ح٣٩٨٨ مختصراً، والترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة سبأ (٧٣٢) ح٣٢٢٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح، والطبراني في الكبير (٢٤٠/١٢) ح١٢٩٩٢، والحاكم في كتاب التفسير، باب تفسير سورة سبأ (٤٢٣/٢) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وانظر: جامع البيان (٥٣/٢٢)، وتفسير القرآن العظيم (٤٩١/٦)، والدّر المنثور (٦٨٧/٦).

(١) الجناس الملحق: أن تختلف الكلمتان مع عدم تقارب المخرج.

انظر: التبيان في علم المعاني، البديع والبيان (٤٨٤).

دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [٢٣-٣٥].

﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ أي: سبأ وأهلها، وهي بلقيس بنت شراحيل بن مالك ابن ريّان. وكان الملك في آبائها أربعين جدّاً، ولم يكن لأبيها ولد ذكر فولّوها الملك(١).

وفي الحديث: «لن يُفلح قومٌ تولّى عليهم إمرأة»(٢). ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ من أسباب الملك. ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ العرش: سرير الملك(٣). قيل: كان ثمانين ذراعاً في ثمانين، وسُمْك ثمانين، وكان من الذهب والفضّة مكلّلاً

---

(١) بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريّان، كان أبوها عظيم الشأن، تولّت الملك بعد وفاة أبيها، وكانت كافرة تعبد الشمس، قدمت على سليمان عليه السلام وأسلمت.

انظر: جمهرة أنساب العرب (٤٣٩)، ومعالم التنزيل (٣/٤١٤)، والمحرر الوجيز (١٢/١٠٤).

(٢) في هامش «ص»، «ق»: «قاله لما سمع المجوس ولوا عليهم بنت كسرى».

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر (٣/١٨١) ح٤٤٢٥، (٤/٣٢١) ح٧٠٩٩.

وقد اتّفق العلماء على أنّ من شروط الإمام أن يكون ذكراً؛ لأنّ الإمامة تحتاج إلى كمال الرأي وتمام العقل، والولايات يُحتاج فيها إلى الدخول في محافل الرّجال، والمرأة ناقصة العقل، ضعيفة الرأي، وهي مع ذلك ملكة البيت في تربية الأولاد والعناية بوظيفة الأُمومة. وأجاز أبو حنيفة أن تلي الحكم فيما تجوز فيه شهادة النساء.

انظر: المغني لابن قدامة (١٤/١٢)، وفتح الباري (١٣/٥٣ـ٥٦)، والإمامة العظمى (١٦٤).

(٣) قال قتادة: «عرش عظيم»: السرير.

وقال ابن بحر: المُلْك. انظر: النكت والعيون (٤/٢٠٤).

وقال القرطبي: «ولها عرش عظيم» أي: سرير، وقيل: العرش هنا: المُلْك، والأوّل أصحّ». الجامع لأحكام القرآن (١٣/١٨٤).

بالجواهر، وكانت قوائمه من ياقوت[1] أحمر وأخضر وزمرد[2]، وعليه سبعة أبيات، وعلى كلّ بيت باب مغلق[3].

﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ كانوا عبدة الشمس. ﴿ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ من السجود لغير الله وغيره من القبائح. ﴿ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ عن طريق الحقّ. ﴿ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ إلى الصواب بعد ذلك الصدّ. ﴿ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ﴾ بدل من «أعمالهم» أي: زيّن لهم عدم السّجود[4]، أو عن «السبيل»، و«لا» صلة أي: فصدّهم عن أن يسجدوا، أو مفعول «يهتدون»، و«لا» صلة، أو مفعول له، أي: فصدّهم لئلا يسجدوا، أو رفع خبر مبتدأ مقدّر، أي: الأعمال أن لا يسجدوا، أو السبيل أن يسجدوا[5]. وقرأ الكسائي «ألا يسجدوا» بالتخفيف، حرف التنبيه والمنادى محذوف، أي: ألا يا قوم، وعلى هذا يتمّ الوقف على «يهتدون». قيل: على هذا هو ابتداء كلام من الله تعالى أو من سليمان، وقيل: هو من تمام كلام الهدهد، والتشديد أوجه؛ لسلامته

(١) ياقوت: الياقوت: حجر كريم، صلب، ولونه في الغالب مشرب بالحمرة أو الزّرقة أو الصفرة، ويستعمل للزينة. انظر: المعجم الوسيط (١٠٦٥/٢) مادة « ».

(٢) زُمُرُّد: الزمرد: حجر من الأحجار الكريمة أخضر اللّون، شفّاف وأشدُّه خضرة أجوده وأصفاه جوهراً. انظر: المعجم الوسيط (٤٠٠/١) مادة «زمر».

(٣) انظر: معالم التنزيل (٤١٤/٣)، والكشّاف (٤٤٧/٤).

(٤) في «ح»: السجد.

(٥) انظر: التبيان في إعراب القرآن (١٠٠٧/٢)، والدر المصون (٦٠٢/٨).

عن الحذف، وعليه صريح الرسم[1]، ويُفْهَم وجوب السجود على الوجهين، إمّا من الأمر، أو الذمّ على الترك[2]. ﴿ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ المخبوء مصدر بمعنى المفعول، هو النبات من الأرض، والمطر من السماء وغيرهما من الأشياء المستورة في غامض علمه[3]. ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ قرأ حفص، والكسائي بالخطاب فيهما، أمّا الكسائي فقد جرى على النسق الأوّل؛ لأن المنادى مخاطب، وأمّا حفص فعلى الالتفات؛ تهديداً[4]. ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩﴾ الذي يُسْتَحقرُ دونه عرش بلقيس، مستأنفٌ؛ للدلالة على استحقاقه العبادة دون غيره؛ لتفرده بالأُلوهية.

(١) والتشديد قراءة الباقين.

انظر: التيسير (١٦٨)، والكشف (٢/١٥٧)، والموضح (٢/٩٥٤)، والبحر المحيط (٧/٦٨–٦٩)، والنشر (٢/٣٣٧).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٤٤٩–٤٥٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١٨٦)، والبحر المحيط (٧/٦٩).

(٣) انظر: النكت والعيون (٤/٢٠٤)، ومعالم التنزيل (٣/٤١٥)، وزاد المسير (٦/١٦٦).

(٤) وقرأ الباقون بالياء.

انظر: السبعة (٤٨١)، والحجة لأبي علي الفارسي (٥/٣٨٥)، والتيسير (١٦٨)، والنشر (٢/٣٣٧).

﴿قَالَ سَنَنظُرُ﴾ سنعلم؛ لأن النظر من أسباب العلم، أو سنتأمل ونُفَتّش. ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [أي][1]: أم كذَبْتَ، والعدول إلى المُنَزّل؛ للمبالغة؛ لأنه إذا كان منخرطاً في سلك الكاذبين يكون كاذباً لا محالة[2].

﴿ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: إليها ومَن تحت حكمها. قرأ عاصم، وأبو عمرو[3]، وحمزة[4] بإسكان الهاء[5]. ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ إلى مكانٍ قريب ليكونوا بمسمعٍ منك[6]. ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ يرجع بعضهم إلى بعض القول، أي: يدفعه عند التشاور، أو هو من الرّجعان، أي: ما يستقر عليه آراؤهم[7]. ﴿قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟﴾ أي: بعد ما ذهب وألقى إليهم الكتاب. ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ﴾ وصَفَتْه[8] بالكرم؛ لأنه كان من مَلِكٍ دانت له الإنس

---

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ص».

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٤٥٠)، وأنوار التنزيل (٥٠٢).

(٣) في «ح»: وأبو بكر.

(٤) في «ق»: حمزة، وأبو عمرو.

(٥) وقرأ ابن كثير، وابن عامر، والكسائي، وورش عن نافع «فألقهي» موصولة بياء، وقرأ قالون «فألقه» مخففة مختلسة الكسرة.

انظر: السبعة (٤٨١)، والتيسير (١٦٨)، والموضح (٢/٩٥٦ـ٩٥٨)، والنشر (١/٣٠٥ـ٣٠٦).

(٦) انظر: الكشّاف (٤/٤٥٠).

(٧) انظر: المفردات (٣٤٣) مادة «رجع»، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١٩١).

(٨) في «ح»: وصفوا.

والجنّ والوحش، أو لشرف معناه وحُسْنِهِ[1]، أو لأنه مصدّرٌ باسم الله[2]، أو لأنه مع وجازته كان وافياً بالمقصود، أو لكونه مختوماً[3].

وفي الحديث: «كرم الكتاب ختمه»[4]. وعن ابن المقفّع[5]: «مَن كتب إلى أخيه كتاباً ولم يختمه فقد استخفَّ به»[6].

﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ﴾ مستأنف جواباً كأنه قيل: ممن هذا الكتاب الكريم، ثمّ بيّن مضمونه بقولها: ﴿وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ وإذا كان[7] قولها إنه من سليمان بيان عنوان الكتاب سقط سؤال تقديم اسمه على اسم الله.

---

(١) قاله قتادة. انظر: النكت والعيون (٤/٤٠٦)، وزاد المسير (٦/١٦٨).

(٢) انظر: معالم التنزيل (٣/٤١٦)، وزاد المسير (٦/١٦٨).

(٣) قاله سعيد بن جبير، والسدي. انظر: النكت والعيون (٤/٤٠٦)، وزاد المسير (٦/١٦٨).

(٤) الحديث موضوع وفي سنده محمد بن مروان السدي الصغير، وهو متروك. أخرجه الطبراني في الأوسط (٤/٥١٩) ح٣٨٨٤، والواحدي في الوسيط (٣/٣٧٦)، والديلمي في الفردوس (٣/٢٩٧). وانظر: تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي (٣/١٦)، ومجمع الزوائد (٨/٩٩)، وكشف الخفاء (٢/١٠٩)، والأحاديث الضعيفة (٤/٦٩) ح١٥٦٧، وحكم عليه الألباني بالوضع.

(٥) ابن المقفّع: عبد الله بن المقفع، فارسي مجوسي، أسلم على يد عيسى بن علي، ولي كتابة الديوان للخليفة المنصور، وأوّل من عُنيَ بترجمة كتب المنطق، اُتّهم بالزندقة فقتله أمير البصرة، قال عنه الخليل: «ما رأيت مثله، وعلمه أكثر من عقله»، مات سنة ١٤٢هـ.
انظر: البداية والنهاية (١٠/٩٦)، وخزانة الأدب (٨/١٧٧).

(٦) انظر: الكشّاف (٤/٤٥١)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١٩٣)، وفيض القدير (٤/٥٥٠).

(٧) في «ح»: إذا كان.

قيل: أُلقيَ إليها الكتاب من الكوة وهي نائمة مغلقة عليها الأبواب[1].

وقيل: أُلقي إليها وهي على العرش جالسة وحولها الملوك والقادة والجنود[2]. فإن قلتَ: الدعاء إلى الله من الأنبياء إنما يكون بعد إظهار المعجزة، فكيف استقام هذا من سليمان؟.

قلتُ: الدعاء إلى الإسلام لا يتوقف على إظهار المعجزة، وإنما يجب الإظهار إذا طولب به مع أنّ مجيء الطير بالكتاب على الوجه المذكور من أبهر المعجزات[3].

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى﴾ في شأني وما يليق بي من جواب الكتاب.

الفتوى والفتيا: جواب الواقعة، من الفتاء[4]: وهو حداثة السنّ، أو من الفتوة: وهو الارتفاع؛ لأنّ الناس يترافعون له إلى الفقيه[5]. ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ كما هو دأب الملوك لا يعزِمون على شيء إلاّ بعد المشاورة مع

(١) انظر: الكشّاف (٤/٤٥٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١٩٠).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٤٥٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١٩٠).

(٣) انظر: التفسير الكبير (٢٤/١٩٥).

(٤) في «ح»: الفتأ.

(٥) انظر: الصحاح (٦/٢٤٥١ـ٢٤٥٢) مادة «فتى»، والمفردات (٦٢٥) مادة «فتى»، والكشّاف (٤/٤٥٢)، والتفسير الكبير (٢٤/١٩٥)، ولسان العرب (٦/٣٣٤٧ـ٣٣٤٨) مادة «فتا».

ذوي الآراء. قيل: كان أهل مشورتها ثلاثمائة[1] ملك، وكلّ ملك تحت يده عشرة آلاف[2][3].

﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ ﴾ بالأجساد والآلات والعدد[4]. ﴿ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ نجدة وشجاعة[5]. ﴿ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ ﴾ بعد هذا. ﴿ فَانظُرِي ﴾ تأمّلي[6]. ﴿ مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ فإنّا منقادون له. ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾ بالقتل والأسر[7].

﴿ وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ﴾ بنهب الأموال وقتل أولادهم وتخريب ديارهم، ﴿ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ أي: ذاك دأبهم المستمّر، كانت تعلم ذلك من المشاهدة والسماع؛ لأنها كانت ملكة بنت الملوك، أو ابتداء كلام من الله تعالى بين كلامها؛ تصديقاً لها[8].

---

(١) في «ح»، «ص»، «ق»: ثلثماية.

(٢) قاله قتادة. انظر: معالم التنزيل (٣/٤١٦)، والكشّاف (٤/٤٥٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١٩٤)، وفيها أنّ أهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر ملكاً.

(٣) في «ح»: عشرة آلاف جند.

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٤٥٢)، وزاد المسير (٦/١٦٩).

(٥) انظر: النكت والعيون (٤/٢٠٨)، والكشّاف (٤/٤٥٢).

(٦) في الأصل: تاء ملي.

(٧) انظر: الكشّاف (٤/٤٥٢).

(٨) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/١١٩)، والنكت والعيون (٤/٢٠٨ ـ ٢٠٩)، والكشّاف (٤/٤٥٣)، وزاد المسير (٦/١٦٩).

﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ ﴾ سنية[1] تليق بالملوك. ﴿ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ من أخباره[2] وأحواله، فأبني على ذلك من الحرب والصلح ما كان أوفق.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٣٦-٤٤].

(١) في «ص»: سنيته.

(٢) في «ص»: أحباره.

﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ ﴾ قيل أرسلت برسم الهدية خمسمائة غلام في زيّ الجواري، وخمسمائة جارية في زيّ الغلمان، وَحُقَّة[1] فيها درّة عذراء[2]، وجَزْعة[3] معوّجة الثقب، وبعثت من أشراف قومها المنذر بن[4] عمرو[5] وآخر ذا رأي.

وقالت: إن كان نبياً يُفرّق بين الجواري والغلمان، ويثقب الدّرة ثقباً مستوياً، ويسلك الخيط في الجزعة، فأخبره جبرئيل[6] بذلك، فضربوا اللّبن من الذهب والفضة، وفرش بها ميداناً طوله سبعة فراسخ، وأمر السُيَّاس[7][8] فربطوا

(١) حُقَّة: بضمّ الحاء وفتح القاف المشددة: وعاء صغير ذو غطاء يُتّخَذ من زجاج أو حديد أو عاج أو غيرها. انظر: المعجم الوسيط (١/١٨٨) مادة «حَقّ».

(٢) دُرّة عذراء أي: غير مثقوبة، والمراد بها اللؤلؤة. قال ابن دريد: «الدّرة ما عَظُم من اللؤلؤ». انظر: لسان العرب (٣/٣٥٨) مادة «درر».

(٣) جَزْعة: نوع من الخرز اليماني له ألوان مختلفة يُضرب به المثل في الجمال، وأشهره الذي به بياض وسواد. انظر: لسان العرب (١/٦١٧) مادة «جزع»، والمعجم الوسيط (١/١٢١) مادة «جزع».

(٤) في الأصل: المنذرين وهو خطأ.

(٥) المنذر بن عمرو: لم أجد له ترجمة.

(٦) في «ح»: فأخبره لسليمان جبرائيل.

(٧) في «ح»: السايز.

(٨) السُيّاس: جمع سائس وهو من يسوس الدواب ويروضها، وأصل السائس من يقوم على الشيء بما يصلحه. والصواب: أن يُجمع سائس على سُوّاس وساسة؛ لأنّ أصل الكلمة سوس، وما أورده المصنّف لا أصل له في اللّغة.

الدواب حول الميدان على فرش الذهب والفضة، وأمر بأولاد الجنّ فأقيم في اليمين واليسار منهم خلق كثير.

واصطفت الإنس والشياطين فراسخ وجلس على الكرسي، ثـمّ اسـتعرض الرّسل فوقفوا بين يديه بالـهدية، فأمر بإحضار الماء وأمر الغلـمان والجـواري بـأن يغسلوا وجوههم، فكانت الجارية تأخذ الماء في إحدى يديها وتـصبّه في الأُخـرى، ثمّ تضرب بها وجهها، والغلام كـما يأخـذ المـاء يـضرب بـه وجهـه[1]، ثـمّ طلـب الـحُقّ[2] وقال: إنّ فيه كذا وكذا. ثمّ استخرج الـدّرة وأمـر الأرضـة[3]، فأخـذت شعرة ونفذت فيها، فجعل رزقها في الشجر، وأمـر دودة بيـضاء فأخـذت الخـيط

انظر: لسان العرب (٤/٢١٤٩) مادة «سوس»، والمعجم الوسيط (١/٤٦٢) مادة «سوس».

(١) في الأصل: «والغلام كما يأخذ الـــماء في إحدى يديها وتصبه في الأخرى ثم يضرب بها وجهه».

٢٢٦/ب، والمثبت من «ح»، «ق».

(٢) في «ح»: الحقة.

(٣) الأرْضَة: دويبة بيضاء تشبه النملة تأكل الخشب، يُقال: أرضت الخشبة فهي مأروضة: إذا أكلتها الأرضة.

انظر: الصحاح (٤/١٠٦٤) مادة «أرض»، والمعجم الوسيط (١/١٤) مادة «أرض».

بفيها[1] ونفذت في الجزعة، ثمّ نظر في وجه الرّسل بوجه طليق: ﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ «منكراً عليهم ذلك»[2].

قرأ حمزة بنون واحدة مدغماً وهو أخفّ، والرسم على الأصل[3]. ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ «من الدّين الذي هو الحظّ الأوفر، والنبوة، والملك الذي لا مزيد عليه»[4]. ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ «من بعض الحطام. ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ «أي: بما يُهدى إليكم من إضافة المصدر إلى المفعول أو إلى الفاعل. والمعنى: أنتم

---

(١) في «ح»: بينهما.

(٢) انظر: معالم التنزيل (٣/٤١٧ـ٤١٩)، والكشّاف (٤/٤٥٣ـ٤٥٤).

قال الرازي: «فأمّا الكلام في صفة الهدية فالناس أكثروا فيها، لكن لا ذكر لها في الكتاب». التفسير الكبير (٢٤/١٩٦).

وقال ابن كثير بعد أن أورد روايات عن الهدية: «والله أعلم أكان ذلك أم لا، وأكثره مأخوذ من الإسرائيليات، والظاهر أن سليمان عليه السلام لم ينظر إلى ما جاءوا به بالكلية ولا اعتنى به، بل أعرض عنه». تفسير القرآن العظيم (٦/٢٠١).

(٣) وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو بنونين وإثبات الياء في الوصل، وقرأ عاصم، وابن عامر، والكسائي بغير ياء في الوقف ولا الوصل.

انظر: الحجة (٤٨٢)، والتيسير (١٧٠)، والموضح (٢/٩٥٨).

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٤٥٤).

تفرحون بهذه الهدية مفتخرين بها على الملوك[1]، أو تفرحون بها إذا ردّت إليكم؛ لأنكم لا تعلمون إلاّ ظاهراً من الحياة[2] الدنيا[3].

﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ ﴾ «خطاباً للمنذر بن عمرو رئيس الرّسل[4]، وقيل: للهدهد حمّل كتاباً آخر[5]. ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا ﴾ «لا طاقة لهم، فعل بمعنى المقابلة. وفي الحديث: «إنّ الله تعالى خلق آدم وكلّمه قُبُلاً»[6]، أي: مقابلة. ﴿ وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً ﴾ «كما قالت: ﴿ وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾[7]. ﴿ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ «والحال أنهم مستمرون على الذّل في الأسر يتمنون أن يكونوا سوقة بعد أن كانوا ملوكاً[8].

(١) انظر: الكشّاف (٤/٤٥٤)، والبحر المحيط (٧/٧٤)، والدر المصون (٨/٦١٣).

(٢) في «ح»: الحيوة.

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٤٥٤)، والبحر المحيط (٧/٧٤).

(٤) قاله قتادة، ويزيد بن رومان.

انظر: النكت والعيون (٤/٢١١)، ومعالم التنزيل (٣/٤١٩).

(٥) انظر: النكت والعيون (٤/٢١١).

(٦) أخرجه أحمد في المسند (٣٦/٦١٩) ح٢٢٢٨٨، وابن حبّان في صحيحه (٢/٧٧)، والطبراني في الكبير (٨/٢١٧) ح٧٨٧١، وأبو الشيخ في العظمة (٣/٨٦٩).

وانظر: الكشّاف (٤/٤٥٤)، والنهاية في غريب الحديث (٧٢٩) مادة «قبل»، وتفسير القرآن العظيم (٣/٢٧٨).

والحديث ضعيف الإسناد؛ لضعف علي بن يزيد الألهاني.

انظر ترجمته في: التاريخ الكبير (٦/٣٠١)، وتهذيب التهذيب (٧/٣٩٦).

(٧) بعض الآية (٣٤).

(٨) انظر: الكشّاف (٤/٤٥٥).

﴿ قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ «أراد أن يريهم ما خصّه الله تعالى[1] به من المعجزات الظاهرة والعجائب الباهرة[2]، وما قيل: إنه أراد أن يأخذ العرش قبل إسلامها فإنها إذا أسلمت لا يحلّ أخذه[3][4]، ففيه أنّ الغنائم مخصوصة برسول الله وأمته[5]. ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ «خبيث مارد من العفر وهو التراب؛ لأنه يُعفِّر أقرانه، والتاء فيه للإلحاق بقنديل[6]. ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾ «أي: مجلسك للحكومة، وكان يجلس إلى نصف النهار[7].

---

(١) في «ق»: تعلى.

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٥٠٣).

(٣) في «ح»: أخذها.

(٤) في هامش الأصل: «نقله الكشّاف عن قتادة ولا يصحّ».
انظر: النكت والعيون (٤/٤٥٥)، والكشّاف (٤/٢١٢)، وزاد المسير (٦/١٧٣).

(٥) عن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «فضّلت على الأنبياء بستٍ: أُعطيت جوامع الكَلِم، ونُصِرتُ بالرعب، وأُحلّت ليَ الغنائم ... الحديث». صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب المساجد (٥/٥).

(٦) انظر: غريب القرآن (٣٢٤)، والمفردات (٥٧٣) مادة «عفر»، والنكت والعيون (٤/٢١٢)، والكشّاف (٤/٤٥٥).
وتاء الإلحاق: تاء تَلْحَق آخر الأسماء والأفعال؛ لإلحاقها بالرباعي أو الخماسي.
انظر: الخليل معجم مصطلحات النحو (١٣٢).

(٧) انظر: معالم التنزيل (٣/٤٢٠)، وزاد المسير (٦/١٧٤).

﴿ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ ﴾ «على حمله، ﴿ أَمِينٌ ﴾ «لا أخون في شيء منه، فإنه كان مكلّلاً بالجواهر»[1].

﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ «هو سليمان نفسه»[2]، وآثر ما في النظم على سليمان؛ إشارة إلى أنّ بلوغه تلك الرتبة إنما هو بشرف العلم. ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ «الطّرف تحريك الجفن، وهو مقدمة النظر كما أنه مقدمة الرؤية»[3]. والخطاب للعفريت، كأنه استبطأه فقال له ذلك.

---

(١) قاله الكلبي.

انظر: جامع البيان (١٦٢/١٩)، والنكت والعيون (٢١٢/٤)، وزاد المسير (١٧٤/٦).

(٢) قاله محمد بن المنكدر.

انظر: النكت والعيون (٢١٣/٤)، ومعالم التنزيل (٤٢٠/٣)، والكشّاف (٤٥٥/٤)، وزاد المسير (١٧٥/٦). وانتصر الرازي لهذا القول من وجوه عِدّة. انظر: التفسير الكبير (١٩٧/٢٤ــ١٩٨).

وقال ابن جزي: «وقيل: سليمان وهذا بعيد». التسهيل (٩٦/٣).

(٣) انظر: المفردات (٥١٧) مادة «طرف»، والكشّاف (٤٥٥/٤ــ٤٥٦).

وقيل: القائل: جبرئيل[1][2]، أو آصف بن برخيا وزير سليمان أو كاتبه[3]، أو رجل كان عنده الاسم الأعظم[4]، أو هو الخضر[5]. ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾

(١) في «ح»: جبرائيل.

(٢) انظر: معالم التنزيل (٣/ ٤٢٠)، وزاد المسير (٦/ ١٧٥).

(٣) قاله ابن عباس، ومقاتل، وابن رومان.

انظر: النكت والعيون (٤/ ٢١٣)، ومعالم التنزيل (٣/ ٤٢٠)، وزاد المسير (٦/ ١٧٤-١٧٥).

واختار هذا القول ابن عطية، والقرطبي، وابن جزي.

انظر: المحرر الوجيز (١٢/ ١١٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٠٤)، والتسهيل (٣/ ٩٦).

وآصف بن برخيا هو: آصف بن برخيا بن شمعيا بن ملكيا، كاتب سليمان عليه السلام وابن خالته، كان صدّيقاً يحفظ اسم الله الأعظم.

انظر: عرائس المجالس (٢٨٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٠٤)، والبحر المحيط (٧/ ٧٦).

(٤) قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والجمهور.

انظر: النكت والعيون (٤/ ٢١٣)، والكشّاف (٤/ ٤٥٥)، وزاد المسير (٦/ ١٧٥).

(٥) قاله عبد الله بن لهيعة.

انظر: الكشّاف (٤/ ٤٥٥)، وزاد المسير (٦/ ١٧٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٠٥).

وقال ابن كثير: «وزعم عبد الله بن لهيعة: أنه الخضر، وهو غريب جدًّا». تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٠٢). والخضر هو نبي من أنبياء بني إسرائيل على الصواب، واختُلف في اسمه، والخضر لقبٌ غلب عليه، وسمّي بذلك لحسنه وإشراقة وجهه، وهو صاحب موسى عليه السلام، وقصتهما مذكورة في القرآن الكريم، وادّعى بعضهم حياته إلى هذا الزّمان، والصواب أنه قد مات و لم يجعل له الخلد.

«قائماً على هيأته بين يديه. ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ «تلقياً للنعمة بالشكر. ﴿لِيَبْلُوَنِيٓ﴾ «ليُعاملني معاملة المختبر. ﴿ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ «بدل من الياء وقد انسلخ عنه الاستفهام»[1].

﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾؛ إذ بالشكر يرتبط العتيد[2] ويُستجلب المزيد. ولذلك قيل: الشكر قيدٌ للنعمة الموجودة وصيدٌ للمفقودة[3]. ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ «عن شكره. ﴿كَرِيمٌ﴾ «لا يُعاجله بالعقوبة، ولا يقطع عنه برّه وإفضاله. ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾ «غيّروه عن هيئته[4] بأن تجعلوا أسفله أعلاه ومقدّمه مؤخره»[5]، ﴿نَنظُرْ﴾ «جواب الأمر، ﴿أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ «إلى معرفته، أو إلى الجواب الصواب، وإنما غيّر الأسلوب بعد «أم»

انظر: المعارف لابن قتيبة (٤٢)، وصحيح البخاري (٣/٢٥٤–٢٥٧)، والبداية والنهاية (١/٣٠٣–٣١٤)، والرسائل المنبرية (٢/١٩٧–١٩٨).

واختار أبو حيّان عدم تحديد ذاك الذي عنده علمٌ من الكتاب فقال بعد ذكر الأقوال في ذلك: «وهذه أقوال مضطربة وقد أبهم الله اسمه فكان ينبغي ألاّ يُذْكَر اسمه حتّى يُخبِر به نبي». البحر المحيط (٧/٧٦).

(١) انظر: أنوار التنزيل (٥٠٤).

(٢) في «ح»: العيد.

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٤٥٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٠٦).

(٤) في «ح»، والأصل: هيأته، والمثبت من «ق».

(٥) قاله قتادة، وشيبان بن عبد الرحمن.

انظر: النكت والعيون (٤/٢١٣)، وزاد المسير (٦/١٧٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٠٧).

المعادلة؛ لأنّ معرفة الشيء بعد تغيير هيئته[1] غير عسير على ذوي الفطانة، وكانت قد ذُكِرت لسليمان بسخافة العقل[2]، أو إلى الإيمان إذا رأت العرش قد تقدّمها، وكانت قد غلّقت عليه الأبواب ووكّلت به الحرس[3]، ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ﴾ «القائل سليمان، أو أحد الحاضرين، ولم يقل: أهذا عرشك بل أتى بكاف التشبيه؛ اختباراً لعقلها[4]، ﴿ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ﴾ «لم تجزم؛ لاحتمال أن يوجِد الله مثله، فدلّ ذلك على كمال عقلها[5]، ﴿ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ «عطف على مقدّر، كأنه لما أصابت في الجواب أثنوا عليها، وقالوا معترفين بما أفاض الله تعالى[6] عليهم من العلم والإيمان قبل إيمانها وبما فضلوا به على مثلها[7]، أو مِن كلامها قالت قبل هذه الواقعة قد صحّ عندنا نبوة سليمان وقدرة الله تعالى[8] على كلّ شيء[9].

---

(١) في الأصل، «ح»: هيأته، والمثبت من «ق».

(٢) انظر: النكت والعيون (٤/٢١٣)، والكشّاف (٤/٤٥٧)، وأنوار التنزيل (٥٠٤).

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٤٥٧)، وأنوار التنزيل (٥٠٤).

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٤٥٧)، والبحر المحيط (٧/٧٨).

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٤٥٧)، وأنوار التنزيل (٥٠٤).

(٦) في «ق»: تعلى.

(٧) انظر: النكت والعيون (٤/٢١٣)، ومعالم التنزيل (٣/٤٢١)، وزاد المسير (٦/١٧٨).

(٨) في «ق»: تعلى.

(٩) انظر: زاد المسير (٦/١٧٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٠٧).

﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ «عن التقدّم إلى الإسلام، ابتداء كلام منه تعالى، أو صدّها الله أو سليمان عمّا كانت تعبد من دون الله علة نزع الخافض»[1].

﴿ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ «استئناف جارٍ مجرى التعليل على الوجهين.

﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ﴾ «الصّرح: القصر المرتفع، من الصراحة وهو الظهور، وإمّا عرصة الدار، فالصرحة بالتاء»[2]. ﴿ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ﴾ «روي: أنّ سليمان أمر الجنّ قبل قدومها ببناء قصرٍ من الزجاج وأجرى تحته الماء، وألقى فيها دوابّ البحر، [إمّا لما قيل له: إنها شعراء الساقين وفي عقلها شيء، فاختبر عقلها بتنكير العرش، وساقيها باتّخاذ الصّرح على الوجه المذكور. أو أراد][3] أن يريها عِظَم ملكه وأمراً غريباً لم تره في ملكها، وتحقيرها بأن لبّس عليها كما لبست هي عليه في الجواري والغلمان فاهتدى هو ولم تهتد هي فظهر له الفضل من كلّ وجه»[4]. وقرأ ابن كثير في رواية قنبل «السأق» بالهمز على

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٢٩٥)، ومعاني القرآن للزجاج (٤/١٢٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/١٣٧)، والنكت والعيون (٤/٢١٦)، والكشّاف (٤/٤٥٧ـ٤٥٨)، وزاد المسير (٦/١٧٨) والخافض هو حرف «عن».

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤/١٢٢)، والمفردات (٤٨٢)، والكشّاف (٤/٤٥٨)، وأنوار التنزيل (٥٠٤).

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٤) انظر: معالم التنزيل (٣/٤٢١ـ٤٢٢)، والكشّاف (٤/٤٥٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٠٩)

أنها لغة كالواو، أو حملاً على الجمع وهو «سؤق»، أو على نظيره وهو الكأس[1].

﴿قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ﴾ «كان جالساً على السرير في صدر القصر، فلمّا نظر إلى ساقيها ولم يكن بها بأس، أخبرها بالواقع. المُمرد: الأملس.

﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي﴾ «بعبادة غيرك، أو بظني سليمان[2]، فإنها لما ظنّت الزجاج لجة تخيلت أنه أراد قتلها بالغرق[3]. وقيل: إنها كانت من جنية فكره الجنّ أن يتزوجها؛ لئلا يطّلع سليمان على أسرار الجنّ[4]. ﴿وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ «آثرتْ لفظ الجلالة [الدالة][5] على الألوهيّة الموجبة لعبادته.

---

(١) وقرأ الباقون ومعهم البزي عن ابن كثير بغير همز.

انظر: السبعة (٤٨٣)، والموضح (٢/٩٦٣ـ٩٦٤)، والنشر (٢/٣٣٨).

(٢) في «ح»: أو يظني سليمان، وفي «ص»: أو بطني بسليمان، والمثبت من الأصل، ولعل الصواب: «أو بظني بسليمان».

(٣) انظر: النكت والعيون (٤/٢١٧)، والكشّاف (٤/٤٥٨)، وزاد المسير (٦/١٧٩).

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٤٥٨)، والتفسير الكبير (٢٤/٢٠٠).

وأورده الماوردي في النكت والعيون ونسبه لمجاهد والحسن (٤/٢١٦). وقال: «وهذا القول بأنّ أمّها جنية مستنكر في العقول؛ لتباين الجنسين، واختلاف الطبعين، وتفاوت الجسمين».

في هامش «ص»، «ق»: ذكره الكشّاف، وهذا القول منقول عن قتادة، وزهير وليس له أصل.

وأثبت شيخ الإسلام هذه المسألة بقوله: «وقد يتناكح الإنس والجنّ ويولد بينها ولد، وهذا كثير معروف، وقد ذكر العلماء ذلك وتكلموا عليه، وكره أكثر العلماء مناكحة الجنّ، وقد يكون وهو كثير، أو الأكثر عن بغضٍ ومجازاة». مجموع الفتاوى (١٩/٣٩ـ٤٠).

(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [٤٥-٥٣].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بأن اعبدوه، ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ ففاجئوا[1] الاختصام والتفرق، منهم مَن آمن به، ومنهم مَن كفر كما هو شأن الرّسل في أوّل البعثة، أو المؤمن صالح والكافر قومه[2]. والوجه هو الأوّل؛ لقولهم: ﴿ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾[3]. والخصام: التنازع.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ أي: بالعذاب قبل الإيمان حيث قالوا: يا صالح ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين. وقيل كانوا

---

(١) في «ق»: فاجئوا.

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٤٥٩)، والتفسير الكبير (٢٤/٢٠٢).

(٣) بعض الآية (٤٧).

يقولون: إن وقع ما يعدنا به صالح آمنا، فخاطبهم على وفق اعتقادهم، ثمّ قال: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ قبل نزول العذاب. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ إذ حين وقوع العذاب لا ينفع الإيمان والتوبة.

﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ تشاءمنا بكم؛ لوقوع الشدائد منذ اخترعتم هذا الدّين، مأخوذ من زجر الطير وهو البارح الذي يمر من اليمين إلى الشمال(١). ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: مقدّر من عنده ليس لأحدٍ فيه تأثير. ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ باعتقاب السّراء والضّراء، أو بوسوسة الشيطان إليكم الطيرة(٢).

﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ الرّهط: من الثلاثة(٣) إلى العشرة، والنفر: من الثلاثة(٤) إلى التسعة، وإفراده وإن كان تمييز تسعة؛ لاشتماله على معناه(٥).

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٤٥٩)، والتفسير الكبير (٢٤/٢٠٢-٢٠٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢١٤)، والقاموس المحيط (٢٧٢) مادة «برح».

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٥٠٥).

والطِّيرة: التطير: وهو اسم لما يتفاءل به ويُتشاءم منه، وأصله: أنّ العرب في الجاهلية يعتمدون على الطير، فإذا خرج أحدهم ورأى الطير يطير يميناً تفاءل به واستمرّ في طريقه، وإن رآه يطير يساراً تشاءم به.

انظر: المصباح المنير (٣٨٢)، وفتح الباري (١٠/٢١٢)، والمعجم الوسيط (٢/٥٧٤).

(٣) في الأصل، «ح»، «ص»: الثلثة.

(٤) في الأصل، «ح»، «ص»: الثلثة.

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٤٦٠)، وأنوار التنزيل (٥٠٥).

﴿ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ أي: كانوا مقصورين على الإفساد البحت لا يخلطون به شيئاً من الإصلاح[1].

﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ ﴾ أي: ليقسم بعضكم لبعضٍ على أنه أمر، ويحتمل الحال بتقدير «قد» على أنه ماضٍ[2]. ﴿ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ ﴾ أي: لنهلكنّه، ﴿ وَأَهْلَهُۥ ﴾ بالليل مباغتة؛ انتهازاً للفرصة[3]. وعن الإسكندر[4] أنه قيل: في بيات العدو، فقال: ليس من آيين[5] الملوك استراق الظّفر[6]. ﴿ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي بتاء الخطاب في الفعلين على إرادة قول بعضهم لبعض، والنون أوفق

(١) انظر: الكشّاف (٤/٤٦٠)، والتفسير الكبير (٢٤/٢٠٣).

(٢) انظر: مشكل إعراب القرآن (٢/٥٣٦)، والكشّاف (٤/٤٦٠)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/١٠١٠)، والدر المصون (٨/٦٢٣ـ٦٢٤).

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٤٦٠)، وأنوار التنزيل (٥٠٥).

(٤) الإسكندر: الملك اليوناني المقدوني، ويُقال أنه ذو القرنين، بنى الإسكندريه، وتعلّم على يد أرسطو، وتأثر بآدابه وعلمه.

قال المأمون: «أجلّ ملوك الأرض ثلاثة: الإسكندر، وازدشير، وأبو مسلم».

انظر: الجامع لأحكام القرآن (١١/٤٦)، وسير أعلام النبلاء (٦/٥٠)، وأبجد العلوم (٢/١٠٣، ٤١٨).

(٥) في «ق»: شأن.

(٦) انظر: الكشّاف (٤/٤٦٠).

وآيين: أي العادة، أو العرف المتّبع. انظر: المعجم الوسيط (١/١).

بقوله: ﴿ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ ﴾ أي: نقسم على عدم حضورنا ذلك فضلاً عن المباشرة[1].

قرأ السبعة إلاّ عاصم بضمّ الميم على أنه مصدر أهلك، أو اسم مكان منه، وفتحَ الميم مع اللاّم عاصم في رواية شعبة على أنه مصدر هلك واسم مكانٍ منه، وكسر اللاّم في رواية حفص على المصدر، أو اسم مكان على غير القياس كالمرجع[2].

﴿ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ والحال أنّا لصادقون في الحلف؛ لأنّا لم نشاهد هلاك أهله وحدهم، وناهيك بقبح الكذب: أنّ الكفار مع كفرهم احتالوا في الاجتناب عنه[3]، ويجوز أن يكون داخلاً في المُقسم عليه فلا يحتاج إلى التّكلّف[4]، ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا ﴾ هو ما دبّروه، ﴿ وَمَكَرْنَا مَكْرًا ﴾ من باب المشاكلة[5]، ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أنّ ما دبّروه وباله عائد إليهم. وذلك أنهم

---

(١) والقراءة بالنون هي قراءة الباقين.

انظر: السبعة (٤٨٣)، والتيسير (١٦٨)، والموضح (٢/٩٦٤-٩٦٥)، والنشر (٢/٣٣٨).

(٢) انظر: السبعة (٤٨٣)، والحجة لأبي علي الفارسي (٥/٣٩٥)، والتيسير (١٤٤)، والنشر (٢/٣١١).

(٣) قاله الزّمخشري. انظر: الكشّاف (٤/٤٦١).

وفيه إشارة إلى قاعدة التحسين والتقبيح بالعقل فقط، وهي من عقائد المعتزلة.

الانتصاف بحاشية الكشّاف (٤/٤٦١).

(٤) هذا ردّ من المصنّف على القول السابق.

(٥) المشاكلة: لغة: المماثلة.

واصطلاحاً: هي ذكر الشيء بلفظ مُصَاحِبه لوقوعه معه تحقيقاً أو تقديراً.

انظر: التبيان في علم المعاني والبديع والبيان (٣٤٧)، وعلوم البلاغة (٣٨٦).

دخلوا دار صالح بالليل، وكانت داره ممتلئة بالملائكة[1] فقتلوهم عن آخرهم[2]. وقيل: خرجوا بالنهار يُظْهِرون السّفر، وعادوا باللّيل، فتسوّروا جدران داره فرمتهم الملائكة[3] بالحجارة فقتلتهم[4]. وقيل: كان لصالح مسجد في الشّعب يُصلي فيه باللّيل فلما دخلوا الشّعب قاصدين قتله ليعودوا بعد قتله إلى أهله، فأرسل الله عليهم صخرة فطبقت عليهم فلم يدر أحدٌ أين ذهبوا، ولم يدروا ما يُفعل بقومهم فعذّب الله تعالى كلاً في مكانه[5]. ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ ﴾ يا محمد، أو يا مَن يتأتّى[6] منه النظر. ﴿ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ استئناف لبيان عاقبتهم، و«كان» إمّا تامّة أو ناقصة، «كيف» خبرها[7].

والمكر هنا مما يجوز إطلاقه على الله عزّ وجلّ في سياق الجزاء والعقاب على سبيل المقابلة للفعل بما يُناسبه. انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١١/٧)، ومعارج القبول (١١٨/١)، والقواعد الكلية (١٨٣)، والقواعد المثلى (٢٠).

(١) في الأصل، «ح»، «ص»: بالملئكة.

(٢) قاله الكلبي. انظر: النكت والعيون (٢٢٠/٤)، وزاد المسير (١٨٢/٦).

(٣) في الأصل، «ص»: الملئكة.

(٤) انظر: الكشّاف (٤٦٢/٤)، وروح المعاني (٢١٥/١٩).

(٥) قاله الضحّاك، وابن زيد.

انظر: النكت والعيون (٢٢٠/٤)، وزاد المسير (١٨٢/٦)، والتفسير الكبير (٢٠٣/٢٤).

(٦) في «ح»: تتأتّى.

(٧) انظر: مشكل إعراب القرآن (٥٣٦/٢-٥٣٧)، والتبيان في إعراب القرآن (١٠١٠/٢-١٠١١)، والدّر المصون (٦٢٦/٨).

[وقرأ الكوفيون «أنا» بفتح «أنا»[1] بفتح الهمزة على أنّ كان تامة، و«عاقبة» فاعلها، و«كيف» حال، أو ناقصة، و«كيف» خبرها][2]، أو حال، والخبر «أنا»، أو بدل من الفاعل أي: كان تدميرنا، أو خبر مبتدأ مقدّر[3].

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ نصب على الحال والعامل فيه معنى الإشارة، أي: خالية من خوى البطن، أو ساقطه من خوى النّجم خياً إذا سقطت ولم يُمطر في نوئها[4]، ﴿بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾ بسبب ظلمهم، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ حقائق الأشياء، فإنهم المتّعظون. ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ أحدثوا الإيمان واستمروا على ذلك.

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [٥٤-٥٨].

---

(١) في «ح»: أمّا.

(٢) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٣) وقرأ الباقون بكسر الهمزة.

انظر: السبعة (٤٨٣-٤٨٤)، والحجة لأبي علي الفارسي (٥/٣٩٦-٣٩٨)، والتيسير (١٦٨)، والنشر (٢/٣٣٨).

(٤) انظر: المفردات (٣٠٥) مادة «خوى»، وأنوار التنزيل (٥٠٥).

﴿ وَلُوطًا ﴾ أذكر لوطاً، أو أرسلنا لوطاً؛ لدلالة «ولقد أرسلنا». ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ ﴾ بدل على الأوّل، ظرفٌ على الثاني[1]. ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ أي: تبصر بعضكم بعضاً، كقوله: ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ﴾[2] ولا شكّ أنّ الجهر بالمعصية أشدّ فحشاً، روي أنّ بعض أكابر الأشراف كان له ابن يُجاهر بالخمر، فقال: يا بني ألم تسمع قول الحكيم: إذا بُليت[3] فاستتر. فقال في جوابه: يا أباه أهي عبادة حتّى يكون[4] في الخلوات. وقد ألمّ به أبو نواس[5] حيث قال:

فبُح باسم ما تأتي وذرني من الكنى ... فلا خير في اللّذّات من دونها سِتر[6]

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٤٦٢)، وأنوار التنزيل (٥٠٥).

(٢) بعض الآية (٢٩) من سورة العنكبوت.

(٣) في «ق»: أبتليت.

(٤) في «ق»: تكون.

(٥) أبو نواس: الحسن بن هانيء بن عبد الأوّل الحكمي بالولاء، شاعر العراق في عصره، ولد بالأهواز، نشأ بالبصرة، ثمّ رحل إلى بغداد، ومدح خلفاء بني العباس، قال عنه الجاحظ: «ما رأيت رجلاً أعلم باللّغة ولا أفصح لهجة من أبي نواس». وقال الشافعي: «لولا مجون أبي نواس لأخذت عنه العلم». مات سنة ١٩٨هـ ببغداد، وله ديوان شعر مطبوع.
انظر: تاريخ بغداد (٧/٤٣٦)، ووفيات الأعيان (٢/٩٥).

(٦) البيت من بحر الطويل. انظر: ديوانه (٢٠١)، والكشّاف (٤/٤٦٢).
ومن أعظم السّفه الجهر بالمعاصي، قال ابن بطّال: «في الجهر بالمعاصي استخفافٌ بحق الله ورسوله وبصالحي المؤمنين، وفيه ضربٌ من العناد لهم، وفي الستر بها السلامة من الاستخفاف؛ لأنّ المعاصي تُذِلّ أهلها من إقامة الحدّ عليه إن كان فيه حدّ، ومن التعزير أن لم يوجب حدّاً، وإذا

أو أنتم عالمون من بصر القلب، فإنّ قبح الذنب من العالم أشدّ.

﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً ﴾ بيان لإتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة إشارة إلى أنه من فعل البهائم؛ لأنّ الحكمة في المواقعة طلب النسل، وقضاء الوطر داعٍ إليه ومقصود بالعرض، ﴿ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ مستمرون على القبيح كمن يجهل قبحه، أو تجهلون العاقبة، وإيثار الخطاب والموصوف هو القوم؛ ليكافحهم بالجهل؛ فإنه أشدّ توبيخاً[1]. ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ عن أفعالنا[2] ويستقذرونها[3].

وعن ابن عباس[4]: إنما قالوا ذلك هزؤاً[5]، كما قال قوم شعيب: ﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾[6]﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ الباقين في العذاب.

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ مطرهم.

تمحض حقّ الله فهو أكرم الأكرمين ورحمته سبقت غضبه، فلذلك إذا ستره في الدنيا لم يفضحه في الآخرة، والذي يُجاهر يفوته جميع ذلك». فتح الباري (١٠/٤٨٧).

(١) انظر: الكشّاف (٤/٤٦٢-٤٦٣)، وأنوار التنزيل (٥٠٦).

(٢) في «ح»: فعالنا.

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٥٠٦).

(٤) رضي الله عنهما.

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٤٦٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢١٩) ونسبه لمجاهد.

(٦) بعض الآية (٨٧) من سورة هود.

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [٥٩-٦٤].

﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ لـمّا قصّ عليه ما أنعم على إخوته من الرسل من الاصطفاء بالرسالة وإهلاك أعدائهم، أمره بأن يحمده على تلك النعمة(١)؛ شكراً له تعالى، إشارة إلى أنّ(٢) ما [وصل إليهم](٣) وصل إليه، فإنّ المؤمنين كنفسٍ واحدة، فكيف بالأنبياء، وبأن يُسلّم عليهم؛ لحسن اصطبارهم على شدائد أذى الجهّال، وقيامهم بأعباء التبليغ، وجعل ذلك تمهيداً للتخلص إلى قصته(٤) مع المشركين، إيماءً إلى أنّ العاقبة له؛ تقويةً لجأشه في إقامة البراهين على

(١) في «ح»، «ص»، «ق»: النعمة، وهو الصواب بحسب السّياق.

(٢) في «ح»، «ق»: أنه.

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٤) في «ح»: قصّة.

وحدانيته تعالى[1] بقوله: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ساق هذا المساق؛ تبكيتاً لهم، وإلزاماً وتنبيهاً على الخطأ المفرط، والجهل المورّط وإلاّ كيف يلتبس مكوّن[2] الكائنات بالجمادات[3].

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ تفصيل لذلك الخير، و«أم» منقطعة[4]، وذكر السموات والأرض؛ تمهيداً لقوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ والحدائق جمع حديقة، وهي البستان الذي له حائط من الإحداق، وهو الإحاطة، وإفراد الذات على إرادة الجماعة كقولك: النساء ذهبت[5]. والبَهْجَة: الحسن من بَهُج بالضمّ، ويجوز أن يكون من بَهِج بالكسر بمعنى السرور؛ لأنّ صاحبها يُسَرّ بالنظر إليها[6]، وإنما التفتَ إلى التكلّم في الإنبات إشارة إلى أنه فِعْله الخاص الذي لا يمكن إسناده إلى غيره[7]، ولذلك

(١) في «ق»: تعلى.

(٢) في «ح»: لكون.

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٤٦٣ـ٤٦٤).

(٤) أم المنقطعة: هي الواقعة ــ غالباً ــ بين جملتين مستقلّتين في المعنى، وتكون بمعنى «بل»، ولا يُراد بذلك أنّ ما بعد «أم» محقق كما في بل، وتُسمّى: أم المنفصلة. انظر: معجم القواعد العربية (٨٦).

(٥) قالـه الزّمخشري.

انظر: الكشّاف (٤/٤٦٥)، والمفردات (٢٢٣) مادة «حدق»، وانظر: أنوار التنزيل (٥٠٦).

(٦) انظر: الصحاح (١/٣٠٠) مادة «بهج»، والمفردات (١٤٩) مادة «بهج»، والكشّاف (٤/٤٦٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٢١).

(٧) انظر: التفسير الكبير (٢٤/٢٠٦)، والدّر المصون (٨/٦٣٠ـ٦٣١).

أكّده بقوله: ﴿ مَا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ﴾ فضلاً عما فيها من المنافع وأصناف الفواكه المختلفة لوناً وطعماً وشكلاً ورائحة.

ولما أثبت الاختصاص به على الوجه الأبلغ قال: ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ مُنْكِراً أن يكون له شريك، وجعل القائل بالشرك عادلاً عن نهج الصواب، أو عادلاً به مَن لا يستحق[1]. ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ مكاناً يستقرّ فيه الحيوان، بدل مِن «أمّن خلق السموات والأرض»[2]، ترقٍّ إلى ما [هو][3] أعظم من إنبات الحدائق، بل لولاه لا يتمّ الإنبات. ﴿ وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا ﴾ جارية، ﴿ وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ ﴾ [أي][4] جبالاً ثابتة كالأوتاد تسكّنها من الاضطراب مع ما فيها من سائر المنافع، ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴾ بين العَذْب والملح[5]. ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فلذلك يُشركون به. ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ خصّ إجابتهم عند الاضطرار[6] ﴿ وَيَكْشِفُ

---

(١) انظر: النكت والعيون (٤/٢٢١).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٤٦٥)، وأنوار التنزيل (٥٠٦).

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٤) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ص».

(٥) قاله الضحّاك.

انظر: النكت والعيون (٤/٢٢٢)، وأنوار التنزيل (٥٠٦)، والبحر المحيط (٧/٨٩).

(٦) قال الماوردي: «وإنما خصّ إجابة المضطر **لأمرين**:

أحدهما: لأنّ رغبته أقوى وسؤاله أخضع. **الثاني**: لأنّ إجابته أعمّ وأعظم؛ لأنها تتضمنّ كشف بلوى، وإسداء نعمى». النكت والعيون (٤/٢٢٢).

﴿ٱلسُّوٓءَ﴾ والمضارّ، ترقٍّ[1] عما تقدّم؛ لكونه لصيقاً بهم دون واسطة، ﴿وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ تنتفعون بها على أيِّ وجهٍ شئتم مباشرة، وأمراً ونهياً، وهذا أتمّ وأجلّ موقعاً[2]، ولذلك قال: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ فجعل الفاصلة: التّذكّر الذي لا يحتاج إلاّ إلى التفات النّفس. ﴿أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ إذا سافرتم فيها بالنجوم في السماء، وعلاماتٍ في الأرض[3]، ﴿وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ﴾ وهذا من متممات أمر الخلافة؛ لاشتماله على إجابة المضطر، وكشف السوء، وجلب المنافع الكثيرة.

وقرأ حمزة، والكسائي، وابن كثير «الريح» بالتوحيد[4]. والكوفيون، وابن عامر «نُشْراً» بسكون السين، وفتح نونه حمزة، والكسائي، وعاصم بالباء مكان النون، ونافع [وأبو عمرو][5]، وابن كثير بضمّ النون والشين[6].

---

(١) في الأصل: ترقي.

(٢) انظر: الكشف على الكشّاف (٣٧٨/أ).

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٤٦٦)، والتفسير الكبير (٢٤/٢٠٩).

(٤) وقرأ الباقون «الرياح» على الجمع.
انظر: السبعة (١٧٢ــ١٧٣)، والموضح (٢/٩٦٨)، والنشر (٢/٢٢٣ــ٢٢٤).

(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من النسخ كلها، والمثبت من كتب القراءات.

(٦) قول المصنّف يحتاج إلى إيضاح:
قرأ عاصم: بُشْراً.
وقرأ حمزة، والكسائي: نَشْراً، وابن عامر: نُشْراً.
ونافع، وابن كثير، وأبو عمرو: نُشُراً.

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يقدر على شيء من ذلك، ولِما في ذلك من تأثير القدرة القاهرة مع الجلاء قال: ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أضرب عن ذلك الأسلوب إلى ذِكر نعمتي الإيجاد والإعادة اللّتين كلّ نعمة دونهما، وهما مبدأ كلّ نعمة في الدّارين، والكفرة وإن كان بعضهم منكراً للإعادة إلاّ أنه لظهور الأدّلة بحيث لا يُعْتَدّ بإنكاره فهو محجوج"[1]. ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إجمالٌ لما تقدمه كذلك القصّة. ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يفعل ذلك. ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ على شيء يخالف ما ذكرنا، ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في إشراككم، تسجيلٌ عليهم بالكذب، وأنّ ما يقولون مختلق النفس"[2].

قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى

انظر: السبعة (٢٨٣)، والموضح (٢/٩٦٨ـــ٩٦٩)، والتيسير (١١٠)، والنشر (٢/٢٦٩ـــ٢٧٠).

(١) انظر: أنوار التنزيل (٥٠٧)، والكشف على الكشّاف (٣٧٨/أ).

(٢) في «ح»: وهو النفس.

تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى
كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ
ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ
بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [٦٥-٨١].

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾ أشار إلى أنه كما تفرد بالقدرة التامة كذلك متفردٌ بالعلم الشامل، والاستثناء منقطع، ورفعه على اللُّغة التميمية(١)؛ لظهوره أنه تعالى(٢) [منزّه عن المكان والحيز(٣). وإيثار الرّفع للدلالة على أنه تعالى](٤)(٥) إن كان ممن في السموات والأرض ففيهم مَن يعلم

---

(١) يقول الزمخشري عن هذه اللّغة: «حيث يقولون: ما في الدار أحد إلاّ حمار، يريدون ما فيها إلاّ حمار، وقولهم: ما أتاني زيد إلاّ عمرو، وما أعانه إخوانكم إلاّ إخوانه». الكشّاف (٤/٤٦٦).

(٢) في «ق»: تعلى.

(٣) لفظ المكان والحيّز: من الألفاظ التي حدث فيها نزاع. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكذلك لفظ التحيّز: إن أراد أنّ تحوزه المخلوقات فالله أعظم وأكبر، بل قد وسع كرسيّه السموات والأرض، وإن أراد أنه منحاز عن المخلوقات أي: مباين لها منفصلٌ عنها ليس حالاً فيها، فهو سبحانه كما قال أئمة السلف: فوق سماواته على عرشه، بائن من خلقه».

مجموع الفتاوى (٢/٢٩٧ــ٢٩٩)، (١٧/٣٤٣ــ٣٤٧)، والتحفة المهدية (١٥٦ــ١٥٧).

(٤) في «ق»: تعلى.

(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

الغيب مبالغة في نفي علم الغيب عنهم، ويجوز الاتّصال بضرب من التأويل، أي: مَن تعلّق علمه بها واطّلع عليها فإنه عام فيه تعالى[1][2]. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: وقت بعثهم الذي هو أهمّ الأمور عندهم تأكيد لنفي علم الغيب عنهم. و«أيّان» بمعنى «متى»[3] فعّال من آن يئين، والضمير لمن[4].

﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ افتعال من الدرك، وهو الوصول واللّحوق، وهي قراءة نافع، وابن عامر، والكوفيين. والمعنى: أن ما تتابع علمهم به واستحكم بمعنى استحكام أسبابه، وظهور دلائله أنّ القيامة[5] كائنة لا محالة وهم عن ذلك معرضون لا علم لهم فأين هم مِن علم الغيب.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو «أدرك» على وزن «أكرم» أي: انتهى وتكامل، والمعنيان متقاربان، ويجوز أن يكون الكلام على سبيل التهكّم؛ لأنهم إذا لم يعلموا

---

(١) في «ق»: تعلى.

(٢) قاله البيضاوي. انظر: أنوار التنزيل (٥٠٧).

وانظر: الكشّاف (٤/٤٦٦ـ٤٦٧)، والبحر المحيط (٧/٩١)، والدّر المصون (٨/٦٣٢ـ٦٣٤).

(٣) في «ح»: إلى.

(٤) انظر: المفردات (١٠٣)، والكشّاف (٤/٤٦٧)، وأنوار التنزيل (٥٠٧).

(٥) في الأصل، «ق»: القيمة.

ما دلّت عليه الحجج فهم عن علم الغيب بمراحل[1]. وما روي عن الحسن أنّ معنى أدرك علمهم: اضمحلّ[2] يُناسب التّهكّم؛ لأنّ مآله النعي عليهم.

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾ يتحيرون ولا يجزمون بشيء، ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ لا يُدركون شيئاً من دلائلها. والإضرابات الثلاث[3] لبيان أحوالهم، وصفهم[4] أولاً بعدم الشعور بوقت البعث، ثمّ ترقّى أنهم لا يُقّرون بالآخرة رأساً، ثمّ أنهم خابطون في شأنها خبط عشواء[5]، ثمّ إلى ما هو أسوأ حالاً وهي عمى البصيرة. وقيل باعتبار الفرق وهذا مختصّ بالمشركين.

وإسناده إلى مَن في السموات والأرض لوقوعه بينهم، كما يُقال: بنو فلان فعلوا كذا [وإن كان الفعل صادراً عن بعضهم][6].

---

(١) انظر: السبعة (٤٨٥)، والحجة لأبي علي الفارسي (٥/٤٠٠-٤٠٢)، والموضح (٢/٩٦٩)، والتيسير (١٦٨)، والتفسير الكبير (٢٤/٢١٢).

(٢) انظر: النكت والعيون (٤/٢٢٤)، والبحر المحيط (٧/٩٣).

(٣) في الأصل، «ح»، «ص»: الثلاث.

(٤) في «ح»: وصف.

(٥) خبط عشواء: العشواء اسم يُطلق على الناقة التي بعينيها سوء إذا خبطت بيدها.

وخبط عشواء يُقال: لمن يُحاول أمراً فيخطئ ويُصيب، وبها يُضرب المثل فيُقال: هو يخبط خبط عشواء. انظر: لسان العرب (٥/٢٩٦٠) مادة «عشا»، والمعجم الوسيط (٢/٦٠٣) مادة «عشا».

(٦) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق»، «ح»، «ص».

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴾ آثر الظاهر موضع المضمر؛ إشارة إلى [أنّ][1] منشأ ذلك العمى لا غير، ولذلك كانت هذه الآية[2] كالبيان للأولى، والعامل في «إذا» معنى الإخراج الذي دلّ عليه «مخرجون»[3] لا هو؛ لأنّ الاستفهام و«إنّ» واللاّم كلّ منها مانع من العمل فكيف بها مجتمعة[4].

﴿ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ ﴾ أي: قبل محمد، والمشار إليه البعث، قدّم «هذا» على «نحن» هنا وأخّره في سورة المؤمنين[5]؛ لأنّ ما قبله هناك: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا ﴾[6] ففيه دلالة على بقاء بعض الأجزاء على صورتها، وأمّا هنا فلا دلالة على ذلك، وقد ضمّوا إلى أنفسهم آباءهم ولا شكّ أنّ هذا أبعد عندهم فاستلزم زيادة الاعتناء فصار أهمّ بالتقديم[7].

﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ أكاذيبهم الذي لا حقيقة لها كالأسماء، ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ أي: المكذّبين

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٢) في الأصل، «ق»: الآيات.

(٣) في الأصل: يخرجون.

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٤٦٩)، وأنوار التنزيل (٥٠٧)، والدّر المصون (٨/٦٣٨).

(٥) الآية (٨٣).

(٦) بعض الآية (٨٢).

(٧) انظر: كشف المعاني (٢٦٨)، وأنوار التنزيل (٥٠٧).

والتعبير بالإجرام؛ ليكون لطفاً بالسامعين في ترك الجرائم[1]. ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ لعدم اتّباعهم إيّاك. ﴿ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ ﴾ حرج، قرأ ابن كثير بكسر الضاد، وهما لغتان[2]. ﴿ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ لأجل مكرهم فإنّ الله عاصمك.

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ أي: العذاب الموعود استعجالاً منهم. ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ في قولكم: إن لم تؤمن تُعذَّب. ﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ أي: تبعكم[3]، كلّ شيء تبع آخر فهو ردفه، ومن ثمّة[4] سمّي اللّيل والنهار ردفين، وأردف لغة منه، قال ـ شعر ـ:

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا[5]

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٤٧٠).

(٢) أي: قراءة ابن كثير بكسر الضاد، وقرأ الباقون بفتح الضاد.
انظر: السبعة (٤٨٥ـ٤٨٦)، والتيسير (١٣٩)، والموضح (٢/٩٧٠)، والنشر (٢/٣٠٥).

(٣) في «ق»: تبع لكم.

(٤) ثمّة: ظرف يُشار به إلى المكان البعيد، ولا يتقدمه حرف التنبيه، ولا تلحقه كاف الخطاب، والتاء فيها لتأنيث اللّفظ فقط.
انظر: المفردات (١٧٧) مادة «ثمّ»، ومغني اللّبيب (١/١١٩)، ومعجم القواعد العربية (١٦٩).

(٥) البيت من بحر الوافر، وقائله: خزيمة بن مالك بن نهد، أو خزيمة بن زيد.
والثريا: مجموعة نجمية تظهر في برج الثور مع هبوب رياح البوارح.
انظر: الأنواء (١١٩)، والمعجم الوسيط (١/٩٥).
وآل فاطمة: هم آل فاطمة بنت يذكر بن عنزة أحد القارظيْن. ومعنى البيت: أنّ الجوزاء تردف الثريا في شدّة الحرّ، وعند ذلك تنقطع المياه وتجفّ ويتفرق الناس لطلب الماء، فتغيب عنه محبوبته فلا يدري أين مضت.
انظر: جامع البيان (٩/١٩١)، والصحاح (٤/١٣٦٤) مادة «ردف»، والنكت والعيون (٢/٢٩٨)، والمحرر الوجيز (٨/٢٠)، ولسان العرب (٣/١٦٢٥) مادة «ردف»، والدر المصون (٥/٥٧٠).

و«عسى»، و«لعلّ»، و«سوف» في كلام الملوك يدلّ على الوقوع قطعاً، والمراد ما وقع عليهم يوم بدر من القتل والأسر[1]. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بتأخير العذاب.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ نعمة الإمهال ويستعجلون[2] العذاب[3].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ من المكائد وأنواع المكر، تسلية وتقوية لجأشه بعد أن قدّم قوله: ﴿وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ﴾. ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ برهان على إحاطته بما تكنّ صدورهم؛ لأنه من جزئيات ذلك الغائب، والتاء للمبالغة كما في الروايـة[4]، أو للنقل من الوصفية إلى الاسمية كما في الذّبيحة والنطيحة، والوجه الأوّل[5][6]. والكتاب المبين: اللّوح، أو علمه الشامل[7].

(١) انظر: الكشّاف (٤/٤٧٠)، وأنوار التنـزيل (٥٠٨).

(٢) في «ح»: الإهمال ويستعملون.

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٤٧٠-٤٧١).

(٤) في «ح»: الرواية.

(٥) تاء المبالغة: التاء اللاّحقة بعض أسماء المبالغة للدلالة على كثرة الاتصاف بالشيء.

وتاء النقل: هي التي تنقل الاسم من الوصفية إلى الاسمية.

انظر: الخليل (١٣٤-١٣٥)، ومعجم القواعد العربية (١٣١).

(٦) انظر: الكشّاف (٤/٤٧١)، وأنوار التنـزيل (٥٠٨).

(٧) انظر: النكت والعيون (٤/٢٢٥)، والمحرر الوجيز (١٢/١٢٩)، وأنوار التنـزيل (٥٠٨).

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ لـمّا كان القرآن أعظم معجزاته، وكان الإعجاز فيه من وجوه أشار إلى الوجه الذي هو أعرق[1] في الإعجاز، وهو الإخبار عن أحوال الكتب السماوية، فإنّ الـمُنزّل عليه أُمّي لم يزاول دراسة الكتب، وما اختلفوا فيه: أحوال الجنة والنار، وأمر عيس وعزير، قيّد بالأكثر؛ لأنّ بعضه باطل في بادي الـرأي فلا حاجة إلى إبطالـه.

﴿ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ لأنهم المنتفعون به. ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم ﴾ بين مَن آمن ومَن كفر ﴿ بِحُكْمِهِۦ ﴾ أي: بعدله أو بحكمته. ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الغالب فلا يُردّ قضاؤه. ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بالأمور كما هي.

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ بعد ما تبيـن أنك رسول بالكـتاب الذي هو أبهر معجزاتك.

﴿ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ علّـة للتوكـل؛ فـإنّ صـاحب الحـقّ مؤيـد.

﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ كلام مستأنف؛ تسلية لرسول الله[2] وأنه قد بلّـغ الرّسـالة فلا عليه بعد ذلك فإنهم مختوم عـلى قلـوبهم، شـبّه حـالهم بحـال الميـت حيـث لا يسمعون سماع تدبّر، وقيل: تعليل ثانٍ للأمر بالتوكّـل، كأنـه قيـل: اتّبـاعهم إيّـاك أمر قـد أُيس منه فلم يبق إلاّ الاستنصار عليهم واستكفاء شرورهم[3]. فإن قلـت: روى البخاري أنّ رسول الله[4] وقف على قليـب[5] بـدر ونـادى القـتلى بأسـمائهم،

(١) في «ق»: أغرق، وفي «ح»: أعرف.

(٢) صلى الله عليه وسلم.

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٤٧٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٣٢)، وأنوار التنـزيل (٥٠٨).

(٤) صلى الله عليه وسلم.

(٥) في «ح»: قلب.

وقال: «وهل وجدتم ما وعد ربكم حقّاً، فإني وجدت[1] ما وعدني ربي حقّاً. فقال عمر: تنادي أجساداً [لا][2] أرواح لها. فقال: لستم بأسمع منهم ولكن[3] لا يقدرون على الجواب[4]»، فكيف بالتوفيق بينه وبين الآية؟.

قلتُ: بناء الكلام هنا على المتعارف؛ تسليةً لرسول الله[5]، ألا يُرى أنه قد شُرِع السلام على المقابر، وإذا كان له إحساس بالعذاب فما المانع من السماع!.

﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ قرأ ابن كثير «يَسْمَعُ» بياء الغيبة مضارع سمع ورفع «الصمّ»، والباقون بالخطاب من أسمع مسنداً إلى النبي[6]، وهو أوفق بالمقام وأقوى معنى[7].

﴿إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾ فإنّ إسماعهم في تلك الحالة أبعد، وفيه إشارة إلى غاية بعدهم عن الإيمان. ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾؛ لأنّ اهتداء الأعمى مستحيل.

---

(١) في «ح»: فإني وجدت وجدت.

(٢) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٣) في «ق»: ولاكن.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل (٣/٨٦ـــ٨٧) ح٣٩٧٦، ٣٩٧٩، ٣٩٨٠، ٣٩٨١. وقليب بدر: القليب: البئر القديمة، ويُطلق على البئر قبل أن تبنى بالحجارة، والمراد في الحديث: البئر التي رُمي فيها كفار قريش القتلى في بدر. انظر: الصحاح (١/٢٠٦) مادة «قلب»، وغوامض الأسماء المبهمة (٢/٨٢٧)، وفتح الباري (٣/٢٣٤).

(٥) صلى الله عليه وسلم.

(٦) صلى الله عليه وسلم.

(٧) انظر: السبعة (٤٨٦)، والحجة لأبي علي الفارسي (٥/٤٠٣)، والتيسير (١٦٩)، والموضح (٢/٩٧٠)، والنشر (٢/٣٣٩).

قرأ حمزة «تهدي[1] العميَ» بالفعل المضارع ونصب العمي[2]. ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ فإنه يسمع سماع تدبّر، وينظر نظر اعتبار، ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ مخلصون ظاهراً وباطناً[3].

قال تعالى: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [٨٢- ٩٣].

---

(١) في «ح»: يهتدي.

(٢) وقرأ الباقون «بهادي العمي».

انظر: السبعة (٤٨٦)، والتيسير (١٦٩)، والموضح (٢/٩٧١)، والنشر (٢/٣٣٩).

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٤٧٢).

﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ استوفى دلائل التوحيد والمبدأ والمعاد ونبوة المخبر الصادق أفاض في بيان أحوال القيامة[1] وآيات الساعة، والقول هو الوعد بقيام الساعة، ومعنى وقوعه: ثبوت معناه ووجوبه[2]، ﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: دابة عظيمة المنظر والشأن، وقد ذُكِر في وصفها أشياء والذي صحّ في الحديث أنها دابة طولها ستون ذراعاً[3]، ذات قوائم أربع[4]، فيها ألوان الحيوانات[5]، ينصدع جبل الصفا فتخرج منه[6] والناس سائرون إلى مِنى[7]. وفي

---

(١) في الأصل، «ح»، «ص»: القيمة.

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٤٧٢).

(٣) أخرجه ابن حجر في الكافي الشاف (١٢٥) ح١٢٧.

وانظر: تفسير الثعلبي (٣/١٣٥/ب)، والكشّاف (٤/٤٧٢)، وأنوار التنزيل (٥٠٩)، وتخريج الأحاديث والآثار للزيلعي (٣/١٩).

(٤) قاله ابن عباس، ومقاتل.

انظر: تفسير القرآن للصنعاني (٢/٨٤)، والنكت والعيون (٤/٢٢٦)، وزاد المسير (٦/١٩١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٢٢٢).

(٥) قاله أبو هريرة.

انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٨/٢٩٢٥)، والكشّاف (٤/٤٧٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٢٢٣).

(٦) قاله ابن مسعود.

انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٨/٢٩٢٥)، والنكت والعيون (٤/٢٢٧)، والكشّاف (٤/٤٧٣)، وزاد المسير (٦/١٩١).

(٧) قاله ابن عمر.

انظر: النكت والعيون (٤/٢٢٨)، ومعالم التنزيل (٣/٤٣٠).

رواية: تخرج من أرض الطائف[1]، معها عصا[2] موسى وخاتم سليمان[3] لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب، تضرب بالعصا في وجه المؤمن فيكتب فيه مؤمن، وتطبع وجه الكافر بخاتم سليمان يكتب فيه كافر[4]. ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ يا

---

(١) قاله عبد الله بن عمرو.

انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٣٧).

والطائف: مدينة قديمة، ذات مزارع وأعناب، بها أودية ومياه جارية، تسكنها قبيلة ثقيف التي دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام في قصة مشهورة، وقد فتحها رسول الله ﷺ بعد فتح مكة، وهي الآن من المدن السعودية الكبرى.

انظر: معجم البلدان (٤/٨ـ١٢)، والموسوعة العربية العالمية (١٥/٤٧٣).

(٢) في «ح»، «ص»: عصى.

(٣) في «ق»: سليمن.

(٤) قول المصنّف: «معها عصا موسى... إلخ» يتضمن حديثين:

الأوّل: حديث أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «تخرج الدابة معها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلوا وجه المؤمن وتختم أنف الكافر بالخاتم». أخرجه أحمد في المسند (١٣/٣٢١) ح٧٩٣٧، وإسناده ضعيف؛ لضعف علي بن زيد بن جدعان. والبخاري في التاريخ الكبير (٦/٢٧٥)، والترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة النمل (٣٢٤) ح٣١٨٧، وقال: هذا حديث حسن غريب. وابن ماجة في كتاب الفتن، باب دابة الأرض (٢/١٣٥١) ح٤٠٦٦، والحاكم في المستدرك، كتاب الفتن والملاحم، باب تخريج الدابة (٤/٤٨٥)، وسكت عنه الذهبي.

الثاني: حديث أبي سريحة الأنصاري عن النبي ﷺ وفيه: «ثمّ ولّت في الأرض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب». أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الفتن والملاحم، باب يكون للدابة

فلان ويا فلان بلسانٍ عربي، وقيل: إنّ ﴿ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ كلامها عند خروجها تحكي كلام الله الدالّ على وقوع آيات الساعة التي هي منها[1]، أو هو كلامها حكاه الله تعالى بتقدير حذف المضاف، أي: بآيات ربنا، أو لكونها من خواصّ خلقه أضافت الآيات إلى نفسها كما يفعله خواصّ الملوك من إضافة ما للملوك إلى أنفسهم[2]. وقرأ الكوفيون بالكسر استئنافاً جارياً مجرى العلّة[3].

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ جماعة، ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بيانٌ للفوج، و«من» الأولى للتبعيض. ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يُحبسون[4]؛ ليلحق بهم أواخرهم. والمعنى: أنّ الله يحشر من كلّ أُمّةٍ رؤساءها بين أيديهم إلى شفير جهنّم

ثلاث خرجات (٤/٤٨٤)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، قال الذهبي: «قلّت طلحة ضعفوه وتركه أحمد». وطلحة المذكور هو: طلحة بن عمرو بن عثمان الحضرمي. انظر: تهذيب التهذيب (٥/٢٣).

(١) قاله ابن مسعود، وعطاء، وقتادة. انظر: النكت والعيون (٤/٢٢٨)، والكشّاف (٤/٤٧٤)، وزاد المسير (٦/١٩٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٣٨).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٤٧٤)، والتفسير الكبير (٢٤/٢١٨)، وأنوار التنزيل (٥٠٩).

(٣) ما ذكره المصنّف يحتاج إلى إيضاح.

قرأ الكوفيون بالفتح «أنّ الناس» بتقدير: «بأنّ الناس»، وتكون الباء للتعدية أو السببية، وقرأ الباقون بالكسر «إنّ الناس» على إضمار القول أو على الاستئناف.

انظر: السبعة (٤٨٦ـ٤٨٧)، والحجة لأبي علي الفارسي (٥/٤٠٦)، والكشف (٢/١٦٧)، والموضح (٢/٩٧٣)، والدر المصون (٨/٦٤٢ـ٦٤٣).

(٤) في «ح»: يجلسون.

حتّى إذا اجتمعوا كبكبوا كلّهم فيها. وعن ابن عباس ﵄: أبو جهل، والوليد بن المغيرة[1]، وشيبة بن ربيعة[2] يُساقون بين يدي مشركي مكّة[3].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ إلى المحشر، ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا﴾ الواو للحال، أي: كذّبتم بآياتي مفاجأة[4] ومن غير تدبر فيها ليظهر لكم أنها جديرة بالتكذيب أم التصديق، أو عاطفة أي: جمعتم بين التكذيب وعدم النظر والتأمل فيها، فإن مَن ورد عليه كتاب مِن صاحبه وإن لم يصدّق بأنه كتابه لا يقصر عن الإحاطة بما فيه. فالمنكر في الوجه الأوّل التكذيب بادي[5] الرأي، وفي [الثاني][6] التكذيب وعدم إلقاء الذهن[7]. ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الظاهر أم صدّقتم، عدل إلى المنزل؛ دلالة على انتفاء الشقّ الثاني، وأنه إنما جيء به للتكذيب، كأنه قيل: أهو ما عهد من التكذيب أم حدث أمر آخر، ولذلك

(١) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو المخزومي، أبو عبد شمس، زعيم من زعماء قريش، كان قد حرّم على نفسه الخمر في الجاهلية، عادى المسلمين وآذاهم، مات بعد الهجرة بثلاثة أشهر.
انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٩/٧٠)، والبداية والنهاية (٣/١٠٤).

(٢) شيبة بن ربيعة بن عبد شمس، من زعماء قريش في الجاهلية، أدرك الإسلام وقُتل على الشرك يوم بدر، وكان أحد المقتسمين السبعة عشر الذين كانوا يصدّون عن الإسلام.
انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٠/٥٨)، وتهذيب الأسماء واللُّغات (١/٢٣٦).

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٤٧٤ـ٤٧٥)، والبحر المحيط (٧/٩٢) ونسبه لابن مسعود.

(٤) في الأصل: مفاجاءة.

(٥) في «ق»: ببادي الرأي.

(٦) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٧) انظر: الكشّاف (٤/٤٧٥)، وأنوار التنزيل (٥٠٩).

أدخل «أم» على ما الاستفهامية الدّالة على الشكّ والتردد وضعاً[1]. ﴿ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ ﴾ أي: العذاب بسبب ظلمهم[2].

﴿ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴾؛ لشغلهم بالعذاب، وهذا حين وقوع العذاب فلا يُنافي محاجتهم قبله لقوله: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[3] بعد قولهم: ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾[4].

﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ ﴾ بالنوم والاستراحة[5]، ﴿ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ مجاز حكمي؛ لأنّ الإبصار لمن في النهار[6]. ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ همّهم الإيمان والاستدلال بآثار الصانع الدالة على وجوده ووجوبه وتوحده، وذلك أنّ مَن قَدر على ترتيب اللّيل والنهار، وإبدال النور من الظّلمة وبالعكس على هذا النظام قادر على إبدال الموت بالحياة مع أنّ

(١) انظر: الكشّاف (٤/٤٧٥)، وأنوار التنزيل (٥٠٩).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٤٧٥).

(٣) بعض الآية (٢٤) من سورة الأنعام.

(٤) بعض الآية (٢٣) من سورة الأنعام.

(٥) انظر: أنوار التنزيل (٥٠٩).

(٦) انظر: أنوار التنزيل (٥٠٩).

النوم نوعٌ من الموت[1]، والشمس روح العالم، فأي دلالة أوضح من هذه الدلالات[2].

﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾ هو القرن الذي بيد إسرافيل، أو تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش إذا نُفِخ في البوق[3]، ﴿ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ عبّر بالماضي؛ لتحقق وقوعه؛ لكونه كلام مَن لا خُلْفَ في قوله[4].

﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ بأن يثبت قلبه، قيل: هم جبرئيل[5]، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت[6]. وقيل: الحور، والخزنة، وحملة العرش[7]. وقيل:

---

(١) قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢].

(٢) انظر: التفسير الكبير (٢١٩/٢٤).

(٣) انظر: النكت والعيون (٢٢٩/٤)، وأنوار التنزيل (٥٠٩).

وقال القرطبي: «والصحيح في الصور أنه قرن ينفخ فيه إسرافيل». الجامع لحكام القرآن (٢٣٩/١٣). والبُوق: أداة مجوّفة يُنْفَخُ فيها وتُصدِر صوتاً، وجمعها أبواق.

انظر: تحفة الأحوذي (٤٨٣/١)، والمعجم الوسيط (٧٧/١) مادة «بوق».

(٤) انظر: الكشّاف (٤٧٦/٤)، وأنوار التنزيل (٥٠٩).

(٥) في «ح»: جبريل.

(٦) قاله مقاتل، والكلبي.

انظر: معالم التنزيل (٤٣١/٣)، والكشّاف (٤٧٦/٤)، وزاد المسير (١٩٥/٦).

(٧) قاله الضّحّاك.

انظر: الكشّاف (٤٧٦/٤)، وزاد المسير (١٩٥/٦).

الشهداء فإنهم أحياء عند ربهم(١)، وقيل: موسى(٢)، ولا يستقيم إلاّ إذا كانت نفخة الفزع: نفخة الصّعق على أنّ النفخات ثلاث(٣)، دلّ(٤) عليه حديث لطم اليهودي(٥)، وهي نفخة الفزع، فإنهم يموتون من شدّة الخوف ونفخة البعث، ....

---

(١) قاله ابن عباس، وأبو هريرة، وسعيد بن جبير.

انظر: جامع البيان (٢٠/٢٠)، والنكت والعيون (٤/٢٣٠)، ومعالم التنزيل (٣/٤٣١)، وزاد المسير (٦/١٩٥).

وقال القرطبي: «وقال بعض علمائنا: والصحيح أنه لم يرد في تعيينهم خبر صحيح، والكلّ محتمل. قلتُ: خفي عليه حديث أبي هريرة وقد صححه القاضي أبو بكر بن العربي فليعوّل عليه؛ لأنه نصٌّ في التعيين وغيره اجتهاد». الجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٤١).

وحديث أبي هريرة: «أنّ النبي ﷺ سأل جبريل عن قوله «إلاّ مَن شاء الله» قال: هم الشهداء المقلّدون أسيافهم حول العرش». أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢/٢٦٠) ح٢٥٦٩، وابن أبي شيبة في المصنّف (٤/٢٠٦)، الديلمي في الفردوس (٢/٣١٣) ح٣٤١٣.

(٢) قاله جابر. انظر: الكشّاف (٤/٤٧٦).

في هامش الأصل (٢٩/ب)، و«ق» (٢٦/أ). روى البخاري أنّ رسول الله ﷺ قال:«لا تفضلوني على موسى؛ فإني أوّل مَن يُفيق، فإذا موسى آخذٌ بساق العرش، فلا أدري أجُوزي بصعقة الطّور، أم أفاق قبلي».

أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: «وواعدنا موسى ثلاثين ليلة» (٢/٤٧٤) ح٣٣٩٨.

(٣) في الأصل، «ص»، «ح»: ثلث.

(٤) في «ص» زيادة: إذ ذاك بعد النفخة.

(٥) حديث لطم اليهودي: عن أبي هريرة ﷺ قال:«استبّ رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً ﷺ على العالمين ــ في قسم يُقسم به ــ، فقال اليهودي: والذيٌ اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم عند ذلك يده فلطم اليهودي، فذهب اليهودي

هذا ما ذكروه[1]، والظاهر من لفظ «يصعقون» و«يوم القيامة»[2]، ولفظ «يفيق» أنه ليس بميت. ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ ﴾ أي: الموقف بعد النفخة الثانيـة، أو الله بالانقيـاد والرجوع إليه[3].

وقرأ حمزة، وحفص «أتوه» على صيغة الفعل، واسـم الفاعـل هـو المختـار؛ لكونه الأصل في الخبر الإفراد مع قوّة المعنى[4]، ﴿ دَاخِرِينَ ﴾ صـاغرين أذِلاّء، وفي الحديث: «لم يُر الشيطان أدحر من يوم عرفة؛ لما يرى من كثير عفـو الله عـن عبـاده إلاّ ما كان من يوم بدر»[5].

إلى النبي ﷺ فأخبره الذي كـان من أمره وأمر المسلم، فقال: لا تخيّروني على موسى؛ فإنّ الناس يُصعقون فأكـون أوّل من يُفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صُعِق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله».

أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد (٤٧٨/٢) ح٣٤٠٨.

(١) اختلف العلماء في عدد النفخات:

أ ــ القول الأوّل: أنها ثلاث نفخات: الصعق، البعث، الفزع.

ب ــ القول الثاني: أنها نفختان: نفخة الصّعق وهي نفخة الفزع، والثانية نفخة البعث.

انظر: المحرر الوجيز (١٣٥/١٢)، والجامع لأحكام القرآن (٢٤٠/١٣)، والبحر المحيط (٩٩/٧).

(٢) في الأصل: القيمة.

(٣) انظر: التفسير الكبير (٢٢٠/٢٤)، وأنوار التنـزيل (٥٠٩).

(٤) وقرأ الباقون «آتوه» بالمدّ.

انظر: السبعة (٤٨٧)، والكشف (١٦٨/٢)، والتيسير (١٦٩)، والنشر (٣٣٩/٢).

(٥) حديث مرسل من رواية طلحة بن عبد الله بن كريز، وهو تابعي عن رسول الله ﷺ، أخرجـه مالك في الموطأ، كتاب الحج، باب جامع الحج (٤٢٢/١) ح٩٤٤ بلفظ: «ما رؤى إبليس ... الحديث»، وعبد الرزاق في المصنّف (٣٧٨/٤) ح٨١٢٥، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٦١/٣)

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ ثابتة في مكانها[1]، ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ أي: تسير سيراً حثيثاً، فإنّ الأجرام الثقال إذا تحركت في سمت لا يكاد[2] تظهر[3] حركتها[4]. وإليه أشار النابغة[5] في وصف جيشٍ كثيف.

وبأرعن[6] مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب تهملج[7][8]

ح٤٠٦٩، والطبري في جامع البيان (١٤/٩ـ١٠) ح١٦١٨٩ تحقيق / محمود شاكر. وقال المحقق: «وهذا خبر مرسل».

وانظر: التمهيد (١/١١٦)، والكافي الشاف (٧٠) ح٧٤.

(١) انظر: الكشّاف (٤/٤٧٦)، وأنوار التنزيل (٥٠٩).

(٢) في «ق»: لا تكاد.

(٣) في «ح»: لا يكاد يظهر.

(٤) انظر: الكشاف (٤/٤٧٦)، وأنوار التنزيل (٥٠٩)، والبحر المحيط (٧/١٠٠).

(٥) النابغة: قيس بن عبد الله بن عُدس الجعدي العامري، أبو ليلى، صحابي شاعر، من المعمّرين، سمّي النابغة؛ لأنه قال الشعر ونبغ بعد ثلاثين سنة من عمره، هجر الأوثان والخمر قبل الإسلام، وفد على النبي ﷺ وأسلم، أدرك صفين مع علي ﷺ، مات بأصبهان سنة ٥٠هـ، وله ديوان شعر مطبوع.

انظر: جمهرة أنساب العرب (٢٨٩)، وتهذيب الأسماء واللُّغات (٢/١٢٠)، وسير أعلام النبلاء (٣/١٧٧).

(٦) في الأصل، و«ص»: وبارعن، وفي «ق»: وأرعن، وفي «ح»: ربأرعن، والصواب: بأرعن، أو أرعن، وعليه يستقيم وزن البيت ومعناه.

(٧) في هامش الأصل، و«ص»: «لحاج كاين اسم جمع مفرده لحاجة من لجّ إذا نص بالأرض، والهملجة: سرعة السير».

(٨) البيت من بحر الطويل.

انظر: ديوانه (١٨٧)، والسبع الطوال (٤٦١)، والكشّاف (٤/٤٧٦)، والجامع لحكام القرآن (١٣/٢٤٢)، والبحر المحيط (٧/١٠٠)، والدر المصون (٨/٦٤٥).

﴿صُنْعَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكّد لقوله: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾، وقيل: مصدر مؤكّد لناصب «يوم ينفخ» تقديره: ويوم ينفخ في الصور أثاب المحسنين وعاقب المجرمين، ثمّ قال: صنع الله، أي: الإثابة والعقاب، وهذا إنما يستقيم باعتبار امتداد ذلك اليوم[1]، ﴿الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أحكمه، ﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ مستأنف كأنه قيل: ماذا يكون بعد تلك الأهوال، فقيل: إنه خبير ببواطن أفعالكم فيجازيكم على قدرها. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وهشام عن ابن عامر «يفعلون» بياء الغيبة؛ جرياً على سنن «آتوه»[2]، والخطاب أحسن؛ لقرب «وترى الجبال»[3]. ثمّ فصّل ذلك المجمل بقوله: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ إذ أقلّ ما يقابلها عشر أمثالها إلى سبعمائة إلى ما شاء الله تعالى[4]، ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ أي: من الخلود في النار[5]، على ما روي عن ابن عباس ﷺ[6]:

يصف الشاعر جيشاً عظيماً كأنه الجبل العظيم يُحارب به أعداءه، تظن الجيش واقفاً لحاجة؛ لكثرتهم مع أنّ ركابهم تسرع السير.

(١) انظر: الكشّاف (٤/٤٧٦-٤٧٧)، وأنوار التنزيل (٥٠٩)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/١٠١٥)، والبحر المحيط (٧/١٠٠).

(٢) في «ح»: أتقن.

(٣) وقرأ الباقون بالتاء. انظر: الكشف (٢/١٦٩)، والتيسير (١٧٠)، والنشر (٢/٣٣٩-٣٤٠).

(٤) في «ق»: تعلى.

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٤٧٧).

(٦) الصواب: رضي الله عنهما.

أنّ الحسنة هي كلمة الشهادة[1]. أو الهول العظيم؛ لقوله: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ﴾[2][3].

قرأ الكوفيون «فَزَعٍ» منوناً، وهو أحسن؛ للتهويل بالإبهام[4]. وقرأ نافع، والكسائي بفتح الميم في «يومئذ»؛ لكونه مبنياً؛ لإضافته إلى المبني [وهو أحسن][5][6]. ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ ﴾ أي: بالشرك[7]، ﴿ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ ﴾

(١) انظر: معالم التنزيل (٣/٤٣٢)، والكشّاف (٤/٤٧٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٤٤).

(٢) بعض الآية (١٠٣) من سورة الأنبياء.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٢٢٧).

(٤) وقرأ الباقون «فزعِ» مضافاً إلى «يومئذ». وهو اختيار الفراء، وأبي عبيد، وأبي حاتم، والطبري، ومكي القيسي، والبيضاوي. انظر: اختيارات مكي بن أبي طالب في كتابه الكشف (٨٧١).
قال الفراء: «والإضافة أعجب إليّ ....، ألا ترى أنه قال: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ﴾ فصيره معرفة، فأن أُضيفه فيكون معرفة أعجب إليّ، وهو الصواب». معاني القرآن (٢/٣٠١).
قال أبو عبيد: «"فزعِ يومئذ" وهذا أعجب إليّ؛ لأنه أعمّ التأويلين أن يكون الأمن من جميع فزع ذلك اليوم، وإذا قال: "من فزعٍ يومئذٍ" صار كأنه فزعٌ دون فزع».
الجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٤٥).

(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٦) اختلفت الرواية عن نافع في الميم من «يومئذ»، فروى عنه إسماعيل بن جعفر بكسر الميم غير منون، وروى عنه ورش، وقالون، وابن جمّاز، والمسيبي، وأبو بكر بن أبي أُويس فتح الميم غير منون «فزع»، واختار ابن الجزري لنافع فتح الميم من «يومئذ».
قول المصنّف: والكسائي، الصواب: قرأ نافع، والكوفيون. انظر: السبعة (٤٨٧)، والحجة لأبي علي الفارسي (٥/٤٠٨)، والكشف (٢/١٧٠)، والموضح (٢/٩٧٤ـ٩٧٥)، والنشر (٢/٣٤٠).

(٧) قاله ابن عباس، وأبو هريرة، والحسن، والنخعي، ومجاهد.
انظر: النكت والعيون (٤/٢٣١)، ومعالم التنزيل (٣/٤٣٢)، والكشّاف (٤/٤٧٧).
وقال القرطبي: «وهو إجماع من أهل التأويل في أنّ الحسنة لا إله إلاّ الله، وأنّ السيئة: الشرك في هذه الآية». الجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٤٥).

أُلقوا فيها منكوسين[1]؛ ليكون أوّل ما يصل إلى النار أشرف أعضائهم التي استكبروا أن يُعفّروها بالسجود لله. وفي الكبّ[2] معنى اللّزوم والازدحام ولذلك سمّيت الجماعة كُبّة[3]. ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ على الالتفات، أو بتقدير القول، فائدته: الإعلام بأنّ الله ليس بظلام للعبيد.

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ أمره بهذا الكلام[4] إشارة إلى أنه قد أدّى ما عليه، فلم يبق له شأن إلاّ الاستغراق في العبودية التي هي أشرف صفات العبد، وفي وصف البلد بالتحريم إشعار بأنهم أولى بتعظيم قدره؛ فإنهم سُكّانه وبه يفتخرون على سائر الناس، واسم إشارة القريب للتعظيم، وإنما وصف ذاته تعالى[5] دون البلدة؛ لأنّ إجراء الوصف عليه تعالى[6] يدلّ على عِظَم الوصف، وعظم ما تعلّق به الوصف، ولا كذلك لو وصفت البلدة[7]، ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ خلقاً وملكاً لا البلدة وحدها.

---

(١) في «ح»: منكوبين.

(٢) في الأصل: الكبت.

(٣) انظر: الصحاح (١/٢٠٧ـ٢٠٨) مادة «كبّ»، والنهاية في غريب الحديث (٧٨٧) مادة «كب»، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٤٥)، ولسان العرب (٦/٣٨٠٣ـ٣٨٠٤) مادة «كب».

(٤) في «ق»: الملك.

(٥) في «ق»: تعلى.

(٦) في «ق»: تعلى.

(٧) انظر: الكشّاف (٤/٤٧٨ـ٤٧٩)، والتفسير الكبير (٢٤/٢٢٢)، وأنوار التنزيل (٥١٠).

﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ المنقادين لأوامره المخلصين له الدين[1].

﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ وأن أداوم على تلاوته؛ ليظهر لي أسرار كنوزه. أو هو من التلوّ أي: أتبعه[2]؛ لقوله: ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ ﴾[3] ﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ بعد البيان الشافي، ﴿ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ﴾ فإنّ نفعه لا يتجاوزه، ﴿ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ لا غير فلا عليّ مِن وبال ضلالته شيء.

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ على ما خصّك به من رتبة الرّسالة ووفّقك لأدائها[4]. ﴿ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ القاهرة من القتل والأسر؛ تهديداً لهم[5]. ﴿ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾ أنها آياته[6]؛ لكونها من الخوارق التي لا يقدر عليها غيره، وقيل هو كقوله: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[7] وعلى هذا لا تهديد.

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ وعدٌ منه لمن آمن وشكر، ووعيد لمن تولّى وكفر. قرأ نافع، وابن عامر، وحفص بالخطاب؛ جرياً على الخطاب في «سيريكم»[8].

---

(١) انظر: أنوار التنزيل (٥١٠).

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٥١٠).

(٣) بعض الآية (١٠٩) من سورة يونس.

(٤) انظر: الكشّاف (٤٨٠).

(٥) انظر: التفسير الكبير (٢٤/٢٢٣)، وأنوار التنزيل (٥١٠).

(٦) في «ق»: آيته.

(٧) بعض الآية (٥٣) من سورة فصلت.

(٨) وقرأ الباقون بالياء.

انظر: السبعة (٤٨٨)، والحجة لأبي علي الفارسي (٥/٤١٠)، والموضح (٢/٩٧٥).

تفسير
سورة القصص

«سورة القصص»

مكية وهي ثمان وثمانون آية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [١-٦].

﴿ طسٓمٓ ﴾ اسم السورة، أو حروف مقطّعة للاتّعاظ[2]، ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ أي: آيات السورة آيات الكتاب الواضح إعجازه. ﴿ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ ﴾ بلسان جبرئيل[3].

---

(١) انظر: زاد المسير (٦/ ٢٠٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٤٧)، والبحر المحيط (٧/ ١٠٣-١٠٤).

(٢) انظر: الكشّاف (١/ ١٣٩-١٤٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٨٨).

(٣) في «ح»: جبرائيل.

﴿مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ﴾ بعض نبأهما، ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ ملتبساً[1] به ومحقّين، ﴿لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ ليقوى بذلك جأشهم ويعلموا أنّ العاقبة لهم، [أو لأنهم ينتفعون به][2].

﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ استئناف كأنه قيل: كيف نبأهما[3]؟، والأرض: أرض مصر لم يتجاوز حكمه منها[4]، ﴿وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا﴾ فِرقاً يُشيعونه فيما يُريد ويُطيعونه[5]، أو جعلهم أصنافاً في خدمته عيّن لكلّ طائفةٍ منهم نوعاً، أو جعل أحزاباً بأن أغرى بعضهم على بعض وألقى بينهم[6] العدواة؛ لئلاّ يتّفقوا[7] عليه[8]. ﴿يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ﴾ هم بنو إسرائيل، حال من فاعل «جعل»، أو صفة «شيعاً»، أو كلام مستأنف[9]. ﴿يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ﴾ بدل من «يستضعف»، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ ولذلك

---

(١) في «ح»: أو متلبساً.

(٢) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ص»، «ح»، «ق».

(٣) في الأصل، «ح»، «ق»: نبأوهما.

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٤٨١)، وأنوار التنزيل (٥١٠).

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٤٨١).

(٦) في «ح»: عنهم.

(٧) في «ح»: ينعقوا.

(٨) انظر: الكشّاف (٤/٤٨٢)، وأنوار التنزيل (٥١١).

(٩) انظر: الكشّاف (٤/٤٨٢)، والدر المصون (٨/٦٤٩).

كان يقتل بلا فائدة؛ لأنّ الكاهن الذي أخبره أنه يولد منهم مولود ويكون ذهاب ملكه على يديه إن كان صادقاً فأيّ فائدة في قتل الأطفال، وإن كان كاذباً فبالأولى"[1]. ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أرض مصر، عطف على قوله: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ داخل تحت المنبأ به، ولا يجوز عطفه على «نتلو»؛ لاستلزامه خروجه عنه وهو منه بل أعظمه وأهمّه، وكذا عطفه على «يستضعف» سواء جعل حالاً عن ضمير «جعل»، أو صفة لـ«شيعاً»، أو كلاماً مستأنفاً، وقيل: حال من ضمير «يستضعف» بناءً على أنّ إرادة الله يجوز تعلّقها بتكوين شيء مترقّب الوجود، وفيه أنّ المضارع المثبت لا يقع حالاً مع الواو، وتقدير المبتدأ تكلّف"[2].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/١٣٢)، والكشّاف (٤/٤٨٢).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٤٨٢)، والتفسير الكبير (٢٤/٢٢٦)، والبحر المحيط (٧/١٠٤)، والدّر المصون (٨/٦٥٠). وكلام المصنّف عن الإرادة يحتاج إلى إيضاح، فالإرادة باعتبار تعلّقها بوقوع المراد تنقسم إلى أربعة أقسام:

الأوّل: ما تعلّقت به الإرادتان الكونية والشرعية، وهو ما وقع في الوجود من الأعمال الصالحة.

الثاني: ما تعلّقت به الإرادة الشرعية فقط كالطّاعات والأعمال الصالحة، فهي مرادة شرعاً وغير مرادة كوناً؛ لأنها لم تقع من الكفّار والعصاة.

الثالث: ما تعلّقت به الإرادة الكونية فقط كالمباحات، فهي غير مأمور بها ديناً.

الرابع: ما لم تتعلّق به الإرادتان، وذلك مما لم يقع من أنواع المباحات والمعاصي.

وقد ناقش شيخ الإسلام ابن تيمية قول المصنّف ونسبه إلى الكلابية والأشعرية والكرامية، الذين يقولون: إنّ إرادة الله قديمة أزلية ويتجدد تعلّقها بالمراد.

﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ يقتدي بهم في الدّين، وعن قتادة: ولاة؛ لقوله: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾"[1][2]، ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ ملك فرعون وقومه. ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر والشام، مكّنت للشيء: جعلت له مكاناً، ثمّ اشتهر في التسليط والإطلاق في التّصرُّف[3]. ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ من زوال ملكهم على يد مولودٍ من بني إسرائيل[4]. وقرأ حمزة، والكسائي «يَرى» بفتح الياء وألف ممالة مضارع «رأى» ورفع الأسماء الثلاثة على الفاعلية، والنون أشدّ تهويلاً وأوفق بالأفعال السابقة واللاّحقة[5].

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ

والصواب: قول السلف: «إنه لم يزل مريداً بإرادات متعاقبة، فنوع الإرادة قديم، وأمّا إرادة الشيء المعيّن فإنما يريده في وقته».

انظر: مجموع الفتاوى (٨/١٨٩)، (١٦/٣٠٣)، ومنهاج السنة (١/٣٨٩)، ولوامع الأنوار البهيّة (١/٣٣٨)، وروح المعاني (٢٥/٦٢).

(١) انظر: النكت والعيون (٤/٢٣٤)، والكشّاف (٤/٤٨٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٤٩).

(٢) بعض الآية (٢٠) من سورة المائدة.

(٣) انظر: المفردات (٧٧٣)، والكشّاف (٤/٤٨٢ـ٤٨٣)، وأنوار التنزيل (٥١١).

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٤٨٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٤٩).

(٥) وبالنون قرأ الباقون.

انظر: السبعة (٤٩٢)، والتيسير (١٧٠)، والموضح (٢/٩٧٨)، والنشر (٢/٣٤١).

فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [٧-١٣].

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾ بإلهام، أو بالرؤيا. وعن الإمام الماتريدي(١)(٢): يجوز أن يكون بإرسال ملك كما أُرسِل جبرئيل(٣) إلى مريم وكلّمها شفاهاً(٤). ﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ ما أمكنك، ﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ في نيل مصر(٥)،

---

(١) في «ق»: الماتردي.

(٢) الماتردية: محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، أبو منصور، من أئمة علم الكلام، نسبته إلى «ماتُريد» محلّة بسمرقند، مات عام ٣٣٣هـ بسمرقند، ومن كتبه: «التوحيد»، و«الردّ على القرامطة»، و«الجدل».

انظر: مقدّمة التوحيد (١-٧)، والفهرست (٢٩٠)، ومفتاح السعادة ومصباح السّيادة (٨٦/٢).

(٣) في «ح»: جبرائيل.

(٤) انظر: الكشّاف (٨٠/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٢٥٠/١٣)، والبحر المحيط (٢٢٥/٦).

(٥) انظر: النكت والعيون (٢٣٥/٤)، والكشّاف (٤٨٣/٤).

﴿ وَلَا تَخَافِي ﴾ عليه ضيعةً، والخوف المثبت أوّلاً خوف القتل[1]، ﴿ وَلَا تَحْزَنِيٓ ﴾ لفراقه، الخوف: غمٌّ يلحق الإنسان لِمُتَوَقَّع، والحزن: غمٌّ يلحقه لكائن أو فائت[2]، ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ ﴾ تسليةً لها، ﴿ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ بشارةً بما يملؤها غبطةً وسروراً[3].

روي[4] أنها لما أضرّ بها الطّلق[5] دعت قابلة من الموكّلات لحبالى بني إسرائيل وكانت مصافية لها، فلما وضعته رأت القابلة[6] نوراً ساطعاً بين عينيه وأحبته حبّاً شديداً، وقد تقدّم في قوله تعالى[7]: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾[8] أنه لم يره أحدٌ إلاّ أحبه، فقالت لأمّ موسى: كنت ما جئت إلاّ لأُخبر فرعون بولادته، ولكن[9] دخل في قلبي حُبّه، فاحتفظي به؛ لئلا يراه عيون فرعون وسعاته، فأخفت[10] شأنه

(١) انظر: الكشّاف (٤/٤٨٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٥١).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٤٨٣)، والتفسير الكبير (٢٤/٢٢٧).

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٤٨٣).

(٤) في «ق»: يروى.

(٥) الطّلق: وجع الولادة. انظر: المعجم الوسيط (٢/٥٦٣) مادة «طلق».

(٦) القابلة: هي المرأة التي تساعد النفساء عند الولادة وتتلقّى الولد.

انظر: المعجم الوسيط (٢/٧١٢) مادة «قبل».

(٧) في «ق»: تعلى.

(٨) بعض الآية (٣٩) من سورة طه.

(٩) في «ق»: ولاكن.

(١٠) في «ح»: فأختفت.

وأرضعته ثلاثة[1] أشهر، فلمّا ألحّ فرعون في طلب المواليد أوحى الله تعالى إليها فجعلته في تابوت[2] وألقته في اليمّ[3].

﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ﴾ لم يلتقطوه إلاّ ليكون لهم قرّة أعين لكن[4] لم يترتب على الالتقاط إلاّ ذلك، شُبّه بما يكون مقصوداً غرضاً من الفعل فاستعير له اللاّم كما يُستعار الأسد لمن يُشبه الحيوان المعروف في الجرأة[5][6].

قرأ حمزة، والكسائي «حُزْناً» بضمّ الحاء وإسكان الزاي وهما لغتان، والفتح لغة الحجاز الشائعة[7]. ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ﴾ مستمرين على خلاف الصواب[8]، فليس ببدع منهم أن يُربّوا من يكون زوال ملكهم على يديه، بعد أن قتلوا أُلوفاً من خوفه، أو كانوا مجرمين من الخطأ[9] وهو الإثم ولذلك عاقبهم الله بأن ربّى على يديهم من يكون سبباً لهلاكهم، فالكلام مستأنف للتعليل واللاّم على هذا جارية على أصلها، كأنه قال: دبّر ما دبّر

---

(١) في الأصل، «ح»، «ص»: ثلثة.

(٢) التابوت: الصندوق الذي يُحرز فيه المتاع، والمراد هنا: الصندوق الذي وُضِع فيه موسى عليه السلام.
انظر: المفردات (١٦٢)، والمعجم الوسيط (٨١/١) مادة «تب».

(٣) انظر: الكشّاف (٤٨٣/٤)، والتفسير الكبير (٢٢٧/٢٤)، وأنوار التنزيل (٥١١).

(٤) في «ق»: لاكن.

(٥) في «ح»، «ص»: الجراءة، وفي «ق»: الجرءة.

(٦) انظر: الكشّاف (٤٨٤/٤)، وأنوار التنزيل (٥١١).

(٧) والفتح قراءة الباقين.
انظر: السبعة (٤٩٢)، والتيسير (١٧١)، والموضح (٩٧٩/٢)، والنشر (٣٤١/٢).

(٨) في «ص» زيادة ويذرون.

(٩) في الأصل و «ق»: الخطئ، وفي «ص»: الخطوة، وفي «ح»: الخطاء.

ليكون موسى عدوّاً وحزناً؛ لأنهم كانوا مجرمين أحقّاء بذلك[1]. ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ أراد قتله، قالت له ذلك وجزمت به؛ لأنها رأت منه مخايل النجابة. وقيل: كان لفرعون بنت برصاء فعجزت الأطباء عن علاجها وقالوا: شفاؤها من ريق حيوان في البحر يُشبه الإنسان، فلما أخرجوه من البحر لطّخوها بريقه فبرأت على الفور[2]. ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ الخطاب لفرعون، والجمع للتعظيم، أو للموكّلين بقتل الأولاد[3]، ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ لما رأوا فيه من دلائل اليُمْن أثر النجابة ساطع البرهان[4]، ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ نتبنّاه فإنه يصلح لأن يكون من أولاد الملوك، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ حال من «آل فرعون» أي: التقطوه وهم لا يشعرون أنهم على خطأٍ عظيمٍ في ذلك[5]. وقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ﴾ اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه يُؤكّد خطأهم[6]. ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ خالياً من العقل؛ لـمّا سمعت بوقوعه في يد فرعون[7]،

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٤٨٤)، وأنوار التنزيل (٥١١).

(٢) انظر: معالم التنزيل (٤/٤٣٦)، والتفسير الكبير (٢٤/٢٢٧ــ٢٢٨)، وأنوار التنزيل (٥١١).

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٥١١).

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٤٨٥)، وأنوار التنزيل (٥١١).

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٤٨٥)، وأنوار التنزيل (٥١١).

(٦) قال الزمخشري: «وما أحسن هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم». الكشّاف (٤/٤٨٥).

(٧) قاله مالك. انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٥٥)، والبحر المحيط (٧/١٠٧).

وفيه دليل على أنّ القلوب مراكز العقول[1]. ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ أي: بأمر موسى؛ من فرط الوَلَه والضجر، ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ بإلهام الصبر، والقلب وسط الفؤاد[2]. وإنما ذَكَرَ الفؤاد أوّلاً؛ لأنّ فراغه يستلزم فراغ القلب، ولم يكتف به في الرّبط؛ مبالغة في سلب القلق والاضطراب عنها، وأصبح فؤاد أُمّه فارغاً من الحزن حين سمعت بإنّ فرعون عطف عليه وأبقاه، وكادت تُظهِر شأنه فرحاً وسروراً؛ لولا أنّ الله سكّن جاشها وأذهب قلقها[3]؛ [﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدّقين بوعد الله حين قال لها: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾، أو لتكون واثقة بحفظ الله وكلاءته لا بتبني فرعون][4]. ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ﴾ مريم[5]، ﴿قُصِّيهِ﴾ تتبّعي أثره[6]، ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٤٨٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٥٥).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٤٨٥).

قال تعالى: ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ بعض الآية (٤٦) من سورة الحج.

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٤٨٦)، وأنوار التنزيل (٥١١ـ٥١٢).

والصواب في تفسير «فارغاً»: أنه فرغ من كلّ شيء في الدنيا إلاّ من ذِكر موسى ﷺ، وقال به ابن عباس، ومجاهد، والضّحّاك، وجمهور المفسّرين، واختاره النحاس فقال: «أصحّ هذه الأقوال الأوّل، والذين قالوه أعلم بكتاب الله عزّ وجلّ».

معاني القرآن للنحاس (٥/١٦١)، وجامع البيان (٢٠/٣٦ـ٣٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٥٥).

(٤) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٥) قاله مقاتل.

انظر: زاد المسير (٦/٢٠٥).

(٦) غريب القرآن (٣٢٩).

فقصّت أثره فرأته من بعيد، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنها جاءت تقصّ أثره، أو أنها أُخته[1]. ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ قبل مجيئها، مجاز عن المنع، فإنّ مَن حُرِّم عليه شيء فقد مُنِع عنه. والمراضع جمع مُرضِع [وهي التي تُرْضِع][2]، أو مرضع اسم مكان، أو مصدر[3]. ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ لا يُقصّرون في تربيته، روي أنّ هامان[4] قال: هذه تعرفه.

فقالت: إنما أردت أنهم للملك ناصحون[5]، وما يُقال: أنّ مرجع الضمير مختصّ بلغة العرب ساقط؛ لعدم الاختصاص[6]، أو لأنّ فرعون كان من العمالقة وهم كانوا يتكلمون بالعربية[7]. ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ﴾ روي أنها لما جاءت وجدت موسى على يد فرعون يُعللّه، فتناولته منه وألقمته الثدي، فقال فرعون: مَن أنت

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٤٨٦).

(٢) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/٢٣٠)، والكشّاف (٤/٤٨٦)، والدّر المصون (٨/٦٥٥).

(٤) هامان: لفظ أعجمي غير مشتقّ، يُقال: إنه كان من قرية ببلخ اسمها: يختار باذ، قدم مصر، ثمّ صار وزيراً لفرعون. انظر: الإكمال (٤/٩٦)، والمعرّب (٦٣٧).

(٥) قاله السدي، وابن جريج.

انظر: جامع البيان (٢٠/٤١)، ومعالم التنزيل (٣/٤٣٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٥٧).

(٦) في هامش الأصل، «ص»: «لأنّ الروابط في سائر اللُّغات بمنزلة الضمائر».

انظر: الكشف على الكشّاف (٣٨٠/أ) (خ).

(٧) انظر: الكشف على الكشّاف (٣٨٠/أ)، ونهاية الأرب (١٤٤).

منه؟؛ فإنه أبى كلّ ثدي إلاّ ثديك. فقالت: إني امرأة طيبة الرائحة طيبة اللّبن لا أُوتى بصبي إلاّ قبلني، فدفعه إليها وأجرى عليها[1]. والكلام في أنها كيف أخذت الأجر؟!، مبني على اختلاف الشرائع، بل المذاهب في ذلك مختلفة، أو أنه كان مال حربي[2]، ﴿كَيْ نَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ بفراقه، ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ علماً تزول معه الشبهة، ﴿حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إنّ وعد الله حقٌّ فيرتابون، استدراك مما وقع بعد العلم، وفيه تعريض بأُمّ موسى، حيث أصبح فؤادها فارغاً بعد سبق وعد الله تعالى[3]، أو من العلم أي: ولتعلم أنّ الردّ إنما كان لهذا الغرض هو علمها بصدق وعد الله، وما عَدَاهُ من قرّة[4] العين وذهاب الحزن تبع[5] قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ

---

(١) انظر: النكت والعيون (٤/٢٣٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٥٨)، والبحر المحيط (٧/١٠٨).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٤٨٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٥٨).

(٣) في «ق»: تعلى.

(٤) في «ح»: قوّة.

(٥) قاله الزمخشري.

انظر: الكشاف (٤/٤٨٧).

رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [١٤-١٧].

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ المبلغ الذي لا يزيد عليه نماؤه وذلك أربعون سنة(١)، مفرد على وزن الجمع، وعن سيبويه: جمع شدَّة(٢). ﴿ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾ اعتدل جسمه وعقله(٣). ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا ﴾ نبوة(٤)، ﴿ وَعِلْمًا ﴾ علم الشرائع وأحوال الأمم، وهذا إجمال في القصّة فلا يُنافي كون نبوته بعد مراجعته من عند شعيب(٥)، ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ وكما جازينا موسى وأُمّه على إحسانهم نجزي سائر المحسنين.

---

(١) قاله الحسن، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد.

انظر: معاني القرآن للنحاس (١٦٤/٥)، والنكت والعيون (٢٤٠/٤)، والكشّاف (٤٨٨/٤)، وزاد المسير (٢٠٧/٦).

(٢) وقال أيضاً: «وقد كسّرت «فِعْلة» على «أَفْعُل»، وذلك قليل عزيز ليس بالأصل».

الكتاب (٥٨١/٣ـ٥٨٢). وانظر: البحر المحيط (٢٥٣/٤)، والدر المصون (٤٦٢/٦).

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٥١٢).

(٤) قاله السّدي.

انظر: النكت والعيون (٢٤١/٤)، وأنوار التنزيل (٥١٢).

(٥) انظر: معالم التنزيل (٤٣٨/٣)، وأنوار التنزيل (٥١٢).

﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ ﴾ مدينة فرعون وهي مصر[1]، فإن قلتَ: أين كان حتى قال: «ودخل المدينة»؟. قلتُ: كان هاجرهم[2] يعبد الله خالياً كما كان يفعله رسول الله بغار حراء[3]، ولا يدخل إلاّ لضرورة مستخفياً، ولذلك قال: ﴿ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ أي: بين العشائين[4]، أو وقت القيلولة[5]، وقيل: بل كان آتياً من قصر فرعون[6]، وقيل: من الإسكندرية[7][8]. ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ﴾ يختصمان في الدّين.

---

(١) قاله محمد بن إسحاق، وابن شجرة.

انظر: النكت والعيون (٤/٢٤١)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٦٠)، والبحر المحيط (٧/١٠٩).

(٢) كذا في النسخ كلّها، والصواب: كان قد هجرهم.

(٣) غار حراء: غار في جبل حراء، اعتزل فيه النبي ﷺ قبل البعثة، وفيه أتاه جبريل عليه السلام بالوحي.

انظر: معجم البلدان (٢/٢٣٣).

(٤) قاله ابن عباس، ومحمد بن كعب.

انظر: النكت والعيون (٤/٤٦١)، ومعالم التنزيل (٣/٤٣٨)، والتفسير الكبير (٢٤/٢٣٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٦٠).

(٥) قاله سعيد بن جبير.

انظر: النكت والعيون (٤/٢٤١)، وأنوار التنزيل (٥١٢).

(٦) انظر: أنوار التنزيل (٥١٢)، والبحر المحيط (٧/١٠٩).

(٧) الإسكندرية: مدينة مصرية كبيرة تقع شمال مصر على شاطئ البحر المتوسط، بناها الإسكندر الأكبر، وفتحها عمرو بن العاص سنة ٢٠هـ.

انظر: معجم البلدان (١/١٨٢)، والموسوعة العربية العالمية (٢/٢٣).

(٨) انظر: البحر المحيط (٧/١٠٩).

﴿ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ أحدهما قبطي والآخر سبطي[1]. واسم الإشارة؛ لتصوير الكائن في صورة الحاضر[2]. ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ ﴾ عليه [السلام][3] بعد ما دعاه إلى الحقّ فلم يرعوِ.

والوَكْزُ: الضرب بجمع الكفّ[4]. وفي حديث المعراج: «فوكز بين كتفي»[5]. ﴿ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾ قتله[6]، أصل القضاء: إتمام الشيء قولاً وفعلاً[7].

وقال الرّازي: «ولا مطمع في ترجيح بعض هذه الروايات على بعض؛ لأنه ليس في القرآن ما يدلّ على شيء منها!!». التفسير الكبير (٢٤/٢٣٣).

(١) قاله ابن عباس.

انظر: النكت والعيون (٤/٢٤١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/١٣٦).

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٤) انظر: معاني الزجاج (٤/١٣٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/١٦٦)، والمفردات (٨٨٢) مادة «وكز»، وزاد المسير (٦/٢٠٨).

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/١٧١)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/٨٦٩)، والطبراني في الأوسط (٦/٢١١)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/٧١٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/٣١٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/١٧٥) ح١٥٥، والديلمي في الفردوس (٢/١٧)، والبغوي في شرح السنة (١٣/٢٤٧)، وقال: «هذا مرسل»، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/٧٥)، وقال: «رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح». وقال ابن حجر عن الحديث: «ورجاله لا بأس بهم». فتح الباري (٧/١٩٨).

(٦) قاله قتادة.

انظر: معاني القرآن للنحاس (٥/١٦٧)، والنكت والعيون (٤/٢٤٢)، وأنوار التنزيل (٥١٢).

(٧) انظر: المفردات (٦٧٤) مادة «قضى».

﴿ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ أي: قتل القبطي، سمّاه عمل الشيطان؛ لأنه لم يكن مأموراً بقتله، أو لكونه مأموناً بينهم وذلك لا يقدح في عصمته؛ لأنه كان خطأً، لم يقصد بوكزه القتل، واستغفاره وعدّه ظلماً وعمل الشيطان وتسمية نفسه ضالاً على دأب المقربين في عدّ المحقّرات عظائم[1]. ﴿ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ لا اشتباه فيه. ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ﴾ بعد الاستغفار، ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ﴾ كثير الغفران ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ وافر الرّحمة. ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ من المغفرة وغيرها لأتوبنّ، قسم محذوف الجواب، أو استعطاف أي: بحقّ ما أنعمت عليّ إعصمني[2]، ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ لمن إعانته تؤدّي إلى الإجرام كمظاهرة الإسرائيلي[3]. وقيل: أراد مظاهرة فرعون؛ فإنه كان يركب معه ويُكَثِّر سواده[4].

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٤٨٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٦١)، وأنوار التنزيل (٥١٢).

(٢) في هامش الأصل، «ق»: «وهذا الثاني وإن كان صورته قسماً إلاّ أنه ليس بقسم حقيقة وقولهم: أقسمت عليك لتفعلنّ، كذا توسّعٌ منه».
انظر: الكشف على الكشّاف (٣٨٠/ب).

(٣) يرى بعض النحاة كابن عصفور، وابن هشام أنّ «لن» في هذا الموطن تكون للدّعاء.
والصواب أنها إخبار.
قال أبو حيّان: «والصحيح أنّ «لن» لا تكون في الدّعاء».
انظر: الأُصول في النحو (٢/١٧١)، وتوضيح المقاصد (٤/١٧٤)، والبحر المحيط (٧/١١٠)، ومغني اللّبيب (١/٢٨٤).

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٤٨٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٦٢)، وأنوار التنزيل (٥١٢)، والبحر المحيط (٧/١١٠).

قال تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [١٨-٢٢].

﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ المكروه من الاستقادة[١] وغيرها مما يُقال فيه[٢].

﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ﴾ يستغيث به على قبطي آخر يُشاجره، ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ شديد الغواية ظاهرها؛ لأنك بالأمس تسببت في هلاك رجل[٣]، والآن تسعى في هلاك آخر[٤]. ﴿ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا ﴾ لموسى وللإسرائيلي[٥]. ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ﴾ أي: قال الإسرائيلي لما سمّاه غوياً وهمّ بالبطش بعدوّهما

(١) في الأصل: الاستعادة، وفي «ح»، «ص»: الاستفادة.

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٤٨٩)، وأنوار التنزيل (٥١٣).

(٣) في الأصل: رحلة، وفي «ح»: رجاء.

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٤٨٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٦٥)، وأنوار التنزيل (٥١٣).

(٥) انظر: أنوار التنزيل (٥١٣).

ظـنّ أنه يقصده فنمّ عليه، أو القبطي لما سمع قول موسى للإسرائيلي: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ وكان قتل القبطي قد اشتهر ولم يُعْلَم قاتله، ففهم أنه القاتل[1]. ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ تقـتل الناس على الغـضب، أو متكـبراً لا يتواضـع لأمر الله[2]. ﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ بين المتخاصمين، فإنّ شـأن المـصلح الدّفع بالأحسن لا قتل أحد الخصمين[3].

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ يعـدو صـفة «رجـل»، أو حـال مـن الرجل؛ لأنه نكـرة موصـوفة[4]. فـإن قلـتَ في سـورة «يـس»[5] ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾[6] بتقديم الجار على المجرور على عكس ما وقـع هنـا[7]، فـما وجه اختصاص كلّ بموضعه؟.

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٦٥)، وأنوار التنـزيل (٥١٣)، والبحر المحيط (٧/١١٠). واختار الرازي القول الثاني وقال: «والظاهر هذا الوجه». التفسير الكبير (٢٤/٢٣٧).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٤٨٩)، والتفسير الكبير (٢٤/٢٣٧).

(٣) انظر: أنوار التنـزيل (٥١٣).

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٤٨٩)، والدّر المصون (٨/٦٦٠ــ٦٦١).

(٥) في الأصل «يسن».

(٦) بعض الآية (٢٠).

(٧) في «ح»: منا.

قلتُ: الكلام هنا جارٍ على أصله، وإنما غيّر هناك؛ لأنّ مساق الحديث لبيان سوء معاملة[1] أهل القرية الرّسل، فكان مظنة[2] أن يتردد السامع هل هناك مَن فيه خير أم الكلّ على الباطل[3]؟؛ فلذلك قدّم ذِكر الرّجل الداعي إلى اتباع الرّسل[4]. ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ﴾ أي: أشراف قوم فرعون، ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ أي: يتشاورون لأجلك. الائتمار: التشاور؛ لأنّ كلاً من المشاورين يأمر صاحبه بما يظهر له من الرأي[5].

﴿لِيَقْتُلُوكَ﴾ قصاصاً عن[6] القبطي الذي قتلت.

﴿فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ اللاّم للبيان كما في ﴿هَيْتَ لَكَ﴾[7]، وليست صلة للناصحين؛ لأنّ معمول الصّلة لا يتقدّم على الموصول[8]. ﴿فَخَرَجَ

(١) في «ح»: معاملته.

(٢) في «ق»: مظنته.

(٣) في هامش الأصل: «وأنّ القرية سترتراب؛ حيث لم ينبت بها مَن فيه شائبة خير».

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن (٣/٢٨٤).

(٥) انظر: المفردات (٨٩) مادة «أمر»، والتفسير الكبير (٢٤/٢٣٧)، وأنوار التنزيل (٥١٣).

(٦) في «ق»: على.

(٧) بعض الآية (٢٣) من سورة يوسف.

(٨) «أل» في «الناصحين» تجيء بمعنى الموصول؛ لأنها دخلت على اسم الفاعل، وقد منع المصنّف تقدّم الصّلة على الموصول، وأجازها بعضهم؛ لأنه يتسامح في الظّرف والمجرور ما لا يتسامح في غيرهما.

﴿مِنْهَا﴾ من مصر، ﴿خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ اللّحوق به، ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ خلّصني من شرّهم. ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ صوبه وما يُحاذيه، مأخوذ من اللّقاء[1].

ومدين قرية شعيب، سمّيت باسم بانيها مدين بن إبراهيم، وبينها وبين مصر ثمان أو سبع مراحل[2]. ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: الطّريق السواء، والسواء: العدل الذي لا انحراف فيه، كان قاصداً مدين ولم يعرف الطّريق[3]. وقيل: لم [يكن][4] قاصداً لمكان معيّن بل أخذ طريقاً يوصله إلى أي بلد، فسنح[5] له ثلاث[6] طرق فأخذ في أوسطها، فجاء الطلب في أثره فأخذوا في الأخيرين[7].

انظر: الكشّاف (٤/٤٨٩)، والبحر المحيط (٧/١١١)، والدّر المصون (٨/٦٦١)، ومغني اللّبيب (١/٤٩، ٢٢٢).

(١) في «ق»: اللّقاء.

(٢) انظر: معجم ما استعجم (٤/١٢٠١)، والكشّاف (٤/٤٩٠)، ومعجم البلدان (٤/٧٧ــ٧٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/١٣٨)، والمفردات (٤٤٠ــ٤٤١) مادة «سوء»، والكشّاف (٤/٤٩٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٦٦).

(٤) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٥) في «ح»: فسح.

(٦) في الأصل، «ح»، «ص»: ثلث.

(٧) انظر: أنوار التنزيل (٥١٣)، والبحر المحيط (٧/١١٢).

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [٢٣-٢٥].

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ ﴾ بئراً لهم معروفاً، يُقال: وردت الماء إذا جئت للشرب، والوِرْد بكسر الواو ذلك الماء(١) أي: ﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ ﴾ على مكان قريب منه. ﴿ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ جماعة من ناس(٢) مختلفين، ﴿ يَسْقُونَ ﴾ أي: مواشيهم، ﴿ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ﴾ أي: في أدنى مكانٍ منهم(٣)، ﴿ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ ﴾ تمنعان أغنامهما عن الورود(٤)، حذف المفعول؛ لمجرد(٥) لاختصار، وقيل: لأنّ الفعل هو المقصود، وذلك لأنّ الترحّم إنما كان لكونهما على الذود، وأمّا أنّ مِذْودهما غنم أو غيره فلا دخل له في ذلك، هذا إذا لم يلاحظ إضافة المفعول، وأما إذا لوحظ فلا شكّ أن ترحمه إنما كان لكونهما على ذود غنمها والقوم

(١) انظر: المفردات (٨٦٥) مادة «ورد»، والكشّاف (٤/٤٩٠)، وأنوار التنزيل (٥١٣).

(٢) في «ق»: أُناس.

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٤٩٠)، وأنوار التنزيل (٥١٣).

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٤٩٠)، وأنوار التنزيل (٥١٣).

(٥) في «ح»: بمجرد.

على سقى مواشيهم، حتى لو كان القوم على سقي غنمهما وهم على ذود مواشيهم لم يكن للترحم وجه"[1]. ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ أي: ما الموجب لمنعكما؟، الخطب: الأمر المهم الذي يقع الخطاب في شأنه"[2]. ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ الصدَر بفتح الدال: الرجوع بعد الورود"[3]. وقرأ نافع، وابن كثير، والكوفيون بضمّ الياء وكسر الدال من الإصدار وهو رد المواشي بعد الإيراد، والفتح أولى؛ لأنّ الغاية رجوع القوم[4] لا ردّ المواشي، ولسلامته عن الحذف[5]. ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ «لا يستطيع الخروج للسقي. فيه استعطاف ودفع لما يُتَوَهّم من العار في استرعاء العواتق؛ فإنه مخلٌّ بالمروءة[6]»[7]. ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى

---

(١) في هامش الأصل، «ص»، «ق»: «الأوّل: طريق السكاكي، والثاني: طريق عبد القاهر والكشّاف».

انظر: الكشّاف (٤/٤٩١)، ودلائل الإعجاز (١٢٤ــ١٢٥)، والبرهان في علوم القرآن (٣/١٦٣، ١٦٤، ١٧٦، ١٧٧).

(٢) انظر: المفردات (٢٨٦) مادة «خطب»، والكشّاف (٤/٤٩٠).

(٣) انظر: زاد المسير (٦/٢١٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٦٩).

(٤) في هامش الأصل فقط: «إذ به يرتفع المانع».

(٥) والفتح قراءة أبي عمرو، وابن عامر. انظر: السبعة (٤٩٢)، وعلل القراءات (٢/٥٠٢)، والكشف (٢/١٧٢ــ١٧٣)، والموضح (٢/٩٧٩)، والنشر (٢/٣٤١).

(٦) في النسخ كلّها: بالمروّة.

(٧) انظر: البحر المحيط (٧/١١٣).

﴿ٱلظِّلِّ﴾ «ظل سمرة[1][2]». ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ أي: لأي شيء أنزلته من قليل وكثير محتاج، وإنما عدّى الفقير باللاّم؛ لتضمينه معنى السؤال. قيل: ما قال هذا الكلام إلاّ وكان يرى خضرة البقل في بطنه من الهزال[3]. أو المعنى: لأجل ما أنزلت إليّ من المعرفة بك وبصفاتك صرتُ فقيراً من خير الدنيا، فعلى هذا يكون تبجّحاً منه وسروراً بحاله كما هو دأب النفوس القدسية[4].

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ على وجه الحياء والخفر، مصوبةً رأسها كما هو دأب العواتق لا سيما بنات الأنبياء[5].

﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ لم يكن أجراً حقيقة، بل أرادت المكافأة[6] على الإحسان، ولو كان أجراً لم يقدح في كمال موسى؛ لأنه كان محتاجاً، وقيل: بل لم يتناول طعاماً لـمّا قدّمه إليه وقال: إنّا

(١) في «ح»: شجرة.

(٢) قاله السّدي. انظر: النكت والعيون (٤/٢٤٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٦٩).
والسَّمُرة: شجرة من الطّلح، صغيرة الورق، قصيرة الشوك.
المعجم الوسيط (١/٤٤٨) مادة «سمر».

(٣) انظر: النكت والعيون (٤/٢٤٦)، والمحرر الوجيز (١٢/١٥٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٧٠).

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٤٩٢)، والتفسير الكبير (٢٤/٢٤٠)، وأنوار التنزيل (٥١٤).
وفي هامش الأصل: «الأحسن أن يكون طلب المزيد وعرض الحاجة، فأجاب الله دعاءه وإليه بلّغه الرسالة التي هي أقصى مراتب البشر»

(٥) انظر: أنوار التنزيل (٥١٤)، والبحر المحيط (٧/١١٤).
والخفر: شدّة الحياء، ومنه جارية خَفِرَة ومتَخفِّرَة. انظر: الصحاح (٢/٦٤٩) مادة «خفر».

(٦) في «ق»، والأصل: المكافأت.

أهل بيت لا نأخذ على المعروف ثمناً، فقال شعيب: كذلك عادتنا مع كلّ وارد علينا[1].

﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ﴾ مصدر كالعلل بمعنى المقصوص أي: ما جرى من أمره[2]. ﴿قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فرعون وقومه، فإنّ حكم فرعون لم يتجاوز بلدة قبطيا[3].

قال تعالى: ﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٢٨﴾﴾ [٢٦-٢٨].

﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا﴾ وهي التي دعته إلى أبيها وهي الكبرى واسمها صفرا، واسم الصغرى صفيرا[4]. ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ﴾ لرعي الغنم. ﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٤٩٢)، والتفسير الكبير (٢٤/٢٤١)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٧١).

(٢) انظر: معاني القرآن للنحاس (٥/١٧٥)، والتفسير الكبير (٢٤/٢٤١).

(٣) لم أجد بلدة بهذا الاسم فيما توفّر لديّ من مراجع.

وانظر المسألة في: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/١٤٠)، وزاد المسير (٦/٢١٥).

وفي هامش نسخة الحرم المكي: قبطيا: اسم بلدة على ستّ مراحل من مصر.

(٤) انظر: معالم التنزيل (٣/٤٤٢)، والكشّاف (٤/٤٨٣)، والتفسير الكبير (٢٤/٢٤٠).

ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾ قال أبوها: من أين علمت قوته وأمانته؟. [قالت][1]: أمّا قوته حيث رفع الحجر من رأس البئر وحده وكان لا يُقلّه إلاّ جماعة، وأمّا الأمانة فإني كنت أمشي أمامه فقال: إمشي خلفي وانعتي لي الطريق[2]. وإنما جعل «خير» اسم «إن»[3] مع كون «القوي الأمين» أعرف؛ عناية بخيرية[4] الأجير. وآثرتِ الماضي؛ دلالة على أنه أمرٌ مجرّبٌ معروف[5].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: «أفرس الناس ثلاثة[6]: صاحب يوسف حيث قال: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ ﴾[7]، وبنت شعيب، وأبو بكر حين استخلف»[8].

﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ﴾ أي: نفسك ثماني سنين جمع حجة، سمّيت السّنة بها؛ لاشتمالها عليها، وهذا كان مؤامرة[9] بينهما لا نكاحاً، وأمّا إجارة الحرّ في المهر قال به الشافعي رحمه الله،

---

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٩/٢٩٦٦ ـ ٢٩٦٧)، والنكت والعيون (٤/٢٤٨)، وزاد المسير (٦/٢١٤).

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٤) في «ق»: لخيرية.

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٤٩٣ـ٤٩٤)، وأنوار التنزيل (٥١٤).

(٦) في الأصل، «ح»، «ص»: ثلثة.

(٧) بعض الآية (٢١) من سورة يوسف.

(٨) انظر: الكشّاف (٤/٤٩٤)، والبحر المحيط (٧/١١٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٢٣٩).

ويعني بقوله: أبو بكر أي: حين استخلافه عمر بن الخطاب رضي الله عن الشيخين.

(٩) في «ح»: مؤاجرة.

ومنعه أبو حنيفة رحمهما الله[1]، ولعلّ الشرائع في ذلك مختلفة، أو كان المهر شيئاً آخر، وإنما أراد أن يكون راعي غنمه؛ لأمانته وقوّته[2]. ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ﴾ تفضّلاً، وهذا يدلّ على أنّ المهر كان إجارة نفسه. ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ بأن أكلّفك ما يوقعك في التّعب، أو يعجزك، وهذا شأن الأنبياء في أمورهم ومعاملاتهم، وعن السائب ابن يزيد[3]: «كان رسول الله

(١) في «ق»، «ح»: رحمه الله.

(٢) وقال بقول الشافعي أحمد ومالك رحمهم الله جميعاً.

انظر: أحكام القرآن للجصاص (٥/٢١٥)، والكشّاف (٤/٤٩٤ـ٤٩٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٧٣)، وأنوار التنزيل (٥١٤).

(٣) السائب بن يزيد بن ثمامة الكندي المدني، أبو يزيد، حجّ مع النبي ﷺ وهو ابن سبع سنين، روى عن النبي ﷺ، وحويطب بن عبد العزّى، وعمر، وعثمان وغيرهم. وروى عنه الزهري، وابنه عبد الله بن السائب، وعمر بن عطاء وآخرون، مات سنة ٩١هـ، وقيل سنة ٨٠هـ.

انظر: أسد الغابة (٢/٣٢١)، وسير أعلام النبلاء (٣/٤٣٧ـ٤٣٩).

وراوي هذا الحديث هو السائب بن أبي السائب المخزومي، وذلك لأمور:

أ ـ صِغَر سِنّ السائب بن يزيد.

ب ـ اشتهار السائب بن أبي السائب بكونه شريك النبي ﷺ.

ج ـ ورد في سند الحديث ذكر قائد السائب وهو راوٍ عن السائب بن أبي السائب.

انظر: تهذيب التهذيب (٣/٤٤٩).

ﷺ[1] شريكي فكان خير شريك لا يُداري ولا يُماري ولا يُشاري»[2] [3].

﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الوافين بالعهد مع حسن المعاشرة ولين الجانب.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ﴾ الذي شارطتني عليه قائم بيننا لا أخرج عنه أنا ولا تخرج أنت. ﴿أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ﴾ بطلب الزيادة أي:

---

(١) في الأصل: صلعم.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٦١/٢٤) ح١٥٥٠٢، ١٥٥٠٣، قال المحقق: «إسناده ضعيف؛ لإرساله»، وأخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب كراهية المراء (٢٦١/٤) ح٤٨٣٦، وابن ماجة، كتاب التجارات، باب الشركة والمضاربة (٧٦٨/٢) ح٢٢٨٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١٤٥/٧) ح٦٦١٩، وابن حجر في الكافي الشاف (١٢٦) ح١٣٥، ولم يرد لفظ: «ولا يُشاري» فيما مضى من الروايات، وورد ذكرها مع «ولا يماري» فقط في رواية أخرى أخرجها البخاري في التاريخ الكبير (٨/٥ ــ ٩) في ترجمة عبد الله بن السائب عن قيس بن السائب، وأبو نعيم في الحلية (٤٨/٩)، في ترجمة عبد الرحمن بن مهدي، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٣٩٠/٣)، قال المحقق: «إسناده ضعيف؛ لجهالة راويه عن عبد الله بن السائب». وقد تبع الكوراني الزمخشري في هذا الحديث ودمج حديثين في حديث واحد. انظر: الكشّاف (٤٩٥/٤).

لا يُداري: أي: لا يُشاغب ولا يُخالف، وهو غير المداراة.

انظر: النهاية في غريب الحديث (٣٠١).

لا يُماري: أي: لا يُجادل، والمماراة: المجادلة على مذهب الشكّ والارتياب.

انظر: النهاية في غريب الحديث (٨٦٧).

لا يُشاري: المشاراة: الملاجّة، يُقال: شارى: لجّ في الأمر، وقيل: لا يُشاري من الشر، أي: لا يُشارره، فقلب إحدى الرائين ياءً. انظر: النهاية في غريب الحديث (٤٧٧).

(٣) في هامش الأصل، «ص»: «المشاراة: الملاجّة، شارى: أي لاجّ، وقيل: أصله شارر قلبت الراء ياء».

كما أني قضيت أطول الأجلين لا أُطالب بالزيادة، فكذا إن قضيت أقصرهما لا تطالبني بالزيادة[1].

﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ شاهد حفيظ.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [٢٩-٣٢].

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ ﴾ أطول الجلين، رواه البخاري[2][3]. روي أنّ شعيباً كان عنده عِصيّ[4] الأنبياء، فأمر موسى أن يدخل البيت ويأخذ

(١) انظر: الكشاف (٤/٤٩٦)، وأنوار التنزيل (٥١٤).

(٢) أخرج البخاري بسنده عن ابن عباس أنه قال: «قضى أكثرهما وأطيبهما، إنّ رسول الله ﷺ إذا قال فعل». صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب: من أمر بإنجاز الوعد وفعله الحسن (٢/٢٦٢) ح٢٦٨٤.

(٣) في هامش الأصل: «عن ابن عباس».

(٤) في هامش الأصل: «عِصي بكسر العين وتشديد الياء جمع عصا».

أحديها[1]، فدخل فخرج بواحدة، وكان شعيب قد كُفّ بصره فمسّها فوجد العصا الذي هبط آدم بها من أُسّ[2] الجنة، فقال: ردّها وخذ غيرها فردّها سبع مرّات فلم تقع في يده غيرها. وعن الكلبي[3]: أنها كانت من الشجرة التي نودي منها شجرة العوسج[4]. وعن الحسن: ما كانت إلاّ عصا من الشجر اعترضها اعتراضاً[5]. ولـمّا أصبح قال له شعيب: إذا وصلت إلى مفرق الطريق فلا تأخذ ذات اليمين؛ لأنّ هناك تنيناً[6] أخاف عليك منه، فلمّا وصل أخذ الغنم ذات اليمين فلم يقدر على كفّها فتبعها فإذا هو بريفٍ وارفٍ لم ير مثله. فنام موسى

(١) في «ق»: إحداهما.

(٢) أُسّ: بضمّ الهمزة وفتحها: الأساس، ويُطلق على أصل الشيء.

انظر: العين (٢٦) مادة «أس»، والمعجم الوسيط (١/١٧) مادة «أس».

(٣) الكلبي: محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو النضر، عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب، راوية، نسّابة، مع ضعفٍ في الحديث، مات بالكوفة سنة ١٣٦هـ.

انظر: التاريخ الكبير (١/١٠١)، ووفيات الأعيان (٤/٣٠٩)، وسير أعلام النبلاء (٦/٢٤٨).

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٤٩٧).

والعوسج: شجر شائك له ثمرٌ أحمر مدوّر كأنه خرز العقيق، من فصيلة البادنجانيّات، مفرده عَوْسَجة. انظر: المعجم الوسيط (٢/٦٠٠) مادة «عسج».

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٤٩٧).

(٦) التنين: نوع من الحيّات من أعظمها، ويُطلق على الثعبان الضّخم. ويُقال: إنه حيوان أُسطوري يجمع بين أعضاء الزّواحف والطيور، فله مخلب أسد، وأجنحة نسر، وذنب أفعى.

انظر: لسان العرب (١/٤٥١) مادة «تنن»، والمعجم الوسيط (١/٨٩).

فأقبل التنين فحاربته العصا فقتلته، فاستيقظ موسى فأبصر العصا دامية، فرجع إلى شعيب وأخبره الخبر ففرح بذلك، وعلم أنّ لموسى وللعصا شأناً، ثمّ قال: إني وهبت لك نتاج غنمي هذا العام كلّ أدرع ودرعاء[1]، فجاء النتاج كلّه على تلك الصّفة المذكورة، فوفّى له بالشرط[2]. ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ قاصداً مصر وكان بها هارون[3] وأُخته مريم وأُمّه وسائر أقاربه. ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ أي: من الجهة التي في صوب الطّور. الإيناس: الإبصار في الموضع الذي لا يُعهد[4]. ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ بخبر الطّريق، ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ هي العود الغليظ سواءً كان فيه نار أو لا[5]، والشّعلة من النار أيضاً[6]. وقرأ حمزة بضمّ الجيم، وعاصم بالفتح، والباقون بالكسر، وهي لغات[7]. ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ تستدفئون بها.

---

(١) في هامش الأصل، «ق»: «أدرع: ما اسْوَدّ رأسه وابيضّ سائر جسده».

(٢) انظر: معالم التنزيل (٣/٤٤٣ـ٤٤٤)، والكشّاف (٤/٤٩٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٧٦ـ٢٧٧)، ونسبه للقشيري.

(٣) في الأصل: هرون.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/١٤٢)، وأنوار التنزيل (٥١٥).

(٥) قاله أبو عبيدة.
انظر: مجاز القرآن (٢/١٠٢)، والكشّاف (٤/٤٩٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٨١)، وأنوار التنزيل (٥١٥).

(٦) انظر: جامع البيان (٢٠/٧٠).

(٧) انظر: السبعة (٤٩٣)، والحجة لأبي علي الفارسي (٥/٤١٣)، والتيسير (١٧١)، والموضح (٢/٩٨٠).

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾ شاطئ الوادي: جانبه ولا يُجْمع[1].

والأيمن: الذي يقع في صوب اليمن. والوادي المقدّس يقع في يمين الذّاهب إلى مصر[2]، ﴿ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ ﴾ حال من الشاطيء، أو صلة «نودي»، ﴿ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ «من» ابتدائية، والجار والمجرور بدل من قوله: «من شاطيء» بدل اشتمال[3] ﴿ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ ﴾ أي يا موسى إني[4]، ﴿ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فإن قلت: قد قال في «طه»: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾[5]، وفي النمل: ﴿ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾[6]، وهنا: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾ بألفاظٍ مختلفةٍ والقصّة واحدة.

---

(١) وممن منع الجمع الجوهري وقال: «وشاطئ الوادي: شطّه وجانبه، وتقول: شاطيء الأودية ولا تجمع». والصواب: أنه يجمع على شواطئ وأشطاء وشطآن.

انظر: الصحاح (٥٧/١) مادة «شطأ»، والمفردات (٤٥٥) مادة «شطأ»، والجامع لأحكام القرآن (٢٨١/١٣)، ولسان العرب (/٢٢٦٠) مادة «شطأ».

(٢) انظر: الدّر المصون (٦٩٩/٨).

(٣) انظر: الكشّاف (٤٩٩/٤)، والتفسير الكبير (٢٤٤/٢٤).

بدل الاشتمال: أحد أنواع البدل وهو تابع يُعيّن وصفاً طارئاً، أو أمراً عرضياً يتّصل بالمتبوع بشرط ألاّ يكون جزءً منه. انظر: الخليل في النحو العربي (١٢٦).

(٤) اختار المصنّف هنا أن تكون «أن» بمعنى «أي»، وهو رأي الخليل، وسيبويه، والبصريين.

انظر: الكتاب (١٦٢/٣)، والأزهية (٦٣).

(٥) بعض الآية (١٢).

(٦) بعض الآية (٩).

قلتُ: قد خاطبه في ذلك الموطن بهذه الألفاظ كلّها؛ وذلك أنه كان ابتداء رسالته فبسط الكلام معه وعرّفه بعض صفاته العليا، أو نقل بالمعنى في بعض المواضع. ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ ﴾ «تضطرب، ﴿ كَأَنَّهَا جَآنٌّ ﴾ «حيّة صغيرة في السّرعة وإن كانت ثعباناً عظيم الهيئة»[1]. ﴿ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ «هرب ولم يرجع من شدّة الخوف. ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴾ «نودي بهذا الكلام ليسكن روعه، ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ من غير آفة برص»[2]، ﴿ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ﴾ «مستعار[3] من ضمّ الطائر جناحه لعدم الخوف، فإنّ الطائر إذا خاف نشر جناحه»[4]. وما قيل: إنّ يديه كانتا مبسوطتين يتّقي بهما الحيّة، ففيه أنه لما رآها تهتزّ ولّى مدبراً ولم يُقابل الحيّة»[5]، ﴿ مِنَ ٱلرَّهْبِ ﴾ «[أي: لأجل الرّهب. قرأ ابن عامر، وأبو بكر، وحمزة، والكسائي بضمّ الرّاء، والكوفيون]»[6]، وابن عامر

---

(١) انظر: معالم التنزيل (٣/٤٤٥)، وأنوار التنزيل (٥١٥).

(٢) انظر: معالم التنزيل (٣/٤٤٥).

(٣) في «ح»: كناية مستعار.

(٤) في هامش الأصل: «قائله الزّمخشري». الكشّاف (٤/٥٠٠). وانظر: أنوار التنزيل (٥١٥).

(٥) انظر: أنوار التنزيل (٥١٥).

(٦) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

بإسكان الهاء[1][2][3]، ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ﴾ «العصا واليد. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو «ذانِّك» بنون مشددة زادا على نون التثنية نوناً آخر بدلاً عن لام ذلك[4].

[والتخفيف][5] هو الشايع المختار[6]، ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ كائنين، أو مرسلاً بهما منه، ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾ خارجين عن طاعة ربهم فهم أحقّاء بالإنذار.

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا

---

(١) في الأصل زيادة: «والتخفيف».

(٢) في «ق»: والباقون بفتح الرّاء والهاء.

(٣) هذه القراءة تحتاج إلى إيضاح: قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو «الرَّهَب» بفتح الرّاء والهاء. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وشعبة عن عاصم «الرُّهْب» بضمّ الرّاء وسكون الهاء. وقرأ حفص عن عاصم «الرَّهْب» بفتح الرّاء وسكون الهاء.

انظر: السبعة (٤٩٣)، والكشف (١٧٣/٢)، والتيسير (١٧١)، والموضح (٩٨١/٢).

(٤) في الأصل، «ح»، «ص» زيادة: «والباقون بفتح الرّاء والهاء». هذا النصّ للقراءة السابقة وهو خطأ من النسّاخ.

(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل، وقد وردت مع القراءة السابقة.

(٦) وهو قراءة الباقين.

انظر: السبعة (٤٩٣)، والتيسير (١٧١)، والموضح (٩٨١/٢).

سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [٣٣-٣٧].

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ﴾ الردء: العون والناصر[1].

قرأ نافع «ردًا» بنقل حركة الهمزة، وقرأ عاصم، وحمزة «يصدّقُني» بالرفع، والباقون بالجزم؛ لكونه جواب الأمر، وهو المختار؛ لبقاء الردء على الإطلاق في التصديق[2].

﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ في دعوى الرّسالة، فإن قلتَ: إذا كذّبوا موسى مع العصا واليد البيضاء فما فائدة تصديق هارون؟.

(١) قال مجاهد: الردء: الناصر.

وقال الزجاج: الردء: المعين.

معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٤٤/٤)، والنكت والعيون (٢٥٢/٤)، والكشّاف (٥٠١/٤).

(٢) وقرأ الباقون «ردْءًا» بإسكان الدال مع الهمز.

انظر: السبعة (٤٩٤)، والكشف (١٧٣/٢-١٧٤)، والتيسير (١٧١)، والموضح (٩٨٣/٢)، والنشر (٣٤١/٢).

قلت: ليس المراد من تصديقه أن يقول: صدقت، [بل المراد][1]، فإنّ سحبان وائل[2] وباقلاً[3] فيه سواء، بل التصديق مجاز عن تلخيص الحجة وإزاحة الشّبه؛ لكونه أفصح من موسى، والمراد: تصديق المرسل إليهم، أي: يصدقني، وإسناده إلى هارون[4] إسناد إلى السبب ويؤيده: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾[5].

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ سنقوّيك به من باب الكناية؛ لأنّ اليد تشدّ بالعضد؛ لأنه قوامها والشخص يشتدّ باشتدادها، أو استعارة[6] تمثيلية بأن

(١) قول المصنّف: «بل المراد» لا معنى له في هذا السياق، وقد يكون من خطأ النساخ.

(٢) سحبان وائل: سحبان بن زفر بن إياس الوائلي، خطيب فصيح، كان إذا خطب يتصبب عرقاً ولا يعيد كلمة، يضرب به المثل في الفصاحة والبيان، أسلم في زمن الرسول ﷺ و لم يلقه، مات سنة ٥٤هـ. انظر: مجمع الأمثال (١/١٦٧)، وخزانة الأدب (١٠/٣٧١).

(٣) باقل: باقل الإيادي، جاهلي، يُضرب به المثل في الحمق، يُقال: أعيا من باقل. قيل: إنه اشترى ظبياً بأحد عشر درهماً فمرّ بقوم، فسألوه: بكم اشتريته؟، فمدّ لسانه ومدّ يديه يريد أحد عشر، فشرد الظبي، ونسبه بعضهم إلى ربيعة.

انظر: الإكمال (٧/٢٥١)، ومجمع الأمثال (١/٣٢٩)، ولسان العرب (١/٣٢٩) مادة «بقل».

(٤) في الأصل: هرون.

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٥٠١)، وأنوار التنزيل (٥١٥).

(٦) في «ح»: واستعارة.

شبّه حال موسى في تقوّيه بأخيه بحال اليد في اشتدادها بالعضد[1]، ﴿ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا ﴾ عليه أو حجة واضحة، ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَاۚ ﴾ بمكروه، ﴿ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ يتعلّق بـ«نجعل» أي: نسلطكما بآياتنا، أو بـ«لا يصلون» على معنى يمتنعون[2] منهم بآياتنا، أو هو قسم محذوف الجواب؛ لدلالة «لا يصلون» عليه، أو القسم الذي يتوسّط الكلام فلا يحتاج إلى الجواب، أو صلة لما بينه.

﴿ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾ لا له لعدم جواز تقدّم الصلة على الموصول[3].

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى ﴾ اختلقه مَن تقدّمك، صفة مختصة، أو ظاهر افتراؤه لا يشتبه بالمعجزة من باب نعجة أُنثى، أو مفترى كسائر أنواع السحر، ثمّ وَصْفُهُ بالافتراء تغليب؛ لأنه من صفة الأقوال، والسحر أعمّ[4]، ﴿ وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ أي: كائناً في زمانهم،

(١) انظر: الكشّاف (٤/٥٠٢)، والتفسير الكبير (٢٤/٢٥٠)، وأنوار التنزيل (٥١٦).

(٢) في هامش الأصل، «ص»: «يمتنعون بلفظ الجمع باعتبار من اتّبعهما».

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٥٠٢)، والتبيان (٢/١٠٢١)، والدر المصون (٨/٦٧٨). وأجاز أبو حيان تقدم الصلة على الموصول فقال: «...، أو بالغالبون وإن كان موصولاً على مذهب من يجوز عنده أن يتقدم الظرف والجار والمجرور على صلة «أل» على سبيل الاتّساع». البحر المحيط (٧/١١٨).

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٥٠٢)، وأنوار التنزيل (٥١٦)، والبرهان في علوم القرآن (٣/٣٠٢).

حالٌ مِن «هذا»، والمشار إليه إمّا النبوة على معنى إنكار أن يكون الرسول بشراً، أو السحر والمراد تفظيعه وكونه سحراً لم يُر مثله ولم يُسْمَع[1].

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ﴾ فهو عالم أني محقٌّ وأنتم مبطلون. وقرأ ابن كثير «قال» بحذف الواو على الاستئناف، وعليه الرّسم المكي، والباقون بالواو على العطف حكايةً للقولين؛ ليميز السامع بين الصحيح والفاسد منهما، وعليه سائر الرّسوم، وهذا أقعد[2] معنى[3]. ﴿وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ هذه الدار؛ لأنه المنزل الأوّل وعاقبتها الجنة؛ لقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٢٢ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾[4]. [وقرأ حمزة، والكسائي «يكون» مذكراً][5][6]. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ في الدارين لهم الخزي في الحياة الدنيا بالقتل والأسر وضرب الجزية، وفي الآخرة عذاب النار.

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٥٠٢)، وأنوار التنـزيل (٥١٦).

(٢) في «ح»، «ص»: أبعد.

(٣) انظر: السبعة (٤٩٤)، والكشف (٢/١٧٤)، والتيسير (١٧١)، والموضح (٢/٩٨٤)، والنشر (٢/٣٤١).

(٤) الآيتان (٢٢، ٢٣) من سورة الرعد.

(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح»، «ق».

(٦) وقرأ الباقون «تكون» بالتاء.

انظر: السبعة (٤٩٤)، والكشف (١/٤٥٣)، والموضح (٢/٩٨٤)، والنشر (٢/٢٦٣).

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [٣٨-٤٢].

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ جعل عدم علمه مستلزماً لعدمه؛ لأنه يدّعي الأُلوهية فلو كان هناك إله لعلمه، وقيل: أراد بنفي العلم نفي المعلوم، وهذا إنما يصحّ في العلوم العقلية؛ لكونها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها[1]. ﴿ فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ ﴾ نادى هامان وهو وزيره باسمه وأمره بالإيقاد على طريقة الجبابرة، ولم يقل اتّخذ لي آجراً؛ لكونه أوّل مَن وضع صنعة الآجر[2]. روي أنّ عمر بن الخطاب لما دخل الشام ورأى القصور المشيّدة قال: ما كنت أظنّ أن أحداً بنى بالآجر غير

(١) انظر: الكشّاف (٤/٥٠٥ـ٥٠٦)، وأنوار التنزيل (٥١٦).

(٢) قاله قتادة.

انظر: النكت والعيون (٤/٢٥٣)، والكشّاف (٤/٥٠٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٨٨).

فرعون[1]. ﴿فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا﴾ قصراً، ﴿لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ ما أجهله!، ظنّ أنّ الإله جسم في مكان[2] ثمّ لو فُرِض أنه كما ظنّ من أين يلزم أن يكون في محاذاة قصر فرعون، ولو سُلِّم من أين عَلِمَ أنّ القصر يبلغ السماء، ولو سُلِّم مِن أين له أنه إذا بلغ السماء يجد في ذلك طريقاً إليه، ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ في أنّ له إلهاً غيري، وهذا أيضاً جهالة أُخرى حيث ظنّ أنّ هناك إلهاً آخر بعد علمه بأن لا إله غيره[3]. ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ تجاوزوا عن طورهم؛ لأنّ الكبرياء رداء الله[4]. ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٥٠٧).

(٢) لفظ الجسم من الألفاظ التي حصل النزاع في إثباتها لله ونفيها عنه، ويلزم لذلك التفصيل:

فإن أُريد بالجسم المراد اللُّغوي وهو البدن المعروف فهذا المعنى منفي عن الله تعالى عقلاً ونقلاً.

وإن أُريد به المركّب الممكن فهذا منفي كذلك عن الله عزّ وجلّ، أمّا إن أُريد به ما يُوصَف بالصفات، ويرى بالأبصار، ويتكلم بكلامٍ مسموع، ويُبصِر، ويرضى، ويغضب فهذه المعاني ثابتة لله عزّ وجلّ، وقد أشار النبي ﷺ إلى ربّه، ونزل جبريل من عنده تعالى.

انظر: التحفة المهدية (١٥٤ـ١٥٥).

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٥٠٦).

(٤) عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا: «قال رسول الله ﷺ العزّ إزاره والكبرياء رداؤه».

أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب البر والصلة، باب تحريم الكِبر (١٦/١٧٣).

﴿يُرْجَعُونَ﴾ كانوا دهرية[1] لا يقولون بالمعاد، وذلك أقدموا على ذلك الاستكبار والطغيان. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم «يُرْجَعون» بضمّ الياء وفتح الجيم[2]. ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ﴾ أخذ عزيز مقتدر، ﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ كما يُنبذ الشيء الحقير فما ظنّك بمن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة[3] والسموات مطويّاتٌ بيمينه[4]. ﴿فَٱنظُرْ﴾ تأمل، ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكاملين في الظّلم، وسوف ترى عاقبة مكذبيك. ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ إلى موجباتها من الكفر والمعاصي[5]، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ بدفع العذاب كما يدفع الأتباع عن القادة في الدنيا. ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ لعن الناس لا ترى أحداً

---

(١) الدهرية: فرقة إلحادية، نشأت عند العرب قديماً، وتقوم فكرتهم على إسناد الأفعال إلى الدّهر، ونفي البعث والحساب، والجنة والنار، وترى نهاية الإنسان موته. انظر: معجم ألفاظ العقيدة (١٨٥).

(٢) وقرأ حمزة، والكسائي، ونافع «يَرْجِعون» بفتح الياء وكسر الجيم.

انظر: السبعة (٤٩٤)، والتيسير (١٧١)، والموضح (٢/٩٨٥)، والنشر (٢/٢٠٨-٢٠٩).

(٣) في «ق»: القيمة.

(٤) انظر: أنوار التنزيل (٥١٦).

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٥٠٨)، وأنوار التنزيل (٥١٧).

من الناس إلاّ ويلعن فرعون وقومه[1]، أو طرداً من رحمته حيث أهلكهم عن آخرهم[2]. ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ المطرودين يُقال: قبّحه الله أي: نحّاه وطرده، أو ممن قبّح وجوههم[3]، ومن قرأ هذه الآية ثمّ قال بإيمان فرعون فهو أكفر من فرعون[4].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [٤٣-٤٦].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾ التوراة[5]، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ من قوم نوح إلى فرعون. ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ ذلك الكتاب؛

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٩٠)، وأنوار التنزيل (٥١٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٢٤٨).

(٢) انظر: الكشاف (٤/٥٠٨).

(٣) انظر: النكت والعيون (٤/٢٥٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٩٠).

(٤) وهم الجهمية؛ لأنّ الإيمان عندهم هو المعرفة بالله تعالى فقط.
انظر: الفرق بين الفرق (١٩٩)، وشرح العقيدة الطحاوية (٣٠٨-٣٠٩).

(٥) قاله قتادة.
انظر: النكت والعيون (٤/٢٥٤).

لاشتماله على المعارف التي هي أنوار القلوب[1]، ﴿وَهُدًى﴾ إلى طريق الجنة، ﴿وَرَحْمَةً﴾؛ لأنّ مَن عمل به يصل إلى رحمة الله، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ليكونوا على حال يُرجى منهم التذكر.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ بالوادي الذي في الجانب الغربي من الطور[2]. ﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ﴾ أرسلنا إليه الوحي، ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّٰهِدِينَ﴾ للوحي، أو عليه وهم السبعون المختارون للميقات، وهذا أوجه؛ لأنّ الحضور قد عُلِم من قوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾[3]، ومساق الآية للدلالة على أنّ إخباره بتلك الوقائع ليس [إلاّ][4] بإعلام الله. ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ لكنا أوحينا إليك لأنا أنشأنا قروناً كثيرة من بعد موسى وتطاول الزمان وتحرفت الأخبار وخفيت أعلام الشرائع، فأرسلناك مجدداً، فحذف المستدرك وأُقيم سببه مقامه[5]. ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ قوم شعيب، ﴿تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ تتعلم منهم، يُقال: تلوت على فلان القرآن إذا تعلمت منه، أو لم تكن أنت مرسلاً إليهم تتلو عليهم آياتنا بل

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٥٠٩)، وأنوار التنزيل (٥١٧).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٥٠٩)، وأنوار التنزيل (٥١٧).

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٥٠٩)، والتفسير الكبير (٢٤/٢٥٦)، وأنوار التنزيل (٥١٧).

(٤) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٥) قاله البيضاوي.

انظر: أنوار التزيل (٥١٧). وانظر: الكشّاف (٤/٥٠٩ـ٥١٠)، والتفسير الكبير (٢٤/٢٥٧).

كان شعيباً، فاختارك بإعلام الله[1]، وقيل: الضمير لأهل مكة[2]. ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ إيّاك، ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ موسى حين قربناه أو استنبأناه، وهذا أولى؛ لتقدم ذلك[3]، ﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ أعطاكها. والتفت إلى الغيبة؛ لدلالة لفظ «الرب» على التربية الملائمة للرحمة، ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾؛ لوقوع الفترة بينك وبين عيسى، وهي خمسمائة وخمسون سنة[4]. وقد روى البخاري عن سلمان أنها ستمائة سنة[5]، واللاّم متعلق بالفعل المقدّر، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ إذا تلوت عليهم تلك الوقائع فيعلمون أنك رسول من عند الله.

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ

---

(١) قاله الضحاك.

انظر: التفسير الكبير (٢٤/٢٥٧).

(٢) انظر: زاد المسير (٦/٢٢٦).

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٥١٠)، وأنوار التنزيل (٥١٧).

(٤) قاله قتادة.

انظر الكشّاف (٤/٥١٠)، وأنوار التنزيل (٥١٧)، والبحر المحيط (٧/١٢٣).

(٥) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه (٣/٨٠) ح٣٩٤٨.

وانظر: فتح الباري (٢/٤٠)، (٧/٢٧٧).

أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [٤٧-٥٠].

﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ﴾ «لولا» الأولى: امتناعية، والثانية بمعنى «هلاّ» تحضيضية[1]. والمعنى: لولا أنهم قائلون[2] ذا عوتبوا بما قدّمت أيديهم من الشرك والمعاصي: هلاّ أرسلت إلينا رسولاً لما أرسلنا إليهم رسولاً، وكان الظاهر دخول حرف الامتناع على القول، وإنما دخل على العقوبة؛ لأنها السبب لذلك القول، والقول هو السبب لإرسال الرّسل، وإنما لم يكتف بهذا القول بل ذكر سببه منبّهاً على قولهم هذا ليس تأسّفاً على فوات الإيمان، بل لِما نالهم من العقوبة، وفيه دلالة على استحكام كفرهم. ولما كان في التخصيص معنى الأمر؛ لكونه باعثاً على الفعل مثله دخل الفاء في قوله تعالى: ﴿ فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ ﴾ جواباً له كما يُجاب الأمر بالفاء[3]. ﴿ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بتلك الآيات.

---

(١) «لولا» الامتناعية حرف امتناع لوجوب أو لوجود نحو: لولا زيد لأكرمتك، أمّا التحضيضية فهي بمعنى «هلاّ» وتختصّ بالأفعال.

انظر: الجنى الداني (٥٩٧ـ٦٠٦)، ومغني اللّبيب (١/٢٧٢ـ٢٧٤).

(٢) في «ح»: قاتلون.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/١٤٧)، والكشّاف (٤/٥١٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٩٣)، وأنوار التنزيل (٥١٧)، والبحر المحيط (٧/١٢٣)، والدر المصون (٨/٦٨٢).

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ﴾ يريدون الكتاب جملة، أو العصا واليد البيضاء تعنتاً[1]، ﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ يريد أبناء جنسهم ومَن مذهبهم مذهبهم في العناد والتعنت[2].

وعن الحسن: قد كان للعرب أصل في أيام موسى[3]، وذلك أنّ فرعون وقومه كانوا من أولاد العمالقة وهم عرب. فعلى هذا يتعلّق الجار والمجرور بـ«أو لم يكفروا» وهذا وجه حسن؛ لدلالته على أنّ مشركي مكة لهم قدمٌ راسخ في الكفر وعِرْقٌ أصيل في العناد، وأحسن منه أنّ كفار مكّة كانوا كافرين[4] بموسى، فلما طلبوا من رسول الله معجزات موسى ردّ الله عليهم بأنهم قبل محمدٍ كانوا كافرين بموسى[5]، ﴿ قَالُوا۟ سِحْرَانِ ﴾ أي: موسى وهارون[6][7]، أو موسى ومحمد[8][9]، ﴿ تَظَٰهَرَا ﴾ تعاونا على السحر[10].

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٥١٢)، وأنوار التنزيل (٥١٨).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٥١٢)، وأنوار التنزيل (٥١٨).

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٥١٢)، والتفسير الكبير (٢٤/٢٦١).

(٤) في «ق»: كفرين.

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٥١٢)، والبحر المحيط (٧/١٢٣).

(٦) عليهما السلام.

(٧) قاله ابن جبير، ومجاهد، وأبو زيد عن قول اليهود في ابتداء الرّسالة.
انظر: النكت والعيون (٤/٢٥٦)، وزاد المسير (٦/٢٢٧).

(٨) عليهما السلام.

(٩) قاله ابن عباس، والحسن عن قول مشركي العرب.
انظر: النكت والعيون (٤/٢٥٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٩٤).

(١٠) انظر: معالم التنزيل (٣/٤٤٩).

وقرأ الكوفيون «سِحْران» على حذف المضاف، أو على المبالغة، أو أراد الكتابين التوراة والقرآن؛ لقوله: ﴿لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ﴾ وعليه الرّسم، وهو أبلغ معنى وإن كان المدّ أشهر[1]. ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾ أي: بكلّ واحد من الرسولين، أو الكتابين. وقيل: بكلّ الأنبياء[2] ولا يستقيم؛ لأنّ كفار مكّة لم يكفروا بإبراهيم وإسماعيل[3][4]. ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ﴾ من الكتابين، وهذا يؤيّد أنّ السحرين هما القرآن والتوراة[5]، والساحران موسى ومحمد[6][7]، ﴿أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنّا ساحران،

---

(١) وبالمدّ قرأ الباقون.

انظر: السبعة (٤٩٥)، والموضح (٢/٩٨٥)، والنشر (٢/٣٤١ـ٣٤٢).

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٥١٨).

(٣) عليهما السلام. في الأصل: وإسمعيل.

(٤) إنّ عدم كفرهم بإبراهيم وإسماعيل لا ينفعهم؛ لأنّ الكفر ببعض الأنبياء كفر بهم جميعاً.

يقول أبو حيّان: «إنّ تكذيبهم لمحمدٍ ﷺ تكذيب لموسى عليه السلام، ونسبتهم السحر للرسول نسبة للسحر لموسى؛ إذ الأنبياء من وادٍ واحد، فمن نسب إلى أحدٍ من الأنبياء ما لا يليق كان ناسباً ذلك إلى جميع الأنبياء». البحر المحيط (٧/١٢٣).

(٥) في الأصل: والتورية.

(٦) عليهما السلام.

(٧) انظر: أنوار التنزيل (٥١٨).

والإتيان منهم مستحيل، وحرف الشكّ إرخاءٌ للعنان تبكيتاً[1]. ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ ﴾ فإن لم يستجيبوا دعاءك إلى الكتاب الأهدى فحذف المفعول؛ لأنّ الغالب أن فعل الاستجابة إذا عُدّيَ إلى الداعي[2] باللاّم يحذف الدعاء[3]. ﴿ فَٱعْلَمْ ﴾ ازدد علماً، أو دُمْ على علمك. ﴿ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ إذ لم تبق لهم شبهة فضلاً عن الحجة، ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ أي: لا أضلّ منه، ﴿ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ في موضع الحال للتوكيد لا للتقييد بناءً على أنّ هوى النفس قد يوافق الحقّ لعدم الاعتداد بتلك الموافقة[4]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ المجبولين على الظّلم المنهمكين فيه.

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٥١٢).

(٢) «ق»: الداع.

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٥١٣)، والدر المصون (١/١٥٩)، (٨/٦٨٤).

(٤) انظر: أنوار التنزيل (٥١٨). وقال أبو حيان:«ومن أضل: أي لا أحد أضلّ وبـ«غير هدى» في موضع الحال، وهذا الحال قيد في اتباع الهوى؛ لأنه قد يتبع الإنسان ما يهواه ويكون ذلك الذي يهواه فيه هدى من الله؛ لأنّ الأهواء كلّها تنقسم إلى ما يكون فيه هدى، وما لا يكون فيه هدى، فلذلك قيد بهذه الحال». البحر المحيط (٧/١٢٤ـ١٢٥). وانظر: جامع العلوم والحكم (٢/٣٩٣ـ٣٩٩).

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[٥١-٥٦].

﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ ﴾ «أي: أتبعنا بعض القرآن بعضاً في الإنزال متواصلاً ووعداً ووعيداً وقصصاً ونصائح»[1]، وهذا جواب عن قولهم: ﴿ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ﴾، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ «بعد التفكّر في ذلك المنزل المتواصل.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ ﴾ «أي: من قبل القرآن»[2]، أو محمد عليه السلام[3]، ﴿ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ «[4] تقديم [هم][5] للاختصاص، و«به» للاهتمام.

(١) انظر: الكشّاف (٤/٥١٣).

(٢) قاله يحي بن سلام.

انظر: النكت والعيون (٤/٢٥٧)، ومعالم التنزيل (٣/٤٤٩).

(٣) قاله ابن شجرة.

انظر: النكت والعيون (٤/٢٥٧)، وزاد المسير (٦/٢٢٩).

(٤) في هامش الأصل: القصر فيه يتأتّى بالنظر إلى مشركة مكّة.

(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

نزلت في مؤمني أهل الكتاب كسلمان، وعبد الله بن سلام[1]. وعن رفاعة بن قرظ[2][3] في عشرة وأنا[4] منهم، اثنان وثلاثون[5][6] من الحبشة[7] قدموا في السفينة مع جعفر[8]، وثمانية قدموا من الشام[9]، فهذا إخبار بما سيقع؛ لأنّ السورة مكيّة.

---

(١) قاله قتادة.

انظر: النكت والعيون (٤/٢٥٧)، ومعالم التنزيل (٣/٤٤٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٩٦).

(٢) في الأصل: رقاعة بن قرظ.

(٣) رفاعة بن قرظ: لم أجد من الصّحابة من أهل الكتاب مَن عُرِف بهذا الاسم، وأورد ابن هشام رفاعة ابن سموأل القرظي استوهبته سلمى بنت قيس إحدى خالات النبي ﷺ يوم قريظة فوهبه لها.

انظر: السيرة النبوية (٣/٢٤٤).

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٥١٣)، والتفسير الكبير (٢٤/٢٦٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٩٦).

(٥) في الأصل: وثلثون.

(٦) هكذا في النسخ كلّها، وفي الأثر سقْطٌ من أوّله، والصواب عند المفسرين: قال سعيد بن جبير: «هم أربعون رجلاً، اثنان وثلاثون من الحبشة ... إلخ».

(٧) الحبشة: بلد قديم في شرق إفريقيا، تُطلّ على البحر الأحمر من الغرب، تُسمّى اليوم أثيوبيا، حكمها النصارى منذ زمن قديم، هاجر إليها المسلمون خوفاً من أذى قريش، وقد أسلم ملكها النجاشي ومات على ذلك.

انظر: الروض المعطار (٢٤٤)، ومعجم الأمكنة الواردة في صحيح البخاري (١٦١).

(٨) جعفر بن أبي طالب بن عبد المطّلب، ابن عمّ رسول الله ﷺ، أحد السابقين إلى الإسلام، هاجر إلى الحبشة، وقدم المدينة والنبي ﷺ بخيبر، قتل شهيداً في مؤتة سنة ٨هـ.

انظر: طبقات ابن سعد (٤/٣٤)، وأسد الغابة (١/٤٢١).

(٩) انظر: النكت والعيون (٤/٢٥٧)، ومعالم التنزيل (٣/٤٤٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٩٦).

وعن محمد بن إسحاق[1] هؤلاء عشرون رجلاً بعثهم النجاشي[2] ورسول الله بمكة فقرأ[3] عليهم القرآن فآمنوا[4]. وعن سعيد بن جبير: هم سبعون[5].

﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ ﴾ «أي: بأنه كلام الله تعالى، ﴿ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ ﴾ «تعليل للإيمان به؛ لأن كونه من عند الله حقيق بأن يُؤمَن به، ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾ «استئناف لبيان أنّ إيمانهم به ليس محدثاً بل كانوا سمعوا من آبائهم وقرأوا في كتابهم أنه سينزل كتاب نعته كذا. والمسلم اسم لكلّ موحّد يؤمن بالله وكتبه ورسله[6].

---

(١) محمد بن إسحاق بن يسار، ولد سنة ٨٠هـ، حدّث عن روح بن القاسم، ومحمد بن إبراهيم التيمي وغيرهما. قال الشافعي: «من أراد أن يتبحر في علم المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق»، مات سنة ١٥٢هـ. انظر: تاريخ بغداد (٢١٤/١)، وسير أعلام النبلاء (٣٣/٧).

(٢) النجاشي: ملك الحبشة، آوى الصحابة المهاجرين من مكة، وحمدوا جواره وعبدوا الله هناك، وبعثت قريش في طلبهم ولم يوافقهم النجاشي في قصة مشهورة، أسلم وصلّى عليه النبي ﷺ عند موته صلاة الغائب سنة ٩هـ. انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢٢٤/١، ٣٣٣، ٣٤١).

(٣) في الأصل: فقراء.

(٤) انظر: التفسير الكبير (٢٦٢/٢٤)، والجامع لأحكام القرآن (٢٥٦/٦)، وفتح الباري (٩٤/٨).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢٩٨٨/٩)، والكشّاف (٢٨١/٢).

وأورد الرازي الروايات في تفسير الآية ثمّ قال: «وقد عرفت أنّ العبرة بعموم اللّفظ لا بخصوص السبب، فكلّ من حصل في حقّه تلك الصفة كان داخلاً في الآية». التفسير الكبير (٢٦٢/٢٤).

وقال أبو حيان عن تلك الروايات: «والظاهر أنها أمثلة لمن آمن منهم». البحر المحيط (١٢٥/٧).

(٦) انظر: أنوار التنزيل (٥١٨).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾ «ضعف أجر مَن آمن بمحمد[1] من المشركين. روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري أنّ رسول الله[2] قال: «ثلاثة[3] لهم أجران: رجلٌ آمن بنبيه وآمن بمحمد، وعبد مملوك أدّى حقّ الله عليه وحقّ مواليه، ورجلٌ له أَمةٌ فأدّبها فأحسن تأديبها ثمّ أعتقها فتزوجها»[4]. ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ «على أذى الكفّار، أو على تكاليف الشرائع، ﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ «ويدفعون ما ينالهم من المكروه من الشتم والسخرية بالقول الجميل، أو المعاصي بالطّاعات[5]؛ لقوله ﷺ: «أتبع السيئة الحسنة تمحها»[6]، ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ «في وجوه الخير ثقةً بوعد الله الثواب.

---

(١) صلى الله عليه وسلم.

(٢) في «ق»: صلى الله عليه وسلم.

(٣) في الأصل، «ص»، «ح»: ثلثة.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم مِن أهل الكتابين (٣٦١/٢) ح٣٠١١، ومسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة النبي ﷺ (١٨٧/٢) بشرح النووي.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٩٨/١٣)، وأنوار التنزيل (٥١٨).

(٦) هذا بعض حديث أبي ذرّ ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلقٍ حسن». أخرجه أحمد في المسند (٢٨٤/٣٥) ح٢١٣٥٤ وقال المحقق: «حسن لغيره»، والترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس (٤٦٠) ح١٩٨٧، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، والدّارمي في سننه

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ ﴾ «الباطل وما لا طائل تحته»، ﴿ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ «تكرماً»، ﴿ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ «أمانٌ لكم عن المقابلة بالمِثل»، ﴿ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ لا نرضى التخلّق بأخلاقهم. عن محمد بن إسحاق هذا كلام بَعْث النجاشي، فإنهم لما آمنوا اعترضهم أبو جهل ونفرٌ من قريش وقالوا: «خيّبكم الله أرسلكم صاحبكم لتعلموا خبر الرّجل فما استقرّ بكم المجلس حتّى فارقتم دينكم»[1].

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ لا تقدر على إدخال الإيمان في قلبه، ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ يخلق[2] الإيمان[3]. روى البخاري عن سعيد بن المسيب عن أبيه[4] أنّ رسول الله ﷺ دخل على أبي طالب حين حضرته الوفاة

(٣٢٣/٢) ح٢٧٩١، والحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان، باب خالق الناس بخلق حسن (٥٤/١)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يُخرجاه». ووافقه الذهبي.

(١) انظر: التفسير الكبير (٢٦٢/٢٤)، والجامع لأحكام القرآن (٢٥٦/٦) وهو تتمة لأثر سابق.

(٢) في «ح»: بخلق.

(٣) الهداية نوعان:

الأوّل: هداية توفيق وإلهام، وهي لله عزّ وجلّ يهدي بها من يشاء، أي: يوفقه ويلهمه الخير.

الثاني: هداية بيان وإرشاد.

انظر: بدائع الفوائد (٣٧/١)، ولوامع الأنوار البهية (٣٣٥/١).

(٤) المسيب بن حزن المخزومي. انظر: تهذيب الأسماء واللّغات (٩٥/٢).

وعنده أبو جهل وعبد الله ابن أبي أُميّة[1]، فقال: أي عمّ قل: لا إله إلاّ الله كلمة أُحاجّ لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبد الله: أترغب عن ملّة عبد المطّلب[2]، فلم يزل رسول الله يعرضها عليه ويُعيدان تلك المقالة حتّى قال أبو طالب آخر ما كلّمهم هو على ملّة عبد المطّلب وأبى أن يقول: لا إله إلاّ الله، فأنزل الله فيه ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾[3].

(١) عبد الله بن أبي أُمية بن المغيرة المخزومي، ابن عمة النبي ﷺ، كان من النفر الذين حرّضوا أبا طالب على الموت كافراً، أسلم ثمّ مات شهيداً يوم الطائف من رمية. انظر: السيرة النبوية لابن هشام (١/٢٩٨، ٤١٨)، (٢/٤٨٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٣٥٦).

(٢) عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الحارث، أحد سادات العرب في الجاهلية وزعيم قريش، كان عاقلاً، فصيحاً، ذا أناة ونجدة، وكانت له السّقاية والرّفادة، أنقذ أهل مكّة من جيش أبرهة ثمّ أرسل الله الطير الأبابيل، مات سنة ٤٥ قبل الهجرة عن نحو ثمانين سنة.

انظر: الطبقات الكبرى (١/٨١)، وجمهرة أنساب العرب (١٤).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب «إنك لا تهدي من أحببت» (٣/٢٧٣-٢٧٤) ح٤٧٧٢ وأطرافه ١٣٦٠، ٣٨٨٤، ٤٦٧٥، ٦٦٨٢، ومسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يُغرغر (١/٢١٣-٢١٤).

ونقل الزجاج الإجماع فقال: «أجمع المفسرون أنها نزلت في أبي طالب، وجائزٌ أن يكون ابتداء نزولها في أبي طالب وهي عامّة؛ لأنه لا يهدي إلاّ الله، ولا يُرشد ولا يوفق إلاّ هو، وكذلك هو يضل من يشاء». معاني القرآن وإعرابه (٤/١٤٩).

وعن ابن عباس ﷺ قيل له: أنت شفيع الجناية لا شريك الهداية[1].

﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ بالقابلين له.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [٥٧-٦١].

﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ﴾ نخرج منها سريعاً، قالته قريش[2]، وقيل: القائل: الحرث بن عثمان بن نوفل[3][4]، وإسناده إليهم؛

---

(١) لم أجد هذا الأثر.

(٢) قاله ابن عباس في رواية عنه.
انظر: جامع البيان (٢٠/٩٤)، والكشّاف (٤/٥١٥)، وزاد المسير (٦/٢٣٢).

(٣) قاله ابن عباس في رواية عنه. انظر: تفسير النسائي (٢/١٤٦)، وجامع البيان (٢٠/٩٤)، والنكت والعيون (٤/٢٦٠)، وزاد المسير (٦/٢٣٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٣٠٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٢٥٧).

(٤) ورد في النسخ كلّها: الحرث بن عثمان بن نوفل، والصواب: الحارث بن عامر بن نوفل ابن عبد مناف، من زعماء قريش في الجاهلية، أدرك الإسلام ولم يُسلم، قتله خبيب بن عدي ﷺ يوم بدر، ثمّ أُسر وابتاعه بنو الحارث وقتلوه بأبيهم في قصّة مشهورة.
انظر: السيرة النبوية لابن هشام (١/٧٠٩).

لوقوعه بينهم، تعللّوا بعلةٍ باطلةٍ فردّ الله عليهم بقوله: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ أي: جعلنا مكانهم حرماً ذا أمنٍ[1]. ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ يُجلب[2] إليه ثمرات [أكثر][3] الأشياء كقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾[4]، وإذا كان هذا حالهم وهم على الشرك فكيف لو ضمّوا إلى حرمة البيت شرف الإيمان.

وقرأ نافع «تجبى» بالتاء، والياء[5] أحسن؛ لوجود الفاصل[6]. ﴿رِّزْقًا﴾ مصدر؛ لأنّ «يُجبى» في معنى يرزق، أو مفعول له، وإن جعلته بمعنى المرزوق فهو حال من الثمرات؛ لتخصصه بالإضافة[7]. ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ تفضلاً من غير استحقاق منهم، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك مع ظهوره؛ لكونهم مختوماً على قلوبهم.

---

(١) انظر: زاد المسير (٦/٢٣٣).

(٢) في «ق»: تجلب.

(٣) ما بين المعكوفتين مطموسة في الأصل.

(٤) بعض الآية (٢٣) من سورة النمل، وهاتان الآيتان مثالان لتخصيص العام بالحسّ، فمن المعلوم أنّ بعض الثمرات الموجودة في الدنيا لا تجبى إلى مكّة، وملك بلقيس لم يشمل ما سخر الله تعالى لسليمان عليه السلام. انظر: الموافقات (٣/٣٦٩).

(٥) في «ح»: والباء.

(٦) قرأ الباقون بالياء.

انظر: السبعة (٤٩٥)، والتيسير (١٧٢)، والموضح (٢/٩٨٦)، والنشر (٢/٣٤٢).

(٧) انظر: الكشّاف (٤/٥١٥)، والدر المصون (٨/٦٨٧).

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾ أهلكنا كثيراً من أهل القرى كان حالهم كحال هؤلاء في الأمن ولين العيش. والبطر: شدّة الفرح بالدنيا والغفلة عن شكر المنعم.

وفيه تخويف بليغ لأهل مكّة. وانتصاب «معيشتها» إمّا بحذف الجار كقوله: ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ ﴾[1]، أو بحذف الزمان المضاف أي: أيام معيشتها، أو بتضمين «بطرت» معنى كفرت[2]. ﴿ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ قال ابن عباس: «لم يسكنها إلاّ السّارة ساعةً للاستراحة»[3]. وقيل: لم يسكنها إلاّ الطيور والوحوش[4]. أو لم يسكن مَن سكن إلاّ قليلاً بشؤم معاصيهم لسرايته إلى كلّ ساكن[5].

(١) بعض الآية (١٥٥) من سورة الأعراف.

(٢) تبع المصنّف في هذه المسألة الإعرابية رأي البصريين، ويرى الكوفيون جواز أن تكون «معيشتها» تمييزاً. انظر المسألة في: معاني القرآن للفراء (٧٩/١)، والإنصاف في مسائل الخلاف (٣١٢/١)، وشرح الكافية (٢٢٣/١)، والبسيط في شرح الجمل (١٠٨٣/٢)، والدر المصون (٦٨٧/٨).

(٣) انظر: معالم التنزيل (٤٥١/٣)، وزاد المسير (٢٣٣/٦)، والجامع لأحكام القرآن (٣٠١/١٣).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢٩٩٦/٩، ٢٩٩٧) ح١٧٠١٨ عن كعب الأحبار في معنى القول.

(٥) انظر: الوسيط (٤٠٤/٣)، والكشّاف (٥١٦/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٣٠١/١٣).

﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ بأن تركناها بلاقع(١) دائرة، وبذلك تدخل في عداد خالص ملك الله؛ لانقطاع تعلق الغير.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ إلزاماً للحجة وقطعاً للمعذرة، أي: ما كان الله ليهلك القرى التي على وجه الأرض إلاّ بعد أن يُرسل في أمها رسولاً [يتلو عليهم آياتنا؛ إلزاماً](٢) وهي مكّة، أو كلّ قرية عظيمة في كلّ وقت سائر القرى توابعها(٣). ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ أي: ما كنا في الزمان السالف مهلكي قرية إلاّ والحال أنّ أهلها ظالمون بتكذيب الرسول المبعوث إليهم، وفيه تخويف لأهل مكّة بأنهم بتلك الصّفة فهم بصدد ذلك.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ أي شيءٍ كان وإن كان ملء(٤) الأرض ذهباً [ليس](٥) إلاّ متاعاً قليلاً؛ لأنه في مقابلة الباقي الذي أشار إليه بقوله: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾؛ لأنه أبدي وفي الحديث: «لو كانت الدنيا

---

(١) بلاقع: جمع بَلْقَع وهو الخالي من كلّ شيء، يُقال: مكان بلقع وطريق بلقع.

انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير (٣٦٥/٥)، والمعجم الوسيط (٧٠/١) مادة «بلقع».

(٢) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح»، «ق»، «ص».

(٣) قال قتادة: أُمّ القرى: مكّة.

انظر: النكت والعيون (٢٦١/٤)، ومعالم التنزيل (٤٥١/٣)، والجامع لأحكام القرآن (٣٠٢/١٣)، وأنوار التنزيل (٥١٨).

(٤) في الأصل، «ق»: ملأ، وفي «ح»: ملاء.

(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

من الذهب، والآخرة من الخزف[1] لاختارها العاقل»[2]. فكيف والأمر بالعكس!، ولذلك عقّبه بقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؛ لأنّ إيثار الفاني على الباقي ليس من أفعال العقلاء. وقرأ أبو عمرو بياء الغيبة على الالتفات وهو أشدّ ذمّاً، والخطاب أبلغ موعظة[3].

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ تقرير وإيضاح لما تقدّم والمعنى: أَبَعْدَ ذلك التفاوت الظاهر بين الفاني والباقي يسوى بين إيتاء الدنيا والآخرة. والوعد الحسن: الوعد بالجنة، والفاء الثانية؛ للدلالة على سببية الأوّل[4]، ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ إلى النار، «ثُمّ» لبيان

---

(١) في الأصل: الأخزف، والمثبت من غيرها.

(٢) لم أجد حديثاً بهذا اللّفظ، وقد أورده القرطبي عن مالك بن دينار قال: «لو كانت الدنيا من ذهب ... إلخ». انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٢٤)، وذكره المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير بلفظ: «قال بعض الحكماء ...» (١/٤٨٣).

والخزف: هو الفخار ويُصنع من الطين المحروق على هيئة الجِرار والأكواز.

انظر: النهاية في غريب الحديث (٦٩٤)، والمعجم الوسيط (١/٢٣٢) مادة «خزف».

(٣) وقرأ الباقون «تعقلون» بالتاء.

انظر: السبعة (٤٩٥)، والكشف (٢/١٧٥)، والتيسير (١٧٢)، والموضح (٢/٩٨٦)، والنشر (٢/٣٤٢).

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٥١٧ـ٥١٨)، وأنوار التنزيل (٥١٩ـ٥٢٠).

تراخي حال الإحضار عن حال التمتيع[1] لا للتراخي للمدّة؛ لكونه معلوماً لا طائل في ذكره[2].

وقرأ نافع في رواية قالون والكسائي «ثـمّ هْـوَ» بسكون الهاء؛ لأنّ الواو والفاء تُنزّلا مِن «هو» منزلة الجزء؛ لعدم استقلالها فصار «وهو» كعضد فحمل «ثم» عليها بجامع العطف[3][4].

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾

(١) في «ق»: التمتّع.

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٥١٨).

(٣) في هامش الأصل، «ص»: «يجوز في عضد سكون الضاد، فكذا فيما يُشبهه مثل «وهو»، ثمّ حمل «وهو»، «ثمّ هو» بجامع العطف».

(٤) وقرأ الباقون «ثمّ هُوَ» بتحريك الهاء، وهو الأصل.

انظر: الكشف (١/٢٣٤ــ٢٣٥)، والتيسير (٧٢)، والموضح (٢/٩٨٧)، والنشر (٢/٢٠٩).

وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [٦٢-٧٠].

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾ منصوب باذكر، ﴿ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ إضافة الشركاء إلى نفسه على زعمهم تهكّماً بهم، ومفعولا زعم محذوفان أي: زعمتموهم شركائي، والدّال على الحذف تقدّم الذكر[١].

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ ﴾ [وجب عليهم القول][٢]وجب عليهم مقتضاه[٣]، وهو الخلود في النار[٤]، ﴿ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ ﴾ أي: أغويناهم فحذف الرّاجع، ﴿ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ﴾ خبر «هؤلاء»، والكاف في موضع المصدر، ومعنى التشبيه: أنهم غووا باختيارهم، والمعنى: أغويناهم فغووا غيّاً باختيارهم مثل ما غوينا وإن كان ذلك بتسويلنا. ويجوز أن يكون «أغويناهم» استئنافاً و«الذين غوينا» خبر[٥]. ﴿ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ﴾ من كفرهم

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٥١٨)، وأنوار التنزيل (٥٢٠).

(٢) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح»، «ص»، «ق».

(٣) في «ح»: مقتضاهم.

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٥١٨)، وأنوار التنزيل (٥٢٠).

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٥١٨ـ٥١٩)، والبيان (٢/٢٣٥)، وأنوار التنزيل (٥٢٠).

قال المصنّف في هامش الأصل، «ص»:«اعترض أبو علي بأن الإخبار بأغوينا عن هؤلاء لا يستقيم؛ لأنه قد علم ذلك من الصلة، فقدّر له تقديراً لا يستقيم».

باختيارهم، ﴿ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ﴾ بل كانوا يعبدون أهواءهم، والجملتان مقررتان للكلام السابق ولذلك خلتا عن العاطف، وجَعْل «ما» مصدرية حذف عنها الجار والمجرور ليتعلّق بـ«تبرأنا» تكلّف[1]. ﴿ وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ ﴾ من فرط الحيرة، ﴿ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ ﴾؛ لعجزهم عن الاستجابة والنصرة، ﴿ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ ﴾ وتيقّنوا أنهم صائرون إلى النار، ﴿ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ﴾ [لوجهٍ من الحيل يدفعون به العذاب لدفعوا، أو لو كانوا يهتدون][2] في الدنيا لـمّا رأوه، أو تمنوا الاهتداء لما رأوا العذاب وتحيّروا.

﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ وبّخهم أوّلاً على اتّخاذ الشركاء، [ثمّ][3] بما يقوله الشياطين[4] أو أئمتهم حين تبرأوا منهم، ثمّ بما يُشبه الشماتة والتهكّم بهم لما أمرهم بدعائهم والاستغاثة بهم بعد التبرؤ منهم، ثمّ بالسؤال عما أجابوا به الرسل؛ إزاحةً للعلل[5] وتبكيتاً، ﴿ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ ﴾ أصله فعموا عن الإنباء، وإنما عكس مبالغةً كأن عماهم سرى إلى الأنباء

انظر: التبيان في إعراب القرآن (٢/١٠٢٤)، والبحر المحيط (٧/١٢٨)، والدر المصون (٨/٩٨٨–٩٨٩).

(١) انظر: الكشّاف (٤/٥١٩)، وأنوار التنزيل (٥٢٠)، والدر المصون (٨/٩٨٩).

(٢) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل، «ح».

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ص»، «ح».

(٤) في «ح»: الشيطان.

(٥) في «ص»: للتعلل.

فلم تجد[1] إليهم سبيلاً، والمراد: عمى القلب، وتعدّى الفعل بـ«على»؛ لتضمنه معنى الخفاء[2]. ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي: لا يسأل بعضهم بعضاً؛ لتساويهم في عمى الأنباء عليهم.

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ من الشرك، ﴿وَءَامَنَ﴾ بما يجب الإيمان به، ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ بعد الإيمان، ﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾ ترغيب في الإقلاع، فكأنه قال: ما ذُكِرَ حال المُصِرّ، وأمّا التائب فمن الفائزين، و«عسى» الكرام إنجاز، فما ظنك بأكرم الأكرمين[3]. ويجوز اتصاله بقوله: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ﴾ وحديث الشركاء مستطرد لذكر الإحضار. ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ مِن هداية[4] أحد الفريقين وإضلال الآخر. فإن قلتَ: ما الفرق بين المشيئة[5] والاختيار حتى جمع بينهما؟. قلتُ: الاختيار هو القصد إلى إيجاد ما تعلّقت به

(١) في «ح»، «ص»: نجد.

(٢) انظر: الكشّاف (٥١٩/٤)، والتفسير الكبير (٨/٢٥)، وأنوار التنزيل (٥٢٠).

(٣) انظر: التفسير الكبير (٩/٢٥)، وأنوار التنزيل (٥٢٠).

(٤) في «ح»: هداه.

(٥) في الأصل، «ح»، «ص»: المشية.

الإرادة وترجيح أحد الطرفين بعد ملاحظة الأُخرى[1]. ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ بيانٌ لقوله: «ويختار»، ولذلك لم يدخل العاطف[2][3]. والخيرة من التخيّر كالطّيرة من التطيّر لقول الوليد بن المغيرة حين قال: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[4][5]. وقيل: «ما» موصولة، والمعنى: ويختار للعباد الذي لهم فيه الخيرة كخلق الأنبياء، ودلائل الآفاق والأنفس، وعلى الوجهين لا يلزم سلب الاختيار عنهم في أفعالهم الجزئية[6]. ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تنزيهاً له عن منازع

(١) قرر المصنّف هنا رأي أهل الكلام، والمشيئة هي المرتبة الثالثة من مراتب القدر، وهي: أنّ ما يجري في الكون فهو بمشيئة الله تعالى لا يخرج شيء عن تلك المشيئة. والاختيار في هذه الآية هو الاجتباء والاصطفاء، فهو يخلق ما يشاء ويختار بعد الخلق.

انظر: زاد المعاد (١/٣٩)، وشفاء العليل (١/١٢٥)، والقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنّة (٥٢)، ومعارج القبول (٣/٩٤٠).

(٢) في «ح»: العطف.

(٣) قاله الزمخشري. انظر: الكشّاف (٤/٥٢٠).

(٤) الآية (٣١) من سورة الزخرف.

(٥) انظر: النكت والعيون (٤/٢٦٣)، والكشّاف (٤/٥٢٠)، وزاد المسير (٦/٢٣٧).

(٦) أورد المصنّف قولين في معنى «ما»، وهناك قولٌ ثالث: أنها بمعنى النافية، واختار هذا القول الزجاج، ومكي، والرازي، وابن كثير، والأشموني وغيرهم. وأورد العلماء على كون «ما» موصولة اعتراضاً بأنّ ذلك يشير إلى رأي المعتزلة في إيجاب الأصلح والصلاح على الله عزّ وجلّ، ومن قال بكونها موصولة ابن جرير الطبري مع أنه من أهل السنة.

أو مزاحِم فيما شاء، ﴿ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ عن إشراكهم، أو ما يُشركون به.

﴿ وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴾ من عداوةِ رسول الله[1] والطعن فيه، ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ ﴾ لا غيره، ﴿ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ لا يستحقّ الألوهية غيره، توكيد وتقرير للأولى، ﴿ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾؛ لأنه مولي النّعم في الدّارين يحمده المؤمنون في الآخرة تلذذاً أو ابتهاجاً كما يحمدونه في الدنيا تعبداً[2]: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ ﴾[3]، ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا ﴾[4]، ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ ﴾[5]. روى مسلم وأبو داود عن جابرٍ[6] أنّ

انظر: جامع البيان (٢٠/٩٩ــ١٠٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٤/٢٣٧)، ومشكل إعراب القرآن (٢/٥٤٧)، والتفسير الكبير (٢٤/٩ــ١٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٣٠٥ــ٣٠٧)، وزاد المعاد (١/٣٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٢٦١)، والبحر المحيط (٧/١٢٩)، والدر المصون (٨/٦٩١) ومنار الهدى (٢١٣).

(١) صلى الله عليه وسلّم.

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٥٢١).

(٣) بعض الآية (٣٤) من سورة فاطر.

(٤) بعض الآية (٤٣) من سورة الأعراف.

(٥) بعض الآية (٧٤) من سورة الزمر.

(٦) جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل، روى عن النبي ﷺ وعن بعض الصحابة، شهد بيعة العقبة وبيعة الرضوان، روى ١٥٤٠ حديثاً، مات سنة ٧٨هـ.
انظر: التاريخ الكبير (٢/٢٠٧)، وسير أعلام النبلاء (٣/١٨٩).

رسول الله قال: «أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوّطون ولا يتفلون، يُلْهَمون التسبيح والتهليل كما يُلْهَمون النَفَس»[1].

﴿وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾ لا حاكم غيره، ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ للمجازاة لا إلى غيره.

قال تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ٧١ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٍ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٧٢ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٣ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٧٤ وَنَزَعۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلۡنَا هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [٧١-٧٥].

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ لـمّا ذكر تفرده بالألوهية واستحقاقه الحمد في الدّارين أردفه بنعمتين لا يمكن الانتفاع بسائر النعم بدونهما، ولا يشكّ أحدٌ أنّهما منه؛ إذ لا مجال لتوهم مشاركة الغير. والسّرمد من السّرد وهو المداومة على الشيء[2]. ﴿مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾ قدّم ذِكر اللّيل؛ لأنّ انكشافه عن النهار بالنّيّر الأعظم أبلغ في المنافع وأجلب

(١) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (١٧/١٧١-١٧٤)، وأبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في الشفاعة (٤/٢٣٦) ح٤٧٤١ مختصراً. في هامش الأصل: وفي رواية: «لا يمتخطون» بدل «لا يتفلون». كما في صحيح مسلم نفس الإحالة السابقة.

(٢) انظر: العين (٤٢٣) مادة «سرمد»، والمفردات (٤٠٨)، والتعاريف (٤٠٣).

للمصالح، وذلك آثر ذكر الضياء على النهار مع كونه ظاهراً في التقابل؛ للدلالة على أنه المقصود من النهار والانتفاع بالنهار من روادفه، ولذلك جعل الفاصلة: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾؛ لأنّ مدرك العقل[1] بواسطة السّمع أكثر من مدركات البصر، إذ ما لا يُمكن إدراكه بحاسّة يمكن أنّ يُعبّر عنه بعبارةٍ مُفْهِمَه[2].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ لم يُقابل الضياء بالظّلام؛ لكونه غير مقصود في نفسه، مع اشمئزاز النفس من سماعه في معرض الامتنان. وَذَكَر السّكنى في اللّيل[3]، ولم يقابل التصرّف في النهار؛ لانحصار نفع اللّيل فيه دون النهار في التصرّف. فالتوبيخ في: «أفلا تسمعون» أبلغ منه في: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[4].

---

(١) في «ح»: الفعل.

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٥٢١)، وأنور التنـزيل (٥٢١).

ويجوز أن يكون سبب الختام «أفلا تسمعون» لأنّ السّمع يكون أقوى أثراً في اللّيل، وبقوله: «أفلا تبصرون»؛ لأنّ البصر يكون أقوى في النهار.

(٣) في «ق»: باللّيل.

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٥٢١)، وأنوار التنـزيل (٥٢١).

﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ لفّ ونشر مرتّب[1]، وهو من محسّنات الكلام، ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ولكي تعرفوا نعمة الله فتشكروه [على][2] جعل ذلك.

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ أخرجناه، وهو نبيهم؛ لأنّ الأنبياء شهداء على الأمم[3]، ﴿ فَقُلْنَا ﴾ بعد إحضار النبي: ﴿ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ﴾ على الشرك وتكذيب الرّسل، ﴿ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ ﴾ في الألوهية ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم ﴾ غاب[4] غيبة الضائع[5]، ﴿ مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ من الباطل، وبخهم أوّلاً على اتّخاذ الشركاء بقوله: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ﴾؛ ليبكتهم بعدم صلوحها، ولذلك عقّبه بقوله: ﴿ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ﴾؛ تهكّماً بهم، وثانياً: بقوله: ﴿ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ

---

(١) اللّفّ والنشر: وهو ذكـر متعدّد على التفصيل أو الإجمال ثمّ ما لكلّ واحد من غير تعيين؛ ثقـة بأنّ السامع يردّه إليه.

انظر: التلخيص (٣٦١)، ومعجم المصطلحات البلاغية (٥٢٥ــ٥٢٧).

(٢) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل، «ح»، «ص».

(٣) قاله قتادة، ومجاهد.

انظر: النكت والعيون (٤/٢٦٣)، والكشّاف (٤/٥٢٢)، واختاره القرطبي. انظر: الجامع لحكـام القرآن (١٣/٣٠٩).

(٤) في «ص»، «ق»: غاب عنهم.

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٥٢٢).

تَزْعُمُونَ ﴾، وعقّبه بقوله: ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾؛ ليدلّ على أنّ ذلك الاتّخاذ لم يكن له حقيقة، وقيل: الأوّل لبيان فساد آرائهم، والثاني لبيان أنّ ذلك لم يكن له سند.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [٧٦-٧٨].

﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ ﴾ لـمّا كان افتخار المشركين بما كان لهم من الأموال والبنين، وما كان فيه رسول الله والمؤمنون من ضيقة(١) ذات اليد هدّدهم الله أوّلاً بقوله: «وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها»(٢)، وأردفه بمن ضرب به المثل في الثروة والغناء وما آل إليه أمره وجرّ عليه غروره، وكيف صار هلاكه عبرةً لأولي الأبصار، وأشار في أثناء القصّة إلى أنه قد أهلك قبله مَن كان أشدّ منه قوّةً وأكثر أموالاً.

(١) في «ح»، «ص»: ضيعة.

(٢) الآية (٥٨).

قال الكلبي: «كان ابن عمّ موسى»[1]. وعن محمد بن إسحاق: كان عمّ موسى[2]. وعن ابن عباس: كان ابن خالته[3]. ﴿فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ بأن طغى وخرج عن اتّباع موسى، وذلك أنّ موسى جعل الحبورة[4] والقربان[5] لهارون[6]، فقال: قارون: الأمر إليكما ولست على شيء، قال[7] موسى: هذا صنع الله[8]. وقيل: بغي أي: ظلم، وذلك أنّ فرعون كان جعله والياً على بني إسرائيل فظلمهم[9].

---

(١) انظر: معالم التنزيل (٣/٤٥٤)، والتفسير الكبير (٢٥/١٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٣١٠) وزاد نسبته للنخعي وقتادة.

(٢) انظر: معالم التنزيل (٣/٤٥٤)، والكشّاف (٤/٥٢٢)، وزاد المسير (٦/٢٣٩).

(٣) قاله عطاء عن ابن عباس.

انظر: زاد المسير (٦/٢٣٩)، والتفسير الكبير (٢٥/١٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٣١٠).

واختار الطبري، وأبو حيّان، وابن كثير أنّ قارون كان ابن عمّ موسى عليه السلام.

انظر: جامع البيان (٢٠/١٠٥)، والبحر المحيط (٧/١٣١)، وتفسير القرآن العظيم (٦/٢٦٣).

(٤) الحبورة: لم أجد لها تعريفاً يناسب القصة، وفي تفسير الكشّاف (٤/٥٢٢) إشارة إلى أنها قد تكون القربات بالذبائح. وانظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (٣٠٢).

(٥) القربان: ما يتقرب به إلى الله عز وجل من أنواع القربات كالصدقة والذبائح وغيرهما.

انظر: الصحاح (١/١٩٩) مادة «قرب».

(٦) في الأصل: لهرون.

(٧) في «ق»: قل.

(٨) انظر: الكشّاف (٤/٥٢٢)، والتفسير الكبير (٢٥/١٤).

(٩) قاله ابن المسيب، ويحي بن سلام.

وقيل: تكبّر بكثرة الأموال والأولاد[1]، ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ﴾ من أنواع الأموال المدّخرة، من الكنز وهو الجمع[2].

﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾ جمع «مِفْتَح» بالكسر وهو ما يُفتَح به[3]، أو «مَفْتح» بالفتح وهو خزانة الأموال[4]. ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾ يُقال: ناء به إذا أثقله، والعصبة: الجماعة الكثيرة، وقيل: من عشرة إلى أربعين، من العصوبة وهي الإحاطة، ومنه عصبة الميت، وقد بولغ في إظهار الكثرة حيث ذكر الكنوز والنوء والعصبة ذوي القوّة[5]. قيل: كان يحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلاً وكان كلّ مفتاح لا يزيد على إصبع[6].

انظر: النكت والعيون (٤/٢٦٥)، وعرائس المجالس (١٨٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٣١٠).

(١) انظر: الكشّاف (٤/٥٢٢).

(٢) قال الراغب الأصفهاني: «الكنز جعل المال بعضه على بعض وحفظه».
المفردات (٧٢٧) مادة «كنز»، وانظر: أنوار التنزيل (٥٢٢).

(٣) قاله مجاهد، وقتادة، والأعمش. انظر: الكشّاف (٤/٥٢٣)، وزاد المسير (٦/٢٤٠).

(٤) قاله السدّي، وأبو صالح، والضحاك. انظر: زاد المسير (٦/٢٤٠)، والتفسير الكبير (٢٥/١٤).
واختار الزجاج القول الثاني، وقال: «والأشبه فيما جاء في التفسير أنّ مفاتحه خزائنه».
معاني القرآن وإعرابه (٤/١٥٥).

(٥) انظر: النكت والعيون (٤/٢٦٦)، والكشّاف (٤/٥٢٣)، وزاد المسير (٦/٢٤٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٣١٢). وجعل بعض العلماء هذه الآية مثالاً لقلب الإسناد، وقال غيرهم: إنّ فيها نقلاً لا قلباً. انظر المسألة مفصّلةً في الإيضاح في علوم البلاغة (٨١)، المطوّل (١٣٨)، وشروح التلخيص (١/٤٨٨)، وأضواء البيان (٧/٣٩١).

(٦) قاله الأعمش.

﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ ﴾ ظرف تنوء، ﴿ لَا تَفۡرَحۡ ﴾ بالدنيا التي حبها رأس كلّ خطيئة، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴾ بزخارف الدنيا[1]، ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ ﴾ فإنها دار الإقامة، والمال نعم الوسيلة إليها. وفي الحديث: «نعم المال لصالح للرجل الصالح»[2]، ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ بأن تخرج من مالك كلّه بل خذْ منه على قدر كفافك. كقوله: ﴿ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ ﴾[3]، أو ما تصلح به آخرتك فإنه نصيب المؤمن من الدنيا كقوله ﷺ: «يقول ابن آدم مالي مالي وهل لابن آدم من مال إلاّ ما أكلته فأفنيت، أو لبسته فأبليت، أو تصدقت به فأبقيت»[4]، ويؤيده قوله: ﴿ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ ﴾ أي: أنعم به على المحاويج كما أنعم الله عليك. ﴿ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ لا تطلبه

انظر: معاني القرآن للنحاس (٥/١٩٧)، وعرائس المجالس (١٨٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٣١٣).

(١) قال البيضاوي: «لا تفرح: لا تبطر، والفرح بالدنيا مذموم مطلقاً؛ لأنه نتيجة حبّها والرضى بها والذهول عن ذهابها، فإن العلم بأن ما فيها من اللّذة مفارقة لا محالةً يُوجب التّرح».
أنوار التنزيل (٥٢٢).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٤٥-٤٦)، وأحمد في المسند (٢٩/٢٩٨) ح١٧٧٦٣، قال المحقق: «إسناده صحيح على شرط مسلم». وابن قانع في معجم الصحابة (٢/٣١٢)، والديلمي في الفردوس (٤/٢٥٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/٦٦)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار في الأسفار (٤/٩١) وقال عن سند الحديث: بأنه جيد. وابن حجر في فتح الباري (٨/٧٥).

(٣) بعض الآية (٢٩) من سورة الإسراء.

(٤) حديث صحيح، أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الزهد (١٨/٩٤)، والترمذي، كتاب الزهد، باب حديث يقول: ابن آدم مالي مالي. (٥٣٥) ح٢٣٤٢، وقال: «هذا حديث حسن صحيح». وأحمد في المسند (١٤/٤١١) ح٨٨١٣، وابن أبي عاصم في الزهد (٣١).
وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٦٤).

فضلاً عن الوقوع فيه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ والعاقل لا يدخل نفسه في زمرتهم. ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ أي: علم كائن عندي استوجبت به التفوّق على الناس، وذلك أنه كان أعلم بني إسرائيل بالتوراة[1][2]، وقيل: أراد علم الكيمياء[3]، فإنه كان تعلّمه من موسى[4][5]. وقيل علم التجارة

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٥٢٤)، وأنوار التنزيل (٥٢٢).

(٢) في الأصل، «ق»: بالتورية.

(٣) في الأصل: الكيمياء.

(٤) عليه السلام.

(٥) قاله ابن عباس، وسعيد بن المسيب، والوليد.

انظر: معالم التنزيل (٣/٤٥٥)، وزاد المسير (٦/٢٤٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٣١٥).

وعلم الكيمياء الوارد في الأثر هو قلب المعادن إلى ذهب أو فضة.

يقول الزجاج: «وهذا لا يصحّ؛ لأنّ الكيمياء باطل لا حقيقة له». وقال ابن تيمية: «قال: فإنّ قارون كان يعمل الكيمياء. قلت: وهذا أيضاً باطل، فإنه لم يقله عالم معروف». وقال ابن كثير: «وهذا القول ضعيف؛ لأنّ علم الكيمياء في نفسه علم باطل؛ لأن قلب الأعيان لا يقدر أحد عليها إلاّ عزّ وجلّ».

انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/١٥٦)، والنكت والعيون (٤/٢٦٥)، ومجموع الفتاوي (٢٩/٣٧٧)، وتفسير القرآن العظيم (٦/٢٦٤).

وأمّا علم الكيمياء في زماننا فهو علم يبحث في خواص المادة والقوانين التي تخضع لها في الظروف المختلفة عند اتّحادها وانفصالها.

انظر: المعجم الوسيط (٢/٨٠٨) حرف الكاف، والموسوعة العربية العالمية (٢٠/٣٧٨).

وما تحدّث عنه القُدامى في تحريم الكيمياء هو تحويل التراب أو الفضة أو غيرهما إلى ذهب، وهذا ممتنع قديماً، وقد أمكن عمل ذلك في الزمن الحاضر بتكلفة عالية.

والمكاسب[1]. وقيل: علمه بكنوز يوسف[2][3]. والوجه أنّ «عندي» جملة مستأنفة تقرر ما ذكره أي: هكذا الأمر عندي وفي اعتقادي، ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ أي: قد علم ذلك قراءةً في التوراة[4]، وسمع من المؤرخين أخبار نمروذ والضّحّاك وما كانوا فيه[5]. فكيف لم ينتبه واغترّ بما فيه ولم يقِسْ حاله على أُولئك، ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾؛ لأنّ سؤال الاستعلام محال في حقّه تعالى، وسؤال المعاتبة[6] يكون بين الأحبّة، هذه مقدّمة تدلّ على هلاك قارون بغتة[7].

قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

---

(١) قاله ابن عيسى.

انظر: النكت والعيون (٤/٢٦٨)، والكشّاف (٤/٥٢٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٣١٥).

(٢) عليه السلام.

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٥٢٢).

(٤) في الأصل، «ق»: التورية.

(٥) انظر: التفسير الكبير (٢٥/١٦)، وأنوار التنزيل (٥٢٢).

النمروذ: نمروذ بن كنعان بن كوش، كان أحد ملوك الدنيا، وكان طاغية جبّاراً، ناظره إبراهيم عليه السلام مناظرة مشهورة بُهت فيها النمروذ، أهلكه الله ببعوضة دخلت منخره.

انظر: تاريخ الأمم والملوك (١/١٤٧)، والبداية والنهاية (١/١٣٩).

والضحاك: الضحاك بن قيس الحميري، من ملوك العجم، يُقال: أنه ملك الأرض ألف سنة، وبعضهم يسميه بيوراسف. انظر: المحبر (٣٩٣)، والبداية والنهاية (٢/١٧٩).

(٦) في «ح»: المعاينة.

(٧) انظر: التفسير الكبير (٢٥/١٦)، وأنوار التنزيل (٥٢٢).

وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [٧٩-٨٣].

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ مفتخراً عليهم في زيّه المخصوص به. قيل: كان راكباً بغلةً شهباء وعليه الأُرجوان[1] وعليها سرجٌ من ذهب ومعه أربعة آلاف من الغلمان على زيّه[2]. وقيل: ثلاثمائة[3] غلام عن يمينه، وثلاثمائة[4] جارية عن يساره وعليهنّ الحلي والديباج[5]. وقيل: في تسعين ألفاً وعليهم

(١) الأُرجوان: صبغ أحمر شديد الحمرة، ويقال: قطيفة حمراء أرجوان، وأصل الكلمة فارسي.

انظر: معاني القرآن للزجاج (٤/١٥٦)، والمعرّب (١١٢)، والمعجم الوسيط (١/١٣) مادة «أرج».

(٢) قاله وهب بن منبه، وقتادة. انظر: زاد المسير (٦/٢٤٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٣١٧).

(٣) في الأصل: ثلثمائة.

(٤) في الأصل: ثلثمائة.

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٥٢٥).

والديباج: لفظ فارسي معرّب يُطلق على ضرب من الثياب الحريرية.

انظر: تهذيب اللّغة (١٠/٦٧٥) مادة «دبج»، والمعرّب (٢٩١)، والمعجم الوسيط (١/٢٦٨) مادة «دبج».

المعصفر"[1]. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ وهم عوامّ المؤمنين، ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾ تمنوا مثله؛ لئلا يكون حسداً، وعن قتادة: تمنوه[2]؛ ليتقربوا إلى الله تعالى ويصرفوه في وجوه الخير[3]، وقيل: بل كانوا كفاراً[4]، ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ الحظّ: النصيب والبخت، وفي المثل: الدنيا إحاظ وجدود[5]. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ بسرعة زوال نعيم الدنيا ودوام الآخرة، ﴿وَيْلَكُمْ﴾ أصله الدّعاء بالهلاك، ولم يردوا[6] معناه بل التعجّب من ذهولهم وتمنيهم الفاني[7]، ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ مما أوتي قارون، بل من الدنيا وما فيها، ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ على الطّاعات وعن الشهوات، والضمير لِما قاله العلماء؛ لأنها

(١) قاله ابن زيد.

انظر: النكت والعيون (٤/٢٦٩)، والكشاف (٤/٥٢٥). وقال الرازي بعد ذكر الأقوال في «زينته»: «والأولى ترك هذه التقريرات؛ لأنها متعارضة». التفسير الكبير (٢٥/١٧).

(٢) في «ح»: تمنوا.

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٥٢٥)، والبحر المحيط (٧/١٣٤).

(٤) انظر: التفسير الكبير (٢٥/١٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٣١٧).

(٥) انظر: النكت والعيون (٤/٢٦٩)، والكشّاف (٤/٤٢٥)، والبحر المحيط (٧/١٣٤).

(٦) في «ح»: ولم يريدوا.

(٧) انظر: الكشّاف (٤/٥٢٥)، وأنوار التنزيل (٥٢٢).

كلمة عرفاً، أو للثواب؛ لأنه بمعنى المثوبة، أو للجنة، أو للإيمان والعمل الصالح؛ لأنه في معنى السيرة والطريقة[1][2].

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ كان مع بَغْيِه يُداريه موسى[3] للرحم الذي بينهما حتى طالبه بزكاة[4] ماله وشارطه على دينار من كلّ ألف فاستكثره، فجمع بني إسرائيل وقال: إنّ موسى يريد أخذ أموالكم، فقالوا: أنت سيّدنا مُرْنا بما رأيت. فقال: قد دبّرت له، فجعل لبغي[5] من بغايا بني إسرائيل ألف دينار. وقيل: بل حكّمها في ماله. فقام موسى يوم عيد خطيباً فقال: يا معشر بني إسرائيل مَن سرق منكم قطعناه، ومَن زنى غير محصن جلدناه، وإن كان محصناً رجمناه، فقال قارون: وإن كنت ذلك الرجل !!. قال: بلى، قال: إنّ بني إسرائيل يزعمون أنك زنيت بفلانة. فأحضرها موسى وناشدها الله الذي فلق البحر وأنزل التوراة[6]. فقالت: كلاّ، ولكن جَعَلَ لي قارون جعلاً[7] لأفتري عليك، فخرّ موسى

(١) في الأصل: الطريفة.

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٥٢٥ـ٥٢٦)، وأنوار التنزيل (٥٢٢).

(٣) عليه السلام.

(٤) في الأصل، «ح»، «ص»: بزكوة.

(٥) البَغِيُّ: هي المرأة الفاجرة تتكسّب بفجورها، وسميت بذلك لتجاوزها إلى ما ليس لها من الحرام.
انظر: المفردات (١٣٧) مادة «بغي»، وعون المعبود (٩/٢٠٩)، والمعجم الوسيط (١/٦٥) مادة «بغي».

(٦) في الأصل: التورية.

(٧) جعلاً: الـجُعْل: هو الأجر ويُطلق عليه جِعَالة بكسر الجيم، ويُراد به: ما جُعِل للإنسان من شيء على الشيء يفعلة. انظر: طلبة الطلبة (١٦٩)، والمصباح المنير (١٠٢).

يبكي، وقال: يا ربِّ لإن كنت لك رسولاً فاغضب لي، فأوحى إليه أن مُرِ الأرض بما شئت. فقال موسى: خذيهم يا أرض وكان تبعه رجلان، وبقية بني إسرائيل قد اعتزلوا عنه مع موسى، فأخذتهم الأرض إلى الرّكب[1]، ثمّ ناداها خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط[2]، ثمّ ناداها خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق، وكان في أثناء ذلك يُناشد بالرحم ويستغيث به وموسى لا يلتفت إليه؛ لشدة غضبه، ثمّ ناداها فانطبقت عليهم، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3]، قيل: ناداه ربه بعد هلاك قارون[4] ما أقسى قلبك يا موسى استرحمك مراراً فلم ترحمه، وعزّتي وجلالي لو دعاني مرّةً لأجبته، ثمّ أصبحت بنوا إسرائيل يتناجون أنّ موسى لم يدع على قارون إلاّ طمعاً في ماله؛ فإنه لم يكن له وارثٌ غيره، فدعا الله أن يخسف بماله فخسف به بعد ثلاث[5][6]، ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ﴾ من أعوان، مِن فاء

---

(١) في «ح»: الرّكبة.

(٢) في «ح»: الوسط. ب

(٣) الآية (٤٥) من سورة الأنعام.

(٤) في الأصل: قرون.

(٥) في الأصل: ثلث.

(٦) أورد هذه الرواية جمهرة من المفسرين والمحدّثين مع اختلافٍ يسير.

انظر: جامع البيان (٢٠/١١٦ـ١١٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٩/٣٠١٧ـ٣٠١٩)، والنكت والعيون (٤/٢٧٠)، ومعالم التنزيل (٣/٤٥٦ـ٤٥٧)، والكشّاف (٤/٥٢٦)، والمستدرك، كتاب التفسير، في تفسير سورة القصص (٢/٤٠٨ـ٤٠٩) عن ابن عباس، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وزاد المسير (٦/٢٤٥)، وأنوار التنزيل (٥٢٢)، والدر المنثور (٨/٤٤١ـ٤٤٢).

رجع؛ لأنّ بعضهم يرجع إلى بعض عند الانتصار والمحاماة[1]، ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من دون عذابه، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ وما كان من الممتنعين بغيرها من الأسباب. ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ﴾ الذين قالوا: «يا ليت لنا مثل ما أُوتي قارون»، ﴿بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ﴾ قبل هلاكه بقليل، ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾ بمقتضى مشيئته لا لكرامة المرزوق ولا لهوان الذي قُدِرَ عليه، «وي» صوت يقوله المتندم والمتعجب[2].

وقد ناقش الرازي بعض ما ورد في الرواية ثمّ اختار تركها فقال: «والذي عندي في أمثال هذه الحكايات أنها قليلة الفائدة ...، ثمّ إنها في أكثر الأمر متعارضة مضطربة، فالأولى طرحها والاكتفاء بما دلّ عليه نصّ القرآن وتفويض سائر التفاصيل إلى عالم الغيب». انظر: التفسير الكبير (١٨/٢٥).

وتوقّف أبو حيّان في الحكم عليها. انظر: البحر المحيط (١٣٥/٧).

(١) انظر: المفردات (٦٥٠) مادة «فيأ»، وأنوار التنزيل (٥٢٣).

(٢) وي: اسم فعل بمعنى أعجب، وقول المصنّف: «وي: صوت». إن أراد به بالصوت: الكلمة أو ما ينطقه المتكلّم عند الندم أو التعجّب فهو صواب. وإن أراد بالصوت: اسم الصوت فليس صواباً؛ لأنّ اسم الصوت لفظ يوجّه إلى الدواب لزجرها أو لحثّها، أو صوت صادر عن الحيوان أو الجماد فيحاكيه الإنسان. انظر: الجنى الداني (٣٥٢)، والخليل في النحو العربي (٦٠).

قال الخليل: «هـذا قول قومٍ تنبهوا ونُبِّهوا». والكاف جُرِّدت عن التشبيه[1] كقوله ﷺ: «كأنك بالدنيا ولم تكـن وبـالآخرة ولم تـزل»[2]. وعليـه قـول إمـريء القيس[3]:

كـأني لم أركـب جـواداً لغـارةٍ ولم اتـبطّن كاعبـاً ذات خلخـال[4]

---

(١) على هـذا الرأي: «وي» منفصلة عن «كأن». انظـر: الكتاب (٢/١٥٤)، ومعـاني القـرآن وإعرابـه للزجاج (٤/١٥٦ ــ ١٥٧)، والصحاح (٦/٢٥٣٢) مادة «وي».

(٢) أخرجـه أبو نُعيم في حلية الأولياء عن سفيان بن عيينة مقطـوعاً (٧/٢٧٣)، وأورده علـى القاري في المصنوع (١٣٢) وحكم بوضعه. وانظر: كشف الخفاء (٢/١٣٥).

(٣) إمـرؤ القيس بن حجر بن الـحارث الكندي، أشهر شعراء الـعرب في الـجاهلية، نفاه أبـوه إلى حضرموت لما رأى لهوه ومجونه، وحينما قتل أبوه عاد إلى قومه ليأخذ بثأره، ثمّ قـصد ملـك الروم ليساعده، فوعده ثمّ ماطله، مات في طريق عودته من أرض الروم، واختلف في سبب وفاته، وكان ذلك سنة ٨٠هـ قبل الهجرة في أنقرة. انظر: الأغاني (٩/٧٧)، وخزانة الأدب (١/٣٣٠).

(٤) البيت من بحر الطويل.
انظر: ديوانه (٣٥)، والبحـر المحـيط (٤/٨٨)، والـدر المـصون (٤/٥٦٥)، وخزانـة الأدب (١/٣٢٩).

وعند الكوفيين أصله: «ويلك»، حذفت اللاّم تخفيفاً؛ لكثرة استعمال هذه الكلمة، وعليه قول عنترة[1]:

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتر[2] أقدم[3]

وفتحت «أن» لتقدير العلم، وعن قطرب: لتقدير اللاّم، وسمّيت مركبة لتوقف المعنى عليه[4][5]. وقد وقف الكسائي على الياء، وأبو عمرو على

---

(١) عنترة بن شدّاد بن عمرو العبسي، فارس من فرسان العرب في الجاهلية، وشاعر فحل، أُمّه حبشية سوداء فسرى إليه السواد منها، أحبّ ابنة عمّه وشبب بها، وشهد حرب داحس والغبراء، يوصف شعره بالرقّة والوضوح، وكان عزيز النفس، ذا شيمة، يُضْرَب المثل بشجاعته، مات سنة ٢٢هـ قبل الهجرة. انظر: الأغاني (٨/٢٣٧)، وخزانة الأدب (١/١٢٨).

(٢) في الأصل: عنترة.

(٣) البيت من بحر الكامل، والشاهد فيه: ويك فهي كلمة بمعنى التعجب.
انظر: ديوان عنترة (٢١٩)، والجنى الداني (٣٥٣)، وشرح المفصّل (٤/٧٧)، والصاحبي (١٧٧).

(٤) انظر: التفسير الكبير (٢٥/١٩).

(٥) اختلف العلماء في «ويكأن» هل تكون «وي» متصلة أو منفصلة عن «كأن» على مذاهب:

الأوّل: أنّ «وي» كلمة منفصلة وهي اسم فعل، والكاف للتعليل، وأن وما في حيزها مجرورة بها، والمعنى أعجب أنه لا يفلح الكافرون.

الثاني: أن «كأن» للتشبيه، ألا أنه ذهب منها معناه وصارت للخبر والتيقن، ويناسب هذا الرأي الوقوف على «ويْ».

الثالث: أن «ويك» كلمة منفصلة، والكاف حرف خطاب، ومعمول «أن» محذوف تقديره: اعلم أنه لا يفلح.

الرابع: أن أصلها «ويلك» حذفت اللاّم للتخفيف.

الخامس: أن «ويكأن» كلمة متصلة معناها: ألم تر، أو رحمة لك.

الكاف، والباقون على النون(١). قرأ حفص «خَسَفَ» على بناء الفاعل(٢)، ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ لا محالة. ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ إشارة إلى تعظيم، [أي](٣): التي بلغك خبرها وتيقّنت بشأنها العجيب، ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ غلبة(٤) وقهراً كما أراد فرعون، ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ كما أراد قارون، وعلّق بالإرادة؛ مبالغةً في الرّدع عنهما(٥).

انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٣١٢)، وتأويل مشكل القرآن (٥٢٦)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/٢٤٤)، والمفردات (٨٨٨)، ومشكل إعراب القرآن (٢/٥٤٨)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/١٠٢٧)، والبحر المحيط (٧/١٣٥)، والدر المصون (٨/٦٩٧ـ٦٩٩).

(١) انظر: التيسير (٦١)، والنشر (٢/١٥١)، وإتحاف فضلاء البشر (١٠٦).

(٢) وقرأ الباقون «خُسِفَ» بضمّ الخاء وكسر السين.

انظر: السبعة (٤٩٥)، والتيسير (١٧٢)، والموضح (٢/٩٨٨).

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٤) ف «ح»: علية.

(٥) قسّم شيخ الإسلام الناس أربعة أقسام:

القسم الأوّل: يريدون العلو على الناس والفساد في الأرض وهو معصية الله، وهؤلاء هم شرار الخلق. **القسم الثاني:** الذين يريدون الفساد في الأرض بلا علو كالسّراق والمجرمين من سَفَلة الناس.

القسم الثالث: يريدون العلو بلا فساد كالذين عندهم دين يريدون أن يعلو على غيرهم من الناس.

القسم الرابع: فهم أهل الجنة الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً مع أنهم قد يكونون أعلى من غيرهم. انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/٣٩٢ـ٣٩٣) مختصراً.

﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أي: الجنة، أو العاقبة المحمودة[1]، وهذا التذييل على أنّ ملاك الأمر هو التقوى، ولا يكفي في النجاة عدم تلك الإرادة.

قال تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [٨٤-٨٨].

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ ذاتاً وقدراً ووصفاً[2]، ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ وضع المظهر موضع الضمير؛ للدلالة على أنّ لا فرق بين من ارتكب سيئة أو سيئات. ولِـما يفيد تكرار الإسناد من تقبيح حال المسيء المقتضي لتنفير السامعين[3]. ﴿ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ إلاّ مثله، وإنما حذف المضاف مبالغة في المماثلة كما بولغ في جانب الحسنة بلفظ الخير الدالّ على الكثرة[4].

---

(١) انظر: النكت والعيون (٤/٢٧٢)، وزاد المسير (٦/٢٤٨).

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٥٢٣).

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٥٢٩)، وأنوار التنزيل (٥٢٣).

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٥٢٩).

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي: تلاوته وتبليغه وألزمك مشاقه[1]، ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ وأيّ معاد!، وهو المقام المحمود الذي خصّك به[2]. وقيل: أراد مكّة[3]، وتنكيره؛ لأنّ فتح مكّة كان له شأن.

روي أنها نزلت في مهاجره حين بلغ الجحفة[4] واشتاق إلى مولده ومولد آبائه وحرم إبراهيم[5][6]. ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أمره أن يقول للمشركين: إن الله أعلم بمن هو على الهدى وله الثواب في المعاد، ومن هو بضدّ ذلك. وإن أُريد بالمعاد فتح مكّة فالمعنى: إن ذلك أدنى ما أُوتيته،

---

(١) انظر: أنوار التنزيل (٥٢٣).

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٥٢٣).

(٣) قاله مجاهد، والضحاك، وابن جبير، والسدي.

انظر: النكت والعيون (٤/٢٧٢)، والكشّاف (٤/٥٣٠)، وزاد المسير (٦/٢٥٠).

(٤) الجُحْفَة: بضمّ الجيم وسكون الحاء: ميقات أهل الشام ومصر قديماً كان اسمها مَهْيَعة، سميت الجحفة؛ لأن السيل اجتحفها وحمل أهلها في بعض السنين.

انظر: معجم ما استعجم (٢/٣٦٧)، ومعجم البلدان (٢/١١١).

(٥) انظر: النكت والعيون (٤/٢٧٢)، ومعالم التنزيل (٣/٤٥٨-٤٥٩)، والكشّاف (٤/٥٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٣٢١).

واختار الرازي هذا القول وقال: «إلى معاد: يعني إلى مكّة ظاهراً عليهم وهذا أقرب؛ لأنّ ظاهر المعاد أنه كان فيه وفارقه وحصل العَوْد، وذلك لا يليق إلاّ بمكة وإن كان سائر الوجود محتملاً، لكن ذلك أقرب». التفسير الكبير (٢٥/٢١).

(٦) في الأصل: إبراهيم.

وإنما النعمة العظمى ما يؤاتاه[1] في العقبى. وأشار إليه بالهدى المثمر له والضلال المثمر ضدّه لأعدائه.

فإن قلتَ: قد أمر موسى بهذا القول أيضاً وزاد الباء[2] و«من عنده»[3].

قلت: كلام موسى كان جواباً لهم حيث قالوا: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى﴾[4] فكان خليقاً بالتأكيد، وهنا الكلام مذكور ابتداء لبيان رفعة شأنه وما يؤول إليه أمره، فاقتصر على ما يؤدي ذلك الغرض[5]. ﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ كنت أُميّاً ناشئاً بين الكفار الذين لا يقرأون كتاباً ولا يدينون ديناً، أين كنت من القرآن المعجز؟.

وهذا دفع لما يختلج في الوهم من استبعاد ردّه إلى المعاد. ﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ﴾ لكن رحمة من ربك أدركتك، ويجوز أن يكون استثناء محمولاً على المعنى[6]، كأنه قال: وما ألقي عليك الكتاب إلاّ رحمة من ربك؛

---

(١) في «ح»: ما تؤتاه.

(٢) في «ح»: التاء، ومراد المصنّف زيادة الباء في «بمن».

(٣) قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الآية (٣٧) من هذه السورة.

(٤) بعض الآية (٣٦) من هذه السورة.

(٥) في «ح»: الفرض.

(٦) في هامش الأصل، «ص»: «إنما قال محمولاً على المعنى؛ لأنّ الرجاء لا يصلح أن يكون مفرّغاً منه معنى الإلقاء؛ لأنه مثبت فأوله».

لأنّ نفي الرّجاء نفي للإلقاء على أبلغ وجه[1]. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ عوناً لهم في أمر فإنه إغراء لهم. ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ عن تلاوتها وتبليغها، ﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ إذ لم ينزل إلاّ للتلاوة والعمل، ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ إلى توحيده، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بترك الدّعوة إلى التوحيد.

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ من باب الإلهاب[2] وقطع أطماع المشركين، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ استئناف كالبرهان على عدم صلوحية الغير، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ ذاته[3] [كقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[4]][5]. وقيل: كلّ ممكن قابل للعدم[6].

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٢٢/٢٥)، وأنوار التنزيل (٥٢٣)، والكشف على الكشّاف (٣٨٤/ب)، والبحر المحيط (١٣٦/٧ـ١٣٧)، والدر المصون (٧٠٠/٨).

(٢) الإلهاب: مصدر ألهب، وألهب البرق تتابع حتى لا يكون بين البرقتين فاصل.

قال العلوي عنه: «أنه كلّ كلام دالّ على الحث على الفعل لمن لا يتصور منه تركه، وعلى تركه الفعل لمن لا يتصور منه فعله». انظر: الطراز (١٦٥/٣)، والمعجم الوسيط (٨٤١/٢) مادة «لهب».

(٣) قاله الضحاك، ومجاهد. انظر: النكت والعيون (٢٧٣/٤)، ومعالم التنزيل (٤٥٩/٣)، والكشّاف (٥٣١/٤)، وزاد المسير (٢٥٢/٦).

(٤) الآية (٢٦) من سورة الرحمن.

(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٦) قاله البيضاوي. انظر: أنوار التنزيل (٥٢٤).

وقيل: كلّ عملٍ باطل إلاّ ما أُريد به وجهه[1]، ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ[2]، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للجزاء.

[تمت والحمد لله على نعم عمّت][3].

* * * *

(١) قاله الثوري، وأبو العالية، وعطاء عن ابن عباس.

انظر: النكت والعيون (٢٧٣/٤)، ومعالم التنزيل (٤٥٩/٣)، وزاد المسير (٢٥٢/٦).

واختار ابن كثير القول الأوّل وقال: ««كلّ شيء هالك إلاّ وجهه» إخبار أنه الدائم الباقي الحي القيوم، فعبّر بالوجه عن الذات ...، ثمّ قال عن القول: إلاّ ما أُريد به وجهه: «وهذا قول لا يُنافي القول الأوّل، فإن هذا إخبار عن كلّ الأعمال أنها باطلة إلاّ ما أُريد به وجه الله ـ عزّ وجلّ ـ من الأعمال الصالحة المطابقة للشريعة، والقول الأوّل مقتضاه أنّ كلّ الذوات فانية وهالكة وزائلة إلاّ ذاته».

انظر: تفسير القرآن العظيم (٢٧٢/٦).

(٢) قاله الضحاك.

انظر: النكت والعيون (٢٧٣/٤)، ومعالم التنزيل (٤٥٩/٣).

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

تفسير
سورة العنكبوت

«سورة العنكبوت»

وهي تسع وستون آية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٤ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَـَٔاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٧ ﴾ [١ـ٧].

﴿ الٓمٓ ﴾ اسم السورة، أو حروف مقطّعة إيقاظاً، ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ ﴾ إنكار للحسبان المتعلّق بما بعده وهو ﴿ أَن يُتْرَكُوٓاْ ﴾؛ لكونه ساداً مسدّ مفعوليه[2]، ﴿ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ متعلّق بـ«يُتركوا» بتقدير اللاّم، والترك بمعنى التصيير كقوله: فتركته حرز[3] السباع[4]، وثاني مفعوليه محذوف؛ لدلالة الحال عليه أي: كما

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٥٣٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٣٢٣).

(٢) انظر: البيان (٢/٢٤١)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/١٠٢٩)، وأنوار التنـزيل (٥٢٤).

(٣) حرز: كذا في النسخ كلّها، والصواب: جزر.

(٤) في هامش الأصل، «ص»: يَنُشْنَهُ ما بين قلة رأسه والمعصم.

هم. ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ أي: غير مفتونين، وقيل: «أن يُتركوا» مفعول أوّل و«أن يقولوا» ثاني[1] المفعولين بتقدير اللاّم، «وهم لا يفتنون» ثاني مفعولي «يُتركوا»، وفيه قلق؛ لدخول الواو على الخبر، والفصل بين مفعولي «يُتركوا» بثاني مفعولي «حسب» وهو «أن يقولوا»[2].

والمعنى: [إنكار][3] حسبان الناس بعد إجراء كلمة الإيمان على ألسنتهم أن يسلموا بذلك عن كلّ آفةٍ في هذه الدار مع أنها دار المشاقّ نحو قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾[4].

البيت لعنترة من قصيدته التي هي من القصائد السبع المعلّقة. وهو من بحر الكامل، والشاهد فيه: مجيء الترك بمعنى التصيير. وجزر السباع: نصيبها، والناقة المذبوحة: جزرة جمعها: جُزُر، أي: صيره لحماً للسباع، ينشنه: يأكلنه، وقلة رأسه: أعلاه، والمعصم: موضع السوار من اليد.

انظر: ديوانه (٢١٠)، والكشّاف (١/١٩٣)، وشرح القصائد السبع (٣٤٧)، وسر صناعة الإعراب (٢/٦٩٤)، والدر المصون (٩/٦).

(١) في «ص»: ثان.

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٥٣٢ـ٥٣٣)، والبحر المحيط (٧/١٣٩ـ١٤٠)، والدر المصون (٩/٥ـ٧).

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٤) بعض الآية (٢١٤) من سورة البقرة.

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي: سنة الله في المؤمنين أن يمتحنهم. روى البخاري عن خباب بن الأرت[1][2] قال: «شكونا إلى رسول الله ما نلقى من المشركين فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا. فقال: قد كان من قبلكم يُؤخذ الرّجل فيُحفر له في الأرض ثم يجعل فيها ويُؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصدّه ذلك عن دينه»[3]. ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ علماً حالياً به يقع التمييز بين الصادق في إيمانه والكاذب، أو أُريد لازمه وهو التمييز والمجازاة[4].

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ جميعها[5] من الكفر والمعاصي[6]، ﴿ أَن يَسْبِقُونَا ﴾ أن يفوتونا، لم يحدّثوا به أنفسهم، ولكن لتماديهم في الغفلة كأنهم طامعون ذلك، وصلة «أن» لاشتمالها على المسند والمسند إليه سدّت مسدّ مفعولي

---

(١) في «ق»: الأرث.

(٢) خباب بن الأرت بن جندله التميمي، أبو عبد الله، من السابقين إلى الإسلام، أُوذيَ في الله فصبر، وهاجر إلى المدينة، وشهد بدراً وما بعدها، نزل الكوفة، وشهد مع علي ﷺ صفين والنهروان، مات سنة ٣٧هـ.

انظر: أسد الغابة (٢/٩٨)، والبداية والنهاية (٧/٣٢٢)، وسير أعلام النبلاء (٢/٣٢٣).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر (٤/٢٨٥) ح٦٩٤٣، وانظر: ح٣٦١٢، ٣٨٥٢.

(٤) في «ق»: المجازات.

(٥) في «ق»: جميعاً.

(٦) انظر: أنوار التنزيل (٥٢٤).

الحسبان كما أشرنا إليه في الأوّل[1][2]. ويجوز أن يكون «حسب» بمعنى القدر، ومعنى «أم» للإضراب؛ للدلالة على أنّ هذا الحسبان أبطل من الأول؛ لأن شرف الإيمان ربما يخيل[3] أنّ من اتصف به يسلم عن الآفات والشرور بخلاف ظن [عدم][4] المجازة على سيء العمل فإنه ظاهر البطلان، ولذلك أردفه بقوله: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [أي: بئس الذي يحكمونه [أو حكماً يحكمونه][5] حكمهم هذا فحذف المخصوص][6][7].

﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ حقيقةً في الجنة، لما روى البخاري: «إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب»[8]. أو الوصول إلى

(١) انظر: الكشّاف (٤/٥٣٥)، وأنوار التنزيل (٥٢٤).

(٢) في هامش الأصل، «ص»: «أن المصدرية موصولة، «يسبقونا» صلة».

(٣) في الأصل: يختل.

(٤) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٦) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ص».

(٧) انظر: الكشّاف (٤/٥٣٥)، وأنوار التزيل (٥٢٤).

(٨) أخرجه البخاري عن أبي سعيد بلفظ: «هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة، ضوء ليس فيه سحاب، قالوا: لا، قال: وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر، ضوء ليس فيه سحاب، قالوا: لا، قال النبي ﷺ: «ما تضارّون في رؤية الله عزّ وجلّ يوم القيامة إلاّ كما تضارّون في رؤية أحدهما». صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: إنّ الله لا يظلم مثقال ذرة (٣/٢١٧) ح٤٥٨١، وكتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم (٤/٢٠٤) ح٦٥٧٣، وكتاب التوحيد، باب: وجوه يومئذٍ ناظرة (٤/٣٩٠) ح٧٤٣٤ـ٧٤٣٩.

الحساب والجزاء، مُثّلت تلك الحالة بحال عبد قدِمَ بعد عهد طويل إلى مولاه[1].

﴿ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍۚ ﴾ أي: الموت كائن لا محالة وهو الطريق إلى تلك الحالة كما تقول: من يرجو لقاء الأمير فإنّ الغد أقرب إذا عُلِم أنه يقدم فيه. والمعنى: فليُبادر إلى ما يصدق رجاءه ويحقق أمله[2]. ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لأقوال العباد، ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بأفعالهم، فهو حقيق بالتقوي والخشية، ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ ﴾ نفع مجاهدته مقصور عليها، وإنما الترغيب والحث عليها لكمال رأفته بالعباد. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ تصريح بما علم ضمناً وتوكيد لذلك المفهوم.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ لما بين أن العمل الصالح لا يتعدى نفعه العامل بيّن كيفية

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٥٣٥).

(٢) انظر: التفسير الكبير (٢٥/٣١)، وأنوار التنزيل (٥٢٤).

وقال النحاس: «أهل التفسير على أنّ المعنى: من كان يخاف الموت فليفعل عملاً صالحاً فإنه لا بدّ أن يأتيه». ونقل القرطبي الإجماع على ذلك.

والصواب غير ذلك؛ لوجود المخالف، ومنه: ما روي عن ابن عباس ومقاتل أنّ «أجل الله»: يوم القيامة. انظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/٢٤٩)، والوسيط (٣/٤١٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٣٢٧).

جزاء المجاهدة ترغيباً، وهي تكفير ما مضى من السيئات والمجازاة بأحسن الجزاء بأن يُجازيه في مقابلة أدنى عمله ما يُجازيه على أفضله تفضّلاً منه[1].

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [٨ـ١٣].

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ لما بين ثمرة الإيمان والعمل الصالح أشار إلى بعض ما يُعين الإنسان فيه.

الوصية بالشيء: الأمر به مؤكّداً، من وصيّت الشيء بكذا إذا وصلته به. ويُقال: وصيت الأرض إذا اتّصل نباتها[2]، والمعنى: أمرنا بإيتاء والديه ذا حسن،

---

(١) انظر: أنوار التنزيل (٥٢٥)، ونظم الدرر (١٤/٣٩٣ـ٣٩٥).

(٢) انظر: المفردات (٨٧٣) مادة «وصى»، والكشّاف (٤/٥٣٦ـ٥٣٧).

أو ما هو في ذاته حسن؛ لفرط حسنه. ويجوز نصبه بفعلٍ مفسِّر للوصية، أي: قلنا: افعل بهما حسناً، ويحسن الوقف على بـ«والديه»[1]، وعلى الأوّل يقدّر القول في قوله: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ ﴾ «وإن أمراك بالإشراك وبلغا طاقتهما. ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ ﴾ «إذ لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق»[2]، وإنما نفى العلم والمراد: نفي المعلوم؛ إشارة إلى أنّ ما لا يُعلم لا يجوز اتّباعه فضلاً عما عُلِم بطلانه»[3].

فإن قلت: قد ذكر في سورة لقمان: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ ﴾[4] بعلى، وهنا باللاّم فما وجه اختصاص كلّ بموضعه؟. [قلتُ][5]: الكلام في سورة لقمان معترض في أثناء وصية لقمان فدل على شدّة الاهتمام بعدم الإشراك، و«على» يدلّ على القسر والإلجاء. أي: وإن قسراك عليه فلا تطعهما، وما في الآية إنما أشير به إلى الصارف عن الإيمان الذي سيق له الكلام[6]. ﴿إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا

---

(١) يرى علماء الوقف والابتداء أنّ الوقف يكون حسناً أو كافياً عند لفظ «حُسْنًا»، وقد تبع المصنّف في هذه المسألة الزمخشري.

انظر: المكتفى في الوقف والابتداء (٤٤٢)، والكشاف (٤/٥٣٧)، ومنار الهدى (٢١٤).

(٢) أصل هذا المعنى حديث بلفظ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الله عزّ وجلّ». أخرجه أحمد في المسند عن علي بن أبي طالب (٢/١٠٩٥)، قال المحقق: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

وانظر: مجمع الزوائد (٥/٢٢٦)، وكشف الخفاء (٢/٣٦٦)، وتحفة الأحوذي (٥/١٩٣).

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٥٢٥).

(٤) بعض الآية (١٥).

(٥) ما بين المعكوفتين مطموسة في «ص».

(٦) في «ح»: سبق.

كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ المؤمن منكم والمشرك، وعد ووعيد، والآية نزلت في سعد بن أبي وقّاص(١) وأمّه حمنة بنت أبي سفيان بن أُميّة بن عبد شمس(٢) وكانت مشركة، فلما أسلم سعد قالت: صبأت يا سعد، فحلفت لا تأكل ولا تشرب ولا يظلّها ظلّ(٣) حتى يرجع سعد عن الإسلام، فبقيت على ذلك حتى غُشي عليها فنزلت(٤).

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الكاملين في الصلاح، وهم الأنبياء، [الصلاح: صفة جامعة لسائر الكمالات ولذلك طلبها

---

(١) سعد بن أبي وقّاص بن أُهيب بن عبد مناف الزّهري، صحابي، أحد السابقين إلى الإسلام، شهد بدراً والحديبية، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، قائد معركة القادسية، كان مستجاب الدّعوة، مات سنة ٥٥هـ، وقيل غير ذلك.

انظر: التاريخ الكبير (٤/٤٣)، وسير أعلام النبلاء (١/٩٢).

(٢) حمنة بنت أبي سفيان بن أُميّة بن عبد شمس، أُخت أُم حبيبة أُمّ المؤمنين، كان سعداً بارّاً بها، وكانت تؤذيه وأخاه عامراً، ماتت على الكفر.

انظر: الطبقات الكبرى (٣/١٣٧)، (٤/١٢٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٣٢٨)، وفتح الباري (٧/٨٤).

(٣) في «ق»: ولا يضلّها ضلّ.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الفضائل، فضائل سعد بن أبي وقّاص (١٥٠/١٨٥) والواحدي في أسباب النزول (٣٩٤ـ٣٩٥). والبغوي في: معالم التنزيل (٣/٤٦١). وانظر: الكشّاف (٤/٥٣٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٣٢٨)، وأنوار التنزيل (٥٢٥).

الأنبياء](1)(2)، قال سليمان: ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(3)، [ويوسف: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾](4)(5)، وإبراهيم: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(6) ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ ﴾ هذا إخبار عما يكون في المستقبل؛ لأنّ الآية مكية ولم يكن بها نفاق ولا قتال ولا غنيمة(7)، وإنما أعاد لفظ الجلالة إشارة إلى أنّ الإيذاء في الله حقيق بأن يحتمل. ﴿ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ فكما أنّ(8) عذاب الله صارف المؤمن عن الكفر، فكذلك عذاب الناس صارف المنافق عن الإيمان(9). ﴿ وَلَئِن

(1) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(2) انظر: الكشّاف (٤/٥٣٨)، وأنوار التنزيل (٥٢٥).

(3) بعض الآية (١٩) من سورة النمل.

(4) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(5) بعض الآية (١٠١) من سورة يوسف.

(6) الآية (٨٣) من سورة الشعراء.

(7) وهناك رأيٌ آخر أنّ هذه الآية وما قبلها مدنية. انظر: المحرر الوجيز (١٢/١٩٩-٢٠٥)، وزاد المسير (٦/٢٥٨-٢٥٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٣٣٠)، وأنوار التنزيل (٥٢٥).
ولم يكن بمكة نفاق؛ لأنّ الناس في المرحلة المكية إمّا مؤمن أو كافر، فليس هناك داعٍ للنفاق، ثمّ ظهر النفاق بالمدينة؛ لقوّة ومنعة أهل الإيمان. انظر: مجموع الفتاوى (٧/٢٠١).

(8) في «ح»: كما أنّ.

(9) انظر: الكشّاف (٤/٥٣٩).

جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ ﴾ فتحٌ وغنيمة، ﴿ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ ﴾ في الدّين يتوسّلون بذلك إلى سهم الغنيمة. ﴿ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ تكذيب لهم على أبلغ وجهٍ أي: لو كان في صدورهم إيمان لعلمه[1].

﴿ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾ أي: ليميزنّ بين الفريقين بحيث لا يشتبه بعضهم ببعض، وكذلك وقع كما قال: ﴿ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ﴾[2].

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ ﴾ مقالة صناديد قريش قالوا لمن آمن منهم إن كان بعثٌ على ما يزعم محمد[3] فإنا نحمل عنكم الآثام إن اتّبعتمونا[4]. علّقوا الحمل بالاتباع وآثروا طريقة الأمر؛ مبالغةً في التشجيع، ولذلك بالغ في الردّ عليهم بقوله: ﴿ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ «من» الأولى بيانية والثانية تبعيضية، أي: أدنى جزء منه، وقيل: مزيدة، والتكذيب راجع إلى الوعد بالضّمان؛ لأنّ الإنشاء لا

(١) انظر: الكشّاف (٤/٤٣٩)، وزاد المسير (٦/٢٦٠).

(٢) بعض الآية (٩٤) من سورة التوبة.

(٣) صلى الله عليه وسلم.

(٤) قاله مجاهد. انظر: معالم التنزيل (٣/٤٦٢)، والكشّاف (٤/٥٣٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٣٣١).

يتّصف بالكذب[1]، أو أنـهم كاذبون عند أنفسهم، بمعنى: أنهم يعلمون أنّ ذلك الوعد غير مطابق للواقع[2].

﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ ﴾ أوزارهم التي اقـترفوها، ﴿ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ بسبب الإضلال، فإن الدال على الشرّ كفاعله، من سنّ سـنةً سـيئةً فعليـه وزرهـا ووزر مـن عمـل بهـا إلى يـوم القيامـة[3][4]. ﴿ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ سؤال توبيخ.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ

---

(١) انظر: التبيان (٢/١٠٣٠)، وأنوار التـنزيل (٥٢٥).

والإنشاء عند البلاغـيين: كلّ كلام لا يـحتمل الصّدق والكذب لـذاته؛ لأنه ليس له واقعٌ قبل النطق به.

انظر: التعريفات (٤٠)، ومعجم المصطلحات البلاغية (١٩٥).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٥٤٠).

(٣) في «ق»: القيمة.

(٤) قـول الـمصنّف: «الدال على الشرّ كفاعله» ذكره القرطبي بلفظ: «وقد قيل: الدال على الشرّ كصانعه». الجامع لأحكام القرآن (٦/٤٧). وقوله: «من سنّ سنةً سيئةً ... إلخ» بعض حـديث أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب العلم، باب: من سنّ سنةً حسنةً (١٦/٢٢٦).

تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ ﴾ [١٤-١٨].

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ ذكر بعد مقالة المشركين بعض قصص الأنبياء؛ [تسليةً لرسول الله][1]، وابتدأ[2] بنوح؛ إذ لم يكابد من الأنبياء ما كابده أحد. ولبثه في قومه هذه المدّة كان بعد بعثه؛ فإنه بُعِث على رأس أربعين سنةً، وعاش بعد الطّوفان ستين سنةً[3]. وعن وهب[4]:

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٢) في الأصل: وابتداء.

(٣) قاله ابن عباس. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٩/٣٠٤١) رقم ١٧١٩، والمستدرك، كتاب التاريخ، باب ذكر نوح النبي ﷺ (٢/٥٤٥-٥٤٦) وصححه الحاكم وسكت عنه الذهبي، والنكت والعيون (٤/٢٧٨-٢٧٩)، وزاد المسير (٦/٢٦١)، واختاره ابن كثير وقال: «وقول ابن عباس أقرب». تفسير القرآن العظيم (٦/٢٧٨).

(٤) وهب ابن منبّه اليماني الصنعاني، من خيار علماء التابعين، ولد سنة ٣٤هـ، وروى عن جمعٍ من الصحابة، كان على علمٍ بأخبار الأوّلين، واتّهم بشيء من القول بالقدر، قال الذهبي عنه: «كان ثقةً صادقاً كثير النقل من كتب الإسرائيليات»، مات سنة ١١٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/٥٤٤)، والطبقات الكبرى (٥/٥٤٣)، وتهذيب التهذيب (١١/١٦٦-١٦٨).

أنه عاش ألفاً وأربعمائة سنة[1]، وعن عون بن شدّاد[2]: ألفاً[3] وستمائة وخمسين سنة[4]، وإنما آثر ما في التنزيل على تسعمائة وخمسين؛ لئلا يُتَوَهّم تجوّز[5]، مع أنه أخصر[6] وأعذب، ولكون الألف أشدّ إنباءً عن طول المدّة فهو أوفق[7]. ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ الماء والمطر الغالب بحيث يغشى كلّ شيء، من

(١) انظر: الكشّاف (٤/٥٤٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٣٣٢).

(٢) عون بن شدّاد كذا في النسخ المخطوطة كلّها، والصواب: عون بن أبي شدّاد.

وهو عون بن أبي شدّاد العُقيلي ويُقال العبدي، أبو معمر، روى عن أنس، وعبد الله بن مالك، وأبي عثمان النهدي وغيرهم. وروى عنه عنبس بن ميمون، ونوح بن قيس، وهشام وغيرهم، وثّقه ابن معين وأبو داود، وذكره ابن حبّان في الثقات.

انظر: التاريخ الكبير (٧/١٥)، وتهذيب التهذيب (٨/١٧١).

(٣) أي: عاش ألفاً.

(٤) انظر: جامع البيان (٢٠/١٣٥)، والنكت والعيون (٤/٢٧٩)، وزاد المسير (٦/٢٦٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٣٣٢-٣٣٣).

وقال ابن حيان: «واختلف في مقدار عمره حين كان بعث وحين مات اختلافاً مضطرباً متكاذباً تركنا حكايته». البحر المحيط (٧/١٤٥).

(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ص».

(٦) في «ص»: «مع إذ أحضر».

(٧) قاله الزمخشري. انظر: الكشّاف (٤/٥٤٠)، وانظر: البحر المحيط (٧/١٤٥).

وقال الشهاب: «والنكتة في اختيار السنّة أولاً أنها تطلق على الشدّة والجدب بخلاف العام فناسب اختيار السنة لزمان الدّعوة؛ لما قاساه فيها». حاشية الشهاب على البيضاوي (٧/٩٥).

طاف حول الشيء[1]، قال الخليل: وقد شبّه العجاج[2] ظلام اللّيل بذلك شعره: وعمّ طوفان الظلام الأثأبا[3][4]. ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ بالكفر.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ قيل: كانوا ثمانية وسبعين[5] نفساً نصفهم ذكور ونصفهم إناث[6]. وعن ابن إسحاق: كانوا عشرة، خمسة رجال وخمس نسوة[7].

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤/١٦٤)، والنكت والعيون (٤/٢٧٩)، وزاد المسير (٦/٢٦٣)، والدر المصون (٥/٤٣٣).

(٢) العجاج: عبد الله بن رؤبة بن لبيد السعدي التميمي، أبو الشعثاء، شاعر، راجز، قال الشعر في الجاهلية ثمّ أسلم، وعاش إلى أيام حكم الوليد بن عبد الملك، وكان عفيف اللّسان لا يهجو، مات سنة ٩٠هـ.

انظر: طبقات فحول الشعراء (٢/٥٩١)، وخزانة الأدب (١/٨٩).

(٣) في الأصل: الأثاءبا.

(٤) البيت من بحر الرجز، وتمامه:

حتى إذا ما يومها تصبصبا　　　وعمّ طوفان الظلام الأثأبا.

وتصبصب: ذهب إلاّ قليلاً منه، والأثأب: نوع من الشجر يشبه شجرة التين.

شبّه الشاعر ظلام اللّيل بالماء الذي يغشى الأمكنة.

انظر: ملحق ديوان العجاج (٢/٢٦٨)، والصحاح (٤/١٣٩٧) مادة «طوف»، وتهذيب اللّغة (١٤/٣٣) مادة «طاف»، والكشّاف (٤/٥٤١)، والدر المصون (٥/٤٣٣).

في هامش الأصل، «ص»، «ق»: «الأثأب: شجر الأراك، وقيل: شجر يشبه الأراك، والأكثر همزة مفتوحة آخره باءٌ موحّدة».

(٥) في «ص»: وسبعون.

(٦) انظر: الكشّاف (٤/٥٤١).

(٧) انظر: جامع البيان (١٢/٤٢)، والكشاف (٤/٥٤١).

وقد روي عنه ﷺ أنهم كانوا ثمانية: نوحٌ وأهله وبنوه الثلاثة[1]: سام وحام ويافث مع أهليهم[2]. ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: السفينة، أو الواقعة يُضرب بها المثل[3].

---

(١) في الأصل: الثلاثة.

(٢) ما أورده المصنّف في أصله حديثان:

الأوّل: «أنهم كانوا ثمانية: نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم». أخرجه الطبري موقوفاً عن قتادة، وقال الزيلعي: «غريب»، وقال ابن حجر: «لم أره مرفوعاً».

انظر: جامع البيان (٤٢/١٢)، والكشّاف (٥٤١/٤)، والكافي الشاف (٨٦) ح١٩٠، وتخريج الزيلعي للكشّاف (١٤٦/٢) ح٦١١.

الثاني: «ولد نوح ثلاثة: سام وحام ويافث أبو الروم». أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التاريخ، باب ذكر نوح عليه السلام (٥٤٦/٢)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي وقال: «صحيح».

قال الطبري: «والصواب من القول في ذلك: أن يُقال كما قال الله: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠] يصفهم بأنهم كانوا قليلاً، ولم يحدد عددهم بمقدار ولا خبر عن رسول الله ﷺ صحيح، فلا ينبغي أن يُتجاوز في ذلك حدّ الله؛ إذ لم يكن لمبلغ عدد ذلك حدّ من كتاب الله أو أثر عن رسول الله ﷺ».

سام: أبو الفرس والعبرانيين والعرب وغيرهم، أوسط أولاد نوح عليه السلام، له خمسة أولاد ومنهم تناسل عَقِبُه، كان من الناجين في السفينة. انظر: عرائس المجالس (٤٩)، ونهاية الأرب (٣٥).

حام: أبو السودان والقبط وغيرهما، أصغر أولاد نوح عليه السلام، ولد له أربعة أولاد ثم تكاثروا، نجا مع أبيه من الطوفان. انظر: عرائس المجالس (٤٩)، ونهاية الأرب (٣٥).

يافث: أبو الروم والترك، ركب مع أبيه ونجا من الطوفان، وهو أكبر أولاد نوح عليه السلام، وكان له سبعة أولاد. انظر: المحبر (٣٨٣)، ونهاية الأرب (٣٥).

(٣) انظر: الكشّاف (٥٤١/٤)، وأنوار التنزيل (٥٢٦).

قال ابن كثير: «وجعلنا تلك السفينة باقيةً، إمّا عينها كما قال قتادة: أنها بقيت إلى أوّل الإسلام على جبل الجودي، أو نوعها جعله للناس تذكرة لنعمه على الخلق، كيف نجّاهم من الطوفان». تفسير القرآن العظيم (٢٧٨/٦). ويرى آخرون أنها موجودة إلى اليوم، وقد قام بعضهم بتصوير ما يقولون أنها سفينة نوح عليه السلام على جبل الجودي. والله تعالى أعلم.

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ﴾ عطف على «نوحاً»، أو نصب بإضمار إذكر[1]. ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ﴾ ظرف لأرسلنا على الأوّل، وبدل اشتمال على الثاني[2].

﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ من عبادة الأصنام، ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ الخير والشرّ وتميّزون بينهما، وإيثار «إن» للدلالة على ترجيح عدم[3] العلم.

﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ في تسميتها آلهة، تصرفون به الناس عن سبيل الحقّ[4]. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ﴾ شيئاً مما يُطلق عليه اسم الرّزق، دليل ثانٍ على بطلان ما هم عليه أبلغ من الأوّل؛ لأنّ أقلّ درجات المعبود أن يكون له نفعٌ في الحال[5].

﴿ فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ ﴾ كلّه فإنه القادر، ﴿ وَٱعْبُدُوهُ ﴾ توسّلاً بالعبادة إلى مطالبكم. ﴿ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ﴾ على ما أولاكم، ﴿ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ وعدٌ ووعيد.

﴿ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ ﴾ أي: تكذّبوني، ﴿ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ﴾ أي: كذّبوا الرّسل ولم يضرّهم تكذيبهم بل ضرّوا أنفسهم. ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ الواضح، أو الموضّح المزيح للشّبهة، هذه الآية وما بعدها إلى قوله:

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٤٣/٢٥)، والجامع لأحكام القرآن (٣٣٥/١٣)، والدر المصون (١٤/٩).

(٢) انظر: الكشّاف (٥٤١/٤)، والدر المصون (١٤/٨).

(٣) في «ق»: عدم ترجيح.

(٤) انظر: أنوار التنزيل (٥٢٦).

(٥) انظر: التفسير الكبير (٤٤/٢٥)، وأنوار التنزيل (٥٢٦).

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ إمّا قول إبراهيم[1] لأُمّته، والأمم المكذبّة: قوم شيث[2]، وإدريس، ونوح. أو ابتداء كلامٌ من الله لقريش وسائر العرب، اعترض به في أثناء قصة إبراهيم[3]، وذلك أنّ ذكر هذه القصص إنما هو لتسلية رسول الله فكأنه قال: إن تكذّبوا يا معشر العرب محمداً[4] فقد كذّب إبراهيمَ[5] قومُه، ومُنِيَ بنحو ما مُنِيَ به محمد، وكذا سائر الرّسل قبله وبعده[6].

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [١٩ـ٢٣].

---

(١) في الأصل: إبرهيم، وهي لغة في «إبراهيم».

(٢) شيث بن آدم، ومعناه: هبة الله، ولد بعد قتل هابيل، وهو الذي عهد إليه آدم عليه السلام عند موته، ويُقال: إنّ بني آدم كلّهم يُنسبون إلى شيث، وسائر أولاد آدم انقرضوا وبادوا، وهو نبي أُنزل عليه خمسون صحيفة.

انظر: البداية والنهاية (١/٩٨ـ٩٩)، وفتح الباري (١٢/١٩٣)، وأبجد العلوم (٣/٢١٧).

(٣) في الأصل: إبرهيم.

(٤) في «ح»: محمد.

(٥) في الأصل، «ص»: إبرهيم.

(٦) انظر: الكشّاف (٤/٥٤٣).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ عَلِموه علماً واضحاً كالرؤية بالباصرة، والهمزة و«كيف» مسلوبٌ عنهما معنى الاستفهام(١).

قرأ(٢) حمزة، والكسائي، وأبو بكر بالخطاب، إمّا من إبراهيم(٣)، أو منه تعالى بناءً على ما تقدّم ولا حاجة إلى تقدير القول(٤)، ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ عطفٌ على: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ لا على: ﴿يُبْدِئُ﴾؛ لأنّ الرؤية ليست بواقعةٍ على الإعادة؛ لأنّ الإبداء أيضاً كذلك، والرؤية بمعنى العلم يصحّ تعلقه بهما، بل لأنّ العلم بالإبداء دليل على العلم بالإعادة ومستلزم له فلا يحسن نظمهما في سلك واحد(٥).

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ لا(٦) يحتاج إلاّ إلى تعلّق الإرادة.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: قل يا إبراهيم(٧)، أو قل يا محمد. ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ تأمّلوا في عجائب صنعه في أنواع مخلوقاته يدلّكم ذلك

---

(١) معنى الاستفهام بالهمزة في هذا الموطن هو الإنكار.

انظر: مغني اللّبيب (١/١٧ـ١٨)، وحاشية الشهاب على البيضاوي (٧/٩٦).

(٢) في الأصل، «ق»: وقراء.

(٣) في الأصل: إبرهيم.

(٤) وقرأ الباقون بالياء.

انظر: السبعة (٤٩٨)، والحجة لأبي علي الفارسي (٥/٤٢٦)، والكشف (٢/١٧٧)، والموضح (٢/٩٩١)، والنشر (٢/٣٤٣).

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٥٤٣ـ٥٤٤)، وأنوار التنزيل (٥٢٦)، والكشف على الكشّاف (٣٨٦/ب).

(٦) في «ق»: إذْ لا، وفي «ص»، «ح»: ولا.

(٧) في الأصل: يا إبرهيم.

على سهولة أمر الإعادة عليه، ولما كان دليل الأنفس أقرب من الآفاق آثر في الأوّل الرؤية وفي الثاني النظر، ولذلك قيل: الأوّل حدسي، والثاني فكري[1].

﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ﴾ أي: يخترعهم ثانياً كما ابتدعهم أوّلاً، أصل النشأ[2]: الارتفاع، يُقال: نشأت في بني فلان، فكأن الله بالإيجاد أخرجهم من حضيض العدم إلى أوج الوجود[3].

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو «النشاءَة»[4] بألف بعدها همزة مفتوحة على أنهما لغتان، والثاني اسم لمصدر، والقصر أخفّ[5]. وإنما أبرز اسمه؛ لكونه الاسم الجامع الدّال على الأوصاف المعتبرة في الإبداء من العلم والقدرة والحكمة، فكأنه قال ذلك الموصوف هو الذي ينشيء النشأة الآخرة[6]. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ لاستواء نسبة القدرة إلى الكلّ دليل على المدعى.

(١) انظر: التفسير الكبير (٤٨/٢٥)، والكشف على الكشّاف (٣٨٦/ب).

(٢) في «ص»: النشأة.

(٣) انظر: الصحاح (٧٧/١ـــ٧٨) مادة «نشأ»، وأنوار التنــزيل (٥٢٧).

(٤) في «ح»: النشأة.

(٥) والقصر قراءة الباقين.

انظر: السبعة (٤٩٨)، والتيسير (١٧١)، والموضح (٩٩٢/٢)، والنشر (٣٤٣/٢).

واسم المصدر: ما ساوى المصدر في الدلالة على معناه، وخالفه بخُلُوِّه من بعض حروف فعله من دون تعويض. انظر: أوضح المسالك (٢٦١)، والخليل في النحو العربي (٦٨).

(٦) انظر: أنوار التنــزيل (٥٢٧)، والبحر المحيط (١٤٦/٧).

﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴾ تُردّون فيُجازي كلاً على وفق إرادته[1]. ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾ الله، ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ بالتواري والهبوط في مهاويها، ﴿ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ ﴾ التي هي أفسح وأبسط لو قُدِّر صعودكم إليها[2]، أو التقدير: ولا من إلى السماء فحذف كما قال في قول حسّان:

أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء[3]

﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴾ لا في الأرض ولا في السماء، أي: لا تقدرون أنتم على دفع قضائه ولا لكم مَن تلجأون إليه في ذلك.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ الدّالة على وحدانيّته، ﴿ وَلِقَآئِهِۦٓ ﴾ والبعث وما يعقبه من الجزاء، ﴿ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي ﴾ ييأسون يوم القيامة؛ لأنّ المنكر للبعث لا يوصف باليأس؛ لأنه شأن مَن يوصف بالرجاء، أو المراد: بيان مباينة حالهم حال المؤمنين، فذكر اليأس؛ للمشاكلة، أو استعارة تبعية[4]، شُبِّهوا بمن مات على الكفر، أو بمن آيس فرضاً، إشارةً إلى توغُّلِهم في

---

(١) انظر: زاد المسير (٦/٢٦٥)، وأنوار التنزيل (٥٢٧).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٥٤٤).

(٣) البيت من بحر الوافر، والشاهد فيه: ويمدحه وينصره، والتقدير: ومن يمدحه.
انظر: ديوان حسّان بن ثابت (١٨)، ومعاني القرآن للفراء (٢/٣١٥)، والكشاف (٤/٥٤٤)، والدر المصون (١/٢٠٣) برقم ٧٩٠.

(٤) الاستعارة التبعية خلاف الأصلية وهي: ألاّ يكون التشبيه داخلاً دخولاً أوّلياً فيها، وتقع في الأفعال والصفات والحروف، ويكون المستعار فيها فعلاً أو اسماً مشتقاً. انظر: التبيان في علم المعاني والبديع والبيان (٢٣٦)، والمطول (٣٧١–٣٧٢)، ومعجم المصطلحات البلاغية (٨٩).

الكفر[1]. وإنما التفت إلى التكلّم؛ إشارة إلى[2] قوله: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[3]، ولذلك لم يضف العذاب في قوله: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

قال تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [٢٤-٢٧].

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ ﴾ أي جواب قومه أي: قوم إبراهيم[4]، ﴿ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ ﴾ قابلوا نصحه بأبلغ مكروه وهو القتل والحرق، وآثر صيغة التفعيل الدالة على التكثير والمبالغة. ﴿ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ بأن قال لها: ﴿ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا ﴾[5] فصارت روضةً، وإنما اختصر كيفية الإنجاء؛

---

(١) انظر: أنوار التنزيل (٥٢٧)، والبحر المحيط (١٤٧/٧)

(٢) في «ص»: لا إلى.

(٣) بعض الآية (١٥٦) من سورة الأعراف.

(٤) في الأصل: إبرهيم.

(٥) بعض الآية (٦٩) من سورة الأنبياء.

لأنّ الغرض بيان ما قاساه من أُمّته؛ ليكون تسليةً لرسول الله[1]. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ﴾ هي إخمادها دفعةً، وإنشاء روضة مكانها، وسلب الحرارة عنها، وإحداث البرودة مكانها، ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأنهم بالتأمل فيها يزدادون إيماناً، ويوقنون بأن العاقبة لهم.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قرأ نافع، وابن عامر، [وأبو بكر][2] بتنوين «مودةً» ونصب الكلمتين على أنّ «مودة» مفعول له و«بينكم» ظرفاً، أي: اتخذتموها لتوادّوا وتواصلوا؛ لاجتماعكم على عبادتها كما ترى اليوم أهل كلّ مذهب كذلك، أو مفعولاً ثانياً كما في قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً﴾[3].

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي «مودةٌ» مرفوعاً مضافاً إلى «بينكم» على الاتّساع كقوله: يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدار[4]، على أنّ «ما» موصولة والعائد محذوف و«مودة»: خبر، أو مصدرية، أي: أنّ سبب اتخاذكم أوثاناً إرادة مودة،

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/١٥٤)، وأنوار التنزيل (٥٢٧).

قال ابن كثير: «...، ولهذا وأمثاله جعله الله للناس إماماً، فإنه بذل نفسه للرحمن، وجسده للنيران، وسخا بولده للقربان، وجعل ماله للضيفان، ولهذا اجتمع على محبته جميع أهل الأديان». تفسير القرآن العظيم (٦/٢٨١).

(٢) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق»، «ح».

(٣) بعض الآية (٢) من سورة المنافقون.

(٤) لم أهتدِ إلى قائله.

أو كافّة، و«مودة» خبر مقدّر، أي: انعكافكم عليها مودة، أو مبتدأ[1] و«في الدنيا» خبره، أي: تواصلكم في الدنيا، وعلى هذين الوجهين الجملة صفة «أوثاناً». وقرأ حمزة، وحفص «مودةَ بينكم» منصوباً مضافاً، والمختار نصبه منوناً؛ لظهور المعنى، والاستغناء عن التقدير، والجري على الأصل[2]. ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ «أي: بعض العبدة يلعن بعضاً كقوله تعالى[3]: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[4]، أو العبدة والأصنام؛ لقوله: «ويوم القيامة يكونون عليهم ضدّاً»[5]، ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾.

---

(١) في «ص»: مبتداء.

(٢) انظر: السبعة (٤٩٩)، والحجة لأبي علي الفارسي (٥/٤٢٩ــ٤٣١)، والتيسير (١٧٣)، والموضح (٢/٩٩٣)، التبيان في إعراب القرآن (٢/١٠٣١)، والدرّ المصون (٩/١٧ــ١٩)، والنشر (٢/٣٤٣).

في هامش الأصل: «والجري على الأصل احتراز من المنصوب مضافاً»، وفي «ص»: «عن المضاف محذوف التنوين».

(٣) في «ق»: تعلى

(٤) الآية (٦٧) من سورة الزخرف.

(٥) الآية (٨٢) من سورة مريم وهي: ﴿كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ والمصنف ــ رحمه الله ــ زاد «ويوم القيامة».

فإن قلت: لـمَ لـمْ يذكر هذا قبل جواب قومه؛ ليكون كلامه منتظماً[1] في سلك واحد؟ قلتُ: ما تقدّم كان نصحاً وإرشاداً، وهذا وعيد وتهديد، وما يؤول إليه أمرهم فلم يحسن نظمه معه.

﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴾ هو أوّل من آمن به حين رأى النار لم تؤثّر فيه، وهو ابن أخيه[2].

﴿ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ﴾ إلى حيث أمرني[3]، ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الذي يمنعني من أعدائي، ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ الذي لا يأمر إلاّ بما فيه حكمة، كان بكوثى[4] فسافر إلى حران[5] بديار بكر[6]، ثمّ إلى الشام وفلسطين، ثمّ صعد إلى مصر، وملك مصر هو الذي أعطاه هاجر[7]، ونزل لوط سدوم[8].

---

(١) في «ق»: متضمناً.

(٢) انظر: النكت والعيون (٤/٢٨١)، ومعالم التنزيل (٣/٤٦٥)، والكشّاف (٤/٥٤٦).

(٣) انظر: زاد المسير (٦/٢٦٨).

(٤) كوثى: قرية بسواد العراق، وهي التي ولد فيها إبراهيم عليه السلام، وهي من أرض بابل، وبها طُرِح إبراهيم عليه السلام في النار، فتحها سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه.
انظر: معجم البلدان (٤/٤٨٧)، والروض المعطار (٥٠٣).
في هامش الأصل: «كوثى، قال ابن الأثير: هي سرّة سواد العراق».

(٥) حرّان: مدينة عظيمة، سمّيت بهاران أخي إبراهيم عليه السلام، تقع على طريق الموصل والشام والروم، ويُقال أنها أوّل مدينة بُنِيَت بعد الطوفان، ويوجد بها بقية الصابئة.
انظر: معجم البلدان (٢/٢٣٥)، والروض المعطار (١٩١).

(٦) ديار بكر: أورد المصنّف أنّ حران بديار بكر، والصواب: أنّ حرّان قصبة ديار مضر، وقال البكري عن حران: «كورة من كور ديار مضر».
انظر: معجم البلدان (٢/٢٣٥ـ٢٩٤)، ومعجم ما استعجم (٢/٤٣٥).

(٧) هاجر: أمّ إسماعيل عليه السلام، وهبها لإبراهيم فرعون مصر في ذلك الزمن، انتقل بها إلى مكة في قصّة مشهورة، ثم بنى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام البيت، ماتت هاجر بمكة.
انظر: تاريخ الأمم والملوك (١/١٢٥)، وعرائس المجالس (٦٩ـ٨٥).

(٨) انظر: النكت والعيون (٤/٢٨١)، ومعالم التنزيل (٣/٤٦٥)، والكشّاف (٤/٥٤٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٣٣٩).

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ حين سأل الولد، لذلك لم يذكر إسماعيل، ﴿ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾ جنس الكتاب[1] فيدخل تحته الكتب الأربعة[2].

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ أجر الهجرة من الثناء الحسن[3]، لا ترى أُمّة إلاّ وهم ينتمون إليه[4]، ﴿ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ لمن الجامعين بمحاسن الأفعال والأخلاق.

قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا

---

(١) في «ق»: الكتب.

(٢) وهي التوراة، والزبور، والإنجيل، والقرآن.
انظر: الكشّاف (٤/٥٤٦).

(٣) قاله ابن عباس وقتادة.
انظر: معاني القرآن للنحاس (٥/٢٢٠)، والنكت والعيون (٤/٢٨١).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/١٦٧)، والكشّاف (٤/٥٤٦).

مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [٢٨ـ٣٥].

﴿وَلُوطًا﴾ عطف على إبراهيم[1] إن نصب باذكر، وعلى عطف عليه إن كان معطوفاً على «نوحاً»، ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ الفعلة البالغة في القبح.

قرأ «إنكم» بالإخبار نافع، وابن كثير، وابن عامر، وحفص اكتفاءً بالثاني[2].

﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ استئناف مقرر لزيادة القبح فيها حيث اشمأزت الطباع بأسرها عن ارتكابها في سالف الدهر[3].

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ تتعرضون للسابلة. اتّفق السبعة على الاستفهام هنا للإنكار والتعجب[4]، ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ

(١) في الأصل: إبرهيم.

(٢) وقرأ الباقون بالاستفهام.

انظر: السبعة (٤٩٩)، والتيسير (١٧٣)، والنشر (١/٣٧٣).

(٣) في «ص»: الدبر، وفي «ح»: الدين.

(٤) انظر: التيسير (١٧٣)، والنشر (١/٣٧٣)، وإتحاف فضلاء البشر (٣٤٥).

في هامش الأصل: «والرسم فيه بالياء دون الأولى».

والسابلة: الطريق المسلوك، يُقال: طريق سابلة أي: مسلوكة. والمراد في قول المصنّف: المسافر العابر المارّ عليها.

انظر: العين (٤٠٨) مادة «سبل»، والمعجم الوسيط (١/٤١٥) مادة «سبل».

﴿ٱلْمُنكَرَ﴾ من اللّواط، والتضرّط، والخذف[1]، ورمي البندق، وفرقعة الأصابع، وحلّ الإزار[2]، ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في دعوى[3] النبوة، أو نزول العذاب.

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بإنزال العذاب، وصفهم بالإفساد توسّلاً بذلك على استعجال نزول العذاب.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ بالبشارة بالولد والنافلة، أو بإهلاك قوم لوط[4]، ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ إشارةً إلى قرية سدوم، وفي المثل: أجور من قاضي سدوم[5]، ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ مصرين على الظلم في الزمن الماضي.

---

(١) في هامش الأصل: «والخذف بالخاء المعجمة: رمي الحجر بين الأصبعين».

(٢) قاله ابن عباس.

انظر: الكشّاف (٤/٥٤٦)، وزاد المسير (٦/٢٦٩).

والبندق: ما يرمى به، الواحدة منه «بندقة»، والجمع «بنادق»، وهو في الأصل: نبات يُزرع لثمره أو للزينة.

انظر: الصحاح (٤/١٤٥٢) مادة «بندق»، والمعجم الوسيط (١/٧١).

(٣) في «ق»: دعوة.

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٥٤٧)، وأنوار التنزيل (٥٢٨).

(٥) أورد المصنّف هذا المثل عند تفسير الآية (٤٠) من سورة الفرقان.

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ بيان للمانع وسؤال عن كيفية الهلاك مع وجوده بين أظهرهم وهو بريء عما كانوا يفعلون(١). ﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ تسلية له على أبلغ وجه بأنهم أعلم بعدم استحقاقه للعذاب. ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الباقين في العذاب؛ لكونها كافرةً مثلهم. وقرأ حمزة، والكسائي «ننجينه» مخففاً من الإنجاء، والتشديد(٢) أبلغ(٣). ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾ «أن» صلةٌ تفيد اتّصال الفعلين كأنه قال: لما جاءت الرّسل فأصابه المساءة من غير رَيْثٍ؛ خوفاً عليهم من قومه.

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ كنايةٌ عن فقد القدرة على تدبيرهم، وذلك: أنّ طويل الذرع(٤) ينال ما لا يناله قصير الذراع(٥)، فضرب لذلك في العجز والقدرة. وقيل: في عكسه: رحب الذراع(٦). ﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾ لما رأوا فيه أثر

(١) انظر: أنوار التنزيل (٥٢٨)، والبحر المحيط (٧/ ١٥٠).

(٢) في «ص»: الشديد.

(٣) وقرأ الباقون بالتشديد.

انظر: علل القراءات (٢/ ٥١٣)، والحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ٤٣٢)، والتيسير (١٧٣)، والموضح (٢/ ٩٩٣ـ ٩٩٤).

(٤) في النسخ كلها: الذرع. وهو جائز في اللّغة، ولفظ الذراع مناسب للسياق.

(٥) في «ح»، «ص»، «ق»: الذرع.

(٦) انظر: الصحاح (٣/ ١٢٠٩ـ ١٢١١) مادة «ذرع»، والكشّاف (٤/ ٥٤٨)، وأنوار التنزيل (٥٢٨)، ولسان العرب (٣/ ١٤٩٧) مادة «ذرع».

الضجرة. ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ كانت في علم الله تعالى[1] في عدادهم.

وقرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر «منجوك» مخففاً، والتشديد أبلغ[2]، ونصب «أهلك» بالعطف على محلّ كاف «منجوك».

﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الرّجز والرّجس: القلق والاضطراب أُطلقا على العذاب؛ لاضطراب المعذّب[3].

وقرأ ابن عامر «منزّلون» مشدداً[4]، ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ على الاستمرار أبلغ من قولهم: ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فإن آثارهم باقية، ماء أسود نطق القرآن بسوء حالهم وتواترت بها الأخبار[5].

---

(١) في «ق»: تعلى.

(٢) وقرأ الباقون بالتشديد. انظر: علل القراءات (٢/٥١٣)، والتيسير (١٧٣)، والموضح (٢/٩٩٣ — ٩٩٤)، والنشر (٢/٢٥٨).

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٥٤٨).

(٤) وقرأ الباقون بالتخفيف.

انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٥/٤٣٣)، والتيسير (٩٠)، والموضح (٢/٩٩٤).

(٥) قال ابن عباس: «آثار منازلهم الخربة».

وقال مجاهد: «الماء الأسود على وجه الأرض».

وقال قتادة: «هي الحجارة التي أبقيت».

قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [٣٦ـ٤٠].

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ﴾ ما ترجون به ثوابه، فأقيم المسبب مقام السبب، وهو على أصله، والرجاء بمعنى الخوف[1].

﴿ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾.

واختار القرطبي العموم بقوله: «وكلّ ذلك باقٍ فلا تعارض».

انظر: الكشّاف (٤/٥٤٨)، وزاد المسير (٦/٢٧٠ـ٢٧١)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٣٤٣).

(١) انظر: الكشّاف (٤/٥٤٨)، وأنوار التنزيل (٥٢٩).

والرجاء: ظنّ يقتضي حصول ما فيه مسرّة، ويجيء الرجاء بمعنى الخوف على اللّغة التهامية، وتكون العلاقة بينهما التلازم. انظر: المفردات (٣٤٦) مادة «رجا».

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾ الزلزلة الشديدة، أو صيحة جبرئيل[1][2]؛ لأنّ القلوب ترجف منها، ﴿ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ ﴾ في أرضهم، أو في ديارهم، اكتفى بالواحد[3]، ﴿ جَٰثِمِينَ ﴾ باركين على الرّكب ميّتين[4]. ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ ﴾ منصوبان بإضمار أهلكنا لأنّ قوله: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾ يدلّ عليه. وقرأ حمزة، وحفص «ثمود» غير منصرف بتأويل القبيلة[5]. ﴿ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ﴾ منازلهم وخرابها، فإن أهل مكّة كانوا يمرون عليها في أسفارهم[6]. ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ من الكفر والمعاصي، ﴿ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ عن طريق الحقّ، ﴿ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ ذوي بصائر عالمين بحقّية الدين، ولكن لجّوا حتى هلكوا، أو كانوا متمكنين من الاستبصار ولكن[7] تغافلوا[8]. ﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ

---

(١) في «ح»: جبرائيل.

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٥٤٨)، والتفسير الكبير (٢٥/٦٦).

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٥٤٨)، وأنوار التنزيل (٥٢٩).

(٤) انظر: أنوار التنزيل (٥٢٩).

(٥) وقرأ الباقون «وثموداً» بالتنوين.
انظر: السبعة (٣٣٧)، والتيسير (١٢٥)، والموضح (٢/٩٩٤)، والنشر (٢/٢٨٩).

(٦) انظر: الكشّاف (٤/٥٤٩).

(٧) في «ق»: ولاكن.

(٨) انظر: أنوار التنزيل (٥٢٩).

﴿وَهَٰمَٰنَ﴾ عطف على «عاداً»، وتقديم قارون؛ لشرف نسبه[1]، وتأخيره في سورة غافر؛ نظراً إلى الوجود[2]. ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ﴾ فائتين أمر الله فيهم بل أدركهم لا محالة[3].

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ ريحاً فيه الحصباء، أو ملكاً يرميهم بها، الضمير لقوم لوط[4]. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ كمدين وثمود، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ كقارون، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ كقوم نوح وفرعون وجيشه، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ ليفاجئهم[5] بالعذاب ويعاملهم معاملة الظالمين، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بأن عرّضوها للعذاب.

قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟

(١) انظر: أنوار التنزيل (٥٢٩).

(٢) الآية (٢٤) قال تعالى: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾.

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٥٢٩).

(٤) انظر: التفسير الكبير (٦٧/٢٥)، وأنوار التنزيل (٥٢٩).

الحصباء: صغار الحصى أو كبارها، وقد يُراد بها صغار الحصى فقط.

انظر: العين (١٩٣) مادة «حصب»، والمعجم الوسيط (١٧٨/١) مادة «حصب».

(٥) في «ق»: ليعاجلهم.

يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [٤١-٤٥].

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ ﴾ شبّه ما اتخذوا معْتَمَداً ومتكَلاً في دينهم بما هو مثلٌ عند الناس في الوهن، والغرض من التشبيه: تقرير أمر وهن دينهم وأنه بلغ الغاية التي لا غاية بعدها، وهذا كتشبيه مَن لا يحصل مِن سعيه على طائل بالرّاقم على الماء[1] من تشبيه المركب بالمركب[2]. ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ ﴾ تذييل يقرر الغرض، ﴿ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ جهلهم أوّلاً في الاتخاذ، ثمّ زادهم تجهيلاً بأنهم لا يعلمون هذا الجهل البيّن.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ ﴾ «ما» نافية و«من» زائدة، أو استفهامية و«من» بيان، والعلم معلّق توكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم

(١) الراقم على الماء: مَن بلغ به الحذق أن يرقم حيث لا يثبت الرّقم، ويُقال ذلك للحاذق من الصّنّاع وأصحاب الحِرَف. انظر: الصحاح (١٩٣٥/٥) مادة «رقم»، وأساس البلاغة (١٧٤) مادة «رقم»، ولسان العرب (١٧٠٩/٣) مادة «رقم».

(٢) انظر: أسرار البلاغة (١٧١)، والكشّاف (٥٤٩/٤)، والتفسير الكبير (٦٧/٢٥-٦٨)، وأنوار التنزيل (٥٣٠).

يجعل ما يدعونه شيئاً[1]، ويجوز أن تكون مصدرية، أو موصولة والعائد محذوف[2]. وقرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بتاء الخطاب على إضمار القول، والغيبة أحسن؛ لجريه على سنن السابق وعدم التقدير[3]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب على كلّ شيء، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي لا يعمل شيئاً إلاّ وفيه حِكَم، وفي الوصفين رمز إلى غباوتهم حيث تركوا عبادة الموصوف بهما وعبدوا مَن لا يُطلق عليه اسم الشيء[4].

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ أي: هذا المثل ونظائره؛ كشفاً للحجب عن وجوه محاسن الفرائد وتقريباً للمعاني الدقيقة إلى الأفهام، ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ تعريض بالمشركين الطاعنين في القرآن؛ لاشتماله على ضرب المثل بالذباب والعنكبوت[5].

---

(١) في الأصل: شيء.

(٢) انظر: التبيان في إعراب القرآن (٢/١٠٣٣)، وأنوار التنزيل (٥٣٠)، والدر المصون (٩/٢٢ـ٢٣).

(٣) وقرأ أبو عمرو، وعاصم بالياء.

انظر: السبعة (٥٠١)، والكشف (٢/١٧٩)، والموضح (٢/٩٩٥)، والنشر (٢/٣٤٣).

(٤) انظر: أنوار التنزيل (٥٣٠).

(٥) انظر: الكشّاف (٤/٥٥٠).

العنكبوت: دويبة صغيرة تنسج نسجاً رقيقاً بين الهواء وعلى الأشجار ورؤوس الآبار، وبيتها أضعف بيت لا يغني عنها شيئاً.

انظر: العين (٦٩٠) مادة «عنكب»، والمعجم الوسيط (٢/٦٣٢) مادة «عنكب».

عن[1] رسول الله أنه تلاها وقال: «العالم مَن عقل عن الله وعمل بطاعته واجتنب سخطه»[2].

﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾ خلقاً ملتبساً به، والمعنى: خلقها لتكون مساكن عباده ودلائل قدرته وعظم شأنه وذلك قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ المتأملين فيها. ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ تقرُّباً إلى الله تعالى[3]، فإنه من أفضل الأعمال، وعنه ﷺ[4] يرويه عن ربه: «مَن شغله لسانه تلاوة القرآن عن دعائي ومسألتي[5] أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»[6].

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ إذ اشتغاله بها والمحافظة على شرائطها ومراقبة أوقاتها يمنعه عن الاشتغال بغيرها، أو لأنّ

---

(١) في «ح»، «ق»: وعن.

(٢) الحديث موضوع.

أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان في تفسير القرآن (٨/١٥٩/ب)، والواحدي في الوسيط (٣/٤٢٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٣/٤٦٨)، وفي سند الحديث داود بن المحبر الطائي، قال عنه ابن حجر: «متروك، وأكثر كتاب العقل الذي صنفه موضوعات».

وقال المناوي: «وكتاب العقل لداود وكلّه موضوعات».

تقريب التهذيب (١/٢٣٤)، والكافي الشافِ (١٢٧) ح١٤٩، والفتح السماوي (٢/٨٩٦).

(٣) في «ق»: تعلى.

(٤) في الأصل: صلعم.

(٥) في الأصل: مسئلتي.

(٦) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن (٦٥٧) ح٢٩٢٦ بنحوه وقال: «هذا حديث حسن غريب». قال ابن حجر: «ورجاله ثقات إلاّ عطية العوفي ففيه ضعف» فتح الباري (٩/٦٦).

الصلاة[1] معراج العبد فإذا واظب عليها وذاق حلاوة المناجاة ينسي سائر اللّذات، فلا يكون له همٌّ سواها، ولكن[2] شرط ذلك أن يقبل عليها بقلبه ويطرح ما سوى الله وراء ظهره.

روي أنّ فتىً من الأنصار كان مسرفاً على نفسه لا يدع شيئاً من المنكر إلاّ ارتكبه، فوُصِفَ لرسول الله، فقال: كيف صلاته[3]، فقالوا: هو يصلي الصلوات مع رسول الله، فقال: إن صلاته[4] ستنهاه، ثمّ تاب عن قريب[5]. ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: الصلاة أكبر الطاعات، وعبّر عنها بالذكر؛ إشارةً إلى ما هو العمدة فيها بل في سائر العبادة، وهو ملاحظة كبرياء المذكور. أو لذكر الله أكبر من الصلاة[6]؛ لقوله: «أفضل ما قلت أنا والنبيون قبلي لا إله إلاّ الله»[7]، ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه.

---

(١) في الأصل: الصلوة.

(٢) في «ق»: ولاكن.

(٣) في الأصل: صلوة.

(٤) في الأصل: صلوته.

(٥) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث وآثار الكشّاف (٣/٤٦) وقال: غريب.
وقال ابن حجر: «لم أجده». الكافي الشاف (١٢٨) ح١٥٢، والبغوي بلفظ:«روي»، والقرطبي بلا سند. انظر: معالم التنزيل (٣/٤٦٩)، والكشّاف (٤/٥٥٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٣٤٧)، وأنوار التنزيل (٥٣٠)، والفتح السماوي (٢/٨٩٧) ح٧٧٨.

(٦) في الأصل: الصلوة.

(٧) أخرجه مالك في الموطأ (١/٢٩١) ح٩٥٥، قال ابن عبد البر: «لا خلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث كما رأيت، ولا أحفظه مسنداً من وجه يحتجّ بمثله»، ثمّ أورد روايات أخرى وأضاف: «ومرسل مالك أثبت من تلك المسانيد». التمهيد (٦/٣٨ــ٤١).

﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ لا يخفى عليه [منه][1] شيء، وفي إيثار الصنع على العمل حثٌّ على الطاعة بالقلب والجوارح؛ لإنبائه عن زيادة تعمّل وتكلّف.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [٤٦-٥٢].

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ لـمّا بلغ الغاية القصوى في بيان طريق إرشاد المشركين شرع في بيان مجادلة أهل الكتاب والمناظرة معهم.

وأخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب في دعاء يوم عرفة (٨١٧) ح٣٥٨٥ بلفظ: «خير ما قلت ... إلخ»، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح»، «ص».

والجدال بالأحسن هو مقابلة الخشونة باللّين، والغضب بالكظم، والسَّوْرة بالأناة[1].

وقيل: منسوخ بآية السيف، وليس كذلك؛ لأنه مشروط بعدم نفع الجدال بالأحسن[2].

وقيل: المراد ذوو العهد[3][4]، وقيل: الدّاخلين في الذّمة، ولا يصحّ إلاّ بالتأويل؛ لأنّ السورة مكية[5]. ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ أفرطوا بنسبة الولد إليه تعالى، ووصفه بالبخل كقولهم: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾[6]، ﴿ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ من جنس المجادلة بالتي هي أحسن. روى البخاري

---

(١) انظر: الكشّاف (٥٥٣/٤)، وأنوار التنزيل (٥٣٠).

(٢) قال بالنسخ قتادة والكلبي. وقال ابن زيد: أنها غير منسوخة، واختار الطبري القول بعدم النسخ وقال: «وكذلك لا معنى لقول مَن قال: نزلت هذه الآية قبل الأمر بالقتال وزعم أنها منسوخة؛ لأنه لا خبر بذلك يقطع العذر، ولا دلالة على صحته من فطرة عقل، وقد بيّنا أنه لا يجوز أن يحكم على حكم الله في كتابه بأنه منسوخ إلاّ بحجةٍ يجب التسليم لها من خبرٍ أو عقل».

انظر: تفسير القرآن لعبد الرزّاق (٩٨/٢)، وجامع البيان (٣/٢١)، والنكت والعيون (٢٨٦/٤)، والكشّاف (٥٥٣/٤)، وزاد المسير (٢٧٦/٦). وآية السيف هي آية (٢٩) من سورة التوبة.

(٣) في «ص»: ذو العهد، وفي «ح»: المراد والعهد.

(٤) انظر: أنوار التنزيل (٥٣٠).

(٥) انظر: الكشّاف (٥٥٣/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٣٥٠/١٣).

(٦) بعض الآية (٦٤) من سورة المائدة.

عن أبي هريرة أنّ رسول الله قال: «لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله»(١).

﴿ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ منقادون، لا لغيره(٢)، تعريضٌ بأهل الكتاب. ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي: ومثل الإنزال أنزلنا إليك الكتاب، مصدّقاً لما بين يديه من الكتب(٣). ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ وهم عبد الله بن سلام وأضرابه(٤)، ﴿ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ العرب، ﴿ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ﴾ وهم الصحابة، وقيل: «الذين آتيناهم الكتاب»: هم المتقدّمون على البعثه، «ومن هؤلاء»: هم أهل الكتاب الذين في عهد رسول الله(٥). ﴿ وَمَا

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب «قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا» (١٩٣/٣) ح٤٤٨٥ بنحوه، واللّفظ الذي أورده المصنّف لأبي داود في سننه، كتاب العلم، باب رواية حديث أهل الكتاب (٣١٧/٣) ح٣٦٤٤.

(٢) قول المصنّف «منقادون». يُقدّر «له»، أي: منقادون له لا لغيره، وهي مأخوذة من انقاد على وزن «انفعل». انظر: الصحاح (٥٢٨/٢) مادة «قود»، والمعجم الوسيط (٧٦٥/٢) مادة «قود»، والخلاصة الصرفية (٣٧٦).

(٣) انظر: الكشّاف (٥٥٤/٤).

(٤) انظر: الكشّاف (٥٥٤/٤).

والأضراب: جمع ضريب وضروب، وهي الشبيه والنظير.

انظر: المعجم الوسيط (٥٣٧/١) مادة «ضرب»

(٥) انظر: الكشّاف (٥٥٤/٤)، وأنوار التنزيل (٥٣١).

يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ المتوغّلون في الكفر؛ لأنها من الظهور في أقصى الدّرجات[1].

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ هذا أمر مسلّمٌ عندهم، ﴿ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ وقالوا إنه تعلمه من غيره، وكان إذْ ذاك للارتياب في الجملة وجه إن أُريد بالمبطلين مشركو مكّة، وإن أُريد بهم أهل الكتاب كان لهم أن يقولوا لست بالموعود إذْ شرطه أن يكون أُمّيّاً[2]. فإن قلتَ: على ذلك التقدير ليسوا بمبطلين؛ لأنه نَعَتَهُ في الكتابين أنه أُمّي، فكيف سمّاهم مبطلين؟.

[قلت][3]: لأنّ مدار النبوة على المعجزة، وكونه أُمّيّاً لا يخطّ ليس مما يتوقّف عليه أمره، فكأنه قال: هؤلاء[4] المبطلون في كفرهم لو لم يكن أُمّيّاً لارتابوا أشدّ الرّيب؛ لارتيابهم مع كونه أُميّاً[5]. ﴿ بَلْ هُوَ ﴾ أي: القرآن، ﴿ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ﴾ يحفظونه عن التحريف والتبديل بخلاف

(١) انظر: أنوار التنزيل (٥٣١).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٥٥٤)، وأنوار التنزيل (٥٣١).

(٣) ما بين المعكوفتين مطموسة من «ص».

(٤) في «ص»: ما هؤلاء.

(٥) قاله الزمخشري. انظر: الكشّاف (٤/٥٥٤).

سائر الكتب[1]، ﴿ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ لأنّ التكذيب بعد إزاحة الشّبهة في غير موضعه.

﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ ﴾ كمائدة عيسى[2]؛ عناداً منهم بعد ما ألزموا، ﴿ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ لو شاء أنزلها. قرأ نافع، وأبو عمر، وحفص «آيات من ربه» لموافقة الثاني[3]. ﴿ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾ مقصور على الإنذار ليس لي قدرة على إنزال ما يقترحونه. ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ شيئاً فشيئاً يتأملون معانيه وسلامة ألفاظه. وجعل الضمير لليهود بعيد؛ لكون السورة مكية، والاستفهام للتقرير[4]، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ الكتاب الموصوف، ﴿ لَرَحۡمَةٗ ﴾ لنعمة عظيمة، ﴿ وَذِكۡرَىٰ ﴾ وموعظة، ﴿ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ لقوم قصدهم الإيمان لا التّعنّت.

﴿ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ ﴾ يصدقني بالمعجزة الدّالة على نبوتي، أو كفى شهيداً بأني قد بلّغت ما أُرسلت به وأديت الأمانة[5]. ﴿ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ برهانٌ على كونه كافياً، ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(١) انظر: أنوار التنزيل (٥٣١).

(٢) عليه الصلاة والسلام، وورد ذكر المائدة في الآيات (١١٢ـ١١٥) من سورة المائدة.

(٣) وقرأ الباقون بالإفراد.

انظر: السبعة (٥٠١)، والتيسير (١٧٤)، والموضح (٢/٩٩٥)، والنشر (٢/٣٤٣).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (١٢/٢٣٢ـ٢٣٣)، والكشّاف (٤/٥٥٦)، والبحر المحيط (٧/١٥٦).

(٥) انظر: التفسير الكبير (٢٥/٧٩)، وأنوار التنزيل (٥٣١).

﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ وهي الأوثان[1]، ﴿وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ في صفقتهم استعارة تبعية[2].

قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [٥٣-٦٠].

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ يقولون متى هذا الوعد، ﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ مدّة مؤقته لعذابهم، ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ إذ لا مانع سواه، ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً﴾ فجأة كوقعة بدر[3]، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بإتيانه. ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ذكر استعجالهم وساقه مساق التعجيب، وآثر الظاهر موضع المضمر؛ للدلالة على موجب الإحاطة،

---

(١) قاله ابن شجرة.

انظر: النكت والعيون (٤/٢٨٩).

(٢) انظر: الكشف على الكشّاف (٣٨٧/ب).

(٣) انظر: النكت والعيون (٤/٢٩٠)، والكشّاف (٤/٥٥٧)، والمحرر الوجيز (١٢/٢٣٤).

والمراد إحاطتها بهم يوم القيامة[1]، أو الآن؛ لتكامل أسبابها من الكفر والمعاصي[2]. ﴿ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ ظرفٌ «لمحيطة» على الأوّل ومنصوب بمضمر على الثاني أي: كان كيت[3] وكيت[4]، ﴿مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ أي: من جميع الجوانب، ﴿وَيَقُولُ ﴾ الله، أو بعض ملائكته[5] الموكّل بعذابهم.

وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو بنون العظمة إسناداً مجازياً، إذ لا يكلمهم الله يوم القيامة[6][7]، ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: جزاءه.

﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ كان المؤمنون بمكّة لا يقدرون على إظهار دينهم والقيام به على الوجه الأكمل، ناداهم الله وأضافهم إلى ذاته؛ تشريفاً لهم، وبين لهم أنّ الإقامة بين أعداء الله المانعين من عبادته لا وجه له مع اتّساع بلاد الله[8]. الفاء في «فإياي» فاء التسبب عن قوله «إن أرضي واسعة»

---

(١) في الأصل، «ق»: القيمة.

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٥٥٧)، وأنوار التنزيل (٥٣٢).

(٣) في «ق»: كيث.

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٥٥٧)، وأنوار التنزيل (٥٣٢).

(٥) في «ص»: ملئكته.

(٦) في الأصل، «ص»، «ق»: القيمة.

(٧) وقرأ الباقون بالياء.
انظر: السبعة (٥٠١)، والحجة لأبي علي الفارسي (٥/٤٣٦)، والموضح (٢/٩٩٦)، والنشر (٢/٣٤٣).

(٨) قاله مقاتل والكلبي.

كما يقول: زيد أخوك فأكرمه، وفي «فاعبدون» فاء الجزاء[1]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ يتجرع مرارتها، فعلى العاقل المبادرة إلى العمل قبل فوات الفرصة، ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ للجزاء، «ثم» للتراخي رتبة، فإن أول الجزاء يعقب الموت. وقرأ أبو بكر «يرجعون» بياء الغيبة[2].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ لننزلنهم، ﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ علالي[3]. وقرأ حمزة، والكسائي «لنثوينهم» من الثواء، وهو الإقامة[4]، وعلى هذا نصب «غرفاً» على تضمين معنى الإنزال، أو بتقدير «في» ويحمل المكان المعين على المبهم[5].

انظر: معالم التنزيل (٣/٤٧٢)، والتفسير الكبير (٢٥/٨٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٣٥٧).

(١) انظر: التفسير الكبير (٢٥/٨٤)، وأنوار التنزيل (٥٣٢).
فاء التسبيب تفيد أنّ ما قبلها سبب لما بعدها، أو أنّ ما بعدها مسبب عما قبلها.
وفاء الجزاء: الفاء الرابطة لجواب الشرط إذا كان الجواب جملة فعلية أو اسمية.
انظر: الجنى الداني (٦٦، ٧٣)، ومغني اللّبيب (١/١٦٧)، والخليل في النحو (٣٠٠ـ٣٠١).

(٢) وقرأ الباقون بالتاء «ترجعون».
انظر: السبعة (٥٠٢)، والتيسير (١٧٤)، والموضح (٢/٩٩٨).

(٣) علالي: جمع علّيّة: بضمّ العين وكسرها، وهي الغرفة في الطبقة الثانية من الدار وما فوقها.
انظر: العين (٦٧٨) مادة «علا»، والمعجم الوسيط (٢/٦٢٥) مادة «علا».

(٤) وقرأ الباقون بالباء والهمز «لنبوئنهم».
انظر: السبعة (٥٠٢)، والتيسير (١٧٤)، والموضح (٢/٩٩٨).

(٥) انظر: أنوار التنزيل (٥٣٢)، والدر المصون (٨/٢٥).
والمبهم: اسم مفعول من الإبهام، وهو في اللّغة: الخفاء.
واصطلاحاً: كلّ لفظٍ ورد في القرآن من نبي أو وليّ أو بلد أو شجر أو حيوان أو مكان لم يُعْرَف باسمه العلم.

﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ المخصوص محذوف دلّ عليه ما قبله، ﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ على مفارقة الأوطان وأذى المشركين، ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ في جميع الأمور.

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ﴾ لضعف بنيتها[1]، أو لا تدّخره[2]؛ توكّلاً على الله[3]. ﴿ اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ بأن أقدركم على الكسب، تشجيع لهم على هجرة الأحباب ومفارقة الأوطان وأن لا يهمهم أمر المعيشة، ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ ﴾ لقولكم حين قلتم: كيف نقدم بلداً ليس لنا فيه أسباب المعيشة[4]، ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بضمائركم.

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٦١) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٢) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٦٣) وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤) ﴾ [٦١-٦٤].

انظر: تهذيب اللُّغة (٦/٣٣٧)، والتعريف والإعلام (٥٠)، ومبهمات القرآن (١/٣٥).

(١) في «ص»: بنيها.

(٢) في «ح»: يدّخره.

(٣) قال ابن عباس: «الدواب هو كلّ ما دبّ من الحيوان، وكلّه لا يحمل رزقه ولا يدّخر إلاّ ابن آدم والنمل والفار». النكت والعيون (٤/٢٩٣).

(٤) قاله ابن عباس.
انظر: النكت والعيون (٤/٢٩٣)، وزاد المسير (٦/٢٨٢).

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾ «الضمير لأهل مكّة، وإيراده لتوكيد ما تقدّم كأنه قال: إن الذي أوْجَد إبتداء أحرى بأن يكون قادراً على الإبقاء، فكما أوجد بلا مادة هذه الأجرام يقدر على تيسير الرّزق على هؤلاء الضعاف من غير أسباب، ﴿ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ «لِما تقرر في العقول بحيث لا يقدر أحد على إنكاره، ﴿ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ «كيف يُصرفون عن التوحيد بعد هذا الإقرار، تعجيب من حالهم»[1].

﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ﴾ فكَمْ مِن ساعٍ لا يقدر على قوت يومه، وكم مِن فارغٍ تأتيه الأرزاق من كلّ أوبٍ[2]، ويجوز أن يكون الموسع عليه والمضيق واحد، والبسط والقبض على التعاقب[3]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ يعلم مَن يصلح له البسط والقبض، أو وقت كلٍّ منهما.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ اعترافاً منهم بأنه الموجد للكائنات، ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ أي: إذا كان الكلّ منه فالحمد مختصّ به لا يُشاركه فيه أحد، وفيه ردٌّ على المشركين وتسفيه لهم؛ لأنهم يُقِرّون بالمقدّمات وينكصون عن النتيجة، وامتنان عليه ﷺ حيث

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٨٩/٢٥)، وأنوار التنزيل (٥٣٣).

(٢) أوب: من وجه وناحية.

انظر: العين (٤٦) مادة «أوب».

(٣) انظر: الكشّاف (٥٥٩/٤)، وأنوار التنزيل (٥٣٣)، والبحر المحيط (١٥٨/٧).

عُصِمَ عن مثل تلك الضلالة ووُفِّقَ لإظهار الحجة[1]. ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ فلذلك يُناقِضون، إضرابٌ عن جهلهم الخاصّ إلى ما هو أبلغ وهو أنهم سُلِبوا العقول[2].

وقوله: «قل الحمد» اعتراض، تقريراً لاستحقاقه العبادة، وإلزاماً لهم، أو لا يعقلون لماذا يحمد عند مقالتهم الحمقاء، فهو من تتمة «قل الحمد»، ومعنى الإضراب: أنهم إذا لم يفطنوا[3] لتلك المناقضة الظاهرة فبالأولى أن لا يفطنوا[4] لمكان حمدك.

﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾ ازدراء بهذه الدنيا الدنيّة التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة[5]، فهي كالشيء الذي يتَلهّى به الصبي ويلعب ثمّ

---

(١) انظر: أنوار التنزيل (٥٣٣).

(٢) في «ص»: مسلوبوا، وفي «ح»: مسلوب.

(٣) في «ص»: يقنطوا.

(٤) في «ص»: يقنطوا، وفي «ح»: أن يقطنوا.

(٥) عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها قطرة ماء».

أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا (٢/٢٣٧٧) ح٤١١٠، والحاكم في المستدرك، كتاب الرّقاق (٤/٣٠٦)، وقال: «صحيح الإسناد و لم يخرجاه»، وقال الذهبي: «زكريا بن منظور ضعّفوه».

يتركه بعد لحظة[1]. ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ أي: الحياة[2] الدائمة، وكما بالغ في تحقير الدنيا بالغ في تعظيم الآخرة بتأكيد الجملة أنواع التأكيدات: تصديرها بأن، وإدخال اللام، وإيثار المصدر على أنها نفس الحياة[3]، ثمّ إيثار الحيوان على الحياة[4]؛ لما في بناء «فعلان» من معنى الحركة والاضطراب اللازمين للحياة[5][6][7]، ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ لو كانوا من أولي العلم لما استبدلوا بالشريف الخسيس، وبالباقي الفاني.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٥٦٠).

(٢) في الأصل، «ح»، «ص»: الحيوة.

(٣) في الأصل، «ح»، «ص»: الحيوة.

(٤) في الأصل، «ح»، «ص»: الحيوة.

(٥) في الأصل، «ح»، «ص»: الحيوة.

(٦) انظر: الكشّاف (٤/٥٦٠)، وأنوار التنزيل (٥٣٣).

في هامش الأصل، «ص»: «قال بعض المشايخ: الحكم على الدار الآخرة بالحيوان يدلّ على أنّ كلّ ما في الجنة من أنواع المآكل والمشارب فيه حياة، وهو الظاهر من الآية والأحاديث».

(٧) يرى أبو عبيدة أنّ الحيوان والحياة واحد.

انظر: مجاز القرآن (٢/١١٧)، وفتح الباري (٨/٥١٠).

يَكۡفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [٦٥-٦٩].

﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ ﴾ نوعٌ آخر من جهالاتهم متصلٌ بما قبله مما دلّ عليه حالهم، ﴿ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ لعلمهم بأنّ لا قدرة لغيره[١]، ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ ﴾ نجاهم من الغرق واصلين إلى البرّ، ﴿ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴾ فاجاؤا الشرك من غير تلبّث[٢][٣]. ﴿ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ ﴾ من النعمة وهي النجاة من الغرق، وكان الواجب عليهم شكرها، واللاّم فيه لام كي، ويحتمل أن يكون لام الأمر؛ لقوله: ﴿ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ ﴾ بسكون اللام وهي قراءة ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وقالون؛ لأنّ لام كي لا يجوز إسكانها لحذف «إن» بعدها وضعف عوامل الأفعال[٤]، ويؤيد هذه القراءة قوله في سورة الروم: ﴿ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ ﴾[٥]، ﴿ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ وخامة العاقبة[٦].

---

(١) في «ص»: لغيرهم.

(٢) في «ق»: تثبت.

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٥٣٣).

(٤) وقرأ الباقون بكسر اللاّم.
انظر: السبعة (٥٠٢)، والتيسير (١٧٤)، والموضح (٢/١٠٠٠)، وأنوار التنزيل (٥٣٣)، والدر المصون (٩/٢٧).

(٥) الآية (٣٤).

(٦) في هامش الأصل، «ص»: «فانتظم آخر السورة مع الأول؛ لأنه كان الإنعام على الأوائل ليعلم الصادق من الكاذب، وكذا ركوب الفلك مع الإنجاء ليعلم الشاكر من الكافر كما ذكره في آخر الروم من قوله: «فمنهم مقتصد»، أي: شاكر».

﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنًا ﴾ أي: قد رأوا(١)، توبيخ لأهل مكّة خاصة بين المشركين؛ لاختصاصهم بهذه النعمة وهي الأمن في أشرف البقاع(٢)، ﴿ وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ ﴾ الخطف: سلب الشيء خفية، وكان هذا شأن العرب لم يزالوا في التحارب والتناهب(٣)، ﴿ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ ﴾ بعد وضوح هذه النعمة، تعجيب من حالهم، ﴿ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ﴾ بالإشراك به، وتقديم الصلتين للاهتمام أو للاختصاص مبالغة(٤).

﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ أي: لا أظلم منه، وفي الحديث: «ليس الكذب عليّ كالكذب على أحد»(٥)، وإذا كان الكذب على رسول الله لا يشبه كذباً فعلى الله من باب أولى، ﴿ أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ ﴾ أي: الرسول والكتاب(٦)، والتعبير عنه بالحقّ؛ لدلالته على المدح. و«لما» نظيرة «إذا»(٧)

الصواب أنّ قوله تعالى: «فمنهم مقتصد» في آخر سورة لقمان آية (٣٢).

(١) في «ص»: قدرؤا، وفي «ح»: قدرا.

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٥٦١).

(٣) انظر: المفردات (٢٨٦) مادة «خطف»، والكشّاف (٤/٥٦١)، وأنوار التنزيل (٥٣٣).

(٤) قاله البيضاوي. انظر: أنوار التنزيل (٥٣٣).

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/٤٠٨) ح٩٧٥، وابن الجوزي في الموضوعات (١/٧٧)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٤٨)، وعلي القاري في الأسرار المرفوعة (٢١).

(٦) قاله يحي بن سلام، وابن شجرة.

انظر: النكت والعيون (٣/٢٩٤)، ومعالم التنزيل (٣/٤٧٤).

(٧) في «ص»: إذْ.

الفجائية في الدلالة على أنهم كذبوه من غير توقّف كما يفعله العقلاء المراجيح عند سماع الخبر[1]، ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ استفهام تقرير[2]. كقول جرير[3]: ألستم خير مَن ركب المطايا[4].

والمعنى: ألا يستوجبون الثواء وقد افتروا على الله، أو قد[5] صحّ عندهم أنّ في جهنم مثوى للكافرين ومع ذلك قد اجترأوا على الافتراء. فمدار الأوّل على تبيين حالهم للغير واستحقاقهم، والثاني على توبيخهم تذكيراً لما صحّ عندهم[6].

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٥٦١).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٥٦١).

(٣) جرير: جرير بن عطية بن حذيفة الخطفى اليربوعي، أشعر أهل زمانه، اشتهر بمناقضاته مع الفرزدق والأخطل، وكان عفيفاً، وهو من أغزل الناس شعراً، مات في اليمامة عام ١١٠هـ.
انظر: وفيات الأعيان (١/٣٢٥)، وسير أعلام النبلاء (٤/٥٩٠)، وخزانة الأدب (١١/٢٦٧).

(٤) تمام البيت: وأندى العالمين بطون راح.
وهو من بحر الوافر من قصيدته التي يمدح بها عبد الملك بن مروان.
انظر: ديوان جرير (٨٩)، والخصائص (٢/٤٦٥)، والكشّاف (٤/٥٦٢)، وشرح المفصّل (٨/١٢٣)، والدر المصون (٨/٢٥٤).
وانتقد بعضهم هذا البيت بأن الشاعر بالغ في المدح ووصف ممدوحه بأنه خير من ركب المطايا، فإن أراد الإطلاق فليس بصواب؛ لأنّ خير مَن ركب المطايا هو محمد ﷺ، وإن أراد التخصيص بزمان الممدوح فهي دعوى تحتاج إلى دليل.

(٥) في «ق»: وقد.

(٦) انظر: الكشّاف (٤/٥٦٢).

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا ﴾ خاصّةً من غير إشراك، جعل ذاته مستقر المجاهدة، وأطلق المجاهدة لتعمّ الظاهرة والباطنة[1]. ﴿ لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ الطّرق الموصلة إلينا وسبيل الحق وإن كان واحداً إلاّ أنه جُمِعَ باعتبار أنواع المجاهدة. وفي الحديث: «من عمل بما علِم ورّثه الله علم ما لم يعلم»[2]. ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ المخلصين في عبادتهم؛ تقويةً لجأش المجاهد في العبادة بأن الله معه بالنصر والإعانة[3].

تمت السورة والحمد لله على الإحسان، والصلاة على خير البرية وعين الإحسان.

* * * *

---

(١) انظر: أنوار التنزيل (٥٣٤).

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/١٤–١٥)، وقال: «ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى بن مريم عليه السلام، فوهِم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي ﷺ فوضع هذا الإسناد عليه لسهولته وقربه، وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الإسناد عن أحمد بن حنبل».
وأورده المناوي في الفتح السماوي (٢/٤٩٩) ح٣٧٥، والألباني في الأحاديث الضعيفة (١/٤٢٣) ح٤٢٢، وقال عن الحديث: موضوع.
انظر: الكشّاف (٤/٥٦٢) بلفظ: وعن بعضهم، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٣٦٤)، وأنوار التنزيل (٥٣٤)، وكشف الخفاء (٢/٢٦٥).

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٥٣٤).

تفسير
سورة الروم

«سورة الروم»

مكية، وقيل: إلاّ قوله: ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ ﴾[1]، وهي ستون وقيل: سبع وخمسون آية[2].

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ ۝٧ ﴾ [١-٧].

---

(١) الآية (١٧). انظر: الكشّاف (٤/٥٦٣)، وأنوار التنـزيل (٥٣٤).

ونقل بعض المفسرين الإجماع على مكية السورة بلا خلاف.

انظر: المحرر الوجيز (١٢/٢٤١)، وزاد المسير (٦/٢٨٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١)، والبحر المحيط (٧/١٦٠).

(٢) في النسخ كلّها وقيل: سبع، والصواب وقيل: تسع.

انظر: معالم التنـزيل (٣/٤٧٥)، وإتحاف فضلاء البشر (٣٤٧)، ومرشد الخلاّن (١٣٣).

ويمكن تخريج قول المصنّف على وجهٍ بعيد، أن يُقال: وقيل: سبع وخمسون آية مكية وثلاث آيات مدنية في قول ابن عباس وقتادة. انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٤/١).

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: أرض العرب؛ لأنها المعهودة عندهم، وهي أذرعات[1] وبُصرى من بلاد دمشق[2]، وبها كانت غلبة فارس على الروم، أو أدنى أرضهم، أي: أرض الروم إلى العدو وهي الجزيرة[3]. والروم من أولاد عيص بن إسحاق[4]، وهذه الطائفة من ذريته وكانوا على ملّة عيسى بن مريم[5]، والفرس كانوا مجوساً، والمشركون عبدة

---

(١) أذرعات: بالفتح ثم السكون وكسر الراء بلدة في الشام، خرج منها طائفة من أهل العلم تسمى اليوم دِرْعا، وبها يمر خطّ سكّة الحديد العثماني.
انظر: معجم البلدان (١/١٣٠)، والمنجد (٣٤٣) قسم الأعلام، وأطلس العالم (٣٩).

(٢) بصرى: بضمّ الباء وإسكان الصاد، افتتحها المسلمون عام ١٣هـ، وهي اليوم مدينة سورية كبيرة. انظر: معجم البلدان (١/٤٤١)، ومعجم الأمكنة الواردة في صحيح البخاري (٧٤).

(٣) الجزيرة: بلدة شمال الموصل، يحيط بها الماء من ثلاث جهات، كانت تسمّى جزيرة الأكراد، وقد تكون هي المقصودة، وهناك جزيرة أُقور وهي بين دجلة والفرات تجاور الشام تشمل ديار مضر وبكر، سميت الجزيرة؛ لأنها بين دجلة والفرات.
انظر: معجم ما استعجم (٢/٣٨١)، ومعجم البلدان (١/١٣٤، ١٣٨).
ونُقِل عن الشيخ عبد المجيد الزنداني قوله عن أذرعات أنها أخفض منطقة من اليابسة على وجه الأرض. والله أعلم.
انظر: تلخيص تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر (٢/٣٦٩) للكواشي، تحقيق الدكتور: فاضل الشهري.

(٤) في «ق»: إسحق.

(٥) الروم: جيل معروف واحدهم رومي، نسبتهم إلى عيصون بن إسحاق وهم من أولاد يافث ابن نوح عليه السلام.
قال الكلبي: إنما سمّيت الروم؛ لأنهم راموا فتح دمشق ففتحوها وقتلوا أهلها، وقيل غير ذلك.
انظر: معجم البلدان (٣/٩٧)، ونهاية الأرب (٣٦).

الأوثان، ولما بلغهم الخبر فرحوا بغلبة الفرس؛ لأنهم ليس لهم كتاب كالمشركين[1] فنزلت الآية.

﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ ففرح بذلك المؤمنون وكثر التشاجر بينهم وبين المشركين، حتى راهن أبو بكر ﵁ أُبي بن خلف على عشر قلائص[2] إن لم يغلب الروم الفرس في سبع سنين، فذكر

---

(١) يرى المصنف أن الفرس ليسوا أهل الكتاب، وهو رأي الإمام مالك. وعند بعض العلماء أنهم أهل كتاب؛ لما روي عن علي بإسناد حسن: «كان المجوس أهل كتاب يقرؤنه وعلم يدرسونه ...إلخ».

وروى عبد بن حميد بإسناد صحيح عن ابن أبزى: «لما هزم المسلمون أهل فارس، قال عمر: اجتمعوا، فقال: إن المجوس ليسوا أهل كتاب فنضع عنهم، ولا من عبدة الأوثان فنجري عليهم أحكامهم، فقال علي: بل هم أهل كتاب». فتح الباري (٦/٢٦١ــ٢٦٢).

والصواب: أنهم كانوا مشركين يعبدون النار من دون الله تعالى، ويجوز أنه كان لهم كتاب ثمّ انحرفوا عنه، وقد اشتهر اليهود والنصارى بأنهم أهل الكتاب.

والفرس أُمّة معروفة نسبتهم إلى فارس بن لاود بن سام بن نوح ؑ، وقيل: إنهم من أولاد يافث ابن نوح، ودخلت الفرس في الإسلام زمن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

انظر: معجم البلدان (٤/٢٢٦)، ونهاية الأرب (٣٧).

(٢) قلائص في هامش الأصل: «القلائص جمع قلوص وهي الشابة من النوق»، وفي هامش «ص»: «وهي الناقة الشابة». انظر: القاموس المحيط (٨١٠ــ٨١١) مادة «قلص».

ذلك لرسول الله ﷺ فقال: البِضْع الثلاث[1] إلى التسع[2]، فزايده في الخطر والمدّة، فرجع أبو بكر رضي الله عنه إلى أُبي بن خلف، وتوافقا على تسع سنين ومائة قلوص، فلمّا دخلت السنة السابعة غلبت الروم وجاء الخبر بذلك ورسول الله بالمدينة، وكان أُبيّ قُتِلَ يوم أُحد، فأخذ أبو بكر رضي الله عنه القلائص من ورثته[3]، وكان ذلك قبل

---

(١) في الأصل، «ح»، «ص»: الثلث.

(٢) الصواب أن هذا من قول سعيد بن جبير راوي الحديث عن ابن عباس رض الله عنهما، وفي الحديث أنه قال: «ألا جعلته ــ أُراه قال ــ دون العشر». أخرجه أحمد في المسند (٤/٤٩٠) ح٢٧٦٩.

وذكر الواحدي الخلاف في البضع على أقوال:

الأول: البضع ما لم يبلغ العقد ولا نصفه.

الثاني: ما بين الثلاث إلى التسع.

الثالث: البضع ما بين العقدين. واختار أنّ البضع هاهنا: سبع سنين.

انظر: البسيط (٢/٢٩٨) تحقيق الدكتور: عبد الله الرّيس.

(٣) هذه القصة أخرجها أحمد في المسند (٤/٢٩٦) ح٢٤٩٥، ٢٧٦٩ بنحوها، وقال المحقق عن إسناد الحديثين: إسنادٌ صحيح على شرط السيخين، والترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الروم (٧٢٥ــ٧٢٦) ح٣١٩١ــ٣١٩٤ بروايات مقاربة، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الروم (٢/٤١٠) مختصراً، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

وانظر: جامع البيان (٢١/١٦ــ٢٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/٢٤٢)، والنكت والعيون (٤/٢٩٦ــ٢٩٨)، ومعالم التنزيل (٣/٤٧٥ــ٤٧٦)، وزاد المسير (٦/٢٨٦ــ٢٨٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢ــ٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٣٠٤ــ٣٠٩).

تحريم القمار؛ لأنّ آية الميسر في المائدة وهي آخر القرآن نزولاً[1]، وكان هذا من دلائل النبوة، وباهر آياته.

﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ أي: له الحكم والإرادة، «من قبل» كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين، «ومن بعد» كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الروم؛ لأنهم أهل كتاب وشريعة مثلهم، وفي ذلك تفاؤل[2] لهم.

وعن ابن عباس رضي الله عنه والثوري[3] أن غلبة الروم على فارس كانت يوم بدر[4]، وعن قتادة وعكرمة[5] والزهري أنها كانت يوم الحديبية[6] سنة ستٍ من الهجرة،

---

(١) آية الميسر هي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٩٠).
والقمار: أن يأخذ اللاّعب من صاحبه عوضاً في اللّعب، أو أن يشترط اللاّعبان أن يأخذ الغالب شيئاً من المغلوب. انظر: التعريفات (١٨٧).

(٢) في «ص»: تفأل.

(٣) الثوري: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله، أمير المؤمنين في الحديث، كان آيةً في الحفظ، ورعاً، تقياً، إماماً، مات سنة ١٦١هـ.
انظر: حلية الأولياء (٦/٣٥٦)، تاريخ بغداد (٩/١٥١).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (١٢/٢٤٣)، وزاد المسير (٦/٢٨٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٥).

(٥) عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله، مولى عبد الله بن عباس، تابعي، من أعلم الناس بالتفسير والمغازي، طاف بالبلدان، وروى عنه أكثر من سبعين تابعياً، مات مختفياً من أمير المدينة عام ١٠٥هـ.
انظر: تهذيب الأسماء واللّغات (١/٣٤٠)، ووفيات الأعيان (٣/٢٦٥).

(٦) الحديبية: قريةٌ سميت بشجرة كانت في ذلك الموقع، وبينها وبين مكّة مرحلة، نزل بها ﷺ السنة السادسة وبها تمّ صلح الحديبية.
انظر: معجم البلدان (٢/٢٢٩).

وهذا أقرب[1][2]؛ لما روي أن هرقل كان قد نذر لئن نصره الله على الفرس ليزورنّ بيت المقدس، فلما انتصروا ذهب إلى بيت المقدس لقيه دحية بن خليفة[3] الكلبي[4] بكتاب رسول الله يدعوه إلى الإسلام[5]. ﴿بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الغالب يُذِلّ مَن أراد بالخذلان، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ يُعِزّ من يشاء بالنصر.

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ﴾ مصدر مؤكد كقولك: له عليّ ألفٌ[6] اعترافاً، ﴿لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾؛ لكونه كذباً وهو عليه محال، ولدلالته على العجز وعدم العلم بعواقب

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (١٢/٢٤٣)، وزاد المسير (٦/٢٨٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٥).

(٢) في هامش الأصل: «ولو كان يوم بدر كان يأخذ القلائص من أُبيّ بن خلف؛ لأنه كان حيًّا».

(٣) في «ق»: حليفة.

(٤) دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي القضاعي، صحابي بعثه النبي ﷺ إلى هرقل عظيم الروم برسالة يدعوه إلى الإسلام، كان حسن الصورة، وشهد كثيراً من الوقائع وشهد اليرموك، ثمّ نزل دمشق مات سنة ٤٥هـ.

انظر: أُسد الغابة (٢/١٥٨)، وسير أعلام النبلاء (٢/٥٥٠)، وتهذيب التهذيب (٣/٢٠٦).

(٥) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/٦٠٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٣١٠-٣١١)، وسير أعلام النبلاء (٢/٥٥١).

(٦) في «ص»: ألف درهم.

الأمور تعالى(١) الله عن ذلك علوّاً كبيراً، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك لعدم النظر الصحيح.

﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بدل من «لا يعلمون» بدل الكلّ، أوفي بأداء المقصود؛ لدلالته على أنّ العلم بظاهر الحياة(٢) كلا علم؛ لأنّ الغرض من الدنيا باطنها وهو أنها مزرعة الآخرة، وإنما نكّر «ظاهراً» إشارة إلى كمال بلادتهم وأنهم لم يعلموا من ظاهرها إلاّ نزراً يسيراً، فإن من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وكيفية الصدود منها والتصرف فيها(٣)(٤)، وهم عن كلّها بمعزل، ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ «هم» الثانية تكرير للأولى، أو مبتدأ و«غافلون» خبره، الجملة خبر الأولى، وعلى الوجهين تحقيق لما تقدّم(٥).

---

(١) في «ق»: تعلى.

(٢) في الأصل: الحيوة.

(٣) في «ح»: عنها.

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٥٦٥ــ٥٦٦)، وأنوار التنزيل (٥٣٤).

(٥) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/٢٦٥)، والكشّاف (٤/٥٦٦).

قال الكواشي: «وإنما اشتغلوا بظاهر واحد من ظواهر الدنيا، وهو طلب المعاش، وكانوا أصحاب عقول وتصرّف فصرفوها في طلب المعاش، فكان الرجل منهم ينقر الدرهم فيعرف رداءته ووزنه ولا يعرف كيف يصلي».

تلخيص تبصرة المتذكر (٢/٣٧٤) تحقيق الشهري.

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [٨-١٠].

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ﴾ توبيخ على عدم التفكّر فيما يعود نفعه إليهم بدل اشتغالهم بالبحث عن نصر المجوس وفرحهم بذلك. والمعنى: هلاّ أحدثوا التفكر في أنفسهم الفارغة عنه، والفكر لا يكون إلاّ في النفس فذكرها لتصوير الحال كقولك: أبصرته[١] بعينيّ، ويجوز أن يكون في صلة «يتفكروا» كقولك: يفكر في المسألة[٢] وأجال الرأي فيها.

والمعنى: أنّ أنفسهم[٣] أقرب الأشياء إليهم وقد اشتملت على نظائر ما تفرق في الكائنات من العالم العلوي والسفلي فلمَ لا يتفكرون فيها[٤]، ﴿ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ يتعلّق بمقدّر أي: فيعلموا بعد التفكر

(١) في «ح»، «ق»: أبصرته.

(٢) في النسخ كلّها: المسألة.

(٣) في «ص»: والمعنى في النفس.

(٤) توسّع الرازي في إيضاح ما بالنفس من مكونات التفكّر. انظر: التفسير الكبير (٢٥/٩٨).

أنّ خلق هذا العالم ليس عبثاً بل لحكمةٍ بالغةٍ وهي الابتلاء؛ ليجازي المحسن والمسيء. والباء في «بالحق» مثل باء اشتريت الفرس بلجامه دالة على المقارنة واللّزوم[1]، ﴿ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ معيّن لا يتجاوزه، ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴾ جاحدون؛ لكونهم دهرية لا يقولون بالمعاد[2].

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ كعاد، وثمود، وقوم لوط، استفهام تقرير أي: قد وقع ذلك السير والنظر مع عدم التفاتهم إليه وتأملهم واعتبارهم[3]، ﴿ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ في الحديث: «خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً، فلم يزل يتناقصون إلى يومنا»[4]، ﴿ وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾ قلبوا الأرض؛ لرفع البنيان، وطلب المعادن، وغرس الأشجار أكثر مما فعل أهل مكّة؛ لطول أعمارهم، وقوّة أجسادهم، وكثرة أموالهم وأولادهم، فلم يقدروا على دفع العذاب النازل فكيف

(١) انظر: الكشّاف (٤/٥٦٦).

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٥٣٥).

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٥٦٦)، وأنوار التنزيل (٥٣٥).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب بدء السلام (٤/١٣٥) ح٦٢٢٧، ولفظه: «خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً، فما خلقه قال: اذهب فسلّم على أُولئك ـ نفر من الملائكة جلوس ـ فاستمع ما يحيّونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليك، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه رحمة الله، فكلّ من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص بعدُ حتى الآن».

بسكان[1] وادٍ غير ذي زرع لا تبسُّط لهم في المال ولا تسلّط في البلاد[2].

﴿ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ المعجزات الواضحات فلم يبق لهم عذر يعتذرون به، ﴿ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ بعد ذلك الإرسال وقطع الأعذار، ﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ بتعريضها لسخط الله.

﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ ﴾ أي: كان عاقبتهم العقوبة السوأى وهي جهنم[3]، وإنما وضع الظاهر موضع المضمر؛ للدلالة على أن تلك العقوبة السوأى جزاء لإساءتهم[4]، ﴿ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي: لأن كذبوا ويجوز أن يكون مفسّرة للإساءة؛ لأنها تكون قولية وفعلية، أو السوأى مفعول أساءوا، أي: اكتسبوا الخطيئة القبحاء، و«أن كذبوا» عطف بيان[5] والخبر محذوف أي: جهنم[6]. وقرأ ابن عامر، والكوفيون

---

(١) في «ق»، «ص»: سكان.

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٥٣٥).

(٣) قاله السدي. انظر: النكت والعيون (٤/٣٠١)، وزاد المسير (٦/٢٩١).

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٥٦٧).

(٥) في «ق»: على بيان.

(٦) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٣٢٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/١٧٩)، والكشّاف (٤/٥٦٧)، والدر المصون (٩/٣٤).

«عاقبةَ» بالنصب على خبرية «كان»، فالسوأى اسمه بمعنى العذاب، أو دخول جهنم، أو هي مفعول «أساؤا»، و«أن كذبوا» هو الاسم[1].

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [١١-١٩].

﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ للجزاء ثواباً وعقاباً، فيه وعد ووعيد. ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ ييأسون من الإبلاس، وهو اليأس[2]، ومنه إبليس للشيطان[3]، أو يُدْهَشون ويتحيّرون[4].

---

(١) وقرأ الباقون برفع «عاقبة».

انظر: السبعة (٥٠٦)، والكشف (٢/١٨٢)، والتيسير (١٧٤)، والنشر (٢/٣٤٤).

(٢) قاله ابن عباس وقتادة والكلبي.

انظر: النكت والعيون (٤/٣٠١)، ومعالم التنزيل (٣/٤٧٨).

(٣) في «ق»: الشيطان.

(٤) قاله العجاج. انظر: النكت والعيون (٤/٣٠١).

ومنه: ألم تر الجنّ وإبلاسها[1]، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ ﴾ أي: ممن أشركوه بالله في الألوهية، ﴿ شُفَعَٰٓؤُاْ ﴾ كما كانوا يزعمون، ﴿ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ أي: يكفرون بهم في ذلك اليوم، وإيثار الماضي؛ لتحقق وقوعه، والباء للسببيه، أي: كانوا كافرين في الدنيا بسببهم[2].

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ أي: المؤمنون والكافرون؛ لقوله: ﴿ وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[3]، وقوله: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

وقال القرطبي: «والمعروف في اللّغة: أبلس الرجل إذا سكت وانقطعت حجته ولم يؤمل أن يكون له حجة، وقريب منه: تحيّر. وردّ النحاس القول أن إبليس من أبلس وقال: وقد زعم بعض النحويين أنّ «إبليس» مشتق من هذا وأنه أبلس أي: انقطعت حجته، ولو كان كما قال لوجب أن ينصرف وهو في القرآن غير منصرف». انظر: إعراب القرآن (٢٦٧/٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٠/١٤).

(١) في هامش الأصل، «ص»: «قاله الجني حين رجموا بالشهب عند بعثة رسول الله ﷺ».

انظر: لسان العرب (٣٤٣/١) مادة «بلس» وقال عنه: «حديث».

قال ابن هشام: «وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر:

عجبت للجن وإبلاسها   وشدّها العيسَ بأحلاسها.

السيرة النبوية لابن هشام (٢١١/١). وتروى هذا العبارة من قول سواد بن قارب لعمر بن الخطاب ولفظها: ألم تر إلى الجنّ وإبلاسها، وإياسها من دينها، ولحوقها بالقلاص وأحلاسها.

انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢١٠/١)، وتاريخ الأمم والملوك (٢٠٤/٢).

(٢) انظر: الكشّاف (٥٦٨/٤)، وأنوار التنزيل (٥٣٥).

(٣) الآية (٥٩) من سورة «يس».

ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ ﴾ أرض ذات أزهار وأنهار وأشجار وثمار، ﴿ يُحۡبَرُونَ ﴾ يُسَرّون وينعمون من الحبرة وهي البهاء والحسن في كلّ شيء[1]، ومنه حديث أبي موسى الأشعري لما استمع رسول الله لقراءته واستحسنه: «لو كنت أعلم أنك مستمع لحبرته تحبيراً»[2].

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴾، ﴿ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ ﴾[3]، ﴿ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴾[4]، وإنما لم يكتفِ بالكفر بل أضاف إليه التكذيب بآيات الله ولقاء الآخرة؛ لكونه في مقابلة: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾.

(١) انظر: غريب القرآن (٣٤٠)، والنكت والعيون (٤/٣٠٢)، وزاد المسير (٦/٢٩٣).

(٢) أخرجه أبو يوسف يعقوب الأنصاري في الآثار (٤٥) ح٢٢٧، وعبد الرزاق في المصنّف (٢/٤٨٥) ح٤١٧٨، والبزار في البحر الزخار (٨/١٤٣) ح٣١٦٠، والروياني في مسنده (١/٦٧) ح١٦، والحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة (٣/٤٦٦)، وقال: «هذا الحديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/٣٨٧) وأعلّه بخالد ابن نافع الأشعري، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٣٦٠) وقال: «ورجاله على شرط الصحيح غير خالد بن نافع الأشعري، وثّقه ابن حبان وضعفه جماعة». وابن حجر في فتح الباري (٩/٩٢–٩٣).

(٣) بعض الآية (٧٥) من سورة الزخرف.

(٤) بعض الآية (٤٨) من سورة الحجر، وهي في سياق نعيم أهل الجنة.

ومن الجائز أن يريد المصنّف الاستشهاد بآية: ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ ﴾ آية (٣٧) من سورة المائدة.

﴿ فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ كأنه قال: إذا صحّ عندكم حال المعرضين عن عبادته والمقبلين على طاعته فسبحوه في هذه الأوقات؛ هرباً من ويل عقابه وطلباً لنيل ثوابه، وإنما صدّر الكلام بالتنزيه وأوقع الحمد اعتراضاً؛ لأنّ الكلام مع المشركين فالتقديس هو الغرض المسوق له الكلام، وخصّ الأوقات المذكورة به؛ لظهور دلالتها على باهر قدرته[1].

وسئل ابن عباس ﷺ هل تجد في القرآن ذكر الصلوات الخمس؟. فقال: نعم وقرأ الآية، وذلك أنّ «تمسون» يدلّ على المغرب والعشاء، و«تصبحون» على الصبح، و«عشياً» على العصر، و«تظهرون» على الظهر[2].

وما روي عن الحسن أنّ الآية مدنية[3] والصلوات الخمس فرضت بالمدينة منكر؛ لأنها فرضت ليلة المعراج بلا خلاف[4].

وعن ابن عباس ﷺ من قرأ [حين أصبح][5] هذه الآية أدرك ما فاته في يومه[6]، ومن قرأها حين أمسى أدرك ما فاته في ليلته[7][8]. ثمّ استأنف بما يدلّ

(١) انظر: الكشّاف (٤/٥٧٠)، الجامع لأحكام القرآن (١٤/١٥)، وأنوار التنزيل (٥٣٦).
(٢) انظر: معالم التنزيل (٤/٤٧٩)، والكشّاف (٤/٤٧٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١٤).
(٣) في «ق»: مكية.
(٤) انظر: الكشّاف (٤/٥٧٠)، وأنوار التنزيل (٥٣٦).
(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».
(٦) في «ق»: ليلته.
(٧) في «ق»: يومه.
(٨) انظر: أنوار التنزيل (٥٣٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٣١٤).

على استحقاقه التقديس والتحميد بقوله: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ الإنسان من النطفة[1]، أو المؤمن من الكافر[2]، والعالم من الجاهل، ﴿ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ عكس ذلك. ﴿ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ بإخراج أنواع النبات منها مع عدم التجانس، ﴿ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ منها إذْ لا فرق بين إخراج النبات الأخضر وإخراج البشر بل الثاني أظهر؛ لكون تلك الأجزاء كانت محل الحياة[3] مدّة.

وأخرج أبو داود عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال:«مَن قال حين يصبح: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ أدرك ما فاته في يومه ذلك، ومن قالهنّ حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته». سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح (٣٢١/٤) ح٥٠٧٦.

(١) قاله جمهور المفسرين. انظر: النكت والعيون (٣٠٤/٤).

والنطفة: سائل غليظ به ملايين الحيوانات أو الحوينات المنوية، وعلى هذا فالنطفة ليست مثالاً للميت. انظر: المعجم الوسيط (٨٨٩/٢) مادة «منى».

وذكر النطفة كمثال للميت تكرر عند المفسرين، وقد ثبت في هذا الزمن أنّ النطفة تحتوي على كميات ضخمة من الحيوانات أو الحوينات المنوية، ويتمّ داخل رحم المرأة ـ بتقدير الله تعالى ـ أن يخترق أحد هذه الحيوانات المنوية بويضة المرأة، ومن ثمّ يبدأ تخليق الجنين. انظر: رحلة الإيمان في جسم الإنسان (٤١ـ٤٧)، وأصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية (١٩٦).

(٢) قاله عمر بن الخطاب، والحسن، والزهري.

انظر: النكت والعيون (٣٠٤/٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٢٥٠/٥).

(٣) في الأصل: الحيوة.

وقرأ حمزة، والكسائي بفتح التاء وضمّ الراء، ولابن ذكوان وجهان[1].

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ
(٢٠) وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم
مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ (٢٢) وَمِنْ
ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ (٢٣) وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً
فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤) وَمِنْ
ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ
(٢٥) وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ (٢٦) وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ

---

(١) قال ابن الجزري عن وجهي ابن ذكوان: «روى الإمام أبو إسحاق الطبري، وأبو القاسم عبد العزيز الفارسي كلاهما عن النقاش عن الأخفش عنه فتح التاء وضمّ الراء، وكذلك روى هبة الله عن الأخفش، وهي رواية ابن خرزاذ عن ابن ذكوان. وروى عن ابن ذكوان سائر الرواة من سائر الطرق حرف الروم بضمّ التاء وفتح الراء. انظر: النشر (٢/٢٦٧ــ٢٦٨).

وقرأ الباقون بضمّ التاء وفتح الراء. انظر: السبعة (٥٠٦)، والكشف (١/٤٦٠)، والموضح (٢/١٠٠٣ــ١٠٠٤).

وابن ذكوان: عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان البهراني مولاهم الدمشقي المقرىء، شيخ الإقراء بالشام، قال عنه الذهبي: «كان ابن ذكوان أقرأ من هشام بكثير»، مات سنة ٢٤٢هـ.

انظر: معرفة القراء الكبار (١/٢٠٠)، وغاية النهاية (١/٤٠٤).

ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [٢٠-٢٧].

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ﴾ بعض آياته الدالة على العلم والقدرة، ﴿ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ أي: أصلكم وهو آدم، أو كلّ واحد؛ لما في الحديث: «من أنّ النطفة التي يخلق منها الإنسان تعجن[١] بالتراب الذي يدفن فيه إذا مات»[٢]. ﴿ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ أي: خلق كثير متفرقون في أقطار الأرض وأكناف البلاد لأسباب المعائش وسائر الأغراض.

فإن قلتَ: كيف استقام الجمع بين «ثم» و«إذا» الفجائية مع تنافي مقتضاهما؟.

قلتُ: لا تنافي؛ لأنّ «ثم» للدلالة على بعد هذه الكثرة من ذلك الأصل الواحد الكائن من تراب[٣]. ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾

---

(١) في «ق»: يعجن.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٦/١٦٧) ح٦٥٦٩ تحقيق: شاكر، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٤٧٤) ح١٣٧٨١ مطولاً عن ابن مسعود، وأورده ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/٦٠)، وقال: «خرجه ابن جرير الطبري في تفسيره، ولكن السدي مختلف في أمره، وكان الإمام أحمد ينكر عليه جمعه الأسانيد المتعددة للتفسير الواحد».

وانظر: الجامع لأحكام القرآن (١٢/٦-٧)، والدر المنثور (٦/٩-١٠).

(٣) في هامش الأصل، «ص»: التراخي الرتبي لا ينافي المفاجأة.

أي: من جنسكم إناثاً[1]، أو من نطفكم[2]، أو لأنّ حواء خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من أصلاب الرجال[3]، ﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾ لتميلوا إليها وتطمئنوا؛ لأنّ في الوحدة وحشة وفي اختلاف الجنسين تنافر[4]، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً﴾ بواسطة شهوة ركبها في كلٍّ من الزوجين، ﴿وَرَحْمَةً﴾ لرقة الجنسية وألفة الأزواج، وعن الحسن الرحمة: الولد؛ لقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّآ﴾[5]، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك[6].

---

(١) قاله الكلبي. انظر: الكشّاف (٥٧١/٤)، وزاد المسير (٢٩٥/٦).
واختاره الرازي وقال: «والصحيح أنّ المراد منه من جنسكم». التفسير الكبير (١١٠/٢٥).
ومال إليه ابن كثير. انظر: تفسير القرآن العظيم (٣١٥/٦).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٤).

(٣) قاله قتادة.
انظر: النكت والعيون (٣٠٥/٤)، وزاد المسير (٢٩٥/٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٧/١٤).

(٤) كذا في النسخ، والصواب: تنافراً.

(٥) بعض الآية (٢١) من سورة مريم، ووردت في سورة «ص» آية (٤٣)، و«يس» آية (٤٤).
وتمام قول الحسن: المودة: كناية عن الجماع، والرحمة: الولد. وبه قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة.
انظر: النكت والعيون (٣٠٥/٤)، والكشّاف (٥٧١/٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٧/١٤)، والبحر المحيط (١٦٦/٧).

(٦) قال ابن القيم في تفسير هذه الآية: «وأما محبة الزوجات فلا لوم على المحبّ فيها، بل هي من كماله، وقد امتنّ الله بها على عباده: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾ فجعل المرأة سكناً للرجل يسكن قلبه إليها، وجعل بينهما خالص الحبّ وهو المودة المقترنة بالرحمة». الجواب الكافي (٣٥٨).

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ ﴾ لغاتكم كالعربي وسائر اللّغات بأن علّمها آدم بإلهام، أو خلق علم ضروري كما قال الأشعري(١)، أو بالإقدار على وضعها كما قاله غيره، والأوّل هو الظاهر(٢)،

وقال ابن كثير: «... ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، وجعل بينهم مودة وهي المحبة، ورحمة وهي الرأفة، فإن الرجل يمسك المرأة إمّا لمحبته لها، أو لرحمة بها بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق، أو للأُلفة بينهما وغير ذلك». تفسير القرآن العظيم (٦/٣١٥).

(١) الأشعري: علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، أبو الحسن، مؤسس فرقة الأشاعرة، كان من الأئمة المجتهدين المتكلّمين، أخذ بقول المعتزلة وتقدّم فيهم، ثمّ رجع وجاهر بخلافهم، مات ببغداد سنة ٣٢٤ هـ.

انظر: تاريخ بغداد (١١/٣٤٦)، ووفيات الأعيان (٣/٢٨٤)، وسير أعلام النبلاء (١٥/٨٥).

(٢) اختلف العلماء في نشأة اللّغة على أقوال منها:

الأوّل: التوقيف من الله عزّ وجلّ بأن علّم آدم الأسماء كلّها.

وقال بهذا الرأي ابن عباس، والجاحظ، وابن فارس، وابن جني، وابن النجّار وغيرهم.

الثاني: الوضع والاصطلاح، وذلك أنّ الناس وضعوا مسميات الأشياء واتّفقوا على ذلك.

الثالث: الغريزة، وذلك أنّ الإنسان مزود بغريزة خاصة لتسمية الأشياء عند حدوثها. وهناك آراء ونظريات متعددة، وليس في المسألة جزم بصواب أحد الآراء؛ إذْ لم يوجد ما يرجّح أحد الآراء على غيره، وإن كان القول بالتوقيف قويّاً.

انظر: الحيوان (١/٣٤٨)، والخصائص (١/٤١-٤٨)، والعدّة في أُصول الفقه (١/١٩٠)، وأنوار التنزيل (٥٣٦)، وشرح مختصر الروضة (١/٤٧١-٤٧٧)، ومجموع الفتاوى

﴿وَأَلْوَٰنِكُمْۚ﴾ في أُصولها كالبياض والسواد والحمرة وما يتركّب منها لا ترى بين أفراد البشر اتّحاداً في لون قط، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾ من الملك، والإنس، والجنّ. وقرأ حفص بكسر اللاّم، والفتح أبلغ؛ لأنّ الآيات وإن لم يعقلها إلاّ العالمون إلاّ أنه أعمّ مفهوماً[1].

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ أي: في النهار، وكان ظاهر اللفّ أن يقول: ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار، إلاّ أنه عدل عنه؛ اهتماماً بالظرف؛ لأنّ الآية إنما تحصل به، وقدّم المنام؛ لكونه آية مستقلة مع قطع النظر عن اللّيل بخلاف الابتغاء[2]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ سماع تدبّر. ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ﴾ الفعل مقدّر بأن وبعد حذفه نزّل الفعل منزلة المصدر وأُزيل أثره كما في: «تسمع بالمعيدي»[3]، وقوله شعر:

(٤٤٦/١ـ٤٤٧)، ونهاية السول (٢٣/٢)، والمزهر في علوم اللّغة (٨/١)، وإرشاد الفحول (١١)، وخصائص العربية (١٩).

(١) وقرأ الباقون بالفتح.

انظر: السبعة (٥٠٧)، والحجة لأبي علي الفارسي (٤٤٤/٥)، والكشف (١٨٧/٢).

(٢) انظر: الكشّاف (٥٧٢/٤)، وأنوار التنزيل (٥٣٧).

(٣) مجمع الأمثال (١٢٩/١)، والكشّاف (٥٧٢/٤)، وأنوار التنزيل (٥٣٧).

وقالوا ما تشاء[1] فقلت[2] [ألهو][3] إلى الإصباح آثر ذي أثير[4]

والتقدير: من آياته ما يتلى عليكم، ثمّ بين بقوله: «يريكم البرق»، وقيل: حال من البرق مقدّم أي: ويريكم البرق، ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ حال كونه من آياته صفة حذف موصوفه أي: ومن آياته يريكم بها البرق خوفاً من الصاعقة، أو من الإخلاف، أو للمسافر، ﴿وَطَمَعًا﴾ في المطر، أو للحاضر[5]، ونصبهما على العلّية بتقدير مضاف، أي: إرادة خوفكم[6]، والخوف بمعنى الإخافة ويجوز كونهما حالين، أي: خائفين طامعين كقوله: كلمته شفاهاً[7]، ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً

---

(١) في «ح»: ما نشأ.

(٢) في «ح»: فعلت.

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ص».

(٤) في هامش الأصل، و«ص»: «البيت لعروة بن الورد، أوّله:

سقوني الخمر ثمّ تكنفوني عداة الله من كذبٍ وزور.

وبه كذلك: يقال آثر ذي أثير: أي أوّل كلّ شيء».

وهو من بحر الوافر. والشاهد فيه: فقلت ألهو، فتقدر فيه «أن».

انظر: ديوانه (٥٧)، والخصائص (٢/٤٣٥)، والأغاني (٣/٧٦)، والكشّاف (٤/٥٧٢).

(٥) قال قتادة وأبو صالح عن ابن عباس: «خوفاً للمسافر وطمعاً للمقيم».

وقال الضحاك: «خوفاً من الصواعق وطمعاً للمقيم»، وبه قال الحسن، وعطاء عن ابن عباس.

انظر: النكت والعيون (٤/٣٠٧)، وزاد المسير (٤/٣١٣).

(٦) في «ص»: الإضافة.

(٧) انظر: الكشّاف (٤/٥٧٢ـ٥٧٣)، وأنوار التنزيل (٥٣٧).

فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ بالنبات مجاز حكمي، ﴿ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾ «يبسها وذهاب نضارتها، مجاز لغوي، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ «يستعملون عقولهم، ولما كان خلق الأزواج للألفة والاطمئنان إليها وإيقاع المودة والرحمة بين الزوجين الذي لا يتمّ أمر التعيش إلاّ به فيه غموض يحتاج إلى تأمل وتدبّر جعل الفاصلة التفكر. وخلق السموات والأرض واختلاف الألسن لما كان محسوساً لا يحتاج إلاّ أن يكون الناظر فيها من أُولي العلم أو العقل فصل الآية به، ولما كان وجه الحكمة في تعاقب اللّيل والنهار للاستراحة وكسب المعاش في غاية الظهور اكتفى فيها بالسماع، وفي إراءة البرق وإنزال الماء لإحياء الأرض بالنبات بعد ذهاب نضارتها وكيفية تكونها ليظهر كمال قدرة الصانع نوع خفاء(١) يحتاج إلى توجيه العقل نحوه أوقع الفاصلة «يعقلون».

وأمّا قيام السماء والأرض بأمره فأمر بيّنٌ فلم يحتج إلى ذكر شيء من أدوات الإدراكات(٢) ولذلك(٣) قال: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا

وقول المصنّف: «كلمته شفاهاً»، مما يورده النحاة على مجيء المصدر حالاً، التقدير: كلمته مشافهاً. انظر: المساعد (١/١٠)، وشرح المفصل (٢/٥٩).

(١) في «ص»: خفاً.

(٢) في «ح»، «ص»: الإدراك.

(٣) في هامش الأصل، «ص»: «هذه الدفائن قد لا تجدها إلاّ في كلام المؤلف والله ذو الفضل العظيم يؤت من فضله من يشاء». انظر بنحوها: البحر المحيط (٧/١٦٧).

دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ «(إذا» الأولى شرطية، والثانية فجائية داخلة على الجزاء قائمة مقام الفاء، والجملة الجزائية في تأويل المفرد معطوفة على «أن تقوم». وإنما غير الأُسلوب؛ إشعاراً بأن هذه الآية خارجة عن جنس تلك الآيات مستقلة مقصودة في ذاتها وهن مقدماتها[1]. «ومن الأرض» متعلّق بدعا كقولك: دعوته من المسجد إذا كان المدعو فيه، ولا يجوز تعلّقه بـ«تخرجون»؛ لأنّ ما بعد «إذا» لا يعمل[2] فيما قبلها[3]، والداعي هو إسرافيل[4]؛ لقوله: ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾[5].

ولما روي أنّ إسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس وينادي: أيتها العظام البالية واللّحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إنّ الله يأمركنّ بالحضور للقضاء[6].

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٥٧٣ـ٥٧٤)، وأنوار التنزيل (٥٣٧).

(٢) في «ق»: لا يعمل.

(٣) انظر: هذه المسألة بتوسع في: ارتشاف الضرب (٢/٢٤٠)، والجنى الداني (٣٧٧)، ومغني اللبيب (١/٨٧)، والمساعد (١/٥١٠)، وهمع الهوامع (١/٢٠٦).

(٤) انظر: زاد المسير (٦/٢٩٦).

(٥) الآية (٤٢) من سورة «ق».

(٦) قاله كعب الأحبار.

انظر: جامع البيان (٢٦/١٨٣)، والكشّاف (٥/٦٠٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/٣٨٨).

وقيل: هو الله تعالى[1]، وذكر «دعوة»؛ إشارة إلى سرعة خروجهم وأنه لا يتوقف إلاّ على مجرد ما ينطلق عليه اسم[2] الدّعاء، والعطف بـ«ثمّ»[3]؛ للدلالة على عِظَم ذلك الأمر وكمال اقتدار الله، ويجوز أن يكون للتراخي زماناً. خلقاً وملكاً، نافذ فيهم أمره طوعاً أو كرهاً[4]. أصل القنوت: الطاعة، وقد جاء بمعنى الدعاء والخشوع والصلاة[5] والقيام وطول القيام والسكوت[6] كما في حديث زيد بن أرقم[7]:

---

(١) في «ق»: تعلى.

(٢) في «ص»: اسمه.

(٣) في «ق»: يتمّ.

(٤) في «ق»: وكرهاً. كما في «قنت شهراً».

(٥) في الأصل: الصلوة.

(٦) وردت في هذه المعاني نصوص منها:

- ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ الآية (١١٦) من سورة البقرة، والآية (٢٦) من سورة الروم.
- ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ الآية (٢٣٨) من سورة البقرة.
- ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ﴾ الآية (٤٣) من سورة آل عمران.
- ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ﴾ الآية (٣٤) من سورة النساء.
- ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا﴾ الآية (١٢٠) من سورة النحل.
- ﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الآية (٣١) من سورة الأحزاب.
- ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ الآية (٩) من سورة الزمر.
- ﴿وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾ الآية (١٢) من سورة التحريم.

انظر: نزهة الأعين النواظر (٤٨٣-٤٨٤)، وإصلاح الوجوه والنظائر (٣٩١)، وبصائر ذوي التمييز (٤/٢٩٨).

(٧) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الخزرجي الأنصاري، أبو عمرو، ويُقال أبو عامر، غزا مع رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة، استصغره رسول الله ﷺ يوم أُحد وردّه، من مشاهير الصحابة، مات بالكوفة سنة ٦٦هـ، وقيل: ٦٨هـ.
انظر: تهذيب الأسماء واللّغات (١/١٩٩)، وسير أعلام النبلاء (٣/١٦٥).

«كنا نتكلم في الصلاة[1] حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[2] فسكتنا»[3].

وعن أبي سعيد مرفوعاً[4]: «كلّ قنوت في القرآن بمعنى الطاعة»[5].

من البدء في مجاري عرفكم وإن كان الكلّ تحت قدرته على السواء، وفيه تسفيه لهم حيث جهلوا هذا القياس الجلي.

---

(١) في الأصل: الصلوة.

(٢) بعض الآية (٢٣٨) من سورة البقرة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: «وقوموا لله قانتين» (٢٠٣/٣) ح٤٥٣٤.

(٤) مرفوعاً: المرفوع اسم مفعول من الرفع.

واصطلاحاً: ما أُضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.

انظر: الموقظة في علم مصطلح الحديث (٤١)، وتيسير مصطلح الحديث (١٢٧).

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٢٣٩/١٨) ح١١٧١١.

قال المحقق: «إسناده ضعيف؛ لضعف ابن لهيعة، وهو عبد الله، ولضعف درّاج». وأبو نعيم في الحلية (٣٢٥/٨)، وابن كثير في تفسيره (٢٣١/١) وقال: « ...، ولكن هذا الإسناد ضعيف لا يعتمد عليه، ورفع هذا الحديث منكر، وقد يكون من كلام الصحابي أو من دونه، والله أعلم، وكثيراً ما يأتي بهذا الإسناد تفاسير فيها نكارة فلا يغتر بها؛ فإن السند ضعيف».

وعن ابن عباس: «الأهون بمعنى الهين»[1]. وقيل الضمير في «عليه» للخلق[2]، ويردّوه ما في البخاري من الخبر القدسي[3]: «كذّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك يقول[4]: لن يعيدني كما بدأني، وليس أوّل الخلق بأهون عليّ من إعادته»[5]. الوصف العجيب الشأن. عن ابن عباس هذا مثل قوله: ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًاۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[6] يريد أنّ ذاته لا تشبه الذوات ولا

---

(١) انظر: النكت والعيون (٤/٣٠٩)، ومعالم التنزيل (٣/٤٨١) وزاد نسبته لقتادة، والكلبي، والربيع بن خثيم.

(٢) قاله ابن عباس في رواية عنه، وقطرب.
انظر: زاد المسير (٦/٢٩٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٢).

(٣) الخبر القدسي: نسبة إلى القُدُس أي: الطهر، أو إلى ذات الله المقدّسة، وهو: ما نقل إلينا عن النبي ﷺ عن ربه بلفظ: قال الله، أو فيما يرويه عن ربه.
انظر: تيسير مصطلح الحديث (١٢٦).

(٤) في «ح»، «ص»: بقوله.

(٥) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: «وقالوا اتخذ الله ولداً» (٣/١٩٢) ح٤٤٨٢، وأخرجه أحمد في المسند (١٣/٥٣١) ح٨٢٢٠، والنسائي في السنن الصغرى، كتاب الجنائز، باب أرواح المؤمنين (٢٩١) ح٢٠٨٠.
وقول المصنّف: «وليس أوّل الخلق بأهون عليّ من إعادته»، لم يذكر في الكتب السابقة، وقد أورده ابن كثير عن ابن مردويه.
انظر: تفسير القرآن العظيم (١/٢٣١).

(٦) بعض الآية (١١) من سورة الشورى.

صفاته تماثل الصفات[1]. وعن قتادة هو قول لا إله إلاّ الله[2]، يريد التوحيد، يتعلّق بالأعلى، أو بالخبر الذي يتعلّق به الجار أي: يشهد له مَن فيها من الأشخاص وما فيها من الأجزاء إمّا نطقاً أو دلالة، الغالب الذي لا يُغالب، الذي لا يفعل شيئاً إلاّ لحكمةٍ ولذلك.

قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [٢٨-٣٢].

﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ ﴾ منتزعاً منها، فإنّ للأمثال شأناً في إبراز المعاني وتقريرها في النفوس؛ لإراءتها المعقول في صورة المحسوس لا سيما إذا كان المثل حالاً من أحوال الممثل له[3]، ﴿ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم ﴾ من

(١) انظر: النكت والعيون (٤/٣١٠)، ومعالم التنزيل (٣/٤٨١)، ومجموع الفتاوى (٢/٣٨٣ـ٣٨٦)، (١٦/٣٥٨).

(٢) انظر: النكت والعيون (٤/٣١٠)، ومعالم التنزيل (٣/٤٨١).

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن (١/٤٨٦ـ٤٨٨)، والإتقان (٤/٣٨ـ٣٩).

العبيد والإماء[1]، ﴿مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ من الأموال[2]، ﴿فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ﴾ تتصرفون فيه على السواء ﴿تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ كما يخاف الأحرار بعضهم من بعض. «من» الأولى ابتدائية، والثانية للتبعيض، والثالثة مزيدة لتأكيد النفي، وإذا كنتم تأنفون عن مشاركة ما ملكتم وأنتم وهم سواء في البشرية فكيف يجوِّزون[3] ذلك لربّ الأرباب خالق السادات والمماليك[4]!!، ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ مثل هذا التفصيل الجليّ يفصل سائر الآيات، ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ يتدبرون بعقولهم في الأمثال[5].

عن ابن عباس كان المشركون يقولون: لبيك لا شريك لك إلاّ شريكاً هو لك، فنزلت[6].

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٥٧٦).

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٥٣٧).

(٣) في «ق»: تجوزون.

(٤) انظر: الكشّاف (٤/٥٧٦)، ومدارج السالكين (١/٢٤٠)، والدر المصون (٩/٤٠).

(٥) قال القرطبي: «وهذه المسألة أفضل للطالب من حفظ ديوان كامل في الفقه؛ لأنّ جميع العبادات البدنية لا تصحّ إلاّ بتصحيح هذه المسألة في القلب فافهم ذلك».

الجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٣).

(٦) انظر: زاد المسير (٦/٢٩٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٣١٩)، والدر المصون (٦/٤٩٢).

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ﴾ أي: لا خفاء[1] في هذا المثل، ولكن[2] المشركين اتبعوا أهواءهم جاهلين لا علم لهم يكفّهم عن ذلك، ﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ﴾ أي: لا أحد يقدر على هداية من أراد الله ضلاله.

﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ لامتناع وقوع خلاف مراده، أو كما لا هادي لهم في الدنيا لا ناصر لهم في الآخرة من العذاب.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ﴾ أي: بعد ما بلّغت اصرف كلّك إلى طاعته مائلاً عن غيره غير ملتفت إلى سواه، والتعبير بالوجه؛ لأنّ من اهتمّ بشيء سدّد إليه نظره وقوّم له وجهه مقبلاً عليه، ويحتمل أن يكون حنيفاً حالاً من الدين[3]، ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ أي: عليكم أو الزموا فطرة الله، هي ما جبلوا عليه من القابلية والتمكن من الإيمان التي فطر الناس عليها[4]، لما روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ: «ما من مولود يولد إلاّ على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو

(١) في «ص»: لا خفأ.

(٢) في «ق»: ولاكن.

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٥٧٧)، وأنوار التنزيل (٥٣٨).

(٤) انظر: المفردات (٦٤٠) مادة «فطر»، والكشّاف (٤/٥٧٧)، ودرء تعارض العقل والنقل (٨/٣٥٩).

يمجّسانه»[1]. ولما رواه عياض[2]: «أن الله تعالى يقول: «خلقت عبادي كلّهم حنفاء فاجتالهم الشياطين عن دينهم»[3][4]. وقيل الفطرة: العهد في عالم الأرواح[5]، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾ خبر في معنى الإنشاء أي: لا تغيّروا تلك الفطرة، أو اعتراض كأنه قيل: إلزموا تلك الفطرة؛ إذْ لا قدرة لكم على هداية من

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب سورة الروم (٣/٢٧٥) ح٤٧٧٥، ومسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب القدر، باب معنى كلّ مولود يولد على الفطرة (١٦/٢٠٧)، وأبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في ذراري المشركين (٤/٢٢٩) ح٤٧١٤، والترمذي في سننه، كتاب القدر، باب ما جاء كلّ مولود يولد على الفطرة (٤٩١) ح٢١٣٨.

(٢) عياض: عياض بن حمار المجاشعي، صحابي، اعتبره بعضهم من أهل الصفة، كان ممن نزل البصرة من الصحابة، روى ثلاثين حديثاً عن رسول الله ﷺ، وروى عنه الحسن البصري، ومطرف، ويزيد ابنا عبد الله.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (١٧/١٩٧).

قوله: «فاجتالتهم»: استخفتهم فجالوا معهم في الضلال.

النهاية في غريب الحديث (١٧٤) مادة «جول».

(٤) في هامش الأصل، «ص»: «الحديث الأوّل رواه البخاري، والثاني مسلم».

(٥) انظر: معالم التنزيل (٣/٤٨٢)، والمحرر الوجيز (١٢/٢٥٩)، ودرء تعارض العقل والنقل (٨/٣٥٩).

خُلِقَ شقياً"[1]، ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ أي: الدين المأمور به هو الدين الذي لا اعوجاج فيه، ذلك؛ ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾؛ لإخلالهم بالنظر الصحيح.

﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾ حال من ناصب «فطرة» لا من فاعل «أقم»، ومعنى كون خطابه خطاباً لأُمته باعتبار الحكم وشموله[2]. والإنابة: الرجوع إلى الله

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٥٧٨–٥٧٩)، وأنوار التنزيل (٥٣٨).

(٢) في هامشٍ بالأصل: «ردّ على القاضي، فإنه جوّز أن يكون حالاً من فاعل «أقم» مستدلاً بأنّ خطابه خطاب لأُمته، إذْ لا يشكّ أحدٌ في أنّ قوله: «يا أيها النبي»، «يا أيها النبي» لا يتأدّى به عبرة، وإن كان ذلك عامّاً إلاّ أنّ الإعراب إنما يراعى فيه مراعاة الألفاظ».

وفي هامش «ص»: «ردّ القاضي لتجويزه أن يكون حالاً من فاعل «أقم» استدلالاً بأن خطابه خطاب لأُمته، وجه الردّ: أنّ ذلك باعتبار المعنى دون اللّفظ». انظر: أنوار التنزيل (٥٣٨).

والخطاب الموجّه للرسول ﷺ يجيء على ثلاثة أنواع:

الأوّل: أن يرد دليل أو تجيء قرينة تدلّ على التخصيص، فهذا خاص به، قال تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ آية [٥٠] من سورة الحزاب.

الثاني: أن يرد دليل على التعميم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ أية [١] من سورة الطلاق، ودليل العموم هنا «فطلقوهنّ».

الثالث: أن لا يرد ما يدلّ على التخصيص أو التعميم، وهذا النوع عامّ يشمل الأُمّة، قال تعالى: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ آية [٦] من سورة الزمر.

بالتوبة مرّةً بعد أُخرى من التوبة[1]، ﴿وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ معطوفات على ذلك المضمر الناصب.

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ بدل من المشركين أي: آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه، أو كلٌّ ذهب إلى رأي. وقرأ حمزة، والكسائي «فارقوا» بألف بعد الفاء، أي: تركوه، وهذا أبلغ[2]، ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ فِرقاً كلّ فرقة شيعةُ إمامِها الذي أضلّها[3]، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ مبتدأ[4] وخبر[5]، [أي][6]: مسرورون به، بدينهم حقّاً كان أو باطلاً، أو «كلّ حزب» مبتدأ، و«من الذين فرقوا»: خبره، فيختصّ بالدين الباطل، و«فرحون» خبر بعد خبر، وقيل: صفة «كلّ»، وفيه أنه لبيان الكمية فلا يوصف إلاّ ما دخل عليه، فلا تقول: كلّ عالم فاضلٌ في الدار برفع فاضل[7].

انظر: البحر المحيط للزركشي (٣/١٨٦)، وشرح مختصر الروضة (٢/٤١١)، وزاد المعاد (٣/٣٠٧)، ونهاية السول (٢/٣٥٨)، وبدائع التفسير (٢/٥٥)، وأصول الفقه (١٦٦).

(١) انظر: المفردات (٨٢٧) مادة «توب»

(٢) وقرأ الباقون «فرقوا» بتشديد الراء وبغير ألف.
انظر: الكشف (١/٤٥٨)، والتيسير (١٠٨)، والموضح (٢/١٠٠٥)، والنشر (٢/٢٦٦).

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٤٧٩).

(٤) في الأصل، «ح»: مبتداء.

(٥) في «ق»: وخبره.

(٦) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٧) انظر: الكشّاف (٤/٥٧٩)، والبحر المحيط (٧/١٧٢)، ومغني اللّبيب (١/١٩٧–١٩٩)، والدر المصون (٩/٤٥).

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ [٣٣-٣٩].

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾ راجعين إليه بالتوبة، ﴿ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً ﴾ شفاء[1] من المرض، ونجاة من الشدّة، ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ فاجأ[2] فريق منهم الإشراك، وفي إيثار لفظ الربّ زيادة توبيخ لهم[3].

﴿ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ﴾ اللاّم للعاقبة، أو تعليل لما دلّ عليه الكلام أي: أفاض عليهم ليكفروا، أو لام الأمر للتهديد كقوله: ﴿ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ﴾[4][5] بدليل قوله: ﴿ فَتَمَتَّعُواْ ﴾ وإنما التفت مبالغة، ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ وبال تمتعكم.

(١) في الأصل: شفأ.
(٢) في النسخ كلّها: فاجاء.
(٣) انظر: أنوار التنــزيل (٥٣٨).
(٤) بعض الآية (٤٠) من سورة فصلت.
(٥) انظر: أنوار التنــزيل (٥٣٨)، والدر المصون (٩/٤٦).

﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا ﴾ أضربَ إلى ما هو أبعد، ﴿ فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴾ أي: بكونهم مشركين بالله، ويجوز أن يكون «ما» موصولة، والتكلم مجاز عن الدلالة، أو يقدر مضاف، أي: ذا سلطان، أي: ملكاً[1].

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً ﴾ أي: سعة وعافية، يريد بعضهم؛ لقوله في سورة هود: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ﴾[2]، ﴿ فَرِحُوا۟ بِهَا ﴾ بطراً، ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ ﴾ شدّة، ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ بسبب معاصيهم، ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ فاجاؤا القنوط لا كالمؤمنين الشاكرين في السراء والضراء[3].

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ تتميم للإنكار على مَن بطر النعمة، ويئس عند زوالها وقد علم أن القابض والباسط هو الله فهلاّ[4] رجع إليه بالتوبة ليعيدها، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ بأن الكلّ منه تعالى[5] إذا سُلِبوا نعمة ذكروا الله. ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ يا محمد، أو مَن بُسِط له، إذا علمت أنّ البسط وضدّه من الله فآتِ الإحسان على هؤلاء ليكون مجلبة لإحسان الله إليك، واستدلّ به أبو حنيفة على وجوب نفقة المحارم إذا كانوا

---

(١) انظر: الكشّاف (٤/٥٧٩ـ٥٨٠)، وأنوار التنزيل (٥٣٨).

(٢) بعض الآية (١١).

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٥٣٩).

(٤) في «ق»: هلا.

(٥) في «ق»: تعلى.

فقراء، وفيه أنّ ذي القربى يعمّ المحارم وغيرهم، وحقّه: سائر أنواع البرّ[1].

﴿ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ حقهما من الزكاة[2]، ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ﴾ أي: يقصدون بمعروفهم إيّاه خالصاً، أو جهة التقرب إليه لا جهة أُخرى، وقيل: النظر إلى وجهه[3]، ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الفائزون.

﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ ﴾ ما أعطيتم أكلة الربا[4] زيادةً على حقهم، ﴿ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ فلا يزكو ذلك عند الله ولا يبارك فيه؛ لكونه حراماً[5].

---

(١) اختلف العلماء في حكم النفقة على المحارم إذا كانوا فقراء على أقوال:

الأوّل: وجوب النفقة على المحارم، وهو رأي الأحناف.

الثاني: عدم وجوب النفقة لغير الوالدين والمولدين من القرابة كالأخ وابنه، والعمّ وابنه، وهو رأي الشافعي.

الثالث: التفصيل باعتبار الإرث، فتجب النفقة على كل من كان وارثاً كالأخ وابنه، ولا تجب النفقة على من لا يرث.

وقد اتفق العلماء على استحباب الصلة لذوي القرابة في الجملة.

انظر: الكشّاف (٥٨٠/٤)، والمجموع شرح المهذب (٢٩٧/١٨)، والهداية (٤٦/٢)، والجامع لأحكام القرآن (٣٥/١٤)، وأنوار التنزيل (٥٣٩)، والبحر المحيط (١٧٤/٧)، وروح المعاني (٤٤/٢١).

(٢) في النسخ كلّها: الزكوة.

(٣) انظر: الكشّاف (٥٨٠/٤)، وأنوار التنزيل (٥٣٩).

(٤) في الأصل، «ح»، «ص»: الربوا.

(٥) انظر: الكشّاف (٥٨٠/٤).

وعن ابن عباس: هذا في الربا[1] المباح، وهو أن يهدي الرجل إليك مريداً أن تثيبه أكثر من هديته[2]، واستدلّ بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾[3]، وبالحديث: «المُستغز[4] يُثاب من هديته»[5]. وقرأ ابن كثير «أتيتم» بالقصر من الإتيان بالفعل[6]، ونافع «لتُرْبوا» بضمّ التاء وإسكان الواو خطاباً من الإرباء، أي: لتريدوا[7] في أموالهم ولتزدادوا أنتم[8].

﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ﴾ يشمل الواجب والنفل، ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ ذوو الإضعاف من الثواب، لم يجر الكلام على السنن

(١) في الأصل، «ح»: الربوا، وفي «ص»: الربى.

(٢) انظر: النكت والعيون (٣١٦/٤)، ومعالم التنزيل (٤٨٤/٣)، وزاد المسير (٣٠٤/٦)، وبه قال الجمهور.

(٣) الآية (٦) من سورة المدثر.

(٤) في «ح»: المستفر. وفي هامش الأصل، «ص»: «اسم فاعل من استغز بالزاي المعجمة: إذا طلب أكثر مما أعطى». انظر: النهاية في غريب الحديث (٦٧٠) مادة «غزز».

(٥) ورد الحديث بلفظ: المستغز، والصواب: المستغزر.

أخرجه عبد الرزاق في المصنّف (١٠٦/٩)، قال الزيلعي: لم أجده إلاّ من قول شريح.

وحكم ابن حجر بوقفه على شريح. انظر: المحلّى (١٣٠/٩)، والكشّاف (٥٨١/٤)، وتخريج أحاديث الكشّاف (٥٨/٣)، والكافي الشاف (١٢٩) ح١٦٧.

(٦) وقرأ الباقون بالمدّ «آتيتم». انظر: السبعة (٥٠٧)، والتيسير (٨١)، والموضح (١٠٠٥/٢).

(٧) في «ح»، «ق»: ليزيدوا.

(٨) وقرأ الباقون «ليربوا» بالياء المفتوحة ونصب الواو.

انظر: السبعة (٥٠٧)، والتيسير (١٧٥)، والموضح (١٠٠٦/٢).

السابق كأنه يُعَرِّفُ ملائكته[1] وخواصّ عباده مكانة المصدّقين من عباده، ولما في اسم الإشارة من الإشعار بعلّية[2] الوصف، ويجوز تقدير الكلام: فمؤتوه[3] أولئك، وكم بين الوجهين[4][5].

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [٤٠-٤٥].

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ﴾ [«الله» مبتدأ، و«الذي خلقكم» خبره أو صفته،

---

(١) في «ص»: ملئكته.

(٢) في «ق»: بغلبة.

(٣) والتقدير: فمؤتوه أولئك هم المضعفون.

(٤) انظر: الكشّاف (٥٨١/٤)، وأنوار التنزيل (٥٣٩).

(٥) هامش من الأصل، «ص»: «يشير إلى أنّ الوجه الأوّل أملأ فائدة من وجوه:

الأوّل: الإشارة بـأولئك إليهم. **الثاني**: تعريف حالهم للملائكة. **الثالث**: حسن الالتفات.

الرابع: أنّ «أولئك» مدح للفاعل على ذلك التقدير بخلاف الثاني، فإنه مدح للفعل».

وانظر: الكشف على الكشّاف (٣٩٠/ب).

و«هل من شركائكم» هو][1] الخبر، والرابط اسم الإشارة، هذه خواصّ الأُلوهية، أثبتها لذاته بكلام خالٍ عن التوكيد؛ لكونها أُموراً مسلّمة لا نزاع لهم فيها، «من» الأولى للتبعيض، تفيد أنّ ما منهم فاعل قطّ، والثانية أيضاً كذلك تفيد أنّ بعضاً من تلك الأفعال لا يتأتى من أحد من شركائهم فضلاً عن الكلّ، والثالثة مزيدة؛ لتوكيد شمول النفي، أي: ما ينطلق عليه اسم الشيء[2].

ولما بيّن استحالة الشريك قدّس ذاته قائلاً: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ عن إشراكهم أو ما أشركوه به.

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ عن ابن عباس [رضي الله][3] عنه: البرّ هو المفاوز[4]، والبحر: المدن والقرى[5]؛ لما روى البخاري أنّ رسول الله صالح ملك أيله وكتب له ببحره، أي: بلده[6]. وقيل: هما البر

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ص».

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٥٣٩)، والدر المصون (٩/٤٨).

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ص».

(٤) في «ص»: الفان، وفي «ح»، «ق»: المفازة.

(٥) انظر: معالم التنزيل (٣/٤٨٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٣٢٥).

(٦) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب خرص التمر (١/٤٥٩) ح١٤٨١ من حديث طويل عن أبي حميد الساعدي.

وانظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/٥٢٥-٥٢٦)، ومعجم البلدان (١/٢٩٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٣٢٦).

والبحر المعروفان[1]، ومعنى ظهور الفساد فيهما: محق البركات وقلّة المنافع في كلّ صنف من أصناف الأموال وأنواع الحِرَف، بشؤم الظلم والمعاصي[2]، وفي الحديث: «إذا مات الفاجر استراح منه العباد والبلاد والشجر والدواب»[3]. وعن الإمام أحمد بن حنبل: وُجِدَ في زمن ابن زياد[4] صرّة[5] فيها البر كلّ حبةٍ مثل نوى التمر مكتوب على الصرّة: هذا نبت في زمان العدل[6].

﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إنما فعل بهم ذلك ليذيقهم في الدنيا بعض جزاء تلك المعاصي عسى أن يعتبروا ويقلعوا عنها.

---

(١) قاله الحسن.

انظر: المحرر الوجيز (١٢/٢٦٥).

(٢) اختار ابن عطية هذا القول وقال: «وهذا هو القول الصحيح، وعليه رأي ابن جزي».

المحرر الوجيز (١٢/٢٦٥).

وانظر: التسهيل (٣/١٢٤). واختار ابن كثير القول الأوّل وقال: «والقول الأوّل أظهر وعليه الأكثر». تفسير القرآن العظيم (٦/٣٢٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت بلفظ: «والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب» (٤/١٩٣) ح٦٥١٢، وأخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في مستريح ومستراح منه (٧/٢٠) بلفظ البخاري.

(٤) ابن زياد: لم أجد له ترجمةً فيما توفّر لديَ من المراجع. والله أعلم.

(٥) صُرّة: الصرّة ما يجمع فيه الشيء ويربط عليه.

انظر: المعجم الوسيط (١/٥١٢) مادة «صر».

(٦) المسند (١٣/٣٣١) ح٧٩٤٩.

وقال المحقق: «هذا خبر إسناده ضعيف لا يثبت، وليس هو بحديث، ولا ندري وجه وقوعه في مسند أبي هريرة».

قرأ ابن كثير في رواية قنبل «لنذيق» بالنون وهو أشدّ تهويلاً[1].

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ أي: إذا قَصُرَ إدراككم عن المعقولات سيروا في الأرض لتشاهدوا بالأبصار آثار الأُمم المكذّبة وما حلّ بهم. ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾[2]، ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ مثلكم.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ الشديد الاستقامة، ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ لا يقدر على ردّه أحد، الجار متعلّق بـ«يأتي»، ويجوز تعلّقه بـ«مردّ»؛ لأنه مصدر بمعنى الردّ، أي: لا ردّ له من جهته؛ لإبرام القضاء بعد تعلّق الإرادة[3]، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ يتفرقون تفرقاً لا اجتماع بعده[4]، ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[5].

---

(١) وقرأ الباقون بالباء.

انظر: السبعة (٥٠٧)، والتيسير (١٧٥)، والموضح (٢/١٠٠٧)، والنشر (٢/٣٤٥).

(٢) بعض الآية (٥٢) من سورة النمل.

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٥٨٢ــ٥٨٣)، وأنوار التنزيل (٥٤٠).

(٤) قاله ابن عباس.

انظر: النكت والعيون (٤/٣١٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٤٢).

(٥) بعض الآية (٧) من سورة الشورى.

﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ ﴾ لا يتجاوزه إلى آخر، ﴿ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ ﴾ يُسوّون المنزل ويفرشونه في الجنة، كمن أراد الرّقاد في مكان لا يتّقي فيه شيئاً مما يؤذي الرّاقد[1]، أو يشفقون على أنفسهم كناية عن كمال الشفقة، في المثل: أُمٌّ فرشت فأنامت[2]. قال قراد بن غوية[3][4]: وكنت له عمّاً لطيفاً ووالداً[5].

﴿ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ تعليل لـ«يـمهدون» دلّ بمنطوقه على اختصاصهم بالجزاء، وبمفهومه على أنهم أهل الزّلفى والمحبة، ﴿ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ ﴾ أي: ذلك بفضل منه لا أداءً للواجب، ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ دلّ تصريحاً على أنّ عدم المحبة اقتضى حرمانهم، وبمفهومه على أنّ مقتضى الجزاء موفّر لأضدادهم فيلزم منه محبة المؤمنين[6].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٤/٤٢).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٥٨٣)، والكشف على الكشّاف (٣٩٠/ب).

(٣) في «ص»: بن عرمة، وفي هامش الأصل: «غُويّة بضمّ المعجمة وتشيد الياء على وزن المصغّر».

(٤) قراد بن غوية: لم أجد له ترجمة فيما توافر لدي من كتب التراجم والأدب واللّغة.

(٥) تمامه: ...... رؤوفاً وأُمّاً فرّشت فأنامت.

والبيت من بحر الطويل. انظر: الكشف على الكشّاف (٣٩٠/ب).

وذكره الباخرزي في دمية القصر (١/٤٩٨) من غير نسبة. بلفظ:

وقد كان لي عمّاً لطيفاً ووالداً رؤوفاً وأُمّاً مهّدت فأنامت.

(٦) انظر: أنوار التنـزيل (٥٤٠).

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [٤٦-٥٠].

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ ﴾ أيام المطر، وهي الصبا والشمال والجنوب(١)، ومنه قوله ﷺ: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»(٢) يريد

---

(١) **الصَّبا**: ريح تهب من المشرق وتسمى القبول؛ لأنها تستقبل البيت.

انظر: لسان العرب (٤/٢٣٩٨) مادة «صبا».

والشمال: ريح تهب من جهة الشمال، سميت باسم الجهة، ويُقال لها شمأل.

انظر: لسان العرب (٤/٢٣٣٠) مادة «شمل».

الجنوب: ريح شتوية تهب من الجنوب، قال الأصمعي: «إذا جاءت الجنوب جاء معها خير وتلقيح». انظر: لسان العرب (٢/٦٩٤) مادة «جنب».

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤/٣٤١) ح٢٤٥٦، والطبراني في الكبير (١١/٢١٣) ح١١٥٣٣، وابن عدي في الكامل (٢/٧٦٣) وفي إسناد الحديث حسين بن قيس الملقب بحنش، قال عنه الهيثمي: متروك، وكذا قال ابن حجر. انظر: مجمع الزوائد (١٠/١٣٥)، وتقريب التهذيب

به الدبور فإنه للعذاب[1]. قال: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور»[2].

﴿ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ عطف على «مبشرات» كأنه قال: ليبشركم وليذيقكم، أو على علّة محذوفة دلّ عليها مبشرات، أو على «يرسل» بإضمار فعل معلل دلّ عليه. ﴿ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ بإرادته لا بمجرد الرياح؛ إذ ليس كلّ ريح مواتيه، وقيل: أراد أنه من أموره الخاصّة التي لا يقدر عليها غيره[3]، ﴿ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ هو تجارة البحر[4]، ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ولكي يشكروا نعمة الله فيها.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ ﴾ فانتقمنا من المجرمين للذين آمنوا، ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ على المجرمين، رفع من شأن المؤمنين وأهلهم للكرامة حيث جعلهم مستوجبين للنصر منه، وقد يوقف على «حقاً» أي: كان

(١٧٨/١)، ورواه الشافعي في الأم (٢٥٣/١) بلفظ: «أخبرني من لا أتّهم»، وهذا المبهم هو إبراهيم بن أبي يحي وهو ضعيف. انظر: الكافي الشاف (١٢٩) ح١٦٨.

وقال الألباني عن الحديث: «ضعيف جداً كما في ضعيف الجامع الصغير (٦٤٦) ح٤٤٦١.

وانظر: شفاء العي بتخريج وتحقيق مسند الشافعي (٣٤٤/١) ح٥٠٢.

(١) الدّبور: ريح تهب من جهة الغرب، يُقال: دبرت الريح: تحولت دبوراً.

انظر: لسان العرب (١٣٢٠/٣) مادة «دبر».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستسقاء، باب قول النبي ﷺ: «نصرت بالصبا» (٣٢٥/١) ح١٠٣٥. وانظر: الكشّاف (٥٨٤/٤)، والدر المصون (٥٠/٩).

في هامش الأصل، «ق»: «العرب تزعم أنّ السحاب لا يلقح إلاّ من رياح مختلفة».

انظر: الكشف على الكشّاف (٣٩١/أ).

(٣) انظر: الكشّاف (٥٨٤/٤)، الكشف على الكشّاف (٣٩١/أ)، والجامع لأحكام القرآن (٤٣/١٤).

(٤) انظر: الكشّاف (٥٨٤/٤)، وزاد المسير (٣٠٨/٦).

ذلك الانتقام حقاً، ثمّ يبتديء: «علينا نصر المؤمنين»، أي: في كلّ أوان[1]، وعن أبي الدرداء[2] أنّ رسول الله قال: «ما من امرئ مسلم يردّ عن عرض أخيه إلاّ كان حقّاً على الله أن يردّ عنه نار جهنم، ثمّ تلا هذه الآية»[3].

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ أشار[4] إلى كيفية إنشاء السحاب، ترى السماء صاحية، فيرسل ريحاً فتثير سحاباً، إمّا إنشاءً من العدم، أو من البحر كما قيل، فيكثّره شيئاً فشيئاً ويمدّه كيف يشاء

---

(١) انظر: إيضاح الوقف والابتداء (٢/٨٣٥)، والقطع والائتناف (٥٦٤)، والمكتفى (٤٤٩)، ومنار الهدى (٢١٨).

(٢) أبو الدرداء: عويمر بن مالك بن زيد الخزرجي الأنصاري، شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلّها بعد أحد، ولي قضاء دمشق في عهد عثمان بن عفّان ﷺ، مات سنة ٣٢هـ.
انظر: الطبقات الكبرى (٧/٣٩١)، وسير أعلام النبلاء (٢/٣٣٥).

(٣) في هامش الأصل: «رواه ابن أبي حاتم في تفسيره». انظر: (٩/٣٠٩٣) ح١٧٥١٣.
أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢٣٩) ح٦٨٧ بنحوه، وأحمد في المسند (٤٥/٥٢٤) ح٢٧٥٣٦، قال المحقق: «حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف ليث وشهر بن حوشب»، والترمذي في كتاب البرّ والصلة، باب ما جاء في الذبّ عن عرض المسلم (٤٥٠) ح١٩٣١، وقال: «هذا حديث حسن»، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٢٩٢) ح٨٩٠، والطبراني في المعجم الكبير (٢٤/١٧٥) ح٤٤٢، والبغوي في شرح السنة ح٣٥٢٨، وذكره ابن حجر في الكافي الشافِ (١٢٩) ح١٧٠، وقال: «وإسناده ضعيف»، وعدّه الألباني في الضعيفة (٢/٥٠) ح٥٨٠.
وانظر: مجمع الزوائد (٨/٩٥)، والفتح السماوي (٢/٩٠٥ـ٩٠٦)، غاية المرام (٢٤٦) ح٤٣١.

(٤) في «ق»: إشارة.

متصلاً ومتفرقاً كثيفاً ورقيقاً[1]. وقرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي «الريح» مفرداً؛ لإرادة الجنس[2]، ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ قطعاً جمع كسفة كقطع في قطعة[3].

وقرأ ابن عامر في رواية ابن ذكوان وإحدى روايتي هشام بالسكون، إمّا لأنه مخفف بالإسكان، أو مصدر[4]، ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ أي: المطر[5]، ﴿يَخْرُجُ مِنْ

---

(١) ذكر العلماء السابقون للكوراني نشوء السحاب وأنه يجيء من البحر أو من العدم، ومنهم الزمخشري وابن العربي المالكي، والرازي، وشيخ الإسلام ابن تيمية.

انظر: الكشّاف (٣٥٥/٦)، وأحكام القرآن لابن العربي (٣١٨/٤)، والتفسير الكبير (١١١/٢)، ومجموع الفتاوي (٢٦٢/٢٤).

وقول المصنّف: «أو من البحر». أشار إليه الزمخشري بقوله: « ...، وذلك أن العرب يزعمون أنّ السحاب يحمل الماء من بحار الأرض». ويُسمّى هذا في العصر الحاضر بالدورة الطبيعية للماء حيث يرتفع الماء من البحار والمحيطات على شكل بخار ثمّ يتكون السحاب وينزل إلى الأرض ويعود إلى البحار مرّةً أُخرى في توازن عجيب.

انظر: الموسوعة العربية العالمية (١٣/٢٢).

(٢) وقرأ الباقون بالجمع.

انظر: السبعة (١٧٢–١٧٣)، والكشف (٢٧١/١)، والموضح (٣٠٦/١–٣٠٧)، والنشر (٢٢٣/٢–٢٢٤).

(٣) قاله قتادة.

انظر: النكت والعيون (٣٢١/٤).

(٤) روي ابن مجاهد من جميع طرقه الإسكان عن هشام.

وقال ابن الجزري: «والوجهان جميعاً صحّا عندي عن الحلواني والداجوني عنه».

وقرأ الباقون بفتح السين.

انظر: السبعة (٣٨٥، ٥٠٨)، والموضح (٧٦٨/٢، ١٠٠٨)، والنشر (٣٠٨/٢–٣٠٩).

(٥) قاله مجاهد، والضحاك.

انظر: النكت والعيون (٣٢١/٤)، ومعالم التنزيل (٤٨٦/٣).

خِلَٰلِهِۦ﴾ في تلك الحالات، ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾ أي: بلادهم وأراضيهم[1]، ﴿إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ﴾ كرر لفظ «قبل» للتأكيد؛ دلالة على أنّ إبلاسهم وقنوطهم كان في غاية الاستحكام فيكون الاستبشار الواقع بعده في أقصى الدرجات[2].

﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ﴾ من النبات والأشجار والثمار، إشارةً إلى تحقيق طرف المعاد بعد البرهان على طرف المبدأ من إرسال الرياح وإنشاء السحاب.

وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو بكر «أثر» بالإفراد، والجمع أحسن؛ لتنوع الأثر[3]. ﴿كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ يبسها، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۖ﴾ الذي أحيا الأرض هو الذي يحي الموتى؛ لأنّ إحياءهم إعادة للحياة في تلك المواد كما أنّ إحياء الأرض إعادة للنضارة وإحداث القوى النامية بعد تلاشيها. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ برهان على ذلك؛ لاندراجه في هذه الكلية.

---

(١) انظر: أنوار التنزيل (٥٤٠).

(٢) انظر: الكشّاف (٤/٥٨٦)، وأنوار التنزيل (٥٤١).

(٣) وقرأ الباقون بالجمع. انظر: السبعة (٥٠٨)، والتيسير (١٧٥)، والكشف (٢/١٨٥)، والموضح (٢/١٠٠٩). وعلى قراءة الجمع أبو عبيد، والهذلي.

انظر: المنتهى (٥٣٢)، والإيضاح (١٨٦/أ)، والكامل (١٢٥/أ).

قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ [٥١-٥٤].

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ أي: أثر الرحمة وهو الزرع[1]، أو الريح؛ لأنه إذا كان مصفراً لا ينبت مصفراً[2]، ﴿لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾ اللاّم الأُولى موطّئة، والثانية داخلة على جواب القسم السادّ مسدّ الجواب. والريح المصفرّ هو الذي يضرب الزرع بالصفار، وهو آفة يصفر منه الزرع، ذمّ المشركين بأنهم لا يستدلون بالآيات على وحدانيته ولا يشكرون نعمته ولا يصبرون على بلائه، فهم أحقّاء بالانتقام، وفي ذلك تسليةٌ له ووعد بالنصر[3].

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾. ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ﴾ لما أكثر في البراهين القاطعة والأدلة النيّرة الساطعة ولم يزدادوا إلاّ طغياناً جعلهم موتى لا حِسّ لهم، وصمّاً لا سامعة لهم، وقيّد الإدبار؛

---

(١) قاله ابن عباس. انظر: النكت والعيون (٤/٣٢١)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٤٥).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٤/٤٥).

(٣) انظر: الكشّاف (٤/٥٨٦)، وأنوار التنزيل (٥٤١).

إشارةً إلى شدّة الامتناع، فإنّ الأصمّ إذا كان مقبلاً ربما فهم الإشارة، وعمياً لا يبصرون، وفي هذا الترتيب تنزّل من الأقوى إلى الأضعف مع اشتراك الكلّ في الاستحالة(١).

وقرأ ابن كثير «ولا يسمع» بالياء ورفع «الصمّ»، والخطاب أبلغ مع موافقته للأوّل(٢).

﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ لصرفهم القوى والحواسّ إلى التدبّر في آيات الله، ويجوز أن يُراد المشارفون(٣)، ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ منقادون لأوامر الله.

ولما لم تنجع فيهم آيات الآفاق تلا عليهم آيات الأنفس في أطوارها من أوّل النشأة إلى الانتهاء؛ فإنها أدلّ دليل وأعدل شاهد على الصانع القدير. ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ بنى عليه أساسكم لقوله: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾(٤)، أو من نطفةٍ لقوله: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾(٥). قرأ عاصم في رواية أبي بكر وأحد وجهي حفص وحمزة بضمّ الضاد، وهما لغتان، الفتح لغة

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٢٥/١٣٥)، وأنوار التنزيل (٥٤١).

(٢) وقرأ الباقون بالخطاب.

انظر: السبعة (٥٠٨)، والتيسير (١٦٩)، والموضح (٢/٩٧٠)، والنشر (٢/٣٣٩).

(٣) المشارفون: المؤمنون المشارفون للإيمان، والمعنى: من يُشارف أي: يتطلّع ويطمع في الإيمان بعد السماع.

انظر: أنوار التنزيل (٥٤١)، ولسان العرب (٤/٢٢٤٣) مادة «شرف».

(٤) بعض الآية (٢٨) من سورة النساء.

(٥) بعض الآية (٨) من سورة السجدة.

تميم، والضمّ لغة الحجاز[1]. ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ﴾ وقت البلوغ وأوان الشبيبة[2].

﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ ﴾ بالشيخوخة، والتنكير في المعاد للتغاير ﴿ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ﴾ كامل العلم والقدرة، ولذلك يحدث في مادة أطوار متباينة.

---

(١) وقرأ الباقون بفتح الضاد.

انظر: السبعة (٥٠٨)، والكشف (١/٤٩٥)، والتيسير (١٧٥)، والإقناع (١/٥٨٠ـــ٥٨٤)، والموضح (٢/٥٨٤).

في هامش «ص»: «رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي».

وهذا التخريج لحديث لم يذكره المصنّف وهو: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قرأتها على رسول الله ﷺ «من ضَعْف»، فأقرأني «من ضُعْف» أخرجه أحمد في المسند (٩/١٨٥) ح٥٢٢٧، قال المحقق: «إسناده ضعيف؛ لضعف عطية العوفي». وأبو داود في سننه، كتاب الحروف والقراءات (٤/٣١) ح٣٩٧٨، والترمذي في سننه، كتاب القراءات، باب ومن سورة الروم (٦٥٩) ح٢٩٣٦، وقال: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلاّ من حديث فضيل بن مرزوق»، والحاكم في المستدرك (٢/٢٤٧)، وقال: «تفرد به عطية العوفي و لم يحتجا به»، ووافقه الذهبي.

وقال ابن حجر: «في إسناده سلام بن سليمان». الكافي الشافِ (١٢٩) ح١٧١.

وانظر: الفتح السماوي (٢/٩٠٨) ح٧٨٩، وقراءات للنبي ﷺ وظواهرها اللّغوية (٧٧، ٨٧).

(٢) في الأصل: الشبيه، وفي «ص»: التشبيه.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [٥٥-٦٠].

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ في الدنيا(١)، أو في القبور(٢)؛ لاستعظامهم عذاب يوم القيامة، أو فيما بين فناء الدنيا والبعث؛ لما روي أنه لا يعذّب أحدٌ(٣) إذْ ذاك(٤)، الساعة الأولى علَمٌ ليوم القيامة(٥) كالنجم للثريا(٦) والكوكب للزهرة، والثانية ما يتعارفه الناس من الزمان، ﴿كَذَٰلِكَ

(١) قاله قتادة، ومقاتل، والكلبي.
انظر: النكت والعيون (٣٢٣/٤)، ومعالم التنزيل (٤٨٨/٣).
(٢) قاله يحي بن سلام، والكلبي.
انظر: النكت والعيون (٣٢٣/٤)، معالم التنزيل (٤٨٨/٣).
(٣) في «ح»: أحداً.
(٤) انظر: الكشّاف (٥٨٨/٤).
(٥) في النسخ كلّها: القيمة.
(٦) الثريا: سبعة نجوم مجتمعة، وهي من الطوالع الشامية، وتطلع على شكل عنقود عنب متلاصقة في ١٧ من برج الجوزاء. انظر: اليانع (٤١).

كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴾ يُصرفون في الدنيا عن الحقّ ويبنون أمرهم على الباطل، بيانٌ لحال المجرمين في الجهل المفرط، أو إشارة إلى أنّ ما اغتروا به من زخارف الدنيا ليس إلاّ ساعة باعترافهم.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ ﴾ من الملائكة[1] والإنس[2]، ﴿ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ﴾ في اللّوح، أو علمه، أو قضائه، والتعبير بالكتاب؛ للدلالة على عدم التبدّل كالشيء المكتوب، أو القرآن[3]؛ لقوله: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ ﴾[4]، ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ ﴾ الذي أنكرتموه، ﴿ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أنه كائن؛ لعدم تصديقكم الرّسل والكتب.

﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ ﴾ اعتذارهم لفوات وقته. وقرأ الكوفيون «لا ينفع» بالتذكير وهو أحسن؛ لوجود الفاصلة[5]، ﴿ وَلَا هُمْ

---

(١) في «ص»: الملئكة.

(٢) انظر: النكت والعيون (٤/٣٢٣) ونسب القول الأوّل للكلبي.

(٣) انظر: النكت والعيون (٤/٣٢٣)، والكشّاف (٤/٤٨٨)، وزاد المسير (٦/٣١٢)، وأنوار التنزيل (٥٤٢).

(٤) بعض الآية (١٠٠) من سورة المؤمنون.

(٥) وقرأ الباقون «لا تنفع» بالتاء.

انظر: السبعة (٥٠٩)، والحجة لأبي علي الفارسي (٥/٤٥٠ـ٤٥١)، والموضح (٢/١٠١٠)، والنشر (٢/٣٤٦).

﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾ يدعون إلى الاستغفار كما كانوا يدعون إليه في الدنيا يُقال: استعتبني فلان، أي: طلب مني إزالة العتاب فأعتبته، أي: أزلت عتابه[1].

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ من كلّ نوع من أنواع الدلائل الدالة على التوحيد، وكمال الصفات، وصدق الرّسل هي كالأمثال في الحسن والغرابة.

﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ من آيات القرآن دالة على شيء من تلك الأمثال، ﴿لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ من قسوة قلوبهم واستهجانهم حديث الآخرة، ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ مقصورون على التزوير لا يتخطّونه، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الطبع، ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لا يسعون في تحصيل العلم بمزوالة أسبابه.

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ فهو ناصرك ومظهر دينك، ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ لا يحملنك على الجزع والقلق[2] تكذيبهم.

وعده بالنصر في أوّل السورة وأوسطها وخاتمتها، وأمره بالصبر إشارة إلى أنّ بين يدي ذلك شدائد يليق بمثله أن يحتملها؛ ليوطّن نفسه على تلقيها بصدر رحيب إذا وقعت.

---

(١) انظر: المفردات (٥٤٤ ـ ٥٤٥) مادة «عتب»، والكشّاف (٤/٥٨٨)، وأنوار التنزيل (٥٤٢).

(٢) في «ح»: والعلق.

صلى الله عليه صلاة[1] توازي عناه وتجاري[2] غناه. والحمد لله على الشدّة والرّخاء في كلّ صباح ومساء.

* * * *

(١) في «ح»، «ص»: صلوة.

(٢) في «ح»: يجاري.

تفسير
سورة لقمان

سورة «لقمان» عليه السلام[1].

مكية وهي ثلاث وثلاثون[2] آية، وقيل: [أربع][3][4].

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ [١-٧].

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ أي: آيات السورة آيات الكتاب، وصف الكتاب بالحكيم؛ لاشتماله على الحِكَم، أو لكونه محكماً آياته، ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ المخلصين في الدين؛ لأنهم المنتفعون به، أو الذين

(١) في «ص»: ع. م، أي: عليه السلام.

(٢) في الأصل، «ح»، «ص»: ثلث وثلاثون.

(٣) ما بين المعكوفتين مطموسة في «ص».

(٤) عدد آيات السورة في العدّ المكي والمدني ثلاث وثلاثون، وفي العدّ الكوفي والبصري أربع وثلاثون.

انظر: الكشف (١٨٧/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (٣٤٩)، ومرشد الخلاّن (١٣٥).

يعملون الحسنات، أو جميع ما يحسن من الأعمال. ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ وصف كاشف على الأوّل والاستئناف موقعه، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ وعلى الثاني الموصول مبتدأ[1] وخبره ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى ﴾، وهو استئناف بذكر الصفة الموجبة للاستيهال كما مرّ[2]، وللصفة المادحة محمل حسن[3]، ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الفائزون بالبغية لأجل تلك الأوصاف.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ ما يُلهي، الإضافة بيانية وهو الحديث المنكر وهو[4] كلّ ما يصدّ عن ذكر الله، وفي الحديث: «الحديث في المسجد يأكل الحسنات»[5].

---

(١) في «ح»: مبتداء.

(٢) في الأصل، «ص»: «في أول سورة البقرة نظيره».

(٣) انظر: الكشّاف (١٤١/١)، (٥/٥)، والكشف على الكشّاف (٣٩٢/أ)، والدر المصون (٥٩/٩ــ٦٠).

(٤) في «ق»، «ح»: زيادة «من».

(٥) هذا الحديث لا أصل له. قال الحافظ العراقي: «لم أقف له على أصل».

انظر: المغني عن حمل الأسفار بذيل إحياء علوم الدين (١٤٦/١). ولم يخرجه الحافظان الزيلعي وابن حجر في تخريجهما لأحاديث الكشّاف. انظر: تخريج الأحاديث والآثار (٥٧/٢)، (٧٠/٣)، والكافي الشاف (٧٣) ح٩٥، (١٣٠) ح١٧٦، وكشف الخفاء (٣٥٤/١)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة (١٨/١) ح٤.

وروى الترمذي عن أبي أُمامة[1] أنّ الآية نزلت في ناس كانوا يشترون المغنيات[2]، والإضافة بيانية كخاتم الحديد، وقيل: الإضافة بمعنى «من» التبعيضية[3]. على أنّ المراد بالحديث مطلقه فلا يجب تقييد الحديث بالمنكر كما في الوجه الأوّل؛ لأنّ الغرض تمييز اللّهو القولي، والغرض تعجيب السّامعين

(١) أبو أُمامة: صُدي بن عجلان بن وهب الباهلي، صاحب رسول الله ﷺ، بايع تحت الشجرة، روى ٢٥٠ حديثاً، مات سنة ٨٦هـ، وقيل: ٨١هـ.
انظر: تهذيب الأسماء واللّغات (٢/١٧٦)، وسير أعلام النبلاء (٣/٣٥٩).

(٢) في هامش الأصل: «رواه الترمذي وفي إسناده ضعف».
والأثر أخرجه الترمذي بسنده عن أبي أُمامة في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة لقمان (٧٢٦) ح٣١٩٥، ولفظه:«لا تبيعوا القينات ولا تشتروهنّ ولا تعلّموهنّ، ولا خير في تجارة فيهنّ، وثمنهنّ حرام»، وفي مثل هذا أُنزلت عليه هذه الآية «ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله»، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب إنما يُروى من حديث القاسم عن أبي أُمامة، والقاسم ثقة، وعلي بن يزيد يُضعّف في الحديث، قاله محمد بن إسماعيل». يريد به البخاري.
انظر: التاريخ الكبير (٦/٣٠١)، وقال البخاري عنه: «منكر الحديث»، وأخرجه أحمد في المسند (٣٦/٥٠٢) ح٢٢١٦٩، قال محقق هذا الجزء: «إسناده ضعيف جداً». وابن ماجة في سننه، كتاب التجارات، باب ما لا يحلّ بيعه (٢/٧٣٣) ح٢١٦٨، والطبراني في الكبير (٨/١٩٨) ح٧٨٠٥، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٦/٣٣٤)، وقال: «علي ــ أي: علي بن يزيد ــ وشيخه والراوي عنه كلّهم ضعفاء». وابن حجر في الكافي الشاف (١٢٩) ح١٧٤، وضعّف الحديث من تلك الطريق.
وانظر: إغاثة اللّهفان (١/٢٤٠)، ومجمع الزوائد (٤/٩١).

(٣) انظر: الكشّاف (٥/٨)، وارتشاف الضرب (٢/٥٠٢)، وأوضح المسالك (٢٣٥).

ممن يختار أباطيل الحديث على الآيات والحِكَم[1]، ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ كما كان يفعله النضر بن الحارث[2][3] يقول: إن كان محمد يحدّثكم بأحاديث عادٍ وثمود فأنا أُحدّثكم أيضاً مثله، ويحكي لهم حروب الفرس من وقائع رستم[4] وأفراسياب[5][6].

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو بفتح الياء وهو أبلغ؛ لاستحقاقه العذاب بمجرد الضلال، ولسلامته من الحذف، والمراد: زيادة الضلال والاستمرار، أو أُريد به

(١) رجّح المصنّف في هذا الموطن الإطلاق؛ لأنه لا يرى التقييد، واختار الطبري العموم؛ لأنه لم يجد ما يدلّ على التخصيص. انظر: جامع البيان (٢١/٦٣).

(٢) في الأصل، «ص»: الحرث.

(٣) النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن قصي، كان من أشدّ أعداء المسلمين ويصدّ عن سبيل الله تعالى، ويؤذي النبي ﷺ، كان مع المشركين يوم بدر، فأُسر ثم أمر النبي ﷺ بقتله في الصفراء السنة الثانية للهجرة. انظر: السيرة النبوية (١/٣٥٨)، والبداية والنهاية (٣/٣٠٦).

(٤) رستم: هو حاكم سجستان، وليس قائد الفرس في القادسية، كانت بينه وبين حكام الفرس معارك منها المعركة التي قتل فيها إسفنديار. انظر: تاريخ الأمم والملوك (١/٢٩٥).

(٥) أفراسياب: ملك من ملوك الترك، يُقال: إنه دفن كنوزه في البحر الذي بناحية خوارزم، وكانت الكنوز ذهباً وجواهر، ثمّ ظفر بها أبرويز بن هرمز فأخذها، والله أعلم.

انظر: معجم البلدان (٤/٤٥٠).

(٦) قاله الكلبي ومقاتل.

انظر: أسباب النزول للواحدي (٤٠٠)، ومعالم التنزيل (٣/٤٨٩)، والكشّاف (٥/٦)، وزاد المسير (٦/٣١٥)، وأنوار التنزيل (٥٤٣).

الإضلال؛ لأنّ الضلال المضاعف لا ينفكّ عنه[1]، ﴿ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾ أي: بجهله، وإنما آثر ما في التنزيل؛ لدلالته على فقده أشرف الأشياء، ﴿ وَيَتَّخِذَهَا ﴾ أي: سبيل الله، ﴿ هُزُوًاۚ ﴾ سخرية.

وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص «ويتّخذَها» بالنصب، وهو أولى؛ لقرب المعطوف عليه، والباقون بالرفع إمّا استئنافاً، أو عطفاً على «يشتري»[2]، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ جزاء من جنس عملهم[3]؛ لاستهزائهم بالدين.

﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا ﴾ مترفعاً شامخاً أنفه، ﴿ كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ ﴾ ثقلاً لا يقدر على السماع. فالأوّل حال من المستكنّ في «مستكبراً» لا في «ولّى»، والثاني من المستكنّ في «لم يسمعها» لا بدلاً من الحال الأُولى؛ لفوات المبالغة المقصودة، وذلك أنه شبّه المستكبر بمن لم يسمع، ولما احتمل عدم السماع؛ لعدم الالتفات سلب عنه القابلية بطريان الآفة في الآلة[4]. وقرأ نافع بإسكان الذال[5]، ﴿ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ آثر التبشير على الإعلام والإخبار تهكّماً[6].

---

(١) وقرأ الباقون بضمّ الياء.

انظر: السبعة (٢٦٧)، والكشف (٤٩٩/١)، والموضح (١٠١٣/٢)، والنشر (٢٦٢/٢، ٢٩٩).

(٢) انظر: السبعة (٥١٢)، والكشف (١٨٧/٢)، والتيسير (١٧٦)، والموضح (١٠١٣/٢).

(٣) في «ق»: أعمالهم.

(٤) انظر: الكشّاف (٩/٥)، وأنوار التنزيل (٥٤٣)، والبحر المحيط (١٨٤/٧).

(٥) وقرأ الباقون بضمّ الذال.

انظر: السبعة (٢٤٤)، والتيسير (٩٩)، والموضح (٤٤١/١).

(٦) انظر: أنوار التنزيل (٥٤٣).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝١٠ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝١١﴾ [٨-١١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ كما أنّ لأضدادهم[1] العذاب الأليم، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ حال من ضمير «لهم»، أو من «جنات» إن جعل فاعل الظرف[2]، ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ مصدران مؤكّدان الأوّل لنفسه؛ لأنّ الإخبار السابق وعد بلا احتمال، وأمّا كونه حقّاً أعمّ مفهوماً فهو مؤكّد غيره[3]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب لا يمنعه شيء عن إنجاز الوعد، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي لا يفعل إلاّ ما اقتضته حكمته من مجازاة[4] الفريقين على وفق أعمالهم.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ احتجاج على من يُشرك به، ﴿تَرَوْنَهَا﴾ استئناف يؤكّد إذ لا علم أجلى من المحسوس، ويجوز أن يكون في محلّ الجر صفة

(١) في «ق»: لأضداد لهم.

(٢) انظر: التبيان في إعراب القرآن (٢/١٠٤٣)، والدر المصون (٩/٦٢).

(٣) انظر: الكشّاف (٥/٩)، والدر المصون (٩/٦٢).

(٤) في «ق»: مجازات.

«عمد»، والأوّل هو الوجه؛ لإيهام الثاني نفي المركّب من حيث هو[1]، ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ جبالاً ثوابت؛ كراهة أن تميل؛ لأنّ جرم الأرض بالنسبة إلى الماء في غاية الصغر فلا يخلو عن اضطراب[2]، ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ من كلّ نوع من أنواع ما يدبّ على الأرض. ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ التفت إلى التكلّم؛ لأنّ إنزال الماء من جهة العلو أبدع وأغرب، ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ من كلّ صنفٍ كثير المنافع.

﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ مخلوقه، ﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ ممن تشركون به، بكّتهم بما لا مجال لهم عن ردّه، ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ جلي لا يخفى على ناظر، آثر المظهر؛ للدلالة على أنّ الإشراك بعد هذه الحجة النيّرة كمال الظلم[3].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا

(١) انظر: الكشّاف (٩/٥)، والتبيان (٧٤٩/٢ـ ٧٥٠)، والدر المصون (٨/٧).

(٢) أشار المصنّف هنا إلى بعض الحكم من خلق الجبال، وعلّل ذلك بكبر حجم الماء بالنسبة إلى اليابسة. وقد قدّر العلماء مساحة الماء من بحار ومحيطات بأكثر من ٧٠% من الأرض.

انظر: الموسوعة العربية العالمية (٢٠٢/٨)، (٣٨٠/٢٢)، والظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن (٣٥).

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٥٤٣).

تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [١٢-١٩].

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ كان المشركون يرجعون إلى أهل الكتاب في أمر رسول الله، وقصّة لقمان، ونهي ولده عن الإشراك مشهورة عندهم فكانت حجة على المشركين، ولقمان هذا عبدٌ حبشي(١)، وقيل: نوبي(٢) كان أوّلاً راعياً، فآتاه

(١) قاله ابن عباس، ومجاهد، والربعي.

انظر: جامع البيان (٢١/٦٧)، والنكت والعيون (٤/٣٣١)، ومعالم التنزيل (٣/٤٩١).

(٢) قاله جابر بن عبد الله، وابن عباس، وابن المسيب، ومجاهد.

انظر: جامع البيان (٢١/٦٧)، والنكت والعيون (٤/٣٣١)، والتعريف والإعلام (٢٤٩)، والبحر المحيط (٧/١٨٦).

نوبي: نسبة إلى النوبة بلاد واسعة جنوب مصر، وبعضها شمال السودان.

انظر: معجم البلدان (٥/٣٠٩).

الله الحكمة، فكان قاضياً في بني إسرائيل إلى أن بُعِث داود فترك القضاء، فقيل له في ذلك فقال: كيف لا أتركها وقد كفيت بغيري[1]. وقيل: لم يكن عبداً بل كان من أولاد آزر[2]، عاش إلى زمن داود، عمّر ألف سنة[3]، واتّفق المفسّرون من الصحابة والتابعين على أنه لم يكن نبياً إلاّ ما تفرّد به عكرمة ومجاهد[4]. وعن قتادة: أنه خيّر بين النبوة والحكمة فاختارها، فقيل له في ذلك، فقال: خفت أن أضعف عن القيام بحقّ النبوة[5].

روي أنّ مولاه أمره بذبح شاةٍ وقال له: ائتني بأطيب المضغتين منها، فأتى بالقلب واللّسان، ثمّ أمره بذبح شاةٍ أُخرى بعد أيام وقال: ائتني بأخبث المضغتين

(١) انظر: الكشّاف (١٠/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥٩/١٤)، والبحر المحيط (١٨٦/٧).

(٢) آزر: اسم أبي إبراهيم عليه السلام، كان من أهل كوثى بالكوفة، وقيل: أنّ اسمه تارُح وآزر لقبه، والصواب ما أثبته القرآن.

انظر: جامع البيان (٢٤٢/٧ـ٢٤٣)، والمعرّب (١٣٤ـ١٣٥).

(٣) انظر: الكشّاف (١٠/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥٩/١٤).

(٤) انظر: النكت والعيون (٣٣١/٤)، ومعالم التنزيل (٣٩٠/٣)، والجامع لأحكام القرآن (٥٩/١٤)، وأنوار التنزيل (٥٤٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٣٦/٦).

(٥) انظر: معالم التنزيل (٤٩٠/٣)، والكشّاف (١٠/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٦٠/١٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٣٧/٦).

وفي هذا القول نظر. قال أحمد بن المنير: «وفي هذا بعد بيّن، وذلك أنّ الحكمة داخلة في النبوة وقطرة من بحرها، وأعلى درجات الحكماء تنحطّ عن أدنى درجات الأنبياء بما لا يقدر قدره، وليس من الحكمة اختيار الحكمة المجردة من النبوة». الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال (١٠/٥) بحاشية الكشّاف.

منها، فأتى بهما، فقال له: كيف وجه ما فعلت، فقال: هما أطيب شيء إذا طابا، وأخبث إذا خبثا[1].

وعن سعيد بن المسيب أنه وقف عليه أسود فقال له: لا تحزن فإنه كان من خير الناس ثلاثة[2] من السودان: لقمان وبلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب[3].

والحكمة: العلم المشفوع بالعمل، وهذا معنى استكمال النفس بحسب القوّة النظرية والعملية[4]، ولذلك فسّر إيتاءها بقوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ لتتناول اعتقاد الجنان وعمل الأركان والقول باللّسان، ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لأنّ نفعه لا يتخطّاه، يجوز أن يكون مما قيل للقمان، وأن يكون

---

(١) قاله خالد الربعي.

انظر: جامع البيان (٢١/٦٨)، والكشّاف (٥/١٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٦١)، وأنوار التنزيل (٥٤٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٣٣٦).

(٢) في الأصل: ثلثة.

(٣) انظر: جامع البيان (٢١/٦٧)، والكشّاف (٥/١٠ـ١١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٣٣٦). أمّا بلال: فهو بلال بن رباح الحبشي مولى أبي بكر الصديق، من السابقين إلى الإسلام وقد عذّب في الله عزّ وجلّ، وشهد بدراً، وكان مؤذن رسول الله ﷺ، وشهد له بالجنة على التعيين، مات سنة ٢٠هـ، وقيل ٢١هـ. انظر: التاريخ الكبير (٢/١٠٦)، وتهذيب الأسماء واللُّغات (١/١٣٦)، وسير أعلام النبلاء (١/٣٤٧).

مِهْجَع: بكسر الميم وفتح الجيم، مولى عمر بن الخطاب، صحابي من أهل اليمن، أوّل من قُتِل من المسلمين يوم بدر. انظر: تهذيب الأسماء واللُّغات (٢/١١٧).

(٤) انظر: الكشّاف (٥/١١)، وأنوار التنزيل (٥٤٤).

اعتراضاً حثّاً على الشكر[1]. ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ لا ينقص بذلك من ملكه[2] شيء، ﴿حَمِيدٌ﴾ في ذاته[3]، حَمِدَ ذاته قبل حمد الحامدين، أو حميد بلسان الحال[4] حيث أفاض الوجود على الماهيات[5]، وأنار بضيائه الكائنات. ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ اسمه: أشكم[6]، وقيل: أنعم[7]، وقيل: ماثان[8]، كان هو وأمه[9] كافرين، فلم يزل يعظهما حتى أسلما[10].

﴿يَٰبُنَيَّ﴾ تصغير؛ إشفاقاً. قرأ حفص بفتح الياء في الكلّ ووافقه البزي في الثالثة؛ لدلالته على حذف الألف المقلوبة من الياء، وأسكن الأوّل وكسر الثانية،

---

(١) انظر: أنوار التنزيل (٥٤٤).

(٢) في «ح»: عن ملكه.

(٣) في «ص»: في حدّ ذاته.

(٤) انظر: أنوار التنزيل (٥٤٤).

(٥) الماهيات: جمع ماهية.

قال الجرجاني: «ماهية الشيء ما به الشيء هو هو، وهي من حيث هي هي لا موجودة ولا معدومة، ولا كلّي ولا جزئي، ولا خاصّ ولا عامّ». انظر: التعريفات (٢٠٥)، والمعجم الفلسفي (١٦٥).

(٦) قال الكلبي.

انظر: النكت والعيون (٤/٣٣٣)، والكشّاف (٥/١١)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٦٢).

(٧) قاله النقاش.

انظر: النكت والعيون (٤/٣٣٣)، والكشّاف (٥/١١)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٦٢).

(٨) انظر: أنوار التنزيل (٥٤٤).

(٩) في «ص»: فأمّه.

(١٠) انظر: الكشّاف (٥/١١)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٦٢).

وقنبل بإسكان الطّرفين تخفيفاً وكسر الوسط، ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وأبي بكر بالكسر بحذف ياء التّكلّم إكتفاءً به؛ لدلالته عليه[1].

﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ في أُلوهيته، ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لا يحاط بكنهه قبحاً، إذ ليس مَن يخلق كمن لا يخلق، والوقف على «لا تشرك»، وجعل «بالله» قَسَماً ضعيف[2].

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ عطف على «ولقد آتينا لقمان الحكمة»؛ دفعٌ لما يُتَوَهّم من عدم جواز القيام بحقهما؛ لأنه يُشبه العبادة، وقيل: هو كلام معترض في قصة لقمان؛ للدلالة على أنّ شكر الوالدين مقرون بشكر الله، ومع ذلك لا يجوز ارتكاب الشرك لرضاهما فكيف بالغير. وقيل: عطف على مضمر أي: وقلنا له ووصينا الإنسان، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي: لم يزل يتضاعف ضعفها

(١) المواضع الثلاثة هي:

- هذا الموضع.
- ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ [١٦].
- ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [١٧].

انظر: السبعة (٥١٢)، والكشف (١/٥٢٩ــ٥٣٠)، والموضح (٢/٦٤٤)، والنشر (٢/٢٨٩)، وإتحاف فضلاء البشر (٢٥٦).

(٢) وجه التضعيف: أنّ أكثر الأقسام في القرآن المحذوفة في الفعل لا تكون إلاّ بالواو، فإذا ذكرت الباء أُتي بالفعل كقوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ آية [٦٢] من سورة التوبة.

انظر: أنوار التنزيل (٥٤٤)، والإتقان (٤/٤٩)، ومنار الهدى (٢١٩).

منذ حملته إلى حين الوضع، اعتراض يؤكد حق الأُمّ. روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أنّ رجلاً سأل[1] رسول الله ﷺ: مَن أبرّ؟ قال: أُمّك، ثم أُمّك، ثم أمّك، ثم أباك[2].

﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ﴾؛ لأنه أقصر مدّة الرّضاع؛ لقوله: ﴿يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِ﴾[3]، ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾ تفسير للوصية، أو بدل اشتمال من «والديه»، أو علّة لـ«وصينا»[4]، ﴿إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ وعد ووعيد،

---

(١) في «ص»: سئل.

(٢) رواية البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله من أحقّ بحسن صحابتي؟ قال: أُمّك، قال: ثمّ مَن؟ قال: أمّك، قال: ثمّ مَن؟، قال: أمك، قال: ثمّ مَن؟، قال: ثمّ أبوك».

أخرجه في صحيحه، كتاب الأدب، باب: من أحقّ الناس بحسن الصحبة (٨٦/٤) ح٥٩٧١.

ورواية مسلم عن أبي هريرة ﷺ: «من أحق الناس بحسن صحابتي ... إلخ. ورواية أُخرى بلفظ: «من أحقّ الناس بحسن الصحبة ... إلخ». أخرجهما في كتاب البرّ والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحقّ به (١٠٢/١٦) مسلم بشرح النووي.

وما أورده المصنف هو حديث الترمذي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جدّه، أخرجه في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في برّ الوالدين (٤٤٣) ح١٨٩٧، وأخرجه أبو داود أيضاً عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جدّه بلفظ الترمذي. انظر: كتاب الأدب، باب في برّ الوالدين (٣٣٨/٤) ح٥١٣٩.

(٣) بعض الآية (٢٣٣) من سورة البقرة.

(٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢٨٣/٣)، وأنوار التنزيل (٥٤٤)، والدر المصون (٦٤/٩).

﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ ﴾ أي: ما ليس بشيء حقيقة، ولا يصحّ أن يتعلّق به العلم، حقّر شأن الشريك في جعله دون المعدوم. ﴿ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ ﴾ في ذلك إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ﴿ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ ﴾ صِحاباً يرتضيه الدين والمروّة[1]، ﴿ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ﴾ في التوحيد والإخلاص، ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ ﴾ للجزاء، ﴿ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ فأجازيكم على وفق أعمالكم، نزلت في سعد بن مالك حين أسلم حلفت أُمّه لا تأكل ولا تشرب ولا تقعد في ظلّ[2] حتى يرتدّ[3]، ولذلك قيل: من أناب إليّ أبو بكر؛ لأنّ إسلام سعد كان على يده[4].

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ ﴾ أي: الفعلة من الحسنة والسيئة، مثقال الشيء ما يوازنه، والخردل: نبت حبه يضرب به المثل في الصغر[5].

---

(١) في «ق»: المروءة.

(٢) في «ق»: ضلّ.

(٣) مضى الحديث عن سبب النزول عند تفسير الآية (٨) من سورة العنكبوت.

(٤) رواه عطاء عن ابن عباس.

انظر: أسباب النزول للواحدي (٤٠١)، ومعالم التنزيل (٣/٤٩٢)، وزاد المسير (٦/٣٢٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٦٦).

(٥) الخردل: نبات عشبي ينبت في الحقول وعلى جوانب الطرق، ولفظ الخردل جمع واحده خردلة. انظر: المعجم الوسيط (١/٢٢٥) مادة «خردل».

وقرأ[1] نافع «مثقال» بالرفع والتأنيث؛ لأن الفاعل مضاف إلى المؤنث، أو لأن المراد به الحسنة أو السيئة[2].

﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الصخرة: هي التي عليها الثور، وهي خارجة عن السماوات والأرض[3]، أو المراد: داخل الصخرة وأعماقها، والغرض بيان إحاطة علمه بها وإن كانت في][4] أخفى مكان يُتصور[5]. ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ يوم القيامة[6]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ يصل علمه إلى الشيء وإن دق مسلكه، ﴿خَبِيرٌ﴾ ببواطن الأشياء.

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فإنها عماد الدين، دلّ هذا على أنها عبادة قديمة في سائر الملل، ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ فإنه كمال وتكميل. روى الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله قال: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن

---

(١) في الأصل: وقراء.

(٢) وقرأ الباقون «مثقالَ» بنصب اللاّم.

انظر: السبعة (٥١٣)، والحجة لأبي علي الفارسي (٥/٤٥٥ـ٤٥٦)، والموضح (٢/١٠١٤).

(٣) انظر: معالم التنزيل (٣/٤٩٢)، والتفسير الكبير (٢٥/١٤٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٦٨)، والبحر المحيط (٧/١٨٨). وقال ابن كثير: «وهذا والله أعلم كأنه متلقى من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب». تفسير القرآن العظيم (٦/٣٤٠).

(٤) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ص».

(٥) عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول ﷺ قال: «لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائناً ما كان». مسند الإمام أحمد (١٧/٣٣٠) ح١١٢٣٠.

(٦) في الأصل، «ص»، «ق»: القيمة.

المنكر أو ليبعثن الله عليكم عذاباً من عنده»[1]. ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ من المكاره في الأوقات كلها، لا سيما عند الأمر بالمعروف والنهي إذ قلّ من يسلم من أذى الأشرار. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: المذكور من إقامة الصلاة إلى آخره من الأمور المفروضة المقطوعة، ومنه الحديث: «سجدة «ص» ليست من عزائم السجود»[2]، وقوله ﷺ: «إذا سألت[3] فاعزم المسألة»[4]، مصدر بمعنى المفعول، أو بمعنى الفاعل من عزم الأمر إذا جدّ[5].

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لا تولّم صفحة وجهك كما يفعله المتكبّرون وفي الحديث: «يأتي على الناس زمان ليس فيهم إلاّ أصعر وأبتر»[6]. والصعر: داءٌ

---

(١) أخرجه الترمذي بسنده عن حذيفة بن اليمان في كتاب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٤٩٨) ح٢١٦٩، وقال: «هذا حديث حسن».

(٢) أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ««ص» ليس من عزائم السجود وقد رأيت النبي ﷺ يسجد فيها». صحيح البخاري، كتاب سجود القرآن، باب سجدة «ص» (٣٣٦/١) ح١٠٦٩، وأبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب السجود في «ص» (٦٠/٢) ح١٤٠٩، والترمذي في سننه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في السجود في «ص» (١٥١) ح٥٧٧.
وانظر: التمهيد (١٢٩/١٩)، ونيل الأوطار (١١٩/٣).

(٣) في «ص»: سئلت.

(٤) أخرجه البخاري بنحوه في صحيحه، كتاب الدّعوات، باب ليعزم المسألة؛ فإنه لا مكره له (١٦٠/٤) ح٦٣٣٨، ٦٣٣٩.

(٥) انظر: الكشّاف (١٦/٥)، والدر المصون (٦٥/٩).

(٦) لم أجده فيما تيسر لدي من كتب الحديث والآثار، وقد ذكره أصحاب اللُّغة وغريب الحديث وبعض المفسرين.

يصيب البعير يلوي منه عنقه[1]. وقرأ[2] نافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي «تصاعر» بالمدّ، وهي لغة الحجاز الفصحاء على نمط «يسافر»[3][4].

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ بطراً وهو شدّة الفرح غروراً، حال أو مصدر أي: تمرح أو للمرح[5]، وفي الحديث: «كان رجل يمشي وعليه بُرْد، فنظر في عطفيه فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل[6] فيها إلى يوم القيامة»[7][8]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ في مشيته، ﴿فَخُورٍ﴾ على الغير، نشر لما تقدّم وتغيير الترتيب؛ لتوافق رؤوس الآي[9].

انظر: الصحاح (٧١٢/٢) مادة «صعر»، والغريبين (١٠٧٨/٤)، والنهاية في غريب الحديث (٥١٧)، والجامع لأحكام القرآن (٦٩/١٤)، وعمدة الحفاظ (٣٩٠/٢)، ولسان العرب (٢٤٤٨/٤) مادة «صعر».

(١) انظر: الغريبين (١٠٧٨/٤) مادة «صعر»، وعمدة الحفاظ (٣٩٠/٢) مادة «صعر»، ولسان العرب (٢٤٤٧/٤) مادة «صعر».

(٢) في «ح»: وقراء.

(٣) في «ق»: تسافر.

(٤) وقرأ الباقون «تصعّر» بغير ألف.
انظر: السبعة (٥١٣)، والتيسير (١٧٦)، والموضح (١٠١٥/٢).

(٥) انظر: المفردات (٧٦٤) مادة «مرح»، والكشّاف (١٦/٥)، وأنوار التنزيل (٥٤٥).

(٦) في «ق»: يتلجلج.

(٧) في النسخ كلّها: القيمة.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب اللّباس والزينة، باب تحريم التبختر في المشي (٦٣/١٤ـ٦٤)، وأخرجه البخاري مختصراً في كتاب اللّباس، باب من جرّ ثوبه من الخيلاء (٥٤/٤) ح٥٧٨٩.

(٩) في هامش الأصل، «ص»: «لأنّ المختال في مقابل الماشي مرحاً، والفخور في مقابلة المصعّر، كذا في الكشّاف». انظر: الكشّاف (١٦/٥).

أي: توسط بين الاختيال والتخافت[1] فيكون مشياً بين مشيين. وفي الحديث: «نظرت عائشة رجلاً كاد يموت تخافتاً، فقالت: ما لهذا؟، قالوا: رجل من القرّاء، فقالت: كان عمر سيّد القرّاء، وكان إذا مشي أسرع، وإذا قال أسمع، وإذا ضرب أوجع[2]».

وفي وصف مشيه ﷺ كان إذا مشى كانه ينزل من صبب[3]، ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ﴾ وانقص منه ولا ترفع صوتك إلاّ مقدار ما تسمع جلساءك.

أصل الغضّ: الخفض والكسر، ومنه في الحديث: «كان إذا فرح غضّ طرفه[4]»؛ لئلا يكون أشراً. ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ﴾ أقبحها، ﴿لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾

---

(١) في هامش «ق»، «ح»: التخافت: الضعف.

والتخافت مأخوذ من خفت والخفت والخفات: الضعف من الجوع، ويطلق التخافت على تكلّف الخفوت. انظر: النهاية في غريب الحديث (٢٧٣)، ولسان العرب (١٢٠٧/٢) مادة «خفت».

(٢) قال الزيلعي: غريب.
انظر: تخريج الأحاديث والآثار في تفسير الكشّاف (٧٦/٣)، والكافي الشافِ (١٣٠) ح١٨٢، والفتح السماوي (٩١٥/٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١٤٣/٢) ح٧٤٦، قال المحقق: «حسن لغيره». والترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب وصف عليّ للنبي ﷺ (٨٢٩) ح٣٦٣٧، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والبزار في البحر الزخار (١١٨/٢) ح٤٧٤، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٨٧/١).
وانظر: زاد المعاد (١٦٧/١، ١٦٨).
وصبب: بفتح الصاد والباء الموضع المنحدر. انظر: النهاية في غريب الحديث (٥٠٥).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٤٢٣/١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٨٨/١).
وانظر: النهاية في غريب الحديث (٦٧٣).

بالـغ في التحـذير عـن الإفـراط [في رفـع][1] الـصوت بـإخراج الكـلام مخـرج الاستعارة، وآثر لفظ الجمع؛ لأنّ الصوت المنكـر إذا توافقـت عليـه الحمـير كـان أنكر، هذا مع أنّ الحمار مثل في الـذمّ، حتّـى أنّ أهـل الأدب يكنـون عنـه بطويـل الأُذنين تحاشياً عن لفظه"[2].

فإن قلت: من الأصوات ما هو أشدّ نكراً من صوت الحمار؟.

قلتُ: إذا كان المراد بالأنكرية: القباحة، ليس أقبح منه صوت، هـذا مـع أنّ سائر الحيوانات إنما تصوّت عند إصابة مكروه والحمار لا يصوّت إلاّ بطراً[3].

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [٢٠-٢٤].

---

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٢) انظر: الكشّـاف (١٨/٥)، والـجامع لأحكـام القـرآن (٧١/١٤، ٧٢)، وأنوار التنـزيل (٥٤٥).

(٣) انظر: النكت والعيون (٣٤١/٤)، والتفسير الكبير (١٥١/٢٥).

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الشمس والقمر والنجوم والسحاب أسباباً لمنافعكم، ﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من الأشجار والأنهار والزروع والثمار، ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [تعجيب من حال المشركين][1]، ما يتعلّق بظاهر الإنسان مثل الاستقامة وما في الخلقة من المحاسن، والباطنة: هي القوى الدّراكة ونتائجها من المعارف، وما في أعماق الأجسام من الأشياء التي لا شعور للإنسان بها[2].

قرأ نافع، وأبو عمرو، وحفص بكسر النون وفتح العين على صيغة الجمع مضافاً إلى الضمير، وهذا أبلغ وأشمل[3]. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ مستفاد من طريق العقل، ﴿وَلَا هُدًى﴾ ولا هداية من رسول، ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ أنزله[4] الله إرشاداً.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾؛ إنهماكاً في التقليد، ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ عطف على مدخول الاستفهام؛ توبيخاً لهم أي: أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٢) انظر: الكشّاف (١٩/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٧٣/١٤)، والبحر المحيط (١٩٠/٧).

(٣) وقرأ الباقون «نِعْمَةً» منونة ومفردة.

انظر: السبعة (٥١٣)، والتيسير (١٧٧)، والموضح (١٠١٦/٢)، والنشر (٣٤٦/٢).

(٤) في «ص»: أنزل.

عذاب النار، والمنصوب في «يدعوهم» إمّا لـهم، أو لآبائهم[1]، ويؤيّد الثاني قوله: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[2] ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أي: ذاته بالكلّية، والفرق بين اللاّم في قوله: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾[3] وبين «إلى» كما في الآية: أنّ اللاّم يفيد الاختصاص، أي: جعل نفسه خالصة لله لا شركة فيها لأحد، و«إلى» يفيد التفويض كما يسلم الرجل متاعه إلى الغير[4]، ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ في عمله كأنه يرى ربه، ﴿ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ مثّل حال المتوكّل بحال مَن أراد الارتقاء إلى شاهق فاستمسك بأوثق جبل[5] مأمون الانقطاع[6]، ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ فيجازيه بما يليق بكرمه، ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ﴾ إذ عليك البلاغ وقد وفّيتَ به.

---

(١) انظر: أنوار التنزيل (٥٤٥).

(٢) بعض الآية (١٧٠) من سورة البقرة.

(٣) بعض الآية (١١٢) من سورة البقرة.

(٤) انظر: الكشّاف (١٩/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٧٥/١٤)، وأنوار التنزيل (٥٤٥).

(٥) كذا في الأصل، «ح»، «ص». وفي «ق»: حبل وهو الصواب.

(٦) انظر: أنوار التنزيل (٥٤٥).

وقرأ نافع «يُحْزِنك» بضمّ الياء وكسر الزاء من أحزن، والباقون بفتح الياء وكسر[1] الزاء[2]. قال الخليل: حزنه جعل فيه حزناً، وأحزنه جعله حزيناً. كأدخله جعله داخلاً، فالأوّل أبلغ. وعن الفراء أنهما بمعنى، فالقول بأنّ أحزن ليس بمستفيض وهمٌ[3]، ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾ نجازيهم عليه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بخفيّات الضمائر، آثر في الالتفات لفظ الجلالة؛ لأنّ الألوهية مستلزمة للإحاطة بالسرّ وأخفى[4]. ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾؛ ليزدادوا إثماً، عبّر عنه بالقليل؛ لأنّ الفاني وإن طال قليل بالنسبة إلى الدائم[5]، ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ استعار الغلظ من الأجرام؛ إشارة إلى شدته كأنه تجسد من عِظَمه[6].

---

(١) كذا في الأصل، «ح»، «ص». وفي «ق»: وضمّ وهو الصواب.

(٢) انظر: السبعة (٢١٩)، وعلل القراءات (١/١٣١)، والحجة لأبي علي الفارسي (٣/٩٩ـ١٠٠)، والكشف (١/٣٦٥)، والموضح (١/٣٩١ـ٣٩٢).

(٣) في هامش الأصل، «ص»: «يرد على الكشّاف والقاضي إذ الاستفاضة فوق التواتر، وأمّا شهرة إحدى القراءتين فلا يقدح في ذلك».

انظر: الكتاب (٤/٥٦)، ومعاني القرآن للفراء (٢/٣٠٢)، وتهذيب اللُّغة (٤/٣٦٤) مادة «حزن»، والكشّاف (٥/٢٠)، وأنوار التنزيل (٥٤٥)، والدر المصون (٣/٤٩٥).

(٤) في «ق»: والخفي.

(٥) انظر: أنوار التنزيل (٥٤٦).

(٦) انظر: الكشّاف (٥/٢٠)، وأنوار التنزيل (٥٤٦).

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٥) لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٦) وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧) مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢٨) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٩) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٣٠) ﴾ [٢٥-٣٠].

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ لا يقدرون على غير ذلك؛ لغاية الظهور، ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ على هذه النعمة، إذ في إقرارهم إلزام لهم وقلع دابر شبهتهم، ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ إضراب إلى جهل هو أقوى من الأوّل، إذ المعنى: أنّ جهلهم انتهى إلى أنهم لا يعرفون أن قولك الحمد لله إنما هو لإفحامهم.

﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ من الجزئيات الخارجة والأجزاء الداخلة(١)، ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ المطلق، ﴿ الْحَمِيدُ ﴾ بلسان الحال وإن لم يحمد مقالاً؛ لأنّ الكلّ خلقه وملكه(٢).

---

(١) انظر: المفردات (١٩٥)، والتعريفات (٧٨ــ٧٩)، وكشاف اصطلاحات الفنون (١/٥٥٩ــ٥٦٠).

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٥٤٦).

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ قرأ السبعة إلاّ أبا عمرو «البحرُ» مرفوعاً، عطفاً على محلّ «أنّ» ومعمولـها أي: لو ثبت كون الأشجار أقلاماً وكون البحر ممدوداً بسبعة أبحر، أو رفعاً على الابتداء والواو للحال. وقرأ أبو عمرو بالنصب إمّا عطفاً على اسم «أن»، أو بفعل يُفسّره «يمدّه» وهو المختار؛ لرجحان عطف اللّفظ على المحلّ وعدم الاحتياج إلى التقدير(١)، والمعنى: لو أنّ أشجار الأرض أقلام والبحر المحيط ممدود سبعة(٢) أبحر وكتبت تلك الأقلام بذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته، ونفدت تلك الأقلام والمداد(٣)، وإنما آثر جمع القلّة؛ إشارة إلى أنّ ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير!، كذا قيل، وإنما يستقيم إذا لم يجعل الجمع المضاف مستغرقاً، إذْ عند ذلك لا تفاوت بين الجموع(٤)، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ غالب لا يعجزه شيء، ﴿ حَكِيمٌ ﴾ لا يخرج عن علمه شيء.

---

(١) انظر: السبعة (٥١٣)، وعلل القراءات (٢/٥٢٧)، والحجة لأبي علي الفارسي (٥/٤٥٧ـ٤٥٩)، والموضح (٢/١٠١٦)، والدر المصون (٩/٦٧ـ٧٢)، والنشر (٢/٣٤٧).

(٢) في «ق»: بسبعة.

(٣) قاله الزمخشري. انظر: الكشّاف (٥/٢١).

ومن معاني «لو» الامتناع أي: امتناع الشرط وامتناع الجواب معاً، وهذا المعنى لا يصحّ في هذه الآية، وإنما الجائز هنا هو: أن تكون لما سيقع؛ لوقوع غيره.

انظر: الكتاب (٤/٢٢٤)، ومغني اللّبيب (١/٢٥٥ـ٢٧١)، والدر المصون (١/١٨٢).

(٤) انظر: أنوار التنزيل (٥٤٦).

﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ لاستغنائه عن الأسباب والآلات بل عِلّة وجود الأشياء إنضمام الإرادة إلى القدرة الشاملة، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ ﴾ جميع المسموعات في آن واحد، ﴿ بَصِيرٌ ﴾ يبصر المبصرات كذلك فكما لا يُشغل سمعه وبصره شيء عن شيء فكذلك الخلق والبعث[1].

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ ﴾ من النّيّرين، ﴿ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ دلّ بتعاقب اللّيل والنهار وزيادتهما ونقصانهما، وجري كلٍّ من النيرين في فلكيهما كلّ ذلك على حساب وتقدير على عِظَم قدرته وكمال علمه. وإيقاع «إلى» صلة الجري معناه الانتهاء، واللاّم الاختصاص[2]، ولما كان الثاني أبلغ كثر في القرآن، ولم يقع [إلى][3] إلاّ في هذا الموضع.

والمراد بالأجل آخر السنة في الشمس وآخر الشهر في القمر[4]. وعن الحسن: هو يوم القيامة؛ لانقطاع جريهما حينئذٍ[5]، ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ يعلم بواطن أعمالكم، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ ذلك الوصف

---

(١) انظر: الكشّاف (٥/٢٢)، وأنوار التنـزيل (٥٤٦).

(٢) في «ق»: للاختصاص، وهو مناسب للسياق.

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ص»، وفي «ح»: لها.

(٤) انظر: الكشّاف (٥/٢٢–٢٣)، وأنوار التنـزيل (٥٤٦)، والجنى الداني (٣٨٥)، ومعجم القواعد العربية (٨١).

(٥) انظر: النكت والعيون (٤/٣٤٦)، والكشّاف (٥/٢٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٧٨).

العجيب من كمال القدرة وباهر الحكمة؛ لأجل أنه الثابت الألُوهية التي هي من لوازمها الكمال المطلق في كلّ وصف يليق بكبريائه، ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾؛ لعجزه عن الاتصاف بوجوده إلاّ من ذلك الحق. قرأ أبو عمرو والكوفيون إلاّ أبا بكر «يدعون» بالياء، وهو المختار؛ لإخراجهم عن شرف خطابه؛ إذْ عبدوا غيره الباطل[1].

فإن قلت: لـمَ زاد في مثل هذا الاستدلال ضمير الفصل في قوله: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾[2] في سورة الحجّ، فما الوجه في تركه هنا؟.

قلتُ: الكلام هناك كان في نصر المظلوم، والمشركون كانوا يزعمون أنّ آلهتهم تنصرهم، ولذلك لـمّا انهزم المسلمون يوم أُحد[3] نادى أبو سفيان بأعلى صوته: أُعلُ هبل، أُعلُ هبل[4][5]، فكان المقام خليقاً بالتأكيد، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ العلي شأنه، الكبير سلطانه، وما عداه حقير صغير تحت قهره.

---

(١) وقرأ الباقون بالتاء. انظر: السبعة (٤٤٠)، والكشف (١/١٢٣)، والموضح (٢/٨٨٧، ١٠١٧)، والنشر (٢/٣٢٧، ٣٤٣).

(٢) بعض الآية (٦٢).

(٣) يوم أُحد في شهر شوال من السنة الثالثة من الهجرة. وأُحد: جبل يتكون من صخور جرانيتيه حمراء ويقع شمال المدينة، وارتفاعه ١٢١م، ويبعد عن المسجد النبوي خمسة كيلو مترات ونصف الكيلو متر، وقعت عنده معركة أُحد الشهيرة بين المسلمين والكفار.
انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/٦٠)، ومعجم البلدان (١/١٠٩).

(٤) هُبَل: صنم كانت تعبده قريش وتعظّمه، قيل: إنّ هبل كان من أصنام الكعبة، هدمه النبي ﷺ يوم فتح مكة. انظر: معجم البلدان (٥/٣٩١).

(٥) وتمام الرواية: «فقال النبي ﷺ: أجيبوه، قالوا: ما نقول؟، قال قولوا: الله أعلى وأجلّ، قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبي ﷺ أجيبوه: قالوا: ما نقول؟، قال قولوا: الله مولانا

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ [٣١-٣٤].

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ ﴾ بالريح المرسلة التي هي من نعم الله؛ لقوله: ﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ ﴾[1]، ﴿ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ﴾ من عجائب البحر كما أراكم بديع البرّ، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ أي: لكلّ مؤمن؛ لأنّ الصبر على البلاء والشكر على النعماء من صفاته، كناية يُراد بها الموصوف، وفي إيثارها إشارة إلى أنّ الوصفين هما عمدتا الإيمان[2].

ولا مولى لكم، قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، وتجدون مُثلة لم آمر بها ولم تسؤني».

أخرجه البخاري عن البراء في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة أحد (١٠٢/٣-١٠٣) ح٤٠٤٣.

(١) بعض الآية (٣٣) من سورة الشورى.

(٢) انظر: التفسير الكبير (١٦٢/٢٥)، وأنوار التنزيل (٥٤٧).

﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ ﴾ جمع ظُلّة[1] وهي: كلّ ما أظلك[2]، أراد الأمواج المتراكبة عند هيجان البحر[3]. ﴿ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ لزوال ما ينازع[4] الفطرة من شدّة الخوف، ﴿ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ متوسّط في كفره قد خفض من غلوائه، أو مؤمن موحّد باق على ذلك الإخلاص، وفي الكلام شائبة إنكار، إذْ بعد النجاة من تلك المهالك كان اللائق به أن يكون من الكُمَّل السابقين[5]، ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ ﴾ الخَتْر: شدّة الغدر[6]. قال شعر:

وإنك لو رأيت أبا عمير ملأت يديك من غدر وختر[7]

﴿ كَفُورٍ ﴾ بنعماء الله. ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا ﴾ لما شيّد أركان البراهين على قيام الساعة بما لم يبق للريب فيه مجال حذّر كافة الناس أنّ لا يتكل أحد على أحد،

---

(١) في «ق»: ضلة.

(٢) في «ق»: ما أضلك.

(٣) انظر: المفردات (٧٨٢) مادة «موج»، والكشّاف (٥/٢٣).

(٤) في «ص»: ما يتنازع.

(٥) انظر: النكت والعيون (٤/٣٤٨)، والكشّاف (٥/٢٣)، وأنوار التنزيل (٥٤٧).

(٦) قاله الجمهور. انظر: النكت والعيون (٤/٣٤٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٨٠).
وانظر: غريب القرآن لابن قتيبة (٣٤٥)، والمفردات (٥/٢٣).

(٧) قائله: عمرو بن معد يكرب، وهو من بحر الوافر.
والشاهد فيه: ورود الختر بمعنى أسوأ الغدر.
انظر: ديوانه (١٠٩)، ومجاز القرآن (٢/١٢٩)، وجامع البيان (٢١/٨٥)، والنكت والعيون (٤/٣٤٨)، والكشّاف (٥/٢٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٨٠)، والدر المصون (٩/٧٣).

فإن أقرب الناس وأجدرهم بالنفع الوالد والولد، وإذا لم يقدر أحدهما على نفع الآخر فالغير بالأولى، وغيّر النظم في جانب الولد عن السنن الأوّل مؤكّداً بضمير الفصل؛ لأنّ المولود لا يُقال إلاّ لمن ولد منك بخلاف الولد فإنه يُطلق على الحافد، وإذا لم ينفع مَن وُلِدَ منه فالأحفاد من باب الأولى[1]، ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ لا بدّ من وقوعه، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ بالاشتغال بزخارفها، ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ الشيطان[2] بالإغراء على المعاصي قائلاً: إن الله غفور رحيم، وبالتسويف عن التوبة[3].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ لا عند غيره كقولك: عند زيدٍ الخيرُ، ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ يعلم وقت نزوله دون غيره؛ لأنه معطوف على المختصّ به، ولقرينة المقام؛ لأنّ المسوق له الكلام شمول العلم والاختصاص لا القدرة على الإنزال، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ من الكمية والكيفية، ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ عطف على جملة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾، ولما كان الكلام مسوقاً للاختصاص لا لإفادة أصل العلم لزم

---

(١) انظر: الكشّاف (٥/٢٤ـ٢٥)، وأنوار التنزيل (٥٤٧).

والأحفاد جمع حفيد أو حافد، وهو ولد الولد.

انظر: أساس البلاغة (٨٨) مادة «حفد»، والمعجم الوسيط (١/١٨٤) مادة «حفد».

(٢) قاله مجاهد والضحاك.

انظر: معاني القرآن للنحاس (٥/٢٩٣)، والنكت والعيون (٤/٣٤٩).

(٣) انظر: الكشّاف (٥/٢٤).

من النفي على سبيل الاستغراق[1] اختصاصه به تعالى على الوجه الأبلغ كنايةً، وفي إيثار الدّراية من جانب العبد إشارة إلى أنه لا يعلم وإن بذل مجهوده في الحيل[2].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ كامل العلم بالأشياء كلّها، ﴿خَبِيرٌ﴾ عالم ببواطنها كما يعلم ظواهرها.

تمت سورة «لقمان» والحمد لله على الإنعام والإحسان، والصلاة[3] على المبعوث من عدنان.

◇◇◇

---

(١) في «ق»: الاستقرار.

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٥٤٧).

قال القرطبي: «وقال ابن عباس: هذه الخمسة لا يعلمها إلاّ الله تعالى، ولا يعلمها ملك مقرّب، ولا نبي مرسل، فمن ادّعى أنه يعلم شيئاً من هذه فقد كفر بالقرآن؛ لأنه خالفه».

الجامع لأحكام القرآن (١٤/٨٢).

(٣) في الأصل: الصلوة.

تفسير
سورة السجدة

سورة «السجدة»

مكية وهي ثلاثون(1) آية، وقيل: تسع وعشرون(2).

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩ ﴾ [1-9].

﴿ الٓمٓ ﴾ مبتدأ خبره، ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ إن جعل اسم السورة أو القرآن، وإن جعل تعديد الحروف إيقاظاً، ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ خبره: ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾، أو ﴿ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ و ﴿ لَا رَيْبَ

---

(1) في الأصل، «ح»، «ص»: ثلثون.

(2) عدد آيات السورة تسع وعشرون في العدّ البصري، وفي عدّ الباقين: ثلاثون.

انظر: الكشف (2/191)، والجامع لأحكام القرآن (14/84)، ومنار الهدى (220)، ومرشد الخلّان (136).

﴿ فِيهِ ﴾ اعتراض وهو الوجه(1)؛ لأنّ قوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ إنكار على الزّاعم أنه من عند غير الله، تعجيب من ذلك القول مع وجود نافي الرّيب فيحسن موقع الاعتراض. ويفيد أنه لا التفات إلى شَغَبِ المكابر، ثمّ أضرب عن ذلك إلى إثبات كونه هو الحقّ بعد إماطة الشبهة بقوله: ﴿ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ وفي إضافة الرّب إليه بعد إضافته إلى العالمين [تخلّص إلى إثبات نبوته، وفيه إشارة إلى أنه العبد الذي جمع فيه ما فرّق في العالمين](2)، وفي أُسلوب التّرقي إشارة إلى أنّ الكمال فيه أتمّ مما(3) في كلّ العالم، ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ أي: بعد الضلال لقوله: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾(4)، ولأنهم كانوا يزعمون أنهم على ملّة إبراهيم، وأمّا دعوة موسى وعيسى فلم تكن عامّة(5)، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ راجياً أنت هدايتهم.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ دليل على استحقاقه العبودية دون غيره تعالى(6)، ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن

---

(1) انظر: المحرر الوجيز (١٣/٢٩)، والكشاف (٥/٢٧)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/١٠٤٧)، والبحر المحيط (٧/١٩٦ـ١٩٧)، والدر المصون (٩/٧٧ـ٧٨).

(2) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(3) في «ص»: بما، وفي «ح»: ما.

(4) الآية (٢٤) من سورة فاطر.

(5) دعوة جميع الرّسل خاصة بقومهم إلاّ دعوة محمد ﷺ فهي عامة.

(6) في «ق»: تعلى.

وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ أي: ما لكم مجاوزين[1] رضا[2] الله. «ولي» يتولى أمركم ولا شفيع، على أنّ «من دون» حال من ضمير المخاطبين، أو الشفيع مجاز عن الناصر و«من دون الله» حال مقدّم كأنه قيل: ما لكم ولي ولا ناصر غير الله[3]، ﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ هذه المواعظ الجليّة. ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: المأمور به من الطّاعات ضُمِّنَ معنى الإنزال[4]، ﴿ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ العروج: هو الصعود، والمعنى: لا يصعد إليه ذلك المأمور به خالصاً إلاّ في مدّة متطاولة؛ لقلّة العُبّاد الـخُلّص، فذكر الألف للاستطالة؛ لأنها نهاية العقود و«ثم»[5] للاستبعاد، ويدلّ على هذا الوجه ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾[6]، أوامر الدنيا كلّها من السماء إلى الأرض، فالأمر بمعنى الشأن، والعروج مجاز عن الثبوت في صحف الملائكة[7]، والمعنى: أنه لكلّ يوم من أيام الله وهو ألف سنة تدبير لشأن الدنيا، ثم على التدريج يقع ذلك في الوجود، ثم إذا تمت تلك المدّة دبّر

(١) في «ق»: مجاوزمن.

(٢) في «ق»: رضى، وفي «ح»، «ص»: رضاء.

(٣) انظر: الكشّاف (٢٨/٥)، وأنوار التنــزيل (٥٤٨).

(٤) انظر: الكشّاف (٢٨/٥).

(٥) في «ق»، «ح»: ثم.

(٦) بعض الآية (٩) من السورة. انظر: الكشّاف (٢٨/٥)، وأنوار التنــزيل (٥٤٨).

(٧) انظر: الكشف على الكشّاف (٣٩٤/ب).

لألفٍ آخر وهلمّ جرّا[1] إلى قيام الساعـة فكأنه قيل: تَجَدُّدُ هذا التدبير مستمراً، أو هو الوحي[2]، مقدار ما بين السماء والأرض خمسمائة سنة فيقع النزول والعروج في ألف سنة[3]، ولا ينافي هذا قولـه: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[4]؛ لأنّ ذلك عروج إلى العرش، أو الـمراد أمر الدنيا إلى قيام الساعة[5]. فالأمر بمعنى الشأن، والظرف يتعلّق بالعروج كأنه قيل: يدبّر الأمر إلى يوم القيامة[6]، ثمّ في ذلك اليوم الذي مقداره ألف سنة يصير إليه ذلك الأمر كلّه فيحكم بموجبه[7]، والتوفيق بينه وبين قوله: ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[8] على هذا التفاوت في الاستطالـة

(١) هلمّ جرّا: تعبير يُقال لاستدامــة الأمر واتّصالــه، ولفظ: «هلم» مُكوّن من «ها» للتنبيه و«لم» وحذفت ألفها؛ لكثرة الاستعمال.

انظر: الصحاح (٢٠٦٠/٥) مادة «هلم»، والمعجم الوسيط (١١٦/١) مادة «جر».

(٢) انظر: الكشف على الكشّاف (٣٩٤/ب).

(٣) قاله ابن عباس وقتادة.

انظر: الجامع لأحكام القرآن (٨٧/١٤).

(٤) الآية (٤) من سورة المعارج.

(٥) انظر: زاد المسير (٣٣٤/٦).

(٦) في النسخ كلّها: القيمة.

(٧) انظر: الكشّــاف (٢٨/٥ــ٢٩)، والــمحرر الوجيز (٣٠/١٣ــ٣١)، والجامع لأحكام القرآن (٨٦/١٤ــ٨٨)، وأنوار التنــزيل (٥٤٨).

(٨) بعض الآية (٤) من سورة المعارج.

بحسب الشدّة[1]، وقيل: فيه خمسون موطناً وكلّ موطن ألف سنة[2]. ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ أي: ذلك المدبّر يعلم الغائب والشاهد بلا تفاوت، وهذا يدلّ على كمال إتقانه في ذلك التدبير، ﴿ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الغالب على أمره، ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ بعباده يراعي مصالحهم تفضُّلاً.

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ ما يليق به واقتضته حكمته، بدل اشتمال من «كلّ شيء»[3]. قرأ[4] نافع والكوفيون «خلَقه» على أنه ماض، ومحل الجملة النصب على أنه صفة «كلّ»، أو جرّ صفة[5] «شيء» وهذا أبلغ[6]. ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ هو آدم، ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ ﴾ ذريته سميت نسلاً؛ لأنها تنسل

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٤/٨٨).

(٢) انظر: الكشف على الكشّاف (٣٩٥/أ).

(٣) يكون لفظ «خلْقه» بدل اشتمال من «كلّ شيء» على قراءة إسكان اللاّم. وفي المسألة أقوال إعرابية أُخرى، وما ذكره المصنّف هو الظاهر في الإعراب عند أبي حيّان، والمشهور عند السمين الحلبي.

انظر: الكشّاف (٥/٢٩)، والبحر المحيط (٧/١٩٩)، والدر المصون (٩/٨١).

وبدل الاشتمال: تابع يُعيّن وصفاً طارئاً أو أمراً عرضياً يتّصل بالمبدل منه على ألاّ يكون جزءاً منه.

انظر: أوضح المسالك (٣٣٠)، ومعجم القواعد العربية (١١٨).

(٤) في الأصل: وقراء.

(٥) في الأصل: صفته.

(٦) وقرأ الباقون بإسكان اللاّم.

انظر: السبعة (٥١٦)، والكشف (٢/١٩١)، والموضح (٢/١٠١٩)، والنشر (٢/٣٤٧).

أي: تنفصل، ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ «فعالة» بمعنى المفعول أي: مسلولة، ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ هي النطفة؛ لأنها مستقذرة أو نجسة[1]، ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ قوّمه بتصوير الأعضاء في أحسن تقويم، ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ إضافة تشريف كقوله في جبرئيل: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾[2]، وحديث: «من عرف نفسه»[3] على تقدير صحته لا يدلّ إلاّ أنّ النظر يوجب العلم بالصانع كالنظر في الآفاق لقوله: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[4]، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ﴾ آلات

---

(١) اختلف العلماء في القول بنجاسة النطفة:

أ ــ أنها مستقذرة وهو قول الشافعي ورواية عن أحمد، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية.

ب ــ أنها نجسة، وهو قول مالك وأبي حنيفة والأوزاعي والثوري وغيرهم.

ج ــ أنها طاهرة، وهو المشهور من مذهب أحمد.

انظر: المغني (٢/٤٩٧ــ٤٩٩)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢١/٥٨٧ــ٦٠٧)، وإغاثة اللهفان (٣/١١٩ــ١٢٦)، والشرح الممتع (١/٣٨٨).

(٢) بعض الآية (١٧) من سورة مريم.

(٣) تمامه: «من عرف نفسه فقد عرف ربه». أخرجه أبو نعيم من قول سهل بن عبد الله التستري، وذكره أبو منصور الماتريدي في كتاب التوحيد، قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: «وبعض الناس يروي هذا عن النبي ﷺ، وليس هذا من كلام النبي ﷺ ولا هو في شيء من كتب الحديث ولا يعرف له إسناد». وأورده علي القاري في الأحاديث الموضوعة.

انظر: حلية الأولياء (١٠/٢٠٨)، والتوحيد (١٠٢)، ومجموع الفتاوى (١٦/٣٤٩)، والمصنوع في معرفة الحديث الموضوع (١٨٩)، وفيض القدير (١/٢٢٥)، وكشف الخفاء (٢/٢٦٢).

(٤) الآية (٢١) من سورة الذاريات.

الإدراك ليستنبطو الكليات من المحسوسات والتفت إلى الخطاب مكافحة بقوله: ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ شكراً قليلاً تشكرون.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [١٠-١٤].

﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ صرنا تراباً مخلوطاً بتراب الأرض لا يُميّز بين أجزائنا وأجزائها. قرأ ابن عامر «إذا» بدون الإستفهام(١)، ﴿ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ﴾ الاستفهام في الموضعين للتعجب، وقيل القائل: أُبي بن خلف(٢)، وقرأ نافع والكسائي بالإخبار، وما دلّ عليه هو العامل في الظرف المتقدّم(٣)،

(١) في هامش الأصل: وكذا الذي بعده.

(٢) انظر: الكشّاف (٥/٣٠).

(٣) اختلف القراء في «أئذا، أئنا». قرأ ابن عامر «إذا» بدون الاستفهام «أئنا» بالاستفهام، وقرأ نافع والكسائي «أئذا» بالاستفهام، و«إنّا» على الخبر. وقرأ الباقون بالاستفهام فيهما.
انظر: السبعة (٥١٦)، والموضح (٢/١٠٢٠)، والنشر (١/٣٧٣).

﴿ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴾ إضراب إلى ما هو أعمّ من إنكار البعث وهو جميع ما يكون بعد الموت من الحشر[1] والحساب والمجازاة[2].

﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ لا كما تزعمون: ﴿ نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾[3]، ولا ينافي هذا قوله: ﴿ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[4]؛ لأنهم أعوانه[5]، قيل: ينزعون الروح إلى الحلقوم فإذا بلغه قبضه ملك الموت[6]، والتوفّي: أخذ الشيء بتمامه وكذا الاستفياء؛ لأنّ التفعيل والاستفعال يلتقيان كثيراً[7]، ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ للمجازات[8]، ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ ﴾ يا محمد، أو يا مَن تأتي منه الرؤية، ﴿ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ من الخجل والخزي لرأيت أمراً فظيعاً، والمراد وجود الرؤية، فلا يقدّر له مفعول، ويجوز أن يكون تثبيتاً لرسول الله ليشمت بهم حين تجرع الغصص، و«لو» و«إذ» وإن اخْتَصّا بالماضي إلاّ أنّ المترقّب في كلامه تعالى كالثابت قطعاً[9].

(١) في «ق»: المحشر.

(٢) في «ق»: المجازات.

(٣) بعض الآية (٢٤) من سورة الجاثية.

(٤) ورد لفظ: «تتوفاهم الملائكة» في الآيتين [٢٨ و ٣٢] من سورة النحل.

(٥) انظر: النكت والعيون (٣٥٧/٤)، والكشّاف (٣٠/٥).

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٩٣/١٤ـ٩٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٦٢/٦).

(٧) انظر: الكشّاف (٣٠/٥)، وأنوار التنزيل (٥٤٩).

(٨) كذا في الأصل، «ق»، «ص». وفي «ح»: المجازاة وهو الصواب.

(٩) انظر: الكشّاف (٣١/٥)، وأنوار التنزيل (٥٤٩)، والدر المصون (٨٥/٩ـ٨٦).

﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا﴾ أبصرنا ما وعدته[1] وسمعنا تصديق رسلك منك، أو كنا عمياً وصماً فأبصرنا وسمعنا، فلا يقدّر مفعول، ﴿فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ إذ لا علم أجلى من المشاهدة، ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾ ما تهتدي به إلى الإيمان بخلق قدرة الطّاعة فيها[2]، ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي﴾ ثبت وتحقق الحكم ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ﴾[3]، ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ وهذا لازم لذلك الحكم أو القول هو هذا، ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ﴾ أي: بترككم النظر فيه ترك الناسي، ﴿هَٰذَآ﴾ أي: ما أنتم فيه من الخزي، مفعول «ذوقوا»، وقيل: صفة «يومكم»، والآية صريحة في أنّ الله لم يرد إيمانهم بناءً على التوسط الذي هو مناط التكليف، وكون الأمر بين الأمرين لا جبر ولا قدر[4].

وقول المصنّف: «ليشمت بهم» فيه نظر؛ إذ كيف يشمت بهم وهو الحريص على هدايتهم قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ الكهف آية [٦].

(١) في «ق»: ما وعدت به.

(٢) من مراتب الإيمان بالقدر: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، فما شاء الله كونه فهو كائن بقدرته عزّ وجلّ، وما لم يشأ لم يكن. انظر: أنوار التنزيل (٥٤٩)، ومجموع الفتاوى (١٦/٥٩١-٥٩٢)، ولوامع الأنوار البهية (١/١٥٣)، ومعارج القبول (٣/٩٤٠).

(٣) الآية (١٧٩) من سورة الأعراف.

(٤) القول بالجبر قول الجبرية وأشهرهم الجهمية، والقول بالقدر قول المعتزلة.

﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ تركناكم في العذاب ترك المنسي، وفي الاستئناف وبناء الفعل على (أنّ) واسمها إشارة إلى شدّة الانتقام(١)(٢)، ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر وسائر المعاصي والخطاب للمشركين فلا يدخل فيه أصحاب الكبائر.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ

انظر: الفرق بين الفرق (٢١١)، والملل والنحل (٨٧/١)، والمغني لعبد الجبار (١٦، ٨/٨)، (٩٥/٩)، وشفاء العليل (٣٠٩/١–٣٣٧)، ومحاسن التأويل (٩٧/١٤–٩٨).

(١) في هامش الأصل، «ق»: «لأن حقيقة النسيان لا مؤاخذة عليها».

(٢) يجوز إطلاق الفعل المختصّ بالنسيان على الله عزّ وجلّ، ويكون مقيّداً بالمقابلة أو المجازاة، ولا يجوز أن يشتق من اسم مطلق. وقال ابن كثير: ««إنا نسيناكم» أي: سنعاملكم معاملة الناسي، لأنه تعالى لا ينسي شيئاً ولا يضلّ عنه شيء، بل من باب المقابلة».

انظر: الكشّاف (٣٢/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٩٨/١٤)، وأنوار التنزيل (٥٤٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٦٤/٦)، وبدائع الفوائد (١٦٢/١)، والقواعد الكلية (١٩٣).

عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [١٥-٢١].

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا ﴾ وعظوا، وفي إيثار التذكير إشارة إلى أنها من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى تأمل. ﴿ خَرُّوا۟ سُجَّدًا ﴾ وفي لفظ الخرور إشارة إلى أنهم لم يتمالكوا حين ذُكِّروا، ﴿ وَسَبَّحُوا۟ ﴾ قدّسوا الله عما لا يليق به، ﴿ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ ملتبسين بحمده على التوفيق، ﴿ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ تصريح بما علم وتعريض بالمشركين.

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ ترتفع وتبعد مستمرين على ذلك، ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا ﴾ من عقابه، ﴿ وَطَمَعًا ﴾ في ثوابه. عن أسماء بنت زيد(١) قالت: قال رسول الله: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة(٢) نادى منادٍ بصوت يُسْمِعِ الخلائق سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم،

---

(١) ورد في النسخ كلّها: عن أسماء بنت زيد، والصواب: أسماء بنت يزيد، وهي: أسماء بنت يزيد بن السّكَن الأشهلية الأنصارية، أم سلمة، من الصحابيات المجاهدات المبايعات، قتلت بعمود خبائها يوم اليرموك تسعة من الروم، قيل إنها: بايعت يوم الرضوان، عاشت إلى زمن يزيد ومعاوية. انظر: سير أعلام النبلاء (٢/٢٩٦)، وتهذيب التهذيب (١٢/٣٩٩).

(٢) في النسخ كلّها: القيمة.

ثـمّ يرجـع فينـادي ليقم[1] الذين كانت تتجافى جنوبـهم فيقومون وهم قليل»[2].

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ في وجوه الخير، جمعاً بين أنواع ما تتقرب به، ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ مما تقربه أعينهم، والفاعل هو الله تعالى[3]، وإنما أبهم لعدم ذهاب الوهم إلى الغير.

وقرأ حـمزة «أُخفيْ» مضارع أخفـى[4]، و«مـا» موصولـة، أو استفهامية، والعلم بمعنى المعرفة[5]، ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ أي: جزوا جـزاءً، أو أُخْفِـيَ

---

(١) في «ق»: ليقوم.

(٢) في هامش الأصل، «ق»: «حديث في مسند ابن أبي حاتم». أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٨/٢٦١٠) ح١٤٦٦٣ وبآخر الـحديث: «ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، فيقومون وهم قليل، ثمّ يحاسب سائر الناس».

وأخرجه الـحاكم بهذا اللّفظ في المستدرك، كتاب التفسير، باب فضيلة المتهجدين والذاكرين الله (٢/٣٩٩)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

والبيهقي في شعب الإيمان (٣/١٦٩) ح٣٢٤٤ مختصراً، وذكره الزيلعي في تخـريج الأحاديـث والآثار في الكشّاف (٣/٨٤)، وابن حجر في الكـافي الـشافِ (١٣١) ح١٩١. وفي سـند الحديث: شهر ابن حوشب الأشعري، وقد اختلف فيه.

انظر: التاريخ الكبير (٤/٢٥٨)، وتهذيب التهذيب (٤/٣٦٩).

(٣) في «ق»: تعلى.

(٤) وقرأ الباقون بفتح الياء.

انظر: السبعة (٥١٦)، والتيسير (١٧٧)، والموضح (٢/١٠٢٠ـ١٠٢١)، والنشر (٢/٣٤٧).

(٥) انظر: أنوار التنـزيل (٥٥٠)، والدر المصون (٩/٨٧ـ٨٨).

جزاءً، وعن الحسن: أخفوا عن الناس أعمالهم أخفى الله جزاءهم لم يطلع عليه لا نبياً مرسلاً ولا ملكاً مقرباً[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ[2] قال الله تعالى[3]: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، بَلْه ما أطّلعتم عليه اقرؤا إن شئتم: «فلا تعلم نفس»»[4]. ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ﴾ خارجاً عن الدين رَدٌّ لما كانوا يزعمون أن لو كان بعثٌ فنحن أحسن حالاً من هؤلاء الصعاليك[5] قياساً للدار الآخرة على الدنيا. وعن عطاء بن

---

(١) ورد قول الحسن البصري بلفظ: «أخفى القوم أعمالهم في الدنيا فأخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت».

انظر: الكشّاف (٣٥/٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٠٥/١٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٦٧/٦) ولم أجده باللّفظ الذي أورده المصنّف.

(٢) في الأصل: صلعم.

(٣) في «ق»: تعلى.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٤٣٢/٢ ح٣٢٤٤، ومسلم في كتاب الجنة (١٦٦/١٧، ١٦٧). انظر: صحيح مسلم بشرح النووي.

بَلْه: بفتح الباء وإسكان اللاّم اسم لِدَعْ، ومصدر بمعنى الترك، واسم مرادف لكيف، وفسرها بعضهم بغير. انظر: تهذيب اللّغة (٣١٣/٦)، ومغني اللّبيب (١١٥/١).

(٥) الصعاليك: جمع صُعْلوك وهو الفقير، ويطلق على الفاتك شديد البأس.

انظر: القاموس المحيط (١٢٢١) مادة «صعلك»، والمعجم الوسيط (٥١٥/١) مادة «صعلك».

يسار(١) والسدّي(٢) أنها نزلت في علي بن أبي طالب وعقبة ابن أبي معيط(٣)، وقيل في علي ووليد بن عقبة(٤) وليس بصواب؛ لأنّ المراد بالفاسق هنا(٥) الكافر، ولأنّ السورة مكية فنزول الآية بعد بدر غير مستقيم(٦)(٧).

(١) عطاء بن يسار الهلالي المدني مولى ميمونة بنت الحارث الهلالية، من كبار التابعين، حجة، سمع طائفة من الصحابة، قال عنه ابن سعد: «كان ثقة كثير الحديث».
انظر: الطبقات الكبرى (٥/١٧٣)، وتهذيب الأسماء واللُّغات (١/٣٣٥).

(٢) السّدّي: إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الحجازي، الإمام المفسّر، اختلف في توثيقه، فقال عنه أحمد بن حنبل: ثقة، وقال يحي بن معين: ضعيف، وقال أبو زرعة: لين.
انظر: الطبقات الكبرى (٦/٣٢٣)، وسير أعلام النبلاء (٥/٢٦٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٢٠٨)، والنكت والعيون (٤/٣٦٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١٠٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٣٧٠).

(٤) وليد بن عقبة بن أبي معيط الأُموي القرشي، أسلم عام الفتح، وبعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق في قصة مشهورة، ولي لعثمان الكوفة ثم شرب الخمر بها، فأقام عليه عثمان الحدّ وحبسه اعتزل الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، مات بالرّقة.
انظر: أسد الغابة (٥/٩٠)، وتهذيب التهذيب (١١/١٤٢).

(٥) في «ص»: هذا.

(٦) في هامش الأصل، «ق»: «ردّ على الكشاف، وليد بن عقبة صحابي أسلم يوم الفتح وما نزل يوم بدر أو بعده مدني، ومنشأ الغلط قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ٦]».

(٧) انظر: جامع البيان (٢١/١٠٧)، وأسباب الواحدي (٤٠٥-٤٠٦)، والكشّاف (٥/٣٧)، وزاد المسير (٦/٣٤٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١٠٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير(٦/٣٧٠).

﴿ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ في الرتبة، وجمع الضمير بالنظر إلى المعنى.

﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾؛ لأنها دار الإقامة فهي المأوى حقيقة، والدنيا كمنزل المسافر، وقيل: جنة المأوى جنة مخصوصة عن يمين العرش تأوي إليه أرواح الشهداء[1]، ﴿ نُزُلًۢا ﴾ طعام يُعَدّ للنازل ثمّ صار عامّاً في كلّ عطاء[2]، ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ بسبب أعمالهم.

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا ﴾ فهم خالدون فيها لـما في «كلما» من التكرار، ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ يقال لهم هذا زيادة في العذاب بتوفير حظّ حاسة السمع كقول أبي نواس: ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر[3].

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ ﴾ في الدنيا من القحط والأسر[4]، ﴿ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ أي: عذاب الآخرة[5]، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

---

(١) القول الثاني قاله ابن عباس.

انظر: الكشّاف (٥/٣٦)، وأنوار التنزيل (٥٥٠)، والبحر المحيط (٧/٢٠٣).

(٢) انظر: المفردات (٨٠٠) مادة «نزل»، والبحر المحيط (٧/٢٠٣).

(٣) تمام البيت: ولا تسقني سِرّاً إذا أمكن الجهر.

وهو من بحر الطويل. انظر: ديوانه (٢٠١)، والكشّاف (٤/٤٦٢).

(٤) انظر: النكت والعيون (٤/٣٦٥)، وأنوار التنزيل (٥٥٠).

(٥) قاله ابن مسعود. انظر: الكشّاف (٥/٣٦)، وزاد المسير (٦/٣٤٢)، والبحر المحيط (٧/٢٠٣).

بالتوبة[1]، وعن مجاهد: العذاب الأدنى: عذاب القبر[2]، ومعنى لعلهم يرجعون: يطلبون الرجوع من باب: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[3][4][5]. أو الترجي راجع إليهم[6].

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ

وقال القرطبي: «ولا خلاف أن العذاب الأكبر عذاب جهنم». الجامع لأحكام القرآن (١٠٧/١٤).

(١) قاله ابن عباس وابن مسعود.

انظر: النكت والعيون (٣٦٥/٤)، وزاد المسير (٣٤٢/٦).

(٢) انظر: النكت والعيون (٣٦٥/٤)، والكشّاف (٣٦/٥).

قال القرطبي: «وفيه نظر؛ لقوله: «لعلهم يرجعون». الجامع لأحكام القرآن (١٠٧/١٤).

واختار الطبري العموم في معنى الآية وقال: «وأولى الأقوال في ذلك أن يقال: «إن الله وعد هؤلاء الفسقة المكذّبين بوعيده في الدنيا العذاب الأدنى أن يذيقهموه دون العذاب الأكبر، والعذاب: هو ما كان في الدنيا من بلاءٍ أصابهم، إمّا شدّة من مجاعةٍ أو قتل، أو مصائب يُصابون بها، فكلّ ذلك من العذاب الأدنى و لم يخصص الله تعالى ذكره». جامع البيان (١١٠/٢١).

(٣) الآية (٨) من سورة القصص.

(٤) في هامش الأصل، «ص»: «وإنما جعله من باب «فالتقطه آل فرعون»؛ لأنّ الترجي عليه محال، وقوله: يطلبون الرجوع نظير قوله: «أخرجنا منها». بعض الآية (١٠٧) من سورة المؤمنون.

(٥) اللاّم في «فالتقطه» هي لام الصيرورة، أو لام التعليل.

انظر: الدر المصون (٦٥١/٨)، ومغني اللّبيب (٢١٤/١).

(٦) في «ق» زيادة: وبعده لائح.

وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [٢٢-٣٠].

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ ﴾ أي: لا أظلم منه، و«ثم» لاستبعاد الإعراض مع الجلاء كقول الحماسي: يرى غمزات[1] الموت ثم يزورها[2].

﴿ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ طرّاً[3] فكيف بأظلمهم.

---

(١) كذا في الأصل، وفي باقي النسخ: غمرات، وهو الصواب.

(٢) البيت من بحر الطويل، وتمامه: وما يكشف الغماء إلاّ ابنُ حرّةٍ يرى غمرات الموت ثمّ يزورها.
والحماسي هو: جعفر بن علبة الحارثي.
والشاهد فيه: ثم يزورها، عطف الفعل بـ«ثم»؛ لأنّ بين رؤية الأهوال المفزعة وبين الإقبال عليها برغبةٍ بوناً في العادة.
انظرْ: الحماسة (٦٤)، والحماسة البصرية (١٥٠/١)، وسمط اللآلىء (٩٠٥/٢)، والكشّاف (٣٧/٥-٣٨)، والبحر المحيط (٢٠٤/٧)، والدر المصون (٨٩/٩).

(٣) طرّاً: أي جميعاً، وينصب على الحال أو المصدر.
انظر: لسان العرب (٢٦٥٣/٥) مادة «طرر».

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ كما آتيناك فلست ببدعٍ من الرّسل، ﴿ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ﴾ من لقاء الكتاب وأنّ ما أُوتيته نظير ما أُوتيَ موسى[1]، وقيل: من لقاء موسى الكتاب[2]، وقيل: من لقائك موسى يوم القيامة[3][4] أو ليلة الإسراء[5]، والأوّل هو الوجه؛ لقوله: ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾[6] ﴿ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ أي: كتاب موسى[7]، أو موسى[8].

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ ﴾ الناس، ﴿ بِأَمْرِنَا ﴾ بتوفيقنا أو بأمرنا إياهم بذلك.

---

(١) انظر: أنوار التنزيل (٥٥٠).

(٢) قاله السدي.

انظر: معالم التنزيل (٣/٥٠٣)، والكشّاف (٥/٣٨).

(٣) في الأصل، «ق»: القيمة.

(٤) انظر: النكت والعيون (٤/٣٦٦)، والكشّاف (٥/٣٨).

(٥) قاله قتادة، وابن السائب، ومجاهد، وأبو العالية.

انظر: زاد المسير (٦/٣٤٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١٠٨).

(٦) بعض الآية (٩٤) من سورة يونس.

(٧) قاله الحسن.

انظر: النكت والعيون (٤/٣٦٦)، وزاد المسير (٦/٣٤٤).

(٨) قاله قتادة.

انظر: النكت والعيون (٤/٣٦٦)، ومعالم التنزيل (٣/٥٠٣)، وزاد المسير (٦/٣٤٤).

وفي الحديث: «أخذ الله العهد على العلماء كما أخذ على الأنبياء ليبيننه للناس ولا يكتمون»[1][2]. ﴿لَمَّا صَبَرُوا۟ ﴾ على الطّاعات. وقرأ حمزة والكسائي «لِمَا» بكسر اللاّم وتخفيف الميم أي: لصبرهم، ومآل الوجهين واحد[3]، ﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ لتدبرهم فيها فكانوا أحقّاء بالإمامة؛ لكمال قوتهم العملية والنظرية، وتقديم الأوّل؛ لكونه المقصود من العلم[4].

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ أي: يميز بين المحقّ والمبطل من سائر الأمم، أو من بني إسرائيل.

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ أي: لأهل مكّة عطف على منوي مثل: ألم يكتف؟، والفاعل ما دلّ عليه ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ ﴾ أي: كثرة المهلكين،

---

(١) في «ق»: يكتمونه.

(٢) لم أجد حديثاً بهذا اللّفظ عن النبي ﷺ. وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/٢٣٥ ـ ٢٤٦) من قول أبي حازم.

وانظر: مقدمة سنن الدارمي (٥٦)، وصفة الصفوة (٢/١٥٩)، وسير أعلام النبلاء (١٠/٩٥).

(٣) وقرأ الباقون بفتح اللاّم وتشديد الميم.

انظر: السبعة (٥١٦)، والتيسير (١٧٧)، والموضح (٢/١٠٢١)، والنشر (٢/٣٤٧).

(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن الصبر واليقين: «ولهذا كان الصبر واليقين اللّذين هما أصل التوكّل يوجبان الإمامة في الدين». مجموع الفتاوى (٢٨/٤٤٢).

وقال ابن القيم: «إنّ إمامة الدين إنما تُنال بالصبر واليقين، فالصبر يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة، واليقين يدفع الشكوك والشبهات». زاد المعاد (٣/١٠).

أو هذا الكلام بمضمونه كقولك: لا إله إلا الله تعصم الدماء والأموال[1].

وقيل: فيه ضمير «الله»، ﴿ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْۚ ﴾ في أسفارهم وهي مساكن عاد وثمود وقوم لوط، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍۚ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ سماع تدبّر.

فإن قلت: كان الظاهر بعد ذكر المشي[2] في مساكنهم ورؤية غضب الله تعالى[3] «أفلا يبصرون»؟. قلتُ: تلك الرؤية كانت وقت مرورهم وقد ذهلوا عنها فلمّا ذكرهم إيّاها حذّرهم الذهول عنها بأن حثّهم على سماع الاتعاظ.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ ﴾ التي انقطع نباتها لعدم المطر، من جرز الشيء قطعه، لا الأرض التي لا تنبت[4]؛ لقوله: ﴿ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا ﴾ والمراد: كلّ أرضٍ هذه صفتها. وعن ابن عباس: أرض اليمن؛ وذلك لأنها مربع[5][6] أنعام أهل مكة، ﴿ تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ ﴾ من التبنّ والأوراق، ﴿ وَأَنفُسُهُمْۖ ﴾ من الحبّ والثمر[7]، ﴿ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ إبصار اعتبار فيستدلون به على أنّ من قدر على ذلك قدر على الإحياء.

---

(١) انظر: الكشّاف (٥/٣٩)، وأنوار التنزيل (٥٥١).

(٢) في «ق»: المضي.

(٣) في «ق»: تعلى.

(٤) انظر: المفردات (١٩١) مادة «جزر»، والكشّاف (٥/٣٩)، وأنوار التنزيل (٥٥١).

(٥) في «ق»: مرتع.

(٦) المربع: مفعل من ربع، وهو الموضع الذي يقام فيه زمن الربيع، وجمعه مرابع.
انظر: المعجم الوسيط (١/٣٢٤ــ٣٢٥) مادة «ربع».

(٧) انظر: الكشّاف (٥/٣٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١١٠)، وأنوار التنزيل (٥٥١).

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ يوم الفتح: يوم القيامة[1]؛ لقوله: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا﴾[2] من الفتاحة وهي الحكم، وقيل: يوم بدر[3]، أو يوم فتح مكة[4]، وعلى هذا معنى قوله ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ هم المقتولون[5] في ذلك اليوم[6]، وانطباق هذا الجواب على سؤالهم من حيث التهكّم والاستهزاء بهم

والتبن: ما تهشّم من سيقان القمح والشعير، وهو من علف الماشية.

انظر: المعجم الوسيط (١/٨٢) مادة «تبن».

(١) في النسخ كلّها: القيمة.

(٢) بعض الآية [٢٦] من سورة سبأ.

(٣) قاله عكرمة عن ابن عباس.

انظر: زاد المسير (٦/٣٤٤).

(٤) قاله ابن السائب ومجاهد والحسن.

انظر: الكشّاف (٥/٤٠)، وزاد المسير (٦/٣٤٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١١١).

(٥) في «ص»: المقبولون.

(٦) اليوم: يوم فتح مكّة.

انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٣٣٣)، وغريب القرآن لابن قتيبة (٣٤٧).

وقال ابن زيد: يوم الفتح إذا جاء العذاب، وبه قال مجاهد والحسن، واختاره الطبري وقال: «والصواب من القول في ذلك قول من قال: معناه: ويقولون متى يجيء هذا الحكم بيننا وبينكم يعنون العذاب يدل على أنّ ذلك معناه قوله: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ولا شكّ أن الكفار قد كان جعل الله لهم التوبة قبل فتح مكّة وبعده، ولو كان معنى قوله: «متى هذا الفتح» على ما قاله من قال: يعني به فتح مكة ... لكان لا توبة لمن أسلم

كما كانوا يستهزؤن في سؤالهم واستعجالهم فكأنه قال: كأني بكم وقد جاء ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه إيمانكم ولا تُنْظَرون إذا استنظرتم، ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ بعد ما بلَغْتَ الغاية القصوى من التبليغ والإنذار، ﴿ وَٱنتَظِرْ ﴾ النصر الموعود، ﴿ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾ ما تمنيهم أنفسهم من العاقبة والغلبة.

تمت السورة والحمد لله على آلائه الموفورة والصلاة[1] على محمد ذي الآيات المشهورة.

* * * *

من المشركين بعد فتح مكة، ولا شكّ أنّ الله قد تاب على بشرٍ كثير من المشركين بعد فتح مكّة، ونفعهم بالإيمان به وبرسوله فمعلوم بذلك صحة ما قلنا من التأويل وفساد ما خالفه». جامع البيان (١١٦/٢١). وبنحوه قال ابن كثير. انظر: تفسير القرآن العظيم (٣٧٥/٦).

(١) في الأصل: والصلوة.

تفسير
سورة الأحزاب

سورة الأحزاب

[مدنية وهي ثلاث وسبعون آية][1][2]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝٤ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۝٦ ﴾ [١-٦].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ لم يناده إلاّ ملقباً بما يدلّ على رفعة محلّه من الرسول والنبي والمزمل بخلاف سائر الأنبياء من قوله: يا موسى، ويا آدم؛ إجلالاً له،

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من «ق».

(٢) انظر: الكشّاف (٥/٤١)، والمحرر الوجيز (١٣/٤٥)، وأنوار التنزيل (٥٥١).

وإنما ذكر اسمه في قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾[1]، وقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾[2] فللحكم عليه بالرسالة، ألا ترى إلى قوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾[3]، وقوله: ﴿ءَامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[4] ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ دم على التقوى وازددْ إذ المسافة غير متناهية، ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ روي أنّ أبا الأعور السّلمي[5] وأبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل[6] قدموا المدينة فنزلوا على ابن أُبيّ رأس المنافقين وجدّ بن قيس[7] فأتوا رسول الله ﷺ وقالوا: دعْ

---

(١) بعض الآية (٢٩) من سورة الفتح.

(٢) بعض الآية (١٤٤) من سورة آل عمران.

(٣) بعض الآية (١٢٨) من سورة التوبة.

(٤) بعض الآية (١٣٦) من سورة النساء.

(٥) أبو الأعور السلمي: عمرو بن سفيان السلمي، شهد حنيناً ثم أسلم. قال أبو حاتم: لا تصحّ له صحبة ولا رواية. انضمّ في الفتنة إلى معاوية رضي الله عنه وكان من أشدّ الناس على عليّ رضي الله عنه.
انظر: أسد الغابة (٤/١٠٩)، (٥/١٣٨).

(٦) عكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، أسلم عام الفتح وشارك في قتال المرتدين، قال له النبي ﷺ عندما أسلم: مرحباً بالراكب المهاجر. قُتِل في أجنادين في خلافة عمر رضي الله عنه.
انظر: التاريخ الكبير (٧/٤٨)، وتهذيب التهذيب (٧/٢٥٧).

(٧) جدّ بن قيس بن صخر بن خنساء السلمي، ساد قومه في الجاهلية، كان ممن يظنّ فيه النفاق، حضر الحديبية و لم يبايع حيث كان مستتراً ببطن ناقته، توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه.
انظر: أسد الغابة (١/٢٧٤)، والبداية والنهاية (٥/٤).

ذكر اللاّت والعزى[1] وقل إن لها شفاعة، فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي في قتلهم، فقال: قد أعطيتهم الأمان فنزلت[2]. وقيل: نزلت في بني قريظة[3][4] والنضير[5] ويهود بني قينقاع كان ناس منهم آمنوا على النفاق وكان رسول الله ﷺ يلين لهم الجانب ويتجاوز عنهم إذا أتاه قبيح منهم[6]. وقيل: إنّ

---

(١) اللاّت والعزى: اللاّت: أحد أصنام العرب في الجاهلية، كانت تعبده ثقيف، بعث النبي ﷺ أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدمها بعد إسلام ثقيف.

انظر: معجم البلدان (٥/٤)، وتفسير القرآن العظيم (٧/٤٣٠).

والعزى: شجرة بوادي نخلة بين مكّة والطائف وكانت تعبدها غطفان وبنوا عليها بيتاً وأقاموا لها سدنة، وهي أعظم أصنام قريش وكانوا يفخرون بها ويعظمونها، أرسل النبي ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه فقطعها. انظر: معجم البلدان (٤/١١٦).

(٢) انظر: النكت والعيون (٤/٣٦٩)، وأسباب النزول (٤٠٧)، ومعالم التنزيل (٣/٥٠٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١١٤).

(٣) في «ق»: قريضة.

(٤) بنو قريظة: طائفة من اليهود كانوا يسكنون المدينة، وكان بينهم وبين النبي ﷺ عهد فنقضوه، وحاصرهم النبي ﷺ خمساً وعشرين ليلة ثم نزلوا على حكمه.

انظر: البداية والنهاية (٤/١١٨ـ١٢٨).

(٥) النضير: إحدى القبائل اليهودية المجاورة للمدينة، كانوا حلفاء لبني عامر، حاولوا قتل النبي ﷺ فأخرجهم إلى خيبر، وتركوا أموالهم فقسمها النبي ﷺ على المهاجرين والأنصار.

انظر: البداية والنهاية (٤/٧٦).

(٦) انظر: الكشّاف (٥/٤٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١١٤).

وقال الزيلعي عن هذا الأثر: غريب.

أهل مكّة دعوا رسول الله إلى أن يرجع عن دينه ويعطوه شطر أموالهم وأن يزوج[1] شيبة بن ربيعة ابنته[2]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما هم فيه من المنكر، ﴿حَكِيمًا﴾ في عدم معاجلتهم بالعذاب.

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ لا تعدل عنه تأكيد للنهي، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيوحي إليك ما تصلحون به أعمالكم أنت وأمتك. وقرأ أبو عمرو بالياء على أنه وعيد للكافرين والمنافقين[3]. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [في مجامع أمورك][4]، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ حافظاً موكولاً إليه الأمور.

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنه أنّ رسول الله قام يوماً يصلي والمنافقون يصلون معه، فسهى[5] في صلاته[6]، فقال المنافقون: إنّ له قلبين: قلب معكم وقلب مع أصحابه[7][8].

وقال ابن حجر: لم أجده.

انظر: تخريج أحاديث وآثار الكشّاف (٣/٩٥)، والكافي الشاف (١٣٢) ح١٩٩.

(١) في «ق»: وأن يزوجه، وهو المناسب لسياق القصة.

(٢) انظر: الكشّاف (٦/٤٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١١٥)، والبحر المحيط (٧/٢١٠).

(٣) وقرأ الباقون بالتاء. انظر: السبعة (٥١٨)، والتيسير (١٧٧)، والنشر (٢/٣٤٧).

(٤) ما بين المعكوفتين مطموسة من «ق».

(٥) في النسخ كلّها: فسهى. والصواب: فسها؛ لأنّ ألف «سها» أصلها الواو، تقول: سها يسهو.

(٦) في الأصل: صلوته.

(٧) في هامش الأصل، «ص»، «ق»: «حديث ابن عباس رواه الإمام أحمد والترمذي».

(٨) أخرجه الإمام في المسند (٤/٢٣٣) ح٢٤١٠ قال المحقق: «إسناده ضعيف». والترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة الأحزاب (٧٢٧) ح٣١٩٩، وقال: «هذا حديث حسن». والطبراني

وعن الزجاج أن عبد الله بن خطل[1][2] كان يقول: إنّ لي قلبين[3]، وقيل هو: أبو معمر[4] وكان من أحفظ العرب، وقيل هو: جميل بن أسد الفهري[5]، فلما انهزم المشركون يوم بدر ولّى هارباً فمرّ بأبي سفيان، فقال: ما فعل القوم، قال: هم بين مقتول وهارب، وكان قد علّق إحدى نعليه في يده والأخرى في رجله، فقال له: ما بال إحدى نعليك في يدك، فقال: ما ظننت إلاّ أنهما في رجلي[6]. فأكذب الله قوله وقولهم وجعل ذلك أصلاً بُنِيَ عليه شيئان لا حقيقة لهما وهما التبني والظهار، وذكر الجوف[7]؛ لزيادة التصوير وتقوية الإنكار[8].

في المعجم الكبير (١٢/١٠٦) ح١٢٦١٠، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأحزاب (٢/٤١٥)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه»، وقال الذهبي: «قلت قابوس ضعيف». وانظر: تقريب التهذيب (٢/١١٥)، والدر المنثور (٦/٥٦١).

(١) في «ح»، «ص»، «ق»: حنظل.

(٢) عبد الله بن خطل التيمي، أسلم ثم ارتدّ بعد أن قتل أحد الصحابة، أمر النبي ﷺ بقتله يوم فتح مكّة، فاشترك في دمه سعيد بن حريث المخزومي وأبو برزة الأسلمي.
انظر: السيرة النبوية (٣/٤٠٩ـ٤١٠)، وتاريخ الأمم والملوك (٣/١٢٠).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٢١٣ـ٢١٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١١٧).

(٤) انظر: الكشّاف (٥/٤٥)، وأنوار التنزيل (٥٥٢).
وأبو معمر هو: جميل بن معمر الفهري القرشي، أسلم عام الفتح وشهد مع رسول الله ﷺ حنيناً وكان يسمى في الجاهلية بذي القلبين وليس له عقب.
انظر: أسد الغابة (١/٢٩٥).

(٥) جميل بن أسد الفهري هو أبو معمر السابق.

(٦) انظر: النكت والعيون (٤/٣٧٠ـ٣٧١)، وأسباب النزول للواحدي (٤٠٧ـ٤٠٨)، والكشّاف (٥/٤٥)، وزاد المسير (٦/٣٤٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١١٦)

(٧) في «ص»: الحرف.

(٨) انظر: الكشّاف (٥/٤٥).

﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ كان الظهار في الجاهلية طلاقاً وحقيقته أن يقول الرجل لزوجته: أنت عليَّ كظهر أُمي، وكالأمّ سائر المحارم[1]. فأخبر الله تعالى بأنّ ذلك القول لا أصل له ولم يثبت له حكم في علم الله تعالى[2] كما لم تتعلّق إرادته بخلق قلبين في جوف، وقيل: لأنّ هذا يؤدّي إلى التناقض وأن يكون كلّ منهما أصلاً لكلّ القوى وغير أصل، ولأنّ الأمّ[3] مخدومة والزوجة خادمة، وفيه نظر؛ لأنّ الرأسين[4] أقوى وأكمل، ولكون الحسن شرعياً، ولتضمن الظهار معنى التجنب[5] عدّيَ بـ«من»[6].

قرأ[7] الكوفيون، وابن عامر «واللائي» بهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة على الأصل، والباقي فروعه بتغيير[8] ما، وورش بهمزة مكسورة مسهلة في الوصل

في هامش الأصل، «ص»: «وأيضاً فيه دفع التجوز؛ لأنه يطلق على الرأي والفعل، قال تعالى: «﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧]». وفي هامشٍ آخر للأصل: «ودفعاً لتوهم التجوز؛ فإن القلب يطلق على النفس والفعل والرأي».

(١) انظر: الزاهر (٣/٤٤٣ـ٤٤٥)، وبدائع الصنائع (٣/٢٣١)، والمغني (١١/٥٧ـ٦٢)، وروضة الطالبين (٨/٢٦١ـ٢٦٦).

(٢) في «ق»: تعلى.

(٣) في «ص»: اللاَّم.

(٤) في «ص»: الراين، وفي «ق»: الرأس.

(٥) في «ق»: التعجب.

(٦) انظر: الكشّاف (٥/٤٤)، وأنوار التنزيل (٥٥٢).

(٧) في الأصل: قراء.

(٨) في «ق»: بتغيّر.

ويقف بياء ساكنة، ولأبي عمرو، والبزي وجهان الياء الساكنة ومختلسة الكسر، وقرأ قالون، [وقنبل][1] بهمزة مكسورة لا ياء بعده[2].

وقرأ أبو عمرو، والحرميان بفتح التاء في «تظاهرون» والهاء وتشديدها والظاء بلا ألف. وابن عامر بالفتحتين وتشديد الظاء وتخفيف الهاء وألف بينهما. وعاصم بضمّ التاء وكسر الهاء وتخفيفها وألف بينهما. وحمزة، والكسائي بالفتحتين والألف وتخفيف الهاء فيهما، والوجه في الكلّ واضح لكن[3] التخفيف أشهر[4].

﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ جمع دعيّ وهو الذي يدّعي إبناً من غير وِلَادٍ[5]، وهذا هو المقصود من سوق الكلام، وذلك أنّ رسول الله كان دعا زيد بن الحارثة[6] إبناً قبل النبوة؛ لأنه كان قد سبي ووقع في يد حكيم بن

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٢) انظر: السبعة (٥١٨ ــ ٥١٩)، والموضح (١٠٢٣/٢ ــ ١٠٢٤)، والنشر (٤٠٤/١)، والإتحاف (٣٥٢).

(٣) في «ق»: ولاكن.

(٤) انظر: السبعة (٥١٩)، والتيسير (١٧٨)، والموضح (١٠٢٥/٢)، والنشر (٣٤٧/٢).

(٥) كذا في النسخ كلّها، وهو جائز في كلام العرب تقول: ولدت المرأة ولادة وولاداً.
انظر: أساس البلاغة (٥٠٨) مادة «ولد».

(٦) زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، مولى رسول الله ﷺ شهد المشاهد كلّها، وكان من الرماة المجيدين، استشهد في معركة مؤتة سنة ثمان للهجرة.

حزام[1] فوهبه لخديجة[2] زوج رسول الله، فوهبته له فجاء بعد أيام أبوه وعمه في طلبه، وكان رسول الله ﷺ أحبه، فلما طلباه منه، قال رسول الله: نخيره فإن اختاركم فهو لكم، وإن اختارني دعوه، قالوا: رضينا؛ ظناً منهم بأنه لا يختار على أبيه أحداً، فلما خُيّر اختار رسول الله وقال: إني رأيت منه شيئاً لم يره أحد من أبويه، فأخذ رسول الله ﷺ بيد زيد وأخرجه إلى المسجد الحرام ونادى: يا معشر قريش إن زيد بن الحارثة ابنٌ لي[3]. فلمّا تزوج زينب[4] قدح المنافقون وقالوا: كيف يتزوج زوجة ابنه وهو ينهى عن ذلك، فردّ الله بأنّ الأدعياء ليست أبناء[5].

انظر: أسد الغابة (٢/٢٢٤)، وسير أعلام النبلاء (١/٢٢٠).

(١) حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد، صحابي، وابن أخي خديجة أُمّ المؤمنين، كان من سادات قريش في الجاهلية والإسلام، أسلم يوم الفتح وهو من المعمرين، توفي بالمدينة سنة ٥٤هـ.

انظر: التاريخ الكبير (٣/١١)، وسير أعلام النبلاء (٣/٤٤).

(٢) خديجة بنت خويلد بن أسد، زوجة رسول الله ﷺ الأولى، وكانت ذات تجارة وشرف، ولما بُعِثَ ﷺ دعاها إلى الإسلام فكانت أوّل من أسلم، ماتت في رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين، وكان عمرها خمس وستين سنة ودفنت بالحجون.

انظر: الطبقات الكبرى (١/١٣١)، وسير أعلام النبلاء (٢/١٠٩).

(٣) انظر: الكشّاف (٥/٤٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١١٨).

(٤) زينب بنت جحش الأسدية، أخت عبد الله بن جحش، صحابية، أُمّ المؤمنين، أسلمت قديماً، تزوجها زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ ثم طلّقها، فتزوجها النبي ﷺ بأمر الله تعالى، وذلك سنة ثلاث من الهجرة أو خمس، ماتت سنة ٢٠هـ.

انظر: صفة الصفوة (٢/٤٦)، وسير أعلام النبلاء (٢/٢١١ـ٢١٨).

(٥) انظر: معالم التنزيل (٣/٥٠٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١١٩).

﴿ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ﴾ من غير أن يترتب عليه أمر في الأحكام الشرعية.

﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ ﴾ وما سواه باطل، ﴿ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾[1] طريق[2] الجنة.

وقد أوقع النظم في ردّ مقالتهم أحسن موقع، وذلك بأن بناه على قضيتين هما كالشاهدين مسلّمتين عندهم، ثمّ أتى بالفذلكة[3]؛ للدلالة على أنّ الثالث معهما ملزوق في قرن بلا انفصام، ثمّ ذيل الكلّ بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ تأكيداً على تأكيد وتمهيداً لما بعده من قوله: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ ﴾ إلى آخر السورة، فإنه تفصيل لقوله الحقّ وهداية السبيل، ﴿ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي: النسبة إلى الآباء هو القول الصواب، اسم التفصيل أُريد به الزيادة المطلقة، ﴿ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[4]، ﴿ وَمَوَٰلِيكُمْ ﴾ وأولياؤكم فقولوا: يا أخي، يا

---

(١) في «ص» زيادة: تأكيد على التأكيد وتمهيداً لما بعده من قوله.

(٢) في «ق»: طريقة.

(٣) الفَذْلَكه: لفظ مُحْدَث يُراد به: مجمل ما فُصِّل وخلاصته.

انظر: المعجم الوسيط (٢/٦٧٨) مادة «فذلك».

(٤) بعض الآية (١٠) من سورة الحجرات.

مولاي. ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِۦ ﴾ قبل ورود النهي أو بعده على سبيل الخطأ وسبق اللّسان، ﴿ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ مجرور عطف على ما أخطأتم، أو مبتدأ خبره محذوف أي: ولكن[1] ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح، ويجوز أن يُراد به العموم في الخطأ والعمد[2][3] كقوله ﷺ: «لا الخطأ أخشى عليكم ولكن[4] العمد»[5].

وعلى الوجهين ذكرهما يؤكد أمثال ما ندبوا إليه، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا ﴾ للمخطيء، ﴿ رَّحِيمًا ﴾ بقبول توبة العامد.

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ فيجب عليهم وقايته بالأرواح والمهج، وإيثار رضاه على رضاهم ولذلك تحرم مرغوبته على زوجها. وفي

(١) في «ق»: ولاكن.

(٢) انظر: الكشّاف (٥/٤٦)، والدر المصون (٩/٩٥).

(٣) في هامش الأصل: «ويدخل في العموم خطأ التبني وعمده دخولاً أوّلياً؛ لكون السياق لهما».

(٤) في «ق»: ولاكن.

(٥) أخرجه أحمد في المسند (١٣/٤٤٠) ح٨٠٧٤، وقال المحقق: «إسناده صحيح على شرط مسلم». والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، باب تفسير سورة التكاثر (٢/٥٣٤) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم»، وسكت عنه الذهبي. وأبو نعيم في الحلية (٤/٩٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/٢٨١ــ٢٨٢)، وذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشّاف (٣/٩٦ــ٩٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/١٢١)، وابن حجر في الكافي الشافِ (١٣٢) ح٢٠١.

الحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده والناس أجمعين»[1][2]. وهذا دفع لما عسى [أن][3] يُقال، وإن لم يكن الداعي أبناء[4] فليس في المرؤة[5] نكاح زوجته. والمعنى: أراف بهم من أنفسهم، لما روى أبو هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «ما من مؤمن إلاّ وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة فاقرؤوا إن شئتم: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فأيّما مؤمن ترك مالاً فليرثه عصبته مَن كانوا، وإن ترك دَيْناً أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاه»[6][7].

﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ في الاحترام والتعظيم وحرمة النكاح لا في تحريم بناتهن وأمهاتهن، وفي قراءة «أُبيّ»[8] وهو أبٌ لهم[9]. وقيل: لا يقال لرسول الله أبو

(١) في هامش الأصل: والحديث من رواية البخاري.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حبّ الرسول ﷺ من الإيمان (١/٢١-٢٢) ح١٤، ١٥. صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ (٢/١٥).

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٤) في «ص»، «ق»، «ح»: الدعيّ ابناً.

(٥) في «ق»: المروءة، وهو الصواب.

(٦) في هامش «ق»: روى الحديثين البخاري.

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الاستقراض، باب الصلاة على من ترك ديناً (٢/١٧٤-١٧٥) ح٢٣٩٩، ومسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الفرائض (١١/٦١).

(٨) أبي بن كعب بن قيس الأنصاري، أبو المنذر، سيّد القراء، شهد بدراً والمشاهد كلّها، قيل: إنه أوّل من كتب للنبي ﷺ مات في خلافة عثمان رضي الله عنه.

انظر: الطبقات الكبرى (٣/٣٩٨)، وسير أعلام النبلاء (٣/٣٨٩).

(٩) انظر: جامع البيان (٢١/١٢٢)، والمحرر الوجيز (١٣/٥٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١٢٣)،

المؤمنين؛ لقوله: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾[1]، والصواب الأول[2].

﴿ وَأُولُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ في التوارث، نسخ توارث الموالات[3] بين المهاجرين والأنصار[4]، ﴿ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ في اللّوح[5]، أو في القرآن[6]، وهي آية الأنفال[7]، أو هذه الآية، ﴿ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾ «من» بيان أي: أولوا الأرحام الذين هم هؤلاء بعضهم أولى ببعضٍ في التوارث من الأجانب، أو ابتدائية، أو تبعيضية، أي: أولوا الأرحام الكائنين من هؤلاء، أو هم

وأنوار التتريل (٥٥٢). ونسبه ابن خالويه وأبو حيان إلى ابن مسعود كما في شواذ القرآن (١١٩)، والبحر المحيط (٢١٢/٧). وردّها الزجاج بقوله: ولا يجوز أن تقرأ بها لأنها ليست في المصحف المجمع عليه». معاني القرآن وإعرابه (٢١٦/٤). والظاهر أنها من الحروف التي نسخت ولم تثبت في الإمام.

(١) بعض الآية (٤٠) من سورة الأحزاب.

(٢) رجح المصنف القول بجواز أن يقال للنبي ﷺ: أبو المؤمنين، وصححه القرطبي بقوله: «والصحيح أنه يجوز».

(٣) كذا في النسخ كلّها. والصواب: الموالاة.

(٤) انظر: الكشّاف (٥١/٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٢٤/١٤).

(٥) قاله قتادة.

انظر: النكت والعيون (٣٧٥/٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٢٤/١٤).

(٦) قاله ابن بحر.

انظر: النكت والعيون (٣٧٥/٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٢٤/١٤).

(٧) الآية (٧٢) قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ﴾.

بعضهم[1]، ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ﴾ برّاً وإحساناً استثناء من أعمّ العام[2] كقوله: «لا تشدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد»[3]، والمراد بالأولياء: المؤمنون والمهاجرون من إقامة المظهر مقام المضمر على تقدير الابتداء والتبعيض دون البيان؛ لأنّ الأجانب مدلول عليهم سياقاً إذ ذاك[4]. ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا﴾ أي: المذكور من الأحكام والكتاب[5] وما ذكر آنفاً.

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ۝٧ لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ۝٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ۝١١﴾ [٧-١١].

---

(١) انظر: الكشّاف (٥/٥١)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/١٠٥٢)، وأنوار التنزيل (٥٥٣).

(٢) هامش من الأصل: «أعمّ العام يريد من جنسه من المساجد لا مطلق المواقع».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب صوم يوم النحر (٢/٥٧) ح١٩٩٥، ومسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الحجّ، باب فضل المساجد الثلاثة (٩/١٦٧).

(٤) انظر: الكشف على الكشّاف (٣٩٦/ب).

(٥) في «ق»: والكتب.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾ أي: اذكر، والميثاق: أخذ العهد عليهم بأن يبلّغوا رسالته[1]، ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ هؤلاء هم أولوا العزم من الرّسل، أفردهم بالذكر؛ تنبيهاً على عظم شأنهم، وقدّم سيّدهم؛ إشارة إلى أنه المقدّم رتبة وإن تأخر زماناً، وعن الزجاج هو أوّلهم خلقاً وإن كان آخرهم بعثاً[2]، وتأخره في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾[3]؛ لأنّ المراد بيان أصالة دينه وقدم عهده[4]. ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ هو ذلك الميثاق، استعار له الغلظ من الأجرام إجلالاً له، وقيل هو: العهد المؤكّد باليمين[5].

---

(١) انظر: الكشّاف (٥/٥١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/٢١٦).

وقد أخرج البغوي بسنده عن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «كنت أوّل النبيين في الخلق وآخرهم في البعث». معالم التنزيل (٣/٥٠٨). وأخرجه ابن كثير وزاد فيه: «فبدىء بي قبلهم» وقال: «سعيد بن بشير فيه ضعف». تفسير القرآن العظيم (٦/٣٨٣). وانظر: تهذيب التهذيب (٤/٨)، والدر المنثور (٦/٥٧٠). وقد تعقب الزجاج نفسه هذا القول فقال: «ومذهب أهل اللّغة أنّ الواو معناها الاجتماع، وليس فيها دليل أنّ المذكور أوّلاً لا يستقيم أنّ يكون معناه التأخير، فالمعنى على مذهب أهل اللّغة: ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ومنك، ومثله قوله: ﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ الآية [٤٣] من سورة آل عمران.

انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/٢١٦ـ٢١٧).

(٣) بعض الآية (١٣) من سورة الشورى.

(٤) انظر: الانتصاف فيما تضمنه الكشّاف من الاعتزال (٥/٥٢) بحاشية الكشّاف.

(٥) انظر: الكشّاف (٥/٥٢).

﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ أي: الأنبياء عن صدق عهدهم في أداء الرّسالة، أو عن تصديق الأمم إيّاهم تبكيت لمن كذّب، مِن وضْع المظهر موضع المضمر مدحاً للرسل بالصدق[1]، أو المؤمنين الذين صدقوا في عهدهم حين أشهدهم على أنفسهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[2] ليشهد لهم الأنبياء بوفاء العهد وأداء الأمانة التي حملوها، أو تصديقهم الرّسل، فإن تصديق الصادق صدق[3]، ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ عطف على «أخذنا من النبيين» معنىً؛ لأنّ التقدير: أكّد الله العهد على الأنبياء في أداء الرّسالة؛ لإثابة المؤمنين وأعّد للكافرين عذاباً أليماً، أو على ما دلّ عليه «ليسأل الصادقين» كأنه قال: فأثاب هؤلاء وأعدّ لهؤلاء، وذلك لأنّ سؤال الصادقين عن صدقهم إثابة لهم وعنوان كلّ خير؛ إذْ لا يسأل المجرمون يومئذٍ[4]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ هم قريش وقائدهم أبو سفيان، وغطفان[5] وقائدهم

(١) انظر: أنوار التنزيل (٥٥٣)، والكشف على الكشاف (٣٩٧/أ).

(٢) بعض الآية (١٧٢) من سورة الأعراف.

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٥٥٣).

(٤) في هامش الأصل: «المراد بيومئذٍ موقف خاص؛ لقوله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾». الآية [٢٤] من سورة الصافات.

(٥) غطفان: بطن من العرب ومنازلهم مما يلي وادي القرى وجبلي طيء، شارك بنو غطفان مع الأحزاب في الهجوم على المدينة عام الأحزاب.

عيينة بن حصن[1]، وانضمّ إليهم بنو قريظة[2] والنضير من اليهود، وذلك في شوال سنة خمسٍ من الهجرة.

وسبب هذا الاجتماع أنّ رسول الله ﷺ أجلى بني النضير من المدينة إلى خيبر[3]، فذهب أشرافهم إلى أبي سفيان واتّفقوا على حرب رسول الله وبذلوا في ذلك وسعهم، فأتوا وأحاطوا بالمدينة، وأمر رسول الله ﷺ بحفر الخندق حول المدينة بإشارة سلمان الفارسي.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ وذلك بعد أن قاموا على محاصرة رسول الله ﷺ[4] قريباً من شهر فأرسل الله عليهم ريح الصبا وألفاً من الملائكة، فكبروا حول عسكرهم وقطعوا أطناب خيامهم وألقوا قدورهم، وسفت الريح في وجوههم، وألقى في قلوبهم الرّعب. فقال طلحة[5] بن خويلد الأسدي: أمّا

انظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (٣٤٨).

(١) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، أسلم بعد الفتح، وقيل: قبله، شهد حنيناً والطائف، وكان من المؤلّفة، ارتدّ بعد موت النبي ﷺ وتبع طليحة الأسدي وقاتل معه، فأسره الصحابة وحملوه إلى أبي بكر الصدّيق فأسلم.

انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/٤٨٥، ٤٩٤)، وتهذيب الأسماء واللُّغات (٢/٤٨).

(٢) في «ق»: بنوا قريضة.

(٣) وذلك في السنة الرابعة من الهجرة.

انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/١٩٠)، والبداية والنهاية (٤/٧٦).

(٤) في الأصل: صلعم.

(٥) ورد في النسخ كلّها: طلحة، والصواب: طليحة.

محمد فقد بدأكم[1] بالسحر، النجا النجا، فنادوا بالرحيل وانصرفوا خائبين[2]، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ لا يخفى عليه شيء. قرأ أبو عمرو بياء الغَيْبَة[3]. ﴿ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ ﴾ من أعلى الوادي بنو غطفان من شرقي المدينة، ﴿ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ ﴾ من جهة الغرب وهم قريش، وكانوا عدداً قريباً من إثني عشر ألفاً، خرج رسول الله ﷺ[4] في ثلاثة آلاف وأسند ظهره إلى سلع[5]، وحصّن الذراري والنساء في آطام[6] المدينة. ﴿ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ عن مستوي نظرها حيرة، أو مالت عن كلّ شيء وشخصت نحو العدو، ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ ﴾ جمع الحنجرة وهي منتهى الحلقوم، وهذا مثل

(١) في الأصل: بداءكم.

(٢) انظر: الكشّاف (٥٣/٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٥٨/١٤).

(٣) وقرأ الباقون بالياء.

انظر: السبعة (٥١٩)، والموضح (١٠٢٩/٢)، والنشر (٣٤٧/٢).

(٤) في الأصل: صلعم.

(٥) سلع: بفتح أوّله وسكون ثانية، جبل بالمدينة، وقال الأزهري: «سلع موضع بقرب المدينة».

انظر: معجم البلدان (٢٣٦/٣)، ومعجم ما استعجم (٧٤٧/٣).

(٦) آطام: جمع أُطُم وهو حصن مبني بالحجارة، وقيل: هو كلّ بيت مربع مسطح يجمع على آطام وأطوم وهي حصون أهل المدينة.

انظر: الفائق في غريب الحديث (٤٧/١)، ولسان العرب (٩٣/١) مادة «أطم».

في اضطراب القلوب من شدة الخوف، وقيل: إذا خاف الإنسان أو غضب انتفخت الرئة وارتفعت إلى الحنجرة، وارتفع القلب بارتفاعها"[1]. ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ فظنّ المؤمنون أنّ الله سينجز ما وعده رسوله من النصر، ولكن خائفون ضعف الاحتمال. والمنافقون يظنون أنّ الكفار يستأصلون محمداً وأصحابه حتى قال معتب بن قشير[2]: «كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط»[3]. أو المؤمنون الذين في إيمانهم ضعف وليس لهم فيه قدم راسخ يقولون: لو كان الله أراد نصر المؤمنين لما بلغ الأمر في الشدّة والضيق هذا المبلغ[4].

(١) انظر: المفردات (٢٦٠)، والكشّاف (٥/٥٤)، وأنوار التنزيل (٥٥٣).

(٢) معتب بن قشير بن مليل بن زيد الأنصاري، شهد العقبة وبدراً وأحد، وليس له عقب.

يقول ابن هشام: «وأخبرني من أثق به من أهل العلم أن متعب بن قشير لم يكن من المنافقين»، واحتجّ بأنه كان من أهل بدر.

انظر: الطبقات الكبرى (٣/٤٦٣)، والسيرة النبوية لابن هشام (٣/٢٢٢).

(٣) انظر: الكشّاف (٥/٥٣)، وأنوار التنزيل (٥٥٤).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (١٣/٥٤).

قرأ أبو عمرو، وحمزة «الظنون» بالقصر في الحالين. وابن كثير، وحفص، والكسائي بالقصر وصلاً والمدّ وقفاً. ونافع، وابن عامر، وأبو بكر بالمدّ في الحالين؛ مناسبة للفواصل وعليه الرّسم[1]، والقصر هو الأصل[2].

﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ امتحنوا فامتاز الثابت من المتزلزل، ﴿ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ روى مسلم بإسناده إلى حذيفة بن اليمان[3] أن رسول الله ﷺ قام يصلي تلك اللّيلة التي رحلت الأحزاب، ثمّ قال: مَن يأتني بخبر القوم وتكون له الجنة؟. حتى أعاد الكلام مراراً فلم يجبه أحد، ثم قال لي: يا حذيفة، فلم أجد بدّاً من الجواب، فقمت وبي من البرد والجوع ما لا يعلمه إلاّ الله، فقال: يا حذيفة: ادخل في القوم وانظر ما يفعلون ولا تحدث شيئاً، قال: قمت ومشيت كأنما أمشي في الحمّام[4] ولا أرى أثر الجوع، فلمّا دخلت فيهم رأيت

(١) في هامش الأصل: «في الإمام وفي غيره بحذف الألف».

(٢) انظر: السبعة (٥١٩)، والموضح (٢/١٠٢٦ــ١٠٢٨)، والنشر (٢/٣٤٧ــ٣٤٨).

(٣) حذيفة بن اليمان بن جابر العبسي، أسلم مع أبيه، وحضر أُحداً، صاحب سرّ رسول الله ﷺ كان من أعلم الصحابة بالفتن، فتح الدينور عنوة، واستعمله عمر بن الخطاب على المدائن، ومناقبه كثيرة، مات سنة ٣٦هـ.

انظر: حلية الأولياء (١/٢٧٠)، وسير أعلام النبلاء (٢/٣٦١).

(٤) الحمّام: لفظ مشتقّ من الحميم، وهو الماء الحار، والمراد أنه لم يجد البرد الذي يجده الناس وذلك من بركة إجابته لأمر النبي ﷺ.

انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/١٤٦)، والنهاية في غريب الحديث (٢٣٥) مادة «حمم».

أبا سفيان يُصْلِي ظهره بالنار، فوضعت سهماً في كبد القوس، ثم ذكرت قول رسول الله ﷺ لا تحدث شيئاً، فرجعت وأخبرت رسول الله بخبرهم وأخذني البرد الذي كان بي أولاً، فألبسني رسول الله ﷺ فضل عباءة كان يصلي فيها، فنمت حتى الصباح، فقال لي رسول الله: قمْ يا نومان»[1].

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [١٢-١٧].

﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ من عطف الصفات كقوله: إلى الملك القَرْم وابن الهمام[2]، أو مَن في قلبه مرض وضعف اعتقاد، ﴿ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ باطلاً لا حقيقة له.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد (١٤٧/١٢).

(٢) هذا صدر بيت من بحر المتقارب وتمامه:

... ... وليث الكتيبة في المزدحم.

ولا يعرف قائله.

والقَرْم: السيد، والهمام: عظيم الهمّة.

﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ قاله أوس بن قيظي[1][2] ومَن وافقه على رأيه، وعن السدي قاله ابن أُبي[3].

ويثرب اسم المدينة في الجاهلية، سميّت باسم رجل من العمالقة نزل بها ثم ورد النهي عن تسميتها بذلك، وسمّاها رسول الله ﷺ طابة[4][5].

والشاهد فيه: عطف الصفات بعضها على بعض والموصوف بها واحد، وذلك جائز.

انظر: الكشّاف (١/١٥٥)، والدر المصون (١/٩٧)، واللّباب في علوم الكتاب (١٥/٤٣)، وخزانة الأدب (١/٤٥١).

(١) انظر: النكت والعيون (٤/٣٨١)، والكشّاف (٥/٥٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١٤٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٣٩٠).

(٢) أوس بن قيظى بن عمرو بن زيد الأنصاري الحارثي، شهد أحداً مع ابنيه كنانة وعبد الله، كان له دور في الفتنة التي أثارها شاس بن قيس وتواعدت الأوس والخزرج على الحرب حتى خرج لهم رسول الله ﷺ وأبطل تلك الدعوى الجاهلية.

انظر: السيرة النبوية لابن هشام (١/٥٢٤، ٥٥٦)، وأُسد الغابة (١/١٤٨).

(٣) انظر: النكت والعيون (٤/٣٨١)، والوسيط (٣/٤٦٢)، وزاد المسير (٦/٣٥٩).

(٤) في هامش الأصل، «ق»، «ص»: في الحديث: «من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله رواه أحمد».

(٥) أخرج الإمام أحمد بسنده عن البراء: قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمّى المدينة يثرب فليستغفر الله، هي طابة هي طابة». المسند (٣٠/٤٨٣) ح١٨٥١٩ قال المحقق: «إسناده ضعيف».

قال ابن كثير: «تفرد به الإمام أحمد وفي إسناده ضعف». تفسير القرآن العظيم (٦/٣٩٠)، وضعف الألباني الحديث في ضعيف الجامع الصغير (٥٦٤٧).

وفي صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٣/٦٦) وعن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «رأيت في المنام أني أُهاجر من مكّة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب».

وقرأ حفص «مُقام» بضمّ الميم من الإقامة، والباقون بالفتح، وهذا أبلغ[1]، والمعنى: لا قيام، أو لا إقامة، أو لا مكان لكم عند رسول الله في وجه العدو، ﴿فَٱرۡجِعُواْ﴾ إلى بيوتكم، أو فارجعوا عن دينه وأسلموه إلى عدّوه.

﴿وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ﴾ أي: معرضةً للعدو، أصل العورة: كلّ عيب وخلل يُستحى[2] منه، ﴿وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍ﴾ تكذيب من الله لهم، ﴿إِن يُرِيدُونَ﴾ شيئاً، ﴿إِلَّا فِرَارٗا﴾ من القتال.

﴿وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا﴾ من جوانب المدينة، ولم يذكر الفاعل؛ إذ لم يتفاوت الحال، سواء كان الداخل هؤلاء أم غيرهم[3]، ﴿ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ الردّة عن الإسلام[4]. ﴿لَأٓتَوۡهَا﴾ لارتدوا، ﴿وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا

وقال ابن حجر: «وقوله: فإذا هي المدينة يثرب كان ذلك قبل أن يسميها ﷺ طيبة». فتح الباري (٧/٢٢٨).

وقد ورد الحديث بتسميتها طابة، قال ﷺ: «هذه طابة، وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه». صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ٨١ (٣/١٨٠) ح٤٤٢٢.

(١) انظر: التيسير (١٧٨)، والموضح (٢/١٠٢٩)، والنشر (٢/٣٤٨).

(٢) انظر: المفردات (٥٩٥) مادة «عور»، والكشّاف (٥/٥٥)، وأنوار التنزيل (٥٥٤).

(٣) انظر: مجاز القرآن (٢/١٣٥)، والكشّاف (٥/٥٥)، وأنوار التنزيل (٥٥٤).

(٤) انظر: الكشّاف (٥/٥٦).

ونقل بعض المفسرين الإجماع على أنّ الفتنة هي الرّدة عن الإسلام بالشرك، وهو إجماع غير مسلّم به؛ لمجيء الفتنة بمعانٍ أُخر.

﴿يَسِيرًا﴾ ريثما سئلوا؛ لعدم ذوقهم حلاوة الإيمان، أو لم يلبثوا في المدينة بعد الرّدّة إلاّ زماناً يسيراً ويقلع الله شأفتهم.

وقرأ الكوفيون، وأبو عمرو، وابن عامر «وآتوها»[1] بالمدّ بمعنى: الإعطاء، والقصر أبلغ[2]، ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ﴾ بنو حارثة[3] لما نزل في الغازين يوم أحد ما نزل عاهدوا الله ألاّ يفرّوا بعدها[4]. وقيل: هم السبعون الذين عاهدوا ليلة العقبة[5] أن يمنعوا عن رسول الله ما يمنعوا عن أنفسهم[6]، وقيل هم طائفة غابوا عن بدر عاهدوا الله تعالى[7] لئن

انظر: الوسيط للواحدي (٣/٤٦٢)، وزاد المسير (٦/٣٦١-٣٦٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١٥٠)، والتحرير والتنوير (٢١/٢٨٨).

(١) كذا في النسخ كلّها، والصواب «لآتوها».

(٢) قرأ نافع وابن كثير بالقصر.

انظر: السبعة (٥٢٠)، والتيسير (١٧٨)، والموضح (٢/١٠٣٠)، والنشر (٢/٣٤٨).

(٣) بنو حارثة: بطن من الأوس، وهم بنو حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس من قحطان. انظر: جمهرة أنساب العرب (٤٧١)، ونهاية الأرب (٢٠٧).

(٤) قاله يزيد بن رومان.

انظر: معالم التنزيل (٣/٥١٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١٥٠)، وأنوار التنزيل (٥٥٤).

(٥) ليلة العقبة، وتسمّى بيعة العقبة الثانية، وكان ذلك قبل الهجرة.

(٦) قاله مقاتل والكلبي.

انظر: معالم التنزيل (٣/٥١٧)، وزاد المسير (٦/٣٦٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١٥٠)، وفتح الباري (٧/٢١٩-٢٢٣)، وصحيح السيرة النبوية (١/١٩٨).

(٧) في «ق»: تعلى.

حضروا قتالاً ليُقاتلنّ عن رسول الله ﷺ ويكشفوا الكربة عن وجهه[1]، والكلّ خلاف الظاهر، والظاهر أنه في المنافقين، ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ عنه للمجازاة. ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾ إذ الموت لا بدّ منه إمّا حَتْف أنف[2] أو قتلاً. ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ جواب وجزاء أي: وإن نفعكم الفرار لا يكون ذلك إلاّ زماناً قليلاً لا يرغب العاقل في مثله[3].

﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ أي: لا أحد يقدر على خلاف مراده. وكان أصل الكلام: أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة، كقوله: متقلّداً سيفاً ورمحاً[4][5]، فاختصر الكلام، أو حمل الثاني على الأوّل؛ لما

---

(١) قاله قتادة. انظر: جامع البيان (٢١/١٣٧)، ومعالم التنزيل (٣/٥١٧)، وزاد المسير (٦/٣٦٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١٥٠).

(٢) حتف أنف: الحتف: الهلاك، مات فلان حتف أنفه: مات على فراشه من غير قتل، وذلك أنّ العرب كانت تعتقد أن المقتول تخرج روحه من مقتله، فإذا مات خرجت روحه من أنفه.

انظر: النهاية في غريب الحديث (١٨٦) مادة «حتف»، والمعجم الوسيط (١/١٥٤) مادة «حتف».

(٣) انظر: الكشّاف (٥/٥٦).

(٤) في هامش الأصل، «ص»: «أي معتقلاً رمحاً، وذلك أنّ العصمة إنما هي من السوء لا من الرحمة».

(٥) في هامش «ص»: «يا ليت زوجك في الوغى متقلّداً سيفاً ورمحاً. أي: ومعتقلاً رمحاً، اعتقال الرمح أن يضعه بين الساقين في الرّكاب».

وورد البيت برواية أُخرى: ورأيت زوجك في الوغى متقلّداً سيفاً ورمحاً.

وهو من بحر الكامل المجزوء، وقائله: عبد الله بن الزبعرى.

في العصمة من معنى المنع، وهذا مقرر ومؤكّد؛ لعدم نفع الفرار[1]، ﴿ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ في حال من الأحوال.

قال تعالى: ﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [١٨-٢١].

﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ ﴾ المانعين، من العوق وهو: المنع، والتفعيل؛ لتكثير الفعل والمبالغة فيه و«قد» للتحقيق[2]. وهم المنافقون المثبطون للمسلمين عن القتال، ﴿ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ ﴾ من أهل المدينة من الأنصار، ﴿ هَلُمَّ

والشاهد فيه: عطف كلمة «رمحاً» على «سيفاً» مع كون كلمة «رمحاً» متعلق بمحذوف تقديره: حاملاً أو معتقلاً. انظر: الإنصاف (٢/٦١٢)، والخصائص (٢/٤٣٣)، والكشاف (٥/٥٦)، وشرح المفصّل (٢/٥٠)، والدر المصون (١/١١٢)، وخزانة الأدب (٢/٢٣١).

(١) انظر: الكشّاف (٥/٥٦ـ٥٧).

(٢) انظر: الجنى الداني (٢٥٧)، ومغني اللّبيب (١/١٧٤).

﴿إِلَيْنَا﴾ قرّبوا أنفسكم منا وتمتعوا بظل الأشجار وأكل الثمار، وما محمد وأصحابه إلاّ أكلة رأس[1]. و«هلم» اسم فعل يُطلق على الواحد وما فوقه عند أهل الحجاز، وعند تميم يُثنّى ويُجمع[2]، ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلاّ إتياناً قليلاً، يوهمون بذلك أنهم مع المؤمنين.

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ بخلاء بالمعاونة والإنفاق في سبيل الله، وقيل: أضناء بكم مشفقين عليكم متحننين كما يفعله [الرجل][3] بالذاب[4] عن المناضل عنه، والشحّ: البخل إذا قارنه الحرص، ونصبه على الحال أو الذمّ[5]. ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ أحداقهم لا تستقرّ في مكانها من شدّة الخوف، ﴿كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ كمن وقع في سكرات الموت، ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ﴾ وحيزت الغنائم، ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ استقبلوكم سالقين،

---

(١) انظر: النكت والعيون (٤/٣٨٤)، والكشّاف (٥/٥٧)، والبحر المحيط (٧/٢١٩).
وقول المصنّف: «أكلة رأس» أي: أنّ عددهم قليل. انظر: أساس البلاغة (٨) مادة «أكل».

(٢) انظر: الكتاب (١/٢٤١، ٢٤٨)، (٣/٥٢٩)، والمفردات (٨٤٤، ٨٤٥) مادة «هلم»، والبحر المحيط (٧/٢٢٠)، والدر المصون (٥/٢١١ــ٢١٣).

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح»، «ص»، «ق».

(٤) في «ح»، «ص»، «ق»: الذاب.

(٥) انظر: المفردات (٤٤٦) مادة «شحح»، والكشّاف (٥/٥٧)، وأنوار التنزيل (٥٥٥).
قال الزمخشري: ««أشحة عليكم» في وقت الحرب أضنّاء بكم يترفرفون عليكم كما يفعله الرّجل الذّاب عنه المناضل دونه عند الخوف».

والسلق: رفع الصوت، ومنه في الحديث: «لعن الله الحالقة والسالقة»[1][2]. ﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ على الغنيمة كأنها عين أموالهم ويقولون: لولا نحن وشوكتنا لم يظفروا بشيء، نصب على الحال أيضاً، أو الذمّ[3]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون، ﴿لَمْ يُؤْمِنُوا۟﴾ قطّ؛ لأنّ الإيمان فعل القلب[4]. ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ لم يعتد بها وجعلها هباء منثوراً لعدم الأساس، ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ لكونها حقيقة بالإحباط لا صارف عنه.

---

(١) في هامش الأصل، «ص»، «ق»: «الحالقة التي تحلق شعرها لموت أحد، والسالقة النائحة».

(٢) ورد هذا الحديث بهذا اللّفظ بدون سند في النهاية في غريب الحديث (٤٤٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٥٣/١٤). وبنحوه في مسند أبي عوانة (١/٥٧ـ٦٠)، وسنن البيهقي (٦٤/٤).

وأخرج أحمد عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من سلق وحلق وخرق». المسند (٣٠٣/٣٢) ح١٩٥٣٥، قال المحقق: «حديث صحيح». وانظر: فتح الباري (١٣٣/١).

(٣) انظر: الكشّاف (٥٧/٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٥٣/١٤)، والدر المصون (١٠٥/٩).

(٤) قول المصنّف: «الإيمان فعل القلب»، يحتاج إلى إيضاح؛ لأنّ الإيمان قول اللّسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، والمصنّف يوضح أنّ المنافقين لم يؤمنوا؛ لظنهم إنّ الإيمان هو قول باللّسان فقط.

انظر: التمهيد (٢٤٨/٩)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (٨٣٢/٤)، ومجموع الفتاوى (٣٠٨/٧)، (٤٧٢/١٢)، ونواقض الإيمان القوليه والعمليه (١٤ـ٣٥).

﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ﴾ وقد أيقنوا بذهابهم، وذلك من غاية جبنهم وغلبة الوهم على القوّة العاقلة، ﴿ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ ﴾ مرّة أخرى، ﴿ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ ﴾ ساكنوا البدو بين الأعراب لا يبالون بفراق المال والوطن[1]، ﴿ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ﴾ كلّ قادم من جانب المدينة، أو يسأل هؤلاء القائلون لإخوانهم هلمّ إلينا عما جرى بينكم وبين الأحزاب[2]، ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم ﴾ في جيشكم حاضرين، ﴿ مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ رياءً[3] أو خوفاً، ثم يفرون[4].

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ الأسوة ما يؤتسي به أي[5]: يقتدي، والمعنى: أنه في نفسه أُسوة حسنة، أي: قدوة كما يقول في البيضة[6] كذا منّاً[7] من الحديد أي: هي في نفسها عشرون منّاً، أو فيه خصلة من حقها أن

---

(١) انظر: أنوار التنزيل (٥٥٥).

(٢) انظر: الكشّاف (٥/٥٨)، وزاد المسير (٦/٣٦٧).

(٣) قاله مقاتل. انظر: زاد المسير (٦/٣٦٧).

(٤) انظر: النكت والعيون (٤/٣٨٧)، وأنوار التنزيل (٥٥٥).

(٥) في «ق»: أو.

(٦) البيضة: الخوذة وهي المغفر من الحديد يجعل على الرأس.
انظر: القاموس المحيط (٨٢٣) مادة «بيض»، والمعجم الوسيط (١/٧٩، ٢٦١) مادة «بيض».

(٧) المنّ: معيار قديم يوزن به وقدره رطلان بغداديان.
انظر: القاموس المحيط (١٥٩٤) مادة «منّ»، والمعجم الوسيط (٢/٨٨٩) مادة «منّ».

تؤتسى[1] بها[2]. وقرأ عاصم بضمّ الهمزة وهي لغة تميم، والكسر لغة الحجاز الفصحاء[3]. ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ أي: يأمل ثوابه، أو يخاف عقابه، وخصوصاً اليوم الآخر؛ فإن هوله شديد، والجار صلة «حسنة» لا «أُسوة»؛ لأنّ المصدر الموصوف لا يعمل، أو مع المجرور بدل من «لكم» بدل بعض، أي: لمن كان يرجو الله منكم وامتناع الإبدال من المتكلم، أو المخاطب إنما هو في بدل الكلّ. وأيضاً ذلك في الإبدال عن الضمير، وهذا إبدال الجار والمجرور[4][5]، ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ في أحيانه جامعاً بين الرجاء والذكر، وهذه كانت صفة المقتدى به ﷺ فيحصل بها كمال التأسي.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا

---

(١) في «ص»: تؤتسى.

(٢) انظر: الكشّاف (٥/٥٨)، وأنوار التنزيل (٥٥٥).

(٣) وقرأ الباقون بكسر الهمزة.

انظر: السبعة (٥٢٠ـ٥٢١)، والتيسير (١٧٨)، والموضح (٢/١٠٣٢).

(٤) في هامش الأصل: يردّ على القاضي.

(٥) انظر: البيان (٢/٢٦٧)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/١٠٥٥)، وأنوار التنزيل (٥٥٥)، والبحر المحيط (٧/٢٢٢)، والدر المصون (٩/١٠٨ـ١٠٩).

رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [٢٢-٢٧].

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ ﴾ بقوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ﴾[1] ﴿ وَرَسُولُهُۥ ﴾ حيث قال: إن الأحزاب سائرون إليكم في آخر تسع ليال أو عشر، فلما رأوهم وزلزلوا زلزالاً شديداً أيقنوا بالنصر والعاقبة[2]. ﴿ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ أي: ظهر صدقهما فيما وعدا، وإيثار المظهر في الاسمين للاستلذاذ، ولأنّ إسناد الصدق إلى الصريح أبلغ[3]، ﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا ﴾ بصدق وعد الله، ﴿ وَتَسْلِيمًا ﴾

(١) بعض الآية (٢١٤) من سورة البقرة.

(٢) قاله ابن عباس.

انظر: الكشّاف (٥/٥٩)، وأنوار التنزيل (٥٥٥)، والبحر المحيط (٧/٢٢٢).

وقال ابن حجر: «لم أجده». ونقل المناوي عن العراقي قوله: «لم أقف عليه».

الكافي الشافِ (١٣٣) ح٢٠٨، والفتح السماوي (٣/٩٢٨) ح٨٠٩.

(٣) وهناك معنى آخر للإظهار وهو التعظيم.

انظر: أنوار التنزيل (٥٥٥)، والدر المصون (٩/١٠٩).

لقضائه وانقياداً له. ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ لـمّا ذكر صدق وعده أردفه بذكر صدق العهد من عباده الذين قد تخلّقوا بأخلاقه. نزلت في أنس بن النضر[1] لم يكن شهد بدراً، فقال: أوّل مشهد شهده رسول الله غبته لئن شهدت معه مشهداً ليرينّ الله ما أصنع، فلما كان يوم أُحد نادى سعد بن معاذ: يا أبا عمرو واهاً لريح الجنّة، أجدها من قِبَلِ أحد، قال سعد: فأردت أن أصنع مثل ما يصنع فلم أقدر، فقتل شهيداً، قالت أُخته: ما عرفته إلاّ ببنانه، ووجدت فيه بضعاً وثمانين من ضربة وطعنة[2]. ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ كأنسٍ، وحمزة[3]،

(١) أنس بن النضر بن ضمضم الخزرجي الأنصاري، لم يشهد بدراً فقال: والله لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرينّ الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد أبلى بلاءً حسناً واستشهد و لم يعرفه أحد إلاّ أُخته ببنانه من كثرة الجروح. انظر: أُسد الغابة (١/١٣١)، والبداية والنهاية (٤/٣٢ـ٣٣).

(٢) أخرجه البخاري مختصراً في كتاب تفسير القرآن، باب: «فمنهم من قضى نحبه» بسنده عن أنس (٣/٢٧٧) ح٤٧٨٣، وأخرجه كذلك في كتاب المغازي، باب غزوة أحد (٣/١٠٣) ح٤٠٤٨ ولم يذكر الآية مع الحديث. والواحدي في أسباب النزول (٤١٠) مختصراً، والترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأحزاب (٧٢٧) ح٣٢٠٠، ٣٢٠١ كلاهما عن أنس ابن مالك وقال عنهما: هذا حديث حسن صحيح. وانظر: جامع البيان (٢١/١٤٧)، ومعالم التنزيل (٣/٥٢٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١٥٩)، وتفسير القرآن العظيم (٦/٣٩٣ ـ ٣٩٤). واسم أُخته هي: الرُّبيّع بنت النضر.

(٣) حمزة بن عبد المطّلب بن هاشم القرشي الهاشمي، أبو عمارة، عمّ النبي ﷺ وأخوه من الرّضاعة، استشهد في أُحد، وقتله وحشي بن حرب، ومناقبه وشجاعته مشهورة رضي الله عنه.
انظر: تهذيب الأسماء واللّغات (١/١٦٨)، وسير أعلام النبلاء (١/١٧١).

ومصعب بن عمير[1]. النحب: النذر، أُريد به الموت؛ لأنه لازم لزوم النذر[2]. ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ كطلحة[3]، وعثمان، والزبير[4]، ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ كما فعل المنافقون الذين عاهدوا الله من قبل. ﴿لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ متعلّق بالمثبت والمنفي على سبيل النشر، والمعنى: قصد الذين صدقوا بصدقهم العاقبة الحسنى والمبدّلون العذاب، وعكس وذلك، وجعل التبديل للعذاب مجاز كقوله: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[5]، أو بعد الاستعارة انسلك في سلك الحقيقة[6]،

---

(١) مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، أبو محمد، أسلم بمكّة، وكان صغيراً، وكتم إسلامه وكان فتىً منعماً، بعثه الرسول ﷺ إلى المدينة ليدعو إلى الله عز وجلّ ويعلّم القرآن، شهد بدراً واستشهد يوم أحد، وكان صاحب الراية.
انظر: حلية الأولياء (١/١٠٦)، وسير أعلام النبلاء (١/١٤٥).

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/١٣٥)، والكشّاف (٥/٥٩ـ٦٠).

(٣) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي، أحد السابقين إلى الإسلام، ومن العشرة المبشرين بالجنة، شهد أُحداً ولم يشهد بدراً؛ لأنه كان في تجارة إلى الشام، توفي سنة ٣٦هـ.
انظر: صفة الصفوة (١/٣٣٦)، وتهذيب التهذيب (٥/٢٠).

(٤) الزبير بن العوّام بن خويلد بن أسعد، حواري رسول الله ﷺ وابن عمته، أحد العشرة المبشرين بالجنة، أوّل من سلّ سيفه في سبيل الله، شهد المشاهد كلّها، وشهد اليرموك وفتح مصر، مات يوم الجمل مقتولاً عند انصرافه عن القتال عام ٣٦هـ بوادي السباع في البصرة.
انظر: تهذيب الأسماء واللّغات (١/١٩٤)، وسير أعلام النبلاء (١/٤١).

(٥) بعض الآية (٨) من سورة القصص.

(٦) انظر: الكشف على الكشّاف (٣٩٧/ب).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لما فرط من الصادقين، ﴿رَّحِيمًا﴾ بقبول توبة المنافقين إن تابوا.

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: الأحزاب، ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ ملتبسين به لم يفارقهم، ﴿لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا﴾ قطّ بوجه مع ما خسروا من الأموال ومشاقّ السفر ثم ولّوا هاربين، بيان لسبب الغيظ، ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ بإرسال الريح والملائكة(١) عليهم، وهذا زيادة امتنان على المؤمنين حيث أنجاهم من تلك البليّة العظمى من غير حولٍ منهم ولا قتال. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ ذا قوّة بالغةٍ لا يُغالب.

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أعانوهم وهو بنو قريظة(٢)، كانوا معاهدين رسول الله ﷺ فنقضوا العهد(٣)، ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ من حصونهم(٤)، جمع صَيْصيّة(٥) وهي ما يدفع به الشيء ويحصن، ولذلك يُقال

(١) في الأصل: الملئكة.

(٢) في « »: بنو قريضة.

(٣) قال ابن عطية: «يريد بني قريظة بإجماع من المفسرين».

المحرر الوجيز (١٣/٤٦)، وهو إجماع صحيح؛ لعدم المخالف.

انظر: النكت والعيون (٤/٣٩١)، وزاد المسير (٦/٣٧٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١٦١)، والدر المنثور (٦/٥٩١).

(٤) قاله مجاهد، وعكرمة، وعطاء، وقتادة، والسدي.

انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٣٩٩).

(٥) في «ح»: حصيصه، وفي «ق»: صيصة.

لقرون البقر: صياص[1]. ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ تقتلون الكبار وتأسرون الصغار والنساء، وذلك أنّ رسول الله ﷺ لما رجع من مقاتلة[2] الأحزاب دخل بيت أُمّ سلمة رضي الله عنها[3] ووضع السلاح وشرع يغتسل تبدّى له جبرئيل[4] معتجراً[5][6] بعمامة فقال: أوضعت السلاح؟، قال: بلى، قال: لكن الملائكة[7] لم تضع السلاح وهذا الآن رجوعي من طلب القوم، اخرج إليهم وأشار إلى بني قريظة، وكان بعد صلاة الظهر فأذن رسول الله ﷺ[8] بالمسير إليهم وقال: لا يصلين أحد العصر إلاّ في بني قريظة، فصلّى بعضهم في الطريق وقالوا لم يرد إلاّ سرعة النهوض إليهم، ولم يصلّ آخرون؛

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/١٣٦)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٢٢٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/٣٤٠)، والصحاح (٣/١٠٤٤)، والمفردات (٥٠٠).

(٢) في «ص»: مقابلة.

(٣) أُمّ سلمة: هند بنت أبي أُمية، تزوجها أبو سلمة، وبعد أن مات تزوجها رسول الله ﷺ فصارت أُمّ المؤمنين، صحابية جليلة روت أحاديث كثيرة، ماتت سنة ٥٩هـ، وصلّى عليها أبو هريرة ودفنت بالبقيع. انظر: صفة الصفوة (٢/٤٠)، أسد الغابة (٥/٥٦٠).

(٤) في «ح»: جبريل.

(٥) في «ق»: معتجل.

(٦) معتجراً: اعتجر العمامة: لفّها على الرأس، وقيل: لفّ العمامة من غير أن يتلحّ بها.
انظر: الصحاح (٢/٧٣٧) مادة «عجر»، الغريبين (٤/١٢٣١) مادة «عجر».

(٧) في «ص»، والأصل: الملئكة.

(٨) في الأصل: صلعم.

امتثالاً لقوله، فلم يعنّف على أحد، فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، فرضوا بأن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ وكانوا حلفاءه يرجون(١) أن يستطلقهم من رسول الله ﷺ كما فعل ابن أبيّ بيهود بني قينقاع. وكان [سعد](٢) قد جرح يوم أحد في أكحله(٣)، فأتوا به راكباً على حمار، فلما قرب قال رسول الله ﷺ: قوموا إلى سيدكم فقاموا فنزلوه، فقال رسول الله: إن هؤلاء قد نزلوا على حكمك فأعرض عن رسول الله إجلالاً، وقال: قد حكمت بأن تقتل مقاتلتهم وتسبي ذراريهم ونساؤهم، فكبر رسول ﷺ وقال: لقد حكمت بحكم الله فوق [سبع أرقعة](٤)(٥). ثم أمر بالأخاديد خدّت في الأرض(٦) ثمّ قدّمهم وضرب أعناقهم وكانوا بين سبعمائة إلى ثمانمائة(٧).

---

(١) في «ص»: يرجعون.

(٢) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٣) أكحله: الأَكْحُل: عرق في اليد، أو عرق الحياة. انظر: الصحاح (١٨٠٩/٥) مادة «كحل»، والنهاية في غريب الحديث (٧٩٣) مادة «كحل»، والقاموس المحيط (١٣٦٠) مادة «كحل».

(٤) ما بين المعكوفتين مطموسة في «ص».

(٥) في هامش الأصل، «ق»: «الأرقعة جمع رقيع، وهي السماء؛ لأنّ كلّ سماء رقع للآخر، كالرقاع بعضها فوق بعض».

(٦) الأخاديد: جمع أُخدود وهو الشقّ المستطيل في الأرض وخدّ الأرض يخدّها أي: شقّها. انظر: الصحاح (٤٦٨/٢) مادة «خدد».

(٧) أخرجه البخاري مختصراً في كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بن معاذ (٤٣/٣) ح٣٨٠٤ عن أبي سعيد الخدري، وأخرجه كذلك عن عائشة في كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب (١١٩/٣) ح٤١٢٢ بنحوه.

﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ ﴾ بلادهم، ﴿ وَدِيَـٰرَهُمْ ﴾ بيوتهم، ﴿ وَأَمْوَٰلَهُمْ ﴾ سائر ما يملكون من الصامت والناطق، ﴿ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ﴾ بعْدُ بشارة بفتح مكّة[1]، وقيل: خيبر[2]، وقيل: فارس[3]، والوجه أنها كلّ أرض تُفْتَح إلى يوم القيامة[4]، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ لا يعجزه شيء.

وانظر القصّة على اختلاف في الروايات في:
معالم التنزيل (٣/٥٢١ــ٥٢٣)، وزاد المسير (٦/٣٧٣ــ٣٧٤)، والسيرة النبوية لابن هشام (٣/٢٣٩، ٢٥٩)، وتفسير القرآن العظيم (٦/٣٩٧ــ٣٩٨)، والبداية والنهاية (٤/١٢٢).

(١) قاله قتادة.

انظر: النكت والعيون (٤/٣٩٤)، ومعالم التنزيل (٣/٥٢٥)، وزاد المسير (٦/٣٧٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١٦١).

(٢) قاله السدي وابن زيد.

انظر: النكت والعيون (٤/٣٩٣)، ومعالم التنزيل (٣/٥٢٥)، وزاد المسير (٦/٣٧٥).

(٣) قاله الحسن.

انظر: النكت والعيون (٤/٣٩٣)، ومعالم التنزيل (٣/٥٢٥)، وزاد المسير (٦/٣٧٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١٦١).

(٤) قاله عكرمة.

انظر: النكت والعيون (٤/٣٩٣)، ومعالم التنزيل (٣/٥٢٥)، وزاد المسير (٦/٣٧٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١٦١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٣٩٩).
واختار هذا القول الطبري وقال: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه أورث المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ أرض بني قريظة وديارهم وأموالهم وأرضاً لم يطؤوها يومئذٍ ولم تكن مكّة ولا خيبر ولا أرض فارس والروم ولا اليمن مما كان وطئوه يومئذٍ،

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [٢٨-٣٤].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ أي: متاع الحياة(١) وزخارفها، ﴿ فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ ﴾ أعطيكن المتعة، ﴿ وَأُسَرِّحْكُنَّ ﴾ أطلقكن، ﴿ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ من غير بدعة ولامضارّة، عن جابر ﷺ أنّ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما دخلا على رسول الله وحوله نساؤه وهو واجم(٢)، فقال

ثم وطؤوا ذلك بعد، وأورثهموه الله، وذلك كلّه داخل في قوله: «وأرضاً لم تطؤوها»؛ لأنه تعالى ذكره لم يخصص من ذلك بعضاً دون بعض». جامع البيان (٢١/١٥٥).

(١) في الأصل: الحيوة.

(٢) واجم: وجم الرجل حزن حتى أمسك عن الكلام، والواجم الذي أسكته الهمّ وعلته الكآبة. انظر: الغريبين (٦/١٩٧٤) مادة «وجم»، والفائق (٤/٤٥٥) مادة «وجم».

عمر: لأقولنّ كلاماً أُضحك بـه رسول الله، فـقال: يا رسول الله لـو رأيتني اليوم وقد سألتني بنت زيد[1] نفقة، فقمت فوجأت[2] عنقها، فقال رسول الله ﷺ: ومَن حولي يطلبن النفقة، فقام أبو بكر إلى عائشة وعمر إلى حفصة[3] يريدان ضربهما فنهاهما رسول الله فنزلت. فبدأ بعائشة وقال: يا عائشة إني ذاكرٌ لك أمراً فلا تستعجلي حتى تستأمري أبويك، فلما تلا عليها الآية، قالت: ففي هذا أستأمر أبويّ إني أختار الله ورسوله، وقـالت له: لا تذكر لأزواجك أني اخترت الله ورسوله، فقال: لا تسألني واحدة إلاّ أخبرتها إنما بعثت مبلغاً ولم أُبعث معنتاً»[4].

---

(١) بنت زيد: روى مسلم في صحيحه بشرح النووي (١٠/٨١) أنها بنت خارجة، وفي رواية أحمد: بنت زيد، وهي جميلة بنت ثابت الأوسية الأنصارية، أمّ عاصم، وقد طلقها عمر ثمّ تزوجت يزيد ابن جارية، ونسبها عمر إلى جد لها اسمه زيد.
انظر: الطبقات الكبرى (٣/٢٦٥)، (٨/٣٤٦)، والإصابة (٤/٢٦٢).

(٢) فوجأت: وجأ العنق أي: طعنه، أو دقّ العنق.
انظر: أساس البلاغة (٤٩٢) مادة «وجا»، والنهاية في غريب الحديث (٩٥٩) مادة «وجأ».

(٣) حفصة بنت عمر بن الخطاب، أمّ المؤمنين، وبنت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تزوجها النبي ﷺ سنة ٣ من الهجرة وعمرها عشرون سنة، وقد طلّقها تطليقة واحدة فأمره جبريل بمراجعتها، ماتت سنة ٤١هـ، وقيل ٤٢هـ. انظر: الطبقات الكبرى (٨/٨١)، وسير أعلام النبلاء (٢/٢١٨).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، تفسير سورة الأحزاب، باب ٤، ٥ (٣/٢٧٧) ح٤٧٨٥، ٤٧٨٦ عن عائشة رضي الله عنها، وفيه ذكر التخيير فقط. وأخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الطلاق، باب تخييره امرأته لا يكون طلاقاً إلاّ بالنية بأوسع مما أورده المصنّف، والترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأحزاب (٧٢٨) ح٣٢٠٤، والنسائي في الكبرى (٦/٥٥).
وانظر: جامع البيان (٢١/١٥٦ـ١٥٧)، والنكت والعيون (٤/٣٩٤ـ ٣٩٥)، ومعالم التنزيل (٣/٥٢٥ـ٥٢٦)، والكشّاف (٥/٦٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٤٠١ـ٤٠٢).

والتخيير نفسه ليس بطلاق؛ لقول عائشة: «خيرنا رسول الله فلم يكن ذاك طلاقاً»[1]، وأمّا إذا اختارت نفسها قبل الاشتغال بما يدلّ على الإعراض فطلقة رجعية عند الشافعي، وبائنة عند أبي حنيفة ـ رحمهما الله ـ وعنده لا متعة؛ حيث لا مهر أو كان كلّ المهر.

وعند أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ إذا لم تكن مدخولاً بها ولم يفرض لها في العقد شيء متعتها واجبة، وسائر المطلقات متعتهنّ مستحبة[2]. وتقديم المتعة على التسريح المسبب عنه؛ اهتماماً بما هو من محاسن الأخلاق، ﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ ﴾ من بيان لأنهنّ كلّهنّ محسنات، وإيثار المظهر موضع المضمر للدلالة على أنّ اختيارهنّ الله ورسوله إتيان بالحسن[3]، ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ لا يحاط به ولا نسبة بينه وبين زخارف الدنيا.

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ إذ الذنب منهن أقبح وكما أن ثوابهنّ يضاعف فكذلك العذاب[4].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب من خير أزواجه (٤٠٣/٣) ح٥٢٦٢، وأبو داود في كتاب الطلاق، باب في الخيار (٢٦٩/٢) ح٢٢٠٣، والترمذي في كتاب الطلاق، باب ما جاء في الخيار (٢٨٦) ح١١٧٩، وابن ماجة في كتاب الطلاق، باب الرجل يخير امرأته (٦٦١/١) ح٢٠٥٢.

(٢) انظر: الهداية (٢٤٥/١)، والمجموع شرح المهذب (٨٨/١٧)، والمغني (٣٨١/١٠) وما بعدها، والفقه على المذاهب الأربعة (٣٨٣/٤ـ٣٨٤).

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٥٥٧)، والبحر المحيط (٢٢٧/٧).

(٤) انظر: الكشّاف (٦٥/٥).

قرأ نافع والكوفيون «يضاعف» بالياء والتخفيف ورفع «العذاب». وكذا أبو عمرو إلاّ أنه قصر وشدّد. وابن كثير وابن عامر بالنون والقصر وكسر العين والتشديد ونصب «العذاب»، والياء هو المختار؛ لعدم التصريح بالفاعل في تضعيف العذاب بخلاف إيتاء الأجر مرتين المقابل له جرياً على سنن سبق رحمته[1]. ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ لأنكنّ إماء الله واحترامكنّ إنما هو لطاعة الله ورسوله، فإذا خرجتم عن ذلك زال موجبه، ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ تطع لأوامره، ﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ من الأعمال، والتذكير في أحد الفعلين والتأنيث في الآخر بالنظر إلى لفظ «من» ومعناه، ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ مرّة على فعل الطّاعة، ومرّة لكونها في شرف صحبة رسول الله ﷺ[2].

وقرأ حمزة، والكسائي «تعمل، ونؤتها» بالياء باعتبار «من» في الأوّل ولفظ الجلالة في الثاني[3]. ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ زائداً على ذلك الأجر تفضّلاً.

---

(١) انظر: السبعة (٥٢١)، والتيسير (١٧٩)، والموضح (١٠٣٢/٢)، والإتحاف (٣٥٤-٣٥٥).

(٢) انظر: التبيان في إعراب القرآن (١٠٥٦/٢)، والبحر المحيط (٢٢٨/٧)، والدر المصون (١١٧/٩).

(٣) وقرأ الباقون «تعمل» بالتاء، و«نؤتها» بالنون.

انظر: السبعة (٥٢١)، والحجة للفارسي (٤٧٤/٥)، والموضح (١٠٣٣/٢، والنشر (٣٤٨/٢).

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ همزة «أحد» أصلية وهو اسم لمن يخاطب مفرداً أو أكثر مذكراً كان أو مؤنثاً[1]. والمعنى: لستنّ كجماعة من النساء ليطابق المشبّه؛ لأنّ الغرض تفضيلهنّ من حيث كونهنّ نساء النبي على سائر النساء لا تفضيل كلّ واحدة، ومثله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ ﴾[2]، و﴿ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴾[3].

﴿إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ ﴾ إن صحّ ما توصفن به من التقوى سوقاً للمعلوم مساق المجهول، وإن أردتن التقوى فكيف وأنتم[4] متقيات[5]، ﴿ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ ﴾ فلا تخضعن بالقول لا ترخّمن أصواتكنّ في خطاب الأجانب، ﴿ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ ﴾ ريبة وفجور[6]، ﴿وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾ بعيداً عن الريبة[7]، ﴿ وَقَرۡنَ

(١) انظر: مجاز القرآن (١٣٧/٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٢٤/٤)، والكشّاف (٦٥/٥ــ٦٦)، والدر المصون (١١٨/٩).

(٢) بعض الآية (١٣٦)، و (٢٨٥) من سورة البقرة، وبعض الآية (٨٤) من سورة آل عمران.

(٣) الآية (٤٧) من سورة الحاقة.

(٤) كذا في النسخ كلّها والصواب: وأنتنّ.

(٥) انظر: الكشّاف (٦٦/٥)، والبحر المحيط (٢٢٩/٧).

(٦) انظر: النكت والعيون (٣٩٩/٤)، وزاد المسير (٣٧٩/٦).

(٧) انظر: الكشّاف (٦٦/٥).

﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ ملازمات للطاعة فإنه أفضل وأستر. وفي الحديث: «صلاة المرأة في مخدعها خير من صلاتها في بيتها، وصلاتها في بيتها خير من صلاتها في حجرتها»(١).

قرأ نافع، وعاصم «قرن» بفتح القاف لها؛ لأنه من قرّ مكسور العين، والأمر منه «اقررن» حذفت الراء الأولى استثقالاً بعد نقل حركتها إلى القاف، ثمّ حذفت الهمزة استغناءً عنها.

أو أمر من قار يقار كخاف يخاف إذا اجتمع والأمر منه قرّ كخفّ، والباقون بكسر القاف إمّا من «قرّ» بفتح العين يقر بكسرها وحذف الراء والنقل كما تقدّم، وإمّا من وقر وقاراً فالأمر منه قرّ كعدّ من وعد(٢)، ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ لا تظهرنّ زينتكنّ، ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ قيل: هو بين نوح وإدريس عليهما السلام(٣)،

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب: «التشديد في ذلك أي: خروج النساء إلى المسجد» (١/١٥٣) ح٥٧٠، والبزار في البحر الزخار (٥/٤٢٦) ح٢٠٦٠، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الصلاة، باب خير مساجد النساء قعر بيوتهنّ (٣/١٣١).

ومخدعها: المَخْدَع: بيت في بيت، كأن بانيه يخدع مَن رام تناول ما فيه، وقيل هو الحجرة في البيت. انظر: المفردات (٢٧٦) مادة «خدع»، والمعجم الوسيط (١/٢٢١) مادة «خدع».

(٢) انظر: السبعة (٥٢١، ٥٢٢)، والحجة لأبي علي الفارسي (٥/٤٧٥–٤٧٦)، والكشف (٢/١٩٧–١٩٨)، والتيسير (١٧٩)، والنشر (٢/٣٤٨).

(٣) قاله عكرمة عن ابن عباس.

انظر: جامع البيان (٢٢/٤)، والنكت والعيون (٤/٤٠٠)، وزاد المسير (٦/٣٨٠).

وقيل: بين آدم ونوح[1]، وقيل: زمن ولادة إبراهيم[2]، وقيل: بين داود وسليمان عليهم السلام[3]، وكانت المرأة تلبس درعاً من اللؤلؤ ثمّ تمشي فيه تعرض نفسها على الرجال[4]، والجاهلية الأخرى ما بين رسول الله ﷺ وعيسى عليه السلام[5]، أو جاهلية في الإسلام تشبه جاهلية الكفر[6]؛ لما في حديث أبي ذرّ[7] قال: «ساببت رجلاً فعيّرته بأمه، فقال رسول الله: أعيّرته بأمّه إنك امرؤ فيك جاهلية، قلتُ:

(١) قاله الحسن والحكم بن عيينة.
انظر: النكت والعيون (٤/٤٠٠)، وزاد المسير (٦/٣٨٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١٧٩).

(٢) قالته عائشة.
انظر: النكت والعيون (٤/٤٠٠)، وزاد المسير (٦/٣٨٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١٧٩).

(٣) قاله أبو العالية.
انظر: معالم التنزيل (٣/٥٢٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١٨٠).

(٤) قاله الكلبي.
انظر: معالم التنزيل (٣/٥٢٨)، وزاد المسير (٦/٣٨٠)، والبحر المحيط (٧/٢٣١).

(٥) قاله الشعبي وابن أبي نجيح.
انظر: النكت والعيون (٤/٤٠٠)، ومعالم التنزيل (٣/٥٢٨)، وزاد المسير (٦/٣٨٠).

(٦) انظر: الكشّاف (٥/٦٧).
وقال ابن جرير الطبري: «وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: أن الله تعالى ذكره نهى نساء النبي أن يتبرجنّ تبرج الجاهلية الأولى، وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم وعيسى، فيكون معنى ذلك: ولا تبرجنّ تبرج الجاهلية الأولى التي من قبل الإسلام، وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم ونوح، وجائز أن يكون ما بين إدريس ونوح فتكون الجاهلية الآخرة ما بين عيسى ومحمد، وإذا كان ذلك مما يحتمله ظاهر التنزيل فالصواب أن يقال في ذلك كما قال الله أنه نهى عن تبرج الجاهلية الأولى». جامع البيان (٢٢/٤ـ٥).

(٧) أبو ذرّ: جندب بن جنادة الغفاري، صحابي جليل، زاهد مشهور، قدم مكة وأسلم، ثمّ رجع إلى قومه بأمر النبي ﷺ وقدم المدينة بعد الخندق، وكان شجاعاً سيّداً في قومه، مات سنة ٣٢هـ بالربذة.
انظر: صفة الصفوة (١/٥٨٤)، وأسد الغابة (١/٣٠١).

جاهلية الكفر. قال: نعم»[1][2]. ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ في سائر الطاعات، وإفراد الصلاة والزكاة بالذكر لإنافة محلهما، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ أي: ما يريد الله بهذه الأوامر والنواهي إلاّ إذهاب الآثام عنكم، ولما استعار الرّجس الذي هو النجس والإثم؛ لأنه يدنّس العرض رشّحه بقوله: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ مبالغة في التنفير[3].

وأهل البيت نصب على النداء أو على المدح، وهذا نصٌّ على أن نساءه من أهل بيته، واتفاق الكلّ على أنهنّ سبب النزول، وما روته أمُّ سلمة بأنّ رسول الله ﷺ خرج وعليه كساء أسود، فجاء عليّ وفاطمة

(١) في هامش «ق»، «ص»: «روى الحديث البخاري، والرجل الذي عيّره بلال، وأمّا نسبة الحديث إلى أبي الدرداء سهو».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية (١/٢٦) ح٣٠، وفي الأدب المفرد (٣٠)، وأحمد في المسند (٣٥/٣٤١) ح٢١٤٣٢، قال المحقق: «إسناده صحيح على شرط الشيخين». والبزار في البحر الزخار (٩/٤٠٢) ح٣٩٩٦، وزيادة: «قلت: جاهلية الكفر، قال: نعم» ذكرها الزمخشري في الكشّاف (٥/٦٧)، قال الزيلعي في تخريج أحاديث وآثار الكشّاف (٣/١٠٧)، «قلت: غريب». وقال ابن حجر: «وإنما هو في الصحيحين، ولم يقل: «جاهلية كفر إلى آخره». الكافي الشاف (١٣٤) ح٢١٧.

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٥٥٧)، والبحر المحيط (٧/٢٣١).

والرجس اسم لكلّ مستقذر من عمل.

انظر: تهذيب اللغة (١٠/٥٨٠) مادة «رجس».

وابناه الحسن(١) والحسين(٢) فجلس ولف عليهم الكساء(٣) وقال: اللّهم هؤلاء أهل بيتي»(٤)(٥) فلا يقتضي الحصر، والحقّ أنّ كلّ مَن حرمُت عليه الصدقة من نسائه [وآل علي](٦) وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس رضي الله عنهم كلّهم داخلون في أهل البيت على ما رواه زيد بن أرقم(٧).

---

(١) الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطّلب الهاشمي، أبو محمد سبط رسول الله ﷺ وريحانته، ولد سنة ٣ من الهجرة، وقيل غير ذلك، عصم الله به المسلمين من الفتنة عام الجماعة سنة ٤١هـ، مات سنة ٥١هـ، وقيل غير لك.

انظر: حلية الأولياء (٢/٣٥)، والإصابة (١/٣٢٧).

(٢) الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي، سبط رسول الله وريحانته، كان يشبه النبي ﷺ، خرج لقتال معاوية بعد أن بايعه أهل العراق، ثم نكثوا به، وقتل في كربلاء سنة ٦٠هـ، وقيل غير ذلك.

انظر: التاريخ الكبير (٢/٣٨١)، وسير أعلام النبلاء (٣/٢٨٠).

(٣) في «ص»، «ح»: «الكسأ».

(٤) في هامش «ص»: «رواه مسلم».

(٥) أخرجه مسلم بسنده عن سعد بن أبي وقاص من حديث طويل وفيه: «دعا رسول الله عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللّهم هؤلاء أهلي». صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب (١٥/١٧٦)، وأخرجه بنحوه عن عائشة في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الحسن والحسين (١٥/١٩٤)، وما أورده المصنّف أخرجه أحمد في المسند (٤٤/١١٨) ح٢٦٥٠٨ قال المحقق: «حديث صحيح».

(٦) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٧) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب (١٥/١٨٠).

﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ أي: أُشكرن على هذه النعمة وهي الكتاب[1] الجامع بين كونه معجزة دالة على النبوة وعلم الشرائع وأنتم قارُّون في مهبطه وجبرئيل[2] يتردد بالوحي خلال منازلكم فمن أولى بالشكر منكم[3]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا ﴾ تدق مسالك علمه، ولذلك جعل الكلام معجزاً. ﴿ خَبِيرًا ﴾ ببواطن الأمور، ولذلك جعله مع إعجازه مشتملاً على الحكم والشرائع.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [٣٥-٣٦].

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾ المنقادين لأمر الله المتوكلين عليه، ﴿ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ المصدّقين بما يجب التصديق به، ﴿ وَٱلْقَٰنِتِينَ

(١) في «ق»: الكتب.

(٢) في «ح»: جبر.

(٣) انظر: الكشّاف (٥/٦٧)، وأنوار التنزيل (٥٥٧).

﴿وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ المداومين على الطّاعة، ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ في القول والعمل، ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ على مشاقّ الطّاعات وترك المعاصي، ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ المتواضعين لله بالقلوب والجوارح[1]، ﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ الصدقة المفروضة أو أعمّ[2]. ﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ ما فرض عليهم، ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ عن الحرام[3]، ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ بالقلب واللّسان[4]. وفي الحديث: «سيروا فقد سبق المفردون، قالوا: يا رسول الله ما المفردون؟، قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»[5]. ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾ لما فرط منهم، ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ على طاعتهم.

وعن أبي سعيد سألت رسول الله ﷺ: «مَن أفضل العبّاد؟، قال: الذاكرون الله كثيراً، قلت: ومِن الغازي، قال: ولو ضرب سيفه حتى تكسّر وتخضب دماً»[6].

(١) قاله سعيد بن جبير. انظر: النكت والعيون (٤/٤٠٣)، وأنوار التنزيل (٥٥٨).

(٢) انظر: النكت والعيون (٤/٤٠٣).

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٥٥٨).

(٤) انظر: النكت والعيون (٤/٤٠٤).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الذكر والدّعاء، باب الحثّ على ذكر الله تعالى (١٧/٤)، وأحمد في المسند (١٥/١٩٢) ح٩٣٣٢، قال المحقق: «حديث صحيح». والبيهقي في شعب الإيمان (١/٣٨٩) ح٥٠٤.

(٦) أخرجه أحمد في المسند (١٨/٢٤٨) ح١١٧٢٠، قال المحقق: «إسناده ضعيف». والترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب: في أنّ ذكر الله كثيراً أفضل من الغازي في سبيل الله (٧٧١)

وعن أمّ سلمة رضي الله عنها قـلت: يا رسول الله ذكر الله الرجال ولم يذكر النساء، فما لنا لم نذكر؟، فنزلت[1]. وقيل: لـمّا نزل في أزواج النبي مـا نـزل، قالـت النساء: ما لنا لم نذكر؟، فنزلت[2]. وعطف الإناث على الذكور في الآيـة لا بدّ منه؛ لتغاير الذوات والقصد إلى الاشتراك في الحكم. وأمّا عطف الـزوجين؛ فلاتّحـاد[3] الذوات، وكما في قوله: «تائبات عابدات»[4]، وإنما عطف؛ إشعاراً باستقلال كـلّ من اتّصف بتلك الصفات بالخبر، ويجوز تركه اعتماداً على الالتئام وشدّة الاتصال معنى[5].

ح٣٣٧٦، وقـال: «هذا حديث غريب إنما نعرفـه من حديث درّاج». والبغوي في شرح السنة (٣/) ح١٢٤٦، وذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/٥١٣).

(١) أخرجه سفيان الثوري في تفسيره (٢٤١) ح٧٧٨، وأحمد في المسند (٤٤/١٩٩) ح٢٦٥٧٥، قال المحقق: «إسناده صحيح». والنسائي في تفسيره (٢/١٧٣) ح٤٢٥، قـال محقـق التفسير: «صحيح». وابن جرير الطبري في جـامع البيـان (٢٢/١٠)، والطـبراني في المعجـم الكـبير (٢٣/٢٩٨) ح٦٦٥.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٢/١٠) عن قتـادة. وانظر: الكـشّاف (٥/٦٩)، وتفـسير القرآن العظيم (٦/٤١٤).

(٣) في الأصل: فلا لاتحاد.

(٤) بعض الآية [٥] من سورة التحريم.

(٥) انظر: الكشف على الكشّاف (٣٩٨/ب).

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ نزلت في زينب بنت جحش الأسدية خطبها رسول الله لزيد بن حارثة فاستنكفت فلما نزلت رضيت بقضاء الله ورسوله[1].

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[2] نزلت في أُمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط[3] أوّل مَن هاجرت إلى رسول الله بعد الحديبية مع أخيها، خطبها رسول الله لزيد بن حارثة بعد فراق زينب، فسخطت هي وأخوها وقالا: إنما أردنا رسول الله، فلما نزلت استسلما لقضاء الله ورسوله[4]. وعن أنسٍ: أنّ امرأةً من الأنصار

(١) هذه الرواية بهذا اللّفظ ضعيفة، ولها طرق أُخر.

قال الزيلعي: «غريب بهذا اللّفظ».

وقال ابن حجر: «لم أجده موصولاً».

انظر: جامع البيان (١١/٢٢)، وتخريج الأحاديث والآثار في الكشّاف (١٠٩/٣)، والكافي الشاف (١٣٤) ح٢٢٢، والفتح السماوي (٩٣٥/٣) ح٨١٩.

(٢) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني، كان صاحب قرآن وتفسير، مولى عمر بن الخطاب، توفي سنة ١٨٢هـ. انظر: التاريخ الكبير (٢٨٤/٥)، وسير أعلام النبلاء (/٣٤٩).

(٣) في هامش الأصل: «أُمّ كلثوم هذه هاجرت بعد الحديبية ماشية على قدميها من مكّة إلى المدينة، وأبوها هو الذي وضع على ظهر رسول الله جزور وهو ساجد، وضُرب عنقه بعد بدر، كذا فعل من لا يسأل».

(٤) انظر: جامع البيان (١٢/٢٢)، والنكت والعيون (٤٠٤/٤)، والكشّاف (٧٠/٥)، وأنوار التنزيل (٥٥٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤١٧/٦).

والأثر معلول بالانقطاع. انظر: الفتح السماوي (٩٣٦/٣) ح٨٢٠.

خطبها رسول الله لجليبيب(١)، فأبت أمّها، فقالت الجارية: لا تردّوا على رسول الله، قد رضيت لجليبيب، فزوجها إيّاه، فلم تنفق أَيِّمٌ في الأنصار ما نفقت(٢). والمعنى: ما صحّ في الدين مخالفة رسول الله في أمر أراده، وذكر الله للتعظيم والإشعار بأن قضاءه قضاء الله، وجمع الضمير المجرور؛ نظراً إلى المعنى؛ لوقوع النكرة في سياق النفي. والخيرة على وزن «العنبة»(٣): المختار من الشيء يقال: محمد خيرة الله في خلقه. وقرأ الكوفيون، وهشام عن ابن عامر «يكون» بالتذكير، وهو المختار؛ لكون المؤنث غير حقيقي مع وجود الفاصل(٤). ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ جليّاً لا يخفى على أحد.

---

(١) جليبيب: صحابي من بني ثعلبة، كان حليفاً للأنصار، روى عنه أبو برزة الأسلمي، استشهد بعد أن قتل سبعة من الكفار، أثنى عليه النبي ﷺ، و قال: هذا مني وأنا منه.
انظر: صفة الصفوة (١/٧٢٢)، والإصابة (١/٤٩٥).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٩/٣٨٥) ح١٢٣٩٣، قال المحقق: «إسناده صحيح على شرط الشيخين». وعبد بن حميد في المنتخب (٣/١٢٢) ح١٢٤٣ قال محققه:«صحيح لغيره». وذكره ابن كثير في تفسيره (٦/٤١٧).

(٣) هذه الكلمة غير واضحة في الأصل، و«ح». وفي «ق»: العيبة. والمثبت في المتن من «ص».
وكلمة الخيرة بوزن الطيرة.
قال أبو حيّان:«والخيرة مصدر من تخيّر على غير قياس كالطيرة من تطير». البحر المحيط (٧/٢٣٣).
وقال الجوهري: «والخيرة مثال العِنَبة، الاسم من قولك اختاره الله، يقال: محمد خيرة الله من خلقه». الصحاح (٢/٦٥٢) مادة «خير».

(٤) وقرأ الباقون بالتاء.
انظر: السبعة (٥٢٢)، والتيسير (١٧٩)، والنشر (٢/٣٤٨).

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [٣٧-٤٠].

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ بشرف صحبتك والإسلام والخروج عن الرقّ[١]، ﴿ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ بتقريبه ورفع شأنه، هو زيد بن حارثة عبده الذي تقدّم ذكره. ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ وذلك أنّ رسول الله رأى زينب بعد ما تزوجها زيد فوقعت في نفسه فقال: سبحان الله مقلّب القلوب، فكما ألقى محبتها في قلبه ألقى بغضها في قلب زيد لما أراد الله[٢]. واقتضت الحكمة أن لا يأبى أحد نكاح زوجة دَعِيّه ولا يستقبح.

(١) انظر: النكت والعيون (٤٠٥/٤)، والكشّاف (٧١/٥).

(٢) انظر: جامع البيان (١٢/٢٢)، والنكت والعيون (٤٠٥/٤)، ومعالم التنزيل (٥٣١/٣)، والكشّاف (٧١/٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٩٠/١٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٢٠/٦).
وهذا الأثر فيه نظر من وجوه:
الأول: ضعف أسانيد بعض الروايات، واعتلال بعضها بالانقطاع، أو الإعضال، أو الإرسال.
الثاني: تناقض الروايات من حيث المتن.
الثالث: تفيد الروايات أنّ إعجاب النبي ﷺ بزينب جاء متأخراً أي بعد زواجها بزيد، وهذا غريب؛ لأمور منها: أنها بنت عمته نشأت وترعرعت أمامه، ألم يلحظ جمالها إلاّ متأخراً!.

فشاوره زيد في فراقها، فقال له: هل رابك منها شيء؟، قال: لا، ولكن تفتخر عليّ بشرفها، فقال: لا تفعل أمسك عليك زوجك، ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ﴾[1] فإنّ الطّلاق من غير ضرورة أنكر المباحات إلى الله، ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ﴾ نكاحها إن طلقها زيد[2]، وقيل: تعلّق قلبه بها[3]، وقيل: مودته فراق زيد[4]، والأوّل أوجه؛ لقوله: ﴿مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ ولم يبد سوى نكاحها، ولما روى ابن أبي حاتم[5] عن الإمام زين العابدين[6] أنّ الله كان أعلمه أنه سيزوجها له بعد فراق زيد، فعاتبه الله

الرابع: أنّ هناك أقوالاً أُخرى صحيحه المتن والسند، فلو لم ترد تلك الآراء لما صحّ القول بهذا القول.

الخامس: الردّ الشديد والتوجيه السديد من جملة من علماء الإسلام كابن العربي، وابن كثير، وابن حجر لهذا القول. انظر: أحكام القرآن (٣/١٥٤٢)، وتفسير القرآن العظيم (٦/٤٢٠)، وفتح الباري (٨/٥٢٤)، والفتح السماوي (٣/٩٣٦–٩٣٧).

(١) انظر: الكشّاف (٥/٧١)، وأنوار التنزيل (٥٥٨).

(٢) انظر: النكت والعيون (٤/٤٠٦)، وزاد المسير (٦/٣٨٧).

(٣) انظر: النكت والعيون (٤/٤٠٦)، ومعالم التنزيل (٣/٥٣١).

(٤) انظر: معالم التنزيل (٣/٥٣١).

(٥) ابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، أبو محمد، حفظ القرآن صغيراً ثم كتب الحديث، ورحل إلى الشام، ومصر، ومكة، وغيرها. قال عنه الذهبي: «كان بحراً لا تكدّره الدّلاء»، مات سنة ٣٢٧هـ، وكان مولده سنة ٢٤٠هـ.
انظر: طبقات الحنابلة (٢/٥٥)، وسير أعلام النبلاء (١٣/٢٦٣).

(٦) زين العابدين: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو الحسين، شهد مقتل أبيه في كربلاء، كان ثقة، مأموناً، كثير الحديث، قال عنه الزهري: «ما رأيت قرشياً أفضل من علي ابن الحسين»، مات سنة ٩٤هـ، وقيل: غير ذلك.
انظر: التاريخ الكبير (٦/٢٦٦)، وسير أعلام النبلاء (٤/٣٨٦).

على قوله: «أمسك عليك زوجك» بعد علمه بأنّ ذلك واقع لا محالة[1]. وعن عائشة رضي الله عنها: لو كتم رسول الله شيئاً مما أُنزل إليه لكتم هذه الآية[2]، ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ أن يقولوا تزوج إمرأة ابنه، ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ وقد أعلمك أنها زوجتك بعد زيد، هذا[3] على الوجه الأوّل. أو إن كان فيه ما يخشى على الوجه المرجوح. والواو للحال وعلى هذا المعاتبة ليس على الإخفاء وحده؛ فإنه مستحسن بل على الإخفاء مخافة قالةَ الناس وإظهار خلاف ما في الضمير، ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ حاجة الرجال من النساء وملّها[4]، ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ أي: بعد إنقضاء عدتها[5]. وعن الشعبي أن زينب قالت لرسول

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣١٣٧/٩) ح١٧٦٩. وانظر: جامع البيان (١٣/٢٢)، والنكت والعيون (٤٠٦/٤)، ومعالم التنزيل (٥٣١/٣ ـ ٥٣٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٩٠/١٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٢٠/٦)، والدر المنثور (٦١٥/٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب: «وكان عرشه على الماء» (٣٨٨/٣) ح٧٤٢٠ من قول أنس. ومسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في رؤية الله (١٠/٣) من قول عائشة.

وانظر: جامع البيان (١٣/٢٢)، ومعالم التنزيل (٥٣١/٣)، وزاد المسير (٣٨٨/٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٢٠/٦).

(٣) في «ق»: وهذا.

(٤) قاله مقاتل.

انظر: النكت والعيون (٤٠٦/٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٩٤/١٤).

(٥) وكان الخاطب زيد بن حارثة رضي الله عنه، ومن حكمة ذلك.

١- لئلا يظن أحد أن ذلك وقع بغير رضاه.

٢- اختبار لما كان عنده منها، هل بقي شيء أم لا.

٣- حسن الامتثال لأمر الله عز وجل وأمر رسوله ﷺ.

الله ﷺ: «إني أُدلّ عليك بثلاث[1] ليس أحدها[2] في نسائك: جدّي وجدّك واحد، وزوجني الله إيّاك فوق السماء، وجبرئيل[3] كان السفير»[4]. وقد روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أنّ زينب كانت تفتخر على سائر أزواجه: زوجني الله وزوجكنّ أهاليكنّ[5]. ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ علّة التزويج، وفيه دليل على أنّ حكم أُمّته حكمه[6] ما لم يقم دليل[7]، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ مكوّناً لا محالة مثل لما أراده من تزويج زينب.

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ قسم له وقدّره، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: سنّ به سنة الأنبياء وهو أنه لا حرج عليهم فيما أباح لهم من النساء[8] والسراري، روي أنّ سليمان كان له ثلاثمائة

انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٤٢٠)، وفتح الباري (٨/٥٢٤).

(١) في الأصل: ثلث.

(٢) في الأصل، «ص»، «ح»: أحديها.

(٣) في «ح»: جبرائيل، وفي «ص»: جبريل.

(٤) انظر: جامع البيان (٢٢/١٤)، والمحرر الوجيز (١٣/٧٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٤٢١).

وقولها: «أُدلّ» مأخوذ من دلّت المرأة دلالاً ودلاً. والدّلال: بفتح الدال هو جرأتها في تكسّر وتغنّج. انظر: المصباح المنير (١/١٩٩) مادة «دلّ».

(٥) صحيح البخاري كتاب التوحيد، باب: «وكان عرشه على الماء وهو ربّ العرش العظيم» (٣/٣٨٨) ح٧٤٢٠–٧٤٢١.

(٦) في «ق»: حكم.

(٧) انظر: أنوار التنزيل (٥٥٩). وقد سبق إيضاح هذه المسألة.

(٨) في الأصل: النسأ.

مهيرة[1] وسبعمائة جارية[2]، ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ إرادته إذا تعلّقت بشيء، ﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ قضاء مبتوتاً وهذا أبلغ من الأوّل.

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بدلٌ من «الذين خلوا»، أو نصب على المدح وما بينهما اعتراض، ﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وحده، ليس فيه تعريض كما ظنّ؛ لأنه لم يكنّ ما أضمره ممّا أمر بتبليغه[3]، ولذلك قالت عائشة: «لو كتم شيئاً لكتم هذه الآية»[4]، كيف وقد قال: «أنا أخشى الناس وأتقاهم»[5]، وهو أصدق القائلين الذي ما ينطق عن الهوى، ﴿وَكَفَىٰ

---

(١) مهيرة: أي: امرأة، ويطلق على المرأة مهيرة؛ لأنها تُعطى المهر.

انظر: أساس البلاغة (٤٣٨) مادة «مهر».

(٢) قاله وهب بن منبه.

انظر: الكشّاف (٥/٧٥)، وزاد المسير (٦/٣٩٢)، وفتح الباري (٦/٤٦٠ـ٤٦١).

(٣) في هامش الأصل: «ولو كان تعريضاً لزم أن يكون في الناس مَن هو أخشى منه ﷺ رد على القاضي والكشاف».

(٤) في هامش «ص»: «حديث عائشة رواه البخاري».

(٥) حديث عائشة سبق تخريجه.

وأدرج المصنّف ـ عفا الله عنه ـ حديثاً آخر «أنا أخشى الناس وأتقاهم» أخرجه مسلم بنحوه في صحيحه بشرح النووي، كتاب الصيام، باب صحة صوم مَن طلع عليه الفجر وهو جنب (٧/٢٢٤).

﴿بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ كافياً للمخاوف فلا ينبغي أن يُخشى غيره، أو محاسباً على الصغير والكبير.

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ حقيقة يريد أباً بالولادة، فلا ينافيه التبني لزيد ولا كونه جدّ الحسنين، وأمّا أولاده الذكور لم يبلغوا مبلغ الرجال بل ماتوا صغاراً، وما قيل: لو عاشوا لكانوا أنبياء لا يساعده النقل والعقل[1][2]، ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ لا نبي بعده. وقرأ عاصم: «خاتَم» بفتح التاء وهو ما يختم به، وقراءة[3]

(١) أخرج ابن ماجة بسنده عن ابن عباس قال: «لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ قال: إن له مرضعاً في الجنة، ولو عاش لكان صدّيقاً نبياً، ولو عاش لعتقت أخواله القبط، وما استرقّ قبطي».

سنن ابن ماجة، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على ابن رسول الله ﷺ وذكر وفاته (٤٨٤/١) ح١٥١١.

وفي إسناده: إبراهيم بن عثمان أبو شيبة قاضي واسط، قال فيه البخاري: سكتوا عنه. وقال ابن المبارك: ارم به. وقال ابن معين: ليس بثقة. وقال أحمد: منكر الحديث. وقال النسائي: متروك الحديث. تهذيب التهذيب (١٤٤/١).

وأخرج البخاري عن ابن أبي أوفى: «رأيت إبراهيم ابن النبي ﷺ قال: مات صغيراً، ولو قضي أن يكون بعد محمد ﷺ نبي عاش ابنه، ولكن لا نبي بعده». صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب مَن سمّي بأسماء الأنبياء (١٢٧/٤) ح٦١٩٤.

(٢) في هامش الأصل: «ولا يلزم لأن يكون ابن النبي نبياً، ولا ورد بذلك نصّ».

(٣) في «ح»: قرأه.

القوم أولى[1]، يؤيدها قراءة[2] ابن مسعود ﷺ «وختم النبيين»[3]، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ كامل العلم وقد علم أنه يليق به أن يكون خاتم الرّسل.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [٤١-٤٨].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ في أغلب الأوقات، يعمّ ذكر القلب واللّسان بأنواعه. ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ خصوصاً في هذين الوقتين الشريفين كالتسبيح فإنه أشرف الأذكار لكونه تنزيهاً عما لا يليق

(١) وقرأ الباقون بكسر التاء.

انظر: السبعة (٥٢٢)، التيسير (١٧٩)، والموضح (٢/١٠٣٦)، والنشر (٢/٣٤٨).

(٢) في «ح»: قرأه.

(٣) انظر: شواذ القرآن (١١٩)، والمحرر الوجيز (١٣/٨٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١٩٧)، والدر المصون (٩/١٢٩).

بكبريائه، وقيل: الفعلان موجّهان إليهما. وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أريد بالتسبيح الصلوات الخمس في أوقاتها[1].

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ ﴾ يترحّم[2]، ﴿ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾ لأنهم يستغفرون للمؤمنين مجابو الدعوة، فكأنهم مترحمون[3]، أو أُريد الصلاة[4]: مطلق العناية بإصلاح الأحوال، وقيل: الصلاة[5] لاشتمالها على الركوع والسجود استعيرت للإنعطاف المعنوي والحنوّ، ﴿ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ من ظلمة المعصية إلى نور الإيمان والطّاعة حيث أمركم بالذكر وإكثاره والتوفر على الصلاة والطّاعة[6]. ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ بليغ الرّحمة حيث لم يكتفِ بترحّمه حتى يشغل ملائكته[7] المقربين به. ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ ﴾ إضافة المصدر إلى

---

(١) انظر: الكشّاف (٥/٧٧)، وأنوار التنزيل (٥٥٩). ولم ينسب عندهما لابن مسعود.

(٢) قاله الحسن.

انظر: النكت والعيون (٤/٤١٠)، وزاد المسير (٦/٣٩٨)، والبحر المحيط (٧/٢٣٧).

(٣) قاله مقاتل.

انظر: النكت والعيون (٤/٤١٠)، وزاد المسير (٦/٣٩٨).

(٤) في الأصل: الصلوة.

(٥) في الأصل: الصلوة.

(٦) انظر: الكشّاف (٥/٧٧ــ٧٨)، وأنوار التنزيل (٥٥٩).

(٧) في الأصل، «ص»: ملئكته.

المفعول، واللّقاء بعد الموت[1]، أو عند الخروج من القبر[2]، أو عند دخول الجنـة[3].

﴿ سَلَٰمٌۚ ﴾ إخبار بالسلامة عن كلّ مكروه[4]، ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ الجنة ومـا فيها من النعيم. روي أنـه لمـا نـزل قولـه تعـالى:«إن الله وملائكتـه يـصلون عـلى النبي»[5]، قـال أبو بكر ﷺ يا رسول الله ما خصّك الله بـشـرف إلاّ وأشركنـا فيـه، فنـزلت[6]: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا ﴾ علـى من بعـثت إليهم بالتصديق والتكذيب، ﴿ وَمُبَشِّرًا ﴾ بالجنة لمن آمن، ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ بالنار لمن كفر. ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ بتيسيره، وفيه إشارة إلى أن الـدعوة إلى التوحيـد أمـر صـعب لا يتأتّى إلاّ بتيسيره[7].

فإن قلت: كونه داعياً إلى الله هو عين كونه مبشراً ونذيراً فما وجه الجمع؟.

قـلت: روعي في الجمع حال المرسل والمرسل إليه صريحاً وإن كان كلّ منهما مستلزماً للآخر. ﴿ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ يستضاء بـه في ظـلمات الجهـل، وكـما يـمدّ

(١) انظر: أنوار التنـزيل (٥٥٩).

(٢) انظر: الكشّاف (٥/٧٨)، وزاد المسير (٦/٣٩٩)، والبحر المحيط (٧/٢٣٧).

(٣) انظر: الكشّاف (٥/٧٨)، وأنوار التنـزيل (٥٥٩)، والبحر المحيط (٧/٢٣٧).

(٤) انظر: البحر المحيط (٧/٢٣٧).

(٥) بعض الآية [٥٦] من السورة.

(٦) انظر: معالم التنـزيل (٣/٥٣٤)، والكشّاف (٥/٧٨).

(٧) انظر: الكشّاف (٥/٧٨)، والبحر المحيط (٧/٢٣٨).

نور السراج نور الإبصار كذلك أمدّ الله بنور نبوته نور البصائر، وإنما وصف السراج بالإنارة؛ لأنّ من السراج ما لا يضيء، كما إذا قلّ سليطه[1] ودقّت فتيله[2][3]. وفي كلامهم: «ثلاثة تضني القلب رسول بطيء، وسراج لا تضيء، ومائدة ينتظر[4] عليها متى يجيء»[5][6]. وقيل: السراج هو القرآن[7]، والمعنى: ذا سراج أو تالياً سراجاً، ويجوز أن يكون عطفاً على كاف «أرسلناك»، أي: أرسلناك والقرآن إمّا على سبيل التبعية، وإما من باب متقلّداً سيفاً ورمحاً[8].

﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ عطف على مقدّر أي: فراقب أحوال أمتك وبشّرهم: ﴿بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ على سائر الأمم، وفي الحديث: «تقدمكم

(١) سليطه: السليط: الزيت الجديد. ويطلق على كلّ زيت معصور من حبّ، وزيت السمسم يقال له: سليط. انظر: أساس البلاغة (٢١٧) مادة «سلط»، والمعجم الوسيط (٤٤٣/١) مادة «سلط».

(٢) في «ح»: فتيلته.

(٣) فتيلة: الفتيلة: ذبالة السراج.

انظر: لسان العرب (٣٣٤٤/٦) مادة «فتل».

(٤) في «ح»: لا ينتظر.

(٥) في النسخ كلّها: متى يجيء. والمناسب للسياق: مَن يجيء، وهو المثبت عند المفسرين.

(٦) انظر: الكشّاف (٧٨/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠١/١٤)، والبحر المحيط (٢٣٨/٧).

(٧) قاله ابن عباس.

انظر: النكت والعيون (٤١١/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠١/١٤).

(٨) سبق ذكره.

سبعون أمة، أنتم خيارها»[1]، أو فضلاً زائداً على مقدار الجزاء، ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ أي: دم واثبت على ما أنت عليه، تهييج وإلهاب، ﴿ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ ﴾ ما يؤذونك به لا تلتفت إليه، أو ما تؤذيهم به مجازاة أو مؤاخذة على الكفر مصدر مضاف إلى الفاعل أو إلى المفعول.

وعن ابن عباس رضي الله عنه نسخت بآية السيف[2]. ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ فإنّ فيه كفاية، ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ موكولاً إليه الأمر، وصف خير خلقه بصفات خمس ثمّ قابل كلاً منها بما يناسبه، قابل الشاهد بالمراقبة وحذفه؛ لأنّ ما بعده دال عليه مفصلاً، والمبشر بالأمر ببشارة المؤمنين، والنذير بالنهي عن طاعة الكفار وعدم المبالاة[3] بهم، والداعي إلى الله بتيسيره بالأمر بالتوكّل عليه، والسراج المنير بالاكتفاء به؛ لأنّ مَن جعله نوراً أضاء الشرق والغرب جدير بأنّ يكتفى به[4].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢١٩/٣٣) ح٢٠٠١٥، قال المحقق: «إسناده حسن». والطبري في جامع البيان (١٠٧/٢٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٤٢٤/١٩) ح١٠٣٠ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٩٧/١٠)، وقال: «رواه أحمد ورجاله ثقات».

(٢) انظر: الكشّاف (٧٩/٥)، وزاد المسير (٤٠٠/٦).

وقال القرطبي: «ونسخ من الآية على هذا التأويل ما يخص الكافرين.. وأضاف: «وفيه معنى ثان: أي أعرض عن أقوالهم وما يؤذونك ولا تشتغل به». الجامع لأحكام القرآن (٢٠٢/١٤).

(٣) في «ق»: المبالات.

(٤) انظر: الكشّاف (٧٩/٥)، وأنوار التنزيل (٥٦٠).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٠﴾ ۞ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾﴾ [٤٩-٥٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ﴾ النكاح لغة: الوطء(١)، وإطلاقه على العقد إطلاق على السبب، وقيّد المؤمنات إشارة إلى ما هو أولى بالمؤمن من أن يؤثر لنطفته وأن لا يجمع فراش ولي الله وعدوه، و«ثم» لدفع ما عسى يُتوهّم من أنّ طول المدّة يؤثر في إيجاب العدّة، والمسّ كناية عن الوقاع، وجعله أبو حنيفة رحمه الله أعمّ منه ومن المسّ بالشهوة، وجعل الخلوة الصحيحة قائمة مقامه(٢).

(١) في الأصل، «ح»، «ص»: الوطيء.

(٢) انظر: الكشّاف (٥/٨٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٠٢-٢٠٥).

﴿ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ﴾ تستوفون عددها، مِن اعتدّ الدراهم إذا عدّها لنفسه، كقولك: اكتاله واتّزنه، وفي اللاّم و«على» دلالة على أنّ وجوب العدّة إنما هو للرجال وكونه من حقوقهم، ﴿ فَمَتِّعُوهُنَّ ﴾ شطر المهر إن كان لها فرض، وإلاّ فالمتعة الواجبة. ومَن جوّز استعمال المشترك في أكثر مِن معنى، أو الجمع بين الحقيقة والمجاز، فالتمتيع يشمل الواجب والمسنون عنده(١).

﴿ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ أخرجوهنّ من غير ضرر ولا منع حقّ.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾ مهورهنّ، سمّاه أجراً؛ لكونه في مقابلة البضع، والتقيد بإيتاء الأجر وإن صحّ النكاح بدونه إشارة إلى إيثار الأفضل على ما هو اللائق به(٢) كما في قوله: ﴿ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ ﴾ أي: أغنمك، فإن الجارية إذا كانت مما غنمها بسيفه

(١) المشترك: اللفظ الدال على معنيين مختلفين أو أكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللّغة، كلفظ العين يطلق على عين الشمس، والجاسوس، وما ينبع من الماء، وحرف العين. ومن الذين جوزوه شيخ الإسلام ابن تيمية، والشوكاني، والشنقيطي، وجمهور العلماء، وأكثر الفقهاء من المالكية، والشافعية، والحنابلة.

انظر: الصاحبي (٤٥٦)، ومجموع الفتاوى (٣٤١/١٣)، ونهاية السول (١٢٣/٢)، والتلويح إلى كشف حقائق التوضيح (١٥٤/١ـ٢٠٦)، والبحر المحيط (١٢٨/٢)، وإرشاد الفحول (٢٥)، وأضواء البيان (١٥/٢)، (٨١/٦)، دلالة الألفاظ (٢١٣)، والمشترك اللّفظي في الحقل القرآني (١٢).

(٢) انظر: الكشّاف (٨١/٥)، وأنوار التنزيل (٥٦٠).

أجلّ وأطيب من المشتراه من شق الجلب"[1][2]، ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ﴾ توسّط بين الإفراط والتفريط فإن اليهود ينكحون بنت الأخ وبنت الأُخت، والنصارى لا ينكحون إلاّ إذا تباعدا بسبعة أجداد. وإفراد العمّ والخال للتخفيف، وإيثارهما بذلك للشرف نظيره: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾[3]، وفي ذلك إيماء إلى إنجبار الناقص بصيغة الجمع، ﴿ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ من قبيل الأولى كما تقدّم لا أنّ غير المهاجرات لا تحلّ. وقيل: لم تحل له غيرهنّ[4]؛ لما روى ابن أبي حاتم بإسناده إلى أُمّ هاني[5] أنها قالت: «خطبني رسول الله فاعتذرت إليه فأعذرني، ثمّ أنزل الله هذه الآية فلم أكن أحلّ له؛

(١) في «ق»: سوق الجلب، وفي باقي النسخ: شق الجلب.

(٢) انظر: الكشّاف (٥/٨١).

والجَلَب: ما جلب من خيل وإبل ومتاع. وقال اللّيث: الجلب ما جلب القوم من غنم أو سبي.

انظر: لسان العرب (٢/٦٤٧) مادة «جلب».

(٣) بعض الآية [٤٨] من سورة النحل.

(٤) انظر: زاد المسير (٦/٤٠٤).

(٥) أم هانئ بنت أبي طالب بن عبد المطّلب رضي الله عنها، اسمها فاخته وقيل: هند، بنت عمّ رسول الله ﷺ، أسلمت عام الفتح، وقد هرب زوجها إلى نجران، وقد صلّى النبي ﷺ في بيتها يوم الفتح، ماتت في خلافة معاوية ﷺ.

انظر: أسد الغابة (٥/٦٢٤)، والتقريب (٢/٦٢٥).

لأني كنت من الطّلقـاء»[1][2]. ﴿ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا ﴾ أي: وأعلمناك بإحلال امرأة مؤمنة إن وقع أنـها تهب واستنكحتها أنت. وإيثار لفظ النبي إشارة إلى أنّ علة هذا الإحلال شرف نبوته ولذلك عـدل إلى الخطـاب في: ﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ ﴾، وعن الـشافعـي: أنّ النكاح لا ينعقد بلفظ الـهبة؛ لأنّ اللّفظ تابع للمعنى والـمعنى مختصّ به، وعند أبي حنيفة رحمه الله الاختصاص في الـمعنى دون اللّفظ، ولا لزوم بـين اللّفـظ والمعـنى؛ لأنّ دلالـة الألفاظ وضعية[3]. واختلف في أنه هل قبل نكاح واهبة نفـسها أم لا. والحقّ أنه لم يثبت، وقيل: قبل أربعاً: ميمونة بنت الحـارث[4]، وزينـب بنت

(١) في هامش الأصل، «ق»، «ص»: «الطلقاء: أسلموا بعد فتح مكّة». وفي غير الأصل: «يوم فـتح مكّة». انظر: لسان العرب (٢٦٩٣/٥) مادة «طلق».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتـم في تفسيره (٣١٤٢/١٠) ح١٧٧٢١٠، والترمذي في سننه، كتاب تفسير الـقرآن، سورة الأحزاب (٧٣٠) ح٣٢١٤، وقـال: «هذا حديث حسن صحيح لا نعرفـه إلاّ من هذا الوجـه من حديث السدّي». والطـبراني في المعجـم الكـبير (٤١٣/٢٤) ح١٠٠٧، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، تفسير سورة الأحـزاب (٤٢٠/٢) وقـال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وأورده ابن حجـر في الكـافي الـشاف (١٣٥) ح٢٢٩، والمناوي في الفتح السماوي (٩٣٩/٣) ح٨٢٣.
وانظر: جامع البيان (٢٠/٢٢)، وزاد المسير (٤٠٤/٦)، والجامع لأحكام القـرآن (٢٠٦/١٤)، والدر المنثور (٦٢٨/٦).

(٣) انظر: الكشّاف (٨٢/٥)، والـهداية (١٩٠/١)، والجامع لأحكام القرآن (٢٧٢/١٣)، والمغـنى (٤٦٠/٩)، واللّباب (١٠/٣).

(٤) قاله ابن عباس.
انظر: جامـع البيان (٢٣/٢٢)، والنكت والعيون (٤١٤/٤)، وزاد المسير (٤٠٦/٦)، الجـامع لأحكام القرآن (٢٠٩/١٤).

خزيمة[1]، وأُمّ شريك[2]، وخولة بنت حكيم[3]. و«خالصة» مصدر مؤكّد كوعداً لله أي: خلص لك إحلال الواهبة، أو صفة مصدر أي: هبة خالصة.

قال ابن حجر عن هذا الأثر: «وهذا منقطع». وله وجه آخر مرسل وإسناده ضعيف.

انظر: فتح الباري (٨/٥٢٥).

وميمونة بنت الحارث: أمّ المؤمنين كان اسمها برّة، فسمّاها النبي ﷺ ميمونة، تزوجها النبي ﷺ في ذي القعدة سنة سبع لـمّا اعتمر عمرة القضاء، ماتت سنة ٤٩هـ.

انظر: الاستيعاب (٤/٤٠٤)، والإصابة (٤/٤١١).

(١) قاله الشعبي، وعروة بن الزبير.

انظر: النكت والعيون (٤/٤١٥)، وزاد المسير (٦/٤٠٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٠٩)، وقال ابن حجر عن هذا القول: «جاء عن الشعبي وليس بثابت». فتح الباري (٨/٥٢٥).

وزينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية، يقال لها أمّ المساكين؛ لكثرة صدقاتها، تزوجها النبي ﷺ بعد مقتل زوجها عبد الله بن جحش في أحد، وهي أُخت أُم المؤمنين ميمونة لأمها، ماتت بعد زواجها من النبي ﷺ بشهرين. انظر: الطبقات الكبرى (٨/١١٥)، وأسد الغابة (٥/٥٦٦).

(٢) قاله الزبير بن العوام، وعلي بن الحسين، والضحاك، ومقاتل.

(٣) قالته عائشة، وعروة بن الزبير.

انظر: النكت والعيون (٤/٤١٤)، ومعالم التنزيل (٣/٥٣٧)، وزاد المسير (٦/٤٠٥).

وصححه ابن حجر وقال: «وهو في هذا الصحيح». فتح الباري (٨/٥٢٥).

واختار ابن حجر أنه لم يكن عنده امرأة وهبت نفسها فقال: «ويعارضه حديث سماك عن ابن عباس: «لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له». أخرجه الطبري وإسناده حسن،

﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ ﴾ من اشتراط الولي، والشهود، والمهر، والحصر في الأربع[1]، ﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾ لا يملكون شيئاً إلاّ إرثاً أو هبة أو بالعوض، و«لك» صفي المغنم ما شئت[2]. ﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ﴾ متعلّق بـ«خالصة» وما بينهما اعتراض يؤكّد معنى اختصاصه بما اختصّ به وإنّ هذه الأثرة مما يليق بمنصبه ناشئة عن علم تامّ بحال من فضل عليه من المؤمنين. وقيل: «خالصة» مصدر للإحلالات الأربع و«لكيلا يكون عليك حرج» متعلّق به والاعتراض بحاله، وفيه أنّ ما عدا الواهبة ليس من

والمراد أنه لم يدخل بواحدة ممن وهبت نفسها له وإن كان مباحاً له؛ لأنه راجع إلى إرادته؛ لقوله تعالى: «إن أراد النبي أن يستنكحها». جامع البيان (٢٣/٢٢)، وفتح الباري (٥٢٦/٨).

وخولة بنت حكيم بن أميّة، كانت صالحة فاضلة، روت عن النبي ﷺ، وروى عنها سعد ابن أبي وقّاص، وسعيد بن المسيب، كانت تحت عثمان بن مظعون رضي الله عنه، وهي من اللّواتي وهبن أنفسهنّ للنبي ﷺ. انظر: الاستيعاب (٢٨٩/٤)، وتهذيب التهذيب (٤١٥/١٢).

(١) انظر: أنوار التنزيل (٥٦١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٣٦/٦)، والروض المربع (٨٣/٣).

(٢) في هامش الأصل: «صفي المغنم: ما يختاره لنفسه من المغنم لا يشاركه فيه أحد كما اختار صفيّة من غنائم خيبر».

وفي هامش «ص»: «من خصائصه: صفي المغنم وهو أن يختار لنفسه ما يشاء».

انظر: قصة زواجه بصفية بنت حيي بن أخطب في صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (١٣٨/٣) ح٤٢١١.

خصائصه؛ لتساوي أُمته معه في الإحلال وأولوية إيثار الأفضل[1]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما يقع مما يعسر التحرز عنه، ﴿رَّحِيمًا﴾ لتوسعه في مظّان الحرج[2]. ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ تؤخرها وتترك مضاجعتها، ﴿وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ وتضم إليك مَن تشاء من أزواجك، أو تطلّق مَن تشاء وتمسك مَن تشاء، أو لا تقسم لمن تشاء وتقسم لمن تشاء، أو تترك تزوج مَن تشاء وتتزوّج بمن تشاء من نساء[3] أُمتك، فالإرجاء والإيواء بإطلاقهما يتناولان هذه الأقسام[4]. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر «ترجيء» بالهمز، والباقون بالياء[5][6]، ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ وتراجع مَن تشاء من المطلّقات، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ في شيء من ذلك، وفي الآية دليل على أنه لم يجب عليه القسم بين زوجاته، ودلّ عليه ما روت معاذة[7] عن عائشة رضي الله عنهما[8]: «لما نزلت هذه الآية كان يستأذن المرأة منا، فقلت: ما كنت تقولين؟، قالت: كنت أقول إن كان

---

(١) انظر: الكشّاف (٥/٨٢ــ٨٣)، وأنوار التنزيل (٥٦١).

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٥٦١).

(٣) في «ص»: نسأ.

(٤) انظر: الكشّاف (٥/٨٤).

(٥) انظر: السبعة (٥٢٣)، والحجة لأبي علي الفارسي (٥/٤٧٨)، والكشف (١/٥٠٦)، والموضح (٢/٦٠٤، ١٠٣٦).

(٦) في هامش الأصل: «إمّا معتل أو مخففة الهمز، والمعنى واحد».

(٧) معاذة بنت عبد الله العدوية، أُم الصهباء، زوجة صلة بن أشيم، كانت من العابدات، ذكرها ابن حبان في الثقات، ماتت سنة ٨٣هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (٤/٥٠٨)، وتهذيب التهذيب (١٢/٤٥٢).

(٨) في «ق»: عنها.

ذاك إليّ فـإني لا أُوثـر عليـك أحـداً»[1]. ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ أي: ذلك التفويض إليك أقرب إلى قرّة أعينهنّ وقلّة حزنهنّ ورضاهنّ كلّهنّ؛ لأنك إن قسمت علمن أنّ ذلك الـذي تفعلـه إنـما تفعله تفضّلاً منك وإحساناً، وإن لم تقسم لم يجـدن عليـك؛ لعلمهـنّ بأنـه حكـم الله[2]، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ من الميل إلى البعض دون البعض. وقـد روت عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ كان يقسم بين نسائه ثم يقول: «اللّهم هذا فعلي فـيما أملـك فـلا تلـومني فـيما تملـك ولا أملـك»[3]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بالصالح، ﴿حَلِيمًا﴾ لا يعاجل بالعقوبة حقيق بأن يُتّقى.

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ عـن مجاهـد، والضحاك[4]، وابن عباس رضي الله عنهم أنـها نزلت بعد ما اختـارت نـساؤه الله

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، تفسير سورة الأحزاب (٢٧٨/٣) ح٤٧٨٩.

(٢) انظر: أنوار التنـزيل (٥٦١).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤٦/٤٢) ح٢٥١١١، قال المحقق:«هذا إسناد رجالـه ثقـات رجـال الشيخين غير حماد بن سلمة، ثمّ أضاف: والصواب أنه مرسل». وأبـو داود في سـننه، كتـاب النكاح، باب في القسم بيـن النساء (٢٤٩/٢) ح٢١٣٤، والترمـذي في جامعـه، كتـاب النكاح، باب ما جاء في التسوية بين الضرائر (٢٧٦) ح١١٤٠، وابن ماجة في سـننه، كتـاب النكاح، باب القسمة بين النساء (٦٣٣/١) ح١٩٧١، والـحاكم في المستدرك، كتاب النكاح، باب التشديد في العدل بين النساء (١٨٧/٢)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(٤) الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم، كان من أوعية العلم، له باع طويل في التفسير والقصص، وثّقه أحمد بن حنبل، ويحي بن معين وغيرهما، مات سنة ١٠٢هـ، وقيل: ١٠٥هـ.
انظر: التاريخ الكبير (٣٣٢/٤)، وسير أعلام النبلاء (٥٩٨/٤).

ورسوله كرامة ومجازاة لهنّ فلم يكن له بعدُ نكاح امرأة لكن[1] له التسري[2]. وعن عائشة وأمّ سلمة رضي الله عنهما أنه أحلّ له[3]، ونسخت هذه الآية بقوله: ﴿ترجي من تشاء﴾، فإنها وإن تقدّمت في ترتيب المصحف فهي متأخرة نزولاً[4]، وقيل: إنما حرم عليه غير الأجناس المذكورة من الإعرابيات في إزاء المهاجرات، والغرائب في إزاء القرائب، والكتابيات بإزاء المؤمنات، ونكاح الإماء إكتفاء بما ملكت يمينه[5]. وعن أُبي بن كعب: إنما نهي عن التبدّل الذي كان في الجاهلية[6]،

---

(١) في «ق»: لا كن.

(٢) انظر: النكت والعيون (٤١٧/٥)، ومعالم التنزيل (٥٣٨/٣–٥٣٩)، وزاد المسير (٤١١/٦).

(٣) المروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ما مات رسول الله ﷺ حتى أحلّ له من النساء ما شاء». أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب التفسير، باب ومن سورة الأحزاب (٧٣٩) ح٣٢١٦، وقال: «هذا حديث حسن صحيح». والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، سورة الزمر (٤٣٧/٢)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

وعن أُمّ سلمة أنها قالت: « لم يمت رسول الله حتى أحلّ الله له أن يتزوج من النساء مَن شاء إلاّ ذات محرم». انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣١٤٧/١٠) ح١٧٧٤٨، ومشكل الآثار للطحاوي (٢١٨/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٣٨/٦)، والدر المنثور (٦٣٧/٦).

(٤) قاله ابن عباس في رواية عنه، وعلي، والضحاك.

انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (٥٨٧/٢)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (٣٨٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٣٨/٦).

(٥) انظر: الكشّاف (٨٦/٥)، والبحر المحيط (٢٤٤/٧).

(٦) في «ق»: الجاهلية.

كأن يقول أحدهم: أنزل عن زوجتك وأنزل عن زوجتي لك[1]. روى البزار[2] بإسناده أن عيينه بن حصن دخل على رسول الله وعنده عائشة رضي الله عنها فقال له رسول الله: أين الاستئذان يا عيينة؟، فقال: ما استأذنت على

(١) قاله ابن زيد، وروى عن بعض المفسرين عن أبي هريرة.

انظر: النكت والعيون (٤/٤١٧)، ومعالم التنـزيل (٣/٥٣٩)، والكشّاف (٥/٨٦)، وزاد المسير (٦/٤١٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٢١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٤٤٠).

ونسبة القول إلى أبي بن كعب غير صحيح، وقد يكون من وهم النساخ.

وأورد مكي بن أبي طالب في الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (٣٨٧) قولاً لأبي ابن كعب إنّ معنى: «ولا أن تبدل بهنّ من أزواج» ليس لك أن تطلّقهنّ بعد أن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، ولكن لك أن تتزوّج عليهنّ مَن شئت».

وأنكر الطبري والنحاس وغيرهما قول ابن زيد.

قال الطبري: «وأمّا الذي قاله ابن زيد في ذلك أيضاً فقول لا معنى له؛ لأنه لو كان بمعنى المبادلة لكانت القراءة والتنـزيل: «ولا أن تبادل بهنّ من أزواج»، أو «ولا أن تبدّل بهنّ» بضمّ التاء، ولكن القراءة المجمع عليها: «ولا أن تبدّل بهنّ» بفتح التاء، بمعنى ولا أن تستبدل بهنّ مع أن الذي ذكر ابن زيد من فعل الجاهلية غير معروف في أُمّة من الأمم».

انظر: جامع البيان (٢٢/٣١-٣٢)، والمحرر الوجيز (١٣/٩١)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٢١).

(٢) البزّار: أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري، المشهور بالبزار، رحل في طلب العلم، كان أحد حفّاظ الدنيا، وسمّي بالحافظ، وجرّحه بعضهم بأنه كان يخطيء في بعض أسانيده، ومن أشهر مؤلفاته: البحر الزخار، وكتاب الأشربة، والمسند الصغير، مات سنة ٢٩٢هـ.

انظر: تاريخ بغداد (٤/٣٣٤)، وسير أعلام النبلاء (١٣/٥٥٤).

أحد من مضر منذ أدركت يا رسول الله، ثم قال: ما هذه الجميلة[1] إلى جانبك، فقال: عائشة أمّ المؤمنين، فقال: أنزل لي عنها وأنزل لك عن أحسن الخلق، قال: إن الله قد حرّم ذلك، فلمّا أدبر، قالت عائشة: مَن هذا؟، قال: أحمق مطاع في قومه[2] ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ حال من فاعل «تبدّل»، أو من المجرور في «من أزواج»؛ لأنه في سياق النفي مستغرق، فكما يصلح مبتدأ يصلح ذا حال[3]، ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ استثناء من «النساء»، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ حفيظاً ومهيمناً، تحذير عن تخطّي حدوده.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ

---

(١) في «ق»: الجملية.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢/٣٠٥) ح٢٢٦٩. وأورده الزيلعي في تخريج أحاديث الكشّاف (٣/١٢٢)، وابن كثير في التفسير (٦/٤٤٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٤٥)، وابن حجر في الكافي الشاف (١٣٦) ح٢٣٥، وقال: «وفيه إسحاق بن عبد الله القروي، وهو متروك».

(٣) انظر: الكشّاف (٥/٨٨)، وأنوار التنزيل (٥٦١)، والبحر المحيط (٧/٢٤٤).

أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [٥٣-٥٥].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ إلاّ وقت الإذن لكم، ﴿ إِلَىٰ طَعَامٍ ﴾ متعلّق بـ«يؤذن»؛ لأنه في معنى يُدعى، ﴿ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾ حال من ضمير «لكم»، وقيل: حال من ضمير «لا تدخلوا» والاستثناء واقع على الوقت والحال كأنه قيل: ولا تدخلوها إلاّ وقت الإذن إلاّ غير ناظرين، والأوّل أولى؛ إذ في تعدد[1] الاستثناء المفرّغ كلام[2]، وهـذا يختص بطائفة كانوا يتحينون طعام رسول الله وإلاّ لما جاز دخول بيوته إلاّ إذا أذن للطعام[3]. وإِنَى الطعام: إدراكـه يقال: أَنى الطعام إِنَى كقلاه قِلَى[4]، ومنه قوله:

---

(١) في «ق»: تعدي.

(٢) أجازه الكوفيون ومنعه البصريون وهو عندهم خطأ.

انظر: الكشّـاف (٥/٨٨)، والبيـان (٢/٢٧٢)، والـتبيان في إعراب القرآن (٢/١٠٦٠)، والبحر المحيط (٧/٢٤٦)، والدر المصون (٩/١٣٨ــ١٣٩).

والاستثناء المفرّغ: استثناء حذف فيه المستثنى منه، ولم يعمل ما قبل «إلاّ» فيما بعدها.

انظر: أوضح المسالك (١٩٤)، ومعجم القواعد العربية (٧٦).

(٣) قاله ابن عباس.

انظر: معالم التنـزيل (٣/٥٤٠)، والكشّاف (٥/٨٨)، وزاد المسير (٦/٤١٣).

(٤) في هامش الأصل: «الشبه إنما هو في الوزن وإلاّ «قلى» متعدّ و«أنى» لازم».

﴿ وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾[1] أي: بالغ غاية الحرارة[2]، ﴿ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ ﴾ تفرقوا، ﴿ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾ ولا تطلبوا الجلوس لاستئناس بعضكم ببعض لحديث، أو أن يستأنسوا حديث أهل البيت تسمعاً أو تجسساً[3]، مجرور معطوف على «ناظرين» نصب على الحال من مقدّر أي: لا تدخلوا مستأنسين لحديث كما لم تدخلوها ناظرين إناء الطعام[4]. ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ﴾ فيحتمله ولا يظهر لكم حياء، ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ وهو إخراجكم، وكان حقّاً أبلج، أو[5] ليس لهم الجلوس في بيته بغير رضاه لفضله طرفة عين، فكيف وقد تأذى بذلك وهو أعزّ الخلق وأكرمهم على الله تعالى.

والمعنى: لا يتركه ترك من يستحي، نزلت في وليمة زينب بنت جحش لما بنى بها رسول الله [صلى الله][6] عليه وسلم أولم لها وليمةً لم يولم على امرأةٍ وليمة مثلها ذبح شاةً وأشبع الصحابة خبزاً ولحماً، فخرج القوم بعد الطعام وتخلف

---

(١) الآية [٤٤] من سورة الرحمن.

(٢) انظر: الكشّاف (٥/٨٨ ــ ٨٩)، وأنوار التنزيل (٥٦١)، ولسان العرب (١/١٦١) مادة «أني».

(٣) في «ح»، «ق»: وتحسساً.

(٤) انظر: الكشّاف (٥/٨٩).

(٥) في «ص»، «ق»: إذْ ليس، وفي «ح»: وليس.

(٦) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ص».

ثلاثة نفر يتحدثون في بيته، فثقل ذلك عليه واستحيى[1] منهم، فخرج ودار على نسائه وسلّم عليهنّ ودعت كلّ واحدةٍ منهنّ له بالبركة في أهله، وعاد فوجدهم في الحديثفشق ذلك عليه فأحسوا بذلك فخرجوا، فقال أنس: كنت بأسكفة[2] الباب حين نزلت عليه فتلاها وأرخى الحجاب، وحرم النظر إلى نسائه[3] وهذه هي آية الحجاب. وعن ابن أبي حاتم بإسناده إلى عائشة أنّ رسول الله ﷺ كان يتعشّى وأنا آكل معه فمرّ عمر، فدعاه إلى الطعام فأصاب أصبعي أصبعه فتأوَّه[4][5]، وقال: لو أطاعني فيكن ما رأتك عين، وذلك أنه كان يحث لرسول الله على ضرب الحجاب على نسائه ويقول: يراهنّ البرّ والفاجر، فلمّا وقع أُصبعه على أُصبع عائشة وقال ما قال نزلت الآية[6].

---

(١) في «ق»: واستحيا.

(٢) بأُسْكُفَّة: الأُسْكُفَّة: عتبة الباب، أو خشبة الباب التي يوطأ عليها.
انظر: القاموس المحيط (١٠٦) مادة «سكف»، والمعجم الوسيط (٤٣٩/١) مادة «سكف».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب: «ترجي من تشاء منهن» (٢٧٩/٣) ح٤٧٩١ـ٤٧٩٤ بألفاظ مقاربة. ومسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش، ونزول الحجاب، وإثبات وليمة العرس (٢٢٥/٩ـ٢٣٢) بروايات مختلفة.

(٤) في الأصل: فتاءوه.

(٥) في هامش «ص»: «يقال: تأوه إذا قال آه، أو قال: واه».

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣١٤٨/١٠) ح١٧٧٥٦، وأصله حديث أنس قال: قال عمر ﷺ: «قلت يا رسول الله يدخل عليك البرّ والفاجر، فلو أمرت أُمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب». أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب: «ترجي من تشاء منهن» (٢٧٨/٣) ح٤٧٩٠. وانظر: تفسير النسائي (٢/)، والكشّاف (٨٩/٥ـ٩٠)، والدر المنثور (٦٤٠/٦ـ٦٤١).

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ﴾؛ لحرمة النظر إليهن وإن كنّ أُمهات احتراماً وإجلالاً، ﴿ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ ﴾ دفعاً لهواجس النفس وخواطر الشيطان الجاري من الإنس مجرى الدم، ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ في وقت من الأوقات، توبيخ لهم علة عدم احتياطهم والتوجه إلى مراقبة أحواله حتى يدركوا بالقرائن ما يرضاه ويبادرون إليه، ﴿ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ ﴾ فإنهنّ أزواجه حيّاً وميتاً، واختلف فيمن فارقها في حياته و لم يمسّها، والحقّ جوازه(١)، ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ ذنباً لا يعادله ذنب؛ إجلالاً مَن أن يطأ فراشه غيره وتصل يد الغير إلى حرمه.

﴿ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ كامل العلم، الحالتان عنده سواء، وعيد شديد لمن يخفي في صدره شيئاً مما يؤذيه وإن لم يقله أو يفعله.

---

(١) حكى القرطبي الإجماع على جواز نكاح مَن فارقها ﷺ في حياته و لم يدخل بها، وبنحوه قال ابن كثير، وقال ابن كثير عن حرمة أزواجه على غيره بعد موته: «ولهذا أجمع العلماء قاطبةً على أنّ مَن توفّى عنها رسول الله ﷺ مِن أزواجه أنه يحرم على غيره تزويجها من بعده؛ لأنهنّ أزواجه في الدنيا والآخرة وأُمهات المؤمنين».

انظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/٢٢٩ــ٢٣٠)، وأنوار التنزيل (٥٦٢)، وتفسير القرآن العظيم (٦/٤٤٥).

﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ ﴾ لما نزل الحجاب سأل[1] هؤلاء الأقارب عن حالهم في الحجاب فنزلت[2]. وإنما لم يذكر الخال والعمّ؛ لأنهما بمنزلة الوالدين، وعن عكرمة والشعبي: لأنهما يصفان لأبنائهما وهم غير محارم فكره ذلك؛ سدّاً لمسالك الشيطان[3]، ﴿ وَلَا نِسَآئِهِنَّ ﴾ أي: نساء المؤمنين[4] وهنّ المؤمنات[5]، ﴿ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ﴾ من الأرقّاء ذكوراً وإناثاً، وعن سعيد بن المسيب: إناثاً لا ذكوراً[6]، ﴿ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ﴾ في السرّ والعلن، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ حاضراً، فخافوه في السرّ كما تخافونه[7] في العلن.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ

---

(١) في «ص»: سئل.

(٢) انظر: معالم التنزيل (٣/٥٤١)، والكشّاف (٥/٩١)، وأنوار التنزيل (٥٦٢).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٢٣٦)، وجامع البيان (٢٢/٤٢)، والنكت والعيون (٤/٤٢٠)، والكشّاف (٥/٩١)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٣١).

(٤) في الأصل، «ص»: نساء المؤمنات.

(٥) قاله مجاهد.

انظر: النكت والعيون (٤/٤٢٠).

(٦) انظر: النكت والعيون (٤/٤٢٠)، وأنوار التنزيل (٥٦٢)، وتفسير القرآن العظيم (٦/٤٤٦).

(٧) في «ص»: تخافون.

وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [٥٦-٥٩].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ ﴾ لما شيّد أركان شرف رسول الله بما اختصه به بين عباده المؤمنين من خصائص الأحكام بما عسى يذهب الوهم إلى أنه لا مزيد على هذا الإكرام أشار إلى أنه قد بلغت كرامته إلى أنه تعالى[1] وملائكته المقربون[2] من الملأ الأعلى والكرُّوبيين[3] مستمرون على إظهار شرفه والاعتناء بتبجيل شأنه. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ تُجِلُّوه بها في وسعكم.

وقد روى البخاري بإسناده إلى كعب بن عُجْرة[4] قلنا: يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف نصلي، قال: قولوا اللّهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللّهم بارك على محمد

---

(١) في «ق»: تعلى.

(٢) في «ق»: المقربين، وهو الصواب.

(٣) الكرُّوبيون: سادة الملائكة، ويراد بهم المقربون من الملائكة كجبريل وإسرافيل وميكائيل.

انظر: القاموس المحيط (١٦٧) مادة «كرب»، والمعجم الوسيط (٧٨١/٢) مادة «كرب».

(٤) كعب بن عُجْرة بن أمية بن عدي السالمي الأنصاري، أبو محمد، من أهل بيعة الرضوان، شهد المشاهد كلّها، فيه نزلت آية الفدية، توفي بالمدينة سنة ٥٢هـ.

انظر: تهذيب الأسماء واللّغات (٦٨/٢)، وسير أعلام النبلاء (٥٢/٣).

وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى [آل][1] إبراهيم إنك حميد مجيد»[2].

وجملة الكلام: أنّ الله تعالى[3] أمر العالم العلوي والسفلي بالاشتغال بما فيه تبجيل له كلاً بما في وسعه، وكان ذلك إشارة إلى أنه المقصود والنتيجة وهما المقدّمتان اللّتان رتّبهما العلام الحكيم، ولذلك كان مقدّماً خلقاً وإن تأخر بعثاً[4]، وقد اختلف في وجوب الصلاة عليه أمّا مرّةً في الدهر فاتّفاقاً، وأمّا كلما جرى ذكره فقيل لا يجب، والحقّ وجوبه؛ لتظاهر الأحاديث الكثيرة، ولدلالة «يصلون» على الاستمرار والتجدد، وأمّا الصلاة على غيره من الأنبياء فالأفضل أن يصلي عليهم عند جري ذكرهم، وأمّا غيرهم من الصحابة والتابعين فلا يجوز إلاّ تبعاً؛ لأنه صار شعار الرافضة[5][6].

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ص».

(٢) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب «إن الله وملائكته يصلون على النبي» (٢٨٠/٣) ح٤٧٩٧.

(٣) في «ق»: تعلى.

(٤) مضى نقاش هذه المسألة عند تفسير الآية [٧].

(٥) انظر: الهداية (٥٢/١)، والشفا (٦٢٧/٢-٦٦٥)، والمجموع شرح المهذب (٤٦٧/٣-٤٦٨)، والكشّاف (٩٢/٥-٩٦)، والمغني (٢٢٨/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٦٧/٦)، والفقه الإسلامي وأدلته (٧٢٠/١-٧٢١).

(٦) الرافضة: هم الشيعة الذين يغالون في آل البيت، وسمّوا رافضة؛ لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين حين سألوه عن أبي بكر وعمر فأثنى عليهم وقال: هما وزيرا جدي، فانصرفوا ورفضوه. انظر: معجم ألفاظ العقيدة (١٩٦)، والموسوعة الميسرة (١٠٦٩/٢).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ ذكر الله للتوطئة وإشعاراً بأنّ [إيذاء رسول الله إيذاؤه][1]، أو إيذاءه نسبته[2] إلى ما لا يليق بجلاله وكبريائه إليه. لما روى أبو هريره ﷺ: «يؤذيني ابن آدم يسبّ الدهر وأنا الدهر أُقلّب اللّيل والنهار»[3]. وإيذاء رسوله إمّا بقولهم ساحر وشاعر، وإمّا بفعلهم كما كسروا رباعيته وشجوا رأسه إلى غير ذلك[4]. ﴿ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ بالقتل والأسر، ﴿ وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ بعذاب النار، ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ مجازاة على إهانتهم رسوله هذا فيمن آذاه قصداً، وأمّا إيذاء المؤمنين [له][5] لم يكن كذلك بل عن غفلة. ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ ﴾ بغير جناية توجب ذلك، قيّده لأنّ إيذاء المؤمنين قد يكون حقّاً بخلاف إيذاء الله

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ص».

(٢) في «ح»: نسبة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، تفسير سورة الجاثية (٣/٣٩١) ح٤٨٢٦، ومسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الألفاظ من الأدب، باب النهي عن سبّ الدهر (١٥/٢).

(٤) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/٧٩)، والكشّاف (٥/٩٧)، وزاد المسير (٦/٤٢٠)، والسيرة النبوية الصحيحة (٢/٣٨٧)، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (٣٩٠).
واختار ابن كثير العموم فقال: «والظاهر أنّ الآية عامة في كلّ مَن آذاه بشيء، مَن آذاه فقد آذى الله، ومَن أطاعه فقد أطاع الله». تفسير القرآن العظيم (٦/٤٦٩).

(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

ورسوله[1]، ﴿فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ ظاهراً يشمل السبّ والغيبة، والروافض أوّل داخل فيه.

نزلت في المنافقين الذين كانوا يؤذون علي بن أبي طالب[2]، وقيل: في الزناة الذين كانوا يتبعون أو يتعرضون للعفائف وهنّ كارهات[3]، وهذا أوفق بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ كانت[4] بيوت المدينة[5] لا كنف[6] لها، وكانت النساء يخرجن لقضاء[7] حاجة

---

(١) انظر: الكشّاف (٥/٩٧)، والتفسير الكبير (٢٥/٢٢٩).

(٢) قاله مقاتل والنقّاش.

انظر: النكت والعيون (٤/٤٢٣)، وأسباب النزول للواحدي (٤٢٠)، وزاد المسير (٦/٤٢١)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٤٠)، وأنوار التنزيل (٥٦٣).

(٣) قاله الكلبي والضحاك والسدي.

انظر: النكت والعيون (٤/٤٢٣)، وأسباب النزول للواحدي (٤٢٠)، ومعالم التنزيل (٣/٥٤٣)، وزاد المسير (٦/٤٢١)، وأنوار التنزيل (٥٦٣).

(٤) في «ص»: كان.

(٥) في «ص»: المدائن.

(٦) كنف: بضمّ الكاف والنون جمع كنيف، وهو المرحاض.

انظر: القاموس المحيط (١٠٩٩) مادة «كنف»، والمعجم الوسيط (١/٨٠١) مادة «كنف».

(٧) في «ح»: لقضأ.

الإنسان إلى المناصع[1] إذا اختلط الظلام، وكان الفسّاق والشطّار[2] يتعرضون لهنّ لاشتباههنّ بالإماء، فأمر الله رسوله بأن يأمر نساءه وبناته ونساء المؤمنين بلبس الجلباب، وهو إزار فوق الخمار، أو ملحفة لتمتاز سماتهنّ عن سمات نساء الجاهلية والإماء[3]. و«من» تبعيضية أي: بعض الجلباب[4]. وعن ابن سيرين[5] سألت عبيدة السلماني[6] عن معناه، فغطّى وجهه وأبرز عينه اليسرى[7]. ﴿ذَٰلِكَ

(١) المناصع: جمع منصع، وهو الموضع الذي يقصده الإنسان لقضاء حاجته، وسمّي بذلك؛ لأنه ينصع إليه أي: يبرز ويخلو لحاجته فيه. انظر: الفائق (٣/٤٣٨) مادة «نصع».

(٢) الشطّار: جمع شاطر، وهو الخبيث الفاجر، ويطلق على من أعيا أهله خبثاً.
انظر: القاموس المحيط (٥٣٣) مادة «شطر»، والمعجم الوسيط (١/٤٨٢) مادة «شطر».

(٣) انظر: الكشّاف (٥/٩٧ـ٩٨)، والمحرر الوجيز (١٣/٩٩ـ١٠٠).

(٤) قال القرطبي: «الجلابيب جمع جلباب، وهو ثوب أكبر من الخمار، وروي عن ابن عباس أنه الرداء، وقد قيل: إنه القناع، والصحيح أنه الثوب الذي يستر جميع البدن».
الجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٤٣).

(٥) ابن سيرين: محمد بن سيرين، أبو بكر، مولى أنس بن مالك رضي الله عنه، سمع عدداً من الصحابة، كان فقيهاً، عالماً بتعبير الرؤى، مات سنة ١١٠هـ.
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/١٩٣)، وتذكرة الحفّاظ (١/٦٢).

(٦) عبيدة السلماني: عبيدة بن عمرو السلماني المرادي، أبو عمرو الكوفي، سمع طائفة من الصحابة، تابعي كبير، مخضرم، ثقة، ثبت، كان شريح إذا أشكل عليه شيء سأله، مات سنة ٧٢هـ، أو بعدها، والصواب أنه مات قبل سنة ٧٠هـ.
انظر: التاريخ الكبير (٦/٨٢)، وتقريب التقريب (١/٥٤٧).

(٧) انظر: جامع البيان (٢٢/٤٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٠/٣١٥٤ ـ ٣١٥٥) ح١٧٧٨٧، والنكت والعيون (٤/٤٢٤)، والمحرر الوجيز (١٣/١٠٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٤٣).

أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ لعدم اللّبس، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا ﴾ لما سلف، ﴿ رَّحِيمًا ﴾ يراعي مصالح عباده.

قال تعالى: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ [٦٠-٦٨].

﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾ عن النفاق، ﴿ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ وهم الزناة وأهل الفجور(١)؛ لقوله: ﴿ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾(٢)، وقيل: [قلّة](٣) ثباتٍ في الإيمان(٤)، ﴿ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ ناس من المؤمنين يخبرون عن سرايا رسول الله أخبار السوء من القتل والانهزام وغير ذلك، من الرّجفة وهي

(١) انظر: النكت والعيون (٤/٤٢٤)، وزاد المسير (٦/٤٢٢).

(٢) بعض الآية [٣٢] من سورة الأحزاب.

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٤) انظر: الكشّاف (٥/٩٨).

الزلزلة؛ لأنه خبر يزلزل قلوب المؤمنين[1]، ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ لنسلطنّك عليهم[2]، من الغراء وهو ما يُلْصَق به الشيء بالشيء، ولذلك عدّي بالباء[3][4]، ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ﴾ أي: في المدينة، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ عطف على «لنغرينك» جواباً للقسم، وإيثار «ثم» للدلالة على أنّ جلاء الوطن أعظم المصائب عندهم[5]، ﴿مَّلْعُونِينَ﴾ نصب على الشتم، أو الحال، والاستثناء شامل له أيضاً، ولا يجوز تعلّقه بقوله: ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا﴾ لأنّ ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله[6]. ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾

---

(١) قاله قتادة.

انظر: النكت والعيون (٤/٤٢٤)، والكشّاف (٥/٩٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٤٥).

(٢) قاله ابن عباس.

انظر: النكت والعيون (٤/٤٢٤)، والمحرر الوجيز (١٣/١٠١).

(٣) الغِراء: بكسر الغين، والغَرا بفتح الغين مقصور، وهو ما يلصق به الشيء، وأغرى بينهم العداوة ألقاها كأنه ألزقها بهم. والصواب: أنّ الفعل «نغرينك» مأخوذ من الإغراء؛ لأنّ الفعل مزيد بالهمز أصله «أغرى».

انظر: الصحاح (٦/٢٤٤٥) مادة «غرا»، والمفردات (٦٠٦)، والكشّاف (٥/٩٩)، والقاموس المحيط (١٦٩٨) مادة «غرا»، والمعجم الوسيط (٢/٦٥١) مادة «غرا»، ومعجم مفردات الإبدال والإعلال (٤٤٤).

(٤) في «ص»: بالياء.

(٥) انظر: الكشّاف (٥/٩٩)، وأنوار التنزيل (٥٦٣).

(٦) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/٣٢٧)، والكشّاف (٥/٩٩)، وأنوار التنزيل (٥٦٣).

من الأمم الماضية، مصدر مؤكد كوعـد الله، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ إذ لا يقدر أحد على تبديله وما تعلق به إرادته كائن لا محاله.

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ عن وقت قيامها، والسائل المشركون استهزاءً، أو اليهود تعنتاً لما في التوراة وسائر الكتب أن علمه مما استأثر الله به[1]، ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ لا عند غيره، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ شيئاً قريباً، أو يكون عن قريب، تهديد للمستعجل كقوله: ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[2] وإسكات للمتحن. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ ناراً ذات هَيَجان ولهب، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ أي[3]: ما لا نهاية له، ﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ مَن يتولّى حفظهم، ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يدفع عنهم العذاب.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ تصرف فيها من جهة إلى أُخرى كما ترى البضعة من اللّحم في القدر حال غليانها أو تغير هيئاتها، أو يطرحون منكوسين، والتعبير بالوجه؛ لأنه أشرف الأعضاء[4].

وقد تبع المصنّف الزمخشري في هذه المسألة، قال السمين عن قول الزمخشري: «وهذا منه مشي على الجادة»، ثمّ أضاف أقوال النحاة في المسألة بقوله: «فتلخص في المسألة ثلاثة مذاهب: المنع مطلقاً، الجواز مطلقاً، التفصيل: يجوز تقديمه معمولاً للجواب، ولا يجوز تقديمه للشرط».

الدر المصون (١٤٣/٩).

(١) انظر: الكشّاف (٩٩/٥)، وأنوار التنزيل (٥٦٣).

(٢) بعض الآية [٥٠] من سورة يونس.

(٣) في «ق»: إلى.

(٤) انظر: الكشّاف (١٠٠/٥).

﴿ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ تمنياً على ما فات، ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا ﴾ أشرافنا وعلماءنا[1]. ﴿ فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ بما زيّنوه لنا، يقال: ضلّ السبيل وأضله[2] غيره، والخلاف في «الرسولا، والسبيلا» كالخلاف في «الظنونا»، والتوجيه ما تقدّم[3]، ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ للضلال والإضلال، ﴿ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ أفراده. وقرأ عاصم بالباء الموحدة أي أشدّ اللّعن وأعظمه، وقراءة القوم أوفق؛ للدلالة «ضعفين» على التعدد[4].

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا

---

(١) قاله طاووس.

انظر: النكت والعيون (٤/٤٢٥–٤٢٦)، وزاد المسير (٦/٤٢٤)، والبحر المحيط (٧/٢٥٢).

واختار القرطبي العموم بقوله: «والأظهر العموم في القادة والرؤساء في الشرك والضلالة».

الجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٤٩).

(٢) في «ق»: فأضله.

(٣) انظر: قول المصنّف عند تفسير الآية (١٠) صـ٧٥٥.

(٤) وقرأ الباقون «كثيرا» بالثاء، واختلف النقل عن هشام عن ابن عامر، روى الداجوني عن أصحابه بالياء، وروى الحلواني وغيره عن هشام بالثاء.

انظر: السبعة (٥٢٣–٥٢٤)، والكشف (٢/١٩٩)، والموضح (٢/١٠٤٠)، والنشر (٢/٣٤٩)، والإتحاف (٣٥٦).

عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [٦٩-٧٣].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ﴾ روى البخاري عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «موسى بن عمران كان رجلاً حيياً، وكان بنو إسرائيل يغتسلون عراة، وكان موسى لا يغتسل إلاّ مستتراً، فقالوا: ما يمنعه أن يغتسل معنا عرياناً إلاّ أنه آدر[1]، فاغتسل يوماً ووضع ثوبه على الحجر، ففر بثوبه فأخذ العصا[2] وعدا خلف الحجر وهو ينادي: ثوبي حجر، ثوبي حجر[3]، فوقف الحجر على ملأ من بني إسرائيل فقالوا: والله ما بموسى من بأس»[4]. وقيل: اتّهموه بقتل هارون[5]، وقيل: افتراء[6] قارون عليه

(١) آدر: من الأُدرة وهي انتفاخ الخصية لتسرب سائل فيها.
انظر: الصحاح (١/٥٧٧)، مادة «أدر».

(٢) في «ص»: العصى.

(٣) ثوبي حجر: أي ثوبي يا حجر، وناداه نداء مَن يعقل؛ لأنه صدر عنه فعل مَن يعقل.
انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٥٢).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الغسل، بـاب من اغتسل عرياناً وحده في الخلـوة (١/١٠٨) ح٢٧٨، وأطرافه في (٣٤٠٤، ٤٧٩٩).

(٥) قاله علي بن أبي طالب.
انظر: جامع البيان (٢٢/٥٢)، والكشّاف (٥/١٠١)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٥١).

(٦) في «ق»: افترى.

بالزنا كما مرّ في القصص[1]، ﴿ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ ذا[2] مكانة ورتبة[3] فكان جديراً بأن يبرأ[4] عمّا يشينه، وشتّان ما بين وجاهة الكليم والحبيب[5].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ في كلّ الأمور لا سيما فيما يؤذي رسول الله، ﴿ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴾ جواباً مستقيماً لا اعوجاج فيه فيشمل قضية زينب وغيرها.

﴿ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ ﴾ جواب الأمر أي: إذا فعلتم ما أُمرتم به حصل لكم ما هو غاية طِلْبَة كلّ عاقل وهو تقبّل حسناتكم، أو التوفيق لمجيء أعمالكم في المستقبل [مرضية][6]، وهذه الآية مقررة لما تقدّمها مع اشتمالها على الوعد كاشتمال تلك على الوعيد فيقوى الصارف عن الأذى[7]. ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ لنجاته من عذاب الدارين ونيل ما لا عين رأت.

---

(١) عند تفسير القرآن الآية [٨١]. انظر: الكشّاف (٥/١٠١)، وزاد المسير (٦/٤٢٦).
واختار القرطبي وابن حجر القول الأوّل، بينما رجّح الطبري وابن كثير القول بالعموم.
انظر: جامع البيان (٢٢/٥٢ـ٥٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٥١)، وتفسير القرآن العظيم (٦/٤٧٥)، وفتح الباري (٨/٥٣٥).

(٢) في «ص»: إذا.

(٣) في «ص»: وزينة.

(٤) في «ق»: تبرأ، وفي «ح»: يبراء.

(٥) الكليم: موسى عليه السلام، والحبيب: محمد ﷺ.

(٦) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٧) انظر: الكشّاف (٥/١٠١ـ١٠٢).

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ لما علّق بالطّاعة الفوز العظيم عظّم شأنها وفخّم أمرها، وعبّر عنها بالأمانة؛ إشارة إلى أنها لازمة الرّعاية واجبة الأداء. والمراد منها ما يعمّ اللائق بالجماد من حيث كونها[1] مسخراً لما أُريد منه ولم [يمتنع][2] عن المشيئة، وبالإنسان من الانقياد لأوامره ونواهيه فحيث جرت[3] تلك الأجرام واستمرت على ما سخرت له، والإنسان خاس[4] به ولم يفِ بما كان في وسعه، حكم عليه بالخيانة من قولهم: حمل فلان الأمانة أي: استمر على حملها ولم يؤدّها إلى صاحبها، فعلى هذا الإباء والعرض والإشفاق مجازات متفرعة على تمثيل حال الجماد بالمأمور الذي إذا ورد عليه أمر سيده المطاع بادر بالامتثال، وفيه تعريض بالإنسان وأنه كان أحقّ بذلك، ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا ﴾ في ترك الأداء مع التمكّن، ﴿ جَهُولًا ﴾ شديد الجهل بوخامة العاقبة؛ لتفويته[5] الفوز العظيم وتوريطه

(١) في «ق»: كونه.

(٢) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٣) في «ح»: حرب.

(٤) في «ح»: خاص، وفي «ص»: خائن، والمثبت من الأصل و«ق».
وخاس العهد: نقضه وخانه، يقال: خاس به يخيس ويخوس، أي: غدر به، وخاس بالعهد إذا نكث. انظر: الصحاح (٣/٩٢٦) مادة «خاس»، والمعجم الوسيط (١/٢٦٤) مادة «خاس».

(٥) في «ق»: نفوسة: ونفوسة: بضمّ النون والفاء على وزن «فعولة»، يقال: شيء نفيس أي: يتنافس فيه، وقد أنفس المال إنفاساً، ونفُس نفوساً.
انظر: لسان العرب (٨/٤٥٠٣) مادة «نفس».

نفسه في العذاب المقيم، وإشارة إلى عظم شأن الطّاعة حيث كان [ما يشبهها][1] مما يتبادر إليه الجهاد. وقيل: أُريد بها الطّاعة حقيقة[2]، والأمر مبني على الفرض والتصوير، وذلك بأن مثلت حال التكليف في صعوبته وثقل محمله وما في المحافظة على الأمانة إلى حين الأداء على الوجه الأتمّ لو كان في هذه الأجرام العظام الأقوياء فهم وإدراك الخطاب وعرضت الأمانة عليها لما حملتها ولا آثرتها اختياراً، والإنسان الذي خلق ضعيفاً آثره واحتمله وكان ظلوماً واضعاً لنفسه غير موضعها؛ لحمله عليها ما عجزت عنه السموات والأرض والجبال، جهولاً بوخامة العاقبة، وإنّ ترك حفظها مع الإمكان يورث الهبوط من أوج السعادة إلى حضيض الشّقاء[3]. وقيل: الأمر على ظاهره وأنّ الله تعالى خلق هذه الأجرام، خلق فيها فهماً وأهليةَ خطاب[4]، وقال: إني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن أطاعني، وناراً لمن عصاني، فقلن: نحن مسخّرات لما خُلِقنا له لا نحتمل[5] فريضةً[6] ولا نبغي ثواباً، ولا نرضى لأنفسنا عقاباً[7].

---

(١) ما بين المعكوفتين غير واضحة في الأصل.

(٢) انظر: الكشف على الكشّاف (٤٠١/أ).

(٣) في «ص»: الشقا.

(٤) الكشف على الكشّاف (٤٠١/أ).

(٥) في «ق»: نتحمل.

(٦) في «ص»: زيادة: وخلقت جنة ولا نبغي.

(٧) الكشف على الكشّاف (٤٠١/ أ).

والأوجه أن يقال: العرض مجاز عن نسبة الأمانة إليها، وإباء الحمل عن عدم الاستعداد والقابلية لها، وحمل الإنسان عن استعداده وكمال القابلية في أصل نشأته على ما أُشير إليه بفطرة الله التي فطر الناس عليها، وبكلّ مولود يولد على الفطرة[1]، وكان ظلوماً حيث أفسد تلك الفطرة التي هي مثابة الإكسير[2]، جهولاً شديد الجهل بما يترتب عليذلك هلاّ حافظ على القوة العاقلة التي هي بمثابة الإكسير الملك على سائر القوى وقهر بها جنود القوة الغضبية والشهوة التي هي بمنزلة الشياطين[3]. ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ ﴾ التعذيب نتيجة حمل الأمانة

---

(١) مضى إيضاح المراد بالفطرة عند تفسير الآية (٣٠) من سورة الروم صـ٦٥٣.

(٢) الإكسير: بكسر الهمزة وإسكان الكاف: شراب يطيل الحياة كما كان يُزعَم. أو مادة مركّبة تحوّل المعدن الرّخيص إلى ذهب فيما يتوهمه القدماء، ويراد بها في النصّ: الأصل الثابت.
انظر: المعجم الوسيط (٢٢/١).

(٣) انظر: الكشّاف (١٠٢/٥-١٠٣)، وأنوار التنزيل (٥٦٤)، والكشف على الكشّاف (٤٠١/أ-ب).

والقول بعموم الأمانة في الآية قال به جمهور المفسرين ومنهم ابن جرير الطبري يقول: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قاله الذين قالوا أنه عني بالأمانة في هذا الموضع جميع معاني الأمانات في الدين، وأمانات الناس، وذلك أنّ الله لم يخصّ بقوله: «عرضنا الأمانة» بعض معاني الأمانات».

جامع البيان (٥٧/٢٢). وانظر: معاني القرآن للزجاج (٤/)، والتسهيل (١٤٥/٣)، والمحرر الوجيز (١٠٥/١٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٧٧/٦).

مجازاً كما أنّ التأديب نتيجة الضرب حقيقة، والمعنى: ليعذب الله الخائن في الأمانة الخائن[1] في ضمانة، ويتوب على الأمين الوافي بحقّ الأمانة بما ضمنه، وفي هذا نوع من عذاب الخائن الغادر، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لفرطات المؤمنين، ﴿رَّحِيمًا﴾ متفضلاً بثواب طاعاتهم.

تمت سورة الأحزاب، والصلاة[2] على مَن أنزل عليه الكتاب وآله وصحبه مدى اللّيالي إلى يوم الحساب.

(١) في «ق»: الخائنين.

(٢) في الأصل: الصلوة.

تفسير
سورة سبأ

«سورة سبأ»

وهي أربع وخمسون آية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ [١-٥].

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ما دخل في قوامها وما يكون فيها واستقرّ، فإنّ كلّ ذلك نعمة دنيوية يُحْمد موليها، ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ على تلك النعم، فكأنه قال هو المحمود على نعم الدّارين لا غير، وكما دلّ على الاختصاص هنا تقديم الصلّة دلّ عليه اللاّمان أولاً، فسقط ما قيل[2]. قدّم

(١) وفي العدّ الشامي خمس وخمسون آيـة. انظر: الكشّـاف (١٠٥/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٢٥٨/١٤)، والإتحاف (٣٥٧)، ومرشد الخلاّن (١٣٧).

(٢) في هامش الأصل: «يردّ على البيضاوي».

الصلّة هنا؛ لأنّ نعم الدنيا قد تكون بواسطة من يستحقّ الحمد[1]. ألا ترى إلى قوله في سورة القصص: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ﴾[2] بتقديم ذات الصلة فيهما مع أنّ قوله: نعم الآخرة لا يكون بواسطة مَن يستحق الحمد ممنوع وأي واسطة أقوى من شفاعة رسول الله والملائكة والصالحين. وإنما سمّي مقام شفاعته مقاماً محموداً؛ لأنه يحمده الأولون والآخرون كما رواه البخاري[3].

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ المتقن أمر الدّارين، ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ ببواطن الأمور، وفي الوصفين[4] إشارة إلى أن كلّ ذلك إنما هو على وجه الحكمة وعلم تام بموضع الاستحقاق.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من الأمطار، والدفائن، والأموات، وسائر ما له الأرض كفاءه[5]، ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من الأشجار، والفلزّات، وأنواع

(١) قاله البيضاوي. انظر: أنوار التنزيل (٥٦٥).

(٢) بعض الآية [٧٠].

(٣) عن جابر بن عبد الله أنّ رسول الله ﷺ قال: «من قال من حين يسمع النداء: اللهم ربّ هذه الدّعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً، حلّت له شفاعتي يوم القيامة». صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء (١/٢٠٨) ح٦١٤.

وانظر: فتح الباري (٢/٩٥).

(٤) في «ق»: الموضعين.

(٥) في «ص»، «ق»: كفأة، وفي «ح»: كفاه.

النبات[1]، ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من الأمطار، والثلوج، والملائكة، ﴿وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ﴾ من الأعمال، والعبادات، تقرير لوصف الخبره وتفصيل لما أجمله في قوله: «ما في السموات والأرض» لأنواع النعم الكليّة، ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ﴾ المتفضّل بإفاضتها، ﴿ٱلۡغَفُورُ﴾ لفرطاتهم وتقصيرهم[2] في شكرها، وتقديم وصف الرّحمة؛ لأنّ الكلام في الإنعام، فذاك[3] أوفق بالمقام[4]. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ﴾ إنكار لمجيئها واستبطاء سخرية كقولهم: متى هذا الوعد؟. ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾ ردّ إنكارهم وأكّده بالقسم، ثم أمدّ ذلك

والصواب: كفاتاً، قال تعالى: «﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا﴾ الآية (٢٥، ٢٦) من سورة المرسلات.

قال الرّاغب عن معنى «كفاتاً»:«تضمّ الأحياء التي هي الإنسان، والحيوانات، والنبات، والأموات». المفردات (٧١٣) مادة «كفت». وانظر: الكشّاف (١٠٦/٥)، وأنوار التنزيل (٥٦٥).

(١) انظر: أنوار التنزيل (٥٦٥)، والبحر المحيط (٢٥٧/٧).

الفلزّات: بكسر الفاء وتشديد الزاي، قال الجوهري: ما ينفيه الكير مما يُذاب من جواهر الأرض.

وعند المعاصرين: الفلز: مادة متبلورة ذات متانة عالية في العادة.

انظر: الموسوعة العربية العالمية (٤٣٢/١٧)، والمعجم الوسيط (٧٠٠/٢) مادة «فلز».

(٢) في «ص»: وتقصير.

(٣) في «ص»: فذلك.

(٤) قال الزركشي: «وإنما تأخرت في آية سبأ في قوله: «الرحيم الغفور»؛ لأنها منتظمة في سلك تعداد أصناف الخلق من المكلّفين وغيرهم، فالرحمة شملتهم جميعاً، والمغفرة تخصّ بعضاً، والعموم قبل الخصوص بالرتبة». البرهان في علوم القرآن (٢٤٩/٣).

التأكيد بقوله: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ﴾؛ لأنّ هذا الوصف بمنزلة الشاهد على وقوع المقسم عليه من غير مجال ريب[1]. وأُوثر من بين صفاته العُلى إحاطة علمه بالمغيبات في العالم العلوي والسفلي؛ لأنّ العلم بوقت الساعة من أُمهات الغيوب، فإذا وصف بالعلم الشامل دخل ذلك تحته، ففيه رعاية حسن الإقسام.

قرأ حمزة، والكسائي «علاّم» على صيغة المبالغة بالجرّ. ونافع، وابن عامر بالرفع على أنه خبر، أو مبتدأ[2] خبره ما بعده. والباقون بالجرّ[3]. وقرأ الكسائي «لا يعْزِب» بكسر الزاء[4][5]، ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ هو اللّوح، وجعل

---

(١) وفي الآية كذلك نفي الله أنه لا يعزب عنه مثقال ذرّة فكيف بما هو أكبر !.

قال الزركشي: «ونفي الأدنى أبلغ من نفي الأعلى، لا من جهة كونه أخصّ بل من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى». البرهان في علوم القرآن (٣/٤٠٣).

(٢) في الأصل، «ص»: مبتدأ.

(٣) وقع الخلاف بين القراء في «عالم» على النحو التالي:

١ـ قرأ حمزة، والكسائي «علاّمِ» على صيغة فعال مجروراً. وهو اختيار ابن جرير الطبري.

٢ـ وقرأ ابن عامر، ونافع «عالـمُ» مرفوعاً. وهو اختيار أبي جعفر النحاس، ومكي القيسي.

٣ـ وقرأ الباقون «عالمِ» مجروراً. وهو اختيار أبي عبيد، وأبي حاتم، والهذلي.

انظر: السبعة (٥٢٦)، والتيسير (١٧٩)، والموضح (٣/١٠٤١، ١٠٤٢)، والنشر (٢/٣٤٩)، واختيارات مكي بن أبي طالب (٢/٩١٩ـ٩٢٠).

(٤) في «ق»: الزاي.

(٥) وقرأ الباقون بضمّ الزاي.

انظر: السبعة (٥٢٦)، والتيسير (١٢٢ـ١٢٣)، والموضح (٣/١٠٤٢)، والنشر (٢/٢٨٥).

الضمير في «عنه» للغيب على معنى لا ينفصل عن الغيب شيء إلاّ مسطوراً في اللّوح لا يلائم المقام"[1]. ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ﴾ علّة لقوله «لتأتينكم» ردٌّ لإنكار صدق المخبر المؤكّد خبره بالقسم البالغ كأنه قيل: له القدرة التامة على إيجاد العالم والعلم الشامل بجليّات الأشياء وخفيّاتها، والحكمة تقتضي جزاء المحسن والمسيء، وهذا أيضاً مركوز في غرائزهم، فقد تمّ المقتضى وارتفع المانع، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ لا تعب فيه ولا منّ، ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ في إبطالها والصدّ عنها، ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ مفائتين في زعمهم، يُقال: عاجز فلان إذا ذهب فلم يوصل إليه[2]. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو بلا مدّ من التعجيز، وهو المختار؛ لأنه أبلغ[3]. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ﴾ من عذاب، ﴿أَلِيمٞ﴾ «من» بيان أي: لهم حصّة من العذاب الأليم. وقرأ ابن كثير، وحفص برفع الميم، والجرّ أولى؛ لعدم الفصل، ولأنه أمكن معنى[4].

---

(١) في هامش الأصل، «ص»: «لأنّ الكلام في إحاطة علمه تعالى بالأشياء، فإذا جعل الضمير للغيب فات ما ذكر».

انظر: البحر المحيط (٧/٢٥٨)، والدر المصون (٩/١٤٩).

(٢) انظر: النكت والعيون (٤/٤٣٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٦١).

(٣) وقرأ الباقون «معاجزين».

انظر: السبعة (٤٣٩)، والتيسير (١٥٨)، والموضح (٣/١٠٤٢)، والنشر (٢/٣٢٧).

(٤) وقرأ الباقون بجرّ «أليم».

قال تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾ [٦-٩].

﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ عطف على، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ هم الصحابة ومَن بعدهم(١)، أو علماء أهل الكتاب الذين آمنوا(٢)، ﴿ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾ مفعولاً «يرى»، وهو ضمير الفصل، ويجوز عطفه على «ليجزي»، والمعنى: وليعلم الذين أُوتوا العلم إذا عاينوها علماً لا مزيد عليه في

وهي اختيار أبي عبيد، وأبي حاتم، وأبي علي الفارسي، ومكي القيسي، وأبي الحسن الباقولي.

انظر: السبعة (٥٢٦)، والتيسير (١٨٠)، والموضح (٣/١٠٤٢)، واختيارات مكي بن أبي طالب (٢/٩٢٠-٩٢١).

(١) قاله قتادة.

انظر: النكت والعيون (٤/٤٣٣)، وزاد المسير (٦/٤٣٣).

(٢) قاله الضحاك، وأبو صالح عن ابن عباس، ومقاتل.

انظر: النكت والعيون (٤/٤٣٣)، وزاد المسير (٦/٤٣٣)، والجامع لأحكام القرطبي (١٤/٢٦١).

وقال القرطبي: «وقيل: جميع المسلمين وهو أصحّ؛ لعمومه».

الإيقان[1][2] فيحتجوا به على مَن أنكرها، أو ليعلم مَن لم يؤمن بها مِن الأحبار فيزدادوا حيرة[3]، ﴿ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ هي[4] دين الإسلام.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ بعضهم لبعض، ﴿ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ ﴾ نكّروه متجاهلين به كأنه غريب جاء بأمر بديع لا تقبله العقول[5]، ﴿ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ أي: كلّ تمزيق على أنه مصدر، أو ذهبت[6] بكم السيول وصرتم في أجواف الطير وسفت بكم الريح على أنه مكان[7]. ﴿ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ ما دلّ عليه هو العامل في «إذا» كما تقدم في سورة السجدة[8]. والـ«جديد» فعيل

---

(١) في «ق»: الاتفاق.

(٢) في هامش الأصل، «ص»، «ق»: «لا مزيد عليه في الإيقان، أخذه من الرؤية؛ لأنها تقع على هذا النوع». انظر: الكشف على الكشاف (٤٠٢/أ).

(٣) انظر: الكشّاف (٥/١٠٨).

(٤) في النسخ كلّها: هي، والمناسب للسياق: هو.

(٥) ويُقصد بقولهم «على رجل» الاستهزاء والتعجّب والتّلهي والضحك، مع كونه ﷺ أشهر من نار على علم في قريش.

انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٦٣)، والبحر المحيط (٧/٢٥٩).

(٦) في «ص»: ذهب.

(٧) انظر: الكشّاف (٥/١٠٩)، وأنوار التنزيل (٥٦٦)، والدر المصون (٩/١٥٥).

(٨) عند تفسير الآية (١٠).

بمعنى الفاعل كالحديد، وعند الكوفيين بمعنى المفعول؛ لقولهم: ملحفة جديد، والجواب أنه من قبيل: ﴿رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾[١][٢][٣].

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ حصروا خبره[٤] الكاذب[٥] في الكذب قصداً وغير قصد؛ إذ لا اعتقاد لهم في صدقه، والعدول عن الفعل في الثاني يدلّ إلى أنه الكائن؛ إذ لم يجرّبوا عليه كذباً قبل النبوة. ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ إضراب عن ذلك الحصر الباطل إلى ما هو الحقّ، وتقديم «العذاب» على «الضلال» المتقدّم عليه إشارة إلى تحقيق استحقاقهم وتوفّر أسبابه، ووصف الضلال بالبعيد وهو للضالّ على طريق المجاز الحكمي؛ مبالغة فيه وأنهم لا يرجى خلاصهم[٦].

---

(١) بعض الآية [٥٦] من سورة الأعراف.

(٢) في هامش الأصل، «ص»: «الذي تقدّم هناك أن الفعيل بمعنى الفاعل قياسه التأنيث؛ لكون الموصوف مؤنّثاً، وإنما ذكّر مثلاً على الفعيل بمعنى المفعول».

(٣) انظر: الكشّاف (١٠٩/٥)، وأنوار التنزيل (٥٦٦).

والقول أن «جديد» فعيل بمعنى فاعل كالحديد قول البصريين، وعند الكوفيين فعيل بمعنى المفعول من جددته إذا قطعته.

وانظر: مجاز القرآن (٢١٦/١)، والبحر المحيط (٢٦٠/٧)، والدر المصون (٣٤٤/٥-٣٤٦)، (١٥٦/٩).

(٤) في «ق»: مخبره.

(٥) في زعمهم.

(٦) انظر: الكشّاف (١٠٩/٥)، وأنوار التنزيل (٥٦٦).

﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ ﴾ أي: أعموا فلم ينظروا إلى السماء[1] والأرض المحيطين بهم حيث كانوا سفراً وحضراً؟.

والمعنى: قد علموا ذلك ولهم علم بأنْ: إن نشأ نخسف بهم الأرض كما خسفنا بقارون، أو نسقط عليهم قطعة من السماء نُهلكهم بها، وإذا علموا ذلك وأيقنوا فهلاّ استدلوا بذلك على القدرة على الإنشاء [والإعادة][2] ثانياً[3].

وقرأ حمزة، والكسائي: الأفعال الثلاثة[4] بالتاء إسناداً إلى ضمير الله، والباقون بالنون وهذا أبلغ وعيداً لقوله: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا ﴾[5]. وقرأ حفص بفتح السين في «كسفاً»[6]. ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ راجع إلى الله بالتوبة فإنه الناظر في آيات الله. ثم ذكر ما يرغب في الإنابة وما يتفضّل الله على المنيب بما أتبعه مِن قصّة داود لاشتمالها على إنابته وما ترتّب عليها.

---

(١) في «ح»: السمأ.

(٢) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٣) انظر: الكشّاف (٥/١١٠)، وأنوار التنزيل (٥٦٦).

(٤) في الأصل، «ح»: الثلثة.

(٥) وقرأ الباقون بالنون.

انظر: السبعة (٥٢٧)، والتيسير (١٨٠)، والنشر (٢/٣٤٩)، والإتحاف (٣٥٧).

(٦) وقرأ الباقون «كِسْفاً» بسكون السين.

انظر: السبعة (٣٨٥)، والموضح (٣/١٠٤٤)، والنشر (٢/٣٠٨ ـ ٣٠٩).

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [١٠-١٤].

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ ﴾ أي: قلنا يا جبال أوّبي معه أي: رجّعي معه في التسبيح؛ لقوله: ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ ﴾(١)، والترجيع(٢) هو: الرجوع إلى الصوت الأوّل ومنه ترجيع(٣) الأذان، والفضل المبين: الجمع بين النبوة، والملك، وتسبيح [الجبال](٤) الراسيات والطيور السارحات،

---

(١) بعض الآية [١٨] من سورة ص.

(٢) في «ح»: الرجيع.

(٣) ترجيع الأذان: أن يذكر المؤذّن الشهادتين مرتين مرتين يخفض بذلك صوته، ثم يعيدهما رافعاً بهما الصوت، وهو سنة في الأذان.

انظر: المصباح المنير (١/٢٢٠)، والمغني (٢/٥٦).

(٤) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

وقيل: كانت تسير معه بالنهار حيث سار[1]، والتأويب سير النهار[2]. ﴿وَٱلطَّيۡرَ﴾ بالنصب معطوف على محل «يا جبال»، أو على «فضلاً»، أو معمول مقدّر مثل وسخرنا[3]. ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ﴾ كالشمع يفتله[4] بيده من غير نار وآلة[5]، ﴿أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ﴾ أي: أمرنا بعمل الدروع الوافية، من سبغ الشيء إذا وفّى وكمّل، و«أن» مفسرة أو مصدرية، ﴿وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ﴾ في النسج بأن يناسب بين الحِلَق، ومنه سرد الصوم إذا تابع الأيام[6]، وقيل: قدر في السرد أي: اعمل المسمار على قدر الحلق لا دقيقاً يقلق ولا غليظاً يخرق[7]. ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ الخطاب له ولاتباعه، ﴿إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ فأجازيكم عليه.

عن وهب بن منبه أن داود كان يتنكّر ويسأل الرّكبان عن حال داود، وكانوا يثنون عليه، فأرسل الله ملكاً في صورة رجل فسأله فقال: هو خير الناس لولا

(١) انظر: النكت والعيون (٤/٤٣٥)، وأنوار التنزيل (٥٦٦).

(٢) في هامش الأصل: «يكون التأويب سير النهار أجمع ثم النزول باللّيل».

(٣) انظر: الكشّاف (٥/١١٠)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/١٠٦٤)، والدر المصون (٩/١٥٩).

(٤) في الأصل: يقيله.

(٥) انظر: الكشّاف (٥/١١).

(٦) انظر: غريب القرآن (٣٥٤)، وزاد المسير (٦/٤٣٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٦٧).

(٧) قاله مجاهد.

انظر: النكت والعيون (٤/٤٣٦)، وزاد المسير (٦/٤٣٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٦٧).

أنه يأكل هو وأهله من بيت المال، فسأل[1] الله أن يعلمه صنعة يأكل منها هو وأهله. فعلّمه الله عمل الدروع ليكون سبباً لمعاشه وآلة للجهاد، فكان كلّ يوم يفرغ من درع ويبيعه بأربعة آلاف درهم، وقيل: بستة آلاف ينفق على نفسه وأهله منه ثم يصرف الباقي إلى مصالح بني إسرائيل[2].

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ ﴾ أي: وسخرنا له الريح، ﴿ غُدُوُّهَا شَهْرٌ ﴾ جريها مسيرة شهر بالغدْوَة، ﴿ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ سيرها آخر النهار كذلك. كان غدوها من دمشق[3] إلى اصطخر[4] فيتغدّى به ثم يروح إلى كابل[5] فيتعشّى به وكلٌّ من المسافتين شهر[6].

(١) في «ح»: فيسأل.

(٢) انظر: معالم التنزيل (٣/٥٥٠)، والكشّاف (٥/١١١)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٢٦٦).

(٣) دمشق: عاصمة سوريا، مدينة كبيرة تاريخية، كانت عاصمة الدولة الأموية، وبها المسجد الأموي الذي بناه عبد الملك بن مروان، ونُسِب إليها طائفة من علماء الإسلام.
انظر: معجم البلدان (٢/٤٦٣)، والموسوعة العربية العالمية (١٠/٣٨١).

(٤) اصطخر: مدينة من أشهر مدن فارس، وبها مسجد يعرف بمسجد سليمان عليه السلام، فتحها المسلمون سنة ٢٨هـ على يد الحكم بن أبي العاص.
انظر: معجم البلدان (١/٢١١)، والروض المعطار (٤٣).

(٥) كابل: عاصمة أفغانستان، مدينة كبيرة فتحها المسلمون وكان أهلها مسلمون قبل الفتح زمن الدولة الأموية.
انظر: معجم البلدان (٤/٤٢٦)، والموسوعة العربية العالمية (٢/٣٩٢).

(٦) انظر: الكشّاف (٥/١١١).

يحكي[1] أن رجلاً وجد مكتوباً كتبه بعض أصحاب سليمان عليه السلام بناحية دجلة: نحن نزلناه، وما بنيناه، ومبنياً وجدناه، وغدونا من اصطخر فَقِلْناه[2]، ونحن رايحون منه فبايتون بالشام إن شاء الله تعالى[3]. ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ﴾ النحاس المذاب جعله ينبع[4]

نبوع الماء وكان ذلك باليمن ببلدة صنعاء[5][6]. ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مبتدأ[7] وخبر[8]، أو «من يعمل» عطف على «الريح»، «ومن الجن» حال، وقدمت إهتماماً؛ لأنّ كونه من الجنّ هو المستغرب[9]. ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ﴾

---

(١) في «ص»: محكي.

(٢) في هامش الأصل: بكسر الثاني من القيلولة.

(٣) انظر: جامع البيان (٢٢/٦٩)، والكشّاف (٥/١١١)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٦٩)، والروض المعطار (٤٣).

(٤) في الأصل: ينبوع.

(٥) قاله ابن عباس، وقتادة، وعكرمة، والسدي. انظر: جامع البيان (٢٢/٦٩)، والنكت والعيون (٤/٤٣٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٧٠)، والبحر المحيط (٧/٢٦٤).

(٦) صنعاء: عاصمة اليمن، مدينة كبيرة، كثيرة الفواكه بنى أبرهة بها القليس ليحجّ الناس بها، يقال: إنّ أوّل مَن أسسها هو عمدان بن سام بن نوح.
انظر: معجم ما استعجم (٣/٨٤٣)، ومعجم البلدان (٣/٤٢٥).

(٧) في «ح»: مبتداء.

(٨) في «ق»: وخبره.

(٩) انظر: أنوار التنزيل (٥٦٧)، والدر المصون (٩/١٦١).

بإرادته أو تيسيره، وفيه إشارة إلى أنّ تسخيرهم أمر في غاية البعد لولا تسهيله لَمَا تيسّر، ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ عما أمرناه به من طاعة سليمان، ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ الحريق.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ قصوراً حصينة وأماكن شريفة؛ لأنها تحارب عنها وتذب[1]، ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ صور الملائكة والأنبياء؛ ليروها على تلك الصور؛ تذكيراً للناس بحالهم ليعبدوا عبادتهم[2]. وتحريم الصور شرع مجدداً وكانت بلا رأس، أو لم يكن صور حيوان؛ لأنّ التمثال كلّ ما صُوِّر على صورة غيره[3]، ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ كالحياض جمع جابيه[4]؛ لأنّ الماء يُجْبى فيها أي: يجمع[5]. قال الأعشى[6]:

---

(١) انظر: النكت والعيون (٤/٤٣٨)، والكشّاف (٥/١١١)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٧١).

(٢) قاله ابن السائب.

انظر: الكشّاف (٥/١١١)، وزاد المسير (٦/٤٣٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٧٢).

(٣) انظر: الكشّاف (٥/١١٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٧٣).

(٤) في «ح»: جابنة.

(٥) انظر: مجاز القرآن (٢/١٤٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/٣٩٩)، والكشّاف (٥/١١٢).

(٦) الأعشى: ميمون بن قيس البكري، صناجة العرب، شاعر جاهلي، همّ بالإسلام و لم يُسلم، أحد أصحاب المعلّقات، لقّب بالأعشى لضعف بصره، مات سنة ٣هـ وقيل سنة ٧هـ.

انظر: طبقات فحول الشعراء (١/٦٧)، والشعر والشعراء (١/٢٥٧).

تروح على آل المحلّق جفنة ... كجابية الشيخ[1] العراقي تفهّق[2]

﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ ثابتات في أماكنها؛ لعظمها لا تنزل من الأثافي[3].

﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ حكاية ما قيل لآل داود، «شكراً» نصبه على [العِلّية[4]؛ لأنّ][5] العمل لله تعالى للشكر، وفيه إشارة إلى أنّ العبادة يجب أن تؤدّى شكراً، أو مصدر؛ لأنّ «اعملوا» معناه اشكروا، أو مفعول به أي: اعملوا أنتم شكراً؛ لأنّ الجنّ تعمل لكم ما شئتم[6].

---

(١) في هامش الأصل: «السيح السين والحاء المهملتين أراد به الفرات، وروى بالشين والخاء المعجمتين، ومعناه أنّ الشيخ لا يقدر على التزود فيملأ الحوض غايته؛ خوفاً من فقد الماء».

(٢) البيت من بحر الطويل، وورد البيت برواية: نفي الذم عن آل المحلق ....، وكذلك ورد بلفظ الشيخ العراقي، والسَّيح العراقي. ومعنى تفهق: تمتلىء حتى تكاد تتدفق. وخصّ الشيخ العراقي؛ لأنه يجهل بالماء ومواقعه؛ لكونه حضرياً بخلاف البدوي فهو عالم بالمياه.

انظر: ديوانه (٢٧٥)، وجامع البيان (٢٢/٧١)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/٤٠٠)، وتهذيب اللّغة (٥/٤٠٤)، والكشّاف (٥/١١٢)، والدر المصون (٩/١٦٢).

(٣) انظر: النكت والعيون (٤/٤٣٩)، والكشّاف (٥/١١٢)، وأنوار التنزيل (٥٦٧).

والأثافي: جمع أثفية أحد أحجارٍ ثلاثة يوضع عليها القدر، يُقال: أثفيت القدر إذا جعلت لها الأثافي. انظر: لسان العرب (١/٢٧) مادة «أثف»، والمعجم الوسيط (١/٦) مادة «أثف».

(٤) ويسمّى مفعولاً له أو لأجله.

(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٦) انظر: الكشّاف (٥/١١٢)، والدر المصون (٩/١٦٣).

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ المتوفر للشكر باللّسان والجنان والأركان، الباذل وسعه في القيام[1]. وعن ابن عباس رضي الله عنه: الشكر مَن يشكر على الأحوال كلّها. وقيل: مَن يشكر على الشكر[2]. وقيل: مَن يرى العجز عن الشكر[3].

وقد روى البخاري ومسلم رحمهما الله بإسنادهما إلى رسول الله ﷺ أنه قال: «أحبّ الصلاة[4] إلى الله صلاة داود كان ينام نصف اللّيل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وأحبّ الصيام إليه صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً»[5]. وقيل: لم يخل بيت آل داود من قائم يصلي لا ليلاً ولا نهاراً[6].

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ على سليمان، ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ﴾ أعاد المظهر؛ لئلا يتوهّم عود الضمير إلى سليمان، ﴿إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ دويبة يسمّى

---

(١) انظر: الكشّاف (٥/١١٢).

(٢) قاله السدي.

انظر: الكشاف (٥/١١٢).

(٣) انظر هذه الأقوال في الكشّاف (٥/١١٢)، والبحر المحيط (٧/٢٦٦).

وقال أبو حيان: «وهذه الجملة تحتمل أن تكون خطاباً لآل داود وهو الظاهر، وأن تكون خطاباً للرسول ﷺ وفيها تنبيه وتحريض على الشكر».

(٤) في «ق»: الصلوات.

(٥) أخرجه البخاري بسنده عن عبد الله بن عمرو في كتاب الأنبياء، باب أحبّ الصلاة إلى الله صلاة داود (٢/٤٨٢) ح٣٤٢٠، ومسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو في كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر وتفضيل صوم يوم وإفطار يوم (٨/٤٦) [صحيح مسلم بشرح النووي].

(٦) انظر: الكشّاف (٥/١١٣)، والمحرر الوجيز (١٣/١١٨-١١٩).

«سرفة»[1] والأرض فعلها، ولذلك يقال: الأرضة[2]، ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ عصاه؛ لأنه ينسأ بها أي: يطرد ويؤخّر[3]. وقرأ نافع وأبو عمرو بالألف بدلاً عن الهمزة من غير قياس مبالغة في التخفيف. وابن ذكوان عن ابن عامر بإسكان الهمزة نقلاً من الخفيف إلى الأخفّ، والألف هي لغة الحجاز[4]. ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ علمت علماً جليّاً، ﴿أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ﴾ كما كانوا يزعمون ويوهمون الناس ذلك، «أن» مع صلتها بدل من «الجن» بدل اشتمال، ﴿مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ وذلك أنّ داود أسس بيت المقدس مكان فسطاط موسى[5]، ثم مات قبل تمامه، فوصّى به سليمان فاستعمل فيه الشياطين، فلما دنا[6] موته ولم تكمل بعد سأل ربه أن يعمي موته على الجنّ حتى يتمّوا المسجد، فأمر الجنّ أن

---

(١) هامش بالأصل: «السرفة بالسين المهملة وثلاث فتحات دويبة».

(٢) انظر: جامع البيان (٢٢/٧٣)، والكشّاف (٥/١١٣)، وأنوار التنزيل (٥٦٧).

(٣) انظر: جامع البيان (٢٢/٧٣)، وزاد المسير (٦/٤٤١).

(٤) وقرأ الباقون بهمزة مفتوحة.

انظر: السبعة (٥٢٧)، والتيسير (١٨٠)، والموضح (٢/١٠٤٦)، والنشر (٢/٣٤٩ـ٣٥٠).

(٥) في هامش «ص»: «مكان فسطاط موسى ذكره في الكشّاف، وفيه إشكال؛ فإن موسى كان راعياً لشعيب مدين لم يُسافر إلى مصر، وأرسله الله رسولاً بالوادي الأيمن، وبعد هلاك فرعون مات في بيته، والقدس في يد الجبارين، وإنما فتحه يوشع».

انظر: الكشّاف (٥/١١٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٧٨).

(٦) في «ص»: دنى.

يبنوا عليه صرحاً من قوارير ليس له باب، واتكى على المنساة[1] يصلي فقُبِض في الصلاة على تلك الهيئة، فأكلت الأرض العصا[2]، فخرّ على الأرض، فوضعوا الأرضة على العصا[3] فأكلت يوماً وليلة مقداراً فقاسوه فكان موته منذ سنة، وكان عمره حيث ملك ثلاث عشرة سنة، ومات وهو ابن ثلاث[4] وخمسين سنة، وابتدأ بناء المسجد لأربعٍ مضين من ملكه[5].

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ

(١) في «ق»: المنسات.

(٢) في «ص»: العصاة.

(٣) في «ص»: العصاة.

(٤) في الأصل، «ص»: ثلث.

(٥) انظر: النكت والعيون (٤/٤٤١)، والكشّاف (٥/١١٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٧٨)، وأنوار التنزيل (٥٦٧).

﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [١٥-٢١].

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ هو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، أُريد به القبيلة؛ لقوله: ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ أي: كان كلّ رجلٍ له بستان، أحدهما عن يمين مسكنه والآخر عن شماله، أو كانت البساتين عن الجانبين متصلة متضامّة كأنها جنتان[1]. قرأ أبو عمرو والبزي «سبأَ» بفتح الهمزة من غير تنوين؛ لإرادة القبيلة. وقنبل بإسكان الهمزة إجزاء[2] للوصل بحرف الوقف. والباقون بالكسر والتنوين؛ لاعتبار الحي[3]. وقرأ حمزة والكسائي وحفص «مسكَن» بفتح الكاف مفرداً؛ لإرادة البلد، أو مسكن كلّ واحد. والكسائي بالكسر على الشذوذ كالمسجد. والباقون جمعاً على التوزيع وهو الظاهر[4]. ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ حكاية لما قال لهم نبيّهم. قيل: بُعِث إليهم أحد عشراً نبياً، أو قيل لهم: بلسان الحال، أو أحِقّاء بأن يُقال لهم ذلك[5].

---

(١) انظر: معالم التنزيل (٣/٥٥٣)، والكشّاف (٥/١١٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٨٤).

(٢) في «ق»: إجراء.

(٣) انظر: التيسير (١٦٧)، والموضح (٣/١٠٤٧–١٠٤٨)، والنشر (٢/٣٣٧).

(٤) انظر: السبعة (٥٢٨)، والتيسير (١٨٠)، والنشر (٢/٣٥٠).

(٥) انظر: الكشّاف (٥/١١٥)، وأنوار التنزيل (٥٦٨).

﴿ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥ ﴾ طلباً للمزيد ومحافظة على العتيد، ﴿ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ﴾ استئناف لبيان موجب الشكر.

وعن ابن عباس: كانت أخصب البلاد وأطيبها، كانت تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتسير به بين الأشجار لحاجتها فتمتلئ مما يتساقط فيه[1]. وقيل: لم يكن فيها ذباب ولا بعوض ولا برغوث فأعرضوا عن الشكر[2].

﴿ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ ﴾ هو الجرذ[3] الذي نقب السد الذي كان بناه[4] بلقيس الملكة بالصخر والقار يجتمع فيه ماء العيون والأمطار، وكانت جعلت فيه ثقباً[5] على قدر الحاجة يفتح في وقت[6]، وقيل: العرم: السكر،

---

(١) انظر: الكشّاف (٥/١١٥)، وزاد المسير (٦/٤٤٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٨٤).
والمكتل: بكسر الميم وإسكان الكاف: «مِفْعَل» وهو الزنبيل يُعمل من الخوص.
انظر: المعجم الوسيط (٢/٧٧٦) مادة «كتل».

(٢) قاله عبد الرحمن بن زيد.
انظر: النكت والعيون (٤/٤٤٣)، وزاد المسير (٦/٤٤٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٨٤).
والبُرْغُوث: بضمّ الباء والغين: حشرة صغيرة، شديدة الوثب، وجمعها: براغيث.
انظر: المعجم الوسيط (١/٥٠) مادة «برغ».

(٣) في هامش الأصل، «ص»، «ق»: «الجرذ بضمّ الجيم والذال المعجمة: الذكر من الفأر الكبير».
انظر: المعجم الوسيط (١/١١٦) مادة «جرذ».

(٤) في النسخ كلّها: بناه، والصواب: بنته؛ لأنّ بلقيس مؤنث حقيقي.

(٥) في «ص»: نقباً.

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٢٤٨)، ومعالم التنزيل (٣/٥٥٤)، والكشّاف (٥/١١٥).

وهو السدّ[1]. وقيل: الـمطر الشديد[2]. وقيل: اسـم واديهـم[3]. ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ ثمر مرّ بشع، عطف بيان أو صفـة. وقرأ أبو عمـرو بالإضافة على أنّ الخمط هو الشجرة شجرة الأراك[4] عن ابن عباس، وقيـل: كـلّ شجر ذي شوك مرّ[5]. وعن الزجاج: كـلّ شجر مـرّ[6]. ﴿وَأَثْلٍ﴾ هـو الطرفـاء[7]

---

(١) قاله ابن عباس.

انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٨٥).

(٢) قاله ابن عباس في رواية عنه.

انظر: المحرر الوجيز (١٣/١٢٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٨٦).

(٣) قاله قتادة، والضحاك، ومقاتل وهو رواية العوفي عن ابن عباس.

انظر: المحرر الوجيز (١٣/١٢٧)، وزاد المسير (٦/٤٤٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٨٥).

(٤) وقرأ الباقون «أُكُلٍ خمطٍ» بالتنوين، وأسكن ابن كثير ونافع الكاف من «أُكل»، وخففها الباقون.

انظر: السبعة (٥٢٨)، والتيسير (١٨٠)، والموضح (٣/١٠٥٠)، والنشر (٢/٣٥٠).

الخمط: هو شجر الأراك، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة والجمهور.

انظر: المحرر الوجيز (١٣/١٢٨)، وزاد المسير (٦/٤٤٦)، والجامع لأحكام القـرآن (١٤/٢٨٦)، وفتح الباري (٨/٥٣٧).

(٥) انظر: مجاز القرآن (٢/١٤٧)، والكشّاف (٥/١١٦).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٤/٢٤٩).

(٧) قاله ابن عباس.

انظر: معالم التنـزيل (٣/٥٥٤)، وزاد المسير (٦/٤٤٦).

وصححه ابن عطية بقوله: «هذا هو الصحيح». المحرر الوجيز (١٣/١٢٨).

والأثل: شجر طويل معمّر، كثير الأغصان، ثمره قليل الفائدة، والطرفاء نوع منه.

انظر: الصحاح (٤/١٦٢٠) مادة «أثل»، والمعجم الوسيط (١/٦) مادة «أثل».

عطف على «أُكل» لا على «خمط»؛ لأنّ الطرفاء لا ثمر له، ﴿وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ عطف على «خمط» وهو النبق وله ثمر حسن(١)، والحكمة في إبقائه زيادة العذاب عليهم كلما رأوه تذكروا ما فاتهم ولذلك قلله.

وتسمية ما بدّلوا جنتين تهكمٌ أو مشاكلة(٢)، ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟﴾ أي: ذلك الجزاء الذي جزيناهم لأجل كفرهم النعمة، أو الرسل بالتكذيب، ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ أي: لا يجازي ذلك الجزاء البالغ في الكفر، والمراد الجزاء عقاباً، وما يُصيب المؤمن تمحيص لذنوبه. ولأنه أُريد العقاب على جميع ما فعله من السوء ولا كذلك المؤمن؛ لأنّ حسناته يذهبن السيئات(٣). قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر بالياء على بناء المفعول. والباقون بالنون وهو أبلغ تهويلاً(٤).

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ هي، ﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ هي قرى الشام(٥)، وقيل: قرى بصنعاء(٦). قرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها لبعض،

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (١٣/١٢٨)، وزاد المسير (٦/٤٤٦).

(٢) انظر: الكشّاف (٥/١١٦)، وأنوار التنزيل (٥٦٨).

(٣) انظر: الكشّاف (٥/١١٦).

(٤) انظر: السبعة (٥٢٨)، والتيسير (١٨١)، والموضح (٣/١٠٥١)، والنشر (٢/٣٥٠).

(٥) قاله مجاهد، وقتادة، والحسن.

انظر: النكت والعيون (٤/٤٤٤)، وزاد المسير (٦/٤٤٨) ونسبه للجمهور. والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٨٩).

(٦) قاله ابن منبه. انظر: النكت والعيون (٤/٤٤٥).

أو راكبة متن الطريق ظاهرةً للسابلة[1]، ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ على ما يُلائم المسافر، يقيل الغادي في قرية والرائح يبيت في أُخرى[2]، ﴿سِيرُواْ فِيهَا﴾ على إرادة [القول][3] حالاً أو مقالاً، ﴿لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ لا تختلف إلاّ من اختلاف الأوقات ليلاً ونهاراً، أو سيروا فيها مدّة أعماركم.

﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [لـمّا][4] أساءوا السيرة سئموا العاقبة وبطروا سألوا الله خراب تلك القرى؛ ليكون مكانها مفاوز يركبون فيها الرواحل ويتزودون الأزواد، كما استبدلت بنو إسرائيل الثوم والبصل بالمنّ والسلوى[5]. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وهشام عن ابن عامر «بعِّدْ» بتشديد العين وهما لغتان بمعنى والمدّ أكثر[6]، ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ حيث حملوها الشقاء

---

(١) انظر: الكشّاف (١١٧/٥)، وزاد المسير (٤٤٨/٦).

وذكر ابن عطية الإجماع في المراد بالقرى المباركة بقوله: «والقرى التي بورك فيها هي بلاد الشام بإجماع من المفسرين». المحرر الوجيز (١٣٠/١٣).

(٢) قاله الحسن وقتادة.

انظر: زاد المسير (٤٤٨/٦)، والجامع لأحكام القرآن (٢٨٩/١٤).

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٤) ما بين المعكوفتين ساقطة من الأصل.

(٥) انظر: النكت والعيون (٤٤٥/٤)، ومعالم التنزيل (٥٥٥/٣)، والكشّاف (١١٧/٥)، وأنوار التنزيل (٥٦٨).

(٦) وقرأ الباقون بالمدّ.

بعد النعيم والرخاء، ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ يتحدّث بعدهم بما جرى عليهم ويضربون بهم الأمثال إذا بالغوا في وصف القوم بالتفرق، قالوا: ذهبوا أيدي سبأ"[1][2]. ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ فرقناهم كلّ تفريق، لحق غسان بالشام، والأنمار بيثرب، والأسد بالبحرين، وخزاعة بتهامة، والأزد بعمان.

والآية والتي قبلها تفصيل لما تقدّم من حال الجنتين وأربابهما وما جزوا على سبيل النشر، وقدّم جعلهم أحاديث على التمزيق؛ لأنه الغرض، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ شديد الصبر على البلايا، ﴿شَكُورٍ﴾ كثير الشكر على النعم والمزايا.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على أهل سبأ ومن هو على طريقهم، ﴿إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ تحقق ظنه وتبينه لـمّا كفروا و كذبوا الرسل، هو الظنّ الذي حصل له لما وسوس إلى آدم وحواء ودلاّهما بغرور، أو لما سمع مقالة الملائكة:

انظر: السبعة (٥٢٩)، وعلل القراءات (٢/٥٥٢-٥٥٣)، والموضح (٣/١٠٥١)، والنشر (٢/٣٥٠).

(١) انظر: معالم التنزيل (٣/٥٥٥)، والكشّاف (٥/١١٧)، وأنوار التنزيل (٥٦٨)، والبحر المحيط (٧/٢٧١)، ومعجم الأمثال العربية (٣/٣٤١).

(٢) في هامش الأصل، «ص»: «الأيدي الطرق الشتّى من قولهم يد البحر أي طريقه، أو الأولاد؛ لأنها بمثابة الأيدي». انظر: لسان العرب (٨/٤٩٥٥) مادة «يدي».

﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[1]. وقرأ [غير][2] الكوفيين «صَدَقَ» مخففاً على أن «ظنه» مفعول فيه، أو مفعول مطلق لمقدّر[3]، ﴿فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ «من» بيانية أي: إلاّ فريقاً هم المؤمنون[4]، أو تبعيض أي: فريقاً من المؤمنين وهم الخُلّص، ويؤيّد الأوّل قوله: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ﴾[5][6] ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾ من تسلّط واستيلاء بالإغواء والوسوسة[7]، ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖ﴾ أي: لنميز بين المؤمن والشاك، أو لنعلمهما موصوفين بالصفتين، أو علماً يترتب عليه الجزاء، أو ليؤمن مَن قدّر إيمانه ويشكّ مَن قدّر ضلاله، فالمراد مِن حصول

(١) بعض الآية (٣٠) من سورة البقرة.

(٢) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٣) وقرأ الكوفيون «صدّق» مشدداً. انظر: السبعة (٥٢٩)، والتيسير (١٨١)، والنشر (٢/٣٥٠).

(٤) في «ح»: المؤمنين.

(٥) الآية (٨٥) من سورة «ص».

(٦) انظر: الصاحبي في فقه اللّغة (٢٧٣)، وشرح المفصل (٨/١٢)، ولباب الإعراب (٤٣٠)، والبحر المحيط (٧/٢٧٣).

(٧) انظر: أنوار التنزيل (٥٦٨).

العلم ما تعلّق به مبالغة، وفي أُسلوب نظم الصلتين إشارة إلى نكتة لا تخفى"[1][2]،

﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ مراقب «فعيل» بمعنى الفاعل، وعد ووعيد.

قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ

---

(١) قاله البيضاوي. أنوار التنزيل (٥٦٩).

وفي بيان النكتة قال الشهاب في حاشيته على البيضاوي: «وفي نظم الصلتين أي في تغايرهما حيث جعلت صلة الموصول الأوّل فعلية، والثاني اسمية ومقابلة الإيمان بالشكّ وتغيير الصلات، وكان الظاهر أن يقال: من يؤمن بالآخرة ممن لا يؤمن بها لنكتة، وهي أنه قوبل الإيمان بالشكّ؛ ليؤذن بأن أدنى مراتب الكفر مهلكة والجزم بعدمها ليس بلازم، وأورد المضارع في الأولى إشارة إلى أن المعتبر في الإيمان الخاتمة، ولأنه يحصل بنظر تدريجي متجدد، وأتى بالثانية اسمية إشارة إلى أن المضرّ الدوام والثبات عليه إلى الموت، ونكّر «شكّاً» للتقليل، وأتى بـ«في» إشارة إلى أن قليله كأنه محيط به، وعدّاه بـ«من» دون «في» وقدّمه؛ لأنه إنما يضرّه الشكّ الناشيء منها، وأنه يكفي شكّ ما فيما يتعلّق بها». عناية القاضي وكفاية الراضي (٧/ ٢٠٠).

(٢) في هامش الأصل، «ص»، «ق»: «حديث «إن الله خلق الخلق في ظلمة وألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطاه ضلّ، رواه الإمام أحمد والترمذي».

أخرجه أحمد في المسند (١١/ ٢١٩) ح٦٦٤٤، قال المحقق: «إسناده صحيح». والترمذي في سننه، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمّة (٦٠٠) ح٢٦٤٢، وقال: «هذا حديث حسن».

وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٢٢-٢٨].

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم ﴾ أي: زعمتموهم آلهة، حذف المفعولان لطول الصلّة، ﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ صفة آلهة ولا يصحّ أن يكون هو المفعول الثاني؛ لعدم الالتئام مع الأوّل.

﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: في العالم العلوي والسفلي، ولا يعبد المعبود إلاّ لجلب نفع أو دفع ضرّ، وفيه تبكيت لهم وأنهم لا ينطقون بغير هذا، ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا ﴾ أي: في العالمين، ﴿ مِن شِرْكٍ ﴾ لا خلقاً ولا ملكاً، ﴿ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ من عون يعينه في أمر. ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ رفعٌ لما كانوا يتوهمون من الشفاعة أن لو كان بعث ويقولون: ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[1]. والمعنى: لا تنفع الشفاعة إلاّ لمن أذن الله أن يشفع أو يُشفَع له، فاللاّم هي المقدرة في شفاعة زيد

---

(١) بعض الآية [١٨] من سورة يونس.

إما فاعلاً أو مفعولاً، ويجوز أن تكون لام العلّة أي: إلاّ لمن وقع الإذن للشفيع لأجله، كقولك: أذن زيد لعمرو أي: لأجله(١).

وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي «أُذِنَ» على بناء المفعول بضمّ الهمزة، والفتح أولى(٢)، ولذلك اتّفق عليه في ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾(٣) ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ غاية لمقدّر دلّ عليه المقام أي: يتربصون فزعين، فهم في ذلك الفزع يتوقفون ملقي عليهم رداء الهيبة، حتى إذا كشف عنهم ذلك الفزع بالإذن في الشفاعة. [ولإيثار لفظ الربّ وما روي](٤) سأل بعضهم بعضاً. وقرأ ابن [عامر](٥) «فَزَّع» على بناء الفاعل وهو أولى لكونه الأصل وأخف(٦)، ﴿قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ﴾ وهو الإذن في الشفاعة، ولإيثار لفظ الربّ هنا شأنٌ لا يخفى. وما روي عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ(٧) قال: «إذا قضى الله أمراً في السماء ضربت الملائكة أجنحتها خضعاً كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن

---

(١) انظر: الكشّاف (١١٩/٥)، وأنوار التنزيل (٥٦٩).

(٢) وقرأ الباقون بالفتح. انظر: السبعة (٥٢٩)، والموضح (١٠٥٤/٣)، والنشر (٣٥٠/٢).

(٣) بعض الآية [١٠٩] من سورة طه.

(٤) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ص»، «ح»، «ق».

(٥) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٦) وقرأ الباقون «فُزِّعَ» بضمّ الفاء وكسر الزاي.
انظر: السبعة (٥٣٠)، والموضح (١٠٥٤/٣)، والنشر (٣٥١/٢).

(٧) في الأصل، «ص»: صلعم.

قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟، قالوا: الحقّ»[1]. وكذا روي عن ابن مسعود ﷺ مثله، فلا تنافي بينهما وكلاهما واقع[2]، وأمّا أنّ ذلك تفسير للآية فلا؛ لعدم الارتباط، ومَن قال به إنما نظر إلى طباق اللّفظ ضمناً وتقدم الملائكة ضمناً لا يجدي[3]، ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ﴾ شأنه، ﴿ ٱلْكَبِيرُ ﴾ سلطانه يَحِقُّ له أن لا يتكلّم أحدٌ إلاّ بإذنه.

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ تقرير لقوله: ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾، ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ إذ لا جواب له سواه وإن تبكّموا؛ مخافة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب «حتى إذا فزع عن قلوبهم» (٣/٢٨٠) ح٤٨٠٠، والترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة سبأ (٧٣٢) ح٣٢٢٣، وقال: «هذا حديث حسن صحيح». وابن ماجة في المقدّمة، باب فيما أنكرت الجهمية (١/٦٩ـ٧٠) ح١٩٤.

والصفوان: الحجر الأملس. انظر: عمدة الحفاظ (٢/٤٠٠) مادة «صفا».

(٢) أخرج أبو داود عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تكلّم الله بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجرّ السلسلة على الصفا، فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، حتى إذا جاءهم جبريل فزّع عن قلوبهم، قال: فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك؟، فيقول: الحق، فيقولون: الحق، الحق». سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القرآن (٤/٢٣٥) ح٤٧٣٨، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/٢٨٢) ح١٢٩٣. وانظر: جامع التفسير (٣/١٣٨٢).

(٣) في هامش الأصل: «هذا الوجه ذكره القاضي ــ أي البيضاوي ــ وفي كونه تفسيراً للآية بعد عن المقام». انظر: أنوار التنزيل (٥٦٩).

الإلزام، ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بعد البرهان النيّر والتقرير الوافي البليغ تنزل، وردد الأمر بين الفريقين بأن الحقّ واحد وفاقاً فليتأمل مَن المصيب منا ومَن المخطيء، ومثله يسمّى: كلام المنصف؛ لأنّ مَن سمعه من موالٍ ومخالف يقول للخصم: قد أنصفك ولا يُرَى أشد تبكيتاً منه للخصم ولا أوصل بالمناظر إلى الفرض ولا أهجم منه بالغلبة ولا أدفع لشغب المكابر[1][2]. ومنه بيت حسان يخاطب أبا سفيان[3][4]:

أتهجوه ولست له بكفءٍ   فشركما لخيركما الفداء[5]

وإنما خالف بين الصلتين؛ لأنّ المحقّ كأنه عالٍ جواداً يركضه حيث شاء، والمبطل كأنه مرتبك في ظلمة لا يدري أين يتوجّه[6]. ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ

---

(١) انظر: الكشّاف (٥/١٢١)، وأنوار التنزيل (٥٦٩).

(٢) في الآية إخراج للكلام مخرج الشكّ في اللّفظ دون الحقيقة لضرب من المسامحة، ولا شكّ عنده ﷺ.

انظر: الكشّاف (٥/١٢١)، والبرهان في علوم القرآن (٣/٤٠٩)، وفي أُصول الحوار (٢٣).

(٣) في هامش الأصل: «أبو سفيان بن الحرث بن عمّ رسول الله بعد ذلك، وكان رسول الله ﷺ يعدّه بدل حمزة».

(٤) أبو سفيان: المغيرة بن الحارث بن عبد المطّلب الهاشمي، كان أخاً للنبي ﷺ من الرضاع، كان يشبه النبي ﷺ، أسلم قبل فتح مكّة، لقي النبي ﷺ وهو في طريقه لفتح مكّة، وحسن إسلامه، مات سنة ٢٠هـ بالمدينة. انظر: الطبقات الكبرى (٤/٤٩)، وسير أعلام النبلاء (١/٢٠٢).

(٥) البيت من بحر الوافر.

انظر: ديوانه (٦٠)، والكشّاف (٥/١٢٢)، والدر المصون (١/١٩٥).

(٦) انظر: أنوار التنزيل (٥٦٩).

أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ فإذاً لا غرض لي في دعائكم إلاّ النصح، وفيه تنزّل أبلغ من الأوّل حيث عبّر عما نسب إلى أنفسهم بالإجرام وعما نسب إلى الخصم بالعمل. ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ﴾ للحجاج والخصام، ﴿ ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ ﴾ يحكم ويجازي المحقّ والمبطل كلاً على حسبه، ﴿ وَهُوَ الْفَتَّاحُ ﴾ الحاكم بالصواب، ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ لا يحتمل تطرُّق الخلل إلى حكمه.

﴿ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ ﴾ كان يراهم ويعرفهم ولكن[1] أراد التنبيه على خطأهم[2] وقياسهم[3]، ﴿ كَلَّا ﴾ ليس الأمر كما زعموا، ﴿ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ وأين تلك الجمادات من هذه الصفات الضمير لله أو للشأن.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾ صفة مصدر أي: إلاّ رسالة[4] عامة بكفّ خروج أحد منهم، وعن الزجاج: حال من الكاف، والتاء للمبالغة

قال ابن القيم: «فإنّ طريق الحق تأخذ علواً صاعدة بصاحبها إلى العلي الكبير، وطريق الضلال تأخذ سفلاً هاوية بسالكها في أسفل سافلين». مدارج السالكين (١/١٥ــ١٦).

(١) في «ق»: ولاكن.

(٢) كذا في الأصل، «ص»، «ق»، وفي «ح»: خطائهم، والصواب: خطئهم.

(٣) في «ح»: قبائحهم.

(٤) في الإرسال له.

كعلامة[1]، والمعنى: كافاً لهم أي: جامعاً في الإبلاغ والإنذار كقوله: بعثت إلى الأحمر والأسود[2]. وعن ابن مالك[3]: حال من المجرور[4]، ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ لعدم التدبر في شأنك أو علمهم كلاً علم حيث قارنه الإنكار.

قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٤٤٦)، والدر المصون (٩/١٨٥).

(٢) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري في صحيحه بشرح النووي، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥/٣).

(٣) ابن مالك: محمد بن عبد الله بن مالك الطائي، أبو عبد الله، أحد الأئمة في علوم النحو والعربية والقراءات، اشتهرت كتبه في النحو ومنها «الألفية» وهي منظومة في النحو، والكافية الشافية، وعدّة الحافظ وغيرها كثير، مات سنة ٦٧٢هـ.

انظر: بغية الوعاة (٥٣)، وفوات الوفيات (٣/٤٠٧).

(٤) انظر: شرح التسهيل (٢/٣٣٦)، وشرح الكافية الشافية (٢/٧٤٤)، وضعّفه في تسهيل الفوائد (١١٠)، وأوضح المسالك (٢٠٩).

ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [٢٩-٣٣].

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ المبشر بـه والمنـذر عنـه، ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ خطاب له ولأمـته، ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ ﴾ وعـد أو زمـان وعـد، ﴿لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾ جواب تـهديد موافقـاً لـما قـصدوا بسؤالهـم من التعنت والإنكار فلوحظ المقصود دون ما يُعطيه ظاهر اللّفظ(١).

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ ﴾ من الكتب الدّالة على قيام الساعة ونشر الأموات، وذلك أنّ كفار مكّـة سـألوا أهـل الكتب نعت رسـول الله، فـأخبروهم أنهـم يجدونـه في كتبهم، فأغـضبهم ذلـك فكفروا بها جميعاً(٢).

وقيل الذي بين يديه: يوم القيامة الذي دلّ القرآن على وقوعه(٣).

---

(١) انظر: الكشّاف (٥/١٢٤).

(٢) انظر: الكشّـاف (٥/١٢٤)، والـجامع لأحكـام القـرآن (١٤/٣٠٢)، وأنـوار التنــزيل (٥٧٠).

(٣) انظر: النكت والعيون (٤/٤٥١)، والكشّاف (٥/١٢٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٣٠٢)، وأنوار التنــزيل (٥٧٠).

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ في ذلك اليوم الذي ينكرونه، ﴿ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ ﴾ يتجاوبون في الحوار كلّ ينسب الذنب إلى الآخر، ﴿ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾ للرؤساء، ﴿ لَوْلَآ أَنتُمْ ﴾ أي: إضلالكم، ﴿ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ بما جاءت به الرّسل، ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ﴾ أدخلوا همزة الإنكار على الاسم؛ لأنّ الغرض إنكار كونهم صادّين عن الإيمان لا إنكار الفعل من أصله. وإنما أضيف «بعد» إلى «إذ» وهو لازم الظرفية[1] كما يضاف الزمان إلى الجمل اتّساعاً[2].

﴿ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴾ بسوء اختياركم.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾ كرروا عليهم ثانياً وأبطلوا إضرابهم بقولهم: ﴿ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ﴾ أي: غرّنا مكركم بالليل والنهار دائماً وحملكم إيانا على الكفر بالله واتخاذ الأنداد، وإضافة مكرهم إلى اللّيل والنهار للملابسة والاتساع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به، أو جعل اللّيل والنهار ماكرين على الإسناد المجازي[3].

---

(١) في «ق»: الضرفية.

(٢) انظر: الكشّاف (١٢٥/٥).

(٣) انظر: الكشّاف (١٢٥/٥)، وأنوار التنزيل (٥٧٠)، والبحر المحيط (٢٨٣/٧)، والدر المصون (١٩١/٩).

﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ﴾ أي: كلّ مَن الضالّ والمضلّ؛ مخافة التعيير، أو أظهروها وأزالوا سرّها، ونظيره في الوجهين تشكي كقوله شعر:

فما زالت الأيام إلاّ شكاية   وما زالت الأيام تُشْكي ولا تَشْكي[1]

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ والإظهار؛ للدلالة على الموجب، ﴿ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ أي: لا شيء سوى ذلك ومحلّ «ما» نصب بنزع الخافض، أو بتضمين الجزاء معنى القضاء[2].

---

(١) قاله الزمخشري.

انظر: الكشف على الكشّاف (٤٠٤/ب)، وروح المعاني (١٤٦/٢٢).

والبيت من بحر الطويل.

في هامش الأصل: «والبيت قبله:

شكوت إلى الأيام سوء صنيعها   ومن عجب باكٍ يبكي إلى مبكي.

الأول على بناء الفاعل، والثاني على بناء المفعول، يقال: اشتكيت فلاناً: حملته على الشكوى، وأزلت شكايته من الأضداد كما في الآية منه». وردّ ابن عطية القول بالتضاد بقوله: «ولم يثبت قطّ في لغة أن «أسرّ» من الأضداد». والصواب أنه ثابت لغة، وقد ورد في كلام العرب.

انظر: العين (٤١٨) مادة «سرر»، وتهذيب اللّغة (٢٨٤/١٢ـ٢٨٥) مادة «سرر»، والصحاح (١/ ٦٨٣) مادة «سرر»، والمحرر الوجيز (١٤١/١٣)، والجامع لأحكام القرآن (٣٠٣/١٤).

ورجحه الفيروز آبادي وقال: «وهذا صحيح؛ فإنّ الإسرار إلى الغير يقتضي إظهار ذلك لمن يفضي إليه بالسرّ، وإن كان يقتضي إخفاءه من غيره». بصائر ذوي التمييز (٢٠٦/٣).

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٥٧٠).

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [٣٤-٣٩].

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ ﴾ بعد استيفاء الدلائل على التوحيد والرسالة وضرب الأمثال بالقوارع التي أصابت مَن لم يقابل النعم بالشكر سلّى رسوله بأن مَن قبلك من الرسل كلّ قد كابد من الجهلة ما يكابده. ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ عناداً وجحوداً من غير شبهة في الطريق فضلاً عن إمارة أو برهان، ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا ﴾ اللّذين[1] هما زينة الدنيا، ﴿ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ في الآخرة قياساً على الدنيا جهلاً وسفاهة ولم يدروا أن الدنيا بحذافيرها لا تساوي عند الله جناح بعوضة[2] وتلك الدار في جواره دار أوليائه وأهل عرفانه، فكيف يقاس إحداهما[3] على الآخرى.

---

(١) كذا في النسخ كلّها، والصواب: اللّذان.

(٢) في هذا المعنى يقول ﷺ: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضه ما سقى كافراً منها شربة ماء».
أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله (٥٣١) ح٢٣٢٠، وقال: «هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه». وابن ماجة في سننه، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا (١٣٧٦/٢) ٤١١٠، والطبراني في المعجم الكبير (١٥٧/٦) ح٥٨٤٠، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٨٨/١٠)، وصححه الألباني بقوله: «وبالجملة فالحديث بمجموع هذه الطرق صحيح بلا ريب». سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٠٥/٢) ح٦٨٦.

(٣) في الأصل، «ح»، «ص»: إحديهما، والمثبت من «ق».

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ أي: حظوط الدنيا إنما هي بمقتضى مشيئة الله وحكمته في البسط والقبض ولا يلاحظ فيها القرب والمحبة بخلاف الثواب والجزاء فإنها[1] في مقابلة[2] الإيمان والعمل الصالح[3]، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ليسوا في زمرة العلماء فيجرون على أحد النقيضين ما يجرونه على الآخر.

﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ ﴾ أي: قربة مفعول مطلق أي: وما أموالكم ولا أولادكم توجب عندنا زلفى وقربى[4]، أو «التي» كناية عن التقوى، أي: وما أموالكم ولا أولادكم بالتي هي التقوى حتى تقربكم عندنا زلفى ولا مقرب سواها[5]، ﴿ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ استثناء من مفعول «تقربكم» أي: إلاّ مالُ مَن آمن فإنه يقربه؛ لصرفه في وجوه البرّ، وعلى الثاني استثناء «من أموالكم» على معنى إلاّ مالُ مَن آمن وفيه مبالغة حيث جعل مال المؤمن وولده نفس التقوى ولا يصحّ الإستثناء على هذا من مفعول «تقربكم»؛ لأنه مثبت[6]. ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ ﴾ أي: الموصوفون

---

(١) في «ق»: فإنهما.
(٢) في «ح»: بلة.
(٣) تفضّلا منه سبحانه وتعالى.
(٤) في «ح»: وقرباً.
(٥) انظر: الكشّاف (١٢٦/٥).
(٦) انظر: الكشّاف (١٢٦/٥)، وأنوار التنزيل (٥٧١)، والبحر المحيط (٢٨٦/٧)، والدر المصون (١٩٣/٩ـ١٩٥).

بالإيمان والعمل الصالح يجازون أضعاف استحقاقهم وأقلّه العشر، وأكثره لا يعلمه إلاّ الله. ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ في القصور آمنون عن المكاره، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ[1] قال: «إنّ في الجنة قصوراً يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، فقال أعرابي: لمن يا رسول الله؟، قال: لمن أطعم الطعام، وأدام الصيام، وطيّب الكلام»[2]. وقرأ حمزة[3] «الغرفة» على إرادة الجنس كقوله: ﴿يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾[4][5]. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو بالقصر مشدداً، وقد سلف أنه أبلغ[6]. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ على الدوام لا يغيبون.

---

(١) في الأصل: صلعم.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/٤٤٩) ح١٣٣٨، قال المحقق: «حسن لغيره». والترمذي في سننه، في أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة غرف الجنة (٥٧٤) ح٢٥٢٧، وقال: «هذا حديث غريب». وابن أبي عاصم في الزهد (١/١٩)، والبزار في البحر الزخار (٢/٢٨١) ح٧٠٢، وابن عدي في الكامل (٤/١٦١٣)، وابن كثير في تفسيره (٦/٢٩٩، ٥٠٩)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/١٧)، وقال: «وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات».

(٣) في «ح»: الحمزة.

(٤) بعض الآية [٧٥] من سورة الفرقان.

(٥) وقرأ الباقون «في الغرفات» بالجمع.

انظر: السبعة (٥٣٠)، والتيسير (١٨١)، والموضح (٣/١٠٥٦)، والنشر (٢/٣٥١).

(٦) وقرأ الباقون «معاجزين».

انظر: التيسير (١٥٨)، والموضح (٣/١٠٤٢)، والنشر (٢/٣٢٧).

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ﴾ الرزق لمن يشاء، يوسّع عليه تارة ويضيّق أُخرى، الأولى في ردّ مقالتهم، وهذه في الحثّ على الإنفاق بدليل قوله: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾ فلا تكرار، أي: وما أنفقتم مما يصدق عليه اسم الشيء فالله تعالى يجعل له خلفاً في الدنيا فقللوا أو أكثروا، وفي الحديث المشهور: «إنّ لله ملكين ينزلان كلّ صباح ينادي أحدهما: اللهم أعطِ كلّ منفق خلفاً، والآخر ينادي: اللهم [أعطِ](1) كلّ ممسكٍ تلفاً»(2)(3)، ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ إذ مَن عداه إنما يكون رازقاً مجازاً، كأنه قيل: فلينفق فإنّ الله يرزقه من حيث لا يحتسب.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ

---

(1) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(2) في هامش الأصل، «ق»، «ح»: «رواه البخاري ومسلم».

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴾ [الليل: ٥] (٤٤٥/١) ح١٤٤٢، ومسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الزكاة، باب كلّ نوع من المعروف صدقة (٩٥/٧).

كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُواْ رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ [٤٠-٤٥].

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ الرؤساء والضعفاء، أو العابدين والمعبودين، ﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ خصوصاً؛ لكونهم أشرف من عبدوه، ولأنهم ما عبدوا الأصنام إلاّ أنها صور الملائكة(١). ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴾ الغرض من هذا السؤال تقريع المشركين وزيادة تعذيب بأنّ من عبدوه ليكون(٢) شفيعاً يتبرأ(٣) عنهم مواجهة ويكذبهم أحوج ما كانوا.

﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ ﴾ ننزهك(٤) عن الشريك، ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ﴾ متجاوزين عنهم لا ولاية ولا مودة لنا إلاّ لك، ﴿ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ﴾ حيث أطاعوهم، وقيل: كانوا يعبدون الأصنام والجنّ تدخل في أجوافها فيعبدون بعبادتها، وقيل: صورت الشياطين صور الجنّ وقالوا: هذه صور الملائكة(٥)،

---

(١) انظر: الكشّاف (٥/١٢٨)، وأنوار التنزيل (٥٧١).

(٢) في «ق»: ليس.

(٣) في «ح»: يتبراء، وفي «ص»: يتبرء.

(٤) في «ح»: تنزيه.

(٥) انظر: الكشّاف (٥/١٢٨)، والبحر المحيط (٧/٢٨٧).

﴿ أَكۡثَرُهُم ﴾ أي: كلّهم، ﴿ بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴾ الضمير الأوّل للمشركين، والثاني للجنّ.

﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا ﴾ إذ لا ضارّ في ذلك اليوم ولا نافع إلاّ الله، وتقديم النفع اهتماماً؛ لأنه الغرض من عبادتهم، ﴿ وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ عطف على «لا يملك»، مبين للغرض من تمهيده[1].

﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ ﴾ أي: محمد، ﴿ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ ﴾ أرادوا نفي رسالته وحصر أوصافه في هذا الغرض الفاسد، ﴿ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ ﴾ أي: القرآن، ﴿ إِلَّآ إِفۡكٞ ﴾ لا يطابق الواقع، ﴿ مُّفۡتَرٗىۚ ﴾ في نسبته إليه تعالى، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ ﴾ أي: القرآن أو كلّ ما جاء به رسول الله[2]، ﴿ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾ واضح لا سترة

وكانت العزّى شيطانة تأتي بطن نخلة، واتّخذ العرب صنماً عند ثلاث سمرات، فإذا جاء المشركون خاطبتهم العزى خلف تلك الشجر، وعندما قطع خالد بن الوليد ﷺ تلك الشجرات خرجت تلك الشيطانة نافشة شعرها تصرّف بأنيابها فضربها ففلق رأسها، ثمّ قتل السادن.

انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٧/٩٩ـ١٠٠).

(١) الاسم الموصول «الذين» ورد لبيان علة الحكم وهي الظلم؛ لأنّ ذلك هو سبب دخولهم النار.

انظر: فصول في أُصول التفسير (٩٣).

(٢) انظر: الكشّاف (٥/١٢٨ـ١٢٩)، وأنوار التنزيل (٥٧٢).

به، وفي إيثار المظهر موصولاً وما في «لما» من معنى المبادرة على التكذيب من غير تأمل إنكار شديد كأنه قال: أولئك[1] الكفرة المتمردون قالوا لذلك الحق النيّر قبل ذَوْق معناه ليس شيئاً سوى السحر.

﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ﴾ ليكون لهم في قولهم الباطل متشبّث كأهل الكتاب، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾ يدعوهم إلى ترك الشرك ويتوعدهم بالعقاب على تركه[2]، فهم جهلة أُميّون ثم توعّدهم بقوله: ﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ﴾ أي: كذب من قبل هؤلاء وما بلغ كفار مكّة عشر ما آتينا أولئك[3] من المال والقوّة[4][5]، أو ما بلغ أولئك[6] معشار ما آتينا كفار مكّة من الآيات والهدى، ﴿ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ﴾ عطف المقيد على المطلق وما بينهما اعتراض وجعل الأول للتكثير عائد إلى الإطلاق، أو عطف على بلغوا من تتمة الاعتراض، والضمير لأهل مكّة، وتكذيبهم للرسل هو تكذيب

---

(١) في «ق»: أولائك.

(٢) هكذا في النسخ ما عدا «ص» ففيها «ارتكابه» وهو الصواب.

(٣) في «ق»: أولائك.

(٤) في هامش الأصل: «الجزم في معشار إلى عشر، ولا مقال في غيره وقدمها في ذلك؛ لأنّ المرباع قد ذكر في الحديث، وهو ما كان يأخذه الأمير من الغنائم في الجاهلية».

انظر: النهاية في غريب الحديث (٣٤١) مادة «ربع».

(٥) انظر: الكشّاف (٥/١٢٩)، وأنوار التنزيل (٥٧٢).

(٦) في «ق»: أولئك.

محمد ﷺ فإنه تكذيب لهم من وجهين[1]. ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ إنكاري عليهم بالتدمير تنزيلاً للفعل منزلة القول.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ
تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾
قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ
رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن
ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾
وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ
ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن
مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾ ﴾ [٤٦-٥٤].

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ﴾ خصلة أو صفة، ﴿ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ ﴾ تفسير لواحدة، الجار والمجرور في محل النصب، أي: مخلصين من غير اتباع هوى ولا تقليد، والقيام إمّا هو المتعارف أو النهوض بالرأي والهمة[2]، ﴿ مَثْنَىٰ ﴾ اثنين

(١) في هامش الأصل: «أحد الوجهين: أنهم أخبروا أنه نبي آخر الزمان، والثاني أن تكذيبه يستلزم تكذيبهم».

(٢) انظر: الكشّاف (٥/ ١٣٠).

اثنين، ﴿وَفُرَٰدَىٰ﴾ واحداً واحداً؛ لأنّ الكثرة تشوش الخاطر وتفرق البال، والاثنان كلّ منهما يعرض رأيه على الآخر والواحد يؤامر نفسه[1]، ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ فتعلموا أن ليس به جنون وذلك أنّ ما ادّعاه من الشأن الذي دونه[2] ملك الدّارين لا يدعيه إلاّ أحد رجلين: مجنون لا يدري ما يقول، أو مؤيد من عند الله بمعجزة باهرة إذ العاقل لا يرضى بافتضاحه لدى المعارضة[3]، ومحمد[4] بريء من الجنون، وقد صاحبتموه دهراً وتبين لكم أنه أصدق الناس لهجة، وأرجحهم عقلاً، وأرزنهم حلماً، بل هو مركز دائرة الفضائل والمحامد. هذا وقد أيّده الله بمعجزات باهرة من أنواع شتى لا تبقي شبهة في أمره، ويجوز أن يكون «ما صاحبكم» مستأنفاً منه تعالى؛ تنبيهاً لهم على وجه النظر، وهذا أفخم وأشدّ طباقاً، و«ما» نافية وللاستفهام وجه حسن أي: أي شيء فيه من آثار الجنون[5]، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ قال: بعثت في نسم الساعة[6][7].

---

(١) انظر: الكشّاف (١٣٠/٥)، وأنوار التنزيل (٥٧٢).

(٢) في «ح»: دون.

(٣) في «ق» زيادة: بما ينوّر به دعواه.

(٤) صلى الله عليه وسلم.

(٥) انظر: المحرر الوجيز (١٤٨/١٣)، والكشّاف (١٣٠/٥)، والدر المصون (٢٠٠/٩).

(٦) في هامش الأصل: «النسم أول هبوب الريح، أراد أنه أول أشراط الساعة».
انظر: النهاية في غريب الحديث (٩١٣) مادة «نسم».

(٧) أخرجه الدولابي في الكنى (٢٣/١)، وابن منده في المعرفة (٢٣٤/٢)، والعسكري في تصحيفات المحدثين (٢١٢/١-٢١٣)، وأبو نعيم في الحلية (١٦١/٤)، وذكره ابن الأثير في النهاية في غريب

﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ﴾ أي: أيُّ شيء سألتكم من الأجر تجاوزت عنه وتركته لكم. نفيٌ لسؤال الأجر على أبلغ وجه، ويجوز أن تكون «ما» موصولة، والذي سأله منهم هو قوله: ﴿ لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[1]، وقوله: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾[2]، ولا يشكّ أنه لهم لا له، ﴿ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾ الذي أرسلني، ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ مهيمن يعلم صدق مقالتي وضميري.

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ ﴾ القذف: الإلقاء بدفع واعتماد، واستعير للإيحاء والإنزال، أو يقذف به الباطل فيدمغه[3]، ﴿ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ لا يخفى عليه شيء فهو يعلم مَن يستحقّ الاصطفاء، أو ما هو جدير بالدمغ والإذهاب. وقرأ حمزة، وأبو بكر بكسر الغين؛ لمناسبة الياء. والباقون بالضمّ على الأصل كالقلوب[4].

الحديث (٩١٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣١٢/١٠)، وكشف الأستار (٦٨/٤) ح٣٢١٥، وابن حجر في الكافي الشاف (١٠٩) ح١، وقال: «رواه البزار بإسناد حسن». والسيوطي في الجامع الصغير (٤٦٨) ج٨٨٠ [صحيح الجامع]، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤٦٧/٢) ح٨٠٨.

(١) بعض الآية [٢٣] من سورة الشورى.

(٢) بعض الآية [٥٧] من سورة الفرقان.

(٣) انظر: الكشّاف (١٣١/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٣١٢/١٤) ونسب القول الثاني لابن عباس. وقال الرازي: «وفيه وجهان أحدهما: يقذف بالحقّ في قلوب المحقين. والوجه الثاني: أنّ المراد منه هو أنه يقذف بالحقّ على الباطل». التفسير الكبير (٢٧٠/٢٥).

(٤) انظر: السبعة (١٧٨ـ١٧٩)، والكشف (٢٨٤/١)، والنشر (٢٢٦/٢)، و الإتحاف (٣٦٠).

﴿ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ ﴾ وهو القرآن، أو دين الإسلام[1]، ﴿ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ الباطل: ما عُبد من دون الله تعالى لا يقدر على الإنشاء ولا على الإعادة اللّذين هما من لوازم الألوهية، أو[2] كناية عن الهالك كقولهم: لا يأكل ولا يشرب كناية عن الميت؛ فإن الحي يبدئ الفعل ويعيده. وقيل الباطل: إبليس؛ لأنه ذو الباطل، أو لأنه هالك[3]، وفيه تقرير لما تقدّمه؛ لأنه إثبات الحقّ، وهذا إزالة الباطل، وعن الزجاج: أنّ «ما» استفهامية[4].

﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ﴾ عليها وزره؛ لأنها الأمّارة بالسوء، فكلّ ضارّ أَمرَتْ به وباله[5] لا يتخطّاها، ﴿ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ﴾ فبهداية الله وتوفيقه وإن كان لها مدخل في اكتسابه هذا وإن خوطب به رسول

---

(١) انظر: الكشّاف (١٣٢/٥)، وزاد المسير (٤٦٦/٦).

(٢) في «ق»: أوهما.

(٣) قاله قتادة، والسدي.

انظر: الكشّاف (١٣٢/٥)، وزاد المسير (٤٦٦/٦).

وقال ابن كثير: «وزعم قتادة والسدي أنّ المراد بالباطل هاهنا إبليس، أي: إنه لا يخلق أحداً ولا يعيده، ولا يقدر على ذلك، وهذا وإن كان حقاً ولكن ليس هو المراد هاهنا».

تفسير القرآن العظيم (٥١٤/٦).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢٥٨/٤)، ومعناها عنده: أي شيء يبديء الباطل وأي شيء يعيد. ثم اختار أن تكون نافية فقال: «والأجود أن يكون «ما» نفياً على معنى: ما يبديء الباطل وما يعيد، والباطل ههنا إبليس».

(٥) في «ح»: وماله.

الله ﷺ[1] فقد دخل تحته كلّ مكلّف[2]، ﴿ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ لا يخفى عليه شيء [من][3] مقالي.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ ﴾ يوم القيامة[4]، أو عند الموت[5]، أو يوم بدر[6]، ﴿ فَلَا فَوْتَ ﴾ منا، ﴿ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ من الموقف إلى النار[7]. أو من ظهر الأرض إلى بطنها[8]، أو صحراء بدر إلى القليب[9]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في خسف البيداء وذلك أن رسول الله ﷺ قال: «يغزو جيش الكعبة حتى

(١) في الأصل: صلعم.

(٢) الخطاب خاص به ﷺ يشمل أمته، إلاّ ما جاء مخصصاً له بدليل كقوله تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآية [٥٠] من سورة الأحزاب.

انظر: شرح مختصر الروضة (٢/٤١١)، ومجموع الفتاوى (١٤/٢٧٤ــ٢٧٥)، المستصفى (٢/٦٤ــ٦٥).

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٤) قاله مجاهد.

انظر: النكت والعيون (٤/٤٥٨)، وزاد المسير (٦/٤٦٧).

(٥) انظر: الكشّاف (٥/١٣٣).

(٦) قاله السدي، والضحاك، وزيد بن أسلم.

انظر: النكت والعيون (٤/٤٥٨)، وزاد المسير (٦/٤٦٧).

وقال ابن كثير: «والصحيح أنّ المراد بذلك يوم القيامة، وهو الطامّة العظمى».

تفسير القرآن العظيم (٦/٥١٥).

(٧) انظر: الكشّاف (٥/١٣٣).

(٨) انظر: زاد المسير (٦/٤٦٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٣١٥).

(٩) قاله زيد بن أسلم.

انظر: النكت والعيون (٤/٤٥٨)، وزاد المسير (٦/٤٦٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٣١٥).

إذا كانوا بالبيداء يخسف بهم. قالت عائشة رضي الله عنها فقلت: كيف [مَن][1] كان مستكرهاً [وفيهم الأسواق][2]؟، قال: يخسف بكلّهم ثم يبعثون على نياتهم»[3].

«وأخذوا» عطف على «فزعوا»، أو على «فلا فوت» على معنى فلم يفوتوا وأُخذوا، والأول أوجه؛ لأنه يقتضي إعادة «فلا فوت» تقديراً فيفيد تأكيداً، و«لو» و«إذ» والأفعال الواقعة بعدهما من «فزعوا، وأُخذوا، وحيل» وإن كانت للمضي أريد بها المستقبل؛ لأنّ فعله المستقبل كالواقع[4]. ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ هو التناول السهل، أي: قال الكفار حين أُخذوا وآمنوا بمحمد، لتقدم ذكره في ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾[5].

﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ مثّل حالهم بحال مَن يُريد تناول الشيء مع بعد المكان.

وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر «التناؤش» بهمزة مضمومة من نأش: تناول من بعد. والباقون بالواو من ناش ينوش، والمعنى واحد[6].

---

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٢) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح»، «ق».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق (٢/٩٤) ح٢١١٨، ومسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الفتن وأشراط الساعة (١٨/٤ـ٦) بروايات مختلفة.

(٤) عدّه العلماء من الالتفات، وهو مجاز في اللّفظ، ويُراد به استحضار التحقق، فكأنه لقوة تحققه قد وقع.
انظر: تأويل مشكل القرآن (٢٩٥)، والصاحبي (٣٦٤)، والبرهان في علوم القرآن (٣/٣٧٢)، والإتقان (٣/١١٨)، والكليّات (١٣٩).

(٥) بعض الآية [٤٦].

(٦) انظر: السبعة (٥٣٠)، والتيسير (١٨١)، والموضح (٣/١٠٥٨ـ١٠٥٩)، والنشر (٢/٣٥١).

﴿ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ ﴾ أي: أوان التكليف، ﴿ وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ يرجمون، عطف على «كفروا» والمضارع لحكاية الحال، ﴿ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴾ وذلك[1] قولهم في رسول الله شاعر أو ساحر، وفي القرآن شعر وأساطير الأوّلين؛ إذ لا مظنة للالتباس[2]. مثّل حالهم بحال مَن يقذف شيئاً من بعيد لا يظنّ لحوقه. أو قولهم: إن كان هناك بعثٌ نحن أحسن حالاً من أصحاب محمد، قياساً بلا جامع مع ظهور الفارق[3].

﴿ وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ ﴾ حيث آمنوا حين لم يقبل منهم، أو ما كانوا يتصورون مِن أنهم أحسن حالاً. ﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ ﴾ بأشباههم من الأمم المكذّبة الذين كانوا يشيعونهم في الاعتقاد، ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ ﴾ موقع الريب، أو شك ذا ريب، كلاهما إسناد مجازي، والوجه مختلف[4].

---

(١) في «ق»: وقيل.

(٢) في «ح» الالتباس.

(٣) انظر: الكشّاف (٥/١٣٤).

(٤) الشكّ: استواء النقيضين مع عدم ترجيح أحدهما على الآخر؛ لانعدام المرجّح، أو لوجود أمارتين متساويتين.

والفرق بين الشكّ والريب: أنّ الريب شكّ مع تهمة.

انظر: العين (٣٧٩)، والمفردات (٤٦١)، والكشّاف (١/١٤٣)، والتعريفات (١٣٤)، والفروق اللّغوية (٨٠).

تمت السورة والحمد لله على جزيل نعمه، والصلاة[1] على مَن فاق البشرية بأخلاقه وشيمه.

(١) في الأصل: والصلوة.

تفسير
سورة فاطر

سورة «فاطر»

مكية وهي خمس وأربعون آية[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٣ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٤﴾ [١-٤].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خالقهما، مِن فطر الشيء: شقّه كأنه شقّ العدم وأخرجهما منه، والإضافة محضة[2]، ولذلك وصف به المعرفة، ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ بينه وبين عباده في الإيحاء[3] وكتابة الأعمال، ﴿أُو۟لِىٓ

(١) هذا في العدّ الحرمي، وفي الحمصي أربع وأربعون آية وفي غيرهما ست وأربعون آية.

انظر: بشير اليسر (١٣٢)، وإتحاف فضلاء البشر (٣٦١).

(٢) الإضافة المحضة وتسمى المعنوية، سميت بالمحضة؛ لأنّ بين المضاف والمضاف إليه ارتباطاً واتصالاً فهي خالصة من تقدير الانفصال بينهما، وتفيد التعريف أو التخصيص.

انظر: أوضح المسالك (٢٣٦-٢٣٧)، ومعجم القواعد العربية (٥٧).

(٣) في «ح»: الإحياء.

أَجْنِحَةٍ﴾ ذوي أجنحة [وأولو][1] جمع ذو من غير لفظه، كالمخاض وهي حوامل النوق مفردة خَلِفة[2].

﴿مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ نصبها على الوصف غير منصرفة للعدل والوصف، وفي الاختلاف في الكمية [تنبيه][3] على تفاوت رتبهم فلا دلالة فيه على عدم الزيادة[4]، ولذلك أردفه بقوله: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ من الأجنحة وغيرها على ما اقتضته الحكمة.

رأي رسول الله ﷺ جبرئيل[5] في صورته[6] الحقيقة له ستمائة جناح، بين كلّ جناحين ما بين المشرق والمغرب[7]. والآية بإطلاقها تتناول كلّ ما قيل في

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٢) قول المصنف: «أولو» جمع، والصواب أنه اسم جمع «لذو»، واسم الجمع هو ما ليس له واحد من لفظه وليس على وزن خاص بالجموع. انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٤/٣٢٠)، وأوضح المسالك (٢٥)، والخليل معجم النحو العربي (٥٧).

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٤) انظر: الكشّاف (٥/١٣٦)، والبحر المحيط (٧/٢٩٨)، والدر المصون (٢/٥٦٢ـ٥٦٣).

(٥) في «ح»: جبرائيل.

(٦) في «ح»: صورة.

(٧) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين (٢/٤٢٩) ح٣٢٣٢ بلفظ: «حدثنا ابن مسعود أنه ـ ﷺ ـ رأى جبريل له ستمائة جناح». ومسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الإيمان، (٣/٢ـ٤)، باب في ذكر سدرة المنتهى بألفاظ متقاربة. وأخرج

تفسير الزيادة بالوجه الحسن، والصوت، والخطّ الحسن، والملاحـة، وغيرهـا مـن السجايا والمزايا[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ فالموجب للتخصيص تعلق الإرادة.

﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ﴾ ما يرسله ويطلقه، عبّر بالسبب عن المسبب، ﴿مِن رَّحۡمَةٖ﴾ نعمة سماوية وأرضية كالمطر والأمن والعـافية[2]، ﴿فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ﴾ لا يقدر أحد على منعها، ﴿وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ بعد إمساكـه، وتذكير الضمير العائد إلى «ما» تـارة وتأنيثه أُخرى نظراً إلى المعنى واللّفظ، وأوثر «مـا» في التنـزيل دون العكس؛ لأنّ الأول فسّر بالرحمة فحسن التأنيث، وفي ذلـك إشـارة إلى سبق رحمته، وترك تفسير الثاني؛ لدلالة الأوّل عليه، أو أطلق ليتنـاول كـلّ مـا يمسكه من غضبه ورحمته[3].

أحمد بسنده عن ابن مسعود بقية الحديث في المسند (٦/٤١٠) ح٣٨٦٢، قال المحـقق: «إسناده حسن من أجل عاصم بن بهدلة». وأخرجه الطبري في جامع البيان (٢٧/٤٩).

انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٤/٣٢٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٥١٩).

(١) قال بالعمـوم أيضاً البغـوي، والزمخشري، وابن عـطية، والـقرطبي، والرازي، والبيـضاوي، وأبو حيان.

انظر: معالم التنـزيل (٣/٥٦٤)، والكشّاف (٥/١٣٧)، والمحرر الوجيز (١٣/ ١٥٥)، والجـامع لأحكام القرآن (١٤/٣٢٠)، والتفسير الكبير (٢٦/٣)، وأنوار التنـزيل (٥٧٤)، والبحر المحـيط (٧/٢٩٩).

(٢) انظر: الكشّاف (٥/١٣٨).

(٣) انظر: الكشّاف (٥/١٣٨)، وأنوار التنـزيل (٥٧٤).

﴿ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ الغالب يرسل ويمسك على وفق مشيئته، ﴿ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ لا يفعل إلاّ ما اقتضته حكمته.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾ بالقيام بشكرها وصرف القلب والجوارح إلى طاعة موليها[1]. ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ ﴾ لتلك النعم، أو مطلقاً فيتناولها تناولاً أولياً، والاستفهام إلزام وتبكيت، ﴿ غَيۡرُ ٱللَّهِ ﴾ صفة «خالق» على المحلّ أو بدل.

وقرأ حمزة، والكسائي بالجرّ على اللّفظ[2]، ﴿ يَرۡزُقُكُم ﴾ مستأنف، [كأنه قيل: لا خالق غير الله، فقيل لم؟، وأجيب بأنه الرزاق، ﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ فيقصد الاختصاص به فعلاً، وهذا هو المعنى الذي سيق له الكلام، ولو قيل: هل من خالق رازق من السماء؟، خرج الكلام عن سننه][3]؛ فلا يمنع إطلاق الخالق

---

(١) انظر: الكشّاف (١٣٩/٥).

(٢) وقرأ الباقون برفع «غير» وبها ثلاثة أوجه إعرابية:

الأول: نعت على الموضع أو بدل.

الثاني: خبر للمبتدأ.

الثالث: فاعل لاسم الفاعل «خالق» كقولك أقائم.

انظر: السبعة (٥٣٤)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٦٢/٤)، والتيسير (١٨٢)، والتبيان في إعراب القرآن (١٠٧٣/٢)، وأنوار التنزيل (٥٧٤)، والبحر المحيط (٣٠٠/٧)، والدر المصون (٢١٢/٩)، والنشر (٣٥١/٢).

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح»، «ق».

على غيره تعالى، وإن جُعِل صفة رفعاً أو جرّاً، أو مفسراً لرافع «من خالق» محلاً امتنع؛ لاختصاصه بالرازق من السماء والأرض، ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ مستأنف كيرزقكم في الوجه الأوّل لو جعل صفة لخالق لزم التناقض؛ لأنّ هل من خالق غير الله إثبات للخالقية له تعالى، فإذا وصف ذلك الخالق بأنه لا إله إلاّ هو كان تناقضاً»[1][2]. ﴿ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ فكيف تصرفون عن التوحيد بعد هذا البيان.

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾ فصبروا فاصبر أنت فإنك أولى بذلك؛ لأنك سيدهم المقدّم، ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ فيجازيكم على قدر النصب[3].

قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي بفتح التاء وكسر الجيم[4].

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ

---

(١) في هامش الأصل: «إذا التقدير: هل من خالق آخر سوى الله لا إله إلاّ هو ذلك الخالق».

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٥٧٤)، والبحر المحيط (٧/٣٠٠).

(٣) في «ح»: النصيب، وفي «ق»: وفق عملكم.

(٤) وقرأ الباقون «تُرجَع» بضمّ التاء وفتح الجيم.

انظر: التيسير (٨٠)، والموضح (١/٣٢٣)، والنشر (٢/٢٠٨-٢٠٩).

وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [٥-٨].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ ثابت لا محالة، تقرير لما تقدمه. ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ التمتع بلذاتها بعد علمكم بزوالها، ﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ الشيطان بالإغراء على المعاصي والوعد الكاذب[1].

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾ قديم عداوته، عادى أباكم قبل كونه بشراً سوياً[2].

﴿ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ واحذروا من كيده؛ لأنّ إزالة عداوته غير ممكنة، ﴿ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ ﴾ شيعته ومَن يتبع خطواته بالوسواس وتزيين المعاصي[3]، ﴿ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ الملازمين لها، واللاّم للعاقبة.

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ بعد التحذير عن اتّباعه، بيّن حال حزبه وحزب الله ترغيباً وترهيباً، وفي

---

(١) قاله ابن عباس وقتادة وجمهور المفسرين.
انظر: معاني القرآن للنحاس (٥/٥٣٧)، وجامع البيان (٢٢/١١٧).
وانظر: المحرر الوجيز (١٣/١٥٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٣٢٣).

(٢) صرّح القرآن بعداوة إبليس لآدم بعد أن أمره الله بالسجود لآدم فأبى، فطرده الله ولعنه، أمّا ما ذكره المصنف فليس عليه دليل فيما أعلمه.

(٣) انظر: زاد المسير (٦/٤٧٤)، وأنوار التنزيل (٥٧٤).

وصف العذاب [بالشديد إشارة إلى أنّ مخالفة الهوى ليس أمراً شاقاً بالنسبة إلى ذلك العذاب](1)(2).

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ أي: رأى القبيح حسناً كقولهم: ﴿ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾(3)، والجواب محذوف أي: كمن وُفِّق وهداه الله حذف لدلالة قوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ عليه(4). وعن الزجاج: أنّ الكلام على التقديم والتأخير أي: أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف؛ لدلالة: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾(5)، والمعنى: إذا علمت أنّ الإضلال والهداية بيده تعالى فلا تتأسف ولا تذهب نفسك وتفارقك للحسرات على عدم اهتدائهم، والأوجه أن يكون حالاً كأنّ نفسه صارت عينَ الحسرات، وفي إيثار الجمع مبالغة كأن له حسرات بعدد كلّ

(1) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ص».

(2) قال الرازي في هذه الآية: «والإنسان إذا كان عاقلاً يختار العذاب المنقطع اليسير؛ دفعاً للعذاب الشديد المؤبّد، ألا ترى أنّ الإنسان إذا عرض في طريقه شوك ونار ولا يكون له من أحدهما بدّ يتخطّى الشوك ولا يدخل النار، ونسبة النار التي في الدنيا إلى النار التي في الآخرة دون نسبة الشوك إلى النار العاجلة». التفسير الكبير (٢٦/٥).

(3) بعض الآية (١٠٤) من سورة الكهف.

(4) انظر: المحرر الوجيز (١٣/١٥٧).

(5) معاني القرآن وإعرابه (٤/٢٦٤).

شخص منهم أو بعدد كلّ سيئة، الجار والمجرور يتعلّق بـ«تذهب»[1] أو بـ«حسرات»، وتقديم معمول المصدر شائع[2]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه[3].

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝١٠ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝١١﴾ [٩-١١].

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ من جهات مختلفة، ﴿فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾ حكاية للحال تصوير لتلك الهيئة[4] البديعة، ولأنّ المراد بيان إحداثها بتلك

---

(١) في الأصل: بتذهيب وهو خطأ.

(٢) انظر: الكشّاف (٥/١٤١-١٤٢)، وأنوار التنزيل (٥٧٥)، والدر المصون (٩/٢١٤-٢١٥).

(٣) اختلف المفسرون في مَن «زين له سوء عمله»؟، على أقوال ومنها:

قال الحسن: **إنه الشيطان**. وقال الكلبي: **كفار قريش**. وقال أبو قلابة: **اليهود والنصاري والمجوس**.

ورجّح القرطبي أن المراد كفار قريش بقوله: «والقول بأن المراد كفار قريش أظهر الأقوال»، ثمّ استدلّ لذلك بآيات من القرآن الكريم. الجامع لأحكام القرآن (١٤/٣٢٥).

(٤) في «ص»: البيئة.

الخاصية[1] ولذلك أسند الفعل إليها، ويجوز أن يراد باختلاف الأفعال والاستمرار[2]. وقرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي «الريح» بالإفراد على الجنس[3]، ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: بالمطر دلّ عليه ذكر السحاب، أو بالسحاب؛ لأنه سبب السبب، ولـمّا كان في الفعلين مزيد صنع التفت إلى ضمير المتكلّم؛ لأنه داخل في الاختصاص. قرأ[4] ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر «ميْت» مخففاً[5]، ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بعد يبس نباتها أو ذهاب نضارتها، ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ في محل الرفع، مثّل إحياء الأموات بإحياء الموات[6][7]. وعن ابن رزين[8][9] قلت: يا رسول الله: كيف يحي الله الموتى؟، [قال: هل مررت بوادي

---

(١) في «ق»، «ح»: الخاصّة.

(٢) انظر: الكشّاف (٥/١٤٢ـ١٤٣).

(٣) وقرأ الباقون بالجمع.

انظر: السبعة (١٧٣)، والكشف (١/٢٧١)، والموضح (٣/١٠٦٢)، والنشر (٢/٢٢٣ـ٢٢٤).

(٤) في «ح»: قراء.

(٥) وقرأ الباقون «ميّت» بتشديد الياء.

انظر: السبعة (٢٠٣)، والتيسير (٨٧)، والموضح (١/٣٦٥ـ٣٦٦)، والنشر (٢/٢٢٤ـ٢٢٥).

(٦) في «ح»: موات الأحياء بإموات الأحياء. وفي «ص»: بإحياء الموت.

(٧) انظر: الكشّاف (٥/١٤٣).

(٨) في الأصل، «ح»، «ص»: ابن رزين، والصواب: أبو رزين كما في «ق».

(٩) أبو رزين: لقيط بن عامر، ويقال: لقيط بن صبرة بن عبد الله أبو رزين العقيلي، له صحبة، روى عن النبي ﷺ وروى عنه ابنه عاصم وعمرو بن أوس الثقفي وغيرهما.

قومك يا أبا رزين مَـحْلاً ثم مررت به يهتزّ، قلت: بلى، قال: فكذلك يحي الله الموتى]"[1][2]. وقيل: الكلام في الكيفية المخصوصة[3]؛ لما روي أنه ينزل مطر من تحت العرش مثل المني ينبت[4] منه الموتى[5].

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ ﴾ الرفعة والشرف، ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ في الدارين فليطلبها منه، فإن الشيء يطلب عند مالكه، وعزة رسوله والمؤمنين عزته تعالى[6] ردّ لتعززهم بالأصنام؛ لقوله: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ

انظر: التاريخ الكبير (٢٤٨/٧)، وتهذيب الأسماء واللّغات (٧٢/٢)، وتهذيب التهذيب (٤٥٦/٨).

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١١١/٢٦) ح١٦١٩٢، قال المحقق: «إسناده ضعيف؛ لجهالة وكيع ابن حُدُس»، والطيالسي في مسنده (٢٢٥/٢) ح٢٧٩٥، والطبراني في المعجم الكبير (٢٠٨/١٩)، والواحدي في الوسيط (٥٠٢/٣)، والحاكم في المستدرك، كتاب الأهوال، باب إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء (٥٦٠/٤)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وذكره الزيلعي في تخريج أحاديث وآثار الكشّاف (١٤٧/٣) ح١٠٥٤، وابن حجر في الكافي الشافِ (١٣٨) ح٢٥٩.

وانظر: زاد المسير (٤٧٦/٦)، والجامع لأحكام القرآن (٣٢٧/١٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٩٤/٥).

(٣) في هامش الأصل: ولا يلائم سياق الآية.

(٤) في الأصل: ينيب.

(٥) انظر: أنوار التنزيل (٥٧٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٢٣/٦).

(٦) في «ق»: تعلى.

عِزًّا ﴾[1] ألا ترى إلى أبي سفيان[2] يوم أحد لـمّا رأى بالمسلمين اضطراباً كيف نادى: لنا العزى ولا عزى لكم، ثمّ قال: أُعل هبل، أُعل هبل[3]. ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ إشارة إلى ما يُنال به العزّ من عند الله تعالى[4] وهو الإيمان والعمل الصالح. روى الطبري[5] بإسناده إلى ابن مسعود أنّ الكلم الطيب: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر، إذا قال العبد أخذهُنّ الملك تحت جناحه لا يمرّ على الملائكة في السموات إلاّ استغفر لقائلها فيحييّ بها وجه الرحمن[6]. وعن ابن عباس ﷺ: العمل الصالح أداء الفرائض فمن ذكر الله وأدّى الفرائض حمل عمله ذكره، ومن لم يؤدّ رُدّ ذكره[7]. فعلى هذا

---

(١) بعض الآية (٨١) من سورة مريم.

(٢) في «ح»: سفين.

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٩٣/٣)، وحلية الأولياء (٣٩/١).

(٤) في «ق»: تعلى.

(٥) في «ح»: الطبراني.

(٦) جامع البيان (١٢٠/٢٢). وأخرجه الديلمي في الفردوس (١٠/٤) ح٦٠٢٦، والطبراني في المعجم الكبير (٢٣٣/٩) ح٩١٤٤، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٣٤/١)، وفي الأسماء والصفات (١٠٥/٢) قال محققه: «إسناده ضعيف»، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الملائكة (٤٢٥/٢)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. والمنذري في الترغيب والترهيب (٢٨١/٢)، وذكره ابن حجر في الكافي الشاف (١٣٨) ح٢٦٠.

(٧) انظر: جامع البيان (١٢١/٢٢)، والجامع لأحكام القرآن (٣٣٠/١٤)، والبحر المحيط (٣٠٣/٧).

المستكنّ في يرفع للعمل، وقيل: للذكر؛ إذ لا يقبل العمل إلاّ مِن الموحّد[1]، وقيل: الرافع هو الله[2]، والحقّ: أنّ الكلم الطيب يتناول كلّ كلمة صالحة، وقراءة القرآن أفضل من الذكر، ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ﴾ حثّ على الإخلاص في العمل الصالح فلا يدنّسه بالرياء، قاله مجاهد وسعيد بن جبير[3]. وقيل: هم المشركون الذين أداروا الرأي في شأنه ﷺ لقوله: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ﴾[4] إخبار بالغيب قبل وقوعه[5]، ونصب السيئات على

وردّ ابن عطية هذا القول وقال:«وهذا قول يردّه معتقد أهل الحقّ والسنة، ولا يصحّ عن ابن عباس، والحقّ أنّ العاصي التارك للفرائض إذا ذكر الله تعالى وقال كلاماً طيّباً فإنه مكتوب له متقبل منه وله حسناته وعليه سيئاته والله تعالى يتقبل من كلّ من اتّقى الشرك». المحرر الوجيز (١٥٩/١٣).

(١) انظر: الكشّاف (١٤٤/٥).

(٢) قاله قتادة.

انظر: معاني القرآن للنحاس (٤٤٢/٥)، وزاد المسير (٤٧٨/٦)، والجامع لأحكام القرآن (٣٣١/١٤).

(٣) انظر: زاد المسير (٤٧٩/٦)، والجامع لأحكام القرآن (٣٣٢/١٤)، وتفسير القرآن العظيم (٥٢٤/٦).

(٤) بعض الآية (٣٠) من سورة الأنفال.

(٥) قاله أبو العالية.

انظر: معالم التنزيل (٥٦٧/٣)، وزاد المسير (٤٧٩/٦)، وأنوار التنزيل (٥٧٥).

واختار ابن كثير عموم معنى الآية وقال: «والصحيح أنها عامّة، والمشركون داخلون بطريق الأولى»

وتفسير القرآن العظيم (٥٢٤/٦).

المصدر؛ لأنّ المكر فعل لازم: أي المكرات السيئات[1]، ﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ لا غيره[2]، وهو مكر الله حيث استدرجهم إلى الدرك الأسفل، أو إلى قليب بدر ثمّ إلى العذاب السرمد[3].

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ أي: آدم، ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ سائر ذريّته، ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ ذكراً وأنثى، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ أي: ملتبسة [بعلمه][4] محفوظاً أحوالها، أشار بقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ إلى الحول الكامل، وبهذا إلى العلم الشامل، ثمّ إلى القضاء والقدر بقوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ خطاباً بالإفراد والإنسان أي: ما يمدّ في عمر أحد ولا ينقص من عمر آخر[5]، ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ إلاّ في علمه، أو في اللّوح[6]. وقيل: التعمير والنقص راجع إلى شخص على الفرض والتقدير، وذلك أنه كتب عمره أربعين إن لم يتصدّق بكذا وستين إن تصدق[7]، لما روي أن الصدقة وصلة

(١) انظر: الكشّاف (١٤٥/٥)، والدر المصون (٢١٨/٩).

(٢) في «ق»: لا غير.

(٣) انظر: الكشّاف (١٤٥/٥)، والبحر المحيط (٣٠٤/٧).

(٤) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٥) انظر: معالم التنزيل (٥٦٧/٣)، وزاد المسير (٤٨٠/٦).

(٦) انظر: الكشّاف (١٤٧/٥)، وزاد المسير (٤٨١/٦).

(٧) انظر: الكشّاف (١٤٦/٥)، وأنوار التنزيل (٥٦٧).

الأرحام تزيدان في العمر[1]. وعن سعيد بن جبير: نقص العمر ما يمرّ من عمره، والكتاب: كتاب الحفظة يكتب فيه مضى يوم، مضى يومان وهكذا[2]. وعن قتادة: المعمّر مَن بلغ عمره ستين والمنقوص مَن مات دونه[3]. وهذا راجع إلى الوجه الأوّل، إلاّ إنه أشار إلى غالب الأعمار، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ المذكور، لحصوله ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ بتعلّق الإرادة لا غير.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ

---

(١) عن أنس بن مالك ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن سرّه أن يُبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه».

أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب مَن أحب البسط في الرزق (٢/٧٩) ح٢٠٦٧.

قال ابن حجر عن معنى الحديث: «قال العلماء: معنى البسط في الرزق البركة فيه، وفي العمر حصول القوّة في الجسد؛ لأنّ صلة أقاربه صدقة، والصدقة تربّي المال وتزيد فيه فينمو بها ويزكو؛ لأنّ رزق الإنسان يكتب وهو في بطن أُمّه فلذلك احتيج إلى هذا التأويل». فتح الباري (٤/٣٠٢).

(٢) انظر: معالم التنزيل (٣/٥٦٧)، وزاد المسير (٦/٤٨٠-٤٨١)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٣٣٣).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٠/٣١٧٦)، والكشّاف (٥/١٤٧)، والدر المنثور (٧/١٢).

ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [١٢-١٤].

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ ﴾ العذب: الحلو، والفرات: ما يكسر العطش من الفرت، والسائغ: السهل الانحدار، والأُجاج: الذي يحرِق بملوحته.

مثلٌ ضربه الله للمؤمن والكافر[١]. ثمّ استطرد وصف البحرين بما نيط بهما من المنافع بقوله: ﴿ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ ﴾ لأنّ الكلام في أدلة وحدانيته وكمال قدرته. وقيل: هو من تتمة المثل؛ لتفضيل المشبه به على المشبه استدراكاً لدعوى الاشتراك في الملح خاصّة؛ لاشتماله على فوائد لم توجد في المشبه فلا ترشيح[٢].

---

(١) انظر: النكت والعيون (٤/٤٦٦)، والكشّاف (٥/١٤٧)، وأنوار التنزيل (٤٧٦).

(٢) الترشيح: الرشح: ندى العرق على الجسد، والترشيح تفعيل من رشح، وهو في اللّغة: التربية والتهيئة للشيء، ورشّحه للأمر: هيأه له.

وعند البلاغيين: «أن يؤتى بكلمة لا تصلح لضرب من المحاسن حتى يؤتى بلفظة تؤهلها لذلك».

ويجيء الترشيح مع التورية والاستعارة وغيرهما.

انظر: علوم البلاغة (٣٢٩)، ومعجم المصطلحات البلاغية (٣٠٥).

وقيل: هو من تتمة التمثيل على معنى أنّ البحرين وإن اشتركا في بعض الفوائد لكن[1] خالط أحدهما ما أفسد فطرته الأصلية، كذلك المؤمن والكافر وإن اتّفقا في بعض الأخلاق والمكارم تفاوتا فيما هو الأصل؛ لبقاء أحدهما على الفطرة دون الآخر. ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ شواقّ من مخرشقّ[2]، وقيل: هو صوت جريها[3]، وإنما قدّم الجار والمجرور هنا وأخّره في النحل[4]؛ لأنّ الكلام هناك في تعداد النعم وكون الفلك ماخرة سبب قريب لها.

وهنا وقع استطراداً، أو تتمة للغرض، ﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ بالمسافرة للتجارة[5]، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ تلك النعمة، وحرف الترجي باعتبار ظاهر حالهم[6].

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو تمام دوره أو منتهاه وهو يوم القيامة[7][8]،

---

(١) في «ح»: لكي.

(٢) قاله علي بن عيسى.

انظر: النكت والعيون (٤/٤٦٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٣٥).

(٣) انظر: لسان العرب (٧/٤١٥٢) مادة «مخر».

(٤) الآية (١٤).

(٥) قاله مجاهد.

انظر: النكت والعيون (٤/٤٦٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٣٥).

(٦) انظر: أنوار التنزيل (٥٧٦).

(٧) انظر: أنوار التنزيل (٥٧٦).

(٨) في «ق»: القيمة.

﴿ ذَٰلِكُمُ ﴾ الموصوف مبتدأ، ﴿ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ﴾ [أخبار مترادفة، وفي اسم الإشارة إشارة إلى علّية الوصف؛ لثبوت الأخبار، ويجوز أن يكون له الملك](1) كلاماً مبتدأ(2) في قرآن قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ للدلالة على تفرده بالألوهية، والقطمير: لفافة النوى، وأمّا إيقاع اسم الجلالة صفة لاسم الإشارة فلا يصحّ لفظاً؛ لكونه علماً ولا معنى؛ لأنّ الغرض أنه متفرد بالإلهية؛ لأنّ المتفرد «هو ربكم» وكذا عطف البيان؛ لإيهامه تخيل الشركة(3).

﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ ﴾ لأنهم جماد، ﴿ وَلَوْ سَمِعُوا۟ ﴾ فرضاً؛ إذ كانوا من جهلهم يزعمون ذلك، ﴿ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ﴾ لعدم القدرة، وهذا محسوس لا يكابرون فيه، ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ ينكرون عبادتكم كقوله: ﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾(4) انتفى النفع وثبت الضر وأي ضر!، ﴿ وَلَا

---

(1) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ص».

(2) في «ح»: مبتداء.

(3) انظر: الكشّاف (١٤٨/٥)، والبحر المحيط (٣٠٥/٧)، والدر المصون (٢٢١/٩).

وعطف البيان: هو تابع جامد يخالف متبوعه في اللّفظ ويوافقه في المعنى.

انظر: أوضح المسالك (٣١٥)، ومعجم القواعد العربية (٢٩٩).

(4) بعض الآية (٨٢) من سورة مريم.

﴿يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ أي: لا يخبرك بالأمر مخبر مثل عالم خبير بحقائق الأشياء وبواطنها وهو الله تعالى[1]، وفيه تحقيق وتقرير لما أخبر به عن حال آلهتهم.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [١٥-٢٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ في ذاتكم وأحوالكم، وتعريف الفقراء لإفادة أنّ فقر غيرهم كلا فقر؛ لشدّة احتياجهم من باب: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾[2]، وحاتم[3] الجواد[4][5]، ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ في ذاته وصفاته وأفعاله،

(١) في «ق»: تعلى.
(٢) بعض الآية (٢) من سورة البقرة.
(٣) حاتم بن عبد الله الطائي، شاعر جواد، يُضرب به المثل بكرمه، كان من أهل نجد، زار الشام فتزوّج ماوية بنت حجر الغسّانية، أسلم ابنه عدي وابنته سفانة، مات في جبال طيء سنة ٤٦ ق.هـ.
انظر: الشعر والشعراء (١/١٤١)، وخزانة الأدب (٣/١٢٧).
(٤) في «ح»: الجود.
(٥) انظر: الكشّاف (٥/١٤٨-١٤٩)، وأنوار التنزيل (٥٧٦)، والبحر المحيط (٧/٣٠٦).

﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ المحمود على آلائه من باب التكميل[1]، إذ ليس كلّ غنيّ جواد، وسوق هذا الكلام؛ لدفع توهّم أنّ دعاءهم إلى التوحيد والعبادة ليس للاحتياج.

﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ بأن يُنشيء عالماً آخر، أو مَن يوحّده، ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾ متعسّر[2].

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾ الوزر: الثقل، أُريد به الإثم أي: لا تحمل نفس إثم نفس أخرى، وإنما سيق؛ للدلالة على أنّ الله غني عن عبادتكم، ورسوله لا يحمل وزركم فليس إرساله ودعاؤه إلى الإيمان إلاّ رحمةً لكم[3]، ﴿وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ﴾ أي: إن تدعو كلّ نفسٍ مثقلة بالأوزار كلّ مِن يمكن أن يكون مدعوّاً لحمل بعض الأوزار لا يجيبها إلى ذلك المدعو؛ لشدّة الهول، فالأولى دلت على كمال العدل وهذه على شدّة الهول، ﴿وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ﴾ أي: المدعو دلّ عليه: «إن تدع» وكيف ينفع ذو القرابة في ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾[4].

---

(١) التكميل: تفعيل من كمّل. وهو: أن يأتي بالمعنى الذي به يجمع المعاني المصححه المتممة لصحته المكملة لجودته من غير أن يخلّ ببعضها ولا أن يغادر منها شيئاً».
انظر: التبيان في علم المعاني والبديع والبيان (٣٧٣)، وشرح التلخيص (٣/٢٣١)، والمطوّل (٢٩٥)، ومعجم المصطلحات البلاغية (١٤٠ـ ٤١١).

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٥٧٦).

(٣) انظر: الكشّاف (٥/١٤٩)، وأنوار التنزيل (٥٧٧).

(٤) الآيتان (٣٤، ٣٥) من سورة عبس.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: لا يقدر إلا على إنذار هؤلاء؛ لانتفاء القابلية عن غيرهم، ومحلّ «بالغيب» نصب على الحال من الفاعل، أي: غائبين، أو من المفعول، أي: غائباً عنهم، أو الباء صلة، أي: في خلواتهم[1]، ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ حلّوا ظواهرهم بالعبادات كما زينوا بواطنهم بالخشية والإيمان بالغيب والاكتفاء بالصلاة[2]؛ لاستجلابها سائر الطاعات، ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ تطهّر ظاهراً وباطناً، اعتراض يؤكد ما تقدم. ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ نفعه لا يتخطّاها، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ للجزاء[3]، وعدٌ لهم.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ مثل للكافر والمؤمن[4]، أو للصنم والمعبود بالحق[5]، فعلى الأول عطف على قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ﴾، وعلى الثاني من تتمة قوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ والأول أولى؛ لأنهما شُبِّها أولاً بالبحرين، ثم فضّل الملح على الكافر، ثم بالأعمى والبصير ففيه ترقّ، ﴿وَلَا

---

(١) انظر: الكشاف (١٥٠/٥)، البحر المحيط (٣٠٨/٧)، والدر المصون (٢٢٢/٩).

(٢) في الأصل: «بالصلوة».

(٣) قال ابن عطية عن هذه الآية: «وكل عبارة مقصّرة عن تبيين فصاحة هذه الآية، وكذلك كتاب الله كله، ولكن يظهر الأمر لنا نحن في مواضع أكثر منه في مواضع بحسب تقصيرنا».
المحرر الوجيز (١٦٦/١٣).

(٤) قاله قتادة.
انظر: النكت والعيون (٤٦٨/٤)، وزاد المسير (٤٨٣/٦).

(٥) انظر: الكشاف (١٥٠/٥)، وأنوار التنزيل (٥٧٧).

ﵟٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُﵞ ولا شبهات الكفر و لا الإسلام[1]، ﵟوَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُﵞ الحرور هو: السموم، وقيل: الحرور بالليل، والسموم بالنهار[2]، ﵟوَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚﵞ المؤمنون والكفار[3]، ترقٍّ ثانٍ هذا وكلمة «لا» في «ولا الظلمات»، «ولا الظل» مذكرة للنفي مؤكدة كما في: ﵟوَلَا ٱلضَّآلِّينَﵞ[4]، وأمّا التي في «ولا النور»، «ولا الحرور»، «ولا الأموات» فليست كذلك؛ إذ لا يصحّ تقدير الفعل بعدها؛ لأنّ الفاعل مجموع المتقابلين فهي زائدة[5] للتوكيد.

---

(١) قاله السدي.

انظر: النكت والعيون (٤/٤٦٩).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٣٦٩)، والنكت والعيون (٤/٤٦٩)، وزاد المسير (٦/٤٨٣) ونسبه لرؤبة.

وردّ هذا القول ابن عطية بقوله: «وليس كما قال وإنما الأمر كما حكى الفراء وغيره أنّ السموم يختصّ بالنهار والحرور يقال في حر الليل وفي حرّ النهار».

قال أبو حيان: «ولا يردّ على رؤبة؛ لأنه منه تؤخذ اللّغة فقد أخبر عن لغة قومه».

واختار أبو عبيدة أنّ الحرور يكون بالنهار مع الشمس وهو الراجح عند النحاس والطبري والقرطبي. انظر: مجاز القرآن (٢/١٥٤)، وجامع البيان (٢٢/١٢٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/٤٥٢)، والمحرر الوجيز (١٣/١٦٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٣٣٩)، والبحر المحيط (٧/٣٠٨).

(٣) قاله السدي.

انظر: النكت والعيون (٤/٤٦٩)، وزاد المسير (٦/٤٨٣).

(٤) بعض الآية (٧) من سورة الفاتحة.

(٥) في «ق»: زيادة.

وقيل: قصد بها نفي الاستواء من كلّ منهما مقيساً إلى الآخر[1]، فإن قلتَ: لمَ لمْ يُعِدْ «لا» المؤكّدة في «البصير» كما أعادها في سائر المعطوفات؟.

قلتُ: لأنه تمهيد للترقي إلى التشبيه بالأحياء والأموات، ألا ترى كيف أعاد ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ﴾ وما بينهما من التمثيلين مقصودان ذاتاً فلذلك أعيدت وإنما وسطا؛ لما بين فقدان نور البصر والنور الخارجي من التلاؤم[2]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ﴾ هدايته، ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ ترشيح لتشبيه المصرّين على الكفر بالأموات[3]، ﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ وقد أنذرت وليس عليك الإسماع[4].

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ

---

(١) انظر: أنوار التنزيل (٥٧٧)، والبحر المحيط (٧/٣٠٩)، والدر المصون (٩/٢٢٣ـ٢٢٤).

(٢) في النسخ كلّها: التلأم.

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٥٧٧).

(٤) رأي بعض المفسرين أنّ هذه الآية منسوخة بآية السيف، والصواب: أنها غير منسوخة، بل هي محكمة ولم يرد دليل بإثبات نسخها.

انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (١٤٦)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (٥١)، ونواسخ القرآن (٤٩٥)، وناسخ القرآن العزيز ومنسوخه (٤٦).

مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ
أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ
إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [٢٤-٣٠].

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ محقّين أو محقاً، حال من الفاعل، أو من المفعول، أو منهما، أو صفة المصدر(١)، أو يتعلّق بقوله: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ﴾ بالوعد الحقّ والوعيد الحقّ، ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ﴾ أهل عصر، ﴿إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ أي: ليس من أمّةٍ إلاّ بُعِثَ إليها نذير، فإذا ذهبتْ واندرستْ آثاره بُعِثَ آخر، ويجوز أن يكون النذير أعمّ من النبي والعالم القائم مقامه، وإنما اكتفى بالنذير؛ لكونه قرين البشير غالباً، ولتقدّم ذكره آنفاً، ولم يعكس؛ لأنّ الإنذار هو الأهمّ(٢).

---

(١) انظر: أنوار التنـزيل (٥٧٧)، والدر المصون (٩/٢٢٦).

(٢) انظر: الكشّاف (٥/١٥١)، وأنوار التنـزيل (٥٧٧).

قال ابن جريج: «إلاّ العرب».

واختار المصنف عموم الإنذار برسول أو عالم.

قال ابن عطية: «معناه: أنّ دعوة الله تعالى قد عمّت جميع الخلق وإن كان فيهم من لم تباشره النذارة فهو ممن بلغته؛ لأنّ آدم بُعث إلى بنيه ثمّ لم تنقطع النذارة إلى وقت محمد ﷺ، والآيات التي تتضمن أنّ قريشاً لم يأتهم نذير معناه: نذير مباشر».

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ الشواهد على نبوتهم، ﴿ وَبِٱلزُّبُرِ ﴾ الصحف، ﴿ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ كالتوراة والإنجيل والزبور، والمجيء بالكتاب لا يقتضي الإتيان به أصالة؛ لقوله: ﴿ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ﴾(١)، وقيل: الإسناد إلى الكلّ بمعنى شمول البعض للكلّ كالبينات، واختصاص البعض بالبعض(٢)، ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ بالاستئصال وقلع شأفتهم، ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ إنكاري، تعجيب مما صنع بهم.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ﴾ أنواعها وأصنافها، ومنه تلوين الكلام ورجلٌ متلّون، أو المتعارف من الحمرة والصفرة وغيرهما كقوله: ﴿ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾(٣)، ﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ ﴾ ذو جدد أي: خطط، جمع جدة من الجدّ وهو القطع؛ لأنها مقطوعة من سائر الألوان(٤)، وعن ابن عباس رضي الله عنه: هي الطرائق(٥)، ﴿ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ

المحرر الوجيز (١٣/١٧٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٣٤٠).

(١) بعض الآية (٤٤) من سورة المائدة.

(٢) انظر: الكشّاف (٥/١٥١).

(٣) بعض الآية (٢٢) من سورة الروم.

(٤) انظر: النكت والعيون (٤/٤٧٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٣٤٢).

(٥) انظر: النكت والعيون (٤/٤٧١)، وزاد المسير (٦/٤٨٦).

﴿أَلْوَٰنُهَا﴾ في الشدّة والضعف يقق[1] وقانٍ[2] ودونهما، ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ أي: متحد اللّون، جمع غربيب[3] وهو الذي تناهى[4] سواده صفة مضمر فسّره «سود»؛ إذ لا يكون سواداً تأكيداً له أو «سود» بدل منه[5][6].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ﴾ كلّ ما يدبّ، أو الخيل والبغال والحمير، ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ الإبل والغنم والبقر، من عطف الخاص على العام على الأوّل، ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ أي: بعض منها مختلف ألوانه، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كاختلاف الثمرات والجبال، نصب على المصدر، أو رفع أي: الأمر كذلك.

ولـمّا خاطبه وعدد عليه دلائل التوحيد من العالم العلوي والسفلي من البسائط والمركبات من الحيوان والنبات وسائر الهيئات من الألوان والصفات قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ كأنه قال: إنما يخشاه مثلك أو من

---

(١) في «ح»، «ق»: يقيق.

(٢) يقق: بفتح الياء والقاف، وبفتح الياء وكسر القاف لغتان بمعنى أبيض وشديد البياض.
انظر: القاموس المحيط (١٢٠١) مادة «يقق».
وقانٍ: هو الأحمر، وقد يطلق على شديد الحمرة.
انظر: لسان العرب (٣٧٦٢/٦) مادة «قنا».

(٣) في «ح»: غريب.

(٤) في «ح»: تتناهى.

(٥) في هامش الأصل، «ص»: «إنما لم يجز كون «سود» صفة؛ لأنّ الموصوف أشدّ سواداً، أو لا فائدة منه، ومنه يعلم ضعف البدل منه».

(٦) في المسألة تفصيل عند النحاة والمفسرين.
انظر: الكشّاف (١٥٣/٥)، والبحر المحيط (٣١١/٧)، والدر المصون (٢٢٨/٩ـ٢٣٠).

يُدانيك [في المعرفة][1] من الذين قدّروا الله حقّ قدره، وسلك في ذلك طريق الكناية، كقولهم: العرب لا تخفر الذمم، دلالة على أنّ العلم صفة تناسب الخشية وراعى في ذلك براعة المطلع بذكر أوليائه[2]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يُغالب، ﴿غَفُورٌ﴾ لفرطَات مَن خَشيَه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ يُداومون [تلاوته][3]، فإنها من أفضل الأعمال، أو يعملون بما فيه، وقيل: أُريد به جنس الكتب ثناء على المصدّقين من الأمم[4]. ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾ أي: في الأوقات كلّها، وقيل: السرّ في التطوع، والعلانية في الفرض[5]. وآثر في التلاوة المضارع دون التالين؛ إشارة إلى استغراقهم الماضي والمستقبل بالطاعة،

---

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٢) قال شيخ الإسلام في معنى الآية: «والمعنى أنه لا يخشاه إلاّ عالم، فقد أخبر الله أنّ كلّ مَن خشي الله فهو عالم، وقد روي عن أبي حيان التيمي أنه قال: العلماء ثلاثة: فعالم بالله ليس عالماً بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس عالماً بالله، وعالم بالله عالم بأمر الله، فالعالم بالله هو الذي يخافه، والعالم بأمر الله هو الذي يعلم أمره ونهيه».

مجموع الفتاوى (٧/٢١) بتصرف.

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ص».

(٤) انظر: الكشّاف (٥/١٥٥)، وأنوار التنزيل (٥٧٨).

(٥) انظر: أنوار التنزيل (٥٧٨).

﴿ يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [لكن][1] تكسد من البوار وهو الهلاك[2]، خبر «إن»، ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ ﴾ علّة[3] لما دلّ عليه «لن تبور» أي: نفعت عند الله ليوفيهم بها أجورهم، ﴿ وَيَزِيدَهُم ﴾ على ما يقابل أعمالهم، ﴿ مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ كقوله: ﴿ وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[4]، ذلك أن يجعل «يرجون» حالاً عن فاعل ما تقدّمه أي: فعلوا جميع ذلك راجين لهذا الغرض، وخبر «إن» ﴿ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ أي: غفور لفرطاتهم، شكور لطاعاتهم[5].

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٢) قاله علي بن عيسى. انظر: النكت والعيون (٤/٤٧٢)، وزاد المسير (٦/٤٨٧).

(٣) في «ق»: علما.

(٤) بعض الآية (٤٠) من سورة النساء.

(٥) انظر: أنوار التنزيل (٥٧٨).

شَكُورٌ (٣٤) ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥) ﴾ [٣١-٣٥].

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ «من» بيان إن أُريد بالكتاب القرآن، وتبعيض إن أُريد به الجنس(١)، ﴿ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ حال مؤكّدة؛ لأنّ الحقّ لا ينفك عن هذا التصديق، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ كامل العلم ببواطن أحوالهم وظواهرها، فلو لم يكن أهلاً لهذا الكتاب المعجز المهيمن على سائر الكتب لما آثرك به(٢)، وتقديم الخبر اهتماماً؛ لأنّ الاطلاع على الخفايا والسرائر هو المختص به تعالى، وذكر البصر على طريقة التتميم، وقيل: لأنّ العمدة في ذلك الأمور الروحانية عند أهل الحقّ(٣).

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ﴾ حكمنا بتوريثه منك أو نورثه، وإيثار الماضي كما في نظائره لتحقق وقوع ما أخبر به، أو ورثناه من الأمم السالفة إن جعل «الذين يتلون» ثناء على المصدقين من الأمم «والذي أوحينا إليك» اعتراضاً لبيان كيفية التوريث، ﴿ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ هم أمّة محمد(٤)، ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

---

(١) انظر: النكت والعيون (٤/٤٧٢)، والكشّاف (٥/١٥٥).

(٢) في «ح»: لما آثر به.

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٥٧٨).

(٤) صلى الله عليه وسلم.

قاله ابن عباس والكلبي.

انظر: النكت والعيون (٤/٤٧٣)، وزاد المسير (٦/٤٨٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٣٤٧).

﴿أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾[1]. وقيل: العلماء[2] ويردّه قوله: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ بترك الأعمال وارتكاب المحرمات، ﴿وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ﴾ متوسط خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ﴿وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ بالإتيان بالطّاعات[3] وترك المنكرات، ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ بتوفيقه وتيسيره، هذا الذي عليه أكثر المفسرين[4] من الصحابة ومن بعدهم[5]، ودلّ عليه التعظيم بالإيراث والاصطفاء، وكيف وقد أشار إلى القسيم[6] بعده بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ﴾[7] وبه فسر من أنزل عليه الكتاب[8]. روى الترمذي بإسناده إلى أبي سعيد أنّ رسول الله لما تلا هذه الآية قال: «هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلّهم أهل الجنة»[9]. وقد وافقه رواة أُخر

---

(١) بعض الآية (١١٠) من سورة آل عمران.

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٥٧٨).

واختار ابن كثير العموم فقال: «...، وإذا تقرر هذا فإن الآية عامة في جميع الأقسام الثلاثة من هذه الأمة، فالعلماء أغبط الناس بهذه النعمة وأولى الناس بهذه الرحمة». تفسير القرآن العظيم (٦/٥٣٦).

(٣) انظر: الكشّاف (٥/١٥٦).

(٤) في «ح»: المسرفين.

(٥) انظر: معالم التنزيل (٣/٥٧١)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٣٤٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٥٣٣).

(٦) في «ح»: القسم.

(٧) بعض الآية (٣٦).

(٨) في «ق»: الكتب.

(٩) جامع الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الملائكة (٧٣٣) ح٣٢٢٥، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب حسن لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه».

[يكاد أن][1] يتواتر[2]. وترتيب النظم على هذا؛ لأنّ الظالم أكثر، والمقتصد كثير، والسابق قليل.

وقيل: الظالم هو الكافر والضمير عائد إلى «عبادنا»[3]. ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ إشارة إلى الإيراث، أو الاصطفاء. ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ

---

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ق».

(٢) من ذلك: **الحديث الأوّل**: عن أُسامة بن زيد عن النبي ﷺ في هذه الآية قال: «كلهم في الجنة».

أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/١٦٧) ح٤١٠، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٩٦): «وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو سيء الحفظ».

الحديث الثاني: عن أبي الدرداء قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول في قوله تعالى: «فمنهم ظالم لنفسه» الآية قال: السابق بالخيرات والمقتصد يدخلان الجنة بغير حساب، والظالم لنفسه يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة».

أخرجه أحمد في المسند (٣٦/٢٧) ح٢١٦٩٧، قال المحقق: «إسناده ضعيف». والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الملائكة (٢/٤٢٦).

الحديث الثالث: عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عن قوله تعالى: «ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» فقالت: «يا بني هؤلاء في الجنة».

أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الملائكة (٢/٤٢٦)، وقال: «صحيح الإسناد و لم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

والتواتر لغة: التتابع، يقال: تواتر المطر إذا تتابع نزوله.

واصطلاحاً: ما رواه جمع عن جمع يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب وأسندوه إلى شيء محسوس. انظر: تدريب الراوي (٢/١٧٧)، وتيسير مصطلح الحديث (١٨).

(٣) قاله ابن عباس وابن عمر.

انظر: زاد المسير (٦/٤٨٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٣٤٦)، وأنوار التنزيل (٥٧٨).

﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ مبتدأ[1] وخبر، والضمير للفرق الثلاث[2] بدل عن ﴿ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾، ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾ خبر آخر وحال مقدّرة، ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ «من» الأولى تبعيضية، والثانية للبيان، ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ عطف على «أساور» في قراءة نافع وعاصم بالنصب، وعلى لفظ «ذهب» في قراءة غيرهم[3]، والمعنى: من ذهب مرصّع باللؤلؤ، أو من ذهب في صفاء اللؤلؤ، ﴿وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ على الدوام بخلاف الأسوِرة ربما تنزع كما هو المتعارف في الدنيا.

﴿وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ جنسه، أو كلّ فرد منه مما تشفق منه في الدنيا والآخرة. وعن ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ قال: «ليس على أهل لا إله إلاّ الله وحشة في القبور ولا في النشور، وكأني بهم ينفضون التراب ويقولون: الحمد الله الذي أذهب عنا الحزن»[4]. ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ لكثير الغفران، ﴿شَكُورٌ﴾ لليسير.

---

(١) في «ح»: مبتداء.

(٢) في هامش الأصل: «لم يجعل الضمير في «يدخلونها» للسابق والمقتصد باعتبار الجنس؛ لإتيانه على الوجه الثاني وقد زيد».

(٣) وقرأ الباقون بالجرّ.

انظر: السبعة (٥٣٤ـ٥٣٥)، والتيسير (١٥٦)، والموضح (١٠٦٣/٣)، والنشر (٣٢٦/٢).

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٨١/٩)، وابن عدي في الكامل (٢٧١/٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١١/١)، والواحدي في الوسيط (٥٠٦/٣)، والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٣٨٦/٣) ح٥١٨٠، والبغوي في معالم التنزيل (٥٧٢/٣)، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٩١٤/٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢٦٩/٢)، وقال: «وفي متنه

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ إذ لا يستحق العبد على مولاه أجر العمل، ﴿ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ ﴾ مشقّة؛ إذ لا تكليف هناك، ولا آفة، ولا طلب رزق، وإذا لم يوجد المسّ فكيف بما فوقه، ﴿ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ فتور يعتري الإنسان من النصب[1]، وإنما نفاه صريحاً مبالغة[2].

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [٣٦-٤٠].

نكاره». والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٨٢)، وابن حجر في الكافي الشاف (١٣٩) ح٢٦٧، وقال: «وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف».

وانظر: الكشّاف (٥/١٥٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٥٣٧)، وضعيف الجامع الصغير (٥/٦٠).

(١) النّصب: التعب.

واللّغوب: التعب مع الإعياء، وينشأ عنه الفتور، فاللّغوب نتيجة النصب.

انظر: المفردات (٧٤٢، ٨٠٨)، والكشّاف (٥/١٥٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٣٥١).

(٢) انظر: الكشّاف (٥/١٥٨)، وأنوار التنزيل (٥٧٩).

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ ﴾ مختص بهم، ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ بالموت، ﴿ فَيَمُوتُواْ ﴾ ثانياً ويستريحوا، نصب بإضمار [أن](١)(٢)، ﴿ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ ﴾ طرفة عين كماً أوكيفاً، ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾ مبالغ في الكفر أو في الكفران(٣). وقرأ أبو عمرو «يُجزى» بالياء على بناء المفعول، والنون أشدّ تهويلاً(٤).

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴾ يتصارخون من الصراخ وهو الصياح بشدّة، استعمل في الاستغاثة؛ لأنّ المستغيث يجهد في الصياح(٥)، ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُۚ ﴾ إذ كان في حسبانهم(٦) أنهم على عملٍ صالح قال تعالى(٧): ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾(٨)، والمراد: التحسّر على ما فاتهم من العمل الصالح، فالوصف على الأوّل مميز وعلى الثاني مؤكّد.

---

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من «ح».

(٢) سبب الإضمار هو تقدّم النفي «لا يقضي».

انظر: الكشّاف (١٥٨/٥)، والجنى الداني (٧٤).

(٣) في «ح»: في الكفران أو الكفر.

(٤) وقرأ الباقون «نجزي» بفتح النون وكسر الزاي.

انظر: السبعة (٥٣٥)، والتيسير (١٨٢)، والموضح (١٠٦٣/٣)، والنشر (٣٥٢/٢).

(٥) انظر: الكشّاف (١٥٨/٥ـ١٥٩).

(٦) في «ح»: حسابهم.

(٧) في «ق»: تعلى.

(٨) بعض الآية (١٠٤) من سورة الكهف.

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ «من تذكر» جواب منه تعالى[1] على وجه التوبيخ والإقناط، ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ وهو النهي الصادق[2]؛ لقوله: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[3] احتجاجاً عليهم بالعمر المقابل للعمل مع الرسول المزيح للشبهة. وقيل: الشيب[4][5]، أو العقل[6]، أو موت الأقارب[7]، ﴿فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لكم والإظهار للإشارة إلى العلّة، ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾ يدفع عنهم العذاب.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا يخفي عليه شيء، وقد علم أنهم أهل الطبع وأنهم لو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ وهي الضمائر التي لم تبرز، وإذا علمها فعلمه بغيرها أولى.

(١) في «ق»: تعلى.

(٢) قاله ابن زيد، وزيد بن علي، وقتادة، وابن السائب، ومقاتل.

انظر: معاني القرآن للنحاس (٥/٤٦١)، ومعالم التنزيل (٣/٥٧٣)، وزاد المسير (٦/٤٩٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٣٥٣).

وهذا القول اختاره الطبري، وابن عطية، وابن كثير.

انظر: جامع البيان (٢٢/١٤٢)، والمحرر الوجيز (١٣/١٧٩)، وتفسير القرآن العظيم (٦/٥٤٢).

(٣) بعض الآية (٢٤) من هذه السورة.

(٤) في «ح»: الشبه.

(٥) قاله ابن عباس، وعكرمة، وسفيان، ووكيع، والحسين بن الفضل.

انظر: معالم التنزيل (٣/٥٧٣)، وزاد المسير (٦/٤٩٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٣٥٣).

(٦) انظر: النكت والعيون (٤/٤٧٦)، وأنوار التنزيل (٥٧٩).

(٧) انظر: النكت والعيون (٤/٤٧٦)، وزاد المسير (٦/٤٩٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٣٥٣).

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ جمع خليفة، وهو الذي استخلف على الشيء وألقى إليه مقاليد التصرف فيه[1]. وفيه تقرير لقوله: «أو لم نعمركم فيه من تذكر»، ﴿ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ﴾ أي: جزاؤه، ﴿ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ﴾؛ لأنهم كلما ازدادوا جرماً بالإصرار ازدادوا بعداً وعكس لك المؤمن ولذلك قال ﷺ: «خير الناس مَن طال عمره وحسن عمله»[2].

والمقت أشدّ البغض[3].

﴿ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾ في الآخرة؛ لازدياد العذاب بازدياد الآثام، والتكرير لإفادة استقلال الكفر باقتضاء كلّ من الأمرين[4].

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أخبروني عن حالها هل تستحق الشركة، وإضافتها إليهم؛ لأنهم المثبتون لها[5]، ﴿ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ

---

(١) انظر: الكشّاف (٥/١٦٠ــ١٦١)، وأنوار التنزيل (٥٧٩).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/٨٩). وأحمد في المسند (٣٤/٥٨) ح٢٠٤١٥، قال المحقق: «حديث حسن». والدارمي في سننه، كتاب الرقاق، باب أي المؤمنين خير (٢/٣٩٨) ح٢٧٤٢، والترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب ما جاء في طول العمر (٥٣٣) ح٢٣٣٠، وقال: «هذا حديث حسن صحيح». والبزار في البحر الزخار (٩/٩٢) ح٣٦٢٣، والحاكم في المستدرك، كتاب الجنائز (١/٣٣٩) وقال: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي.
وانظر: التمهيد (٢٤/٢٢٦)، والجامع لأحكام القرآن (٤/١٧٣)، وكشف الخفاء (١/٤٦١).

(٣) انظر: معاني القرآن للنحاس (٥/٤٦٢)، والمفردات (٧٧٢) مادة «مقت»، والمصباح المنير (٧٧٠) مادة «مقت».

(٤) انظر: الكشّاف (٥/١٦١)، وأنوار التنزيل (٥٨٠).

(٥) انظر: المحرر الوجيز (١٣/١٨٠)، والبحر المحيط (٧/٣١٧).

﴿ٱلْأَرْضِ﴾ أي: جزء من أجزائها، بدل اشتمال من «أرأيتم»[1]، ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بأن شاركوه في خلقها فيشاركونه في الألوهية، ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا﴾ ينطق بذلك، ﴿فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ على حجة واضحة، والكلام على الترقي في إثبات الشركة؛ لأنّ الاستقلال بخلق شيء من الأرض شركة ما، والاشتراك معه في خلق السموات أدلّ، ثمّ إنزال الكتاب بأنهم شركاؤه أدَلّ وأدَلّ، ويجوز أن يكون على التدرج من الاستقلال إلى الشركة ثم إلى حجة مكتوبة بها، وأن يكون الضمير في «آتيناهم» للمشركين كقوله: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾[2]. وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر، والكسائي «بينات» بصيغة الجمع، وفيه إيماء إلى أنّ الشرك أمر خطير لا بدّ له من دلائل، والإفراد أبلغ؛ لأنّ الكلام مسوق للتبكيت وأنّ ليس لهم في ذلك شبهة فضلاً عن دليل، وعليه الرسم[3].

---

(١) انظر: الكشّاف (٥/١٦١).

وردّ أبو حيان هذا الوجه الإعرابي بقوله: «أمّا قوله «أروني» بدل من «أرأيتم» فلا يصحّ له؛ لأنه إذا أبدل مما دخل عليه الاستفهام فلا بدّ من دخول الأداة على البدل، وأيضاً فإبدال الجملة من الجملة لم يعهد في لسانهم».

وأجاب السمين الحلبي عن الاعتراض فقال: «قلت: والجواب عن الأوّل: أن الاستفهام فيه غير مراد قطعاً فلم تعد أداته لعدم إرادته. وأمّا قوله: لم يوجد في لسانهم. فقد وجد، ومنه:

متى تأتنا تلمم بنا ...، وقد نصّ النحويون على أنه متى كانت الجملة في معنى الأوّل ومبنية لها أبدلت منها». انظر: البحر المحيط (٧/٣١٧)، والدر المصون (٩/٢٣٨).

(٢) بعض الآية (٣٥) من سورة الروم.

(٣) وقرأ الباقون بالإفراد.

﴿ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ إضراب عن تلك الأقسام إلى ما هو الواقع وهو قول الرؤساء للأتباع: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾(1).

قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ ﴾ [٤١-٤٥].

انظر: السبعة (٥٣٥)، والتيسير (١٨٢)، والموضح (٣/١٠٦٤)، وأنوار التنزيل (٥٨٠)، والنشر (٢/٣٥٢). وقول المصنف: «وعليه الرسم» فيه نظر؛ لأنّ الرسم بخلاف قول المصنف.

قال أبو حاتم وأبو عبيد: «والجمع أولى لمخالفة الخطّ؛ لأنها في مصحف عثمان ـ رضي الله عنه ـ «بينات» بالألف والتاء». وقال بذلك مكي بن أبي طالب أنّ الاختيار هو الجمع؛ لأنّ المعنى عليه والمصحف عليه. وورد في الرسم في مصحف ابن مسعود «بينه» بالهاء.

انظر: الكشف (٢/٢١١)، والمختار في معاني قراءات أئمة الأمصار (٩٢/ب)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٣٥٦).

(١) بعض الآية (١٨) من سورة يونس.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ كراهية زوالها قبل أوانها[1].

لـمّا بيّن عجز الشركاء عن خلق ذرة في العالم العلوي والسفلي اتبعه بما يدل على كمال قدرته وفيه دلالة على أنّ الممكن حال بقائه يحتاج إلى مُبْقٍ. ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٍ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾ من بعد الزوال أو من بعد الله. «من» الأولى[2] زائدة والثانية ابتدائية[3]، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ لا يعاجل بالعقوبة، وفيه إيماء إلى أنّ دعوى الشريك له مما يزيل هذه الأجرام عن مقارّها لولا حلمه كقوله: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ﴾[4]، ﴿غَفُورًا﴾ لمن تاب عن الشرك ما قد سلف.

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ﴾ هذه كانت مقالة مشركي العرب قبل بعثة رسول الله ﷺ يقدحون في

(١) تبع المصنّف هنا قول البصريين، ويرى الكوفيون أن تجيء «أن» في «أن تزولا» بمعنى «لئلا».

وعلى الرأي الأوّل تكون «أن» مصدرية ناصبة وهي وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول لأجله. انظر: معاني القرآن للفراء (١/٢٩٧)، والتبيان في إعراب القرآن (١/٤١٤)، والجنى الداني (٢٢٤)، والبحر المحيط (١/١١٩)، (٣/٤٠٩)، ومغني اللّبيب (١/٣٦).

(٢) في الأصل: الأوّل.

(٣) معنى الزيادة هنا: تأكيد النفي أو تأكيد الاستغراق.

انظر: الكشّاف (٥/١٦١)، والبحر المحيط (٧/٣١٨)، والدر المصون (٩/٢٤٠).

(٤) بعض الآية (٩٠) من سورة مريم.

الأمم المكذّبة من اليهود والنصاري وغيرهم فكذّبهم الله في تلك المقالة[1].

ومعنى «إحدى الأمم»: أفضلها كقولهم: زيد واحد القوم. وقول لبيد: أو يرتبط بعض النفوس حمامها[2]. أو بعض الأمم من غير تعيين[3]، ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ ﴾ محمد ﷺ[4]، ﴿ مَّا زَادَهُمْ ﴾ شيئاً، ﴿ إِلَّا نُفُورًا ﴾ بعداً عن الحقّ.

﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ مفعول له أو بدل من «نفوراً»[5]، ﴿ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ﴾ برسول الله ومن آمن به، عطف على «استكباراً»، أو على «نفوراً». أصله: وإن مكروا السيء أي: المكر السيء، ثمّ حذف الموصول استغناءً بوصفه، ثمّ

(١) انظر: النكت والعيون (٤/٤٧٨)، والكشّاف (٥/١٦٢)، وزاد المسير (٦/٤٩٧).

(٢) البيت من البحر الكامل وتمامه: ترّاك أمكنة إذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حمامها.

ومعنى البيت: يقول الشاعر: أنا كثير التنقّل وترك الأماكن إذا لم أرض الإقامة بها أو يرتبط ويحتبس بعض النفوس موتها المقدّر.

انظر: ديوانه (٣١٣)، والخصائص (١/٧٥)، (٢/٣١٩)، وشرح المعلّقات للزوزني (١٠٩)، والكشّاف (٢/٢٤٨)، (٥/٣٤٣)، والمحتسب (١/١١١)، وخزانة الأدب (٧/٣٤٩)، والدر المصون (٣/٢٠٤).

(٣) انظر: الكشّاف (٥/١٦٢).

(٤) انظر: النكت والعيون (٤/٤٧٨)، وزاد المسير (٦/٤٩٧).

(٥) انظر: التبيان في إعراب القرآن (٢/١٠٧٧)، والدر المصون (٩/٢٤٠).

بدل إن مع الفعل بالمصدر، ثمّ أضيف[1]. قرأ[2] حمزة «مكر السيءْ» أولاً بإسكان الهمز إجراء للوصل مجرى الوقف[3].

﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ أي: لا يحيط، وكذا كان يوم بدر[4]، ومن أمثالهم: مَن حفر لأخيه قليباً ومن حفر لأخيه جبّاً وقع فيه منكبّاً[5][6]، ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾ ينتظرون، ﴿إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ من الأمم المكذّبة وأن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك[7]. ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ تغييراً بأن

(١) انظر: الكشّاف (١٦٢/٥)، والبحر المحيط (٣١٩/٧)، والدر المصون (٢٤١/٩).

(٢) في «ص»: قرء.

(٣) وقرأ الباقون بكسر الهمزة وصلاً. وعلى ذلك أبو عبيد، وأبو حاتم، والطبري، والمبرد، والزجاج، والأزهري، والفارسي، والمهدوي، والهذلي، وابن أبي مريم الشيرازي.
انظر: اختيارات مكي بن أبي طالب في كتابه الكشف (٩٣٤/٢ــ٩٣٥).

(٤) انظر: النكت والعيون (٤٧٩/٤).

(٥) في «ص»، «ق»: «من حفر لأخيه قليباً وقع فيه قليباً، ومن حفر لأخيه وقع فيه منكباً».

(٦) ذكر المصنّف مثالين، ويجوز أن يكون تمام المثال الأوّل: «... وقع فيه».
انظر: الكشّاف (١٦٣/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٣٥٩/١٤).
والقليب: البئر وجمعها: قُلُب.
انظر: العين (٨١١) مادة «قلب»، والمعجم الوسيط (٧٥٣/٢) مادة «قلب».
والجبّ: بئر غير بعيدة القعر.
انظر: العين (١٢٣) مادة «جب».

(٧) في «ق»: بأولئك.

يجعل مكان العقاب ثواباً، ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ بأن ينقل عقاب العاصي إلى الطائع.

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي: قد ساروا وشاهدوا في أسفارهم إلى العراق والشام واليمن آثار تلك الأمم ولا يقين أعلى وأجلى من المشاهدة، فكان ينبغي أن يعتبروا ويعلموا صدق مقالتك، ﴿ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ عدداً، وأجساداً، وأموالاً، ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ ﴾ يسبقه ويفوته[1]، ﴿ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا ﴾ كامل العلم، ﴿ قَدِيرًا ﴾ تام الاقتدار؛ إشارة إلى أنّ إمهالهم بعد الإصرار مع كمال الاقتدار لما في علمه الشامل من الحكم.

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ ﴾ من المعاصي، ﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا ﴾ أي: على ظهر الأرض، ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾ ما يدبّ على الأرض من سائر الحيوانات بشؤم المعاصي[2]، وقيل: الدابة الإنسان[3].

---

(١) انظر: معالم التنزيل (٣/٥٧٥)، والكشّاف (٥/١٦٣).

(٢) قاله عبد الله بن مسعود.
انظر: المحرر الوجيز (١٣/١٨٤)، والكشّاف (٥/١٦٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٣٦١).

(٣) قاله أبو عبيدة.
انظر: مجاز القرآن (٢/١٥٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/٤٦٦)، وأنوار التنزيل (٥٨١).
واختار القرطبي القول الأوّل وقال: «والأوّل أظهر؛ لأنه عن صحابي كبير».
الجامع لأحكام القرآن (١٤/٣٦١).

وعن أنس بن مالك: إن الضبّ ليموت في جحره هزالاً بذنب بني آدم[1].

وفي رواية: إنّ الحبارى لتموت[2]. ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ آخر أعمارهم، أو يوم القيامة[3][4]، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ فيجازيهم على حسب حالهم.

تمت والحمد لله حق حمده، والصلاة[5] على رسوله وعبده وآله وصحبه الذين قاموا بشكره وحمده.

◈ ◈ ◈

---

(١) قال ابن حجر: «لم أجده عن أنس».

انظر: الكافي الشاف (١٣٩) ح٢٧٣.

والضبّ: حيوان من الزواحف، خشن الجلد، له ذنب عريض أعقد، وهو من حيوانات الصحراء.

انظر: المعجم الوسيط (٥٣٢/١) مادة «ضب».

(٢) قاله أبو هريرة وتمامه: «لتموت في وكرها بظلم الظالم».

وأخرجه الطبري في جامع البيان (١٢٦/١٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٤/٦) ح٧٤٧٩، والبغوي في معالم التنزيل (٧٤/٣) بلفظ: «روي»، قال ابن حجر: «وفي إسناده محمد بن جابر التمامي وهو متروك». الكافي الشاف (٩٤) ح٢٥٠.

والحُبَارى: بضمّ الحاء وفتح الباء طائر طويل العنق، رمادي اللّون يشبه الإوزة، منقاره طويل.

انظر: المعجم الوسيط (١٥١/١) مادة «حبر».

(٣) في «ق»: القيمة.

(٤) انظر: الكشّاف (١٦٣/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٣٦٢/١٤).

(٥) في الأصل: والصلوة.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات والرسائل العلمية.

أوّلاً: المخطوطات والرسائل العلمية.

- الإيضاح في القراءات واختيار أبي عبيد وخلف وأبي حاتم، لأبي عبد الله أحمد بن أبي عمر الأندرابي، محفوظ في المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، برقم (١٥٨٧٦).

- اختيارات أبي عبيد القاسم بن سلاّم في القراءات جمعاً ودراسة، رسالة ماجستير للطالب: عبد الباقي بن عبد الرحمن سيسي، مقدمة لكلية أُصول الدين، قسم القرآن وعلومه، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، عام ١٤٢٠هـ تحت إشراف الدكتور: إبراهيم ابن سعيد الدوسري.

- اختيارات مكي بن أبي طالب في كتابه الكشف عن أوجه القراءات السبع دراسة موازنة، رسالة ماجستير للطالب: محمد ناصر يحي جدة، مقدمة لكلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، عام ١٤٢٣هـ تحت إشراف الدكتور: الشيخ جمعه سهل جابر.

- البسيط، لأبي الحسن على بن أحمد الواحدي النيسابوري، من أول سورة الأنبياء إلى آخر سورة النور، دراسة وتحقيق: عبد الله عبد العزيز المديميغ، رسالة

دكتوراه، مقدمة لقسم القران وعلومه، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤١٨هـ.

- البسيط، لأبي الحسن على بن أحمد الواحدي النيسابوري، من أول سورة الفرقان إلى آخر سورة الروم، دراسة وتحقيق: سليمان إبراهيم الحصين، رسالة دكتوراه، مقدمة لقسم القران وعلومه، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤١٩هـ.

- تلخيص تبصرة المتذكّر، لأحمد بن يوسف الكواشي، المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، مخطوط، نسخة ميكروفيلمية.

- تلخيص تبصرة المتذكّر، لأحمد بن يوسف الكواشي، من أوّل سورة النمل إلى آخر سورة الجاثية، تحقيق: فاضل الشهري، إشراف الدكتور: محمد صالح مصطفى، رسالة ماجستير عام ١٤١١هـ.

- الدرر اللّوامع في شرح جمع الجوامع في علم الأصول، لأحمد بن إسماعيل الكوراني، تحقيق: سعيد بن غالب المجيدي، رسالة دكتوراه نوقشت بالجمعة الإسلامية ١٤١٢هـ.

- غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني، من أوّل سورة الحجر إلى آخر سورة الحجّ، تحقيق:

العباس بن الحسين الحازمي، إشراف الدكتور: زكي أبو سريع، رسالة دكتوراة عام ١٤٢٣هـ.

- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، لشرف الدين الطيبي، دراسة وتحقيق من بداية سورة الأنبياء إلى نهاية سورة الشعراء، رسالة ماجستير، إعداد: عبد القدوس راجي موسى، ١٤١٦هـ.

- الكامل في القراءات الخمسين، لأبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي، محفوظ بالمكتبة الأزهرية، ومنه صورة مكبرة بالجامعة الإسلامية، برقم (٢٧٢٤/ م).

- كتائب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار، لمحمد الكفوي، مخطوط مصوّر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، برقم (٨٧٥/ ف).

- كشف الأسرار عن قراءة الأئمة الأخيار، لأحمد بن إسماعيل الكوراني، قسم المخطوطات بالمكتبة المركزية بجامعة الملك سعود، برقم (٩١/ ف).

- الكشف على الكشّاف، حاشية على الكشّاف، مصوّر ميكروفيلم بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، برقم (٧٤٣٧/ ف)، وأصل المخطوط بمكتبة تشستربتي بريطانيا.

- الكشف والبيان، للثعلبي، مخطوط مصوّر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم (٣٦١٧/ ف)، (١١٤٤٩/ ف).

- الكوثر الجاري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن إسماعيل الكوراني، مكتبة الحرم المكي برقم (١١٨٣).

- لوامع الغرر شرح فرائد الدرر، لأحمد بن إسماعيل الكوراني، مخطوط مصوّر عن مكتبة عارف حكمت، له نسخة ميكروفيلمية بالمكتبة المركزية بجامعة الملك سعود، برقم (٩١/ ف).

- المختار في معاني قراءات أهل الأمصار، لأبي بكر أحمد بن عبيد الله بن إدريس، محفوظ بمكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، برقم (٨٦٩/ ف) مجاميع.

- المسودة في أُصول الفقه، لآل تيمية، تحقيق: أحمد الذروي، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، كلية الشريعة بالرياض، نوقشت بتاريخ ١٤٠٤هـ.

- المنتهى، لأبي الفضل محمد بن جعفر الخزاعي الجرجاني البديلي، رسالة دكتوراه للطالب: محمد شفاعت رباني، مقدّمة لكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، شعبة التفسير (قسم القراءات)، بالجامعة الإسلاماية بالمدينة المنورة، ١٤١٥هـ، تحت إشراف الدكتور: محمود سيبويه البدوي.

ثانياً: المصادر والمراجع المطبوعة.

- الآثار، ليعقوب بن إبراهيم الأنصاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٥٥هـ.

- أبجد العلوم، لصديق خان القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكّار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.

- إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، لعبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الدمشقي، تحقيق: إبراهيم عطوة، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٤٠٢هـ.

- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، لمحمد محمد الحسيني الزبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- إتحاف فضلاء البشر، لأحمد بن عبد الغني الدمياطي، تعليق: على محمد الضباع، دار الندوة الجديدة، بيروت.

- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط٣، ١٤٠٥هـ.

- الأحاديث المختارة، لمحمد بن عبد الواحد الحنبلي المقدسي، تحقيق: عبد الملك ابن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، ط١، ١٤١٠هـ.

- الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ.

- أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي، تحقيق: على محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

- أحكام القرآن، لأحمد بن علي الرازي الجصّاص، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

- أحوال الرجال، لإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، تحقيق: صبحي السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

- إحياء علوم الدين، أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

- الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت.

- إرشاد الفحول، لمحمد بن علي محمد الشوكاني، دار المعرفة، بيروت.

- إرواء الغليل، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، ط٣، ١٤٠٧هـ.

- الأزهية في علم الحروف، لعلي بن محمد الهروي، تحقيق: عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللّغة العربية، دمشق، ١٣٩١هـ.

- أساس البلاغة، للزمخشري، تحقيق الدكتور: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ.

- أسباب النزول، لعلي بن أحمد الواحدي، تحقيق: أحمد السيد صقر، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط٣، ١٤٠٧هـ.

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر النمري القرطبي، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٢٨هـ.

- أسد الغابة، لمحمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الشهير بابن الأثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- أسرار البلاغة، لعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي، تحقيق الدكتور: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ.

- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، لملا علي القاري، تحقيق: محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢.

- الأسماء والصفات، لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

- الأشباه والنظائر في النحو، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: طه سعيد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٥هـ.

- الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٢٨هـ.

- أصل الأجناس البشرية بين العلم والقرآن الكريم، لعبد العليم بن عبد الرحمن خضر، شركة تهامة للنشر، ط١، ١٤٠٧هـ.

- إصلاح المنطق، لابن السّكيّت، تحقيق: أحمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة.

- إصلاح الوجوه والنظائر، للحسين بن محمد الدامغاني، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٥م.

- أصول الفقه، لمحمد الخضري، دار الفكر، بيروت، ط٧، ١٤٠١هـ.

- الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن سهل السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

- أضواء البيان، لمحمد بن محمد الجنكي الشنقيطي، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٣هـ.

- أطلس العالم، لمحمد سيد نصر وآخرون، مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٧هـ.

- إعجاز القرآن، لمصطفى صادق الرافعي، صححه: محمد سعيد العريان، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٤هـ.

- إعجاز القرآن الكريم بين السيوطي والعلماء، دراسة نقدية مقارنة، لمحمد عقيل موسى، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط١، ١٤١٧هـ.

- إعراب القرآن، لأحمد بن محمد النحاس، تحقيق: زهير غازي زاهد، مكتبة النهضة العربية، ط٢، ١٤٠٥هـ.

- الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٩م.

- إعلام الموقّعين عن رب العالمين، لشمس الدين أبو بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

- إغاثة الأمة بكشف الغمة، لتقي الدين المقريزي، تحقيق: جمال الدين الشيّال، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط١، ١٤٢٠هـ.

- إغاثة اللّهفان، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: مجدي سيد كيلاني، مطبعة النور الإسلامية، بيروت.

- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: علي مهنا، وسمير جابر، دار الفكر، بيروت.

- الإغراب في جدل الإعراب، لعبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩١هـ.

- الإقناع في القراءات السبع، لأحمد بن علي بن أحمد الأنصاري، تحقيق: عبد المجيد قطامش، من منشورات جامعة أم القرى، مكة، ط١، ١٤٠٣هـ.

- الإكراه في الشريعة الإسلامية، لفخري أبو صفية، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، ١٤٠٢هـ.

- الإكليل شرح مختصر خليل، لمحمد بن محمد بن أحمد السنباوي المالكي، تعليق: عبد الله الصديق الغماري، مكتبة القاهرة.

- الإكمال في رفع الارتياب، لعلي بن هبة الله بن ماكولا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

- الأمّ، لمحمد بن إدريس الشافعي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، توزيع مكتبة الباز، مكة.

- الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، لعبد الله بن عمر الدميجي، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٩هـ.

- إنباء الغمر بأبناء العمر، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد خان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.

- إنباه الرواه على أنباه النحاة، لجمال الدين القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ.

- الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، لناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير المالكي، دار المعرفة، بيروت.

- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لعبد الرحمن بن محمد الأنباري النحوي، دار الفكر، بيروت.

- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، لعلي بن سليمان المرداوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة السنة، القاهرة، ط١، ١٣٧٤هـ.

- الأنواء في مواسم العرب، لابن قتيبة الدينوري، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ط١، ١٣٧٥هـ.

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لعبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، دار الفكر، ١٤٠٢هـ.

- أنيس الفقهاء، لقاسم القونوي، تحقيق: أحمد عبد الرزاق الكبيسي، دار الوفاء للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤٠٦هـ.

- أوضح المسالك، لعبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.

- إيثار الحق على الخلق، لمحمد بن المرتضى اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، ط٣، ١٤١٣هـ.

- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.

- الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار المنارة، جدة، ط١، ١٤٠٦هـ.

- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجلّ، لمحمد بن القاسم بن بشار الأنباري، تحقيق: محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٠هـ.

- إيقاظ الأعلام لوجوب إتّباع رسم المصحف الإمام، لمحمد حبيب الله الشنقيطي، دار الرائد العربي، بيروت.

- ابن حجر العسقلاني ومصنفاته ودراسة في منهجه وموارده في كتابه الإصابة، لشاكر محمود عبد المنعم، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- ارتشاف الضرب، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: مصطفى النماس، مطبعة النسر الذهبي، مصر، ط١، ١٤٠٨هـ.

- اعتقاد أهل السنة والجماعة، لابن أبي عاصم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.

- البحر الزخار «مسند البزار»، لأحمد بن عمر البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٩هـ.

- بحر العلوم «تفسير السمرقندي»، لنصر بن محمد أحمد السمرقندي، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

- البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الأندلسي الشهير لأبي حيان، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

- البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين الزركشي، تحقيق: عبد القادر العاني، ط٢، وزارة الشئون الإسلامية، الكويت، ١٤١٤هـ.

- بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم، جمع وترتيب: يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤١٤هـ.

- بدائع الزهور في وقائع الدهور، لابن إياس الحنفي، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٤٠٢هـ.

- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين بن محمود الكاساني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ.

- بدائع الفوائد، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الفكر، بيروت.

- البداية والنهاية، لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

- البدر الطالع لمحاسن مَن بعد القرن السابع، للشوكاني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

- البرهان في علوم القرآن، لمحمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط٣، ١٤٠٠هـ.

- البسيط في شرح جمل الزجاجي، لابن ابي الربيع، تحقيق، عياد الثبيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

- بشير اليسر شرح ناظمة الزهر في علم الفواصل، لعبد الفتاح القاضي، المكتبة المحمودية التجارية.

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.

- بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار الفكر، بيروت.

- البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، لعلي الجارم، ومصطفى أمين، وزارة المعارف العمومية، مصر.

- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذهن والهاجس، ليوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر القرطبي، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ.

- البيان في غريب إعراب القرآن، لأبي البركات ابن الأنباري، تحقيق: طه عبد الحميد، ومصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٤٠٠هـ.

- البيان والتعريف، لإبراهيم بن محمد الحسيني، تحقيق: سيف الدين الكاتب، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠١هـ.

- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الزبيدي، دار مكتبة الحياة.

- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأوّل، لصديق حسن البخاري القنوجي، مكتبة دار السلام، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.

- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، دار المعارف والمطبوعات الألمانية، مصر، ط١.

- التاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

- تاريخ الأمم والملوك، لمحمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ.

- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، لأحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- تاريخ الخلفاء، للإمام السيوطي، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ.

- تاريخ دمشق، لابن عساكر، تحقيق: عمر غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ط١.

- التاريخ الكبير، لمحمد بن إسماعيل البخاري، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٧هـ.

- تاريخ الموصل، لسعيد الديوهجي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٢هـ.

- تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: محمد النجار، مطبعة مكتبة الكليات الأزهرية، مصر.

- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت.

- التبر المسبوك في ذيل السلوك، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

- التبرك وأنواعه وأحكامه، لناصر عبد الرحمن الجديع، مكتبة الرشد، الرياض، ط٤، ١٤١٨هـ.

- التبصرة في القراءات السبع، لمكي بن أبي طالب، تحقيق: محمد غوث الندوي، الدار السلفية، الهند، ط٢، ١٤٠٢هـ.

- التبيان في إعراب القرآن، لعبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ.

- التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، لحسين بن محمد الطيبي، تحقيق: هادي عطية الهلالي، عالم الكتب، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ.

- التحبير في علم التفسير، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: فتحي فريد، دار العلوم، ط١، ١٤٠٢هـ.

- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، لمحمد عبد الرحمن المباركفوري، تحقيق: عبد الرحمن عثمان، دار الفكر، ط٣، ١٣٩٩هـ.

- تحفة الطالب، لابن كثير الدمشقي، تحقيق: عبد الغني حميد الكبيسي، دار حراء، مكة، ط١، ١٤٠٦هـ.

- التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية، لفالح بن مهدي آل مهدي، تصحيح: عبد الرحمن المحمود، مكتبة الحرمين، الرياض، ط٢، ١٤٠٥هـ.

- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، لجمال الدين الزيلعي، تحقيق: سلطان الطبيشي، دار ابن خزيمة، الرياض، ١٤٠٤هـ.

- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: أحمد عمر هاشم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

- تذكرة الأريب في تفسير الغريب، لأبى الفرج ابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط: ١٤٠٧هـ.

- تذكرة الحفاظ، لمحمد بن طاهر القيسراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.

- التذكرة في القراءات الثمان، لطاهر بن عبد المنعم بن غلبون، تحقيق: أيمن سويد، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدة، ط١، ١٤١٢هـ.

- الترغيب والترهيب، لعبد العظيم عبد القوي المنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

- التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٣هـ.

- تصحيفات المحدّثين، للحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: محمود ميرة، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ط١، ١٤٠٢هـ.

- التعريفات، لعلي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥م.

- التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، لعبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تحقيق: عبد الله محمد النقراط، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ط١، ١٤١٢هـ.

- تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر الحجاج المروزي، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٦هـ.

- تغليق التعليق على صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: سعيد القزفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

- تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

- تفسير سفيان الثوري، لسفيان بن سعيد الثوري الكوفي، مكتبة الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٣هـ.

- تفسير سورة النور، لأبي علي المودودي، دار الفكر، بيروت.

- تفسير القرآن لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: مصطفى مسلم، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

- تفسير القرآن، لمحمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم غنيم عباس، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.

- تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن كثير، تحقيق: عبد العزيز غنيم محمد أحمد عاشور، ومحمد إبراهيم البنّا، مطبعة دار الشعب، القاهرة.

- تفسير القرآن العظيم، لعبد الرحمن بن محمد الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار الباز، مكة، ط١، ١٤١٧هـ.

- التفسير الكبير، للفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- تفسير النسائي، لأحمد بن شعيب بن علي النسائي، تحقيق: صبري عبد الخالق الشافعي، وسيد عباس الجليمي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

- تقريب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ.

- تكملة الإكمال، لمحمد عبد الغني البغدادي، تحقيق: عبد القيوم عبد ربّ النبي، جامعة أم القرى، مكة، ط١، ١٤١٠هـ.

- تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار الباز، مكة، ط١، ١٤١٧هـ.

- التلخيص في علوم البلاغة، لمحمد بن عبد الرحمن القزويني، شرحه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٥٠هـ.

- التلويح إلى كشف حقائق التنقيح، لمسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، ضبطه وعلّق عليه: محمد عدنان درويش، شركة دار الأرقم، ط١، ١٤١٩هـ.

- التمهيد لما في موطأ مالك من المعاني والأسانيد، ليوسف بن عبد البر النمري، تحقيق: مصطفى العلوي وآخرون، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب.

- تهذيب الأسماء واللّغات، لمحيي الدين النووي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- تهذيب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٥هـ.

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ليوسف المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، مطبعة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

- تهذيب اللّغة، لمحمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون، دار القومية العربية للطباعة، ١٣٨٤هـ.

- التوحيد، لأبي منصور الماتريدي، تحقيق: فتح الله خلف، دار الجامعات المصرية.

- التوحيد وإثبات صفات الربّ عزّ وجلّ، لمحمد بن إسماعيل بن خزيمة، تحقيق: عبد العزيز الشهوان، دار الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد «شرح قصيدة ابن القيم: الكافية الشافية»، لأحمد ابن إبراهيم عيسى، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

- التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

- التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، تحقيق: أوتو يرتزل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

- تيسير مصطلح الحديث، لمحمود الطحان، مكتبة الرشد، الرياض، ط٥، ١٤٠٣هـ.

- الثقات، لمحمد بن حبان البستي، تحقيق: محمد عبد الرشيد، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط١، ١٣٩٣هـ.

- الجامع، لمعمر بن راشد الأزدي، المكتب الإسلامي، بيروت، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، ١٤٠٣هـ.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود شاكر، وأحمد شاكر، دار المعارف، مصر.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ.

- جامع التحصيل في أحكام المراسيل، لخليل كيكلدي العلائي، تحقيق: حمدي السلفي، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ.

- جامع التفسير من كتب الأحاديث، لخالد عبد القادر آل عقدة، دار طيبة، ط١، ١٤٢١هـ.

- الجامع الصغير، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار طائر العلم، جدة، ط١.

- جامع العلوم والحكم، لعبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي الشهير بابن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

- الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- الجزيرة الفراتية والموصل دراسة في التاريخ السياسي والإداري، لمحمد جاسم حمادي، دار الرسالة للطباعة، بغداد.

- الجغرافيا الفلكية، لأمين طربوش، دار الفكر، بيروت، ١٤١٨هـ.

- جمهرة أشعار العرب، لمحمد بن أبي الخطاب القرشي، دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٨هـ.

- جمهرة أنساب العرب، لعلي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

- جمهرة اللّغة، لمحمد بن الحسن بن دريد الأزدي، مكتبة المثني، مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٤٥هـ.

- الجنى الداني في حروف المعاني، للحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

- الجواب الكافي، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ.

- حاشية الشهاب الخفاجي المسماة: «عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي»، دار صادر، بيروت.

- حاشية محيي الدين زادة على تفسير القاضي البيضاوي، ضبطه وصححه: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

- حاشية ردّ المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة، لمحمد أمين الشهير بابن عابدين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٣، ١٤٠٤هـ.

- الحاوي الكبير، لأبي الحسن الماوردي، تحقيق: علي معوّض، وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

- الحجة للقراء السبعة، للحسن بن عبد الغفار الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاتي، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٤هـ.

- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، نشر: دار الباز، مكة.

- الحماسة، لأبي تمام، تحقيق: عبد الله عسيلان، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠١هـ.

- حماسة البحتري، نشر لويس شيخو، دار الكتب، بيروت، ١٣٧٨هـ.

- الحماسة البصرية، لصدر الدين البصري، تحقيق: عادل سليمان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر.

- الحيوان، لعمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط: ١٤١٦هـ.

- خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ.

- الخصائص، لعثمان بن جنى، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٤٠٦هـ.

- خصائص العربية وطرائق تدريسها، لنايف معروف، دار النفائس، بيروت، ط٤، ١٩٩١م.

- خلاصة ابن المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، لسراج الدين ابن الملّقن، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

- الخلاصة الصرفية المستخلصة من مطولات النحاة، لإبراهيم حسين الفيفي، مطابع التراث، ط١.

- خلق أفعال العباد، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار المعارف السعودية، الرياض، ١٣٩٨هـ.

- الخليل معجم مصطلحات النحو العربي، لجورج متري عبد المسيح، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، لعبد الرحمن قاسم، ط١، الرياض.

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١١هـ.

- الدر المنثور في التفسير المأثور، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

- درء تعارض العقل والنقل، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٣٩٩هـ.

- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لمحمد عبد الخالق عضيمة، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، ١٣٩٢هـ.

- دراسة في علوم القرآن حول التكرير والزيادة، لسعيد أحمد حافظ، مطابع النور الإسلامية، ١٤١٤هـ.

- الدراية في تخريج أحاديث الهداية، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، صححه: عبد الله هاشم المدني، دار المعرفة، بيروت.

- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، لأحمد بن علي المقريزي، تحقيق الدكتور:

عدنان درويش، ومحمد المصري، وزرارة الثقافة، سوريا، ١٩٩٥م.

- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الجيل، بيروت.

- درة التنزيل وغرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، للخطيب الإسكافي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م.

- دفتر كتب خانة:

أ: دفتر كتب خانة، أيا صوفيا، ط: ١٣٠٤هـ.

ب: دفتر كتب خانة راغب باشا، ط: ١٣٠٠هـ.

ج: دفتر كتب خانة حالت أفندي، ط: ١٣١٢هـ.

- دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، صححه: محمد عبده، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ.

- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للإمام البيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

- دلالة الألفاظ، لإبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ.

- دليل الرسائل الجامعية في المملكة العربية السعودية، لزيد بن عبد المحسن آل حسين، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، ط٢، ١٤١٥هـ.

- دمية القصر وعصرة أهل العصر، لعلي بن الحسن بن علي الباخرزي، تحقيق: محمد ألقونجي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

- الديباج، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، دار ابن عفّان، الخبر، ١٤١٦هـ.

- ديوان أبي نواس، شرحه وضبطه: علي فاعور، الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.

- ديوان الأخطل، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- ديوان الأعشى، تعليق: محمد بن محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت.

- ديوان ابن الرومي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

- ديوان امرئ القيس، تحقيق: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

- ديوان جرير، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، مصر.

- ديوان حاتم الطائي، تحقيق الدكتور: عادل سليمان جمال، مطبعة الدني، القاهرة.

- ديوان حسان بن ثابت، شرح: محمد العناني، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٣١هـ.

- ديوان ذي الرّمة، تحقيق الدكتور: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ.

- ديوان زهير بن أبي سلمى، دار صادر، بيروت، ط١.

- ديوان شعر المسيب بن علس، جمعه: أنور أبو سويلم، نشر جامعة مؤتـه، الأردن.

- ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت، ط٢.

- ديوان العجـاج «الملحق»، تحقيق: سعـدي ضناوي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

- ديوان عروة بن الورد والسمؤال، دار صادر، بيروت، ١٣٨٤هـ.

- ديوان عمرو بن معدي كرب، دار صادر، بيروت، ط١.

- ديوان عنترة بن شداد، تحقيق: محمد سـيد مولـوي، المكتـب الإسـلامي، ١٩٦٥م.

- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ.

- ديـوان النابغـة الـذبياني، تحقيـق: كـرم البـستاني، دار صـادر، بـيروت، ١٣٨٣هـ.

- ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية، ط١، ١٣٦٤هـ.

- رحلة الإيمان في جسم الإنسان، لحامد أحمد حامـد، دار القلـم، دمـشق، ط١، ١٤١١هـ.

- الردّ الوافر على مَن زعم: بأنّ مَن سمّى ابن تيمية شـيخ الإسـلام كـافر، لابن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤١١هـ.

- رصف المباني في شرح حروف المعاني، لأحمد المالقي، تحقيق: أحمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٤هـ.

- رغبة الآمل شرح كتاب الكامل، لسيد على المرصفي، دار الفاروق الحديث، مصر.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لمحمود الألوسي البغدادي، دار الفكر الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- الروض الأُنُف في شرح السيرة النبوية، لابن هشام عبد الرحمن السهيلي، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٠هـ.

- الروض المربع، لمنصور بن يونس البهوتي، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ١٤٠٣هـ.

- الروض المعطار في خبر الأقطار، لمحمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

- روضة الطالبين وعمدة المفتين، ليحي بن زكريا النووي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

- الرياض النضرة، لأحمد بن عبد الله الطبري، تحقيق: عيسى عبد الله الحميري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٤هـ.

- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤٠٥هـ.

- الزاهر في غريب ألفاظ الإمام الشافعي، لمحمد أحمد الأزهري، تحقيق: عبد المنعم طوعي بشناتي، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤١٩هـ.

- الزهد، لأحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: محمد السعيد زغلول، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت.

- الزهد، لابن أبي عاصم الشيباني، تحقيق: عبد العلي حامد، دار الريان للتراث، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ.

- الزهد، لعبد الله بن المبارك المروزي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الزهد، لهناد بن السري، تحقيق: محمد الخير آبادي، وزارة الأوقاف، قطر.

- الزهد الكبير، لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: تقي الدين الندوي، الكويت، ط٢، ١٩٨٣م.

- السبعة، لأحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٨٠م.

- سبل السلام، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: محمد عبد العزيز الخولي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٣٧٩هـ.

- سجل مخطوطات مكتبة عارف حكمت، نشر مكتبة الملك عبد العزيز، فرع المدينة المنورة.

- سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح بن جني، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤١٣هـ.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.

- سلسلة الأحاديث الضعيفة، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، ط٣، ١٤٠٦هـ، نشر مكتبة المعارف، الرياض.

- السلوك لمعرفة دول الملوك، لتقي الدين المقريزي، تحقيق: محمد زياد، ١٣٧٦هـ.

- سمط اللآلي في شرح الأماني، للبكري، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت.

- السنن، لعلي بن عمر الدار قطني البغدادي، تحقيق: عبد الله هاشم المدني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦هـ.

- سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني، دار الحديث، القاهرة، ١٤٠٨هـ، نشر دار الريان للتراث.

- السنة، لأحمد بن محمد بن هارون الخلال، تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية، ط١، ١٤١٠هـ.

- سنن ابن ماجة، لمحمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

- سنن الترمذي «جامع الترمذي»، لمحمد بن عيسى الترمذي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

- سنن الدرامي، لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، دار الكتب العلمية، بيروت، نشر دار إحياء السنة النبوية.

- سنن سعيد بن منصور، لسعيد بن منصور المكي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية، الهند، ط١، ١٩٨٢م.

- السنن الكبرى للبيهقي، مطبعة المعارف العثمانية، حيدر آباد، توزيع مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٣٥٤هـ.

- السنن الكبرى للنسائي، تحقيق: عبد الغفار البنداري، وسيد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

- سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠١هـ ـ ١٤٠٥هـ.

- السيرة النبوية الصحيحة، لأكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٦، ١٤١٥هـ.

- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دراسة تحليلية، لمهدي رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط: ١٤١٢هـ.

- السيرة النبوية لابن هشام، لعبد الملك بن هشام المعافري، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.

- شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب، لعبد الحي بن العماد الحنبلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لهبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق: أحمد سعد الغامدي، دار طيبة، الرياض، ١٤١٨هـ.

- شرح التسهيل، لجمال الدين بن عبد الله بن مالك الأندلسي، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ.

- شرح الزرقاني على الموطأ، لمحمد عبد الباقي الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

- شرح سنن ابن ماجة السيوطي، عبد الغني، فخر الحسن الدهلوي، دار قديمي كتب خانة، كراتشي، بدون تاريخ.

- شرح السنة، للحسين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وزهير الشاويش، المكتب الإسلامي.

- شرح العقيدة الطحاوية، لعلي بن علي بن محمد بن أبي العزّ الدمشقي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، دار البيان، دمشق، ط١، ١٤٠١هـ.

- شرح القصائد السبع الطوال، لمحمد بن قاسم الأنباري، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر.

- شرح القصائد السبع المشهورات، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: أحمد مطلوب، دار الحرية للطباعة، ١٣٩٣هـ.

- شرح قطر الندى، لمحمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١١، ١٣٨٣هـ.

- شرح الكافية الشافية، لعبد الله بن مالك، تحقيق: عبد المنعم هريدي، دار المأمون، دمشق، ط١، ١٤٠٢هـ.

- شرح مختصر الروضة، لسليمان بن عبد القوي الطوفي، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

- شرح معاني الآثار، لأحمد بن محمد الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ.

- شرح المعلقات السبع، للحسين بن أحمد الزوزني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر مكتبة محمد صبح.

- شرح المفصل، ليعيش بن علي بن يعيش النحوي، عالم الكتب، بيروت.

- شرح مقدمة التفسير، لشيخ الإسلام ابن تيمية، لمحمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.

- شرح المقدمة الكافية في علم الإعراب، لعثمان بن الحاجب، تحقيق: جمال عبد العاطي مخيمر، مكتبة نزار الباز، مكة، ط١، ١٤١٨هـ.

- الشرح الممتع على زاد المستقنع، لمحمد بن صالح العثيمين، اعتنى به: سليمان أبا الخيل، وخالد المشيقيح، مؤسسة آسام، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

- شرح النووي على صحيح مسلم، ليحي بن شرف النووي، راجعه: خليل الميس، بيروت، ط١.

- شرح الهداية، للإمام المهدوي، تحقيق: حازم حيدر، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.

- شروح التلخيص، للتفتازاني، والمغربي، والسبكي، نشر أدب الحوزة، دار الكتب العلمية، بيروت.

- شعب الإيمان، للإمام أبي بكر البيهقي، تحقيق: محمد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

- الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة.

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، لعياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: علي بن محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٧٧م.

- شفا العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن قيم الجوزية، تحقيق: مصطفى الشلبي، مكتبة السوادي، جدة، ط١، ١٤١٢هـ.

- شفاء العي بتخريج وتحقيق مسند الإمام الشافعي بترتيب السندي، لمجدي محمد عرفات الأثري، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

- الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، لطاش كبري زاده، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ١٣٩٥هـ.

- «شواذ القرآن» مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، لابن خالويه، بعناية: ج. برجشتراسر، مكتبة المتنبي، القاهرة.

- الصاحبي في فقه اللّغة، لأحمد بن فارس، تحقيق: أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

- الصحاح «تاج اللّغة وصحاح العربية»، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد ابن عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ.

- صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وحسين أسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

- صحيح البخاري «الجامع»، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محبّ الدين الخطيب، المطبعة السلفية، ط١، ١٤٠٠هـ.

- صحيح الجامع الصغير، لمحمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٩هـ.

- صحيح مسلم بشرح النووي، لمسلم بن الحجاج، شرح يحي بن زكريا النووي، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٣٨٩هـ.

- صفة الصفوة، لجمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: محمود فاخوري، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ.

- الصناعتين، للحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: علي بن محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، القاهرة.

- الضعفاء، لأبي جعفر محمد العقيلي، تحقيق: حمدي السلفي، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

- الضعفاء الصغير، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ط١، ١٣٩٦هـ.

- ضعيف الجامع الصغير، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤١٠هـ.

- الضوء اللاّمع لأهل القرن التاسع، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت.

- الطبقات، لخليفة بن خياط العصفري، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٠٢هـ.

- طبقات الحنابلة، لمحمد بن أبي يعلى الحنبلي، دار المعرفة، بيروت.

- الطبقات السنية في تراجم الحنفية، لتقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الحنفي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، دار الرفاعي، الرياض، ط١، ١٤٠٣هـ.

- طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني، جدة.

- الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد بن منيع الزهري، دار صادر، بيروت.

- طبقات المفسرين، لمحمد علي الداوودي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحي العلوي اليمني، تحقيق: جماعة من العلماء، مكتبة المعارف، الرياض.

- طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية، لعمر بن محمد النسفي الحنفي، علّق عليه محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

- الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن، لعبد العليم عبد الرحمن خضر، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤٠٤هـ.

- العبر وديوان المبتدأ والخبر «تاريخ ابن خلدون»، دار الكتاب اللّبناني، بيروت.

- العثمانيون في التاريخ والحضارة، لمحمد حرب، دار القلم، دمشق، ط٢.

- العدّة في أصول الفقه، لأبي يعلي محمد بن الحسين الفراء البغدادي الحنبلي، تحقيق: أحمد علي سير المباركي، ط٢، ١٤١٠هـ.

- عرائس المجالس، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، المكتبة الثقافية، بيروت.

- عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، لمحمود رزق سليم، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ١٣٨١هـ.

- عصمة الأنبياء، لمحمد بن عمر بن الحسن الرازي، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٩هـ.

- العظمة، لأبي الشيخ الأصفهاني، تحقيق: رضاء الله المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

- العلل، لعلي بن عمر بن أحمد الدار قطني، تحقيق: محفوظ الرحمن السلفي، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ.

- علل الحديث، لابن أبي حاتم الرازي، تحقيق: محبّ الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٥هـ.

- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

- العلل ومعرفة الرجال، لأحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

- علماء الأكراد، لمصطفى مسلم، إصدار جمعية علماء كردستان، ط١، ١٤٢٠هـ.

- علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، لأحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ.

- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي، تحقيق: محمد القونجي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

- عمدة التفسير مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

- عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران، لإبراهيم حسن البقاعي، تحقيق: حسن حبشي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ.

- عوارف المعارف، للشيخ السهروردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ملحق بكتاب إحياء علوم الدين.

- العواصم من القواصم في الذبّ عن سنن أبي القاسم، لمحمد بن إبراهيم الوزير اليماني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ.

- عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد شمس الحقّ عظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- غاية المرام تخريج أحاديث الحلال والحرام، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٥هـ.

- غاية النهاية في طبقات القراء، لمحمد بن محمد بن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ.

- غريب الحديث، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٩٧هـ.

- غريب القرآن، لابن قتيبة، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.

- الغريبين في القرآن والحديث، لأحمد بن محمد الهروي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة، ط١، ١٤١٩هـ.

- غوامض الأسماء واللّغات، لخلف بن عبد الملك بن بشكوال، تحقيق: عز الدين علي السيد، ومحمد كمال عز الدين، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

- الفائق في غريب الحديث، لمحمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٢.

- الفاصلة في القرآن، لمحمد الحسناوي، دار الأصيل، حلب، سوريا.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت.

- الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير القاضي البيضاوي، لزين الدين عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: أحمد مجتبى بن نذير عالم السلفي، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- الفردوس بمأثور الخطاب، لشيرويه بن شهر دار الديلمي الهمداني، تحقيق: سعيد بسيوني زغلول، دار الكتب، بيروت، ط١، ١٣٨٦هـ.

- الفرق بين الفرق، لعبد القاهر بن طاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٥، ١٤٠٢هـ.

- الفروق اللّغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، لمحمد بن عبد الرحمن الشايع، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

- فصول في أُصول التفسير، لمساعد بن سليمان الطيار، دار النشر الدولي، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.

- فضائل سلاطين بني عثمان، لأحمد الحموي، تحقيق: محسن سليم، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ.

- فضائل الصحابة، لأحمد بن حنبل، تحقيق: وصي الله عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ.

- الفقه الإسلامي وأدلته، لوهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٠٥هـ.

- الفقه على المذاهب الأربعة، لعبد الرحمن الجزيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الثالثة.

- الفهرس الشامل للتراث الإسلامي المخطوط «القراءات»، مؤسسة آل البيت.

- فهرس مخطوطات دار الكتب الوطنية بتونس، ١٩٧٧م.

- فهرس مصورات جامعة أم القرى، القسم الثاني «القراءات».

- الفهرست، لمحمد بن إسحاق بن النديم، اعتنى به: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٥هـ.

- الفوائد، لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الخاني للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٣هـ.

- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، لمحمد عبد الحي اللكنوي الهندي، تحقيق: نعيم أشرف نور أحمد، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي باكستان، ط١، ١٤١٩هـ.

- فوات الوفيات، لمحمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

- في أُصول الحوار، من إصدارات الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ١٤١٢هـ.

- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، تحقيق: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

- القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.

- القراءات الشاذة، لعبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ، ملحق بكتاب البدور الزاهرة.

- قراءات النبي ﷺ وظواهرها اللّغوية، لمصطفى عبد الحفيظ سالم، مركز بحوث اللّغة العربية وآدابها، جامعة أم القرى، ١٤٢٠هـ.

- القراءات وعلل النحويين فيها المسمّى «علل القراءات»، لمحمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: نوال إبراهيم الحلوة، ط١، ١٤١٢هـ.

- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس، لعبد الرحمن صالح المحمود، دار النشر الدولي للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

- القطع والائتناف، لأحمد بن محمد النحاس، تحقيق: عبد الرحمن إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب، ط١، ١٤١٣هـ.

- القواعد، لمحمد بن محمد المقرّي، تحقيق: أحمد عبد الله حميد، مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة.

- القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف، لإبراهيم محمد البريكان، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤١٥هـ.

- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، لمحمد بن صالح العثيمين، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٧هـ.

- الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ملحق بكتاب الكشاف.

- الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، تحقيق: مجموعة من المختصين، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

- الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، ١٣٩١هـ.

- كشاف اصطلاحات الفنون، لمحمد علي التهانوي، تحقيق: علي دحروج، ومجموعة من الباحثين، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

- كشف الأستار عن زوائد البزار، لعلي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ.

- كشف الخفاء ومزيل الإلباس، لإسماعيل محمد العجلوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٣٥١هـ.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله الحنفي المعروف بحاجي خليفة، دار الفكر، بيروت، ١٤١٠هـ.

- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ.

- كشف المعاني في المتشابه من المثاني، لبدر الدين بن جماعة، تحقيق: عبد الجواد خلف، دار الوفاء، المنصورة، ١٤١٠هـ.

- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللّغوية، لأيوب بن موسى الكفوي، عني به: عدنان درويش، ومحمد المصري.

- الكنى والأسماء، لمحمد بن أحمد بن حماد الدولابي، المكتبة الأثرية، فيصل أباد باكستان، ط٢، ١٤٠٣هـ.

- الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة، لنجم الدين الغزي، دار الثقافة، بيروت.

- لسان العرب، لمحمد بن علي بن مكرم بن منظور، تحقيق: مجموعة الأساتذة، دار المعارف، ١٤٠١هـ.

- لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، دار الكتاب الإسلامي، ط٢.

- لطائف البيان في رسم القرآن، لأحمد بن محمد أبو زتيبار، مطبعة الأزهر، ط١، ١٣٧٢هـ.

- اللّباب شرح الكتاب، لأحمد بن محمد القدوري البغدادي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ.

- اللّباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير الجزري، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

- اللّباب في علوم الكتاب، لعمر بن علي بن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، ومحمد سعد رمضان، ومحمد المتولي الدسوقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، للسفاريني، تحقيق: عبد الرحمن أبا بطين، وسليمان بن سحمان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

- مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ.

- مبهمات القرآن الموسوم بصلة الجمع وعائد التذييل، لمحمد علي البلنسي، تحقيق: حنيف حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

- مجاز القرآن، لمعمر بن المثنى التميمي، تعليق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.

- المجروحين، لمحمد بن حبان البستي، تحقيق: محمد إبراهيم زايد.

- مجمع الأمثال، لأحمد محمد الميداني، تحقيق: محمد إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٧٧م.

- مجمع الزوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٢هـ.

- المجموع شرح المهذّب، لمحيي الدين بن شرف النووي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

- محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت.

- محاضرات الأدباء، للراغب الأصفهاني، دار الجيل، بيروت.

- المحبر، لمحمد بن حبيب البنداوي، تحقيق: إيلزة ليختن، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لعثمان بن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف، وعبد الحليم النجار، وعبد الفتاح شلبي، نشر دار سزكين للطباعة، استانبول، ط٢، ١٤٠٦هـ.

- المحرر الوجيز، لعبد الحقّ بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، مطابع فضالة بالمحمدية، المغرب، ط٢، ١٤٠٣هـ.

- المحرر الوجيز في عدّ آي القرآن العزيز، لعبد الرزاق علي إبراهيم موسى، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

- المحلّى، لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار التراث، القاهرة.

- محمد الفاتح، لسالم الرشيدي، دار البشير، طنطا، ط١، ١٤٢٠هـ.

- المختصر في أُصول الفقه، لابن اللّحام، تحقيق: محمد مظهر بقا، مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ط١، ١٤١٠هـ.

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر الدمشقي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

- المدخل لدراسة القرآن الكريم، لمحمد محمد أبو شهبة، دار اللّواء للنشر والتوزيع، الرياض، ط٣، ١٤٠٧هـ.

- المراسيل مع الأسانيد، لسليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: عبد العزيز السيروان، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.

- مرشد الخلاّن إلى معرفة عدّ آي القرآن، لعبد الرزاق على موسى، المكتبة العصرية، صيدا، ط١، ١٤٠٩هـ.

- المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، لعبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وزملائه، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط٣.

- المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف، لصالح غرم الله الغامدي، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، ط١.

- المساعد على تسهيل الفوائد، لبهاء الدين بن عقيل، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٠هـ، مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى.

- المستخرج من الأحاديث المختارة، لأحمد بن عبد الله الأصبهاني، تحقيق: محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

- المستدرك، لمحمد بن عبد الله الحاكم، مكتبة المعارف، الرياض.

- المستصفى من علم الأصول، لأبي حامد الغزالي، دار صادر، بيروت، ط١ عن المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٢٤هـ.

- المستصفى من أمثال العرب، لمحمود عمر الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ.

- المسند، لأبي عوانة يعقوب الإسفراييني، تحقيق: أيمن عارف الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

- المسند لأبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار الثقافة العربية، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ.

- المسند، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط٤، ١٣٧٣هـ.

- المسند، لأحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

- المسند، للروياني، تحقيق: أيمن علي أبو يماني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ.

- المسند، لسليمان بن داود البصري الطيالسي، دار المعرفة، بيروت.

- المسند، لمحمد بن إدريس الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- مسند أبي حنيفة، لأحمد بن عبد الله الأصبهاني، تحقيق: نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.

- مسند الحميدي، لعبد الله بن الزبير الحميدي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، عالم الكتب، بيروت، ١٣٨٢هـ.

- مسند الشاميين، لسليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

- مسند الشهاب، للقاضي القضاعي، تحقيق: حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ.

- مشاهد الإنصاف على شواهد الكشّاف (مطبوع بذيل الكشاف)، لمحمد عليان المرزوقي الشافعي، دار الباز، مكة المكرمة، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

- المشترك اللّفظي في الحقل القرآني، لعبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

- مشكل الآثار، لأحمد محمد الطحاوي، دار المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٣٣هـ.

- مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي، لحاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

- مشكلات القرآن، لمحمد أنور شاه الكشميري، مطبوعات المجلس العلمي، الهند، ط٢.

- مصبح الزجاجة، لأحمد بن أبي بكر الكناني، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

- المصباح المنير في شرح غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

- المصنف، لعبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ.

- المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة، تحقيق: محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

- المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، لعلي القاري الهروي المكي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدّة، مكتبة الرشد، الرياض، ط٤، ١٤٠٤هـ.

- المطول شرح تلخيص المفتاح، لسعد الدين التفتازاني، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٣٣٠هـ.

- معارج القبول بشرح سلّم الوصول، لحافظ أحمد الحكمي، دار ابن القيم، الدمام، ط١، ١٤١٠هـ.

- المعارف، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: ثروت عكاشة، منشورات دار الشريف الرضي، إيران، ١٤١٥هـ.

- معالم التنزيل، للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العكّ، ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.

- معاني القرآن، لأبي زكريا يحي بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

- معاني القرآن الكريم، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، مطابع مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، ط١، ١٤١٠هـ.

- معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، لعبد الرحيم أحمد العباسي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، ١٣٦٧هـ.

- المعتصر من المختصر من مشكل الآثار، ليوسف بن موسى الحنفي، عالم الكتب، بيروت.

- معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لياقوت عبد الله الرومي الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ. س

- معجم ألفاظ العقيدة، لعامر عبد الله فالح، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ. ـ معجم الأمكنة الواردة في صحيح البخاري، لسعد جنيدل، نشر: دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

- المعجم الأوسط، للحافظ الطبراني، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ.

- معجم البلدان، لياقوت بن عبدالله الحموي، دار بيروت للطباعة والنشر، طبعة جديدة ١٤٠٦هـ.

- معجم الصحابة، لعبد الباقي بن قانع، تحقيق: صلاح سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٨هـ.

- المعجم الصغير، لسليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٠٨هـ.

- معجم فقه السلف عترة وصحابة وتابعين، لمحمد المنتصر الكتاني، جامعة أم القرى، المركز العالمي للتعليم الإسلامي، مكة المكرمة.

- المعجم الفلسفي، مجمع اللّغة العربية، مصر، القاهرة، ١٣٩٩هـ.

- معجم القواعد العربية في النحو والتصريف، لعبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ.

- المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبد الحميد السلفي، الدار العربية للطباعة، ط١، ١٩٧٨م.

- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لعبد الله بن عبد العزيز البكري، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

- معجم مؤلفي مخطوطات مكتبة الحرم المكي الشريف، لعبد الله عبد الرحمن المعلمي، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط: ١٤١٦هـ.

- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، لأحمد مطلوب، بيروت، ط٢.

- معجم المصطلحات النحوية والصرفية، لمحمد اللّبدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

- معجم مصنفات القرآن الكريم، لعلي شواخ إسحاق، دار الرفاعي، الرياض، ط١، ١٤٠٣هـ.

- معجم مفردات الإبدال والإعلال في القرآن الكريم، لأحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٩هـ.

- معجم مقاييس اللّغة، لابن فارس، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، ١٤١٨هـ.

- معجم المناهي اللّفظية، لبكر عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط٣، ١٤١٧هـ.

- المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٣٩٢هـ.

- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، لموهوب بن أحمد بن محمد الخضر، تحقيق: د. ف. عبد الرحيم، دار القلم للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ.

- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف، وشعيب الأرناؤوط، وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

- المغازي، لمحمد بن عمر الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.

- المغني، لابن قدامة، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، وعبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٠هـ.

- المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، لعبد الرحيم العراقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، مطبوع بذيل إحياء علوم الدين.

- مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٧هـ.

- مفتاح دار السعادة ومنشور أهل العلم والإرادة، لابن قيم الجوزية، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، دار ابن عفان، الخبر، ط١، ١٤١٦هـ.

- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، لأحمد مصطفى الشهير بطاش كبري زاده، دار الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٥هـ.

- المفرد العلم في رسم القلم، لأحمد علي الهاشمي، دار القلم، بيروت.

- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

- المفسرون بين الإثبات والتأويل، لمحمد عبد الرحمن المغراوي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ.

- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ.

- المقتضب، لمحمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، مصر، ١٤١٥هـ.

- مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون، اعتنى به: علي بن عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.

- المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، لعمرو بن عثمان الداني، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

- مكارم الأخلاق، لمحمد بن جعفر الخرائطي، تحقيق: أيمن البحيري، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ.

- المكتفى في الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ، لعثمان بن سعيد الداني، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه من آي التنزيل، لابن الزبير الثقفي الغرناطي، تحقيق: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

- ملا كوراني وتفسيره، لثاقب يلدز، ترجمة: عبد الرزاق بركات.

- الممتع في التصريف، لابن عصفور الإشبيلي، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ.

- منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، لأحمد بن محمد الأشموني، دار المصحف، دمشق، ١٤٠٣هـ.

- مناهل العرفان، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣.

- المنتخب من مسند عبد بن حميد، لعبد بن حميد، تحقيق: مصطفى العدوي شلباية، دار الأرقم للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٤٠٥هـ.

- المنجد في اللّغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط١٧، ١٩٩٨م.

- منهاج السنة النبوية، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٩هـ.

- المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، لعبد الرحمن العليمي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

- المهذّب في فقه الإمام الشافعي، لإبراهيم بن علي الشيرازي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٧٩هـ.

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، لأحمد بن علي المقريزي، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

- الموافقات في أُصول الشريعة، لإبراهيم بن موسى اللّخمي الشاطبي، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ.

- موسوعة عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي، لمحمود رزق سليم، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ١٣٨١هـ.

- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، بإشراف: مانع الجهني، دار الندوة العالمية، الرياض، ط٣، ١٤١٨هـ.

- موضح أوهام الجمع والتفريق، لأحمد بن ثابت البغدادي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

- الموضح في وجوه القراءات وعللها، لنصر بن علي بن محمد الفسوي النحوي، تحقيق: عمر بن حمدان الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن، جدة، ط١، ١٤١٤هـ.

- الموضوعات في الأحاديث المرفوعات، لأبي الفرج بن الجوزي، تحقيق: نور الدين ابن شكري، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ١٤١٨هـ.

- الموطّأ، لمالك بن أنس، تعليق وتخريج: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ.

- الموقظة في علم مصطلح الحديث، لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدّة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط١، ١٤٠٥هـ.

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت، ط١، ١٣٨٢هـ.

- الميسر في أصول الفقه الإسلامي، لإبراهيم محمد سلقيني، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

- ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه «نواسخ القرآن»، لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار الثقافة العربية، دمشق، ط١، ١٤١١هـ.

- الناسخ والمنسوخ، لابن حزم الأندلسي، تحقيق: عبد الغفار البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ.

- الناسخ والمنسوخ، لهبة الله بن سلامة بن نصر المقري، تحقيق: زهير الشاويش، ومحمد كنعان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.

- الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عزّ وجلّ، لأحمد بن محمد النحاس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ.

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ليوسف بن تغري بردي الأتابكي، دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر.

- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم راضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

- النشر في القراءات العشر، لمحمد بن محمد بن الجوزي الدمشقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- نصب الراية لأحاديث الهداية، لعبد الله بن يوسف الحنفي الزيلعي، دار المأمون، القاهرة، ط١، ١٣٥٧هـ.

- النظر وأحكامه في الفقه الإسلامي، لعبد الله عبد المحسن الطريقي، ط١، ١٤٢١هـ.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٣٩٦هـ.

- نظم العقيان في أعيان الأعيان، لجلال الدين السيوطي، حرّره: فيليب حتّى، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٢٧هـ.

- النكت والعيون، لعلي بن محمد الماوردي البصري، تحقيق: سيّد عبد المقصود عبد الرحيم، مكتبة المؤيد، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، لأحمد بن علي بن أحمد القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- نهاية السول في شرح منهاج الأصول، لعبد الرحيم بن الحسن الإسنوي، عالم الكتب، بيروت.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين بن محمد الجزري ابن الأثير، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢١هـ.

- النهر المادّ من البحر، لأبي حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ، مطبوع بهامش البحر المحيط.

- النوادر، لأبي زيد الأنصاري، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.

- نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، لمحمد الحكيم الترمذي، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح، والسيد الجميلي، دار البيان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ.

- نواسخ القرآن، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ.

- نواقض الإيمان القولية والعملية، لعبد العزيز محمد عبد اللّطيف، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

- نيل الأوطار من أحاديث سيّد الأخيار شرح منتقى الأخبار، لمحمد بن علي الشوكاني، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

- الهداية شرح بداية المبتدئ، لعلي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغيناني، المكتبة الإسلامية.

- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أحمد الحاج، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ.

- هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، لعبد الفتاح السيد عجمي المرصفي، دار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤٠٢هـ.

- هداية العارفين لأسماء المؤلّفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٠هـ.

- همع الهوامع شرح جمع الجوامع، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد السلام هارون، وعبد العال سالم مكرّم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٣٩٠هـ.

- الوافي في شرح الشاطبية في القراءات، لعبد الفتاح القاضي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١ ١٤٠٤هـ.

- الوجيز في أصول الفقه، لعبد الكريم زيدان، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٧م.

- الوَرَع، لأحمد بن حنبل، تحقيق: زينب القاروط، دار الكتب الأولى، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لعلي بن أحمد الواحدي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي معوّض، وأحمد صبره، وأحمد الجمل، وعبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

- الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، لمحمد أبو شهبة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤٠٣هـ.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأحمد بن محمد بن خلّكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

- اليانع في البروج والطوالع، لعبد الله أبو عباءة، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.

* * * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
تفسير سورة المؤمنون	٥-٩٠
تفسير سورة النور	٩١-٢٢٤
تفسير سورة الفرقان	٢٢٥-٣٠٢
تفسير سورة الشعراء	٣٠٣-٣٩٢
تفسير سورة النمل	٣٩٣-٤٧٨
تفسير سورة القصص	٤٧٩-٥٦٦
تفسير سورة العنكبوت	٥٦٧-٦٢٠
تفسير سورة الروم	٦٢١-٦٧٦
تفسير سورة لقمان	٦٧٧-٧٠٨
تفسير سورة السجدة	٧٠٩-٧٣٢
تفسير سورة الأحزاب	٧٣٣-٨٢٦
تفسير سورة سبأ	٨٢٧-٨٧٨
تفسير سورة فاطر	٨٧٩-٩٢٢
فهرس المصادر والمراجع	٩٢٣-٩٨٦
فهرس الموضوعات	٩٨٧-٩٨٩